الجـــزء الثـــالث

من البحر الزاخر في تاريخ العالم واخبار الاوائل والاواخر

تأليف

الهمام البارع والعالم النافع المرحوم محمود فهمي المهندس
المتوفى بجزيرة سيلان في شهر ذي الحجة سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام

﴿الطبعة الاولى﴾
بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣١٣
هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الثامن عشر

تاريخ ايطاليا

الباب الاول

من سقوط المملكة الرومانية الى موت شرلمانيه

تأسيس المملكة القوطية في ايطاليا بواسطة عودوسير ـ تغلب طيودوريق على ايطاليا ـ صيرورته ملكا ـ سلطنته الفخيمة ـ سنوه الاخيرة ـ صيرورة عثلريق ملكا ـ وجود بلزاريوس في ايطاليا ـ فتوحاته ـ خراب ميلان بالبورغنديين ـ تغلب بلزاريوس على راڤنه ـ غيرة وحسد يوسطينان من بلزاريوس ـ تغلبه على نارسيس ـ خضوع ايطاليا للمملكة الشرقية ـ وجود النيابة في راڤنه ـ توطن اللومبارديون في ايطاليا ـ التاج الجديد ـ مملكة اللومبارديين ـ حالة رومة في عصر هذه المدة ـ تبعة هذه الجهة للبابا ـ صيرورته حاكما ملكيا ـ جريجوري الاكبر ـ أشغاله العنيفة ـ ضعف الحضارة في ايطاليا ـ القديس بنيدكت ـ تأسيسه مذهب الرهبانية ـ المنافع التي انتفعت بها المملكة من الرهبان ـ اصلاح الزراعة ـ جهل القسس ـ أخذ البابا العباد تحت حمايته ـ حرب كسر التماثيل ـ المساعي الاخيرة للامبراطور في عودشوكته ـ الحرب بين البابا واللومبارديين ـ طلب البابا مساعدة الفرنك ـ وجود بيين في ايطاليا ـ تغلبه على الفرنك ـ منحه أراضي الكنيسة على دار القسس المقدسة ـ حماية شرلمانيه للبابا من اللومبارديين ـ تتويجه امبراطورا ـ شوكته في ايطاليا

أقيمت على أطلال المملكة الرومانية كما ذكرنا فيما سبق مملكة الغوط الشرقية في ايطاليا تحت أحكام عودوسير فكان أول بربري تسلطن في ايطاليا وكان أهلا لهذا السمو الذي ارتقى اليه فانه في ظرف سبع سنوات من بعد جلوسه على تخت المملكة أعاد قنصلية الغرب وأرغم برابرة جرمانيا والغلية على احترام حدود ايطاليا وأجهد نفسه في عود توطيد الامن واستتباب الراحة وعدل الحكم في رعيته ومع ما كان عليه من بذل الطاقة في هذه المساعي فان المهنة والدمار كانا متسلطنين في ايطاليا لان الخسارات التي تولدت من الحرب والقحط والطاعون أعجزت سكان المملكة وقللت عددهم وأضعفت وسائط أحوال المعيشة ووجود مواد المؤنة وقل الموجود عند الاهالي بعد كثرته وذلك انه في وقت وجود الممالك تحت سلطة مملكة ايطاليا كانت الممالك الخراجية التابعة لها كمصر وافريقة ترسل اليها مواد المأكولات بكثرة فلما انفصلت هذه الممالك وخرجت عن طاعة المملكة انقطع ما كان بأتي عندها وتسلطن الخلل والعجز في المملكة وفي هذه الاثناء تغلب عليها (طيودوريق) ملك الغوط الشرقية وأسس مملكته الغوطية فيها وكان شجاعا بارعا في فن الحرب وتدبير الحكم

قال جبون في تاريخه المسمى قيام الدولة الرومانية وسقوطها ان (طيودوريق) الغوطي الشرقي النسل الرابع عشر من السلسلة الملوكية العمالية ولد في ضواحي فيانه من بعد موت (عطيلا) بسنتين أي في سنة ٤٥٥ بعد الميلاد وحصلت الاستقلالية للغوط الشرقية من نصرة انتصروها حديثا فكان الثلاثة اخوة وهم ولمير وطيودومير وويدعمير حكام تلك الامة الحربية القادرة بواسطة مجلس متحد بينهم وكانوا ناصبين مساكنهم في جهات متفرقة في اقليم بانونيه القفر القليل الخصوبة وكان الهونزيون يغيرون عليهم أحيانا ففي واحدة من الغارات هزمتهم قوى ولمير بمفردها فوصلت أخبار هذه النصرة الى أخيه (طيودومير) في محل مسكنه البعيد في الوقت السعيد الذي فيه مريته المحضية وضعت ولدا ووارثا فسماه طيودوريق وفي السنة الثامنة من عمره سلمه أبوه مع الكراهة واشمئزاز النفس لمصلحة عمومية ومنفعة خيرية وجعله رهنا للمعاهدة حصلت بينه وبين (ليو) أمبراطور الشرق تراضيا فيها على أن (طيودومير) يدفع سنويا اعانة مالية من طرفه الى الامبراطور ومقدارها ٣٠٠ ليرة من الذهب فكان تهذيب وتربية (طيودوريق) في القسطنطينية مع المحافظة والرفق فشب جسمه ونما على جميع الاعمال الحربية والمتاعب الدنيوية واتسع عقله وزادت قريحته من كثرة المحادثات الظريفة والحكايات البديعة الانيسة وكان يدرس على أجود الاساتذة وأحسنهم وأجلهم الا انه أهمل الصنائع والحرف الحربية فبهذا بقي على جهالة تبادي العلوم الاولية ولما صار عمره ثمان عشرة سنة عاد الى أهله بأمر الامبراطور بوثاقة حصلت بينه وبين الغوط الشرقية وكان (ولمير) عمه مات في واقعة من الوقائع وساق أخوهم الاصغر (ويدعمير) جيشا من البرابرة الى نواحي ايطاليا والغلية وقررت جميع الامة الغوطية الشرقية بأن ملكهم والحاكم عليهم هو طيودومير (أبو طيودوريق) وحب رعاياه الوحشية صلابة وهيئة برنسهم الشاب أثبت لهم بأنه لم يكن أقل قدرا من أهله وأجداده وترك معسكر أبيه سرا وتوجه في رأس ستمائة نفس من المتطوعة مخاطرين بأنفسهم ونزل بهم في الدانوب وما زال سائرا حتى وصل الى بلغراد المدينة البيضاء وعاد مع السرعة الى أبيه مع غنائم ملك السرماطيا نيين وأسلابه وكان تغلب عليه وقتله ومع ما فيه فان هذه النصرة وغيرها كانت من أجل الشهرة واذاعة الصيت والسمعة ثم حصل عند هذه الامة التي لا تغلب عناآت ومصائب تولدت من عدم وجود الملبس

والمآ كل فصمموا مع اتفاق رأيهم جميعا على أن يتركوا محلات اقامتهم فى بانونية ويتوجهوا مع الجراءة الى الضواحى الحارة الغنية المجاورة للديوان البيزنطى الشامل لكثير من القبائل الغوطية وغيرهم فعهد اليهم الامبراطور بمحافظة الدانوب الاسفل تحت قيادة طيودوريق وكان جلس من بعد موت أبيه على التخت العالى الوراثى وأقطعهم الاراضى اللازمة لمعيشتهم من بعد أن وثق منهم بعدم حصول أى بلبلة أو زعزعة تخل باستتباب الامن والراحة

ثم أغدق الامبراطور (زينو) امامن الخوف أو المحبة على طيودوريق ملك الغوط الشرقية وقلده رتبة الشرف والقنصلية وقيادة العساكر البلاطونية أى خفر السراى وجعل تمثاله على حصان وأعطاه خزنة من الذهب تحتوى على ألوف من الليرات ونقود من الفضة وجعله ابنه ووعده بامرأة أو زوجة غنية من بيت العز والسعادة فكان طيودوريق خاضعا فى خدمته معاضدا مع الشجاعة والبراعة والصداقة أمر المحسن له المنعم بهذه النعم الجليلة عليه ثم انتقل هذا الخادم الصادق وتحول بغتة من الصداقة الى عدو وحشى مهول ونشر نار الحرب من القسطنطينية الى البحر الادرياطيقى وأزعج الرعية وحرق الكثير من المدائن الزاهرة وجعلها آكاما من الرماد ونهب قومه مزارع ومحصولات تراسة من شدة ما هو حاصل عندهم من الحاجة وأسروا فلاحى تراسة وقطعوا أيديهم اليمنى التى كانت تساعدهم على توجيه المحراث وانقلب المدح فى طيودوريق بالقذف واللعن والسب وعدم الطاعة والخيانة ودناءة الاصل والهمجية وما أغفل الامبراطور عنه الا شدة مركزه وضعف الامبراطور الحربى وما كان طيودوريق متسلطنا فى قومه ملكا بل كان قائدا لامة بربرية ما كسر شوكتها الرق والعبودية فكانت حالة فقرهم لا علاج لها ومن ابتداء ما أقطعهم الامبراطور الاراضى الخصبة أضاعوا ثمرتها وصارت فى أيديهم محلة لا نبات بها وازدروا بفلاحى الاقاليم وحسدوهم على ما فى أيديهم وطمعوا فيما عندهم ولما خلت من أيديهم مواد المعيشة سلكوا المسالك المعهودة عندهم من الحرب والنهب وقطع السبل فرغب طيودوريق فى التوجه الى حدود صيطيه وعاش فى حالة الاستقامة والطاعة على قدر الاستطاعة الى أن أغراه الديوان البيزنطى بأقواله المزخرفة ومواعيده الكاذبة وأمره بالتوجه والهجوم على قبيلة غوطية كانت تداخلت فى مساعدة حرب الامبراطور بازيليسقوس فسار عن موقعه من ميزيا على وعد مؤكد بانه من قبل أن يصل الى مدينة أدرنة تقابله حملة ذخيرة كبيرة ومدد مؤلف من ٨٠٠٠ خيال و ٣٠٠٠٠ من المشاة وان الفرق العسكرية المعسكرة فى آسيا فى نواحى هراقلية مستعدة لمساعدة أعماله العسكرية فلما تقدم وسار فى تراسة وجد ابن (طيودومير) نفسه فى محل قفر وحالة مهينة وغش الدلالة وأتباعه وقومه الغوطيين مع حمائلهم الجسيمة من الخيل والبغال والعربات بين صخور ومهاوى جبل سنديس وفى هذا المحل المهلك هجم عليه جيش طيودوريق بن طرياديوس بالضرب والطعن والسب واللعن ووقف ابن طرياديوس على صخرة عالية وخطب خطبة ألقاها على معسكر (الواميريين) فأشعل النار فى قائدهم وعزره وعنفه وجعله ولدا مجنونا وشابا مخبولا وخائنا عدوا لدمه وقومه وقال ابن طرياريوس لابن طيودومير هل جهلت أن السياسة الاصلية للرومانيين هى دمار الغوطيين وقطع دابرهم بسيوف بعضهم وهلا تعلم أن المنصور فى هذا الدمار يكون عرضة كما هو الآن لبطشهم وخفى انتقامهم أين هؤلاء المحاربون أقاربى وأقاربك الذين أراملهم الآن تندب وتنوح على فقد حياتهم فى مرضاة الرومانيين من طيش عقلك وطمعك أين الثروة التى استحوذ عليها عساكرك وقت

ماخرجوامن أوطانهم واندرجوا تحت بيرقك كان عند كل واحد منهم ثلاثة من الخيول أو أربعة وهم الآن ماشون على أقدامهم حفايا عرايا خلفك مثل العبيد في وسط صحارى تراسة هؤلاء الذين سعوا في أنهم سيكالون الذهب بالكيلة هؤلاء شجعان الرجال الذين هم أهل الحرية والشرف مثلك فدخل معقول هذه الاقوال في عقول الغوطيين وارتبكوا في أمرهم واشتعلت فيهم نار الحمية ورأى طيودوريق أن قومه سيتركونه وحيدا فالتزم على أن يدخل في أمر اخوانه ويحترس من خداع الرومانيين وغشهم

ومع ما كان عليه طيودوريق من السعادة فانه حصل الارتياب في أمره سواء كان مهددا للقسطنطينية في رأس الغوطيين أو متقهقرا عنها مع قومه في جبال ساحل ابيروس وفي آخر هذه الارتياب كان مات ابن طرياريوس جفأة وانقطع حبل الموازنة التي كان الرومانيون يرجون بقاءها واجتمعت كافة الامة الغوطية تحت قيادة التخت العالى وجبر طيودوريق الديوان البزانطى على توقيع معاهدة حسب مرغوبه ما قهره فيها وقرر السنا ودفع اعانة مالية له مقدارها ٢٠٠٠ ابره من الذهب ثم رأى طيودوريق بعقله الذكى أنه صار مكروها ممقوتا عند الرومانيين ومشبوها عند المتبربرين ورأى أن قومه متجرعون كأس غصص البرد والحر في أخصاص دنيئة قبيحة وملكهم في غاية من الرفاهية ولذة العيش فشرع في مشروع عظيم له ولقومه وعرض على الامبراطور (زينو) هذه الالفاظ ولو أن خادم أعتابكم في ثروة واسعة وغنية وافرة من كرم جلالتكم لكنه يرغب مع الشكر والثناء أن يعرض لاعتاب تخت امبراطوريتكم ان ايطاليا وراثة أسلافكم ونفس رومة رأس الدنيا وسيدتها صارت تحت الآن تحت قهر وعنف (عودوسير) الاجيرفان سمح جلالتكم أن يأمرني مع عساكرى ان أسير الى هذا الطاغية فان وقعت ومت تخلصت من صديق متعب وان أنا نجحت بإذن الله فأنا أحكم باسم جلالتكم السناتو الروماني ويخلص قسم من عموم المملكة من الرق والعبودية بواسطة جيوشي المنصورة فوقع هذا العرض في الديوان البيزانطي موقع القبول والاستحسان ومن حزم الامبراطور أن ترك المسئلة في شك فيما اذا كان فاتح ايطاليا يحكمها مثل عبده أو حليفه ومن الشهرة التي نالها طيودوريق في كل من القيادة والحرب هرع اليه الجم الغفير من القبائل وكان (الولميريون) نموا وكثروا في مدة توطنهم في أقاليم المملكة وكل بربري جسور سمع بغنية وثروة ايطاليا وحسن أقاليمها صار على غير صبر عن البحث عن جوبه أصعب المخاطرات والمجازفات واستحوذه على شئ من هذه الجهة الظريفة وسار طيودوريق في رأس هذه الجموع المهولة الى ايطاليا في سنة ٤٨٩ بعد الميلاد حاملين نساءهم وأولادهم وعواجزهم وأمتعتهم نفيسة كانت أو حقيرة في عرباتهم وكانوا في أحمال وأثقال وأعدوا معهم ما يلزم لهم من الدقيق والمأكول لقطع مسافة ٧٠٠ ميل حتى يدخلوا ايطاليا وكان سير هذه الامة المهاجرة في مدة شدة فصل الشتاء فلاقوا في سفرهم هذا من المتاعب والمصاعب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولما سمع (عودوسير) ملك ايطاليا بمسير عدوه اليه عقد مع الاتى معاهدات مع البلغاريين والجبيديين والسرماطيانيين سكان دانيه وبانونيه في صدهم عدوه ومقاومته فانتصر طيودوريق على كافة هذه القبائل في وقعات دموية ومازال هكذا في سيره محافظا على قومه مخاطرا في سفره بحسن تدبيره وذكاء عقله منصورا على كل ما لاقاه من صعب وكرب حتى قطع جبل البيوليان ودخل منه وظهرت أعلامه التي لا تقهر على حدود ايطاليا

وكان (عودوسير) ملك ايطاليا محتلا فى هذا الوقت موقعا حصينا على نهر سونطيوس بالقرب من آثار مدينة اقيليا القديمة فى رأس جيش قوى ومن بعد أن رخص طيودوريق لنفسه ولعساكره الخيالة بالراحة قليلا حتى شربوا انفسهم من تعب السفر أسرع فى الهجوم على استحكامات عدوه مع الجراءة والشجاعة وأظهر الغوط الشرقية الحمية والغيرة فى الحرب زيادة عن العساكر الأجرية المعدة لحفظ الاراضى الايطاليانية وحمايتها وهزم طيودوريق عودوسير وجيشه فكانت مكافأة نصرته الاولى تغلبه على اقليم فنيزيا الحداستحكامات وأسوار مدينة فيرونه ثم قابله فى ضواحى هذه المدينة وعلى منحدرات شطوط نهر أديجه السريع الجريان جيش آخر كثير فى عدده مختل فى نظامه وشجاعته فكان الحرب فى هذه الوقعة شديدا مع العنف والعناد وانهزم عودوسير وجيشه وهرب الى قلعة راقنه ثم زحف طيودوريق الى ميلان فقابله العساكر المغلوبة بالتهليل والصداقة الا أن حالتهم هذه كانت وقتية لانه من بعد مضى قليل حصل لطيودوريق منهم أشد الضيق وقتلوا مقدمته وكان بها الكثير من أمراء الغوطيين وظهر (عودوسير) ثانيا فى الميدان فحصن طيودوريق موقعه فى باويه والجبر على أن يرسل لقرابته من الغوط الغربية فى الغلية من أجل مساعدته ومازال ساعيا حتى انتصر على عدوه ودمر قواه وبددها وكان من قبل الوقعة التى حصلت فى نواحى فيرونه بقليل زار طيودوريق خيمة أمه وأخته فطلبا منه أنه فى مثل هذا اليوم الذى هو يوم عيد من خصوص حياته أن يزيناه بالملابس الثمينة التى اشتغلاها بأيديهن فقال لهما ان مجدنا بين وعلى غير انفصال وان المعروف عند عموم الدنيا أنك أم طيودوريق وانه ثبت وتأكد لى أنى أنا من فرع أولئك الشجعان الذين أدعى أنا نسبى لهم ونقل ان طيودوريق هرب مع جمع كبير من قومه من واقعة كانت شديدة وأسرعوا فى هربهم الى المعسكر فقابلتهم فى بابه أم طيودوريق فوبختهم وعنفتهم وعابت أفعالهم فعادوا راجعين مسرعين الى سيوف عدوهم

وكان تسلطن طيودوريق بحق الفتح والغلبة على أراضى ايطاليا من ابتداء جبال الالب الى الحدود النهائية من كالبريه وسلم له سفراء الفندال بين جزيرة سيسيليا على أنها من ملحقات مملكته شرعا واختاره مجلس السناتو والامة لانه مخلص رومة وقفلوا أبوابهم فى وجه الغاصب عودوسير وبقيت راقنه على حدتها محفوظة باستحكاماتها الصناعية والطبيعية وامتد الحصار عليها نحوا من ثلاث سنين فكانت غارات عودوسير تقتحم المعسكر الغوطى وتقتل منه وتوقع الرعب فيه وفى آخر الامر قل المدد والذخائر وتسلطن القحط فى المدينة وقطعوا أمل الخلاص فأذعن الملك (عودوسير) المنحوس لانين رعاياه وضجيج عساكره وتخابر مع طيودوريق فى عقد صلح بواسطة أسقف راقنه ودخل الغوطيون المدينة ورضى الملكان المتشاحنان على أن يحكما أقاليم ايطاليا سوية من دون تجزئة الحكومة بين وقع منهما اثم قتل عودوسير فى مأدبة كانت أعدت للملكين بيد خصمه أو بأمر منه ومن ثم صار ملكا منفردا بنفسه على ايطاليا فى سنة ٤٩٣ بعد الميلاد

ولما جعل طيودوريق نفسه ملك ايطاليا وزع ثلث أراضى هذه المملكة على عساكره ومع أنه كان متسلطنا مثل نائب للامبراطور الجريقى الشرقى الا أن الحكومة الامبراطورية فى ايطاليا كان اسما لا رسما وتنما الغوطيون وكثر عددهم تحت سلطنة طيودوريق وفى اقليم ايطاليا السعيد حتى وصل جيشهم المهول الى ٢٠٠٠٠٠ نفس ومن المحتمل أن عائلاتهم من النساء والاطفال والبنين

بلغوا هذا المقدار وانتشر الغوطيون على سطح ايطاليا وتوزعت الاراضى فيما بينهم وأخذ كل واحد منهم مايخصه على حسب مواده ودرجة شرفه وعدد أتباعه وثروته الريفية التى كان مستحوذا عليها من الرقيق والانعام وقرر الملك درجة امتياز الاشراف والعوام واستثنى أرض كل رجل حر منهم من الضرائب وحاز درجة امتيازه فى أن لا يكون رعية الالقاقون بلده وسلك الغوطيون مسلك الوطنيين فى الملبس الظريف ورفاهية العيش وعوائد البلاد وطبائعها الا أنهم ماز الواعلى لسان ولهجة بلادهم الاصلية وأدخلوا أولادهم فى المدارس اللاتينية من أجل تهذيبهم وتعليمهم وفصل طيودوريق الغوطيين من اللاتينيين أو الايطاليانيين من أجل عدم حصول ووقوع أى خطر فى المستقبل فجعل الايطاليين فى هدو وبال واستتباب راحة من عدم تداخلهم فى الحروب والاعمال العسكرية واستخدم الغوطيين فى الحروب والوقائع وأخذوا الاراضى كمعاش ورواتب لهم سنويا من أجل الخدمات الحربية ومتى سمعوا ضرب النفير وجب عليهم الاستعداد والتوجه تحت ادارة ضباطهم الموجودين فى الاقاليم وصار امتداد ايطاليا مقسوما الى عدة مراكز معسكر منظوم الوضع وأما خدمة القلاع والثغور فكانت بالانتخاب أو بالدور وكل تعب يحصل خارق العادة كان يكافئ عليه بزيادة المعاش أو بمنح واقطاع أراض واظهر طيودوريق لاتباعه أهل الشجاعة مايجب عليهم من المحافظة على المملكة فساروا على منواله وتمرن الغوطيون على استعمال كافة الآلات الحربية خلاف السيف والمزراق فى تعليماتهم اليومية وكانوا يجرون فى آخر كل سنة حركات اصطفاف الجيوش وتعبيتها وسوقها وعرضها ودخلوا فى النظام العسكرى والطاعة والانقياد والاستقامة وعفة النفس واحترموا القوانين وراعوا واجبات وآداب التألف وتجنبوا الحالات البربرية القديمة من وقوع الارتباكات والبطش والانتقام والثوران

وحافظ طيودوريق على حقوق الايطاليانيين ودبر أمورهم مع الصداقة بالقوانين التى كانت جارية فيما بينهم وصارت ايطاليا تحت حكمه وسلطنته دار أمن وأينع ملكه وأزهر سلطانه ووقع الخوف والرعب فى قلوب برابرة أوروبا الغربية من نصر طيودوريق وغلبته لكنهم بمجرد ماظهر لهم انها كانت فى يد ما استحوذ عليه أرسلوا اليه سفراءهم ونوابهم فاندهشوا من تدبيره وجودة حزمه وانتظام دولته ودخلوا فى محالفته وكانت عائلة طيودوريق البيتية محصورة فى زوجته وبنتين وأخت وبنت أخ جمعن هؤلاء عائلة طيودوريق مع ملوك الفرنك والبورغنديين والغوط الغربية والفندالين والطورينجاليين وكن أصل الموازنة فى الجمهورية الكبيرة الغربية

وما كان طيودوريق فى سلطنته سالكا مسلك واحد من الهمجيين المتبربرين من نصرانه وشدة عنفوانه بل تسلطن ثلاثا وثلاثين سنة صرفها فيما يجب عليه من واجبات حكومته الداخلة والحروب التى كان يشتبك فيها فى بعض الاحيان وارشاد نوابه وانتظام عساكره حتى خيف من اسمه وامتدت مملكته الى مابعد حدود ايطاليا فى الجهات الشمالية والشرقية والغربية وأخضع ايالة ريطيه وايالة نريقوم ودلماطيه وبانونيه ومن منابع نهر الدانوب والاراضى الباڤاريانية الى حد المملكة الصغيرة التى شيدها الجبيديون على أطلال مدينة صيرميوم وهى بلغراد الآن فتولد مماحصل لطيودوريق من هذه المظفرات وعلو الدرجة واتساع السلطان الغيرة والحسد عند الامبراطور انسطاسيوس أمبراطور الشرق وكان طيودوريق معدودا عنده بانه خادم خائن غدار فاشعل حربا على

الثغر الداشيائى وكان طيودوريق عهد بمحافظتها الواحد من ذرية (عطيلا) وزحف (سابنيان) قائد مشهور فى رأس عشرة آلاف من الرومانيين فسار اليه طيودوريق وهزمه شر هزيمة ووزع ذخائره ومؤناته وأسلحته وكانت مشحونة فى قطار طويل من العربات على قبائل البلغاريين وهزم القوى الامبراطورية أيضا فى ميادين مرغوس بقوى قليلة كانت معه مؤلفة من الغوطيين والهونزيين وضاعت زهرة الرومانيين وانقطعت امالهم بشدة هذا الملك الحربى وأمر طيودوريق عساكره بعدم أخذ شئ من غنائمهم وأسلابهم حتى كانت الغنائم الثمينة مرمية تحت أرجل عساكره وما مسوها بأيديهم فاشتعلت نار الغضب والحنق فى رأس الامبراطور (انسطاسيوس) من هذه الهزيمة والكسرة وسفر أسطولا مؤلفا من ٢٠٠ سفينة و ٨٠٠٠ نفس لاجل نهب ساحل كالبرية والاغارة عليها وابوليا فهجم هذا الاسطول على مدينة طرنطيوم القديمة وعطلوا التجارة وزراعة مملكة عظيمة وأقلعوا عائدين الى الهلسبونت فأسرع (طيودوريق) خلفهم بنشاط وحده منه وكان فى ايطاليا ألف سفينة خفيفة كان طيودوريق أمر بانشائها وتشغيلها فاستحصل من تدبيره وحزم رأيه على معاهدة سلمية مع الشرف والوقار وضبط بشوكة قوية موازنة غرب أوروبا وفى مدة صغر حفيده (علاريق) ملك مملكة الغوط فى الغلية واسبانيا خلع الشهير كلوفيس هذا الملك الصغير وكان كلوفيس ملك الفرنك فخلص طيودوريق الغوطيين وصد الفرنك وهم فى وسط جو نصراتهم وطردهم فى مملكة حفيده ودبر أمور الغلية واسبانيا وحفظ هذه الممالك من اغارة الالمانيانيين وعاقب البورغنديين أشد العقاب على ما حصل منهم من الغارات وتغلب على الارليين والمارساليانيين وفتح طريق المواصلة بالحربة مع الغوط الغربية وكانوا يعتبرونه بانه المحامى الملى والوصى على حفيده الطفل الصغير ابن علاريق وبهذه الواسطة أعاد طيودوريق نيابة حكومة الغلية وأصلح ما كان من العيوب فى حكومة اسبانيا وأقام السلطنة الغوطية من سيسيليا الى الدانوب ومن بلغراد الى البحر المحيط الاطلنطيقى واعترف نفس الحريق ان طيودوريق كان متسلطنا فى أحسن بقعة فى المملكة الغربية

وكانت السنون الاخيرة من سلطنة طيودوريق فى تباين كبير مع مبادى سنى سلطنته ولما انجرح مما حصل له من عدم ثناء قومه عليه صار من تابا منهم وجبارا عنيفا وسبب ذلك انه وان كان اريانيا الا انه كان يحافظ على رعيته الكاثوليق ويحاهم وسمح باقامة كافة شعائر وهيئات الاعتقادات الديانية فى مملكته حتى ان الاوباش المتعصبين حرقوا كنائس اليهود ومساكنهم فى عدة مدائن فأرغمهم الملك بعودها كما كانت عليه فكانت هذه المسئلة العادلة سببا فى غضب حزب الكاثوليق عليه وقرر بان اجتهاداته وأعماله الخاصة برفاهية قومه لم تغلب تعصبهم عليه بما أنه انسان اريانى وشرع (بيوطيوس) رأس هذا الحزب وكان أعلم واحد رومانى بالفلسفة وغيرها فى هذا العصر فى دس الدسائس وقيام الثورة على الملك وضبطت مخاطباته وأقواله ومراسلاته للامبراطور فى حثه وتحريضه على خلاص ايطاليا من الغوطيين فسجن وصدر أمر مجلس السناتو عليه بالموت فقتله طيودوريق شر قتلة وربطوا فى رقبته حبلا شديدا وشدوه بالقوة حتى خرجت عيناه من جفنيهما وضرب بالنبابيت حتى مات وأعقب قتله قتل حماه المحترم سيماخوس وكان شيخا كهلا فانه اتهم أيضا فى هذه المادة الا انه كان بريئا منها وكان محبوسا فى رومة فجروه فى حديد من رومة الى مدينة رافنه وقتله طيودوريق فيها

ومن بعد أن عاش طيودوريق فى المجد والشرف والصلاح نزل القبر بالخزى والاثم من قتله هذا العجوز

البرىء

البرىء وروى انه فى مساء يوم قدم له على مائدته الملوكية رأس حوت من السمك فنظر الى الرأس وصرخ على حين غفلة وقال رأيت سيماخوس غضبان وحنكه مسلح باسنان حادة طويلة يريد أن يفترسنى واعتزل فى الحال الى قاعة فرشه وزاد عليه المرض ومات فى سراية رافنه فى سنة ٥٢٦ بعد الميلاد فى السنة الثالثة والثلاثين واذا حسبنا من فتوحه ايطاليا يكون فى السنة السابعة والثلاثين من سلطنته ومن قبل موته لما استشعر بحلول أجله قسم كنوز ممالكه وأقاليمه بين حفيديه وجعل نهر الرون الحد الفاصل بينهما وأعاد عمالريق الى تخت اسبانيا وأوصى بايطاليا وجميع الفتوحات التى فتحها الغوط الشرقية الى عثلريق وكان عمره لا يزيد عن عشر سنوات وكان هذا البرنس محبوبا بسبب انه كان آخر ذكر من السلسلة العمالية وحلف نواب الايطاليانيين ورؤساء الغوطيين بحضور الملك وهو مضطجع على فراش موته بطاعتهم لهذا الشاب ولامه النائبة عنه والوصية عليه وذكرهم طيودوريق بالتفاته اليهم ومعروفه عليهم ونصحهم بالمحافظة على القوانين والشرائع ومحبة السناتو والامة الرومانية وغرس أشجار محبة وصداقة الامبراطور وشيدت (عملسونطه) ابنة طيودوريق وأم عثلريق بناء مشاهدتا لابيها فى موقع يشرف على مدينة رافنه والمينة والساحل المجاور لها وتوجته بقبة واحدة من حجر الصوان وأقامت فى وسط القبة أربعة أعمدة من حجر البور فير عليها الصندوق المرمر الموجود فيه جسم أبيها وحوله تماثيل من النحاس على صورة الاثنى عشر حوارى

قال جبون فلو كان طيودوريق رجلا سياسيا لامكنه تأسيس مملكة دوامية لعائلته تجمع الغوطيين والرومانيين تحت شجرة واحدة يستظلون سوية تحت ظلها ويكونون فى جمع واحد مع بعضهم الا أنه ما كان يرغب هذا الاجتماع وما أعلن طيودوريق نفسه بانه كان ملك ايطاليا بل كان ملك الغوطيين الذين هم قومه وأهله ومادامت مملكته مدة طويلة كما سنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى

ومن بعد موت طيودوريق خلفه حفيده عثلريق ولما كان عمر هذا الملك الجديد لا يزيد عن عشر سنوات انتقلت النيابة الى أمه عملسونطه ابنة طيودوريق وساعدها فى أشغال الحكومة وزيرها البارع الذكى (كاسيودورس) ودبر حكومتها وخاب ابنها عثلريق من التفاتها اليه من تهذيبه وتعليمه فسلك مسلك الهياج وابتاع الفشل والتعب وثوران الفتن بكل صفة فوبخته أمه وعنفته على أفعاله فاستغاث بالغوطيين وتضرع لهم فى توطيده وتقريره على تخته فانجبرت الملكة النائبة على التنازل له عن الحكومة فما تمتع بها طويلا بل مات من بعد أن بلغ من العمر ست عشرة سنة من تأثير وشدة ما حاق به من الافراط فى المسكرات فاجتهدت أمه عملسونطه خلافا للقانون الغوطى والعوائد فى توطيد التخت وحفظه بكونها تزوجت بابن عمها (طيوداطوس) ورفعته الى درجة الملك ومع هذا فان طيوداطوس ما قبل أن يكون تحت حكم امرأة فأمر بخنقها فى حمامها فى سنة ٥٣٥ بعد الميلاد

تجمع ولادة عملسونطه نائبة ايطاليا وملكتها عائلتان شهيرتان من العائلات البربرية وذلك أن أمها أخت كلوفيس متناسلة من نسل السلسلة الطويلة لجنس المير وفنجيانى والمحصرت وراثة التخت العمالى فى أبيها وما خلف أبوها ولدا ذكرا يخلفه على التخت من بعده وكان القانون الغوطى لا يسمح بوراثة التخت لاحد من الاناث فاختار طيودوريق ابنها وارثا له من بعد موته على تخته وكان أبو عثلريق مات فى نواحى اسبانيا ومات طيودوريق كما ذكرنا سابقا وصارت أمه وصية عليه ونائبة فى حكم مملكة ايطاليا عنه لان عمره كان لا يزيد عن عشر سنوات وفى نحو ثمانية وعشرين من عمر عملسونطه وصل

عقلها وجسمها بلوغ الرشد الكامل وكانت بارعة فى الجمال وترتبت لها قريحة وملكة عظيمة فى مدة تهذيبها وتربيتها فكانت على دراية تامة من علم الفلسفة ولها خبرة باللسان الحريقى والايطاليانى وفصاحة لسان قومها وبواسطة ماحوته من الفضائل والذكاء أحيت فوز ونجاح سلطنتها وكانت عفيفة النفس فأزالت موبقات الخطا والكبائر ومحقت الجهل الذى كان سببا فى ضعف عصرها وأعادت أولاد (بيوطيوس) و(سيماخوس) الى درجة وراثة آبائهم وكانت ذات رأفة وشفقة ومحبة لرعاياها من الرومانيين وتقدح فى زمجرة وكثرة كلام الغوطيين وما كانوا عليه من الكبرياء والعظمة فانهم من بعد مضى أربعين سنة مازالوا يراعون الامة الايطاليانية بعين العداوة وحالة الرق وكانت أعمالها وأشغالها فى تدبير مملكتها جارية بواسطة الشريد صاحب اللسان الفصيح البارع (كاسيودوروس) وحفظت عملثونطة صداقة الامبراطور ريوسطنيان وصحبته وتطرت ممالك أوروبا بعين الاحترام الى التخت الغوطى فى كل من حالتى السلم والحرب غير أن سعادة المملكة وايطاليا كانت متوقفة على تهذيب ابنها عثلريق الواجب تربيته واستعداده لتحمل متاعب ومصاعب معسكر بربرى همجى وسلطنة أمة متمدنة فدخل عثلريق من ابتداء سن عشر سنوات فى تعليم العلوم والفنون النافعة المزينة لعقل ملك رومانى وعينت له أمه ثلاثة من وجوه الغوطيين يعلمونه قواعد الشرف والفضيلة فما التفت هذا الشاب لتعليمهم بل سلك مسلك اللعب واللهو فضايقته أمه وعنفته وضربته فاتفق له فى وليمة حافلة خطيرة كان مجتمعا فيها رؤساء الغوطيين فى سراية مدينة رافنه عاصمة المملكة أن هرب الملك الشاب من محل أمه واقتحم وأن واشتكى لرؤساء الغوطيين ماناله من تعنيف أمه له فغضب الغوطيون من أجل اهانة ملكهم وقاموا فى ضجة وغاغة وطلبوا من أمه أن حفيد طيودوريق يلزم أن يخلص من ذل واهانة حكم النساء المتجرفات ويتربى مثل فارس غوطى فى وسط جمعية من أمثاله وجهل أجداده فالتزمت عملثونطه بالتنازل عن نيابتها وما كانت عليه من المقاصد الحسنة وترك ملك ايطاليا العرقى والنساء واللعب واللهو وغش بقبيح سلوكه المتقربين منه وأعداء أمه ولما أحاطت به الاعداء من كل جانب من داخل المملكة دخلت أمه فى مخابرة سرية مع الامبراطور يوسطنيان واستحصلت لنفسها على مأوى أمين وملجا حصين وأرسلت الى (ديراخيوم) من أعمال ابيروس خزنة من النقود فيها أربعون ألف ليرة من الذهب كافية لسلامتها وعيشتها واعتزلت من الحزب البربرى الى دار المجد والسلم فى القسطنطينية الا أن عقلها كان مشتعلا بنار الطمع والانتقام من أعدائها ففى مدة ما كانت مراكبها راسية فى المينة وكانت منتظرة توقيع الحكم عليها اما بالعفو أو بالشاء عليها فى أن ما أجرته كان من العدل فى حق ابنها صار ارسال ثلاثة من كبار المقبوحين فى طريقها كل منهم على حدته الى حدود ايطاليا بعلة الوثوق بهم فى القيادة فى الحدود فقتلهم مراقبون مخصوصون من طرفها ومن بعد موت هؤلاء الثلاثة الذين هم كبار الغوطية صارت المملكة مطلقة التصرف فى ديوان رافنه فلما تم لها ذلك مات ابنها (عثلريق) من كثرة ما حل به من الافراط فى المسكرات ومن ثم انفسخت حكومتها الشرعية فبدل أن تنقاد الى قوانين بلدها ومملكتها الجارية على قاعدة ثابتة بأن الخلافة لا تنتقل من الرمح الى المغزل أضمرت بنت طيودوريق على أن تشرك نفسها مع واحد من أولاد أعمامها فى هذا المنصب الشرعى وتستحوذ فى يديها على جوهر الشوكة العالية فنالت بغيتها وتزوجت بابن عم لها اسمه طيوداطوس فاخبر كاسيودوروس الامبراطور والسناتو بجلوس

عملشونطه وطيوداطوس على التخت الغوطى وكان انتخاب عملشونطه بسبب ما كان عليه من الجبن والخوف وعدم الثبات ومن ثم حرم من محبة الايطاليانيين ومن ميلهم اليه ولما رأى الغوطيون مضايقة حكمها عليه وعليهم وميلها للرومانيين تآمروا فيما بينهم وقدحوا فى جبنه ورخاوته فأمر بحبس ملكة ايطاليا فى جزيرة صغيرة فى بحيرة بولسينه ومن بعد سجنها بقليل خنقت فى الحمام بأمر الملك الجديد الذى أغرى رعيته الحاصل فيهم الارتباك على سفك دماء ملوكهم وكان هذا فى سنة ٥٣٥ بعد الميلاد

وكان الامبراطور يوسطنيان يراقب على الدوام فرصة ينتهزها لعود ايطاليا ثانيا تحت سلطنته فأدخل نفسه فى الاخذ بثأر عملشونطه فأعد للاغارة على البحث جزيرة قوة تحت قيادة بلزاريوس فتغلب على سيسيليا فى نحو غلاق سنة ٥٣٥ بعد الميلاد ومع أن طيوداطوس متناسل من جنس الشجعان الا أنه ما كان له دراية بهذا الفن وكان يكره ملاقاة الحرب وأخطاره ومع انه درس علم الفلسفة الا أن هذا العلم ما كان فيه كفاية لنظافة عقله من الجبن والخوف والاهانة واشترى قضيب المملكة بالخيانة والقتل فى وقت تهديد حصل من عدوه له بجرد نفسه من جلالة المملكة وأبهتها وجلالة أمة ازدرته واستحقرته وراعته بانه أقبح ملوكها وأنذلهم وتمكنت مخاوف بلزاريوس من قلبه وأزعجه الفصيح بطرس سفير التخت البزانطى بأقواله العالية وألزمه هذا المدافع الداهية بالتوقيع على معاهدة مهينة كانت أساسا لأن توصلح عقده فكان مآل موادها أنه فى الاحتفالات الرسمية ومواسم الامة الرومانية يجب ذكر اسم الامبراطور قبل اسم الملك الغوطى واذا صار اقامة تمثال طيوداطوس كما هى العادة من نحاس أو من رخام كان التمثال المقدس للامبراطور يوسطنيان موضوعا على جهة اليد اليمنى ومن قبل أن يوقع ملك ايطاليا تصديقه على لائحة وردت من السناتو بقتل أو ضبط أموال وعقارات فلا بد من عرضها على الامبراطور أولا قبل تنفيذ الحكم وتنازل الملك المهين عن سيسيليا وقدم تأكيدا على تبعته للامبراطور تاجا من الذهب وزنه ثلاثمائة ليره ووعد باعطاء ما يلزم لسلطانه وأرسل ثلاثة آلاف عسكرى من الغوطيين مساعدين لاداء خدمة المملكة ولما اكتفى السفير الداهية بهذا الاذعان الكبير توجه مسرعا الى القسطنطينية وبمجرد قربه منها دعاه طيوداطوس ثانيا على شوق وتلهف منه فعاد اليه من قبل مقابلة الامبراطور وكانت المكالمة بين الاثنين أن قال له ملك ايطاليا هل أنت أيها النائب المحترم على رأى أن الامبراطور يصدق على هذه المعاهدة فأجابه السفير يحتمل فقال الملك واذا رفضها فماذا تكون العاقبة فأجابه الحرب فقال له وهل يكون هذا الحرب من العدل والانصاف فأجابه كل امرئ يفعل ما فيه الخيرة لنفسه فقال له ما معنى قولك هذا فأجابه أنت فيلسوف ويوسطنيان امبراطور الرومانيين ولا يليق بالفيلسوف أن يسفك دماء ألوف من الناس فى مشاحنة تختص بنفسه وانه يلزم على خليفة أوغسطوس أن يثبت حقوقه واسترداده الاقاليم القديمة لمملكته بقوة السلاح فارتاع المهين طيوداطوس من هذه الاقوال وأخذه الخوف والانذهال وقال انى أتنازل عن كل ما فى يدى من التخت الغوطى ومملكة ايطاليا ورتب لى الامبراطور معاشا مقداره ٤٨٠٠٠ ليره سنويا أصرفها فيما بقى من أيامى فى راحة نفسى ودراسة الفلسفة والزراعة وعقد معاهدة بذلك مع السفير ووقع عليها وسلم الاثنين له ووثق منه بيمين على أنه لا يسلم للامبراطور الثانية ولا يظهرها له الا اذا رفض الاولى فكانت النتيجة رضا الامبراطور وقبوله تنازل الملك الغوطى ورجع السفير الذى

لا يكل ولا يتعب من القسطنطينية الى راقنه بتعليمات ورسالة يثنى فيها على تدبير وحكمة الملك الفيلسوف ومنحه معاشه وتقلده الشرف وتمتعه بصفة كونه رعية وكان كأولى الدين وعهد تنفيذ مفعول المعاهدة الى بلزاريوس الا أنه فى مسافة الانتظار دخل قائدان رومانيان فى اقليم دلماطيه فهزمهما العساكر الغوطية وقتلوهما فقام طيوداطوس متعلقا باخلاق وحشية وقابل سفير الامبراطور يوسطنيان بوجه مقطب ونكث ما وعد به من معاهدته ووعده فتولد من سير بلزاريوس زوال هذا الكبر الذى كان رآه الملك فى المنام وكان بلزاريوس فى هذا الوقت مجتهدا فى اخضاع سيسيليا

ولما مهد (بلزاريوس) سيسيليا ترك محافظين كفاية فى مدينة بالرمه ومدينة سراقوسه وشحن عساكره فى المراكب من مسينه ونزل بهم على سواحل ريغيوم فى ايطاليا تجاه سيسيليا من دون مقاومة وكان معظم القوى الاصلية للغوط الشرقية موجودا فى شمال ايطاليا وما كان يوجد الا برنس غوطى متزوج بابنة طيوداطوس معسكرا مع جيش له من أجل خفارة مدخل ايطاليا الا أنه كان فى شاكلة ملكه لا التفات له فيما يلزمه من الواجبات العمومية أو الخصوصية وهرب الخائن الغدار (عيرمود) مع أتباعه الى العسكر الرومانى ونال الرق والعبودية من ديوان القسطنطينية وسار (بلزاريوس) من سواحل ريغيوم الى نابولى بجيشه وأسطوله على منظر من بعضهما ثلاثمائة ميل فى طول الساحل وكان أهل مدائن بردطيوم ولوقانيه وكبانيه يكرهون الغوطيين فقابلوا بلزاريوس وعساكره مع الابتهاج والاحترام وراعوه بأنه هو المخلص لهم من الغوطيين وكانت هذه حالتهم لان أسوار مدائنهم كانت خربة وليست صالحة للمدافعة وأما نابولى فكانت منيعة حصينة كثيرة الاهل والعمران دائرها ٢٣٦٣ خطوة واستحكاماتها محفوظة بهاو وخيران جبلية أو بواسطة البحر فحصرها بلزاريوس برا وبحرا فانذره نوابها بأن يتوجه لمحاربة ملك الغوطيين فى ميدان الواقعة ومن بعد نصره عليه واعلانه بانه ملك رومة فهذه تابعة لرومة فأجابهم بلزاريوس مع العظمة والتبسم بان عادتى عند معاملتى مع أعدائى أن أعطى ولا أتناول رأيا من أحد وأنا قابض فى احدى يدى خرابا ودمارا لابد منه وفى الاخرى سلما وعتقا يتمتع بهما سيسيليا من طرفى وتأخر بلزاريوس فى حصاره المدينة فخ أهلها شروط تسليم جليلة الا أن أهل نابولى كانوا منقسمين الى حزبين وكان الفريق هم الحزب الحر فاشعلت خطباؤهم النار فى قلوبهم وخوفوهم عواقب الغوطيين ومعاقبتهم اياهم على قصورهم وقالوا ان نفس بلزاريوس يعرف جيدا قدر الغوطيين ومهابتهم وشجاعتهم ومع هذا كان تبصرهم فى مثل هذه العواقب على حرية ناقصة وكان بالمدينة ثمانمائة من العساكر الغوطية محافظين فيها ونساؤهم وأولادهم قاطنون فى راقنه رهنا على أمنيتهم وصداقتهم فى أداء واجبات خدمتهم حتى ان اليهود الذين كانوا أوفر ثروة وأكثر عددا دافعوا مع الشدة والحمية وقاوموا قوانين يوسطنيان التى لا تطاق ولما حاصر بلزاريوس المدينة ضيق عليها وقطع عنها مجارى المياه الداخلة فيها الشرب أهلها وسكانها فأخذوا ما يلزم لهم من المياه من الآبار وكان عندهم ذخائر ومؤنات كافية لهم فى مدة الحصار ودافعوا عن مدينتهم أشد الدفاع ومن بعد مضى عشرين يوما من الحصار عجز بلزاريوس عن أخذه المدينة وأضمر فى نفسه على ترك حصارها والمسير عنها قبل حلول فصل الشتاء للتقى ملك الغوطيين ورومة فاتفق فى هذه الاثناء ان جاءه

واحد

واحد من الايسوريانيين وأخبره سرا بانه كشف محل جريان المياه فوجده ناشفا داخلا فى المدينة ويمكن لصف من العساكر التوصل منه الى داخل المدينة فأكد بلزاريوس فى السر هذا الخبر وأرسل فى ظلام الليل أربعمائة من الرومانيين دخلوا من هذا المجرى الى بستان أحد المساكن وأزعجوا المدينة وأهلها بنفيرهم وهجموا على الحرس وأمدهم رفقاؤهم من كل جهة من فوق الاسوار وكسروا الابواب وجاسوا خلال المدينة وفعلوا بالمدينة كل جريمة وعقاب ونهب كان عندهم من حقوق الحرب وأصوله وظهر بلزاريوس فى شوارع نابولى وكان انسها وصار يلطف المصائب التى اخترعها ويقول الذهب والفضة مكافآت لكم على أفعالكم وأعتقوا الاهالى فانهم مسيحيون وهم مستغيثون وهم الآن رعية تبعة أرجعوا الاطفال الى والديهم والنساء الى أزواجهن واشملوهم بكرم ملككم الذى تجرد منه اخوانكم بالعناد ومن ثم خلصت المدينة بكرم ولطف فاتحها فلما عاد النابوليون الى مساكنهم وجدوا عندهم ما يكفيهم مما كان مخفيا فى خزائنهم ودخل محافظو الغوطيين فى خدمة الامبراطور يوسطنيان وبمجرد سقوط نابولى عادت أبوليا وكالبريه الى المملكة الشرقية وسار (بلزاريوس) زاحفا الى الجهة الشمالية حتى دخل رومة وكانت مفتحة الابواب فى سنة ٥٣٦ بعد الميلاد

وذكر فى موضع آخر من كتاب تاريخ المملكة الشرقية للشهير جبون أن العساكر الامناء وأهل مدينة نابولى الصادقين انتظر وخلاصهم من ملك مهين استمر فى جبنه وخوفه مثل المتفرج على خرابهم ودمارهم وكان طيوداطوس محافظا على نفسه فى داخل أسوار رومة وعساكره الخيالة متقدمة بمسافة أربعين ميلا على الطريق الابيانى ومعسكره فى بطيحات ومبطين وكان صار تصفية مياه هذه البطيحات من عهد قريب بواسطة خليج طوله ١٩ ميلا وتحولت أراضيها الى مراع حسنة وكانت القوى الغوطية منتشرة فى نواحى دلماطيه وفنيزيا والغلية وظهر لهم مما هو عليه ملكهم أنه على شرف دمار مملكته وتألم هؤلاء الاذلاء من ضعف وعدم تدبير ملكهم المنحوس الذى أظهر عدم لياقته لجنسه وقومه وتخته واستقر رأيهم على خلعه وتقليد قائدهم (فيطيجس) زمام السلطنة وكان مشهورا بشجاعته وقيادته فى الحرب الاريانى ومن أول ما ظهر خلع الملك طيوداطوس هرب مما حصل له من عدل بلاده من رومة وسار فى الطريق الفلامنيانى فاتبعه جماعة من الغوطيين وقتلوه وأما فيطيجس فانه رغب فى العود الى راونه قاصدا ازواجه بنت عم لشونطه كى يستظل بظل حقوق وراثة التخت فعقد رؤساء الغوطيين مجلسا قرروا فيه القهقرة أمام هذا العدو المنصور وتأخير الحرب الى فصل الربيع القابل حتى يجمعوا قواهم المشتتة ويتركوا أملاكهم القاصية ويعهدوا بمحافظة رومة لامانة أهلها وصداقتهم وتركوا فيها رجلا حربيا مسنا ومعه أربعة آلاف من العساكر وهى قوة وان كانت ضعيفة الا أنها تساعد على حمية أهلها وشجاعتهم ثم ظهر عند أهل رومة حماس وقتى وحمية واشتعلت نار حب الوطن فى رؤسهم فنشروا أقوالهم وأذاعوا كلامهم مع الحنق وشدة الغضب وقالوا ان التخت الرسولى لا يلزم من الآن فصاعدا تحبيسه وتقذيره بالاريانيين وما يبحثونه عليه من الاعمال وانه لا يلزم ان تداس مقابر القياصرة تحت أرجل متوحشى الشمال ومن دون أن يتدبروا فى عواقب الامور بان ايطاليا ستؤل حالتها الان تكون قسما من القسطنطينية رحبوا بعود الامبراطور الرومانى كانه تاريخ جديد للحرية والنجاح ودعا نواب الامة والقسس والسناتو والاهالى نائب الامبراطور يوسطنيان فى

قبوله طاعتهم عن تراض منهم ودخوله المدينة المفتوحة الابواب لاجل احتفاله فبمجرد ماحصن بلزار يوس فتوحاته ا لجديدة نابولى وكوميه تقدم نحوا من عشرين ميلا الى شواطئ نهر فولطرنوس وتأمل فى العظم القديم الذى كانت عليه مدينة قابوه فى الزمن السابق و وقف برهة فى مفصل طريق لاطين وابياتم اختار سيره من طريق لاطين على مسافة من البحر والمستنقعات مقدارها ١٢٠ ميلا متاخمة فى امتدادها طول ذيل الجبال واختفى عدوه عنه حال دخوله من درب اسنارى وخرج محافظو رومة منها من دون وقوع مقاومة منهم ودخل بلزار يوس المدينة من بعد أن لبثت ست سنوات تحت نافى الغوطيين وأرسل الغوطيون مفاتيح المدينة الى تخت الامبراطور يوسطنيان وفى هذا الوقت اجتمع الغوطيون فى رافنه وهرعوا اليها من الاقاليم القريبة والبعيدة لحماية مملكتهم ومن بعد أن تركوا جيشا كافيا لحماية دلماطيه كان عدد العساكر التى سارت تحت البيرق السلطانى ١٥٠٠٠٠ مقاتل و وزع فيهم الملك الغوطى على حسب درجاتهم واستحقاقهم سلاحا وخيولا وهدايا ثمينة ووعدهم وعدا جميلا وساروا من الطريق الفلامنيانى وخلصوا فى طريقهم مدائن كان أمر بلزار يوس بحصارها ووصلوا على مسافة ميلين من رومة فبذل بلزار يوس جهده فى مناوشتهم وصدهم وأخيرا عبر الجيش الغوطى نهر الطيبر وحاصر رومة فدافع عنها بلزار يوس بقوة قليلة معه زيادة عن سنة وفى أثناء الحصار استعمل قبر هادريان المعروف الآن بقلعة انجيلو وهى أول قلعة وخسر الغوطيون خسارة جسيمة وقت هجومهم على المدينة عنوة وقتل منهم ٣٠٠٠٠ نفس فى هذا الهجوم الكبير فالتزم فيطيجس على الانسحاب بما بقى معه من جيشه وسار الى رافنه وترك بلزار يوس سيدا ايطاليا فما تمكن هذا القائد الكبير من التغلب على كامل ايطاليا وحصل الشقاق والنزاع بين رؤساء الرومانيين وفات الوقت ودبت الروح فى الغوطيين وعادت اليهم الحياة وضبط عشرة آلاف من البورغنديين حلفاء الغوطيين مدينة ميلان وخربوها وكانت عصت على فيطيجس فى سنة ٥٣٨ بعد الميلاد

وكتب بلزار يوس رسالة الى الامبراطور يوسطنيان تتضمن ما حازه من النصر وماهو عليه من الخطر ومايلزم لاعماله واجرا آته فقال انه على مقتضى أوامر جلالتكم دخلنا الممالك الغوطية وأخضعنا لاعتاب تختكم سيسيليا وكبانيا ومدينة رومة الاآن خسارات هذه الفتوحات ربما تكون غير محمودة العاقبة فضلا عن اكتساب فخرها ونحن الآن مجرون الحرب بنجاح مع الغوطيين وكثرتهم آخذة فى الزيادة والله يعطى نصره لمن يشاء غير أن شهرة الملوك وقوادها تتعلق بالفوز بالمطلوب أو خيبته ورجائى من جلالتكم العفو فى كلامى وخطابى بحرية القول فانكم لو رغبتم عيشتنا وحياتنا فارسلوا لنا المؤنة وان رغبتم نصرنا وفتحنا فارسلوا لنا السلاح والخيل والرجال فان الرومانيين قابلونا مقابلة الاخوان والاحباب المخلصين لهم من رق أعدائهم لكن فى مثل هذه المصائب والبلايا الحالية ربما يغشونا فيما هم عليه من الوثاق والاعتقاد أو يقهرونا بخياناتهم وكراهتهم فاما أنا فان حياتى مقدسة طاهرة فى خدمة جلالتكم وافتكروا فى أن موتى فى هذا الموقع يكون خاصا بمجد وفوز سلطنتكم وكان ارسال هذه الرسالة فى وقت ما كان بلزار يوس ورومة تحت حصار الغوطيين فارسل له الامبراطور مددا مؤلفا من ١٦٠٠ نفس تحت قيادة مارتين وفلريان فلبثا فى مدة فصل الشتاء فى مين البحريس ثم سارا بمددهما الى رومة فما حصل للخيول ولا للرجال ضعف ولا وهن من تعب السفر وأظهروا شجاعتهم وغيرتهم فى أول هجوم حصل منهم على المحاصرين وماز الوافى

حرب حتى رفع الغوطيون حصار رومة كما سبق وتوجه فيطيجس الى رافنه وقفلها عليه
ولما دبت الروح فى الغوطيين فى أثناء المنازعات التى كانت حاصلة بين رؤساء الرومانيين خرب البورغنديون ميلان وسال سيل الفرنك فى الاقاليم الشمالية من ايطاليا وسببه أن الامبراطور يوسطنيان لما نوى على فتح ايطاليا أرسل رسلا الى ملوك الفرنك يستحلفهم على ربط علاقات اتحادية ودية فى الانضمام معه على مشروعه المقدس فى حرب دينى على الاريانيين ومن أجل هذا التزم الغوطيون بالسعى والاجتهاد بواسطة منح أراضى ونقود فى الحصول على صداقة هذه الامة الخائنة أو الحيادة فكان سعيهم على غير طائل ولما صد جيش بلزاريوس وعصاة الايطاليانيين السلطنة الغوطية وشكوها شرع طيودوبرت صاحب أوستراسيا فى السير قاصدا اغاثة الغوطيين واجتمع عشرة آلاف من البورغنديين من رعاياه الجديدة من دون علم عند ملكهم ونزلوا من جبال الالب وانضموا بالعساكر الذين أرسلوا من طرف فيطيجس لعقاب ثورة أهل ميلان وحاصروا مدينة ميلان وضيقوا عليها وأخضعوها من بعد حصار طويل شديد واستلموا المدينة من بعد أن خرج منها محافظو الرومانيين بسلام وهرب الاسقف المتسبب فى هذه الثورة وعصيان المدينة الى الديوان البيزانطى وذبح الغوطيون القسس تحت مواطئ محاريبهم كأنهم قربان قربوها لها ونقل أن الذى صار ذبحه فى هذه المدينة ٣٠٠٠٠٠ من النفوس وسلب البورغنديون والغوطيون المدينة وهدموا أسوارها وسووها بالارض وأما طيودوبرت نفسه فانه تشجع بهذه الغارة المظفرة وعبر حفيد كلوفيس جبال الالب فى فصل ربيع سنة ٥٣٨ بعد الميلاد وأغار على سهول ايطاليا فى رأس جيش مقداره ١٠٠٠٠٠ نفس من الفرنك فكان طيودوبرت وشجعان قومه راكبين على ظهور خيولهم مسلحين بالرماح والمزاريق وكان المشاة لا رماح عندهم بل كان كل واحد منهم متسلحا بدرقة وسيف وبلطة بحدين فى يده فتزلزلت ايطاليا من زحف الفرنك وكان كل من ملك الغوطيين وقائد الرومانيين يجهلان مقصود هذه الامة لكنهما رأيا أن هؤلاء أتوا لمساعدته وكان هذا على أمل وخوف منهما ولما أمن حفيد كلوفيس مروره من فوق قناطر باوية على نهر البو جمع عزمه على الاغارة على كل من الجيشين المتحاربين قبل أن يجمعا قواهما سوية لمحاربته فهرب الجيشان أمامه وتركا له ميدان الحرب فجاس طيودوبرت فى أقاليم ايطاليا الشمالية بعساكره وخرب المدائن ودمر الاراضى فتولد من دماره هذا وقتله ألوفا من الناس أن صار متروكا واسع الميادين والاراضى خاليا من العيش والنبيذ فالتزم هو وعساكره على الشرب من مياه نهر البو والتغذى من لحوم المواشى الهزيلة الضعيفة فتسلطن داء الاسهال فى عسكره فكنس ثلث الجيش وانجبر على العود الى بلاده من بعد أن خرب ليغوريا وعميليا فافتخر يوسطنيان من دون أن يسل سيفه على عساكر الفرنك بانه انتصر عليهم فغضب ملك الفرنك من افتخار الامبراطور وكذبه ودخل فى أمر الغوطيين وصمم على مقاصة يوسطنيان والمشى الى أبواب القسطنطينية فقتله وحش بقر حال ما كان مشتغلا بالصيد فى غابات بوماليا أو بلجيقا
وبمجرد ما خلص بلزاريوس من عدوه البرانى والداخلى اجتهد فى اتمام فتح ايطاليا وفتح مدينة عوسيمو وأخضع أهلها وحصل له فيها جرح خفيف ثم وجه جيوشه على مدينة رافنه عاصمة المملكة الغوطية وكانت الجموع الموجودة فيها تحت بيرق فيطيجس أكثر عددا من الرومانيين غير أنهم لم تنزل اهانة ولا ضرر على أمته الصادقة يمكن به تتمتع فيطيجس خلف استحكامات رافنه وكانت

استحكامات هذه المدينة في الحقيقة قوية جداً لا يمكن التغلب عليها ولا الوصول اليها بأى نوع من أنواع الهجوم والغارات ولما أحاطها بلزاريوس بعساكره رأى أنه لا يتيسر له الحصول على فتحها الا بطريق القحط والجوع وحصن جهة البر والبحر ومجارى نهر البو وحرق أشوان غلال هذه المدينة المحصورة خفية وفي حالة ما كان حاصلا منه من شدة الضيق في حصار المدينة وصل اليه على حين غفلة رسولان من القسطنطينية حاملان معاهدة صلحية موقعا عليها الامبراطور يوسطنيان من غير حزم ولا مشورة مع المتسبب في نصرته وكانت هذه المعاهدة المهينة متضمنة قسمة ايطاليا والخزينة الغوطية ومتفق فيها على أن الاقاليم الشرقية الموجودة خلف نهر البو تكون متروكة لخليفة طيودوريق واجتهد وشدد الرسولان في تمام ما أرسلا فيه وقبل قيطيجس لبس تاج ما كان له على بال وما كان هذا الفرح عند الغوطيين بأكثر من عدم وجود المؤنة والمأكول عندهم فانهم كلوا وسئموا من الحصار وكذا ضجر رؤساء الرومانيين من طول الحرب واستمراره فاعترفوا وسلموا فيما أمر به الامبراطور وكتب كل واحد من ضباط بلزاريوس أن حصار راقنه لا يستفاد منه شئ ومقطوع الامل والرجاء منه وأما بلزاريوس فانه رفض قبول المعاهدة وهذه القسمة وقال انه لابد له من أن يقود قيطيجس في السلاسل والاغلال الى أقدام ومواطئ تخت يوسطنيان فتوجه الغوطيون من عنده مع الخوف والارتياب وحوموا بهذا الرفض القطعي عما كانوا واثقين به وامتلأت عقولهم بالافكار والظنون وانكشف لهم من مخابرة عدوهم ماهي عليه حالتهم فقارنوا شهرة وبخت بلزاريوس بضعف ملكهم فنتج لهم من هذه المقارنة رأى جديد هو تنازل قيطيجس وبما أن القسمة مخلة بالقوة والنفي عار في شرف الامة قدموا أسلحتهم وأموالهم واستحكامات راقنه الى بلزاريوس وتسليمها اليه لو اعترف لهم بانه يكون ملكا عليهم فقبل ما اختاره الغوطيون ووعدهم بتمام مرغوبهم من دون أن يدخل معهم في عين أوفي معاهدة أو شئ يغاير مقصود سلطانه وعين مبعوثو الغوطيين اليوم اللازم لتسليم المدينة فيه ودخل بلزاريوس مؤيدا منصورا مارا من شوارع مدينة تحصينة وبصق النساء ربات الغيرة في وجوه أولادهن وأزواجهن وذممهم وعبثهم بما حصل منهم من الغش في مملكتهم وضياع حريتهم وضبط بلزاريوس المدينة ووضع على قيطيجس الخفر اللازم للمحافظة عليه وفرز زهرة شبان الغوطيين وأدرجهم في خدمة الامبراطور وما بقي من أهل المدينة صار طردهم الى مساكنهم في الاقاليم الجنوبية من ايطاليا وعمر المدينة بناس من الايطاليانيين وتولد من سقوط العاصمة وتسليمها تسليم مدائن وقرى ايطاليا ما كان الرومانيون نظروها بأعينهم وطمع الغوطيون الموجودون تحت السلاح في استقلال مدينة باوية وقيرونه في أن يكونوا رعايا الى بلزاريوس فرفض بلزاريوس بما كان عليه من الخضوع الذي لا ينثنى لامبراطوره قبول بيعتهم الا للامبراطور وقال لنوابهم انه يحب لنفسه أن يكون عبدا أحسن له من أن يكون ملكا

ومن بعد النصرة الثانية التي حصلت لبلزاريوس دب الحسد والغيرة نابيا في قلب الامبراطور يوسطنيان فدعا فائده اليه بصورة أن الباقي من الحرب الغوطي لا يحتاج لبقائه في ايطاليا وانه يلزمه مكافأة عبده والمشورة معه في آرائه بما أنه هو رجل المملكة وشجاعها والصالح للمدافعة عنها وحمايتها من جهة الشرق من الجيوش العديدة لفارس فأطاع بلزاريوس الامر وقام من راقنه حاملا غنائمه ومظفرات نصراته وعلاماتها ومعه قيطيجس وتوجه الى دار مقر السلطنة فقابل الامبراطور كل من

بلزاريوس وفيطيجس بأعظم مقابلة وأجل احتفال وأنم على الملك الغوطى بأراض عظيمة بجيدة الخصوبة فى نواحى آسيا أقام فيها مابقى من حياته

وتولد من غيرة الامبراطور من بلزاريوس عدم تغلبه على ايطاليا فكان سفره على حين غفلة سببا فى احياء شجاعة الغوطيين لانهم كانوا يحترمون ذكاء بلزاريوس وتدبير أعماله وما كان عليه من الفضائل حتى ملحوه بما غشيهم به من وعده لهم فيما عرضوه عليه ورفض طلبهم وخسروا ملكهم (خسارة الملك ليست تحت شىء) وعاصمتهم وأموالهم وأقاليمهم من سيسيليا الى جبال الالب وقوة عسكرية مقدارها ٢٠٠٠٠٠ محارب بمطلقة بخيولها وسلاحها على أنهم ما كانوا خسروا كل شىء فان مدينة (باوية) مازالت محمية بألف من العساكر الغوطية فدبت فى أجسام هؤلاء الفئة حاسية الشرف وحب الحرية وتذكروا سعادة مملكتهم فعرضوا الرياسة باتفاق آرائهم على الشجاع عورياس فنظر هذا بعين بصيرته وتدبر فى أموره ورأى أن ماحصل لعمه من الاهانة ربما يعود عليه مثله فأشار بعرض القيادة والرياسة على (حلدبال) ناظرا فى ذلك أن قريبه طوريس ملك اسبانيا ربما يتداخل فى مساعدة أمر الامة الغوطية المشترك فيه هذا الملك فكان نظره على غير طائل واتفق جيشه على انتخاب (حلدبال) أميرا عليهم فاتفق أن (حلدبال) الصاحب الرفيق شغف بجمال وغنية زوجة عورياس فقتله فتولد من قتل الفاضل عورياس محب وطنه ثوران الغضب عند أمة قوة وقام فارس نفذ الحكم الصادر من أمته مع الجراءة وقطع رأس حلدبال فى وسط محفل من الامة فتقلد الروغيانيون قبيلة غريبة من غير الغوطيين الرياسة فاجتهد طوطيلة ابن أخى فيطيجس فى الانتقام والبطش وعزم على تسليم نفسه مع محافظى (طرفيغو) الى الرومانيين ثم وجه عزمه على الحصول على التخت الغوطى من قبل دخوله فى خدمة الامبراطور يوسطنيان وبمجرد ماخلت سراية باوية من الروغيانيين جمع طوطيلة قومن قومه مؤلفة من ٥٠٠٠ عسكرى وشرع فى عود مملكة ايطاليا واسترادها لنفسه وترك خلفاء بلزاريوس وكانوا أحد عشر قائدا فى درجة واحدة يهشمون الغوطيين الضعاف القوة الغير مجموعين مع بعضهم حتى قاموا الى العمل والشغل بواسطة تقدم أعمال طوطيلة وفساد عقل يوسطنيان وكانت أبواب مدينة راقنه فتحت سرا الى (ارطاباظوس) فى رأس مائة من الفرس كانوا فى خدمة المملكة وهرب منها الغوطيون ثم وقف القواد الرومانيون على مسافة خمسة أميال ونصف من المدينة لاجل توزيع قسمة الغنائم فيما بينهم وبينما كانوا فى مشاحنات مع بعضهم اذ كشف العدو عددهم وكبس الغوطيون على الفرس فى المدينة فوثب ارطاباظوس من السور وتخابجيانه ثم قتل من بعد مضى بضع أيام برمح من يد أحد الغوطيين وتقابل عشرون ألف رومانى مع قوى طوطيله بالقرب من (فيانزه) وعلى جبال (محاو) فى الاراضى (الغاورنطانية) فكانت محاربة قوى طوطيلة بجدة وحماسة وحريته من أجل عود بلادهم ومملكتهم مع أضعف العساكر الاجرية الذين تجردوا من الشجاعة وحركات الانتظام فنى أول هجوم حصل من الغوطيين على العساكر الرومانية تركوا أعلامهم ورموا فى الارض سلاحهم وانتشروا فى كل وادمسرعين لتقليل خسائرهم وفضيحة هزيمتهم ولما استوعب ملك الغوطيين خسة ودناءة أعدائه أسرع فى سيره فى طريق الشرف والنصر وعبر طوطيلة نهر البو وجبال الابنين وأوقف فتوحات راقنه وفلورنسه وروميه وسار من وسط قلب ايطاليا لمحاصرة نابولى وحبس رؤساء الرومانيين فى مدائنهم حتى لايحصل منهم ارتباك فى مملكته فارتاع الامبراطور يوسطنيان مما حل من الانحطاط والمصائب فى فتوحاته

فى ايطاليا وأرسل اسطولا من السفن الحربية وفرقة عسكرية مؤلفة من التراسيين والارمن لاجل خلاص نابولى فنزلوا فى سيسيليا واستلموا مخازن ذخائرها الوافرة وتولد له من تأخير القائد الجديد بطول عناء المحصورين وما أرسله هذا القائد من الامداد والمؤنة وقع مع التدريج فى يد سفن كانت مسلطة واقفة بأمر طوطيلة فى خليج نابولى وأخذ هذا القائد أيضا معهم وسحب الغوطيون القائد فى حبل ربطوه فى رقبته حتى أوصلوه تحت سور المدينة فصار يستغيث هو وأهل المدينة برحمة الفاتح طوطيلة واشتد الحصار على أهل نابولى فأرسلوا فوابا من طرفهم بعقد متاركة لمدة شهر وفى انتهاء هذه المدة ان لم يأتهم من يخلصهم يسلموا المدينة فسمح لهم مجلس الغوطيين بثلاثة شهور بدل شهر لوثوقهم بأن القحط يكون سببا فى سرعة تسليمهم فسلموا مدينتهم الى طوطيلة من بعد ما حل بها القحط ومن بعد أن أخضع طوطيلة نابولى وكوميه خضعت أقاليم لوكانيه واپوليا وكالبرية لملك الغوطيين وساق طوطيلة جيشه الى نحو أبواب رومة ونصب معسكره على مسافة عشرين ميلا من هذه المدينة العتيقه وأنذر السناتو والامة مع التؤدة فى كونهم يقارنون ظلم الجريق بخير السلطنة الغوطية ونشر طوطيلة أعماله التى جذب بها محبة أهل ايطاليا وكثير من المدائن التى كانت رحبت بيلزاريوس وراعته بأنه الخلاص لها بطوطيله بسبب ما حصل لها من القهر والجور من حكام البيزانطيين وقابل مزارعى ايطاليا وفلاحيها بالفرح وأمرهم بالمداومة على أشغالهم وهم فى أمان من كل حرب يقع فى مدة حياته ما داموا موفين ما عليهم من الضرائب والطاعة وأغار بعساكره على المدائن الحصينة على التدريج وبمجرد تسليمها له يأمر بهدم استحكاماتها وأسوارها لاجل خلاص أهلها من غوائل حصار يحصل بعد وحرمان الرومانيين من تيسرهم على محلات تدافعية تحفظية وأن يكون هياج الحرب بين الامتين فى ميدان حرب مكشوف وعزم المأسورون من الرومانيين والهربانون على الدخول فى خدمة هذا الملك الجليل وعد الرفيق وعدا صادقا بانهم ما عادوا يفترقون من أسيادهم وتشكل من الالف عسكرى الذين كانوا فى باويه أمة جديدة تحت بيرق طوطيله سميت بالامة الغوطية الثانية

ثم عاد بلزاريوس فى ايطاليا القيادة مرة ثانية وأقام فيها من سنة ٥٤٤ الى سنة ٥٤٨ بعد الميلاد وكان عود بلزاريوس لخلاص المملكة التى كان أخضعها حاصلا مع غاية الشدة من كل من أحبابه وأعدائه وضرب هذا الحرب الغوطى على رقبة قائد متدرب فى الحروب اما للاعتماد عليه أو لنفيه فقبل هذا الشجاع الذى كان ضيغما على شواطئ نهر الفرات وعبدا فى سراية القسطنطينية مع اشمئزاز نفسه وكراهته الاشغال الصعبة اللازمة لمساعدة شهرته واصلاح ما حصل من الخطا الذى وقع من خلفائه فى ايطاليا وكان البحر مكشوفا للرومانيين واجتمعت العساكر والمراكب فى (سالونه) بالقرب من سراية (دوقلطيان) فاستراح وعرض عساكره فى بولا من (اسطريا) وسار تابعا للساحل حول رأس البحر الادرياطيق حتى وصل مينة رافنه وأرسل أوامره الى المدائن فكانت خطاباته الاولية عمومية للغوطيين والرومانيين باسم الامبراطور يوسطنيان قال لهم فيها ان الامبراطور أوقف فتح فارس لمدة ما وسمع دعاء الامة الايطاليانية رعيته وعفا عن المتسببين فى حصول المصائب والاهوال الجديدة وأزال الخوف والعقاب على ما مضى وعزم على عدم القصاص فى المستقبل وعلى اتحاد جميع أقسام حكومته فى جامعة واحدة قوية تتضمن الحب والطاعة وعزم على العفو والاحسان لمن أطاع وكان

سياقى بخلاص اخوانه من الغاصبين رقابهم وأملاكهم فكانت خطاباته هذه كما قال فى المثل

لقد أسمعت اذناديت حيا * ولكن لاحياة لمن تنادى

فما حصل من امرئ سعى أو غيرة فى تركه بيرق الملك الغوطى فاستخرج بلزاريوس من هذه الحالة انما أرسل فى هذه الجهة ليكون عاجزاً امامها متفرجاً فقط على مجد وفخر شاب همجى فأرسل رسالة الامبراطور يخلص بها نفسه مما وقع فيه من الاخطار فكان مآل ما كتبه الى الامبراطور

للملك الاعظم — وصلنا الى ايطاليا مجردين من كافة الآلات اللازمة للحرب من رجال وخيل وسلاح ونقود وفى مدة الفناء الاخير فى قرى ثراسة والريقوم جمعنا مع غاية الصعوبة والمشقة نحوا من أربعة آلاف عسكرى عراياً لا دراية لهم بلبس آلات الحرب ولا تعليمات العسكرية الابتدائية والعساكر الموجودة من قبل فى أقاليم ايطاليا على خوف ووجل ونفور وثوران ومتى سمعوا صوت العدو تزلزلت أقدامهم وارتعشت مفاصلهم واضطربت أجسامهم وطردوا خيولهم ورموا فى الارض سلاحهم ولا يمكن الحصول على جمع ضرائب أو تحصيل نقود مادامت ايطاليا فى أيدى المتبربرين وعدم صرف الاستحقاقات والرواتب حرمنا من حقوق القيادة حتى كلمة الارشاد وكن متحققا سيدى أن معظم عساكر امبراطوريتكم انحازا الى الغوطيين فان كان من الضرورى اتمام الحرب ودخول ايطاليا تحت حوزة جلالتكم بوجود بلزاريوس بمفرده فقد تم المطلوب وها هو بلزاريوس موجود فى قلب ايطاليا فان أردتم الفتح فاسرعوا باستعدادات وتجهيزات لانه من دون وجود قوى عسكرية يكون لقب القائد اسما لامعنى فيه ومن الضرورى سرعة عود خفرى الى التدرب على أعمالهم داخلاً وخارجاً ومن قبل بروزى الى الميدان لابد أن يكون معى عساكر خفيفة وثقيلة وبواسطة النقود يتيسر لجلالتكم الحصول على مساعدة جيش قوى من الهونزيين والافنغير هذا لا آمل الحصول على شئ يرضى جلالتكم وندب بلزاريوس واحدا من معتمدى ضباطه وأرسل بهذه الرسالة القسطنطينية فتركت فى زوايا الاهمال ولبث الرسول فى القسطنطينية فى مسئلة زواجه وفرغ صبر بلزاريوس من طول انتظار وتأخير ورود طلباته فعبر البحر الادرياتيق الى مدينة دراخيوم وانتظر فيها ورود العساكر وكان جاريا جمعهم مع البطء والاهمال من نواحى رعايا المملكة وحلفائها وكان الموجود عند بلزاريوس غير كاف جدا لخلاص رومة من الحصار الواقع عليها من طرف طوطيله ملك الغوطيين فتبلبل عقله وتشتت ذهنه وتلهف على المسير لخلاص هذه المدينة العتيقة وكانت مسافة الطريق الابيانى التى طولها سفر أربعين يوما غاصة بالعساكر الغوطية فكان من بلزاريوس حيادته عن وقوع أى حرب وسار فى طريق السلامة من البحر مدة خمسة أيام من ساحل ابيروس حتى وصل فم نهر الطيبر

وأما طوطيله فانه من بعد أن أخضع المدائن الموجودة فى وسط ايطاليا سار الى المدينة العتيقة قاصداً عدم الهجوم عليها بالقوة والاقتدار بل قصد حصارها ووقوع القحط والجوع فى أهلها وموتهم من دون حرب وكانت رومة محكومة بالشجيع (بساس) وهو المحافظ عليها وأسوارها مشحونة بثلاثة آلاف من العساكر وكان بساس غوطى الاصل فارساً بارعاً فى حرفته مكاراً بخيلاً فى حكومته طماعاً للاموال فمن فاقة الاهالى وعوزهم شرع فى عمل تجارة نافعة له فى المكسب وفرح سرا بابتداء الحصار وكانت الاشوان ملآنة بالغلال فأخذ فى بيعها لنفسه وتكرم البابا بمشترى كميات وافرة

الغلال من جهة سيسيليا وشحنها فى مراكب على ذمة أهل رومة فاستلمها الحاكم اللص وأرسل منها مقدارا زهيدا للعساكر وباع الباقى لأغنياء الرومانيين ومن سوء تدبير أحكامه زاد الغلاء فى رومة وعلت أثمان الدقيق وصب الفقر على الناس حتى وصلت بهم الحالة الى أكل لحوم الموتى من الخيول والكلاب والقطط والفيران وقلعوا الحشيش وأكلوه وجذور الاشجار والنباتات النابتة فى خربات المدينة واصفرت وجوههم ونحلت أجسامهم فأحاط الجم الغفير منهم بسراية الحاكم وصرخوا بأصوات عالية من الواجبات على السيد المحافظة على حياة عبيده ومداركة ما يقوم بشؤن حياتهم ومؤناتهم والا يسمح لهم بالخروج من بلده أو يأمر بقتلهم فى الحال حتى يخلصوا من المصائب والاهوال فأجابهم (بساس) انه يستحيل الغذاء والطرد بغير سلامة والقتل بدون قانون شرعى فى رعايا الامبراطور ومن النوادر التى حصلت فى المدينة فى هذا الوقت أن رجلا انحرق كبده وانحرق قلبه من عياط خمسة أطفال أولاده يطلبون منه لقمة خبز يتقوتون بها وما كان فى يده شئ لهم ولا لنفسه فقال تعالوا ورائى فتبعه الاطفال ومازال ماشيا وهم خلفه حتى وصل احدى قناطر نهر الطيبر وغطى وجهه وقذف بنفسه فى النهر وغرق فى حضور أولاده والمهم من الامة الرومانية فمن ثم باع بساس الحاكم رخصة خروج أهل المدينة منها فالذين خرجوا ناجين بأنفسهم من دمار الجوع والقحط اما هلكوا على قارعة الطرق العمومية أو بحزهم الغوطيون عندهم وفى أثناء ذلك مهد الحاكم الصنع الاربا كانت الحاصلة وأحيا آمال الرومانيين باشاعات مبهمة بأن الاساطيل والجيوش هرعت لخلاصهم من أقصى الشرق وكذا وصلت اليهم الاخبار بأن بلزاريوس نزل بعساكره فى المينة فأملوا خلاصهم واعتمدوا على همة وشجاعة مخلصهم الاكبر

ولما علم طوطيله ملك الغوطيين بنزول بلزاريوس فى فم نهر الطيبر أقام موانع دفاعية وحواجز تحفظية على مسافة اثنى عشر ميلا من أسفل المدينة وجمع شطى النهر فى المحلات المضيقة منه بحواجز من الخشب قوية وأقام فى أطرافها أبراجا عالية من الاخشاب شحنها بالعساكر والحراب ورمى سلاسل من الحديد قوية مربوطة فى شاطئ النهر قاطعة له وخفر أطرافها فى البرين بأمهر العساكر النبالة الغوطية وكذا شرع بلزاريوس فى هجومه وتغلبه على هذه الموانع وخلاص العاصمة وأمر خيالته بالزحف والتقدم من المينة فى طول الطريق السلطانى لاجل تشتيت أفكار العدو ووقوع الرعب فى عساكره وشحن رجاله من المشاة وذخائره فى ٢٠٠ قارب أوفى مركب من المراكب الضخمة وحفظ كل مركب بزغلة من ألواح الخشب المتين مثقوب فيها كوات لضرب السهام منها وجعل فى المقدمة مركبين مربوطتين ببعضهما بسلاسل من الحديد يحملان قلعة متحركة تشرف على أبراج السدود وشحنها بالمواد المحرقة من النفط والقطران والكبريت وكان هذا الاسطول وحركة سيره تحت قيادة بلزاريوس نفسه وكان سيره مضادا لسرعة تيار النهر فاما سلاسل طوطيله فانها ارتخت فى قاع النهر بسبب ثقلها والاعداء الذين كانوا محافظين فى الشواطئ اما قتلوا أو نجوا بأنفسهم ولما لطم الاسطول ألقوا على السدود وأبراجها المواد المحرقة فالتهبت الابراج بما فيها من العساكر الغوطية ونادى عساكر بلزاريوس النصر النصر وكانت خلصت رومة لولا أنه خسر بلزاريوس تدبيره من سوء سلوك ضباطه فانه كان أرسل أوامره من قبل الى بساس حاكم المدينة باخراج طلائع منها من وقت الى آخر لمساعدة اجراآته وقت العمل فتقاعد بساس وأرسل نائبه اسحاق بأمر قطعى للمحافظة فى نواحى المينة فرمته

حسده شبابه فى أيدى أعدائه ووصلت اشاعة خبره الى أذنى بلزاريوس فتوقف فى حركته ورجع رغم أنفه الى المدينة بقصد خلاص زوجته وأمواله وخلاص المينة التى استودعها بمفردها فى ساحل توسقانه وتولد من غيظه وشدة حنقه أن أصابته حمى مهلكة فترك رومة من دون مدافعة لرحمة طوطيلة أولغضبه وأضعف القحط والجوع همة المحافظين وانتظام حركتهم حتى صار لا يستفاد من هذه الامة الميتة بفائدة فدخلها طوطيله فى ١٧ ديسمبر من سنة ٥٤٦ بعد الميلاد وعسكر جيشا على مسافة بعيدة من رومة لمراقبة حركات بلزاريوس وسار بما بقى معه من جيشه الى لوكانيه وابوليا واحتل رأس جبل (جارجانوس) وعسكر فى معسكر حنبال وأخذ معه أرباب مجلس السناتو وحبسهم فى قلاع كبانية وكان طرد من رومة أهلها مع نسائهم وأولادهم وهدم أسوارها وجعلها بلقعا للطيور والغربان

ولما سافر طوطيله الى ايطاليا الجنوبية بعساكره وجيوشه ضبط بلزاريوس المدينة الخربة المتروكة وكان معه ألف خيال ونشر البيرق الامبراطورى فوق الكابيتول وحض الاهالى الذين خرجوا منها بالعود اليها ثانيا ورمم استحكاماتها وصد طوطيله عنها مرة ثانية بخسارات جسيمة وكان قصد التغلب عليها فى سنة ٥٤٧ بعد الميلاد ومازال الامبراطور مستمرا فى حسده وغيرته فى وهن بلزاريوس حتى صار لا قدرة له على بلوغ آماله فى نجاح أشغاله وانكسرت شوكة قيادته فى ايطاليا الجنوبية من عدم طاعة ضباطه لاوامره وما حصل عندهم من الجبن والرذالة فلما رأى أنه لايمكنه تيسر الحصول على تمام شئ يقابل به المصائب والاخطار استحصل فى سنة ٥٤٨ بعد الميلاد على رخصة فى العود الى القسطنطينية وفى سنة ٥٤٩ بعد الميلاد تغلب طوطيلة ثانية على رومة وعلى عموم ايطاليا وفتح سيسيليا وسردينية وقورسقه وأغار على الجريس فتولد من هذه المظفرات دخول البابا بنفسه وأرسل رسلا من طرفه الى الامبراطور يوسطنيان يستغيث به ويتوسل اليه فى المساعدة على الغوطيين فأرسل الامبراطور قوة قوية تحت قيادة الطواشى نارسيس وكان من القواد المشهورين الماهرين ومن المتقربين عند الامبراطور وعهد الامبراطور الى نارسيس السلطة المطلقة فى توالى الحرب وشدته وساعده مساعدة كبيرة حتى نجح فى عود الاراضى التى كان تغلب عليها طوطيلة وهزم طوطيلة وقتله فى واقعة كبيرة حصلت فى طاجينه وانتقلت رومة فى الوقت الى قبضته فى سنة ٥٥٢ بعد الميلاد وصار هو السيد الخامس لها فى مدة سلطنة يوسطنيان وخلف طياس الملك الاخير من الغوطيين طوطيلة على التخت الغوطى واستحصل على مساعدة الفرنك ومن قبل وصولهم اليه انهزم وقتل فى نواحى كومية فى سنة ٥٥٣ بعد الميلاد وتفصيل ذلك أنه من بعد موت الملك طوطيلة مازال الحرب الغوطى جاريا على قيد الحياة وتقهقرت هذه الامة الشديدة البأس خلف نهر البو وانتخبوا طياس باتفاق الآراء على أن يكون هذا البارع خليفة طوطيله والآخذ من الرومانيين بثاره فأرسل هذا الملك الجديد على الفور رسولا الى الفرنك يستغيث بهم أويشترى مساعدتهم وصرف مع الكرم الواسع الاموال والكنوز التى كانت مخزونة فى سراية باوية فى شأن السلامة العامة والمحافظة الدائمة وجعل ما بقى من الاموال الملوكية تحت يد محافظة أخيه فى قلعة كومية من أعمال كبانية ومن بعد قليل حاصر جيوش نارسيس هذه القلعة الحصينة وكان طوطيله بذل جهده فى حصانتها ورصانتها فأسرع ملك الغوطيين طياس من جبال الالب فى السير الى سفح جبل ويزوف زاحفا لخلاص

أخيه وراوغ مراقبة الرومانيين وعسكر بعساكره على شواطئ نهر دراقو النازل من جبل فوسيريا فى خليج نابولى وكان هذا النهر فاصلا بين الجيشين ومضت مدة ستين يوما فى محاربات ومناوشات كانت على غير طائل واستمر طياس فى هذا الموقع الخطير حتى تركه أسطوله وقطع الامل من ورود المؤنة فسار منه مع الكراهة ونزل بجبل لاكطريا ثم رأى الغوطيين رأى موافق لصالح أعمالهم هو نزولهم من الجبل وصرفهم خيولهم وموتهم تحت سلاحهم فى استحواذهم على حريتهم فسار الملك فى رأسهم حاملا فى يده اليمين حربته وفى يده اليسرى ترسه فقتل بالاولى أول من لاقاه فى المصادمة من الاعداء وتلقى بالاخرى الرماح والحراب التى امتدت اليه من كل جانب لقتله وفقد حياته ومن بعد محاربة امتدت عدة ساعات طعنه واحد من أعدائه بحربة فسقط ميتا على الارض وقطعت رأسه ورفعت على رمح وأعلنوا بدمار الدولة الغوطية فكانت قضية موته هياجا فى قيام أصحابه فانهم وردوا أفواجا فى خصوص هلاكهم مع قائدهم واستمروا فى محاربة حتى غشى الظلام الارض فاستراحوا على أسلحتهم فى الليل وجددوا الحرب عند طلوع النهار واستمروا فى شجاعتهم الى غروب اليوم الثانى واستراحوا الليلة الثانية فتولد من احتياجهم للمياه وموت قائدهم المدافع عنهم أن عزم الموجودون على قيد الحياة من الغوطيين على تسليم جبل كان هذا من تدبير نارسيس عرضه عليهم ومن بعد أن سلموا أنفسهم خيرهم نارسيس بين الاقامة فى ايطاليا ويكونون عساكر ورعية للامبراطور يوسطنيان وبين رحيلهم بأموالهم وأولادهم الى ماشاؤا يبحثون لهم على ملك مستقل وأراد أن يأخذ عليهم معاهدة بذلك فما قبل ألف منهم المعاهدة ولا الطرد من المملكة ومن قبل التوقيع على المعاهدة اعتزلوا مع العزم والجسارة ودخلوا فى داخل أسوار مدينة باويه فقام عليغرين أخو طياس مقلدا أخاه بسبب ما كان عليه من البسالة وحصانة الموقع وجمع حوله الغوطيين فكان نبالا شديدا ورشاقا بارعا خرق برمى نبلة واحدة صدر وزرع خصمه وقاد أعماله العسكرية فى المدافعة عن قلعة كومية زيادة عن سنة وحافظ عليها من الجيوش الرومانية واستمر فى حربه حتى انقطع أمله من عود دولته ورأى فى نفسه أن الاوفق به أن يكون أخا صادقا لنارسيس ولا يكون عبدا خاضعا للفرنك ومن بعد موت طياس وزع القائد الرومانى نارسيس عساكره وجيوشه لقهر مدائن ايطاليا وخضوعها وصارت عموم ايطاليا رعية للامبراطور يوسطنيان وانقرضت المملكة الغوطية الشرقية من ايطاليا من بعد أن استمرت قائمة على قواعدها مدة ستين سنة أى من سنة ٤٩٣ الى سنة ٥٥٣ بعد الميلاد وصارت ايطاليا عمالة مركز حكومتها مدينة رافنه وحاكمها نائب من طرف الامبراطور فكان نارسيس أول النواب وأعظمهم شماخة حكم ايطاليا من سنة ٥٥٤ الى سنة ٥٦٨ بعد الميلاد وأما الغوطيون فانهم اما هاجروا من ايطاليا للبحث عن وطن جديد أو شربتهم جموع الامة الايطاليانية

وفى سنة ٥٥٣ بعد الميلاد فى أثناء حروبات نارسيس مع الغوطيين غرقت ايطاليا بطوفان جديد سال على سطح أرضها من الامم المتبربرة وكان سببه أن الشاب الضعيف حفيد كلوفيس كان متسلطنا على الاوستراسيانيين أو الفرنك الشرقيين فقابل نوابه وأوصياؤه رسل الغوطيين مع البرودة والكراهة ووعدوهم وعدا على غير طائل فأخذ (لوثير) و(بوكسلين) الاخوين الشقيقين الغيرة والحماس وكانا من دوقات الالمانية وتكفلا بقيادة الحرب فى ايطاليا وفى فصل الخريف من السنة المذكورة سال من جبال الالب ٧٥٠٠٠ نفس من الجرمانيين فى سهل ميلان وكانت مقدمة الجيش الرومانى معسكرة

بالقرب

بالقرب من نهر البو تحت مباشرة وقيادة فولكاريس أحد الفوارس الهيروليانية فرأى هذا مع الطياشة والتهور أن الشجاعة الشخصية هي الواجب الوحيد والحق المفيد لقائد وسار على غير انتظام واحتراس فى طول الطريق العميليانى فثار عليه كمين من الفرنك على حين غفلة وبددوا عسكره وقتلوه فتولد من موت فولكاريس وتقهقر رؤساء الرومانيين وخذلانهم تزعزع الغوطيين وثورانهم وطاروا تحت بيارق الفرنك مخلصيهم وأدخلوهم المدائن التى مازالت فى مقاومة الجيوش الرومانية ففتح نارسيس فاتح ايطاليا مجرى واسعا لسرعة تيار البرابرة وما زالوا حتى وصلوا تحت أسوار مدينة سيسنه فجاوبهم الناصح لهم عليغرين من فوق أسوارها بالتهديد والتوبيخ قائلا ان الخزائن الغوطية ما بقى فيها شئ يدفع قيمة الشغل فى اغارة أو غزوة ما وخرج عليهم نارسيس نفسه فى رأس ٣٠٠ فارس وقتل منهم ٢٠٠٠ نفس ولما وصل الاخوان حدود سامنيوم قسماقواهما فأخذ بوكسلين غنائم جهة اليمين وهى كبانية ولوكانيه وبروطيوم وأخذ لوثير غنائم جهة اليسار وهى غنائم أبوليا وكلبريا وسار بوكسلين تابع ساحل البحر الابيض المتوسط ولوثير تابع ساحل البحر الادريا طيقى حتى وصلا مدينتى ريغيوم وأوطرنطه وانتهى تقدم سيرهم بختام نهاية أرض ايطاليا فأما الفرنك الذين هم نصارى وكاثوليق فانهم استكفوا بنهب قليل وموت وقتل على حسب مقتضيات الحروب وما تركوه من الكنائس رأفة بها هتكت حرمتها أيدى الالمانيين ونهبوها وقبروا رؤس الخيل لا آلهتهم فى الاورمانات والانهر وكان شغل بوكسلين على طمع وشغل لوثير على شح وبخل فعزم بوكسلين على ارجاع الدولة الغوطية فوعده أخوه بسرعة الامداد والاعانة وعاد من الطريق التى جاء منه بالخزن أمواله وما حازه من الغنائم وراء جبال الالب من بعد أن ضعفت قوى جيشهما من تغيير المناخ وتسلطن الامراض والفاقة ولما دخل فصل الربيع صار جمع العساكر الامبراطورية التى كانت خفراء فى المدائن فى ضواحى رومة وبلغ مقدارهم ١٨٠٠٠ نفس وتحرك بوكسلين من مضايق سيسيليا مع ٣٠٠٠٠ من الفرنك والالمانيين وسار مع البطء نحو مدينة قابوه وعسكر فيها وانتظر عود أخيه لوثير فظهرت له أعلام نارسيس واشتبك الجيشان فى الحرب فكانت النتيجة هلاك بوكسلين ومعظم جيشه ودخل نارسيس قابوه وفرق سلاح وخزائن الغوطيين والفرنك والالمانيين على عسكره واحتفل بنصره فى رومة وكان هذا آخر احتفال نصر عقد فيها النارسيس

وتولد من تدمير الدولة الغوطية فى ايطاليا نتيجة ما كان يدركها الامبراطور من قبل وذلك أنه فى مدة حياة طيودوريق وابنته عملثونطه حفظ الغوطيون مع بذل المجهود والصداقة الدانوب الاعلى من الجبيديين وكانوا من عهد سلطنة عطيلا قاطنين فى سهول هنكاريا وجبال (طرانسيلوانيه) على الشاطئ المقابل من نهر الدانوب ثم ان ضروريات أحوال الغوطيين فى ايطاليا أرغمتهم على الانجلاء من بانونية ونوريقوم لاجل حماية أملاكهم ودولتهم الايطاليانية من اغارة وهجوم الجيوش الامبراطورية فاحتل هذا الاقليم فى الحال من بعدهم الجبيديون وما اكتفوا بهذا التملك بل توعدوا ايطاليا بالانقعار فيها فدعا الامبراطور يوسطنيان اللومبارديين (ومعناه أرباب الذقون) الطويلة لهزيمتهم وردهم على أعقابهم وكانوا تحركوا من الشواطئ الشرقية لنهر الالبى الى أسفل الدانوب الاعلى فقبل عودوين ملك اللومبارديين دعوة الامبراطور ودخل بعساكره فى بانونية وشرع فى حرب مع الجبيديين امتد ثلاثين سنة ولما مات خلفه ابنه علبوين وكان مشهورا بشجاعته بارعا فى قيادته وكان فى مدة سلطنة أبيه

يخدم تحت بيارق أبيه فالتقى مع ابن ملك الجبيديين فى واقعة فخرق صدره برمحه وقتله فاتى اللومبارديون على علبوين وطلبوا من أبيه جلوس هذا الشاب الشجاع الذى اصطلى أخطار ميدان الحرب وحوا الواقعة معهم فى الوليمة الحافلة المعقودة للنصر فأجابهم عودوين بصلابة رأيه أنتم لستم على تذكار تام من حكمة عوائد أجدادنا فان البرنس مهما كان يستحق من الذكر فلا يوافق جلوسه مع أبيه على مائدة واحدة حتى يأخذ سلاحه وثاره من يد أجنبية ملوكية فسجد علبوين احتراما لهذه العوائد والنظامات وانتخب أربعين من رفقائه وزار مع الجسارة ديوان طوريسمونه ملك الجبيديين الذى كان قتل ابنه فقابل الملك قاتل ابنه مع الاحترام حسب قوانين الضيافة وجلس علبوين فى المأدبة العامة على الكرسى الذى كان يجلس عليه الشاب الذى قتله فاشتغل فكر طوريسمونه بابنه وهاج فى رأسه الغضب وقال لعلبوين كيف تظن يا عزيزى هذا المحل وكيف كانت كراهتك لصاحبه وتولد مما ظهر على وجهه من الحزن والاسف اشتعال نار الغضب فى وجوه الامة الجبيدية وقامت الحية فى رأس ابنه كونيموند الموجود على قيد الحياة ومن كثرة ما كان عليه من السكر أراد الاخذ بالثأر فقال ان مثل اللومبارديين كمثل أتانى خيول غيطاننا السرماطيانية فى الذات والصفات وكانت هذه الوقاحة الرذيلة اشارة على الاربطة البيض التى كانت ملفوفة على سيقانهم فأجابه ضيفه اللومباردى أنت عرفت جيدا قوة رفسها فاذهب الى ميدان اسيفلت وفتش على عظام أخيك فانها اختلطت بعظام الحيوانات المختلفة وقام الجبيديون من مجالسهم ووضع علبوين ورفقاؤه الاربعون أيديهم على قبضات سيوفهم فأطفأ طوريسمونه الثورة وخلص حياة ضيفه وعاد علبوين الى دار قومه وفى أثناء هذه الزيارة المهولة رأى علبوين ابنة كونيموند ومن بعد قليل مات طوريسمونه وخلفه ابنه كونيموند على التخت الجبيدى وكانت ابنته اسمها روزموند شغف بحبها علبوين وكان خلف أباه أيضا على التخت اللومباردى فبذل مجهوده فى زواجها فرفض أبوها قبوله ولما وجد علبوين أن قومه لا طاقة لهم على ملتقى الجبيديين خصوصا وانهم مستورون بالجيوش الرومانية دخل فى معاهدة مع الافارس وهيج حربا على الجبيديين وقتل ملكهم كونيموند وتزوج ابنته روزموند فى سنة ٥٦٦ بعد الميلاد وأخذ الافارس أراضى الجبيديين مكافأة لهم على ما أدوه من الخدمة والتزم اللومبارديون على كونهم يبحثون لهم على مواطن أخرى جديدة وكان الطريق مفتوحا الى ايطاليا فعزموا وعقدوا النية على التوجه الى تلك الجهة وكان نارسيس صار تجريده وعزله من نيابة ايطاليا بسبب ما حصل من الجور والمظالم وتوجه بارومة الى الامبراطور وعرض عليه مظالمه وخلاص ايطاليا من جوره ومن بعد ما تيسر للامبراطور الاستحواذ على قائد حازم الرأى صالح لمقاومة زحف الامة الحربية اللومباردية التى دخلت ايطاليا من الجهة الشمالية

وعبر علبوين جبال الب بوليان فى سنة ٥٦٨ بعد الميلاد وفى ظرف مدة قليلة جعل سيدا ايطاليا لحد مدينة رافنه ورومة وأما مدينة باويه فانها قاومته وحدها فى حصار نصبه عليها امتد نحو ثلاث سنوات ثم تغلب عليها عنوة فى سنة ٥٧١ بعد الميلاد وجعلها عاصمة المملكة اللومباردية وقسم المملكة الى ثلاثين دوقية وما تمتع علبوين بثمرات مظفراته مدة طويلة بل اتفق أنه من بعد اصلاح وترتيب فتوحاته الجديدة صار علبوين أضحية لخيانة أنثى وذلك انه أولم فى سراية مدينة فيرونه وليمة لرؤساء جيشه كان تناول الشراب فيها على حسب درجات الرؤساء ومن بعد أن شرب الملك عدة أقداح من الشراب طلب

بجمجمة كونيموند وكان زخرفها بالجواهر والاحجار وجعلها طاسة شراب لنفسه فهال رؤساء
اللومبارديين عند تناولهم الشراب فى كاس النصر هذا فقال الملك علبوين للساقى املأ الكاس املأ
الكاس لحد شفته وناوله الى الملكة لتشربه فى محبتى وتفرح بأبيها فتمكن الغضب والحنق فى قلب
روزموند فقالت أنا مطيعة لكل ما يأمر به سيدى ومولاى ولعنته فى قلبها وعزمت على أنه لا يغسل هذه
القباحة والوقاحة الادم علبوين نفسه وشرعت من هذا الوقت فى ترتيب ثورتها باتحادها مع هلميش
حامل سلاح الملك ومحبوبها على قتل زوجها وانتظرت حتى وجدت الوقت الموافق لغرضها ولما أكل
الملك وشرب شربا زائدا وملأ السكر مخه قام من مائدته ودخل قاعة نومه فقابلته روزموند بكمالنتها
ورتبت ما يلزم لراحته وأقفلت أبواب السراية وطردت الخدامين وأخفت سلاحه وأمرت الثائرين
بالدخول وقتله فقتلوه فى سنة ٥٧٣ بعد الميلاد ودفنوا جسمه فى بيت سلم السراية وكان لروزموند طمع
فى السلطنة باسم محبوبها وارتعبت مدينة فيرونه وسرايتها من سطوتها واستعدت شرذمة من أصدقاء
قومها من الجبيديين وهللوا بأخذ ثارهم ومساعدة مطاليب ملكتهم فقام رؤساء اللومبارديين على الفور
وجمعوا قواهم وقووا أنفسهم وطلبوا باتفاق أصواتهم توقيع أحكام العدل على الزوجة المجرمة والذين
قتلوا ملكهم فتداركت روزموند أمرها بهالى أعداء بلادها ومن بعد أن شحنت فى مركب كافة
الاسلاب والاموال التى كانت موجودة فى سراية فيرونه نزلت فى نهر أديجة ومنه الى نهر البو حتى
وصلت سالمة الى مينة رافنه مع محبوبها هلميش فانشغف لونجينوس النائب من جمال الملكة وكثرة
أموالها وقدم لها يده للزواج بها فشرعت فى قتل محبوبها هلميش بسم دسته له فى شراب فشرب
هلميش من الكاس وكشف خيانتها فوضع رمحه فى صدرها وأمرها بشرب الباقى الموجود فى الكاس
فشربته ومات قبلها ببرهة قليلة ومن بعد موت علبوين وزوجته روزموند سافرت ابنتهما الى
القسطنطينية ومعها الذخائر والكنوز والغنائم اللومباردية وعقد اللومبارديون مجلسا حافلا فى
مدينة باويه اتفقوا فيه بحرية الاصوات على انتخاب كليفو أكبر قوادهم وأشرافهم خليفة من بعد
علبوين فى أوغسطوس سنة ٥٧٣ بعد الميلاد ومن قبل مضى اثنى عشر شهرا وفى راويه ثمانية
عشر شهرا ارتج التخت وقتل كليفو بواحد من خدمه فى سنة ٥٧٤ بعد الميلاد واستمرت فترة
خالية بغير ملك مدة عشر سنوات من موت كليفو وقع فيها الاختلال والارتباك وقبض كل رئيس على
بعض من المدائن لنفسه وهى المدة التى كان فيها عوتاريس بن (كليفو) طفلا صغيرا وابتليت فيها ايطاليا
بالضيق والاهوال فكان تضجر وتألم الامبراطورات الشرقية شديدا عليهم عما بلغهم من الاخبار باهانة
ايطاليا وأهلها وطلبهم من الامبراطورات المساعدة والخلاص من أيدى المتبربرين وتسلطن القحط
فى ايطاليا وعدم النظام حتى عرضت رومة نفسها على التخت الامبراطورى بحرية ألفاظها تقول
ان لم يكن فيك قابلية لخلاصنا من سيوف اللومبارديين فبالأقل خلصنا من غوائل القحط
ومصائبه فعفا الامبراطور طيبريوس عن القدح فيه وأسعف رومة بغلال نقلها من مصر الى فم نهر
الطيبر واستمدت الامة الرومانية فى رومة بامدادات القديس بطرس وقاموا على المتبربرين وأخرجوهم
من أسوار مدينتهما الا أن هذا الخلاص كان عارضيا فقط وازداد الخطر وكبست الاهوال فجمع القسس
وأرباب السناتو ما كان باقيا عندهم من أموالهم وذخائرهم القديمة مبلغا قيمته ثلاثة آلاف ليرة وأرسلوه
مع الوجيه (بمفرونيوس) الى القسطنطينية ليعرض هديتهم وما هم عليه من المصائب الى أعتاب

التخت البيزانطى وفى هذا الوقت كان الديوان والقوى الشرقيسة موجهين لتفاتاتهم الى الحروب الفارسية فاقتضت عدالة الامبراطور طيبريوس بعود المبلغ من أجل المدافعة عن المدينة والمحافظة عليها وصرف الوجيه بغفرونيوس ماعنده من أعظم النصائح وأجود المشورات وقال له الاصوب اما ان ترشى رؤساء اللومبارديين وقوادهم أو تشترى مساعدة ملك فرانسا ومن هذا العجز والوهن امتلأت ايطاليا بالغارات والمفاسد وحوصرت رومة مرة أخرى ونهبت الضواحى والجهات وتكاثرت القسس والنواب فى القسطنطينية فعقد الامبراطور موريس مجلس المداولة فى مسئلة ايطاليا وقرر ماقرره الامبراطور طيبريوس سلفه وكان فى هذا المجلس الشماس جريجورى نائبا عن الكنيسة والامة فأدى مايجب عليه من الواجبات الدينية والدنيوية فى الديوان البيزانطى بشأن خلاص رومة من اللومبارديين والامة الايطاليانية من المتبربرين فكان هذا على غير طائل فرجع جريجورى الى بلاده وحث الفرنك على غزو ايطاليا والاغارة عليها وكان بعض القواد اللومباردية أغار على الجهات الجرمانية من وراء جبال الالب فاستلم الفرنك دروب الجبال الالبية وعزم شلدبرت بن حفيد كلوفيس على حرب ايطاليا فى مقابلة أغارات اللومبارديين على أملاك الفرنك ولما عرف اللومبارديون وتحققوا بأنه لابد من وقوع حرب بينهم وبين الفرنك تخلوا عن استقلاليتهم وعدم انتظام حالتهم وقرروا فيما بينهم باتفاق آرائهم أن مزايا وفوائد الحكومة الواحدة القانونية مقصورة على الاتحاد والكتمان وشدة العنف والشهامة وارتقاء السلطنة والشوكة وكان عوثاريس بن (كليفو) بلغ القوة والصلابة واشتهر اسمه فى الحرب فقام فاتحوا ايطاليا فى جامعة واحدة ووضعوا تاج ملكهم على رأس ملكهم الجديد وساروا تحت بيرقه وقاوموا ثلاثة حروب متوالية وقعت بينهم وبين الفرنك أحدها مع شلدبرت نفسه وكان هذا الملك آخر ملوك الجنس الميروفنجيانى ونزل فى ايطاليا من جبال الالب فى جوع من الفرنك والالمانيين فهزمه اللومبارديون شرهزيمة وقيل ان أصل هزيمته تباغض وقع بين الفرنك والالمانيين ثم غلبوا فى حرب ثان دموى بخسارات جسيمة وخسران شرف ماراوا مثله من ابتداء تشييد سلطنتهم ثم عادوا الحرب الثالث بقوى عديدة وعمليات شديدة فأخلى عوثاريس لهذا التيار الشديد الجريان وفتح المجرى ووزع العساكر والخزائن اللومباردية فى بروج ومدائن حصينة بين جبال الالب والابنين وترك هذه الجموع تموج فى بعضها فى تغيير حالة الطقس وعفونة الاهوية وفساد الاراضى والموقع فلاقوا أشد الاخطار وقاموا على العشرين قائدا رؤسائهم وخرجت عليهم حرارة شمس ايطاليا فأصابتهم الامراض وحاق بهم القحط فولوا على أدبارهم ناكصين وعلى أعقابهم الى بلادهم راجعين مهزومين ومد الملك اللومباردى المنصور ملكه الى حد الطرف الجنوبى بحيث جزيرة وشيد فى هذه الجهة دوقية بنوبطو المشهورة ومات فى سنة ٥٩٠ بعد الميلاد ولم يخلف ذكرا برثه فعهد اللومبارديون الى أرملته طيود ولينده بانتخابها بنفسها من يكون خليفة من بعده فحت التاج على (اغيلولف) دوق تورين وتزوجت به فتسلطن الى سنة ٦١٥ بعد الميلاد وأدخلت طيود ولينده زوجها وكثيرا من رعاياه فى الدين الكاثوليقى وأخرجتهم من الدين الوثنى الاريانى فكافأها البابا جريجورى الاكبر بتاج حديد مشم ومحفوظ لحد الآن فى الكنيسة الكبرى لمدينة ميلان وقيل انه عمل من مسمار واحد من مسامير الصليب الحقيقى

ومن هذا الوقت صارت ايطاليا بين نيابة راونه وملوك اللومبارديين فكان حكم النائب الامبراطورى

على

على الجهات الشرقية من جبال الابنين من نهر البو الى اتقونه وكانت رومة مع الجهات المحصورة بين طراسينة وسيفينه برفكسيه ودوقية نابولى وجزائر سيسيليا وقورسقه وسردينيه وأراضي الجمهورية الصغرى فى فنيزيا تحت حكمه أيضا ثم صارت دوقية نابولى مستقلة من بعد قليل من الزمن وان كانت معترفة اسميا بطاعة الامبراطور وأما المملكة اللومباردية فكان داخلا فيها ايطاليا الشمالية ودوقيتى سبوليطوم و بنونطو وصار اللومبارديون بمعزل من الامة الايطاليانية واستحقروهم من جبنهم وضعف همتهم مهما عاملوهم بالعدل ومع ذلك فانهم انتفعوا من مجاورتهم واتحادهم معهم بالتمدن والحضارة وكانت المملكة اللومباردية فى ايطاليا دار أمن ونجاح وكانت قوانينهم المدنية التى نشرها الملك روطاريس وكانت قوانينه مدة سلطنته فى القرن السابع من أجود قوانين الامم المتبربرة وفى هذه الاعوام غرقت رومة فى بحر الجهالة وما مضت مدة قليلة على عاصمة ايطاليا حتى سقطت وضعفت وصارت فى عداد المدائن الثانوية وكان المتبربرون يجهلون تاريخ أصلها ومنشئها وما كان لهم دراية باسماء كبار الرجال الذين حازوا مجدها وفخرها وصار لا وجود لشئ يجذب التفات الناس اليها الا شئ واحد فقط وهو مقر أسقف رومة فكان الرومانيون يرون أن هذا المقر هو المدافع والحامى عن الدين الاورثودكسى الكاثوليقى وعلى حسب ضروريات الاحوال وصروف الازمان صار هذا المقر أورئيسه الديانى حاكما مدنيا وروحانيا فى مدينة رومة العتيقة والاراضى التابعة لها وما كان هذا الاسقف حاكما مستقلا بل كان كخادم للامبراطور الشرقى فكان كلما زاد مجد الكنيسة اللاتينية وفخرها زادت شوكة الاسقف الرومانى أو البابا تبعا لها ومع ذلك كان لحد هذا الوقت تابعا للامبراطور فى المحافظة من الامم البرابرة ثم صار تحت أوامر العامل وأحكامه الا أنه ما اكتسب المحافظة على نفسه ولا على مدينته من الشوكة التى كان معترفا بالطاعة لها فان اللومبارديين هددوا رومة وأزعجوها وما تمكن الامبراطور من شئ غير اغوائه الفرنك على الغارة عليهم وما كان لنائبه طاقة على توصيل أدنى أذى لجيرانه أرباب الشوكة وكسوا بكل ما فى طاقتهم على الاراضى الامبراطورية وفى غضون ذلك نال مركز القسوسية الرومانية مزية عالية بصعود جريجورى على التخت الباباوى ولقبه خلفاؤه بلقب الاكبر وكان جريجورى هذا شريف المولد وبهذا الشرف وما كان عليه من جودة العقل صار توظيفه والى المدينة فنسخ كافة الاحتفالات والتشريفات المدنية ودخل فى حياة دينية ولما صار شماسا أرسل نائبا فى مركز القسوسية الرومانية فى الديوان البيزانطى ومن ذكائه وجودة أفكاره لقب بلقب القديس بطرس الذى هو لقب شرف استقلالى ما سمح به لاحد غيره فى الشرف الاعلى للملكة ولما عاد الى رومة مع زيادة الشهرة صار ارغامه من بعد قليل على الجلوس على التخت الباباوى باتفاق الامة والسناتو وامتدت رياسته الاسقفية الى آخر القرن ودخل فيها أربع سنوات من القرن السابع واشتملت على أعظم مدة جليلة فى تاريخ القرون المتوسطة فكان كثيرا ما يصعد على منبر دار القسوسية ويشعل مع الجراءة والحرية نار الانفعالات النفسانية فى قلوب الحاضرين بفصاحة كلامه وخطابته ومن تشريعه وسننه تحددت مذاهب وسنن الصلاة الرومانية وتوزيع وظائف القسس ومراكزها وتحديد مواعيد المواسم والاعياد وتعلم الاحتفالات الدينية وخدمة القسس والشمامسة والتغيير فى ملابس القسس والبطارقة واستمر الى آخر أيام حياته قائما بوظائف صلاة القداس فكانت تستمر زيادة عن ثلاث ساعات

وتولد من الترنمات والمغاني الطربجورية حفظ المغاني والاصوات وآلات الموسيقى في التياترات ومحلات الملاعب واجتهد المتبربرون بأصواتهم الخشنة في تقليد هيئة المنوال الروماني وكان وتنبوا ايطاليا واسبانيا في مدة باباوية جريجورى الاكبر في مسألة وموافقة مع الكنيسة الكاثوليقية وكان لجريجورى الفخر الاكبر في فتح بريطانيا زيادة عن ماله القياصرة من الفخر وحفظ جريجوري لدار القسوسية الرومانية مجدها واستقلاليتها مع الثبات من خرابيش بطارقة القسطنطينية وتعديهم عليها وفي حالة ما انشر بطريرك القسطنطينية مناشيره بانقياد عموم الكنائس المسيحية اليه وأما بطريقها الاعظم فقد قابل جريجوري طلبه بحجة عالية قطعية ودلائل جازمة قوية أثبت فيها استقلالية نفسه وأطفأ شوكته وأخمد نفسه وكذا جميع المراكز الاخرى القسوسية وقال اني أعلنت هذا على أن كل من آهام نفسه قساعاما أو حصل في قلبه مثقال ذرة من عجب أو كبر كان هو المسيح الدجال المنتظر وما قيد جريجوري نفسه ولا ربط جسمه في أن يكون هو الحافظ صاحب السلطة والشوكة على الامة الرومانية بل كان حاكمها الدنيوى لما كان عليه من التدبير والحزم وهو الذى رمى أساس البناء الاكبر للدولة الباباوية الدنيوية مع الظفر التام وبواسطة تدبيراته وذكائه وحزم رأيه خلص رومة من الطاعون والقحط العام وعقد محالفة مع جارها الجنوبي صاحب الشوكة والبأس دوق سبوليطوم ومن ثم حفظ أراضيه في تلك الناحية وحاذر على حماية حده الشمالي من اغارات اللومبارديين ومن ذكائه وجودة أعماله جعل هذا البابا مركزه موقعا مستقل العمل والنفوذ سائر المواد الدينية والدنيوية في ايطاليا وبدخول كل من الملكة طيودولينده وزوجها اغيلولف في الديانة المسيحية انتقلت حالة اللومبارديين من العداوة الى المحبة وتمتع الايطاليانيون بمدة سلمية كانوا في أشد الاحتياج اليها

وفي مدة القرن السابع كانت حالة ايطاليا مكدرة يؤسف عليها فكان اللومبارديون حاكمين أراضيهم مع الحزم والثبات الآن حالة الحكومة النيابية الامبراطورية كانت واقعة في حكومة فوضوية مكدرة وفي مدة هذه الحكومة ما كان يعرف فيها الحقوق الانسانية ولا الواجبات الشخصية المرعية وكان القوي يرى انه قادر على فعل أى شئ فجعلوا دأبهم التغلب والسلب والنهب والفساد في أعمالهم الاصلية وفاضت الامواج بعد الامواج وعلت على سطح المملكة الرومانية القديمة وتلاطمت مع بعضها فدرست ومحقت كافة آثار المدة القديمة التى كانت المحافظة عليها في المدائن المشهورة فتجردت هذه المدائن من مجدها القديم وقلت سكانها من بعد أن كانت كثيرة بسبب تجريدهم من أراضيهم وأملاكهم واجتمع الذين هربوا من المدائن سوية وعضد بعضهم بعضا فكانت أحوال التجارة جارية لكنها كانت عرضة لنهب طوائف مناسر لصوص جهرية من طرف المفسدين من الرؤساء فكان هؤلاء الرؤساء المقبوحون مستوطنين قلاعهم ومعاقلهم فوق المرتفعات الشامخة من جيرة البلاد فمن ثم خرب الكثير من جهات المملكة وصار قفرا اليس فيه أنيس وتركت الاراضي لسعادة الخصوبة الطبيعية فنبتت فيها الاورمانات والغابات وكثر فيها السباخ والمستنقعات وصارت الانعام والمواشي ترعى في وسيع كلا مباح موجود في أراضي المملكة وكان يرعى هذه الاغنام والانعام طوائف رعيان مسلحة من الرقيق قاطنين خلفهم مستوطنين في ميادين مراعيها في عيشة مثل العيشة التى كان عليها قدماء أجدادهم على منحدرات وسفوح جبال التتار وما كانت هذه حالة

ايطاليا وحدها بل كانت حالة جميع جهات أوروبا

ثم تولد من هذه الظلمات ومن طرح الزراعة فى زوايا الاهمال وضياع فنونها بالكلية مولود جديد أحيا الزراعة وشغل الناس بمكاسبهم وعيشتهم وذلك انه كان تشيد فى جهات مختلفة من ايطاليا ديورة وصوامع سكنها رهبان من البنديكتيانيين فلما عرف مؤسس هذه الطائفة القديس بنديكت أن الضرر والاذى المتسلطين ناشئ من وجود جمعيات تحت سقف واحد من كسالى الناس أمر أتباعه وأوصاهم ونصحهم بأن ينظروا الى التراخى والكسل بعين العداوة والسخط الاكبر ويعكفوا أنفسهم على زراعة الارض ويرموا عن ظهورهم الحالة التى كانت أصل الضرر والاذى وحثهم على أداء الواجبات المختلفة المخصوصة بأعمالهم الداخلية فى معابدهم وصوامعهم وأن لا يشتغلوا أى وقت من الاوقات بالملاهى التى تعطلهم عن دراستهم الواجب عليهم أداؤها وصلاتهم وأدعيتهم فى أوقاتها وقال لهم ان الشخص الاكثر نفعا لغيره هو الذى يشتغل بيديه أو يكون تابعا للحراث فى سيره ليتيسر له الحصول على الغذاء اللازم للانسان فتولد من هذه التعليمات الحسنة المحافظة على أدائها والاشتغال بها حتى صارت الاراضى التابعة للديورة والصوامع أعظم زراعة وأحسن فلاحة من عموم الاراضى الموجودة حولها وانموذجا لكافة الفلاحات والزراعات وأخذ الرهبان ما ألقى عليهم من المواعظ والحكم بالقبول بقلوبهم وكدوا بأجسامهم مع المداومة فى الاعمال والاشغال الزراعية وتقدمت زراعة الاراضى تحت مباشرة الكنيسة وارتفع شأنها ودخلت فى حالة مقدسة بصاحبتها الرهبان والعباد ومحافظتهم عليها ولما انتشرت الطائفة البنديكتيانية فى الغلية والممالك الاخرى أخذوا معهم هذه الفوائد الجليلة ونشروها فى كل جهة توجهوا فيها وأثنى الملوك على رجال القديس بنديكت من أجل أدائهم هذه الخدمة الجليلة لرعاياهم وأفاضوا على الديورة والرهبان المنح والامتيازات الجليلة حتى صاروا فى حماية واطمئنان وكانت منح الامتيازات شاملة أراضيهم وكنائسهم فكان يجر بجورى الاكبر أقوى انسان تجاسر على المناضلة عن هذه الاملاك المقدسة وقت اغتصابها وأخذها من الكنائس والديورة وجاءت عقب ذلك أعمال أخرى وشكل القسس والرهبان طائفة كبيرة وتراكمت عليهم الاحسانات من كل جهة وصار واحر باواحدا تابعا للكنيسة ثم صدر منشور فى مجلس عقد فى مدينة باريس سنة ٦١٣ بعد الميلاد بان كل قسيس حصل منه معارضة ضد القانون العام فلا بد من محاكمته فى محكمة مختلطة مؤلفة من قسس وعوام ثم بعد مضى قليل ألغى هذا المنشور وأحيلت قضايا القسس ومنازعاتها على الكنيسة

وما كانت الديورة والكنائس والصوامع ملاجئ للفارين فقط بل كانت محلات لاكتساب علوم ومعارف فى المدة الحالكة المغطاة بسحائب الجهل والبطش ومع ما كانت عليه من حالة التهذيب ونشر الآداب وخدمة العلوم التى أحييت الانقراض الرومانى فانه توطد فيها الامن ووجدها الطلبة والمتعلمون ملجأ أمينا وحصنا حصينا من الشوكة والانتقام وكانت محلات رحبة خالية عن الارتباك وتشتت الافكار وحصول طوارئ تخطر للطلبة والمدرسين على بال فى أثناء دراستهم ما يتعلق بتهذيبهم وتربيتهم وكان ذلك مرعى الاحترام عند عموم الطوائف وشكل القسس أعظم شوكة فى الحالة التى ما كانوا فيها هم الطائفة الوحيدة فى المملكة ولا شئ يضاف فى الحقيقة ونفس الامر فى مبادى القرن السابع لسلطة ونفوذ رؤساء الكنيسة زيادة على الحالة التى كانت فيها منافعهم وأعمالهم

معضدتمن أخوانهم المجاورين لهم والبعيدين عنهم ومن أساقفة وكبار القسس والبطارقة الموجودين فى أى جهة بعيدة كانت أو قريبة فكان اذا رأى رئيس دير أو رهبانية حالة تزدرى بهم على شواطئ نهر الصين مثلا يدخل عموم الرهبان الاخر ورؤساء الديورة فى أمرهم مهما كان بعدهم منهم وكانت سرعة المواصلة بينهم من خوارق عادات ذلك الوقت فكان فى كل دير كثير من الاخوان الشبان أهل الكد والنشاط يعبرون السكك المخيفة والجهات المقطوعة بالمكاتيب والرسائل ويعود على الفور بجوابا تها وردسؤالاتها ويرتاحون فى حال سفرهم فى مراكز ومحطات مشيدة على ذمتهم آمنة منتظمة فكان المجلس فى مدينة لباتون يأخذ أخبار الحوادث فى أقرب وقت من مدينة بروفنسه والمكتوب المرسل من الدير الغربي يجرى قراءته وامعان النظر فيه و يعطى الجواب عليه ويسلم الساعى ويرجع بالثانى عابرا كافة الجهات والسكك والمسافات الموجودة بين الديورة فى اكرام وقرى فى ضيافة المحلات المختلفة الديانية الموجودة على قارعة سبيله و يعامل فى كل منها بالشفقة والاخوية ومن هذه الحالة صارت الديورة مركز الاخبار والحوادث وتعليم العلم والآداب واستمرت على ذلك مئات من السنين لا تدرى أمتها الوحيدة شيأ من أفكار الامم الاجنبية وما عندها شعاع معرفة بالممالك البعيدة بل غرقت فى لبس القلانس والفرجيات الطويلة وانتزع من قلوبهم حب الدنيا وغرقوا فى بحر الاستغفار والعبادات

ولا يجب علينا أن نفرض أن الكنيسة سلمت من طوفان الجهل العام الذى فرش سحائب ظلماته على الدنيا الاوروباوية فان مصائب المطامع المختلفة صبت على الطوائف حتى قام بعضهم على بعض وبما ان الكنيسة نشأت على الفوز والنجاح دخلها الفساد زيادة عن الكل واختفى طالب العلم الذى كان منقطعا فى تعليمه لطلب القسوسية وقصر الاسقف الذى يدرى القراءة والكتابة فقط وفسدت حالة الاسقفية واشتهرت بخبث العيشة الدنيوية وهرب العلم من الكنائس والديورة الى أماكن مهجورة أمن فيها على نفسه من المصائب والكبائر وانتشر بين الاساقفة المنازعات وحاق بالرهبان مصائب المشاحنات وأضرت الاساقفة بالعباد وجاروا عليهم وعاملوهم بأشد العناد وظلموهم وتعدوا عليهم ومدوا أيديهم بالجور اليهم فدخل البابا فى أمر الرهبان ودافع عنهم بالحجة والبرهان وجعلهم تحت حمايته الخصوصية وأعتقهم من الجور الحاصل من أساقفة بلادهم وجعلهم تابعين له مباشرة وهو المسؤل عنهم والمسؤلون لديه ومن هنا حاز للبابا العمل الوحيد والتعاضد الاكبر من جميع هذه الطائفة القوية الموجودة فى أوروبا فكانوا أينما توجهوا رفعوا البابا الى أعلى درجات الشوكة الارضية وزعموا انه هو القوة المؤثرة الفعالة على سطح الكرة الارضية وشرعوا معا الجبة والحماس فى مدحه والثناء عليه وخطبوا فى حقه الخطب السنية حتى رفعوه الى درجة علية زيادة عن درجة البشر فى السلطنة والنفوذ والتغلب على كل مبتدع منبوذ فما كان يحصل للخطباء من رؤسائهم أدنى معارضة وغرقوا فى بحر جهلهم ودخلوا فى مشروعات همجيتهم بما حصل عندهم من الطمع ودخل العامى والسفيه فى وظائف الاسقفية وكان أساس الكل محنة و بلية وصار كل من القسس والعوام آلات تقدم و جمع أموال ومن ثم صار الحبر الاعظم الموجود على فم نهر الطيبر محفوظا لاخوف عليه من ضرر يأتيه أو طامع يرميه وكان ضعفه وعيوبه ونقائصه مجهولة وفى محاورات على الدوام مع القسس والاساقفة مذمومة بسبب ما هو حاصل لهم من ذم الرهبان و بعد جمع الاموال وعدم

الاطمئنان ونشر الرهبان حماية البابا لهم فى كافة الممالك والاراضى الموجودة فيها الديانة المسيحية وقامت الشوكة البابا وية والنفوذ الشخصى للبابا تحت قاعدة ثابتة أقام عليها البناء الاكبر لمطالبه الدنيوية

ولحد مبادى القرن الثامن من التاريخ المسيحى ما اعترف الامة الايطاليانية بانهم رعية للبابا ومع أن الامبراطور تركهم من محافظته لهم وأسقف رومة كانت أحوجته ضرورة الاحوال بالنسبة لما هو حاصل فى رعيته الى أن يجعل نفسه ملكا دنيويا عليهم الا انه ما تردد فى المحافظة على استقلاليته من النائب الامبراطورى معترفا بطاعته للامبراطور الشرقى ولما شرع ليو الثالث الامبراطور فى حرب تكسير الاصنام والتماثيل كان هذا المشروع ضربة فاصلة على ما كان مرعيا من الاعزاز والمحافظة على الطاعة عند الكنيسة الكاثوليقية فكانت المعارضات والمقاومات التى تولدت من هذا المشروع فى ايطاليا أشد وقعا من الاعمال التى حصل منها الثوران فى الشرق وسعى البابا جريجورى الثانى فى تنازل الامبراطور عن مشروعه فخاب مسعاه وما قبل مع الجراءة والجسارة باسم الكنيسة الغربية التصريح بتنفيذ الامر الامبراطورى المتضمن نزع التماثيل وكسرها فمن ثم انفتح خرق بين المملكة وايطاليا وأخذ فى الاتساع يوما فيوما ولما جلس جريجورى الثالث على تخت البابا وية أثبت لنفسه أنه هو المدافع والحامى عن التماثيل والاصنام الى آخر نفس منه وكان صعوده على كرسى البابا وية فى سنة ٧٣١ بعد الميلاد دوزين الكنائس الموجودة فى رومة وزخرفها بأجل التماثيل والصور وفى نحو هذا الوقت بذل الامبراطور جهده وما فى طاقته بحالة اليأس والقنوط فى عود سعادته وسيادته فى ايطاليا وخلاص النائب عوطيخيوس المحصور فى راافنه بدون مساعد له ولا معين وقهر البابا العاصى وايطاليا وصيرورة الكل تحت طاعته فأرسل تجريدة قوية على أسطول كبير تحت قيادة مانيس أحد بارعى القواد له خبرة ودراية بالحرب فخرج على الاسطول ريح عاصف وتلاقيح شديدة فى البحر الادرياطيقى فضاع القسم الاعظم من السفن ورأى عباد التماثيل الموجودون على شواطئ كلبرية سواحلهم ملآنة بألواح وآثار أسطول تكسير الاصنام وما نال المملكة الشرقية من هذا الوقت الا خسرانها نهائيا ايطاليا فضلا عن ضياع أسطولها واستمر عوطيخيوس مدة من الزمن يعانى أخطار موقعه وأهوال مركزه فى راافنه بين البابا واللومبارديين والفرنك ومن بعد مضى عشرين سنة ترك مركز حكومته وفر هاربا الى نابولى

ثم نكثت مادة الصلح بين البابا واللومبارديين وكان السبب فى فسخها تغلب ليودبرند ملك اللومبارديين على راافنه وشرع فى التغلب على الاراضى الرومانية فعقد البابا جريجورى الثانى مع الفنيزيانيين واستخلص المدينة والجهات التى تغلب عليها اللومبارديون وساعده الايطاليانيون فى كل ناحية على الامبراطور واكتسب الامبراطور عداوة كبيرة من الايطاليانيين بسبب ما صدر منه من الاوامر فى شأن تكسير التماثيل فتداخل الفنيزيانيون مع الصداقة وحض جريجورى نفسه على صرف النظر عن الجريمة الشخصية التى فعلها الامبراطور وعدم دخولها فى الامر العمومى أو فى الحالة العمومية للمملكة الرومانية وكان جريجورى مترددا فى خلع طاعته ونكث بيعته الا أنه كان محتاجا لحليف يساعده على اللومبارديين وكان الجريق فى المحافظة على الجهات أقل بكثير من الضرر الحاصل من اللومبارديين فدخل الامتان المبغضتان لبعضهما فى الدين فى محالفة خطرة وحشية وسار ملك

اللومبارديين والعامل الامبراطورى بقواهما الاجل التغلب على مدينتى سبوليطو ورومة فكانت هذه الغارة على غير طائل وثار عجاج بخارها من دون تأثير الى الجو الا أنه حصل من اجرا آت ليودبرند ملك اللومبارديين رعب فى ايطاليا وكدر فى عيشة أهلها فنهم من حارب ومنهم من تارك وعاهد ومن بعد موت ليودبرند أعلن خليفته أستطولفوس أنه عدو لكل من الامبراطور والبابا وأخضع مدينة رافنه بالقوة والخديعة ومن ثم كان هذا التغلب الاخير سببا فى انقراض تعيين النواب الذين جرى توظيفهم من طرف الامبراطور من عهد يوسطنيان وفى مدة وجود الدولة القوطية ومن بعد مارها وطلب اللومباردى المصور من رومة الاعتراف بانه ملكها القانونى وضرب الخراج والجزية على كل مدينة رغبت فداء نفسها والسيف على كل مدينة حاولت طاعته وقابلته بعصيانها

وكان جريجورى الاول فى العهد السابق استغاث فى أثناء تضجراته ومصائبه من اللومبارديين بمساعدة شجاع العصر شارل مارطيل وكان حاكم السلطنة الفرنساوية بلقب شيخ أودوق وكان خلص مملكته ويحتمل كافة أوروبا بنصرة واحدة حصلت له على العرب المسلمين وكانوا نزلوا على فرانسا من نواحى اسبانيا مع عبد الرحمن الداخل أول خلفاء بنى أمية فى اسبانيا وطردهم شارل من فرانسا فقابل شارل مارطيل رسل البابا جريجورى الاول بالكرم اللائق بهم الا أن اشتغاله بكثرة أشغاله وقصر مدة حياته منعاه من تداخله فى أمر ايطاليا الا بشفاعات ودية لا تأثير فيها ومن بعد موت شارل مارطيل تقلد ابنه بيبين وارث سلطنته وشهرته وفضائله مصلحة حماية الكنيسة الرومانية وظهر على هذا الملك الفرنساوى سيما محبته للفخر والديانة والابهة الا أن المضار والاخطار كانت متراكمة على شواطئ نهر الطيبر والاعانات والمساعدات على شواطئ نهر السين ومات جريجورى الثانى فى أثناء مخابراته مع ملك الفرنساوية وشرع خليفته جريجورى الثالث فى حرب شديد مثل سلفه واستمر البابا وملك اللومبارديين فى مشاحناتهما على ملوكية ايطاليا فضايق ملك اللومبارديين البابا مضايقة شديدة التزم منها جريجورى الثالث بطلب المساعدة من الفرنج مثل سلفه وقدم البابا القائد الفرنجى ملوكية الامة الرومانية مكافأة له ان دخل فى خلاصها وكان ذلك فى مدة شارل فقبل شارل هذه التقدمة لكنه مات فى سنة ٧٤١ بعد الميلاد من قبل أن يقدر على تمام شئ

ومن بعد مضى مدة من الزمن أى فى سنة ٧٥٢ بعد الميلاد لما تغلب استولف ملك اللومبارديين على مدينة رافنه وشرع فى الاغارة على الاراضى الرومانية شرع اصطفان الثالث فى شروع حسن وزار بنفسه ديوان لومباردية وديوان فرانسا قاصدا بذلك اما استرحام ضرر عدوه أو هياج غضب صديقه ومن بعد أن لطف ولين البأس العام بدعوات ومواعظ حكمية عاد مع رسل ملك فرانسا والامبراطور الجريقى وكان ملك اللومبارديين صلب الايلين ولا يخضع ولا يجمع الا أن تهديداته وارعاباته ما كان لها طاقة على تسكين شكايات البابا وتضجراته ولا على تأخير نجاح هذا الحبر فان هذا الحبر الرومانى عبر جبال البابنين مرة ثانية وأقام فى دير القديس موريس وأسرع فى أن قبض على اليد اليمنى لحاميه وهى يد ما حصل منهم أدنى تأخير ولا بطء سواء كان فى صحبة الحبر أو فى الحرب والمدافعة عنه وكان اصطفان مرعى المقام ومعتبر المكان بأنه خليفة القديس بطرس الرسول فعرض فى جمعية عقدت فى أحد الميادين على الامة الخاضعة المتدينة الحربية ما هو واقع فيه من العناء والاكدار من اللومبارديين ثم عاد عابرا جبال الالب لا بصفة مستغيث متضرع بل بصفة حربى فى رأس جيش من الفرنساوية

تحت

تحت قيادة نفس الملك پيپين ودخل پيپين ايطاليا فى فصل خريف سنة ٧٥٤ بعد الميلاد ومن بعد مقاومة ضعيفة حصلت من اللومبارديين استحصلوا من ملك فرانسا على صلح مهين لهم وأرغم ملك فرانسا ملك اللومبارديين على عود الاراضى والاملاك الرومانية الخاصة بالكنيسة وما تغلب عليه من الاراضى الرومانية وحلف يمينا أنه مايعود لمثلها بل يحترم حدود أراضى الكنيسة ولما ترك پيپين ايطاليا وخلت من الجيوش الفرنساوية نسى اسطولف وعده ورجع لما كان عليه وجدد الحرب على البابا وسار بجيوشه حتى عسكر أمام رومة وطلب من البابا (اصطفان) أن يسلم له نفسه فداء لسلامة المدينة فاستغاث البابا ثانية بمساعدة پيپين وقوى توسلاته بمكتوب كتبه الى الملك عن لسان القديس بطرس الرسول يذكر فيه ان الرسول يؤكد لاولاده المتبنين وهم الملك والقسس والامة الفرنساوية وأشرافها ان الذين يموتون فى أجسامهم أحياء فى أرواحهم سامعون مطيعون لصوت مؤسس الكنيسة الرومانية والوصى عليها من قبل المسيح وان العذراء والملائكة والصديقين والشهداء وجميع جيوش السماء تحضكم على هذا الطلب وتتوج مشروعاتكم وأعمالكم الصادقة بالثروة والنصر والجنة وان أهملتم وتركتم قبره ومعبده فعليكم العذاب والعقاب الدنيوى والاخروى فأجاب طلبه پيپين وعبر جبال الالب مرة أخرى وضايق اللومبارديين وقهرهم حتى ألزم اسطولف بشروط الصلح بتسليم مافتحه ومن ذلك النيابة وبنطاوليه ومن بعد أن أعلن پيپين بأن مشروعه فى هذا الحرب كان من أجل جلالة القديس بطرس أفاض على البابا كافة الاراضى التى استردها من اللومبارديين ومن هنا كانت هذه مبادى الملوكية الدنيوية لاسقف رومة واستمرت هذه السلطنة مع أسقف الكنيسة الرومانية الى حد سنة ١٨٧١ بعد الميلاد وكانت الجهة التى استحوذ عليها البابا مشتملة على نواحى راڤنه وريمينى وثلاث وعشرين مدينة أخرى داخلة فيها أراضى النيابة وبنطاوليه وهذه عرفت جميعها باسم أملاك الكنيسة ومنح الملوك الاجنبية الكنيسة عطايا وهبات من الاراضى حتى صار القسم الاعظم من مملكة ايطاليا مملكة أسقف رومة وتقررت حكومة هذه الاراضى باسم پيپين ملك الفرنساوية الا أن حكمها فى حالتها الراهنة وواردات محصولاتها الغنية كانت تحت يد البابا ومنح الحبر الاعظم على پيپين نظير هذا لقب سيد الرومانيين وصارت الحكومة مبهمة فى المدينة الا أنه مازال الاعتراف بطاعة الامبراطور موجودا بالاسم فقط فكانت سلطنة الامبراطور فى ايطاليا صورية فى الذهن وشوكة وسيادة ملك الفرنج لا تأثير لها لانه فى الجهات البعيدة من جبال الالب والبابا هو السلطان الحقيقى على ما كان باقيا من الاقليم الرومانى ومع هذا فكان فى درجة غير استقلالية لان ضرب النقود والادارة العدلية كانت جارية باسم ملك الفرنج وكان له أيضا حق النظر فى انتخاب البابا وجلوسه على كرسى القديس بطرس

ومن بعد موت پيپين صار تجديد الحرب على البابا من طرف ملك اللومبارديين (دزدريوس) فأغار على روماغنه وخرب المملكة وهدد رومة وأزعجها فاستغاث البابا دريان الاول بشرلمانيه ملك الفرنج ابن پيپين فى مساعدته فدخل شرلمانيه بقوته وشهامته غير مرتاع من الحرب فى ايطاليا فى رأس جيش قوى وتغلب على باويه من بعد حصار استمر عدة شهور وأسر دزدريوس وأطفأ مملكة اللومبارديين ودمرها وأضاف أملاكها الى ممالكه وفى مدة حصار شرلمانيه مدينة باويه صرف أسبوعا مقدسا فى رومة ومنح هبة أبيه پيپين للبابا فى سنة ٧٧٤ بعد الميلاد وفى سنة ٧٨١ دخل شرلمانيه ايطاليا

مرة أخرى المدافعة عن البابا من اتحاد حصل من أعداء البابا ومنافع الفريج وكان رئيس هذا الاتحاد كبيرا اسمه (أريغيسو) من اللومبارديين كان دوق (بنوفنطو) ومتزوجا بابنة دزديوس ولما ظهر شرلمانية فى ايطاليا أطفأ هذا الارتباك وأرغم العصاة على الطاعة وحسن الانقياد

ومات ادريان الاول فى سنة ٧٩٥ بعد الميلاد وانتخب ليو الثالث مكانه فكان لهذا الحبر الجديد أعداء كثيرة بين الاحزاب التى انقسمت بها رومة وتولد من عداوتهم له أن هجموا عليه فى شوارع رومة ورغبوا فى القتك به فى سنة ٧٩٩ بعد الميلاد فهرب الى مدينة سبولطيو ومنها الى بادربورن وكان شرلمانيه نازلا فيها مشغولا فى حرب مع الساكصونيين فتوسل البابا بمساعدة ملك الفرنك فى معاقبة أعدائه وعوده الى تخته واجتهد الاعداء فى المدافعة عن أمرهم باتهامهم البابا بجرائم وخطايا شديدة فما حصل من شرلمانية عدم قبول بل أوقف القضية حتى يحضر الى رومة ويفحصها بوجه العدالة واستمر فى احترامه للبابا وفى فصل شتاء سنة ٨٠٠ وسنة ٨٠١ بعد الميلاد سار شرلمانيه الى رومة وعقد مجلسا لمحاكمة البابا ليو الثالث والفحص فى مسئلته وظهر من نتائج التحقيق براءته وأعلن شرلمانيه براءة الحبر وفى يوم عيد سنة ٨٠٠ بعد الميلاد توج البابا الملك شرلمانيه مع الاحتفال والمراسم الزينية امبراطور الغرب وسنذكر تفصيل هذه الحوادث فى سلطنة شرلمانيه فى تاريخ جرمانيا ان شاء الله تعالى وكانت مملكة شرلمانية فى ايطاليا ممتدة من جبال الالب الى نحو الجنوب لحد طراسينه وكانت دوقية بنوفنطوم تدفع خراجا اليه الا أنها كانت فى درجة امتياز استقلال وما زالت مدائن غايطه ونابولى وجزائر سيسيليا وسردينية مع الاطراف الاخيرة فى كالبريه وأبوليا التى كان لها الدرجة العالية فى مملكة اللومبارديين معترفة بطاعة القيصر الشرق وفنيزه مشغولة بأعمالها على حيادة من الاعمال الايطاليانية ومن هذا الوقت وبعده ما كانت تعترف بامبراطورية امبراطور خلاف الامبراطور المتسلطن فى الشرق والله أعلم بغيبه وأحكم

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ من موت شرلمانيه الى موت البابا جريجورى السابع ﴾

استتباب الهدو والامن فى ايطاليا فى مدة سلطنة شرلمانيه ـ صيرورة لوثير امبراطورا ـ فتوحات العرب المسلمين فى ايطاليا الجنوبية ـ محاصرتهم رومة ـ هزيمتهم بالبابا ليو الرابع ـ مدينة ليونين ـ حروب مع العرب ـ دفع البابا جزية للمسلمين ـ الحروب فى شمال ايطاليا ـ صيرورة شارل السمين امبراطورا ـ سقوط مملكة شرلمانيه ـ خراب ايطاليا بالهنكاريين والنورمانيين ـ الارتباكات فى ايطاليا ـ تجريد الامبراطور أوطو الرومانيين من استقلاليتهم ـ ثورة كريسنطيوس ـ البابا سلوستر الثانى ـ مساعى المدائن الايطاليانية فى المحافظة على الاستقلالية ـ الحكومات المدنية ـ قيام الجمهوريات الايطاليانية ـ قيام المملكة الفنيزية ـ بيسه ـ جنويه ـ طرد النورمانيين العرب من جزيرة سيسيليا ـ تغلباتهم فى ايطاليا ـ ضبطهم البابا ومدافعتهم عنه ـ دمار التجارة فى ايطاليا الجنوبية ـ وقوع الفساد الاكبر فى الكنيسة ـ المجلس الكنائسى ـ هلدبرند ـ صيرورته بابا باسم جريجورى السابع ـ قوانينه ـ الحاحه فى الحض على عزوبية

القسس أي الرهبان ـ تولية المناصب والوظائف ـ توقيفها بواسطة جريجورى ـ معاملته العالية لملوك أوروبا ـ مشاحناته مع امبراطور جرمانية هنرى الرابع ـ توقيع الحرم الكنائسى عليه ـ خضوع هنرى ومهنته ـ زيارته البابا ـ المعاملة المهينة التى حصلت منه فى حق الامبراطور ـ تجديد هنرى الحرب ـ تقليده من نفسه بابا دجالا ـ كليمنت الثالث ـ خلاص جريجورى بالنورمانيين ـ موت جريجورى السابع

تمتعت ايطاليا فى حياة شرلمانيه بمدة راحة وسكون وهدو بال الا أنه فى أثناء الاختلالات التى حصلت عقب موته ذاقت وبال العناء وتحمل الآلام مع باقى المملكة وفى المعاهدة التى عقدت فى مدينة فيرونه سنة ٨٤٣ بعد الميلاد لقب لوثير حفيد شرلمانيه باللقب الامبراطورى وخصته مملكة طويلة ضيقة العرض واصلة من بحر الشمال الى الحد الجنوبى للممالك الايطاليانية التى كانت تحت حوزة جده فأشرك لوثير معه ابنه لويز وجعله حاكما على لومبارديه

وفى غضون ذلك شرع العرب المسلمون من بعد أن تغلبوا على جزيرة كريد بمدة طويلة فى فتح سيسيليا (صقلية) فاستمر الحرب معهم خمسين سنة وأخذ العرب سراقوسة وتغلبوا على جميع ديار الجزيرة فى سنة ٨٧٨ بعد الميلاد ومن قبل ذلك بمدة طويلة كان العرب شرعوا فى التغلب على البر الاصيل من ايطاليا

فأما تغلبهم على جزيرة كريد فكان فى سنة ٨٢٣ بعد الميلاد فى مدة سلطنة المأمون بن هارون الرشيد فى بغداد وسلطنة ميخائيل الجلج فى القنسطنطينية وما رأيت أحدا من مؤرخى العرب ذكره فى تاريخ له ولا تكلم عليه بسبب أنهم يجهلون شهرة جو بتير ومينوس الا أن مؤرخى البيزانطيين ما تركوا شيأ من الاعمال والوقائع التى وقعت فى ممالكهم وفى أزمانهم فذكروا فى تغلب العرب على جزيرة كريد أن فرقة من متطوعى الاندلسيين نفروا من حكومة اسبانيا فخاطروا بأنفسهم على سطح البحر وساروا فى عشرين سفينة مسطوحة فاشتهروا باسم لصوص البحر أو قاطعى سبله فأدخلهم حزب من العصاة فى مدينة الاسكندرية فقطعوا دابر الاحباب والاعداء ونهبوا الكنائس والمساجد وطردوا منها عامل الخليفة وباعوا ما ينيف عن ستة آلاف من أسرى المسيحيين واستمروا فى موقعهم فى عاصمة الحكومة المصرية حتى وصل اليهم الخليفة المأمون نفسه بقواه وقهرهم وطردهم منها فأوقعوا الخراب والسلب والنهب فى ساحل البحر الابيض المتوسط وجزائره من ابتداء فم نهر النيل الى بوغاز الهلسبون وما أبقوا على أحد من المسيحيين والمسلمين وأرعبوا سكان السواحل والجزائر بغاراتهم فرأوا بجزيرة كريد خصبة عامرة وذاقوا حلاوتها وطمعوا فى أرضها فعادوا بسرعة مغيرين عليها فى أربعين سفينة ونزلوها وجالوا فى أراضيها وحملوا ما نهبوه منها وعادوا من دون خوف بهذه المنهوبات الى ساحل البحر فرأوا أن ما كان تحت يدهم من المراكب صار حرقه وتدميره وأقروا واعترف لهم رئيسهم أبو كعب أنه هو السبب فى احراق المراكب فوبخوه ولاموه على ما حصل من فعله الشنيع وما وقع منه من الخيانة فقال لهم من أى شئ تغضبون وتضجرون انى أوصلتكم الى أرض تسيل لبنا وعسلا فهنا موطنكم وبلدكم الحقيقى ارتاحوا فيه من مشاق فلاحتكم واتركوا وطنكم القحل العقيم وانسوا نساءكم وأولادكم فما استحوذتم عليه من النساء الحسان الباهرات يحل محل أزواجكم فان أعتقتموهن صرتم

فى مدة قليلة آباء سلالة جديدة فكان أول موطن لهم هو موقع عسكرهم فوق مينة سودة فحفظوه من أعدائهم بخندق ومتراس ثم دلهم أحد العباد على موطن أحسن منه فى الجهات الشرقية من الجزيرة فارتحلوا من موقعهم الاول وسكنوا الموقع الاخير وسموا مدينتهم ومستعمرتهم باسم خانده فاشتق من هذا الاسم اسم عموم الجزيرة اشتهرت فى المدة الاخيرة باسم كنديه أو خانية وبلغ عدد المائة مدينة التى كانت عامرة زاهرة فى مدة حياة مينوس الى ثلاثين مدينة اشتهر منها مدينة سوده فكانت مركز البحرية ومقر الديانة المسيحية وأعاد مسلمو كريد أسطولهم الذى كان أحرق من أخشاب أورمانات جبل ادا ومن بعد مضى مائة وثمان وثلاثين سنة أغار عليهم ملك القسطنطينية فخاب فى هجومه وتشتتت جموعه وأما ضياع جزيرة سيسيليا أى صقلية وتغلب مسلمى العرب عليها فكان فى سنة ٨٢٧ بعد الميلاد وسببه على ماذكره مؤرخو الرومانيين أن شابا عاشقا اسمه عوفينوس كان سرق فتية جميلة من صومعتها من الراهبات وأزال بكارتها فصدر حكم الامبراطور بقلع لسانه من أصل حلقومه فهرب ومازال فى هربه حتى دخل جماعة عرب افريقيه وعاد سريعا فى أسطول مؤلف من مائة سفينة وجيش مركب من سبعمائة فارس خيال وعشرة آلاف من المشاة ونزلوا فى نواحى مادره بالقرب من خربات مدينة سلنوس القديمة وأغار المسلمون عليها وتغلبوا على مدينة سراقوسه فخلصها الجريق منهم وقتلوا منهم مقتلة كبيرة تحت أسوار سراقوسة وضايقوا الباقى من المسلمين حتى خلصت مؤناتهم وأكلوا لحوم خيولهم فوردت اليهم امدادات قوية من الاندلس وقهروا معظم القسم الغربى من الجزيرة واتخذوا مينة بالرمه العظيمة أساسا لشوكتهم البحرية وأعمالهم العسكرية البرية واستمروا فى حروب مع الجزيرة امتدت خمسين سنة وفى سنة ٨٧٨ بعد الميلاد كان تمام تغلبهم على سراقوسة وعموم الجزيرة وأقلعت الاساطيل الاسلامية من مينات بالرمة وبيزرطه وتونس وأغارت على نحو مائة وخمسين مدينة من أعمال كالبريه وكبانيه وصار لا قدرة لاهلها على حمايتها فنهبوها وخربوها وصار لا طاقة لها أيضا على حماية ضواحى رومة لا بأسماء القياصرة ولا المرسلين

وقد ذكر من وجه آخر أنه فى حالة ما كانت ايطاليا فى أشد ضعف وارتباك وخراب رومة أقلع فى سنة ٨٤٦ بعد الميلاد أسطول العرب من ساحل افريقه حتى دخل فم نهر الطيبر وقرب من مدينته حتى من بعد خرابها وضعف أهلها كانت معدودة أنها عاصمة الديانة أو الدنيا المسيحية وكانت أبوابها وأسوارها محفورة بامة مرتبكة فى حد ذاتها وأما قبور ومعابد كل من القديس بطرس الرسول والقديس بولص فصاروا عرضة على قارعة الطريق الواطيكانى وطريق عوسطية فكانت قداستهما المكنونة حفظتهم من الغوطيين والفندالبين واللومبارديين غير أن العرب ازدروا بكل من الانجيل ونسل هذين الرسولين وتقووا على اغاراتهم وسلبهم بآيات القرآن فسلبوا ما كان على الاصنام والتماثيل المسيحية من الاشياء النفيسة الغالية وقلعوا منبرا من الفضة كان فى مزار القديس بطرس وأخذوه وفى مدة حركاتهم فى طول الطريق الابيانى نهبوا مدينة فوندى وحاصروا مدينة غايطه وبعدوا عن أسوار رومة فسلم الكابيتول من نهب اغاراتهم ثم عاد هذا الضرر على رؤس الامة الرومانية وكانت قواهم البلدية غير كافية لصد العرب فجاسوا فى ايطاليا وخربوا معالم الجهات الجنوبية وحاصروا بعد ذلك المدينة العتيقة ولو اتحدوا وانضموا الى بعضهم لصاروا ماولك عموم الجزيرة فاستغاثت الامة الرومانية بملكهم اللاتينى لكنه كان مشغولا بحرب مع الامم المتبربرة فاستغاثوا وتوسطوا فى عود الامبراطور الشرقى

فكانت

فكانت المسافة طويلة عليهم وغير مؤكد عندهم مساعدة وزاد الطين وحلا على رؤسهم موت رئيسهم الروحانى والدنيوى فاقتضت حالتهم انتخاب بابا آخر فوقع الانتخاب باتفاق الآراء على ليو الرابع فكان على يديه سلامة الكنيسة والمدينة فشرع فى تعمير استحكاماتها وبناء أسوارها المهدومة ورمم الخرب منها وشحنها بالرجال والسلاح ثم وردت اليه الاخبار بانه صار هزيمة العرب ورفع حصار مدينة غايطه والذين نجوا منهم غرقوا فى أمواج البحر بما كان معهم من المنهوبات ومن بعد مضى قليل من هذه الاخبار انفجرت على الامة الرومانية غارة ضعف الغارة السابقة وهو أن الاغالبة الذين تسلطنوا فى افريقة وزنوا من آبائهم كنوزا وجيشا فسفروا اسطولا من سواحل افريقه مشحونا بعساكر عديدة قوية ومن بعد أن لبث هذا الاسطول قليلا فى مينات سردينية أقلع منها ورمى مخاطيفه أمام فم نهر الطيبر على مسافة ١٦ ميلا من المدينة والظاهر أنه على حسب ما كان عليه هذا الاسطول من النظام وتعداد العساكر ما كان وصوله من أجل اغارات وقتية وارعابات عمومية بل كان لطلب الفتح والتغلب فعقد ليو الرابع محالفة مع المدائن التى مازالت تابعة للامبراطور وهى غايطه ونابولى وأمالفى فاوقعت أساطيلها المتحدة هزيمة شديدة على أسطول العرب على مسافة من مينة عوسطية ومابقى من هذا الاسطول دمرته العواصف والتلاقيح وماتمكن ليو الرابع من منعه العرب من سلبهم الكنائس والمزارات الموجودة خارج أسوار المدينة فلما انسحبوا ورفعوا الحصار عن رومة قفل هذه القطعة وهى الثمن الواطيكانى الموجود فيه مزارا القديس بطرس والقديس بولص بسور من استحكامات قوية وسماها باسم مدينة ليونين تشريفا لذاته فى سنة ٨٥٢ بعد الميلاد

ولما تقدم الامبراطور لويز الثانى ودخل فى ايطاليا الجنوبية سلمت رومة نوعا من الغارات فيما بعد وفاز العرب فى تغلبهم على مدينة بارى وبها صار لهم الطاقة الكبرى على حكم البحر الادرياطيقى وكذا صار لهم شوكة شديدة فى ايطاليا الجنوبية فكان هذا الفوز سببا فى عقد محالفة واتحاد بين امبراطور الشرق بازيل الاول وامبراطور الغرب لويز الثانى وبالاتحاد قواهما معا طردوا العرب من هذا الموقع المهم فحاصر جيش لويز مدينة بارى من البر وهجم عليها الاسطول الجريقى من البحر وفى سنة ٨٧١ بعد الميلاد التزمت هذه المدينة بتسليم نفسها لهذا الهجوم المتحد ثم انه من بعد موت لويز زحف العرب مرة ثانية زحفا شديدا متساعدين فيه بدوقات نابولى وكان هؤلاء الدوقات عبيدا بالاسم لامبراطور الشرق الا أنهم ملوك مستقلون فى الحقيقة فى أنفسهم

وبمجرد موت لويز تتويج شارل الاصلع ملك فرانسا امبراطورا بواسطة ابن أخيه البابا يوحنا الثامن ولما كبس المسلمون على يوحنا وضايقوه مضايقة شديدة أرسل يحض الامبراطور ويستغيث به فى الحضور لمساعدته فما تداخل الامبراطور فى أمره فالتزم هذا الحبر على أن يشترى سلامة المدينة بدفعه خراجا سنويا للمسلمين

وكانت النتيجة الاصلية فى طرد العرب من مدينة بارى سببا فى احياء الشوكة الجريقية فى ايطاليا الجنوبية وكذا تسبب من ضعف حالة البيت الكرولنغيانى وعجزه فى البعث جزيرة أن صار لامبراطور الجريق طاقة على التغلب على عدد عظيم من القلاع والمعاقل التى كانت بيد المسلمين وعلى الاقليم المعروف بثيم لومباردى الممتد الى جهة الشمال لحد نهر سالبريغوم وكانت المدائن الجريقية نابولى وأمالفى وحكام اللومبارديين فى بنوبنطوم وقابوه فلا يعترفون بغير امبراطور الشرق فكان هو

ملكهم والسيد الحاكم عليهم الا انهم ما كانوا متمسكين بتبعته على الدوام وكان حكام التزامات أو مقاطعات ايطاليا الشمالية فى معزل من الحريق الموجودين فى الجهة الجنوبية فكان لا تداخل لهم فى هذه المدة الجليلة من تاريخهم وكان ما بقى من القرن التاسع مشحونا فى ايطاليا الشمالية بحروب بين ملوك الكرولنغيانيين بشأن السلطنة وعلو الشوكة والسودد وفى غلاق القرن كانت الدول الاصلية الموجودة فى شمال ايطاليا هى دوق فريولى وكونت طوسقانه وكبير الاساقفة فى ميلان وكانت طاعتهم لملك الكرولنغيانى فى ايطاليا اسما فقط ولما مات شارل الاصلع ضبط كارلومان ابن لويز ملك الفرنك الشرقية التاج الايطاليانى فاجتهد البابا يوحنا الثامن فى أن يجعل (بوزو) خصما للحزب الجرمانى وكان بوزو هذا صار انتخابه ملك بروفنسه وأرغم شارل السمين البابا على تتويجه امبراطورا ومن ثم حفظ النصر للحزب الجرمانى فكان لا شوكة للامبراطور الجديد على اتحاد الارتباكات والمصائب الحاصلة بين أشراف ايطاليا وعلى منع التعديات الحاصلة من المسلمين ومات فى سنة ٨٨٧ بعد الميلاد وبموته انقرضت السلسلة الكرولنغيانية فى ايطاليا وتجزأت مملكة شرلمانيه الكبيرة فاشتعل فى الحال حرب بين برانغير دوق فريولى وغيدو دوق سپوليطو من أجل الاستحواذ على التاج الايطاليانى فانتصر غيدو فى هذا الحرب وصار تتويجه امبراطورا واستغاث برنغير بملك جرمانيا ارنولف فى مساعدته على عدوه فأجاب ارنولف على رغبة منه طلبه وأغار على ايطاليا فى سنة ٨٩٤ بعد الميلاد وتغلب ارنولف على رومة وطرد كلا من برنغير ولبرت بن غيدو وكان غيدو مات فى أثناء الحرب وتوج ارنولف نفسه امبراطورا بواسطة البابا فورموزوس الا انه ما كان له شوكة حقيقية فى ايطاليا ولما عاد الى جرمانيا مات فيها فى سنة ٨٩٩ بعد الميلاد وكذا مات لبرت قريبا من هذا الوقت واستحوذ برنغير على التخت الايطاليانى

وكان افتتاح القرن العاشر مشحونا بكثير من المصائب والاهوال على ايطاليا فكان من ضمن هذه المصائب اغارة الماغياريين وهم الهنكاريون قبيلة طورنيانية شديدة البأس عنيفة الاخلاق اقتحموا جبال الالب وخربوا ايطاليا الشمالية بالسيف والنار وتغلب النورمانيون تحت قيادة قائدهم الشهير هاستنغ على مدينة لونه ونهبوها وخربوها ظانين أنها مدينة رومة وكذا أوقع المسلمون الرعب والهول الشديد والارتباك فى ايطاليا الجنوبية الى سنة ٩١٦ بعد الميلاد حتى خرج اليهم البابا الحربى يوحنا العاشر فى ميدان الحرب وتعاضد بكثير من ملوك ايطاليا الجنوبية وأوقع بالمسلمين هزيمة كبيرة ومن ثم وقفت حركات قطائعهم وغاراتهم فى جهات ايطاليا

وما كانت هذه المصائب اخر البلايا التى نزلت على هذه المملكة المنحوسة بل تولد فى داخلها ثورات تسبب منها أن صارت حالة المملكة فى خطف وسلب مستمر وملآنها بالاذى والضرر وكان جلوس برنغير على التخت الايطاليانى شغلا جرى من ادلبرت الدوق الكبير فى طوسقانه اشتهته نفسه ولما نفر ادلبرت من أحكام بلنغير دعا لويز صاحب بروفنسه ابن بوزو لاجل عزله وخلعه من تخته فعزله وما طالت مدة لويز فى جلوسه على التخت لان مقلد الملوك الطوسقانية وجد فيه عدم اللياقة والاهلية وكان يظن فيه الفلاح فخلعه فى الحال ثم ظهر رودولف صاحب بورغندى فنازعه وخاصمه من أجل برنغير وكان رودولف مازال حاكما على قطعة من ايطاليا وآل الامر أخيرا الى قتل برنغير

وكانت رومة فى هذا الوقت محكومة فى الحقيقة بامرأة قبيحة عاهرة اسمها ماروزيه اشتهرت بكونها

كانت رفيقة رجل من البابات وأم بابا ثمان وجدة بابا ثالث فسوّدت أعمالها صحائف تاريخ الباباوية ولما مات برنغير الاول استحصلت ماروزيه على كونها فوت نفسها وتزوجت هيو صاحب بروفنسه وكان تقلد تاج ايطاليا وتقرر ملكا بواسطة البابا يوحنا الحادى عشر ابن ماروزيه ونالت مرغوبها فى أن أدخلته فى قلعة (سنت انجيلو) فسار الرومانيون تحت قيادة البريق الابن الشرعى لماروزيه وماسمحوا لهيو بالدخول فى مدينتهم وألزموا الدخول فى القلعة فطرده منها البريق فى الحال ووضع ماروزيه فى السجن وألزموا البابا باقتصاره على أشغاله الروحانية وعدم مداخلته فى الاحكام المدنية واستمر البريق عشرين سنة حاكما فى رومة وأعادها الى درجة عظيمة فى نظامات الجمهورية القديمة ولما مات خلفه ابنه أوقطافيان فحكم المدينة مدة من الزمن بصفة قنصل ولما مات عمه يوحنا الحادى عشر جعل أوقطافيان نفسه بابا باسم يوحنا الثانى عشر

ومع ان هيو صاحب بروفنسه كان طرد من رومة الا انه مازال حاكما على ما بقى من ايطاليا وكان جبارا عنيفا وظالما سلب رعيته بالجور من دون رأفة حتى التزموا بدس الدسائس وترتيب الثورات عليه فكان أكبر هذه الدسائس وأشدها وقعا ثورة مساعدة القسم الاعظم من أشراف الايطاليانيين فكان القصد من هذه الثورة جلوس المار كيز صاحب عورية على تخت برنغير وكان المار كيز المذكور أقوى رجل عمدة فى ايطاليا الشمالية فكشف هيو هذه الدسيسة وألزم المار كيز برنغير على الفرار ثم آل الامر أخيرا أن ترك هيو ايطاليا وعاد الى بروفنسه فى سنة ٩٤٥ بعد الميلاد وترك ابنه لوثير ملكا على ايطاليا ومات لوثير فى سنة ٩٥٠ بعد الميلاد ونسب موته الى المار كيز برنغير صاحب عورية وجلس برنغير فى الحال على التخت باسم برنغير الثانى فاجتهد فى الزام أرملة لوثير الشابة الجميلة (عدليده) بزواجها بابنه (أدلبرت) فرفضت قبولها الزواج فسجنها وعاملها بأشنع المعاملات فنجحت فى خلاص نفسها وهربت واستغاثت بملك الجرمانيين أوطو الاكبر فى حمايتها والمدافعة عنها فعبر أوطو جبال الالب وهزم برنغير وتزوج بالجميلة عدليده ولقب بملك اللومبارديين ثم بعد ذلك سمح لبرنغير بالبقاء فى حكومته على لومباردى كعبد تابع له فى سنة ٩٥١ بعد الميلاد وعاد أوطو الى بلاده مظفرا وترك برنغير حاكما فى ايطاليا الشمالية ومن بعد مضى عشر سنوات مشحونة بالارتباكات والاهوال والشدائد قام فيها أشراف اللومبارديين بالعداوة والبغضاء على البابا يوحنا الثانى عشر بسبب ما كان حاصلا منه من السفاهة والفجور وأغضب منه كافة أوروبا فدعا هذا الحبر أوطو لاجل تقليده التاج الامبراطورى فختم بذلك ما كان حاصلا له من القلاقل والارتباكات وتتوج أوطو مع الملكة عدليده فى رومة فى شهر فبراير من سنة ٩٦٢ بعد الميلاد

وكان أوطو من العائلة الشريفة لدوقات صكصونيا فان كان حقيقة من نسل الويطيكند الذين كانوا أخصام شرلمانية فان ذرية الامة المغلوبة ارتقت حتى تسلطت على غالبيها وكان صار انتخاب أبيه هنرى الفرارجى باتفاق الامة من أجل خلاص مملكة جرمانيا من يد ذرية شرلمانية وسن القوانين اللازمة لصلاحها فوسع ابنه أوطو الاول أكبر الاوطوات حدود المملكة من كل جهة

ثم ان البابا وان كان حضر أوطو على تتويجه بالتاج الامبراطورى الا انه ما بقى على صداقته فانه لما عبر أوطو مع الجهد جبال الالب عائدا الى جرمانيا ابتدأ يوحنا فى دس الدسائس وثوران الفتن عليه فكان سببا فى غرق رومة فى ثورة قامت على سيدها الجرمانى وتولد منها البطش به حتى خلعه من وظيفته

الفضيحة بسبب ما اكتسب من الاثم والعدوان وحرم الرومانيين من نظام استقلاليتهم وجعلهم تحت حكم ليو الثامن وهذا صار انتخابه بابا بمعرفة نفس الامبراطور فكان محافظا على الدوام على ما يعود منه النفع عليه ومن ثم تأيدت شوكة أوطو في رومة وأحكمت قواعدها واجتهد أوطو في اضافة ايطاليا الجنوبية الى مملكته حتى وصل الى آخر درجة في الحرب مع امبراطور الجريق نيسفوروس فوكاس من أجل هذا الصدد الا أن سعيه كان على غير طائل ولما خلفه ابنه أوطو الثانى على التخت الجرمانى سلك سياسة أبيه فى هذا المعنى وعزم على التغلب على ايطاليا الجنوبية وساعده على هذا لومبارد دوق بنونطوم فاتحد أهالى ايطاليا مع المسلمين وتعاهدا عهدا وثيقا وأوقعوا على قوى أوطو هزيمة شديدة فى واقعة كبيرة دموية حصلت فى نواحى كروطونه وخلصوا طيم لومباردى لامبراطور الشرق فى سنة ٩٨٢ بعد الميلاد ومن هذه النصرة أخذت شوكة الامبراطور الشرقى فى الزيادة فى ايطاليا ولما مات بندولف الملقب بالرأس الحديد دوق بنونطوم وكان حليفا لاطو أخذت أحوال هذه الدوقية فى العجز والوهن وانقسمت الى عدة دوقيات صغيرة صار معظمها خاضعا لامبراطور الشرق

ثم ان الرومانيين عزموا على عود استقلالية حكومتهم البلدية فى رومة فى المدة الاخيرة من سلطنة أوطو الثانى وأقاموا لهم قنصلا اسمه كريسنطيوس فأرغم البابا يوحنا الخامس عشر على الاعتراف بحكمه وفى سنة ٩٩٦ بعد الميلاد وصل أوطو الثالث الى رومة فى رأس جيش قوى وقلب الحكومة القنصلية وتتوج امبراطورا بمعرفة جريجورى الخامس بابا جرمانى أجلسه الامبراطور على كرسى القديس بطرس وبمجرد سفر الامبراطور من رومة أشعل كريسنطيوس نار الثورة فى المدينة على البابا وأجلسوا رجلا جريقيا سموه مختلس البابوية واستغاث كريسنطيوس بامبراطور الشرق فى مساعدته فأسرع أوطو فى العود الى رومة وطرد مختلس البابوية وعذبه عذابا شديدا وحاصر قلعة سنت انجيلو وكان كريسنطيوس التجأ اليها وقاوم فيها أشد المقاومة وما خرج منها الا بعد أن عهد اليه أوطو بسلامة نفسه ومن بعد أن سلم كريسنطيوس نفسه نكث أوطو عهده وقتله وعلقه وطاف المدينة برأسه ثم علقها فى ميدان القلعة وخمدت فى رومة الحكومة البلدية وقامت الشوكة الامبراطورية وزعم أوطو أنه كان رأى فى أضغاث أحلامه أنه أحيا المجد القديم للسلطنة الرومانية وصار سلطان الدنيا ورومة عاصمة سلطانه فلما أسرعت المنية بموته خمدت عزائمه وضاعت آراؤه وكان من أعماله الاخيرة وضعه أستاذه غيربرت على التخت البابوى فكان على دراية تامة فى علومه ومن أجود مدبرى عصره ولقب سلفسطر الثانى فاجتهد فى تعليم العلوم ونشر المعارف وذكر موشيم فى تاريخه أن ذكاء هذا الحبر المشهور وفطانته كانت عالية فانه كان مستحوذا على جميع فنون الآداب الا أن أكبر لذاته وجليل مطالعاته كانت متعلقة بالرياضيات مثل الميكانيكا والهندسة والفلك والحساب وفروعها فغرس هذا الحبر هذه العلوم وأعاد المحافظة على تعلمها وتدريسها مع الحمية والحماس فكانت ذات فائدة ومنفعة كبيرة كما تشهد له مصنفاته فى فروع هذه العلوم وغيرها من فن الادب وما وقف على هذا الحد بل استعمل طرقا صالحة لتقوية آخرين فى غرس علوم الآداب والمعارف وانتشرت نتائج هذه الغيرة الجيدة والحمية المفيدة فى كل من جرمانيا وفرانسا وايطاليا فى هذا القرن والذى بعده وبواسطة مؤلفات غيربرت وأنموذجاته ومواعظه ووصاياه حافظ كثير من الناس على تلقى علوم الطبيعيات والفلسفة والرياضيات فروعها وأصولها وفى الحقيقة لو قارناه هذا الحبر العالم بالرياضيين

الموجودين

الموجودين فى الزمن الاخير كان ما يستحقه من الثناء على هذه الاعمال قليلا جدا بالنسبة لاعمال المتأخرين فان هندسته كانت سهلة واضحة لكنها كانت بمجرد مبادى نقط وخطوط وسطوح ومع ذلك كان وجود مثله فى عصر البربرة والجهالة من الغرائب فبه زادت أفكار أصاغر الفلاسفة وفتحوا أعينهم وخرجوا من ظلمات الجهل الى نور الافكار بحسن (طالع غيربرت) حبر الاحبار لكن كانت الاشكال الهندسية الجارى رسمها فى هذا العصر بمعرفة هذا الحبر الرياضى معدودة عند الرهبان من الهذيان وعاملوه معاملة أنه تلميذ الشيطان واستمرت الاختلالات والاربتاكات التى كانت موجودة بايطاليا فى القرن العاشر والحادى عشر ومن بعد موت الامبراطور أوطو الثالث انتقلت رومة مرة ثانية تحت حكومة جمهورية وكذا استمرت المدائن الكبيرة فى ايطاليا الشمالية تحت هيآت حكومات مختلفة متمتعة بحرية عظيمة اشتهرت فى تواريخها الاولية وكان منبع الارتباك الاكبر الحاصل منه على الدوام المشاحنات والمنازعات هو تكرار سعى بعض الاشراف ذوى القوة والسلطة فى أن يجعلوا أنفسهم ملوكا مطلقين التصرف والاستبداد على مدينة كبيرة أو عدة مدائن صغيرة حتى ان الاساقفة ورؤساء الديانة ما اكتفوا بامتيازاتهم الروحانية بل سعوا وكدوا فى استحواذهم على مثل هذه الشوكة لانفسهم وسعت ميلان كل السعى فى ذلك على الخصوص لاجل حفظ حريتها من استبداد بطريقها وفى القرن الحادى عشر ساس كافة الحكومات المدنية فى ايطاليا قنصلان أو أكثر انتخبوا بمعرفة الامة وكلفوهم بأداء ما يجب عليهم من واجبات العدل فى الادارة المختصة بسياسة مجالس المدائن ولهم حق فى جمع العساكر وسوقها فى وقت الحروب أو عند وقوع ثورة أو خروج عن الطاعة وكان لكل مدينة مجلسان أكبر وأصغر فكان المجلس الاصغر معهودا اليه الادارة العمومية للمدينة وعنه تصدر القوانين ولوائح الاعمال والمنشورات المخصوصة بادارة المدينة وكان يطلق عليه اسم مجلس الادارة وأما المجلس الاكبر فكان غاصا بالاعضاء واسمه المجلس الكبير أو السناتو تتناقش فيه القوانين واللوائح ويحصل التصديق عليها من هذا المجلس وكانت الشوكة الكبرى محصورة فى التئام عموم الامة فكانوا يجتمعون فى ميدان معد لاجتماعهم عند ضرب الناقوس الاكبر المخصوص بطلب التئام أهل المدينة

وكانت الجمهوريات الكبيرة الايطاليانية محكمة الاساس ثابتة النظام زيادة عن أخواتها من الجمهوريات الصغيرة فكان أول هذه الجمهوريات فى حسن النظام وجودة الاحكام جمهورية فنيزه وقد ذكرنا الكلام على أساسها فيما سبق فى تاريخ رومة فمع أنها كانت مستقلة فعلا فى نفسها الا أنها كانت اسما تحت طاعة الامبراطور الشرقى وبسبب حيادتها وابتعادها عن الحروب المدمرة للانفس والاموال التى رجت ايطاليا وزلزلتها فانها استمرت مدة ستة قرون من انتشائها مستقلة بأعمالها عاكفة على تقدم تجارتها وتمكين قوتها ودوام سلطتها حتى صارت فى القرن الحادى عشر أقوى مملكة فى ايطاليا وأغناها ودامت على أشغال تجارتها المشهورة وكانت هى الجمهورية الوحيدة الايطاليانية التى ما طأطأت رأسها لطاعة الامبراطورات الجرمانية ولا استقر قرار أى دولة أو شوكة أجنبية فى داخل أسوارها لحد ذلك الوقت وكان نائب الجمهورية أو رئيسها يلقب بلقب دوق حائز الشوكة الملوكية وصارت فى مبادى الحروب الصليبية أكبر جمهورية تجارية وتولد من حسن موقعها الساحلى أن أنشأت أساطيل ومراكب عديدة وصار لها طاقة على قطع دابر لصوص البحر الادرياطيقى وقطاع

سيله من أهل اسطرياو دلماطية ومدت شوكتها على الساحل الشرقى من هذا البحر ووصلت الى حالة وشوكة جسيمة حتى أعدت للصليبيين السفن اللازمة لنقلهم حسب طلبهم الى آسيا والتحقوا بالحروب الصليبية والنقود التى اكتسبتها من هذه الخدمة كانت جسيمة عادت بالنفع الزائد على الجمهورية واشترت بها أصناف الحرير وأجناس البضائع الاخر الشرقية وباعتها فى أوروبا بأرباح جليلة ومن ثم كان ذلك أساسا للتجارات العريضة التى كانت أصلا فى صيرورة فنيزة رئيسة البحور ومن بعد مدة شرع أهلها فى تشغيل الزجاج فكانت صناعته احدى الصناعات البهية ومنبع الثروة الفنيزية وكذا سارت بيسة على منوال فنيزة ومنهاجها وقامت فى الثروة من بعدها واشتهر اسمها وصارت العدو الالد التجارى لفنيزة وصرفوا المستنقعات والمياه الراكدة الموجودة بالاراضى الكائنة فى أسفل نهر الارنو بمعرفة تجار ماهرة من تجار مدينة بيسه وأصلحوا ناحية مرمة جميعها وكانت فى هذا الوقت مفازات قفرة وجعلوها أحد الاقاليم الايطاليانية العظيمة الاكثر عمرانا وأجود زراعة وتولد من عظيم ثروة الجمهورية البيسانية مقاومات ومنازعات شديدة الا أنها استمرت فى أعمالها وأشغالها بواسطة حرب فاصل بينها وبين أعدائها وكان أمراء المسلمين فى جزائر البحر الابيض المتوسط منعوا ورود التجارات البيسانية فى جزائرهم وقامت فنيزة ومدينة أمالفى وتسببا فى ضعف حركة تجارة بيسه وما كانت عليه من الكد والمثابرة كى يوطدا لهما نصيبا فى تجارة البحر الابيض المتوسط وأعلنا بأن ذلك من حقوقهما وملكهما وفى سنة ١٠١٧ بعد الميلاد اتحد البيسانيون والجنويز وتعاهدوا وأغاروا على سردينية وفى سنة ١٠٢١ بعد الميلاد أخذوها عنوة من المسلمين وقسموها الى مقاطعات وامارات صغيرة بين أشراف بيسة

وقامت جنوه الجمهورية الثالثة الايطاليانية الى شوكتها وثروتها بحالة بطيئة على التدريج زيادة عن الجمهوريات الاخر فكانت على الدوام عدوة فنيزة وخصيمة بيسة ولو أنها كانت أحيانا حليفة لجمهورية بيسة وكانت أراضى جمهورية جنوه شاملة مدائن النهرين وممتدة حول رأس خليج جنوه من ابتداء نيخيا الى سبطيا

ثم انه من بعد موت أوطو الثالث هاج حرب من أجل الاستحواذ على التاج الايطاليانى فانفصل هذا الحرب بتتويج الملك الجرمانى هنرى صاحب بقارية فى ميلان ومن بعد موته تجدد الحرب ثانيا ومع أن التاج الايطاليانى انتقل الى الامبراطور (كونراد) الآن الارتباكات عادت الى ما كانت عليه وتولد من وجودها بين الامة والاشراف عدم وجود أمبراطور يخمد هذا الشقاق المتسبب عنه خراب البلاد ونهب العباد وفى غضون ذلك كانت ايطاليا الجنوبية ميدانا للحروب ومنازعات تولد منها تغيير فى حالتها وهيئتها وفى مبادى هذا القرن تغلب المسلمون على الجزائر الايطاليانية الموجودة فى البحر الابيض المتوسط وكان لهم قدم فى البر الاصيل وصارت ايطاليا الجنوبية رعية للامبراطورات الجريقية وفى سنة ١٠١٠ بعد الميلاد وصلت شرذمة من فرسان النورمانيين أهل نروج الى سيسيليا ونزلوا مدينة سالرنو وكانوا متوجهين لزيارة الارض المقدسة فأخروا سفرهم مدة أيام من أجل مساعدة جايمار أمير مدينة سالرنو وكان لومباردى الاصل خار وامعه العرب المسلمين فحصل له النصر بمساعدتهم ولما تقووا بهذه النصرة هرع اليهم أهل بلادهم من بعد مضى بضع سنين وجاؤا الى سيسيليا أفواجا وطردوا المسلمين واستحوذوا على قسم عظيم من الجزيرة وفى سنة ١٠٣٠ بعد

الميلاد

الميلاد أغاروا على ابوليا من ايطاليا وتغلبوا عليها وأضافوها فى أملاكهم فى سيسيليا فارتاع البابا ليو التاسع وخاف من سرعة زحفهم وتقدمهم فى البحث جزيرة وشرع فى ترتيب اتحاد عليهم ودعا الامبراطور هنرى الثالث والامبراطور قنسطنطين التاسع لمساعدته فلما رأى أن لا طاقة لهذين الامبراطورين على مساعدته بأى حالة كانت برز البابا بنفسه الى ميدان الحرب على النورمانيين فى رأس جيش مؤلف من ايطاليانيين وجريقيين واسبانيين بالاجرة من طرفه وكان النورمانيون فى قوة أقل من قوة الجيش البابوى الا أنهم كانوا جميعا ممارسين للحروب متدربين عليها وكانوا تحت قيادة قواد لهم ذكر فى الحروب وتحمل الكروب مثل الكونت حنفرى وريشارد والشهير روبرت غيسكارد فبددوا قوى أخصامهم وشتتوها فى واقعة حصلت فى سيفيطلا سنة ١٠٥٣ بعد الميلاد وقبضوا على الحبر نفسه وفى أثناء القبض عليه قدموا له أجل الاحترامات والتعظيمات بدل أن يعاملوه بأشنع المعاملات وسألوا أبا الدنيا المسيحية مع غاية الخشوع والخضوع العفو عنهم والسماح لهم فى الحالة الصعبة التى أكرهوا فيها على المدافعة بالسلاح ضده عن الاراضى التى استحوذوا عليها من الجريق أهل البدعة والنفاق ومن المسلمين وبهذه السياسة نالوا الرضا العظيم من البابا وفازوا منه بتوليتهم على ما فتحوه بأنفسهم فى ابوليا وكالبريه وسيسيليا فى الماضى والحال والاستقبال واتفقوا على أن تكون هذه الاراضى فى أيديهم بصفة مقاطعات لدار القسوسية المقدسة فكان هذا مكسبا جليلا للبابا ومن هذا الوقت فصاعدا كان نورمانى ايطاليا أكبر المدافعين عن البابا وبقى روبرت غيسكارد حاكما فى الفتوحات التى فتحت فى البر الاصيل وأضاف غالب ايطاليا الجنوبية الى ممالكه ورفعه البابا نيقولا الثانى الى رتبة كونت وفتح الكونت روجر أخو روبرت سيسيليا من بعد حرب طويل متعب ولما مات روبرت غيسكارد خلفه فى ممالكه الموجودة على البر الاصيل وأخذ ابنه روجر الكونت الكبير بجزيرة سيسيليا مدينة بارى الجليلة فى سنة ١٠٧١ بعد الميلاد واستحوذ مع العجلة على ما كان باقيا من ايطاليا الجنوبية وجمع أملاكه وفتوحاته فى جامعة واحدة وجعلها مملكة ولقب نفسه ملك سيسيليا

وكان فتوح النورمانيين ايطاليا الجنوبية سببا فى دمار تجارة المدائن الجريقية نابولى وغايطه وامالفى وكانت هذه المدائن حاكمة لحد هذا الوقت على تجارة البحر الابيض المتوسط وانتقلت الى أيدى فنيزه وبيسه وجنوه وأنشأ الفنيزيون اسطولا قويا فى البحر الادرياطيق وصدوا فتوحات وزحف النورمانيين بالقوة الفعالة فى تلك الجهات

وفى مبادى هذا القرن غرقت الكنيسة فى بحر الفساد وظهر عليها أن لا خلاص لها منه بأى حالة كانت فتولد من وقوع هذا الفساد فيها ضعف حالتها بالطبع وكان السبب الاكبر فى تولد هذا الضعف بيع وظائف الكنيسة بالنقود فزالت عن الكنيسة شوكتها العظيمة والاعتراف لها وصار للملوك والامراء قدرة على التداخل فى تنصيب المناصب وتوظيف الوظائف الكنائسية وكذا تولد من ادارة الاعمال الكنائسية سبب ثان نشأ منه هذا الضعف وهو زواج خدمة الدين فكان هذا سببا فى منع القسس من محافظتهم على الاشغال اللازمة لجعل الكنيسة مملكة مستقلة فى نفسها وأن يكونوا أقوى شوكة على سطح الارض وزال عن خدمة الدين ما كانوا فيه من الصفات الجليلة من العبادة والالتفات الى الدين وصاروا مثل عوام الناس فكانت الحالة الاولى هى السبب الاكبر فى الفساد والفجور والحالة

الثانية حاجزا كبيرا وصدودا جسيما عن طريق الطمع الباوى فاجتهد الامبراطور هنرى فى عود الكنيسة وقيامهما من بعد وقوعها الى موقعها الحقيقى الحق وعين بابات جرمانية خالين من الغرض والحقد والغيرة الوطنية الايطاليانية حافظوا بشدة قوتهم وبجودة ادارتهم على الديانة المسيحية ومات الاثنان الاولان الذان صار توظيفهما بسرعة من دون أن يسعيا فى اصلاحات الكنيسة وعين الامبراطور من بعدهما ليو التاسع أحد أقاربه فشرع البابا ليو مع العنف فى عمل اصلاح تمم به الغرض المطلوب من الاعمال التى ما كان الامبراطور هنرى يظن صلاحها وزاد عما كان يرغبه وفى آخر الامر صارت الباباوية أقوى شوكة وأكبر عدو للملكة فى مطالبها وايقاع الذل والخسارة بها ونازع ليو منازعة شديدة فى خصوص توظيف الوظائف الكنائسية بالرشوة والبرطيل وما ساعده أحد على مقصوده لان هذا الفعل كان جاريا على العموم مع انه كان يجب الغاؤه فى مدة سلطنة واحدة لبابا واحد ففى مدة ولاية البابا جريجورى على التخت الباوى أخذت هذه الحالة مأخذا مهولا كما سنذكره فيما بعد وأما السعى فى الزام واكراه خدمة الدين على الرهبانية فانه قوبل بأشد المقاومات وعلى الخصوص فى ميلان فان خدمة الدين المتزوجين أقاموا البراهين وصلوا وسن القديس عمبروس وأمثاله لبعض من خلفائه على بقائهم على ما هم عليه من التزوج وكان نائب الحكم الروحانى فى الديوان الباوى فى هذا الوقت (هلدبرند) راهب طوسقانى رفع نفسه من أصل سافل الى درجة عالية بذكائه وفطانته حتى وصل الى درجة رئيس شمامسة رومة فكان رجلا خالى الغرض بعيد الطمع أضمر فى نفسه من بادئ أمره أن يعيد نظام الكنيسة ويصلحها من العيوب والموبقات المتسلطنة فيها ويجعلها مستقلة وشوكتها فوق كل شوكة مدنية ملوكية فوضع فى شأن ذلك قانونين أصليين أحدهما أنه لا يجب على خدمة الدين التزوج وثانيهما لا يجوز لملك من الملوك أن يمنح وظيفة من الوظائف الكنائسية على أحد ما كما هو واقع فى جرمانيا وانكلترة وغالب جهات أوروبا وسلك جريجورى أن يعيد مع الذمة والصداقة للكنيسة قداستها القديمة من دون أن يحصل فيها أدنى ريب وفى مثل هذا الشغل يستحق الذكر الجميل والثناء الجليل من خيار الطيبين وأجود المتمسكين الا أن ما وقع منه من الخطا أنه ما استكفى بهذا الاصلاح بل كد واجتهد فى أن يجعل الشوكة الملكية فى كافة أنحاء أوروبا رعية لغرض أسقف رومة ويرفع خدمة الدين مع البابا فوق رؤس أهلها الى درجة ارتقاء وانفصال عن جماهير الامم الآخرين ويجعلهم فى أعلى عليين ويخلصهم من اهانتهم وطاعتهم للقوانين المدنية الملوكية ويرفع عنهم الضرائب والعوائد المضروبة عليهم ويجعلهم بالاختصار تبعة للبابا فى اداراتهم وأحكامهم وصمم على أنه لابد من تمشية هذه الاعمال

وفى مدة ولاية ليو التاسع والذين جاؤا من بعده وخلفوه على التخت الباوى مدة تنيف عن عشرين سنة كان (هلدبرند) هو نائب الحكم الروحانى فى الديوان الرومانى فعمت سياسته العالية العدوانية أشغال هؤلاء الاحبار وأنبأت بأعماله الباسلة التى أجراها لنفسه قبل وقوعها وقت ما تعين بابا كما أن سلوكه فى أعماله كان على رأى أنه لابد من أن يكون فى المستقبل بابا ففى وقت ما كان رئيس الشمامسة فى رومة شرع فى اصلاحاته ونظاماته وبحث فى مبادى أمره مع الذكاء وحزم الرأى على ارتباط خدمة الدين فى حزمة واحدة متوازنة الاطراف تابعين لادارة القسوسية الرومانية فقط وأصدر أوامر باسم اسطفان العاشر تختص بفسخ زواج القسس وفصلهم من نسائهم وبذل جهده فى استفزاز

الاوباش والعوام على خدمة الدين حسب مرغوبه فنجح في هذا العمل حتى انه كان يحصل في بعض الاحيان بين العوام الهياج والغضب والتعصب الديني ويتولد من ذلك قتالهم وهلاكهم وحض هلدبرند على الرهبانية وأوصلها الى أقصى درجات الفضائل ومنازل الابرار وقدح ولعن زواج خدمة الدين ومدح العيشة الفريدة حتى جمعت أقواله وصار القسس على منواله والتزم خدمة الدين المتزوجون على تسريح نسائهم والتباعد عما يفسد عليهم عقائدهم ورهبانيتهم وان وقع أدنى هوى أو عشق في قلب أحد من هذه الطائفة كان اثما وجريمة وانحصرت شفقة الخورى في اهتمامه بعرافانه ووطد البابات تحت اسم الكنيسة طاعة القسس التى لاحد لها وغباوة كبيرة في الرهبانية وسلك هلدبرند في مدة ولاية عدة من خلفاء ليو التاسع مسلك الرزانة والذكاء والفهم الذى لا يخطئ في أن جعل نفسه هو المستشار المعتمد والمدبر والاستاذ في كل شئ وسار في ازدياد روابط علاقات البابوية مع الدقة والمداومة عليها أننا لا يمكننا أن نخليه في هذا الشغل من الغرض وما كان مكنونا في قلبه من المرض فانه كان من ابتداء أمره متطلعا الكرسى القديس بطرس وكان كل خطوة يخطوها تجعله قريبا منه وما كان يظهر عليه من أعماله أن يكون أسقف رومة فقط بل يكون أيضا بابا تصدر عنه جميع القوانين اللازمة لعالم الدنيا على الاطلاق

وفي سنة ١٠٧٣ بعد الميلاد صار انتخاب هلدبرند بابا ولقب جريجورى السابع فكان أجل أحبار رومة وأعظمهم وكان قبل وصوله الى التخت البابوى نزل به نازل قاطع بما حصل في حقه من الذم والقدح حتى صار لا طاقة له على الوصول لموقعه السامى وكانت الاساقفة في فرانسا وجرمانيا جاريا تعيينهم وتوجيه المناصب اليهم بمعرفة الملوك وفي انكلترة من طرف مجلس النواب أو الشورى وأما مراكز القسس والخوارى الآخرين فكان جاريا تعيين الوظائف فيهما من طرف الامراء والاشراف وكانت الرسوم التى تمنح بها هذه الوظائف مسماة باسم تقليد المناصب فآل الامر فيها الى مشترى هذه المناصب من موجهيها بالنقود ومنحوها الاشخاص ليسوا لها أهلا ولا معلومية لهم باجرائها فعزم جريجورى على توقيف هذه الاعمال ورفض بيع وظائف الكنيسة بالاموال الا أن هبة ما ينيف عن نصف الاراضى في جرمانيا وأزيد على رجال الكنيسة كمقاطعات تحت أيديهم ربما تجعل سعيه هدرا لانه يتولد منه بالطبع جعل هؤلاء مستقلين ويقع الضرر على الملك والمملكة وتؤل الحالة الى الاختلال والارتباك ومع هذا فان البابا غض الطرف عما تؤل اليه هذه الحالة وجعلها أول خطوة في أشغاله يجلب بها الامبراطور تحت أقدامه وفي هذا الوقت كان الجالس على التخت الجرمانى هنرى الرابع وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة صاحب قريحة وقادة وأخلاق ظريفة مرضية الا أنه كان قليل التربية والتهذيب وكان نائبه والوصى عليه (ادلبرت بطريرك) بريمن ظريفا لين العريكة تركه في الملاهى والموبقات وحمله على أن لا يثق بالدوقات ولا يعتمد في أمر ما عليهم حتى انه في الوقت الذى جلس فيه جريجورى على التخت البابوى كان غالب أمراء الجهات على ثورة جهرية وعصبة علنية وكان أبو هنرى يعامل البابا معاملة تابع له وكان أجلس على التخت البابوى نحو أربع بابات على التعاقب وبمجرد موته وصغر هنرى الرابع ساس (هلدبرند) دار القسوسية الرومانية ودبر أحوالها حتى جعلها مستقلة عن الامبراطور وأصدر أمره لخدمة الدين الجرمانيين وحضهم حتى صاروا في عداوة بينة له وامتلأ صدر الامبراطور بالغضب والحنق عليهم وانتظر جريجورى مدة سنتين من قبل

حصول هذه العداوة مع الملك وفي سنة ١٠٧٥ بعد الميلاد عرض عليه مكتوبا عاليا في ذاته شديدا في أقواله يأمره فيه بالبعد عن توجيه المناصب الكنائسية والوظائف القسوسية بالخاتم والصليب وأعلنه بأن ذلك من خصائص العظمة الرومانية وافاضتها مقصورة على البابا وانتهز جريجوري فرصته بحزم رأيه في أثناء ما كان هنري مشغولا بحرب صعب مع الصكصونيين وكانوا قاموا عليه في ثورة وخرجوا عن طاعته فوعده البابا وقت هذه الحالة الشديدة بتمام مقصوده والسير على حسب مرغوبه غير انه بمجرد اخماد الثورة الصكصونية أخلف وعده فطلبه البابا في رومة لمحاكمته على ما جناه فجاوبه بخلعه من التخت الباوي بأمر صدر في حقه من مجلس جرماني مؤلف من أساقفة جرمانية عقده في مدينة فورمس سنة ١٠٧٦ بعد الميلاد فوضع البابا الحجر الكنائسي أي أنه ارتد عن دينه على الملك وأصدر أمرا بتجريده من تاجه وخلاص رعيته من جريمتهم في نكث طاعته وجعل طاعته أو مساعدته بأي شيء جريمة لا تغفر لفاعلها ومن ثم كان ذلك مبدأ الحرب المعروف بحرب تقليد المناصب

وكان هنري أبعد عنه رعيته بسبب معاملته اياهم بالقسوة والظلم فاسرعوا في القيام عليه وانشرحت صدورهم للانتقام منه والبطش به مع الغيرة والتعصب الديني وأثار البابا بشهامته العصيان وحرك الهياج والارتباك والتزم هنري أخيرا بالاذعان والتسليم وفي منتصف فصل الشتاء عبر جبال الالب وحضر بنفسه الى أبواب قلعة كانوسة وكان البابا جريجوري مقيما فيها مع صديقته الخاضعة لامره الكونتة ماطيلده فاقبل جريجوري في الابتداء مقابلة الملك الذي جاء راميا نفسه على مراحمه وسمحت لهنري محبته النصرانية بالبقاء حافي القدم مكشوف الرأس في الثلج بدون غذاء في الميدان البراني للقلعة مدة ثلاثة أيام بلياليها حتى رضي أخيرا البابا بمقابلته ووعده بانه لابد من محاكمته بالعدل والانصاف على ما جناه من الجرائم والاعتساف فان ظهرت براءته أعيد الى تخته وان ثبتت عليه جنايته عوقب بأشد العقاب على حسب القانون الكنائسي وكان ذلك في سنة ١٠٧٧ بعد الميلاد

ثم ان ما حل بكبرياء العصاة الجرمانيين من اهانة ملكهم وذله ومعاملة البابا له بأقبح المعاملات وأرذل المروآت صيرهم في اتحاد واحد ورابطة قوية في مساعدته حتى صار له طاقة كافية على أن يوقع على رودلف صاحب صوابية هزيمة فاصلة وكان رودلف تقوى على هنري بوسائط البابا وصار رأسا للعصيان والثوران واستمر الحرب مع الشدة بدون انقطاع وكان أكبر محالف البابا في ايطاليا الكونتة ماطيلده صاحبة طوسقانه وكان زوجها الاول دوق اللورين السفلي من أكبر مساعدي الامبراطور ومن بعد موته في سنة ١٠٧٦ بعد الميلاد وطدت ماطيلده حكومة طوسقانه انفسها وكانت أكبر المقاطعات الايطالية وأحسنها أرضا وفلاحة فقدمت أموالها وجيشها المساعدة البابا وكانت لومباردي وعلى الخصوص ميلان وراقنه باقيات على صداقة هنري لان البابا ما كان له وقار كبير في ايطاليا كما كان له في جرمانيا وأما الرهبان وخدمة الدين فانهم نشروا ووطدوا في كل جهة بان البابا هو المدافع والمحامي عن طائفتهم من الملوك والعمال الملكية وكان البابا فرع آخر من القوة هو ميل عوام الامة له لانهم كانوا يعتقدون انه كواحد منهم ومجتهد في خلاصهم ونجاتهم من تعدي الاكبر على الاصغر وهذا بما كان مغطيا على قلوبهم وأعينهم من الغباوة والعمى وأما الحزب الملوكي فكان يرى أن البابا هو أول مقصد عند الامبراطور وانه تقلد بواسطته الاسقفية واستحوذ على الاملاك وعلو المقدار

وحقق

وحقق هذا الحزب ما كان عليه من الفكر فى مثل ما كان يفعل أوطو الاكبر وهنرى الثالث من خلعهم الباباوات وتولية آخرين بدلا منهم وأما حزب القسس والرهبان فكانوا يعتقدون أن البابا فوق رؤس ملوك الارض كالأشياء روحية فوق أشياء دنيوية وأثبتوا بمجادلتهم وحققوا دعواهم بان التتويج بمعرفة البابا هو الشرف الاعظم والفخر الافخم والابهة العالية لملوك الجرمانيين

وكان السبب الاصلى فى ضعف هنرى ما حصل من النفور فى جرمانيا بما وقع منه من الظلم والعسف فانتخب الاشراف النافرون من هنرى رودلف صاحب صوابية امبراطورا ومن بعد أن هزم هنرى فى ناحية مولهاوسن تتوج رودلف امبراطورا بواسطة البابا جريجورى ثم قلد هنرى بطريق رافنه غيبرت وظيفة مختلس البابا وية فلما تخلص هنرى مما كان واقعا فيه من مصائبه وبلاياه خلع رودلف وقتله فى سنة ١٠٨٠ بعد الميلاد ثم وجه جيوشه على البابا فلما دخل فى ايطاليا قوبل بالتهليل والتفريح فى لومباردى واجتهدت الكونتة ماطيلده فى توقيف حركاته ومقاومة أشغاله فهزم هنرى جيشها بالقرب من مدينة مانطوه وهدد الملك فلورنسه عاصمتها وزحف على رومة ورتب الحصار عليها واستمرت فى حصاره نحوا من ثلاث سنوات يبعد عنها فى مدة فصل الصيف من شدة حرارة طقسها ويعود اليها فى فصل الشتاء واتحد الامبراطور الشرقى مع هنرى وساعده بالاموال الجمة وكان روبرت غيسكارد النورماندى حليفا للبابا فكان غائبا فى الغارات على ممالك امبراطور الشرق فتولد من غيابه فى هذا الوقت حرمان البابا من مساعدة حليفه روبرت غيسكارد القوى الحيل وشرع هنرى فيما رغبه من الاشغال فى ايطاليا وتغلب العساكر الامبراطورية على طوسقانه وترك الكثير من الذين كانوا مع الكونته ماطيلده أمر البابا وهجم هنرى على مدينة ليونين وأخذها عنوة وهذه المدينة هى الآن الخط الواطيكانى فى رومة وأكره البابا على الهرب الى قلعة سنت انجيلو ثم فتحت رومة أبوابها للجرمانيين فاستحوذوا عليها وفى سنة ١٠٨٤ بعد الميلاد أجلس هنرى غيبرت على تخت البابوية ولقب كليمنت الثالث ومن بعد جلوسه توج هنرى امبراطور الرومانيين وكان جريجورى آمنا فى قلعة انجيلو لانها كانت حصينة لا يمكن التغلب عليها ومازال مصرا فيها على مقاومة هنرى حتى وردت اليه المساعدة وجاء روبرت غيسكارد من الشرق وزحف على رومة بجيش كثيف وكان غالب هذا الجيش من مسلمى سيسيليا وكانوا رعايا أخيه روجر فانسحب الامبراطور من المدينة عند قرب القائد النورماندى ودخل روبرت رومة بغير طعن ولا ضرب فى سنة ١٠٨٤ بعد الميلاد فانفجر بين أهل المدينة ثورة مهولة فغضب النورمنديون من هذه الثورة وفتكوا بالمدينة قتلا ونهبا بدون رحمة وحرقوا خط الكوليانيين بالنار وأخذ النورمنديون جريجورى الى قلعة سالرنو فى سيسيليا فمات بها فى سنة ١٠٨٥ بعد الميلاد وعند الغرغرة لعن الامبراطور هنرى وأعلن أنه مات منفيا بسبب أنه كان يحب الحق ويكره الباطل والاذى فكذلك الكثير من الناس يكذبون على أنفسهم حتى فى وقت خروج الروح بأقوال لا طائل تحتها ولا ثمرة فيها

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من موت جريجورى السابع الى المذابح السيسيليانية المسماة فى التواريخ صلاة الغروب ﴾

الطلب الافخم للبابا ـ هزيمة هنرى الخامس البابا بسكال الثانى ـ تتويجه امبراطورا ـ موت الكونتة ماطيلده ـ وصيتها للبابا ـ فصل قضية تقليد الوظائف ـ مكاسب الجرمانيين ـ توطيد

استقلالية البابوية ــ منازعات المدائن الايطاليانية ــ الغلفيون والغبلينيون ــ ارنولد صاحب بريسيا ــ صيرورة بارباروسة امبراطورا ــ اتحاد الثورة فى ايطاليا الشمالية ــ خضوع ميلان ــ تجديد الحرب ــ الاتحاد اللومباردى ــ هزيمة الامبراطور فى الاسكندرية ــ معاهدة قنسطنسه ــ فوائد المدائن اللومباردية ــ زيادة تقدمهم فى مهمات السياسة ــ اقامة النفوذ الفنيزى فى الشرق ــ الحرب بين البابا وأوطو الثانى ــ صيرورة هنرى الثانى امبراطورا ــ منازعته مع البابا جريجورى التاسع ــ وضع الحجر الكنائسى على الامبراطور ــ توجهه لحرب الصليب ــ حرب مع البابا ــ تلقب بلاسفيموس بلقب انوسنت الرابع ــ خوف ملوك أوروبا ــ رفض البابا ربط العلاقات مرة ثانية مع الامبراطور ــ موت فريدريق الثانى ــ اضمحلال الشوكة الامبراطورية فى ايطاليا ــ صيرورة شارلس صاحب انجوملك سيسيليا بأمر البابا ــ هزيمته لمنفريد ــ جريجورى العاشر ــ وجود الفرنساوية فى سيسيليا ــ ظلمهم وسوء أعمالهم ــ ثورة الاهالى ــ المذابح السيسيليانية المسماة صلاة الغروب ــ ذبح الفرنساوية ــ اقامة محاكم الفحص

ماحصل من موت جريجورى انتهاء الحرب الذى كان شرع فيه واستمر خلفاؤه على ما كان عليه سلفهم من السياسة واتضح من الحالة الحقيقية التى كان نشرها انه ما كان يرغب فى وجود اسم أحد فى الدنيا الا اسم البابا فقط وهو قوله لا اسم الا البابا فهو الذى له القدرة والعظمة على تحلية المملكة وزينتها وله الحكم على كافة الملوك والامراء وهو الذى تلثم قدماه وله الشوكة والنفوذ فى توظيف الاساقفة وعزلهم من وظائفهم وله الامر والحكم فى التئام المجالس وفضها وليس لاحد طاقة على محاكمته ومناقضته و يثبت انتخابه فى وظيفته له الطهارة والقداسة وعفة النفس وعدم الضلال والخطا وهو معصوم من اللذات والهفوات فى الحال والاستقبال وله الحق فى خلع الملوك وخلاص الرعايا من بيعتهم لهم وتكفير أيمانهم لطاعتهم وأثار خلفاء جريجورى العداوة والمخاصمة على هنرى فى أهل بيته فتولد من هذا أن طردوه ومات موتة مهينة وما اكتفى البابات بذلك بل لم يقبلوا دفنه فى مقابر النصارى ولما مات هنرى الرابع بما حصل له من الضرر والاساءة أخذ بثأره ابنه وخليفته من بعده هنرى الخامس فانتقم من أعداء أبيه أشد الانتقام وكان البابا بسكال الثانى يساعد هنرى على عصيانه الذى كان لاحق له فيه على أبيه ولما دخل ايطاليا فى رأس جيش كثيف سنة ١١١١ بعد الميلاد تغلب على المملكة وحبس البابا بسكال الثانى وشدد فى حبسه وما خلص من هذا الحبس الا على وعد تتويج هنرى بتاج الامبراطورية وتنازله عن مسئلة توظيف عموم الاساقفة ورؤساء الديورة فى المملكة ولما ماتت الكونتة ماطيلده صاحبة طوسقانه أوصت بجميع أراضيها الواسعة للبابا وتركتها له فطلبها الامبراطور واستحوذ على طوسقانه واستمرت تحت يده حتى مات غير أن البابا ما كان سلم فى اعطائها له وان لم يكن له طاقة على حفظها وبقائها تحت يده

وفى سنة ١١٢٢ بعد الميلاد وقع الفصل فى قضية توظيف الوظائف وعقدت معاهدة فى فورمس بين الامبراطور والبابا سلم فيها الامبراطور حق تقليد الوظائف بالخاتم والعكاز ومنح حق حرية الانتخاب لخدمة الدين ورضى البابا من جهته بأن أملاك الكنيسة الجرمانية يجب أخذها من الامبراطور وهى منحة بها صارت جرمانيا كنيسة أهلية وأما الخاتم والتصليب والاشارات فهى من خصائص الادارة

الروحانية يجب منحها بمعرفة البابا فقط لا غيره فكانت خسارة الامبراطور مكسب الملك بجرمانيا الا أن المكسب الاكبر كان للبابا لانه صار مستقلا من الامبراطور في جميع أعماله وأما الامبراطور فانه ما زال يستلم تاجه من البابا والاستقلالية التي اكتسبت بهذه الحالة صارت مرقاة من حجر صلب للسيادة البابوية

وكانت احدى النتائج الكبرى من حرب تقليد الوظائف هو تقدم المدائن الايطاليانية في العظم والسعادة وعتقها من الاحكام فكانت أول نتيجة من هذا التقدم هو وقوع هذه المدائن في مشاحنات عديدة مع بعضها الا أنها صارت فيما بعد في جامعة واحدة على الامبراطور كما سنذكره بعد وفي مبادى الامر انقسمت ايطاليا الشمالية الى قسمين كبيرين في مقاطعة طويلة بين ميلان وباويه فأما ميلان فانها نجحت وصارت هي الرئيس اللومباردي في مبادى القرن الثاني عشر وأما فلورنسه وكانت في هذا الوقت محكومة بقناصل ثم صارت جمهوريه فانها ارتفعت في شوكتها وشرعت في توسيع نطاقها ومد أراضيها في النصف الاول من هذا القرن وصار اكراه الكثير من العائلات الكبيرة بالقوة عنوة حتى صاروا تابعة لهذه الجمهورية وأما مدينة بيسه فانها استمرت في سير نجاحها وفوزها وأرغمت مدينة لوقا على دخولها معها في صلح وتغلب البيسانيون على جزيرة مايورقه وأخذوها من لصوص المسلمين وكانت فلورنسه اشتركت مع لوقا في حرب البيسانيين

ولما مات هنري الخامس صار دوق صكصونيا وهو الدوق لوثير ملكا بواسطة الانتخاب الجرماني وتساعد بالغلفيين وهم العائلة المتسلطنة في بافاريه ومات لوثير في سنة ١١٣٨ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن ثلاث سنوات وصار خصمه كونراد صاحب (حوحنسطوفين) ملكا وكان الغلفيون أحزاب البابا والحوحنسطوفيون أخصام الحزب الباوى في جرمانيا وحماة القانون الامبراطوري والنظام العام وما كان الغلفيون مستحوذين على دوقيتى صكصونيه وبافاريه في جرمانيا فقط بل على الاراضى العريضة الوراثية التي ورثوها من بعد الكونتة ماطيلدة صاحبة طوسقانه وكانت أصوات شعارهم في أثناء الحرب الذى هاج هو اسم عائلتهم فكانوا يقولون (واف) وكانت شعار أخصامهم (وبلنغين) وهو اسم قرية كانت مسكن (الحوحنسطوفيين) فهذه الاسماء وان كانت من الاسماء الجرمانية الا أنها كانت مقبولة في ايطاليا من أجل تمييز حزب البابا من حزب الامبراطور وفي أثناء ذلك كانت البابوية مقسومة بين (أنوسنت الثانى) و (انكلطوس مختلس البابوية) فانتصر أنوسنت على خصمه الذى مات في سنة ١١٣٩ بعد الميلاد ولما جلس (كونراد الثالث) على التخت اجتهد أنوسنت في المحافظة على نفسه وتقويتها منه فعقد محالفة مع (روجر) ملك سيسيليا ثم وقعت بينهما عداوة تولد منها المحاد الامبراطورين منويل وكونراد على البابا أنوسنت وكانت حكومة البابا في نفس رومة أخذت مدة من الزمن في الضعف بواسطة الاهالى بسبب ما حصل لهم من شدة طمع هذا القسيس وقاموا في ثورة وتقووا بواحد من الرهبان اسمه (ارنولد بريسيه) ونكثوا طاعتهم لقانون أسقفهم ورتبوا مجلس سناتو وحاكما اسمه غيوردانو

ثم مات كونراد الثالث قبل أن يتمكن من تداخله في هذه الاعمال وخلفه ابن أخيه (فريدريق باربا روسه) الذى دخل ايطاليا سنة ١١٥٤ بعد الميلاد فقدمت له كافة الممالك طاعتها في مجلس كبير عقده في (رونكاغليه) وكان مجىء فريدريق على عزم عود الحكومة الامبراطورية في ايطاليا بالقوة

ثم شرع فى هذا المشروع وقت دخوله ايطاليا وتقدمت له شكاوى من أعداء ميلان وحيث كانت هذه المدينة من ألد الاعداء لانها جحدت حكمه ورفضت طلباته التى كان يطلبها منها بصفة أنه امبراطور وعزم على مبارزتها وكانت مدينة (طورطونه) حليفة ميلان فدخلت معها وشاركتها فيما نزل عليها من العذاب وخرب باربا روسه مدينة (اسطى) و(شيرى) وأخذ طورطونه وأحرقها وكانت هذه المدائن حلفاء ميلان وأعتق السكان من القتل فهربوا الى طورطونه ثم سار باربا روسه الى رومة وتتوج فيها امبراطورا بمعرفة البابا (ادريان الرابع) وأمر بقتل ارنولد بريسية وصارت رومة تحت حكم البابا مرة أخرى والتزمت ميلان بطاعة الامبراطور الذى وضع تمثال النسر الملوكى على منارة كنيستها الكبرى دلالة على سيادته ومن بعد مضى قليل ابتدأ البابا والامبراطور فى منازعة بينهما تختص باراضى الكونتة (ماطيلده) فتولد من عدم التبصر زيادة المشاحنة حتى وصلت الى اجتهاد وقع من البابا فى كونه نزع من الامبراطور كافة حقوقه على رومة وأملاكه الايطاليانية ولما مات ادريان الرابع فى سنة ١١٥٩ بعد الميلاد حصل انتخاب اثنين من البابات اسكندر الثالث من طرف الحزب الباوى وفيكتور الرابع من طرف الحزب الامبراطورى فوضع كل واحد منهما الحجر الكنائسى على عدوّه وانقسمت عموم الدنيا المسيحية الى حزبين وكان اسكندر الثالث أقوى قرارا فى الوظيفة واشتعل الحرب بين الامبراطور والمدائن اللومباردية فصار للاسكندر طاقة على مقاومة عدوه الشديد البأس فريدريق وكان خضوع ميلان لطاعة الامبراطور وقتيا فقط لانه فى السنة التى مات فيها البابا ادريان أى سنة ١١٥٩ عصت ميلان فسار اليها فريدريق بنفسه ومن بعد أن أخذ (كريما) حليفة ميلان ودمرها أكره ميلان على الطاعة والتسليم فأعتق سكانها وهدم بنيانها وكان سقوط ميلان سببا فى كسر شوكة مقاومة ايطاليا الشمالية وبقيت رومة محلا غير حصين للبابا اسكندر وكانت سيسيليا تمزقت مما وقع فيها من المنازعات والنهب الداخلى حتى صارت غير موافقة لان تكون ملجأ حصينا للبابا فهرب الى فرانسا ومكث فيها ثلاث سنوات وفى ظرف هذه المدة مات فيكتور مختلس الباوية وحل محله (غيدو) من أهل كريما وتلقب باسم بسكال الثالث وتولد من كثرة الحوادث فى بومانيا بقاء الامبراطور هنالك فانتهز اسكندر الفرصة وعاد الى رومة فى سنة ١١٦٥ بعد الميلاد فهرع أعداء الامبراطور الموجودون فى مدائن المستعملات الفيرونية وكافة رجال الحزب الغلفى واصطفوا حول البابا اسكندر وخضعوا لامره وكذا دخل فى أمره مدينة كريمونه وبعض مدائن أخرى كانوا فى مبادى أمرهم أعداء ميلان وتحالفوا سوية على مضادة الامبراطور وشكلت تلك المدائن مع بعضها فى سنة ١١٦٧ بعد الميلاد اتحادا عرف بالاتحاد اللومباردى وبواسطة هذا الاتحاد تهددت شوكة الامبراطور وفى هذا الوقت تيسر للامبراطور الشرقى وضع قدمه فى ايطاليا وتغلب على (انقونه) فأسرع فريدريق الى ميدان الحرب على أعدائه ومن بعد أن بذل مجهوده فى التغلب على انقونه بدون فائدة سار بجيوشه على رومة فهرب البابا فى الحال الا أن فرصة فريدريق انخرمت بسبب ما وقع من الطاعون فى جيشه فالتزم على الرجعة مع العجلة وفى سنة ١١٧٤ بعد الميلاد اجتهد فى التغلب على مدينة (الغلفيين الجديدة) بالقرب من مدينة باوية ومن بعد حصار امتد سبعة أشهر التزم على الانسحاب بواسطة جيش المتحالفين وفى سنة ١١٧٦ بعد الميلاد انهزم فى ناحية (لغنانو) على مسافة ١٥ ميل من باوية وكان سبب الهزيمة انسحاب هنرى دوق صكصونية الرئيس لحزب الغلفى ونجا الامبراطور بنفسه مع غاية الضيق من

ميدان

ميدان الحرب ثم تولد من هذه الواقعة انفضاض الحرب وعقدت هدنة فى فنيزية صار بها ارتباط العلاقة بين الامبراطور والبابا وتقرر اسكندر بابا بمعرفة الامبراطور وسمح البابا للامبراطور ببقاء أراضى الكونتة ماطيلده تحت يده الى أن يموت ومن بعد موته تعود الاراضى للبابا وكانت مدة الهدنة ست سنوات ومن بعد ختام هذه المدة فى سنة ١١٨٣ بعد الميلاد عقدت شروط صلح مستمر فى (قنسطنسه) مدينة من مدائن (صوابية) وفى هذه المعاهدات تنازل الامبراطور للمدائن عموما عن كافة حقوقها الداخلة فى أسوارها واستحكاماتها ورخص لاهلها بادارة أنفسهم على حسب قوانينهم ويعقدوا صلحا أو يجعلوا حربا على حسب رغبتهم وأبقى رسوم حقوق السلطنة القديمة وهى (حق تغذية ومأوى وملبوس عساكره وقت ما تكون محتلة أراضى تلك المدائن) فالتأمت مع بعضها واحترزت مما يقع فيها من المشاحنات فى المستقبل ورخص الامبراطور لمجالس المدائن بالبقاء وأن يكون تعيينهم بأمره والتصديق عليها بمعرفته وأن يكون فى كل مدينة قاضى استئناف من طرف الامبراطور وبشروط هذه المعاهدة صارت المدائن اللومباردية فى حالة استقلالية الا أنها ما زالت فى هذا الوقت مشكلة قسما من المملكة ولما تركت هذه المدائن هى ونفسها صارت مواقع لرجال أذكياء ومواضع للعلوم والصنائع وتولد من ترك القانون الامبراطورى فى هذه المدائن قسمتها الى أحزاب ووقوع الشقاق بين بعضها وصار لا يوجد لقوة صالحة تعادل ما هو واقع بينها من الشقاق

ومن بعد هذه نال فريدريق مزية أخرى على البابا وهو أن الملك النورمندى صاحب سيسيليا كان الحليف الصادق للحبر فزوج الامبراطور ابنه هنرى بقنسطنسة ابنة الملك روجر وهذه لما مات (غيليوم الثانى) الملك المتسلطن فى سيسيليا وقتئذ وكان عديم الذرية صارت هى الوارثة من بعده لسيسيليا ومن بعد منازعات كان هنرى فى أثنائها خلف أباه على التخت وصار ملك سيسيليا بحقوق زوجته فى سنة ١١٩٤ بعد الميلاد فعامل رعيته بأشد المعاملات وأقساها وأغضب الايطاليانيين من جوره حتى فرحوا بموته فى سنة ١١٩٧ بعد الميلاد وكان هنرى قبل موته أغدق على أتباعه الجرمانيين وجعلهم كونتات فى أراضى مختلفة من داخل ايطاليا ومنح (طوسقانة) على أخيه (فيليب) ومن بعد موت الامبراطور أحيا البابا الاتحاد اللومباردى وجعل نفسه رأساله وطرد الجرمانيين نحو جنوب ايطاليا وأما قنسطنسة أرملة هنرى فانها اعترفت بسيادة البابا عليها وماتت فى سنة ١١٩٨ بعد الميلاد من بعد أن جعلت البابا أنوسنت الثالث وصيا على ابنها فريدريق الصغير وحصل من الجرمانيين فى مدة النائب (ماركوالد) قلاقل فى سيسيليا ارتبك منها البابا وفى المشاحنة على المملكة من بعد موت الامبراطور هنرى السادس ساعد الحزب الغبلينى فى ايطاليا دعوى أخيه فيليب وساعد الحزب الغلفى دعوى أوطو بن هنرى الملقب بالاسد وكان بيت بافير مداتما مساعد الكنيسة على الامبراطور فكان البابا أنوسنت الثالث يرغب نصر هذا البيت فتجسم فيليب فى أعماله الا أنه من بعد قليل ذبح فى سنة ١٢٠٩ بعد الميلاد وفى هذه السنة استلم أوطو التاج الامبراطورى وبه توطد نصر الغلفيين

وكانت مدائن ايطاليا الشمالية شرعت من عهد غلاق الحرب مع الامبراطور فريدريق بار باروسة فى اصلاح حكومتها بنفسها وصارت كأنها ممالك مستقلة بالفعل بحقوق كاملة تشمل انتشاب الحرب أو عقد الصلح الا أنها ما زالت فى نفس الوقت باقية مشكلة جهات من المملكة فتولد مما حصل عند أهلها من زيادة الشوكة والارتقاء بجور الاشراف الذين رأوا من أنفسهم عدم الطاقة على استمرار

الجور الذى كانوا عليه من القديم فوق أمم هذه المدائن فاتحدت المدائن فى المحافظة على نفسها وأما الاشراف فانهم انقسموا من دون رأس جامعة لهم فأما الامراء الكبار فانهم بقوا على ما كانوا عليه من حالتهم القديمة وأما ضعفاء الاشراف فانهم تداركوا أمر المحافظة على شرفهم بكونهم درجوا أنفسهم ضمن أهل المدائن حتى يستظلوا بظلهم وصاروا بما هم عليه من الشجاعة نفعا للمدائن فى وقت الحرب وفى وقت الصلح تولد من التزاماتهم وتجاريهم حصول الارتباك لهؤلاء الامم وازدروا القانون وبنوا الابنية القوية فى المدائن حتى يمكنهم مقاومة النواب فلاجل ردعهم عينت المدائن نائبا رئيسا استمر فى الوظيفة سنة واحدة أرغم فى أثنائها عموم الطوائف على السير حسب القانون الجارى فحصل من الاشراف ارتباك زائد لهذا النائب الرئيس وقت اكراهه لهم على سيرهم على موجب القوانين والنظامات

وكانت فنيزيه اشتركت فى الاعمال الايطاليانية الا أنها بقوة مؤثرة قليلا لحد مبادى هذا القرن ومن شدة احتياج المحاربين فى حرب الصليب الرابع التزموا على التوجه الى فنيزيه من أجل مداركة السفن اللازمة لنقلهم الى الارض المقدسة فجلبت هذه الحالة على الفنيزيين مبالغ جمة من الذهب ازدادت بها شوكتهم وكثرت أموالهم ودبروا بها أنفسهم واستعمل الفنيزيون رجال الصليب فى تغلبهم على بعض المدائن الموجودة على ساحل دلماطية وعلى الخصوص مدينة زعرة وعمهم الخير من تغلب اللاتينيين على القسطنطينية وعلى المدائن الايطاليانية واستحوذت فنيزة على القسم الاعظم وقت الغلبة على العاصمة وأخذت لنفسها حصة عظيمة من أراضى المملكة الشرقية وعلى الخصوص عدة جزائر ومحلات على ساحل البحر الابيض المتوسط وقسم الجنويزيون تجارة الشرق مع الفنيزيين الا أنهم ما كان لهم طاقة على نزع سلطتهم من هذه الجهة وأدى الجنويزيون للامبراطور (ميخائيل بليولوغوس) صاحب نيخيا خدمات جليلة فى فتحه القسطنطينية وانتظروا أن يأخذوا منه احتكار تجارة الشرق لانفسهم الا انه ما كان له رغبة فى منح هذه المادة فضلا عما كان عليه من عدم الطاقة على وقوع أدنى أذى يضر بتجار الفنيزيين أو البيسانيين

ومن بعد أن صار أوطو الرابع أمبراطورا بقابل بدل صداقة البابا (أنوسنت) بالعداوة فى كونه طلب منه أن يستحوذ على أراضى الكونتة ماطيلده كحق له وكذا مملكة سيسيليا فانتهز أنوسنت فرصة وقوع النفور بين الامبراطور والبرنسات الجرمانية وكانوا معضدين للبيت الصوابى وقواهم على تقديم التاج الامبراطورى الى فريدريق الملك الشاب صاحب سيسيليا فكانت حالة الاعمال التى حصلت من أعجب العجاب لانه فى الحرب الذى صار افتتاحه كان البابا حليف الغبلين وأوطو رأس الحزب الغلفى كان عدوه فانهزم أوطو فى آخر أمره فى واقعة حصلت فى نواحى بوفين سنة ١٢١٤ بعد الميلاد والتزم على الخلوة وفى سنة ١٢١٥ بعد الميلاد تتوج فريدريق الثانى ملكا فى كنيسة مدينة عكس وفى سنة ١٢١٦ مات البابا أنوسنت الثالث وفى السنة التالية مات أوطو الرابع وصار فريدريق الثانى بغير خصم ينازعه فى طلبانه وفى سنة ١٢٢٠ بعد الميلاد توجه الى رومة من أجل تتويجه أمبراطورا بواسطة البابا (هونوريوس) الثالث وهو وان كان من السلسلة الجرمانية لكنه كان سيسلى المولد ثم كان يميل بطبعه الى خصال ليست من طبيعة الدم الطوطونيق وكان على جودة تامة من التربية وكانت تربيته تحت أيدى أساتذة من المسلمين فما اكتسبه من التعليم وغزارة الفكر جعله

وحسد عصره وكان ذكى العقل صيرته تعليماته فى سيسليا ميالا الى الاعتراض على المسائل الديانية فراعاه أهل الكنيسة بأنه رجل ملحد كافر فكان يلقب (بعجيبة الدنيا) وتعلم من مبادى أمره بغضه للبابا فتولد من هذا أن حصل له فى آخر أمره ارتباك زائد

وكانت السنو الاولى من سلطنته أسعد السنين فانه كان فى مملكته فى سيسليا حرا فى اجراء حكومته وسياسة ادارته وكانت سيسيليا متمتعة تحت حكمه بالامن والنجاح وقد خاب أسلافه من قبله فى تمتعها بهما فأقام سلطنة القانون وألزم الاشراف بالانقياد والخضوع له ومن ثم وطد حماية الضعيف وقوى على تعليم العلوم والصنائع بتأسيسه مدرسة جامعة فى نابولى وساعد مدارس بولونيا وسالرنو وفى مدة سلطنته ابتدأ اللسان الايطاليانى فى أخذ اللهجة التى هو عليها الآن ثم بعد ذلك حصل فى العلاقة التى كانت بين الامبراطور ودار القسوسية المقدسة ارتباك مع غاية السرعة وذلك أن فريدريق كان وعد البابا (هونوريوس) أن يقود حربا صليبيا من أجل خلاص أورشليم مكافأة له على تتويجه بتاج الامبراطورية فأخر الامبراطور الرحيل الى فلسطين مدة طويلة زيادة عما كان يرغبه البابا فصار لهونوريوس الحق فى توبيخه على ما حصل منه من هذا التأخير وسار جريجورى التاسع على منهاج سلفه فى هذه المادة وكان خلف هونوريوس على تخت البابوية وفى سنة ١٢٢٧ بعد الميلاد وضع البابا جريجورى الحجر الكنائسى على فريدريق وكان فريدريق تعلل بالامراض فى الوقت الذى كان البابا ينتظر فيه سفره الى فلسطين فلم يعبأ بما وقع عليه من الحجر فاشتد بجريجورى الغضب والحنق حتى انه فى سنة ١٢٢٨ هدد الامبراطور بأشد العقاب وكان فى رومة حزب كبير من أصدقاء الامبراطور بسبب ما كان من اغداقه عليهم بجزيل كرمه فى وقت وقوع القحط فغضب أهل هذا الحزب مما حصل من البابا من اهانته الامبراطور وقاموا عليه وأرغموه على ترك رومة

ثم ان البابا الذى كان وضع الحجر الكنائسى على الامبراطور بسبب تأخيره عن السفر الى حرب الصليب فى الوقت الذى أمره فيه اجتهد فى منعه عن السفر فى الوقت الذى كان الامبراطور فيه على أهبة كاملة منه فما التفت فريدريق الى طلب البابا وسار فى طريق سفره الى فلسطين فوصلها فى سبتمبر من سنة ١٢٢٨ بعد الميلاد ومن خلفه سارت كراهة جريجورى وراءه الى فلسطين وصير رجال خدمة الاسبتاليات وفرسان الهيكل ضده ورفض هاتان الطائفتان الحربيتان المحاربة تحت قيادته ولعنوه لعنا مغلظا فعكف على ما كان أمامه من الاشغال وتغلب على يافا واتفق مع سلطان مصر وكان معه من مدة طويلة فى أحوال ودية على أن يرجع له مدينة أورشليم ولما تم له ذلك سار الى جهة أورشليم لاجل تمام زيارته القبر الشريف وذكر (ميلمان) فى تاريخه أن الامبراطور قبل أن يصل الى أورشليم جاء مطران قيصرية بتعليمات من بطريرك أورشليم بعلنه بتوقيع الحجر الكنائسى عليه وتحريم دخوله مدينة أورشليم لزيارته القبر الشريف ومنعت صلاة الزوار الموجودين فى هذا المحل المقدس وصار لا يمكن اقامة شئ من الشعائر المسيحية أمام هذا الامبراطور المسيحى وكانت هذه الاهانة أمام المسلمين وعند دخول الامبراطور أورشليم زار القبر الشريف فكانت الكنيسة فى غاية من السكون وما ظهر فيها قسيس وفى مدة اقامته بها لم يجعل فيها صلاة قداس لا فى داخل المدينة ولا فى ضواحيها وفى صباح يوم الاحد أقام راهب انكليزى صلاة بمفرده ثم عاد فريدريق ثانيا فى أبهة كبيرة لابسا ملبوسه الامبراطورى وزينته الملوكية الى كنيسة القبر الشريف فما كان يوجد فيها أسقف ولا قسيس وما

تجاسر أحد فى كنيسة أورشليم أن يخاطر بنفسه ويتلفظ بلفظة ثناء وكان حاضرا فى هذا الوقت كل من مطران (بالرمو وقاپوه) غير أنهما ما تداخلا فى هذه الزيارة وكان التاج الامبراطورى موضوعا فوق المنبر العالى للقبر الشريف فأخذه فريدريق بيده ووضعه على رأسه

ولما عاد فريدريق الى أوروبا فى سنة ١٢٢٩ بعد الميلاد وجد البابا أحيا الاتحاد اللومباردى عليه واجتهد فى أن يهيج عليه حربا صليبيا من كافة أوروبا ومع ذلك كان هذا السعى على غير طائل وفى سنة ١٢٣٠ بعد الميلاد عقد صلح يعرف بمعاهدة (صان جرمانو) بين الامبراطور والبابا والاتحاد اللومباردى وساعد فريدريق البابا على ابطال العقيدة المسماة (بطرينى) وكان رجال هذه العقيدة تجاسروا فى مشروع مخاصمات فى عقائد قسس الكنيسة الرومانية ثم أخذ جريجورى الحسد والغيرة بسبب ما عليه فريدريق من عظيم السلطنة فى ايطاليا فهيج عليه حربا آخر وحض أهل ميلان على تقوية هنرى ابن الامبراطور الملقب بملك الرومانيين فى عصيان أبيه فأسرع الامبراطور فى حطم هذه الثورة وسجن ابنه حتى مات فى سجنه ثم هاجت مشاحنة جديدة فى ايطاليا الشمالية منشؤها تعدى (عكسلين دورومانو) قائد الحزب الامبراطورى حتى ألزم الحزب الغلفى فى مدينة پادوه وفيسنزه وفيرونه على مقاومته ودخلت ميلان مع الحزب الغلفى وفى سنة ١٢٣٧ بعد الميلاد دخل فريدريق فى ايطاليا وهزم الميلانيين فى واقعة حصلت فى (كورت الجديدة) وقبض على والى المدينة وكان ابن دوق فنيزه وقتله جزاء بما وقع منه من العصيان فكان ذلك سببا لحصول الغضب عند الفنيزيين فانضموا الى الاتحاد اللومباردى على الامبراطور ودخلت جنوة أيضا مع الحزب الغلفى ورجع جريجورى الى حالته القديمة ووضع الحجر الكنائسى على الامبراطور وطلب لذلك عقد مجلس كنائسى عمومى فى رومة لاجل التصديق على هذا الحجر فضبط البيسانيون الاسطول الجنويزى وكان حاملا الاساقفة الفرنساوية والانكليزية فغرق البعض منهم وأسروا الآخرين فى الحرب وخاب مجلس البابا من عمل شئ وفى سنة ١٢٤١ بعد الميلاد مات جريجورى التاسع وتولى بدله أنوسنت الرابع بابا فى ١٢٤٣ بعد الميلاد فكان ألد شخص فى العداوة للامبراطور فقرر فريدريق فى الحال باباويته ونظر اليه بعين حب ربط العلاقة ومع هذا فان أنوسنت عوّل على حطام فريدريق وما رغب تداخل أدنى شئ فى هذه المشاحنة الا خضوع الامبراطور له على غير شروط ولاجل جعل نفسه فى حالة لا يمكن بها للامبراطور التوصل اليه هرب من رومة والتجأ الى مدينة ليون الحرة التى لم تكن فى هذا الوقت من عمالة فرانسا فتولد من كبرياء البابا خصوصا من عداوته التى وجهها نحو الامبراطور غضب ملوك أوروبا عليه حتى ان سنت لويز التاسع لم يسمح له بالاقامة داخل الاقاليم الفرنساوية وما قبل أيضا ملك (أرغون) بأقوال ودية حصول الشرف الذى يتولد منه الاذى بشأن قبول البابا فى عمالكه ولما دعى ملك انكلتره لاعانة البابا فى هذا المعترض قال الفظ هنرى الثالث نحن تحملنا مصائب كثيرة من مرابات رومة وبيع وظائف الكنائس بالاموال فلا نرغب أن ينزل البابا علينا آفاته ويرمينا بمصائبه وكان قبل ذلك بمدة قليلة طرد النائب البابوى من انكلتره على حسب طلب البارونات وكان حصل لملوك أوروبا رعب من زيادة شوكة البابا والمطامع التى لا يمكن الحكم بها الحاصلة من الحبر فانه طلب اطلاق حكومته على كافة ملوك الدنيا فى تنصيب أو عزل من يختاره وصارت مطالبه واضحة جدا بما خرج من فم أنوسنت الرابع حيث قال نحن لسنا مجرد انسان بل نحن حالون محل الاله على الارض وما اكتفى أنوسنت فى تأييد زعمه بجعالة سهلة بل

أسرع فى تقويته بشوكة السيف فلما أرغم مع البرود بواسطة الدول الكبيرة على البقاء فى ليون طلب عقد مجلس فى تلك المدينة فالتأم فى شهر يونيه سنة ١٢٤٥ بعد الميلاد الا أن محل الاجتماع كان بعيدا جدا حتى انه ما اجتمع فيه كافة من كان تابعا الكنيسة وفى هذا المجلس لعن البابا الامبراطور وسبه فى جملة جرائم قبيحة فدافع العالم المشرع (طادوس سويسه) عن فريدريق مع البسالة وأزال هذه الجرائم وما ادعى به البابا فى حقه غير أن كراهة أنوسنت سارت وسرت على كل مادة موجودة فى القانون والعدالات المقررة بمعرفة الكنيسة ووضع الحجر الكنائسى على الامبراطور مرة أخرى وأعلن بخلو تخت المملكة من الملك وحض على تعيين ملك غيره فى سيسيليا وحرض ملوك جرمانيا على انتخاب امبراطور جديد ولما بلغ فريدريق ما قرره المجلس فى حقه قال مع العظمة أنا أخذت تاجى بقدرة ربى وحده فلا البابا ولا المجلس ولا الشيطان يأخذه منى ثم تولد من هذه الاعمال حرب كان هياجه مع شدة البأس واشتغل أعداء الامبراطور بدس الدسائس على فقد حياته وصار فى حالة لا يأمن فيها على نفسه ومدت اليه الاسلحة من كل جانب وتوجهت عليه الثورات بتصديق البابا وغلب على طبيعة فريدريق العظيمة من هذه الاعمال القائمة عليه طرق الاشتباه والقسوة وحصل له من مساعدته شدة الضرر من أهل ايطاليا الشمالية بسبب ما حصل منهم من الجور مع أهل البلاد وضاعت سلطنته فيها وآلت مساعى البابا واجتهاده فى تعيين امبراطور جديد لا طائل تحتها ولا ثمرة فيها حسب ما كان يؤمله فى نيته وما وجد أحد من ملوك أوروبا ولا كبار الامراء يساعده على الحرب مع فريدريق أو يعترف بحقية نزعه التاج الامبراطورى من فريدريق وفى آخر الامر رضى (هنرى راسب لاندجريف) صاحب (تورنغية) بان يكون امبراطورا وصار انتخابه بمعرفة الحزب البابوى وأما فريدريق فانه ضبط المدائن الجرمانية مع الدقة والثبات ومات هنرى فى فبراير من سنة ١٢٤٧ بعد الميلاد بسبب ما تراكم عليه من الهم والحزن لما خاب من عدم بغيته فعين البابا غيليوم صاحب هولنده خليفة من بعد هنرى وكان شابا عمره عشرون سنة

وكان فريدريق فى مبادى أمره على نجاح تام فانه أخذ الثورة فى مملكة سيسيليا وأرغم أعداءه عموما على المدافعة عن أنفسهم الا أنه تولد من شراسة عكسلينو نائب الامبراطور فى الجهة الشمالية دمار هذه المظفرات وفى سنة ١٢٤٧ بعد الميلاد عصت پارمه على فريدريق فكان لا طاقة له على التغلب عليها ثانيا وان حاصرها وضيق فى الحصار عليها عدة شهور وتغلب ابنه الشرعى فريدريق على فلورنسة لكنه فى سنة ١٢٤٩ بعد الميلاد أسر ابنه انطيو فى (بولوغنه) ولبث فى الاسر حتى قضى أجله وفى سنة ١٢٥٠ بعد الميلاد خمدت شوكة فريدريق الثانى وتراكمت عليه الاهوال من وجود استمرار الحروب المتولدة من كراهة وطمع جريجورى التاسع وأنوسنت الرابع واشتدت عليه الازمة فى كل من نواحى ايطاليا وجرمانيا فمات فريدريق وبعد عن أعدائه وصارت هذه الكراهة وراءه الى قبره ووصفه البابا بأنه مات على غير عقائد الكنيسة فترك مهما أمر ذلك عند الامة النصرانية وعمت هذه الكراهة الشديدة والعداوة القبيحة عائلته واتهم ابنه (منفريد) بسرعة موته فقيل ان منفريد وضع وسادة على نفس أبيه وقتله وقيل وهو الصحيح انه قتله بسلاح لانه أقر وأخذ براءة من المطران الصادق صاحب بالرمو وحمل جسم فريدريق الى ناحية فى بالرمو ودفن فى قبر عظيم وكان فريدريق بجهة سيسيليا أحد عظماء ملوكها وأجلهم ذكاء

وختم موت فريدريق الثانى على نفوذ الشوكة الكبرى للامبراطورات فى ايطاليا وصار لمدائن ايطاليا الشمالية قوى كافية فى مقاومة مساعى الامبراطورات الجرمانية فى أحكامهم عليها وأما فى ايطاليا الجنوبية فان شوكة الحكومة الامبراطورية توطدت بأسباب أخرى وأشغلت أعمال جرمانيا خلفاء هنرى حتى صار لا طاقة لواحد منهم على أن يفتكر أدنى فكرة بخصوص ايطاليا

وخلف كونرادبن فريدريق الثانى أباه فى ملك سيسيليا وأما فى جرمانيا فانه حصل النزاع فى تاجه من غيليوم صاحب هولنده امبراطور البابا فترك كونراد سيسيليا فى محافظة أخيه منفريد وسار الى جرمانيا وفى مدة غيابه عن ايطاليا هيج البابا أنوسنت عليه ثورة فى نابولى وعرض التاج على (ريشارد كورنويل) أخى هنرى الثالث صاحب انكلتره فرفض ريشارد قبول هذه التقدمة لما كان فيه من الذوق الظريف وقبلها هنرى لابنه (ادموند) وكان البابا فى احتياج شديد للنقود فاستحصل من هنرى على مبلغ جسيم من أجل هذه الرفعة الفارغة ومات كونراد فى سنة ١٢٥٤ بعد الميلاد من بعد مشاحنة مهولة فى شأن مملكته وفى نفس هذه السنة تبعه أخوه هنرى الى القبر وترك كونراد طفلا صغيرا اسمه (كونرادين) فحكم أخوه منفريد المملكة بالنيابة عن ابن أخيه ولما لم يحصل الفصل فى قضية حكومة سيسيليا وصار لا يوجد فيها امبراطور نال الحزب الغلفى لنفسه فوائد جليلة فى ظرف هذه المدة ووطد حكومة فلورنسه مرة ثانية وكان فريدريق الاصغر أخرج هذا الحزب منها وفى سنة ١٢٥٤ بعد الميلاد شبت شوكة (الفلورنسين) وتغلبوا على فولطيرة وسينه وأخضعوا بيسا ومن بعد مضى سنة أو سنتين تولد من جور عكسلينو فى جهات المستملكات الفيرونية وكان حاكما فيها من عهد فريدريق الثانى قيام الغلفيين وكثير من الغبلين عليه وهزموه وأخذوه أسيرا فى سنة ١٢٥٩ ومن بعد مضى قليل مات وفى سنة ١٢٥٨ بعد الميلاد تقلد منفريد الذى كان متسلطنا فى سيسيليا بالنيابة عن ابن أخيه تاج المملكة بمجرد الاشاعة بموت كونرادين وعقد محالفة مع حزب الغبلين فى فلورنسة وفى سنة ١٢٦٠ انهزم الجيش المتحد الغلفيين فى نواحى (منطبيرطو) على نهر الاربية فانتقلت فلورنسه الى أيدى الغبلين وتقرر أن منفريد يكون رأسا للحزب الغبلينى فى ايطاليا من هذا الوقت فصدم اسكندر البابا من كونه يهب تاج المملكة السيسيليانية لاى واحد من الاغراب وأخضع كافة ايطاليا الى الشوكة البابوية

ثم مات اسكندر فى سنة ١٢٦١ بعد الميلاد وخلفه رجل فرنساوى لقب بعوربان الرابع فما تداخل فى المشاحنات التى كانت جاريه بين ريشارد أرل كورنويل صاحب انكلتره والفنسو العاشر صاحب قسطيله من اسبانيا بشأن التاج الامبراطورى لان سياسته كان يضمر بها جعل المملكة بدون امبراطور على قدر امكانه وبهذا يوطد اعتباره فيها وما قدم التاج السيسيلى حق منفريد لواحد من هذين المتشاحنين فقدم البابا عوربان هذا التاج الى لويز التاسع صاحب فرنسا فرفض هذا الملك الطيب قبوله فأسرع أخوه شارلس صاحب انجو فى قبول التاج من عوربان وكان شارلس رجلا شهما شجاعا وكان دوق بروفنسة باستحقاق زواجه (بطريكسة) وارثة تلك المملكة فضلا عن كونه كان ملك انجو وتوجه شارلس الى رومة وفى سنة ١٢٦٥ بعد الميلاد تتوج فيها بمعرفة البابا كليمنت الرابع وكان خلف عوربان على التخت البابوى ووعد فى أثناء تتويجه بضبطه سيسيليا مقاطعة لادارا القسوسية المقدسة وأنها تعود للبابا من بعد انقراض الوارثين من عائلته وأنها لا تكون داخلة فى حكم الامبراطور

وبهذا التزم شارلس على فتحه مملكته الجديدة التى ما كان له فيها مساعد الا قليلا من الخائنين فأمده البابا بجيش وأثار حربا صليبيا على منفريد وجمع العوائد المعتادة المضروبة على القسس وأهل الكنيسة لاجل تعديه على عمل حرب مقدس فاجتمع جيش جرار من الفرنساوية تحت قيادة شارلس ووقع الشروع فى الاغارة على سيسيليا فانهزم منفريد وقتل فى واقعة دموية حصلت فى (غرندلا) بالقرب من بنونطو وأسرع شارلس فى أن يجعل نفسه سيد المملكة فكانت هذه النصرة سببا فى عود شوكة الحزب الغلفى مرة ثانية فى فلورنسه ثم قبلت هذه المدينة أن يكون شارلس سيدها فحكمها سنتين فسدت بمساعدته لها على ما قام فيها من الشوكة وانضمت الى الغبليين وقرروا الشاب (كونرادين) ملكا على سيسيليا فهزم شارلس هذا الشاب فى سنة ١٢٦٨ بعد الميلاد ولما وقع فى يديه أمر بقطع رأسه فى مدينة نابولى ثم توجه شارلس من بعد هذا بقليل الى حرب الصليب على المسلمين وغاب عن سيسيليا مدة سنتين ولما عاد اجتهد فى أن يضع موضع العمل رأيا كان يخفيه فى قلبه مدة طويلة وهو كونه يجعل نفسه سيدا ايطاليا حتى انه كان على تشوق للتاج الامبراطورى وكان يمكنه من غير ريب نوال التاج الامبراطورى لو لم يحصل سد الطريق الموصل اليه بسدود وعوارض ما كانت تخطر له على بال

وكان البابا الجديد جريجورى العاشر متباينا فى الصفات والسياسة لسلفه فكانت نيته الصادقة استتباب السلم وعود الفلاح فى ايطاليا وكان على يقين من أن شارلس لو نجح فى مشروع طمعه لحصل من هذا بالطبع اهانة جديدة للبعث جزيرة وزيادة على هذا فان سلف جريجورى هذا كانوا منحوا التاج السيسيلى على شارلس لاجل المحافظة على أنفسهم فكان فريدريق الثانى أحاط الاملاك البابوية بأراضيه وحصر البابا فيها وتيقنوا بأن مثل هذه الاعمال لا يمكن وقوعها مرة أخرى فكان جريجورى على ذكاء تام من أفكارهم فبذل مجهوده فى صد ما عليه شارلس من أعماله وحفظ على عدم وجود الثوران فى ايطاليا وأعاد لهذا الصدد المطرودين من الغبليين وأرغمهم مدة من الزمن على أن يعيشوا عيشة مرضية فى سلم مع الغلفيين وفى نفس هذا الوقت وطد انتخاب (رودلف هابسبورغ) مؤسس البيت الثانى فى أوستريا على التخت الامبراطورى فى سنة ١٢٧٣ بعد الميلاد ووعد رودلف البابا بعدم تداخله مع شارلس فى سيسيليا أو فى طوسقانة وفى سنة ١٢٧٧ صار نيقولا الثالث بابا وجلس على التخت فسار على سياسة جريجورى وأرغم شارلس على تنازله من مصلحة نيابة طوسقانة والحكم فى رومة وأقام شوكة الغبليين فى سائر أنحاء ايطاليا ولما استحصل البابا على تنازل الامبراطور رودلف عن طلباته فى رومة وفى أراضى (الكونتسه ماطيلده) صار ملكا صاحب أراضى واسعة وصار له طاقة كافية على استقلالية نفسه بالسلاح وصار لحزب الغبليين تحت قيادة المطران أوطو فيسكونتى شوكة عظيمة فى ميلان فى نحو هذا الوقت فمن ثم دخلت هذه المدينة فى محالفة مع الحبر الاعظم وانقاد شارلس بحالة مهينة للبابا الا انه بمجرد موت نيقولا قرر انتخاب رجل فرنساوى على التخت البابوى لقبه (مارتين الرابع) وجعله آلة فى يده وشرع فى عزم ثان فى مد شوكته فحصل صدمه على حين غفلة كما سنذكره

وذلك أن الفرنساويين الموجودين فى سيسيليا أغضبوا منهم أهل سيسيليا بسبب ما حصل لهم من الجور والظلم فالسيسيليون رتبوا ثورة ينقلون بها التاج السيسيلى من شارلس الى (بدرو) ملك أرغون وكان

بدرو طلب هذا التاج من حقوق زوجته قنسطنسة ابنة منفريدو طلب بدرو مساعدة الامبراطور الغريقى (ميخائيل باليولوغوس) فكان وعده بالمساعدة وعهد بقيادة الثورة الى (يوحنادى بروسيده) من أمراء سيسيليا كان وقع لهظلم شديد من الفرنساوية وكان بروسيده من حزب العائلة الهوحنصطوفنية فأضاف ما وقع له من الظلم الى مظالم أقرانه وشرع فى أخذ الثأر فكان ترتيب هذه الثورة على خفية غير أن شارلس ما كان يجهل فى الحقيقة أن حياته على خطر وما كان على استعداد تام لملاقاة هذا الخطر فانفجرت الثورة بغتة من حادثة حدثت فى پالرمو وهو أنه فى غروب يوم الاثنين وكان يوم عيد الفصح أى ٣٠ مارث سنة ١٢٨٢ بعد الميلاد فضح أحد العساكر الفرنساوية عروسا شابة سيسيليانية أمام صواحباتها فكانت هذه الشرارة سببا الاضرام لهيب نيران انتشرت على الفرنساوية وقام الزعيق فى الحال وقالوا اقتلوا الفرنساوية قتلا ذريعا فأجيبت هذه الدعوة بعجلة وانتشر لهيب النار فى عموم الجزيرة وقامت سيسيليا على قدم واحد فكان الغضب مهولا والانتقام شديدا ومابقى كهل ولا شاب ولا طفل ولا أنثى عليه أثر من رحمة واصطاد أهل سيسيليا الفرنساوية من مدينة الى مدينة ومن قرية الى قرية وطاحوا وراءهم مثل الوحوش الكاسرة فى الوديان والجبال وفى الكنائس وتحت المحاريب وخلف المنابر فكان الفرنساوية لا يجدون لهم ملجأ يلتجئون فيه وجلبوهم من محلاتهم ووضعوهم تحت السيوف فكانوا لا يرحمون كبير الكبر ولا امرأة لضعفها وفتكوا بالفرنساوية حتى بالذين ما كان لهم دخل فى الحكم مع الفرنساوية بل كانوا منسوبين لهم بالقرابة والاهلية وما أمكن تعداد الذين قتلوا فى هذه المذبحة بالضبط وانما قيل ان الذين قتلهم أهل مدينة پالرمو وحدهم ليسوا بأقل من ثمانية آلاف نفس وذكرت هذه المذابح المهولة فى التاريخ باسم (صلاة الغروب السيسيلية) ثم تولد من هذا الهياج المهول والثورة الدمية نفور شديد بين فرانسا وسيسيليا لم تزل باقية لهذا الآن من منذ ستمائة سنة وكسور مضت ونقض أهل سيسيليا ما بينهم وبين البابا مارتين الرابع من شروط الطاعة وأعلنوا استقلالية أنفسهم وأجلسوا على تخت جزيرتهم بدرو الثالث صاحب أرغون فوضع البابا الحجر الكنائسى على بدرو وقدم تخته الى شارلس صاحب فالواس فاستمر السيسيليون على ما هم عليه وبقوا عدة قرون تحت حكم بيت أرغون والله أعلم وبغيبه أحكم

(الباب الرابع)

﴿ تقدم الجمهوريات الايطاليانية ﴾

وجود هنرى السابع فى ايطاليا ــ قيام الجمهوريات الايطاليانية ــ تقدم فنيزه ــ حكومتها ــ مجلس العشرة ــ نجاح جنوه ــ الحرب مع فنيزه ــ الزام الاسطول الجنويزى فى شوجيا على التسليم ــ خسارات فنيزه ــ صيرورة جنوه تحت الحماية الفرنساوية ــ قيام فلورنسه ــ حالة الاعمال تحت حكومة الجمهورية الفلورنسية ــ استخدام عساكر بالاجرة ــ العصر العظيم فى فلورنسه ــ الاعمال فى جنوب ايطاليا ــ روبرت صاحب سيسيليا ــ القلاقل فى نابولى ــ عيد الخمسين سنة للبابا بونيفاس الثامن على التخت ــ مشاحنته مع فيليب الجميل ــ موته ــ صيرورة كليمنت الخامس بابا ــ انتقاله من رومة الى أفغنون ــ ضياع شوكة البابا ــ الارتباكات فى رومة ــ رينزى ــ

صيرورته

صيرورته حاكما ـ سقوطه وموته ـ عود جريجورى الحادى عشر فى رومة ـ انتخاب عوربان السادس ـ كلمنت السابع ـ الشقاق الكبير ـ الطاعون فى فلورنسه ـ الاحكام الفوضوية فى ايطاليا الشمالية ـ تغلب اسبانيا على سيسيليا ـ الملكة يوانه ـ صيرورة الفنسو صاحب أرغون ملك نابولى ـ قيام المديسيين فى فلورنسه ـ التقسيمات السياسية لايطاليا فى وسط القرن الخامس عشر ـ مجلس قنسطنسة ـ صيرورة مارتين الخامس بابا ـ مجلس باسل ـ صيرورة نيقولا الخامس بابا ـ حماية الاستقلالية البابوية ـ تأسيس سنت بطرس ـ وجود الترك فى ايطاليا ـ طرد الفرنساوية من جنوه ـ كوسمودو ميديسى ـ لورينزو المفتخر ـ صيرورة لودوفيكو سفورزه دوق ميلان ـ دسائس ذبح لورينزودو ميديسى ـ خيبة المسعى ـ وضع البابا الحجر الكنائسى على أهل فلورنسه ـ الارتباكات فى نابولى ـ نجاح الجمهوريات الايطاليانية ـ موت لورينزودو ميديسى ـ صيرورة اسكندر السادس بابا ـ صفته الذميمة ـ القيصر ولوكريزيه بورغيسة ـ طلب البابا الفرنساوية فتح نابولى

كان موت فريدريق الثانى خصوصا ما حصل من وجود الفترة بعد موته غلافا تاما لانقراض الشوكة الامبراطورية فى ايطاليا فمع أن الملوك الجرمانيين كانوا مازالوا متمسكين بألقاب ملك وأمبراطور الرومانيين الا أنهم ما كان لهم أدنى شوكة فى ايطاليا فان الكثير من الذين خلفوا فريدريق ماتتوجوا أصلا بتاج الامبراطورية مع أن البعض منهم زار ايطاليا فى أوقات مختلفة وغير واتغييرات فى الحكومة وأدخلوا فيها بعض اصلاحات فى التقسيمات السياسية الادارية الا أنهم ما كان لهم طاقة على عودنا بيد شوكتهم فيها أو يجعلون لهم فى ايطاليا أدنى حكومة وكان هنرى السابع الذى دخل فى ايطاليا فى سنة ١٣١٠ بعد الميلاد فى رأس جيش قليل من الجرمانيين هو آخر الامبراطورات الذين كانت حكوماتهم مرعية فى تلك المملكة وكان البابا كلمنت الخامس مأسورا فى أفنيون وكان على وجل شديد من أن نفوذ فرانسا ربما ينتشر على ايطاليا ومن ثم يستحيل عليه الخلاص من خرابيش ملك فرانسا فحض الحزب الغلفى على مقابلة ملك جرمانيا المعروف فقابله الغبليون أشبه بكونه سيدهم الاصلى وأهلوا به فى ميلان واستلم فيها التاج الحديد فى يوم عيد الميلاد سنة ١٣١٠ وكانت هذه المدينة مقسومة بين اثنين من ذوى البأس من الاشراف وهما (غيدو ديلاطورى) رئيس الغلفيين و(متى فيسقونتى) رئيس الغبليين وكل من الحزبين قوى ملكه بهدايا ثمينة الا أن طلبات هنرى للنقود كانت فائقة الحد حتى نوه لمنها قيام الحزبين عليه فانتهز متى فرصة هذه القضية وخدع خصمه واستحوذ على المدينة وصارت من هذا الوقت مستمرة تحت أحكام فيسقونتى وأما بيسا والمدائن الاخر أخصام فلورنسه فانها قابلت الامبراطور مع الفرح وقفلت فلورنسه أبوابها فى وجهه ودخلت فى محالفة مع روبرت ملك نابولى وأرسل هذا الملك أيضا محافظين فى رومة ولما صار لهنرى عدم الطاقة على دخوله فى كنيسة القديس بطرس تتوج امبراطورا فى كنيسة القديس (يوحنا الاطران) وعقد الامبراطور محالفة مع ملكة سيسيليا وتوجه للاغارة على فلورنسه فأصابه مرض ومات فى الطريق فى ٢٤ أغسطس سنة ١٣١٣ بعد الميلاد ودفن فى مدينة بيسا ومن بعده ما حصل لأى امبراطور معاضدة قلبية من أهل مملكة ايطاليا

ثم تولد من اضمحلال الشوكة الامبراطورية تغيير كبير فى ايطاليا الشمالية وقد ذكرنا فى كلامنا

على القرن الثانى عشر كيفية صيرورة المدائن المشهورة تحت قيادة جمهوريات مستقلة وفى مدة هذا القرن انقرضت هذه الجمهوريات الصغيرة وحل محلها ممالك أوسع منها تشكلت من اجتماع عدة مدائن مع بعضها تحت حكومة واحدة ثم ان المدائن الاكثر قوة مدت أحكامها على المدائن الاضعف منها ومن ثم صار لسيد مدينة عدة مدائن فى حوزته جعلت له قدرة على أن يجعلها تحت يده على الدوام وفى مثل هذه الحالة استحصل من البابا أو من الامبراطور على قرار شرعى يؤيد له ملكيته على هذه الجهات أو ما يجريه فيها من الاعمال وكان تقليده زمام هذه الاملاك كاقطاع له وصار اميرا يورث فيها باستحواذه عليها ولقب بلقب دوق أو ماركيز ومن ثم دخلت ميلان التى هى الملوكية وكان حاصلا فيها التنازع فى مدة القرن كله بين العائلة الفيسقونتية والخصامها على التدريج فى حوزة تلك العائلة وفى سنة ١٣٩٥ بعد الميلاد اشترى (غيان غالبزو فيسقونتى) رخصة من (فنسلوس) ملك الرومانيين برفعه الى رتبة دوق ميلان ووصلت ميلان تحت أحكام دوقاتها الى حالة قوية ومدت شوكتها على باوية وكثير من المدائن اللومباردية بعضها اعترف بسيادتها من أجل تمتعها بحمايتها والبعض التزم الانقياد لها وفى ختام القرن امتدت شوكة ميلان على بيسا ولوقا وبيروغيه وسينه وضاعت فى القرن التالى هذه الفتوحات الطوسقانية

وحين ما كانت ميلان شارعة فى تقدم شوكتها استمرت فنيزة فى مد أراضيها وسيادتها فى ايطاليا الشمالية وكانت بعيدة عن السياسات الايطاليانية لحد القرن الماضى وكانت حكومة الجمهورية الفنيزية كحكومة أكبر الجمهوريات فى ايطاليا جارية بواسطة ثلاث مجالس فكانت القوانين تصدر من المجلس الاكبر وتنفذ بواسطة مجلس السناتو والدوق والمجلس الثالث منوط بالقضايا العدلية الجنائية المدنية فكان المجلس الاكبر مؤلفا من كبار الاشراف منتخبا بضبط الانتخاب بواسطة قانون يشتمل على حرمان أصاغر الاشراف والعوام من أن يكون لهم نصيب فى الحكومة وفى سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد صدر قانون يمنع من الانتخاب للمجلس أى ما لم يكن عضوا فى عائلة كبيرة شريفة فتولد من هذا القانون نفور الاهالى وتذمروا فى ابطال هذه اللائحة فآلت الحالة الى انتخاب مجلس سرى مركب من عشرة أعضاء تأسس فى سنة ١٣١٠ بعد الميلاد فاشتغل هذا المجلس بالامر الذى أحيل عليه وهو جعل الامة خاضعة للاشراف فكانت أعماله مثل أعمال مجلس التفتيش الرومانى وكان ينظر هذا المجلس قضايا التهمات ويصير القبض على المتهمين فى السر ويسجنون فى سجونه ويعذبونهم أشد العذاب ويلزمونهم بالاقرار على ما جنوه من التهمات التى وقعت عليهم وكانت عقابات هذا المجلس سرية اما بالموت أو الحبس حتى يموت وفى آخر الامر صار هؤلاء العشرة هم الحكام فى الحقيقة فى فنيزه وأهانوا أهلها حتى الاشراف وجعلوهم منقادين لاحكامهم

ثم أخذت جنوه فى التقدم مع السرعة وصارت العدوة الناجح التجارى لفنيزه فى الشرق ولبثت حكومتها مدة ما جارية تحت يد الاشراف فيما يختص بمنافع أنفسهم فى سنة ١٠٣٩ بعد الميلاد حصل صدم شوكتهم بانتخاب دوق ومن بعد هذا خسر الاشراف القدماء شوكتهم الادارية بالكلية وكانت جنوه مثل فنيزه على حد من السياسات فى ايطاليا الا أنها كانت العدوة الالدة لتلك الجمهورية فكانت عداوتهما حاصلة بالخصوص فى جهة الشرق فكان كل منهما يود احتكار تجارة الشرق لنفسه وأدى الجنويز خدمات جليلة للامبراطورات الجريقية فى وقت تغلبهم بالثانى على القسطنطينية

و عطوا

وأعطوهم نواحى (بيرا أوغلطه) جعلوها معقلا لهم وقطنوها مدة من الزمن وفى سنة ١٣٤٩ بعد الميلاد هيجوا حربا على الامبراطور (يوحنا كونطا كوظينى) فى مينة القسطنطينية بلزمونه بطرد الفنيزيين وهزموا الاسطول الاتحادى للجريقيين والفنيزيين وأكرهوا الامبراطور على طرد الفنيزيين ومنحه الجنويز احتكار تجارة الشرق وظهر فى الحقيقة أن جنوه على شرف قهر المملكة الجريقية وجعلها خراجية لها وفى سنة ١٣٧٨ بعد الميلاد دخل الجنويز فى معاهدة مع لويز الاكبر صاحب هنكاريا ومع (فرنسيسكو دا كراره) لورد بادوه وكان الغرض من هذه المعاهدة التغلب على جزيرة قبرص وعود المدائن الدلماطية الى لويز وكان الفنيزيون تغلبوا عليها فاقدم الجنويز الاسطول الفنيزيانى ولما عاد الاميرال الفنيزى (فيطوريو پيزانى) الى بلاده وضعوه فى السجن وفى هذه الاثناء أقلعت القوى المتحدة على البحر الادرياطيق وتغلبوا على مدينة (كيوغيا) الموجودة على مسافة ٢٥ ميلا من فنيزه وكان التغلب على هذا المحل هو الشغل الاصلى للجنويز الا أنه على مقتضى نص شروط الاتحاد كان هذا المحل أعطى الى (لورد بادوه) فصارت فنيزه تحت الخطر الشديد لان الطريق الموصل الى المدينة مكشوف من هذا المحل للاساطيل المتحدة فحصل الارتباك بين الفنيزيين فأفرجوا عن پيزانى من حبسه وترجوه فى اجراء الطرق لخلاصهم فقبل رجاءهم بذلك وشرع بحزم رأيه فى اعداد ما يلزم للمدافعة عن المدينة وفى هذا الوقت وصل الاميرال الكبير (كارلوطينو) بعمارته من جهة الشرق لاجل مساعدة أهل بلده فاشترك مع پيزانى فى المدافعة عن المدينة وأحاط الاسطول الفنيزى بالاسطول الجنويزى فى كيوغيا فالتزم الجنويز فى مبادى فصل صيف سنة ١٣٨٠ بعد الميلاد على التسليم من بعد حصار ستة أشهر وكان ختام الحرب بمعاهدة عقدت فى تورين سنة ١٣٨١ بعد الميلاد وخسرت فنيزه أراضيها التى فى دلماطية واستلم هذه الاراضى ملك هنكاريا وكذا سلمت فنيزه مدينة (طرفيسو) وكانت فى أول فتوحها على البر الاصيل فى ايطاليا ثم انتقلت هذه المدينة الى (ليوپولد) صاحب أوستريا الذى نقلها الى لورد بادوه ومع ما حصل من الخسارات لفنيزه فانها انتظمت فى نفسها مع غاية السرعة وصارت مملكة قوية زيادة عما كانت عليه قبل وأما جنوه فانها لم تشف من أمراضها التى حلت بها لانه حصل فيها عقب حربها مع فنيزه اختلالات وحروب داخلية تولد منها ضعف كبير فى حالة الجمهورية حتى ان الجمهورية فعلت الطريقة اللازمة لخلاصها من شوكة ميلان بان تمنح شارلس السادس صاحب فرنسا سيادة جنوه فى سنة ١٣٩٦ بعد الميلاد

وأما فلورنسه فانها علت حتى وصلت الى أرقى منزلة فى مدة هذا القرن فكانت حكومتها ليست حكومة أشراف مثل حكومة فنيزه ولا تحت يد طاغية مثل حكومة ميلان وكان تاريخها فى القرن الرابع عشر مقصورا على حرب مستمر من أجل حفظ استقلاليتها من اغارات جيرانها عليها وسن القوانين المفيدة التى تأسست عليها قواعد الفلورنسيين فأعقب هذا فى فلورنسه حرية وسياسات وتدابير لا توجد فى جهة ما من جهات ايطاليا وصار لاهلها طاقة على اكتساب العلوم والصنائع جعلت لاهلها شهرة فى ايطاليا الا تمحى فى عموم التاريخ وفى غلاق هذا القرن تم النظام والقوانين اللازمة للملكة وكانت أعمال التبعة منحصرة فى الاساسات التى بنى عليها هذا النظام فكان المدنيون منقسمين الى أصحاب حرف أو تجارة وكان يجرى انتخاب النواب الكبار من هذه الحرف فقط ومدة انتخابهم من بعد مضى كل شهرين وأما المجلس العالى للملكة فكان انتخاب أعضائه كل أربع شهور فتولد من

هذا النظام الجامع للعدل عتق عموم الطوائف مما يختص بواجبات المملكة وجعل لكل واحد منهم فائدة شخصية قائمة به فى المملكة وكان النواب لا يأخذون مكافآت على خدماتهم بل كان شرف الوظيفة هو المكافأة وكانت أشغال الفلورنسيين مقصورة على صناعة الحرير والبضائع المشغولة من الاصواف وصياغة الجواهر وكانت أشغال الصرافة والبنوكة هى المنبع الاكبر لثروة الجمهورية فكانت صيارف طوسقانه مشتركة مع صيارف أخصامهم اللومبارديين فى جمع وتوزيع الاموال الاوروباوية بصكوك واقتراضات وكانت كافة الملوك تقترض منهم وصارت الفلورينو الفلورنسية وهى دقة جيدة من الذهب كانت ظهرت أولا فى سنة ١٢٥٠ بعد الميلاد معيارا عاما لقيمة النقود ومع ما كانت عليه من الحروب المهولة فانها أكرهت أيضا على عمل محاربات فى طول مدة القرن على جيرانها وبالخصوص على ميلان ولو فى المحافظة على استقلاليتها ونجحت فلورنسه وتقدمت فى الثروة وسنذكر فى كلامنا على القرن التالى كيفية وقوعها تحت حكم جمهورى حر رأى فى هذه المدة أتم اعلى شرف الوصول اليه وكانت احدى الهيئات المرعبة فى الحروب التى أجرتها الجمهوريات الايطاليانية على بعضها هى أن كل جمهورية استخدمت عندها عساكر بالاجرة باعوا خدمتهم بثمن غال فكانت فوائد هذه العساكر ومكاسبهم فى الحروب موجهة على الدوام نحو الجهات التى يكتسبون منها مرتباتهم فقط وعرف الطواغى على اختلاف مراتبهم أن الاسلم لهم استخدامهم مستأجرى العساكر لانهم يكونون تحت أوامرهم ولا يهتمون بشئ فى الجهة التى يحاربون من أجلها الا لمن يصرف لهم رواتبهم فتولد من هذا التغيير الذى استحسنه الامم طول الحرب زيادة عما كان قبل فان الحرب الواحد قبل القرن الرابع عشر كان يمكث بضع أيام فقط وكان من بعد تمام الواقعة على مدينة تعود العساكر البلدية ويتوجه كل امرئ الى أشغاله حتى يطلبوا مرة أخرى ولكن صار فى هذا الوقت فن الحرب حرفة وصارت الوقائع والحصارات تمكث شهورا ويقع بسبب طول الحرب على العساكر البلدية الخراب من قفل دكاكينهم وترك أشغالهم فمن ثم تقرر وجوب استئجار العساكر لان هذه الحالة أعظم نفعا لسلطنتهم من العساكر الذين كانوا يتوجهون الى الحرب عند الحاجة فمن هذا تحملت الممالك ديونا ثقيلة لناس مخصوصين من أجل دفع رواتب هذه العساكر ثم دخلت هذه الديون تحت قواعد مكفولة فى الدفع وقيم الفوائض ومن هذا تأسست الحالة الراهنة المختصة بالديون الداخلية والتأمين عليها وكانت العساكر الاجرية فى الابتداء من الاجانب ولكن فى نحو غلاق القرن تأسست مدرسة لفن القيادة العسكرية فى ايطاليا تحت مصاريف جمعية سنت جورج وكان تأسيسها بمعرفة (البريغو قونت باربيانو) ومن ابتداء هذا الوقت صار أرباب فن تعبئة العساكر فى الوقائع تخرج من هذه المدرسة الايطاليانية من نفس الايطاليانيين مثل (ياقو بو ديلوارمى) وغيره وكانت هذه العساكر الاجرية كافية لكل طاغية فى توسيع أراضيه وأحيانا يكون فيهم الكفاءة لخلاص مملكة مثل (فلورنسه) من الذين يريدون ادخال أهلها فى عبوديتهم

وكذا ظهر فى مدة الثلاثة قرون السالفة للقرن الرابع عشر سرعة تقدم فن العمارات فى ايطاليا ومن ثم كان غلاق القرن الثالث عشر وتمام القرن الرابع عشر منبع المعارف فى ايطاليا فان (دانطى) أكبر شعراء الايطاليانيين ولد فى فلورنسه سنة ١٢٦٥ بعد الميلاد وكانت جميع مؤلفاته مختصة بالقرن الرابع عشر وكذا (بطرارش) من أهل فلورنسه كتب مغانيه العظيمة فى أواسط القرن (وبوكاكسيو)

رجل

رجل آخر من أهل ايطاليا و (جوفي متى) و (فيليبو فيلاني) وهذا ألف أحد التواريخ القديمة الايطاليانية وكان هؤلاء من أهل فلورنسه وحازت فلورنسه في نفسها التنور العقلي في المعقولات والمنقولات والافكار السياسية في ايطاليا وصارت دار العلوم والحرف مدة طويلة ومع كل فيلزمنا أن لا ننسى أن السعادة الحقيقية التي وصلت اليها فلورنسه في العلوم كان أساسها وجود الحرية التامة فيها ولما ابتدأت حريتها في الاضمحلال لم يتيسر لها ولا للميديسيين وقت بذلهم مجهودهم في فلورنسه الحصول على مثل أرباب الفكر الكبير الذين كانوا اشتهروا في مدة عصرها الاول وذكر دانطي الشاعر شهرة مدينتها وعظم سعادتها وحريتها في تغلبها الحرية التي كانت عمرتها

وكانت ايطاليا في الجهة الجنوبية من الارض البابوية مقسومة الى سيسيليتين ومملكة على البر الاصيل كانت تعرف بمملكة نابولي أوسع امتدادا وأقوى شوكة من جميع ايالات ايطاليا ودخل لبعض من ملوكها في مهمات الاعمال الايطاليانية الا أنهم ما نجحوا الا روبرت الذي كانت مدة سلطنته من سنة ١٣٠٩ الى سنة ١٣٤٣ بعد الميلاد تقررقائد الحزب الغلفي ومن ثم صار له طاقة على أن يقف مقاوما للامبراطور هنري السابع ومن بعد موت هذا الامبراطور انتهز روبرت الفرصة في وقوع ارتباكات في البيعت بجزيرة من أجل زيادة شوكته وأخيرا تولد من أعماله مقاومة شديدة قامت عليه لانه ظهر أن نيته وقصده أن يتتوج بتاج ايطاليا على الاقل وفي سنة ١٣٢٧ بعد الميلاد أكره الامبراطور لويز صاحب بافارية على ترك رومة وفي وقت مجيء يوحنا صاحب بوهيمية في ايطاليا كان روبرت طعن في السن من أجل خروجه الى الحرب غير أنه كان له طاقة على توجيه نفوذه ضده حتى التزم يوحنا أخيرا بترك ايطاليا ومات روبرت في سنة ١٣٤٣ بعد الميلاد وخلفته حفيدته (يوانه) المتزوجة بابن عمها (اندريو) الوارث لتاج هنكاريا فقتل أندريو بأمرها وأرغم أهل نابولي الملكة يوانه ومحبوبها لويز صاحب طرنطو على الهرب وخلف لويز الاكبر أخاه أندريو على تخت هنكاريا وفي سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد أغار لويز على نابولي وأثار حربا امتدأربع سنوات ذاقت فيه نابولي الوبال خصوصا من العساكر الاجرية ثم انعقد صلح في سنة ١٣٥١ بعد الميلاد بين نابولي وهنكاريا وكانت يوانه خالية من الذرية والوارث لها ابن عمها شارلس صاحب (دورازو) فتزوجت الملكة زوجا رابعا بعد الصلح وعلى رغم شارلس اختارت أن يكون الوارث لها لويز صاحب انجو بن الملك يوحنا صاحب فرانسا ومع ذلك فان شارلس تتوج ملك نابولي بمعرفة البابا وأرسل له لويز صاحب هنكاريا جيشا فأسر الملكة يوانه وقتلها وفي سنة ١٣٨٣ بعد الميلاد مات عدوه لويز صاحب انجو وبموت لويز صاحب هنكاريا وعم شارلس توجه شارلس الى هنكاريا في طلب التاج فقتل فيها ثم خربت نابولي من حروب وقع فيها بين خلفاء ابنه لاديسلوس والفرنساوية من أجل التاج وأما تاريخ البابوية في ظرف القرن الرابع عشر فكان مشحونا بالحوادث المهمة وذلك انه في سنة ١٣٠٠ بعد الميلاد احتفل بعيد الخمسين سنة من جلوس البابا (بونيفاس الثامن) في رومة وازدحمت المدينة بالزائرين من كافة طوائف الدنيا أتوا ليكسبوا أنفسهم التفات الحبر الاعظم ويغفر لهم خطاياهم والظاهر أن خضوع الملة الكاثوليقية لرئيسها الروحاني ما كان كبيرا لان الافكار التي توجهت الى هذه المسئلة من كبار العقلاء أبعدتهم عن هذا الخشوع وكان من ضمن الذين ساروا على هذا المنهج الشاعر دانطي فانه رأى بفكرته العظيمة الحق ورفض قبول العمى الذي كان ساترا على عينيه بالخداع وكان من هذا الخداع أن الحبر المتسلطن

(بونيفاس الثامن) له القدرة على خلاص الناس من المصائب وكان عمره ينيف عن ثمانين سنة وما حصل ضعف فى طمعه ولا تخفيف فى كبريائه فانه تبختر فى يوم عيده بالملابس الامبراطورية وأمامه اثنان حاملان سيفين وكرة الدنيا دلالة على أن رغبته أن يحكم الدنيا فوا أسفاه على مطامع آماله فان الدنيا انعكست رغماعنه أجراء من السعى فى حركتها الى القهقرى وابتدأت أوروبا فى المحافظة على أسلوب الامم المشهورة الذين أرغموا بها البابات فى أن يكتفوا بوظائفهم الاصلية ثم آل أمر الاحبار أن خسروا شوكتهم عند الامم الاخر فى أشغالهم الروحانية وسنذكر قياسيا فى أن البابات رأوا فى جرمانيا انه يستحيل عليهم فى هذا القرن أن يفعلوا ما كانوا يفعلونه فى القرن الماضى ورفض ملك فرانسا الطاعة للبابا فى أى مادة حتى انه قبض على واحد من الاحبار وعاقبه وجعله آخرآلة له وأسره وكذا فى انكلترة صار ترس القانون فى درجة كافية لكسر كل صدمة اجتهد البابا أن يصدمها انكلترة ليجلب أهلها تحت أقدامه كما حصل من البابا (انوسنت) فى أيام الملك يوحنا ومامضت مدة من بعد عيد الخمسين سنة حتى اشتبك بونيفاس الثامن فى حرب مع فيليب صاحب فرانسا فقبض عليه فيليب وبعد قليل مات البابا وخلفه بنديكت الحادى عشر لمدة أقل من سنة فأعاد الشوكة البابوية الى حالتها الاولية وأظهر عزمه على قصاص الاحزاب الذين قبضوا على بونيفاس الثامن فتولد من هذا العزم ثوران أعدائه وحضرت عنده ذات يوم راهبة من (دير سنت بطرونيلا) ومعها سل ملآن من التين وفى آخر الاسبوع كان البابا مدفونا فى قبره ثم جلس من بعده كليمنت الخامس خليفة بنديكت وكان فرنساويا انتخبه فيليب الرابع ملك فرانسا ورغب أن يجعله واسطة فى اجراء ما يلزم له من أعماله ونقل كليمنت مقره من رومة مرضاة للملك فرانسا الى مدينة (افغنون) من أعمال بروفنسه خارجة بقليل عن الحد الفرنساوى وتابعة للملوك الفرنساوية فى نابولى وبهذا النظام صار البابا فى الحقيقة أسيرا فى قبضة ملك فرانسا واستمر مقر البابات فى افغنون مدة سبعين سنة وأطلق على هذه المدة اسم الاسر البابلى وكانت من سنة ١٣٠٥ الى سنة ١٣٧٦ بعد الميلاد وتداخل البابا (يوحنا الثانى والعشرون) وكان فرنساوى الاصل أيضا ومقيما فى أفغنون فى الاعمال الايطاليانية ضدا للامبراطور هنرى السابع ولويز صاحب بافارية الا أنه ما كان له طاقة على تمام أى شئ مع كل من الاثنين فوضع الحجر الكنائسى على لويز فما التفت هذا الملك لهذا الحجر وسار الى رومة واستلم تاجه الامبراطورى من أيدى اثنين من الاساقفة محجور عليهما أيضا فى سنة ١٣٢٧ بعد الميلاد وأعلن لويز بأن يوحنا الثانى والعشرين عدوه مخلوع من البابوية وأجلس بدله بابا آخر فقام روبرت صاحب نابولى وطرد الامبراطور والبابا الذى أجلسه وظهر من حالة بنديكت الثانى عشر الذى تعين بابا فى سنة ١٣٣٥ بعد الميلاد أنه على شرف عود السيادة البابوية وفصل حالة ارتباكات الامم المسيحية فختم الموت على اماله فى سنة ١٣٤٢ بعد الميلاد ثم تعين من بعد بنديكت الثانى عشر كليمنت السادس وتمكن من أن ينال بعض مزايا على الامبراطور لويز صاحب بافارية بسبب ما كان بينه وبين الجرمانيين من النفور الا أن ذلك ما كان مكتسبا حقيقيا لان قوة البابا الموجودة فى جانب غضب الجرمانيين أقل بكثير من احترامهم لرومة أو من خوفهم من شوكتها ولما هربت الملكة يوانه الى مدينة أفغنون مع محبوبها لويز صاحب طرنطوس بعد قتل زوجها تزوجت بمحبوبها برضا من البابا وباعت له مدينة أفغنون وفى مدة ولاية البابا كليمنت هاجت وقائع فى رومة وكانت المدينة من مدة أربعين سنة تركها البابات وفى هذه المدة خلت من أن تكون هى العاصمة

الديانية الدنيا المسيحية وانتقل ازدحام الزائرين الذى كان يصحب فيها بحركتها تنتظم الى مدينة أفغنون فكانت رومة محكومة اسميا بنوابها الا انه كان يوجد فيها قليل من القوانين وحصل من الاشراف لاسيما عائلة (عورسيني - وكلونا - وساقلي) الاختلال المستمر بشاحناتهم التي كانوا يجرونها في الشوارع وفي سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد شرع (كولادي رينزي) في تحريض الرومانيين وتذكيرهم بمجدهم القديم وعود حكومة جليلة في المدينة واستمر عدة شهور محافظا على تحريض الامة على الاشراف الذين داسوا الحقوق وأهانوا المدينة وأهلها وكان حصول هذا الاجتماع كل ليلة على جبل (أفنطين) في ربيع سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد وكان رينزي يخطب فيهم ويذكر ماهم فيه من قبيح الاحوال بفصاحة كلامه ويقارن في خطابته ذل رومة بمجدها القديم وحريتها وما كانت عليه من سيادة شوكتها ويبكى فكان الحاضرون يبكون من عذوبة كلامه ويدعوهم الى الحرية وخلاص المدينة من هذه الحالة المهينة ولما أعد كل شئ طلب الامة الرومانية للحضور في الكابيتول بغير سلاح في يوم ٢٠ مايه فاجتمعوا في قوة ورتبوا حكومة منظومة سموها بالحكومة الطيبة وانتخبوا رينزي حاكما فوضع عدة اصلاحات لازمة بالقوة وبواسطة شدته في الاحكام قهر الاشراف الى طاعته وساعدته الامة على أعماله وعامل رينزي البابا بالكرم ولو أنه تعدى على بعض امتيازاته فمال اليه البابا في ابتداء الامر وراعى سير أعماله بقبول ونتج من نجاح هذا الحاكم الذى كان على حين غفلة وفي غاية من السهولة أن صار متكبرا مؤذيا ورأى في نفسه أنه خليفة القياصرة ومعيد شباب رومة الذى كانت عليه في عصر القياصرة ونسى ماحصل له من العناء حين ما كان واحدا من أفراد أهل المدينة فلما رأى في نفسه انه صار مستعدا في مركزه على استعمال شوكة قوته في الانتقام من أهل المدينة أزعج بفعاله عموم الطوائف وأغضبهم بمطامع آرائه وتهديداته وفي ١٥ أغسطوس سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد صار في أعلى مجده وتتوج في كنيسة (سنت مارية ماغيور) فتباهى بفوزه وقال في أثناء احتفاله ألفاظا مذمومة - ان المسيح في السنة الثالثة والثلاثين من عمره لما انتصر على ظالمي أهل جهنم ارتفع متوجا بتاج النصر الى السماء وأراد الله في نفس هذه السنة من عمرى أني تغلبت على ظالمي المدينة من دون طعن فأنا أعطى الحرية التامة للاهالي في كونهم يجب عليهم أن يؤدوا الاحترامات اللازمة لاحتفال تاج الحاكم - فأخذ السامعون ألفاظه بالقبول مع الهيبة وكان في وسط هذه الافراح واحد من معاضديه غيور على دينه اسمه (فراغوليلمو) منزويا في أحد أركان الكنيسة يبكى بحرقة فسأله واحد من خدمة رينزي عن سبب غمه فأجابه هل سيدك نزل من السماء أنا ما رأيت أبدا في عمرى رجلا معجبا بنفسه بهذه الصفة انه بمساعدة الله وقوته طرد الظالمين من المدينة من دون أن يسحب سيفه وهل مدائن ايطاليا وملوكها أقروا بسلطنته فلماذا هو في هذه العظمة وعدم الثناء على القادر جل جلاله ولماذا هو يبحث عن الحكومة في الارض وعن المكافأة على فعله وما هو المقتضى لضربه هذا المثل الذى مثل به نفسه بالخالق قل لسيدك انه لا يكفر هذه الجرائم الا البكاء والتضرع فكأنه كان نذيرا أو نبيا من أنبياء بني اسرائيل ولما قص الخادم هذه الحادثة على رينزي في غروب هذا اليوم داخله الخوف مدة من الزمن الا أن الهياج ووجود الاشغال أنساه هذه الحادثة فأقام بنيانه المفتخر يعني الحكومة الطيبة على تل رمل بغير تدبير فنسفته الرياح الشديدة واستمر الرومانيون عدة قرون يهوون في مهاوى الذل والخزعبلات وسوء الحكومة الرديئة واستحال عليهم الاستحواذ على الحرية ومراعاة

القانون لتكونوا من أحسن أهل المدائن فان مثل هذه الفضائل تأخذ فى النموّ على التدريج الا انه لايمكن اصلاحها فى حالة ما اذا كان الحاكم والامة غير متوافقين فى الاعمال الموجودة أمامهم وعجز الحاكم عما يلزم له من الاشغال لحفظ مركزه فوقع مهما تحت تصوراته وصار الاهالى لايثقون بأقواله وانتشر الحزب البابوى فى أثناء هذا النفور وشرع فى طرد الحاكم وعود الحكومة البابوية ولما رأى رينزى غضب الاهالى من جهته وكان يعلم علم اليقين أن الاشراف أعداؤه وأنهم هم الباحثون عن عزله عند أوّل فرصة تسنح لهم سعى فى كسر شوكتهم واطفاء لهيب نار قلوبهم فاعترف لهم بالصداقة وأظهر لهم الميل وقبض عليهم وطرحهم فى السجون ثم تداولت فعلهم بهذه الخديعة المهينة وأمر بخروجهم من السجون ومنحهم العفو غير أن الاشراف والامة رأوا أن أعماله هذه وقعت من جبنه فمن بعد مضى شهرين قام عليه (الكولونانيون) فى ثورة بالسلاح وانضم اليهم الاشراف الآخرون فانهزموا من قلة حزمهم وحال فيهم رينزى بتدبيره وفتك بالثائرين وقامت عليه شراسة أخلاقه وأوقع بالباقين من قومه وداس رمم أعدائه فأعلن البابا بنفسه عليه ووجه عظيم قواه اليه وفى سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد زحف الكونت (بيين) صاحب (مينور بينو) فى مملكة نابولى فى رأس ١٥٠ نفس وسار الى رومة وحصن نفسه فى خط كلونه فدق الحاكم الناقوس بطلب الرومانيين تحت السلاح فرفضوا قبول هذا الطلب فالتجأ رينزى الى قلعة (سنت انجيلو) ومكث الاشراف ثلاثة أيام لا يرغبون فى دخول المدينة والانضمام مع الكونت بيين ثم دخلوها وألغوا حكومة الحاكم وأعادوا الهيآت القديمة واختفى رينزى فى هيئة راهب وهرب الى جبال الابنين فقام فيها مختفيا مدة سنتين ونصف بين جماعة الرهبان (الفرنسيسكانيين) لم يظهر اسمه لهم ثم سار من هذه الجهة الى مدينة (براغة) فرج الامبراطور شارلس الرابع بمبتدعاته فأرسله الامبراطور أسيرا الى البابا فى أفنيون فحبسه فيها مدة ثم خلصه من سجنه وأرسله البابا أنوسنت السادس الى رومة فى سنة ١٣٥٤ بعد الميلاد كى يجتهد فى عود النظام الى المدينة فعاد بصفة حاكم يحكم المدينة باسم البابا فانطلقوا قبولها واحترامه وبما أن حضوره ما كان فيه شئ من أمر حرية الامة فصار لانفوذ له عليهم ومن بعد مضى بضع شهور من وصوله الى المدينة قتل فى ثورة قامت عليه فيها ثم رأى الرومانيون أن عدم وجود البابا فى رومة منشأ الارتباكات وفى الحقيقة كان ذلك سببا فى عجز أموالهم لانه كان حاصلا من وجود البابا فى المدينة ازدحام الاغراب من جهات أوروبا وكانت مصاريف هؤلاء الزائرين مع مصاريف الديوان البابوى منبعا عظيما للثروة فسكان المدينة فأجهدوا أنفسهم وبذلوا جهدهم فى حض الحبر على العود الى مدينتهم وفى سنة ١٣٧٧ بعد الميلاد عاد جريجورى الى رومة وصارت المدينة مرة أخرى المقر الدينى للامة المسيحية ومات جريجورى فى السنة التالية فقام الرومانيون بالسلاح وألزموا الكردينالات على انتخاب بابا ايطاليانى أو أى بابا خليفة بعده يكون مقره فى رومة واقتحموا القاعة الملتئم فيها المجلس البابوى وصرخوا * بابا رومانى * نرغب بابا رومانى * ومع أنه عملت الطرق اللازمة لطردهم الا أنهم ملؤا الشوارع بالازدحام مدة يومين وهم يزعقون بطلباتهم ويهددون الكردينالات بالموت اذا رفضوا قبول طلباتهم وأخيرا انتخب الكردينالات من خوفهم أسقف مدينة بارى للتخت البابوى وهو رجل ايطاليانى وفى نفس الوقت اقتحم الرعاع قاعة المجلس البابوى مع الشدة قاصدين أذى الكردينالات فتولد من الرعب تحريض كردينال (القديس بطرس) على مقابلتهم فى صفة الحبر المنتخب فجاء بنفسه عند الشبابك

متزيابلباس البابا فهلل العوام وصاحوا الآن صار لنا بابا رومانى هو كردينال سنت بطرس * تعيش رومة * يعيش سنت بطرس * ودخل الاوباش القاعة مهللين بالفرح وأحاط بالبابا المفروض أصدقاؤه المتعصبون وكبسوا عليه وصاروا يلثمون يديه وأقدامه وكانت منتفخة من داء النقرس فحصل له ألم شديد من مثل هذا التعظيم وحلف لهم من شدة ما حصل له من الهوان أنه ليس البابا فكان هذا الانتخاب خفيا لامعنى فيه لانه ما حصل فيه تدبير عند الكردينالات ولا عند العوام ولا عند الحبر الذى صار انتخابه ومع هذا صار تعيين أسقف بارى بابا باسم عوربان السادس وكان عمره ستين سنة فأدخل فى الكنيسة بعض اصلاحات بدون تدبير كانت نتيجتها أن أبعد عن نفسه محبة الكردينالات الفرنساوية فتركوه واعتزلوا الى (أناغنى) وانتخبوا لهم بابا آخر اسمه روبرت من أهل جنيفة ولقب كليمنت السابع وجعل مقره فى افغنون فتولد من هذا العمل قسمة الكنيسة مدة ٣٨ سنة وما انتهى لحد سنة ١٤١٤ بعد الميلاد

وفى وسط هذا القرن وقع فى ايطاليا طاعون وظهر فى سنة ١٣٤٨ بعد الميلاد وانتشر انتشارا شديدا فقيل انه مات من سكان نابولى نحو من ٦٠,٠٠٠ نفس ومات فى مدينة بيسا من كل عشرة سبعة أنفس وخربت مدينة سينة وذاقت فلورنسه ألم هذا الوباء وكان هذا البلاء يعرف بطاعون فلورنسه بسبب أن بوكاكسيو الفلورنسى ألف رسالة تتعلق بالكلام على ما حصل من خراب هذا الطاعون فى مدينة فلورنسه

وكانت احدى نتائج الشقاق الاكبر أن الملوك الايطاليانية عاملوا البابات أخصامهم بأقبح المعاملات ووقعت ايطاليا الشمالية فى حكومة فوضوية وانقسمت دوقية ميلان بين أولاد (جيان غاليظو فيسقونتى) فاشتهروا بظلمهم وظهر كثير من الطاغية فى الدوقية غير أنه صار قهرهم بواسطة (فيليبو ماريا فيسقونتى) وفى سنة ١٤٠٢ بعد الميلاد كان الملوك المستقلة فى ايطاليا الشمالية فونت صاقوا ومارك نزمونطفرات ولوردات بادوه وفراره ومنطووه

ثم ان (فرنسيسكو دا كراره) لورد بادوه انتهز فرصة موت (جيان غاليظو) وتغلب على فيرونه فعقدت فنيزه محالفة مع لورد منطووه وأعادت فيرونه وحاصرت بادوه وأكره (فرنسيسكو دا كراره) على تسليم مدينته وأرسل مع ولديه الى مدينة فنيزه وهناك صدر أمر مجلس العشرة بقتلهم ومن هذا الحرب استحوذت فنيزه على طرفيز وفلطر وفيرونه وفيسنزه وبادوه حيث صارت احدى الممالك الكبيرة فى ايطاليا وبموت (جيان غاليظو) خلصت فلورنسه من الضرر الذى كان واقعا عليها منه وفى سنة ١٤٠٦ بعد الميلاد مدت فلورنسه حكمها على مدينة بيسا

وكانت جنوه محكومة فى افتتاح القرن بعامل من طرف شارلس الرابع ملك فرانسا وفى سنة ١٤٠٩ بعد الميلاد انضمت جزيرة سيسيليا مع مملكة أرغون بواسطة زواج مريم ملكة سيسيليا بمارتين ملك أرغون ووقعت المنازعة من أجل مملكة نابولى بين (لادسلاوس) رأس السلسلة القديمة (الانجيفنيانية) ولويز الثانى رأس الحزب الفرنساوى الجديد وفى آخر الامر أمكن للادسلاوس طرد خصمه وأيد حكمه غير أن المنازعة بين الخصمين كانت شديدة حتى وصل الشقاق داخل الكنيسة لان كلاهما كان يعتقد أن عداوة البابا موجهة على خصمه ثم نجح لادسلاوس بواسطة أخته (يوانة الثانية) فانه انتظر العدم وجود ذرية لها ترثها اختارت أن يكون الوارث لها الفنسو ملك أرغون وسيسيليا ولما

غضبت منه اختارت لويز الثالث صاحب انجو بدلا عنه فوقع الاثنان فى حرب بخصوص الاستحواذ على التاج النابولطانى وبغاراتهم انقسمت ايطاليا فاستقر رأى دوق ميلان وصفورطه قائدا المملكة بوانه على لويز وأما البابا والفلورنسيون و باركسيو ولورد ريغنى فانهم قرروا على الفنسو ولما كبست ميلان على الفلورنسيين عقدوا المحالفة مع فنيزه فالتزم دوق ميلان على عقد صلح فى سنة ١٤٢٦ بعد الميلاد ونال لويز فى نابولى اليد الطولى وخاب الفنسو فى أعماله ولما مات لويز اختارت المملكة بوانه أخاه رينى صاحب انجو بدلا منه فهاج الحرب بين (الانجيفنيانيين) و (الارغونيين) مرة ثانية واستمر الى حد سنة ١٤٣٣ بعد الميلاد فكان هذا الحرب بفائدة عادت على الانجيفنيانيين ومحالفيهم وفى سنة ١٤٣٥ بعد الميلاد هلكت الملكة بوانه الثانية واجتهد الفنسو فى الغلبة على المملكة فتساعد رينى بدوق ميلان وهزم الفنسو بواسطة اتحاده مع الاسطول الجنويزى على مسافة من جزيرة بونطه وأخذه أسيرا ومن بعد مضى قليل ارتاع الدوق من تقدم الفرنساويه فطردوا رينى من المملكة وأجلسوا الفنسو على التخت وصار الفنسو فى هذا الوقت مالك نابولى وسيسيليا وأرغون فجعل نابولى عاصمته واستحوذ على محبة رعاياه الجديدة بمعاملته اياهم بالرأفة واستمر فى مدة سلطنته حليفا الميلان

وكانت فلورنسه من عهد الثورة التى وقعت فى سنة ١٣٨٢ بعد الميلاد محكومة بحكومة أعيان مؤلفة من العائلات الغلفية ومن المتمولين المستجدين من أهلها وفى سنة ١٤٣٣ بعد الميلاد كان رأس هذه الحكومة (رينادلو دجلى البيزى) ورأس المضادين له رجل من أغنياء التجار اسمه (كوسمو دومیدیسی) وكان كوسمو المذكور ذا ثروة واسعة يصرفها فى مساعدة اخوانه من أهل المدينة وبما كان فيه من السخاء ومساعدة الناس صار محبوبا عند أهل المدينة وفى سنة ١٤٣٣ بعد الميلاد نجح البيزى فى نفى كوسمو وفى السنة التالية عاد كوسمو بطلب من الفلورنسيين فقابلوه ورحبوا به أشبه بكونه (أبا بلده) فانتهز الميديسيون الفرصة وجعلوا أنفسهم فى رأس المملكة ومن هذا الوقت حفظوا لانفسهم دولة مستديمة وما تلقب كوسمو ولا من جلس بعده على كرسى فلورنسه بلقب ما وكانت دولتهم مخالفة لدول الملوك سواء كانت فى الجريس القديمة أو فى المدائن الاخرى الايطاليانية وما كانت هذه الدولة مثل دولة بركليس فى أثينة تنتقل من الاب الى الابن بل كانت مثل الدولة الاوغسطوسية فى هيئة مراعاة الجمهورية وهرب الحزب المضاد لكوسمو الى ميلان وحض (الدوق فيليبو ماريا فيسقونتى) وكان مشغولا فى حرب مع البابا (أوغنيوس الرابع) لاجل الاغارة على فلورنسه وكذا هرب البابا عند الفلورنسيين فدخلوا مع الفنيزيين فى أمره وحضنوه وجعلوا الجيش الفلورنسى تحت قيادة البابا (فرنسيسكو صفورطه) فانهزم دوق ميلان فى حرب كبير أحكمت أعمالها الحربية بين الطرفين فلما رأى فيليبو ماريا ماهو عليه من الخطر جذب اليه صفورطه بكونه زوجه بابنته بيانقه وأمهرها مدائن كريمونه وبونطريمولى فعقد صفورطه الصلح بين فلورنسه وفنيزه وميلان وكان فرنسيسكو صفورطه مع صهره فى أقبح عيشة ولما مات فيليبو ماريا فى سنة ١٤٤٧ بعد الميلاد من دون ذكرية طلب صفورطه دوقية ميلان من حقوق زوجته فأنكر الميلانيون هذا الطلب ثم انجبروا فى أثناء حربهم مع الفنيزيين على أن يكون صفورطه هو المباشر لاعمالهم الحربية فانتهز الفرصة فى هذا الوقت وضبط مملكة ميلان وكان هذا فى شهر فبراير من سنة ١٤٥٠ بعد الميلاد

وفى وسط القرن انقسمت ايطاليا بين أربع دول كبيرة هى مملكة نابولى ودوقية ميلان وجمهوريتى

فنيزه وفلورنسة ودولة خامسة وهى الدولة البابوية فانها ابتدأت فى أن تأخذ موقعها الحقيقى بين الممالك الايطاليانية

أما الارتباكات التى تسبب منها انقسام الكنيسة مدة طويلة فانها انتهت بواسطة المجلس الكنائسى الذى خلع البابات المتخاصمين وعين مارتين الخامس وأعلن بأنه هو البابا الحقيقى فى سنة ١٤١٦

ثم أعقب هذا المجلس مجلس آخر عقد فى مدينة (باسل) تقرر فيه جعل البابا تحت سلطة مجلس الكنيسة فقاوم أوغنيوس الرابع وهو الحبر المتولى فى هذا الوقت هذا القرار مع الشدة وبمساعدة (عنيس سلفيوس) كاتب أسرار المجلس نجح البابا فى بقاء حكومته المستقلة وأمن حصول مشاحنة فى الخليفة من بعده نيقولا الخامس فى سنة ١٤٤٧ بعد الميلاد فكان هذا البابا الجديد من أجل أحبار الرومانيين ولما خاب مجلس باسل فى أعماله خلصت البابوية من وجودها تحت يد أى شوكة فبذل البابا نيقولا طاقته فى الاعمال الطيبة فى الدنيا وكان تولد من الامر فى أفغنوت ومن طول الشقاق الذى وقع ضعف فى أحوال الدولة البابوية فصار من ابتداء عهد نيقولا الخامس من اللزوم مراعاة البابات بأنهم ليسوا رأس الدنيا المسيحية بل انهم أقوى ملوك ايطاليا وأقام نيقولا حكومته على الايالات التابعة للكنيسة واستعمل الافعال الطيبة فى دولته فكان أحسن وأجل رجل فى الاحبار وكان محبا للعلوم والصنائع وبذل جهده فى المساعدة على تدريس العلوم الجريقية فكان ذلك سببا فى المواصلات بين ايطاليا والمملكة الجريقية فى آخر أيام هذه الدولة وصارت رومة تحت حكومة البابا نيقولا مرة أخرى مركزا للعلوم والصنائع وقسمت السيادة فى ايطاليا مع فلورنسة وزين المدينة بكنائس مفتخرة وشرع فى بناء الكنيسة العظمى للقديس بطرس وبناء السراية الواطيكانية الجليلة وأعاد الاستحكامات والايالات الرومانية وأسس دار الكتب الظريفة الواطيكانية وقوى على العلوم وساعد على دراستها وفى هذا الوقت أدخل فى ايطاليا فن الطبع وأخذ من ابتداء أمره المقعد الاعلى بين ملوك ايطاليا ومن الاعمال السياسية الابتدائية التى أجراها تيسر له الحصول على التوقيع على صلح لورى فى سنة ١٤٥٤ بعد الميلاد بين ميلان وفنيزة ونابولى ومات فى سنة ١٤٥٨ بعد الميلاد وخلفه (عنيس سلفيوس) ولقب بيوس الثانى

ثم ان البابا بيوس دعى فى الحال من أجل بذل مجهوده فى توقيف حركة زحف الترك فكانوا من بعد أن تغلبوا على القنسطنطينية بذلوا طاقتهم فى جلبهم باقى أوربا تحت أقدامهم فسعى فى ضم كافة المسيحيين فى حرب دينى على الترك فهلك فى سنة ١٤٦٤ بعد الميلاد من قبل الحصول على تمام شئ ما واجتهد الفنيزيون فى ضبط أملاكهم فى بحر الارخبيل الا أن الترك هزموهم فى جهات مختلفة وأخذوا منهم لسبوس وعوبية وبعض جزائر أخر وصير وهم يبذلون الطاقة فى المحافظة على بقاء سيادتهم فى البحر الادرياطيق وفى سنة ١٤٧٧ بعد الميلاد أغار جيش تركى قوى على ايطاليا من نواحى (فريولى) فهزم هذا الجيش الفنيزيين وخرب البلاد وأهلك الحرث والنسل حتى وصل الى مدينة (بيافى) وفى سنة ١٤٨٠ بعد الميلاد عبر الجيش التركى تحت قيادة أحمد كيك أكبر قواد السلطان محمد البحر الادرياطيق وتغلب على مدينة أوطرنطة وبهذه النصرة تشجع السلطان محمد الثانى حيث كان عازما على فتح ايطاليا الا أن موته ووقوع المشاحنات بين خلفائه منع الترك من الزحف الى ما وراء مدينة أوطرنطه وانجبر على العود الى الجهة الاخرى من البحر الادرياطيق

ثم مات الفنسو ملك نابولى فى سنة ١٤٥٨ بعد الميلاد وترك أرغون وسيسيليا لابنه الشرعى يوحنا وأنعم بنابولى على ابنه الغير الشرعى فرد ينند فتولد من شراسة أخلاق فرد ينند مع رعيته قيامهم عليه وقدموا تاجهم الى يوحنا صاحب كلبريه بن رينى وكان ملك نابولى قبل الفنسو فاجتهد رينى وكان هو الحاكم الفرنساوى فى جنوه على تحريض البرنسات الايطاليانية المجاورين له وملك فرانسا على مساعدته ومساعدة ابنه الا أنهم رفضوا جميعا ذلك وكانت نتيجة هذه القضية اجتماع الجنو يزتحت قيادة أسقفهم وطردوا الفرنساوية من جنوه وأقاموا حكومة جديدة وصار لا طاقة لدوق كلبرية على تمام شئ مع فرد ينند صاحب نابولى وتولد من جبر الحكومة الجنوية الجديدة ظلم الاهالى فألغاها الجنويزيون وعهدوا طاعتهم لدوق ميلان وتنازل له لويز الحادى عشر ملك فرنسا عن حقوقه فى جنوه وفى هذا الوقت انقرضت السلطنة الفرنساوية من ايطاليا بالكلية

وصرف (كوسمو دوميديسى) أمواله فى اكتساب شوكته المطلقة فى فلورنسه وكان مخلصا للعلوم والصنائع وبذل جهده فى نشرها وفى مدة مباشرته الاعمال فى فلورنسة بنى القبة الجليلة لكنيستها الكبرى وحلى المدينة بزينات صناعية وزينها بدار كتب جليلة ومات كوسمو فى سنة ١٤٦٤ بعد الميلاد وخلفه فى دولته ابنه (بيترو) نعم أنه كان على الدوام ضعيف البنية الا أنه كان على جودة فى العقل لانه لحد موته ببضع سنين كان مباشرا أعمال المملكة بنفسه مع الحزم ولما أخذت صحته فى الضعف التزم على أن يعهد نيابة حكومته لآخرين فكانوا يباشرون الاشغال ويجرونها على غير مرغوبه ومات فى سنة ١٤٦٩ بعد الميلاد وترك ولدين لورينزو وغليانو وكانا صغيرى السن على ادارة الحكومة فبوشرت الحكومة فى مدة بضع سنين بوزراء بيترو حتى تقلد لورينزو زمام الاعمال ومن ثم صار للميديسيين طاقة على نقل دولتهم من الاب الى الابن وكان كل واحد منهم أقوى شوكة من الذى قبله وكان لهم سلطة غير محدودة على خزينة المالية ثم وقعت حادثة تحصل منها فى هذا الوقت زيادة شوكة لورينزو وذلك أن الدوق (غاليئلو صفورظه) صاحب ميلان كانت رعيته قطعت اليأس منه بما حصل لهم من ظلمه فذبحوه فى شهر ديسمبر من سنة ١٤٧٦ بعد الميلاد فطرد أخوه (لودوفيكو صفورظه) أرملة أخيه الدوق المقتول وابنها من ميلان وجعل نفسه حاكمها ثم ان البابا سكسطوس الرابع تقوى جدا من نجاح هذه الدسيسة التى وقعت للدوق غاليئلو وكان البابا شارعا فى دس الدسائس مثل واحد من ملوك ايطاليا لاجل توسيع أراضيه وغنى عائلته فعزم على تقليدها وجعلها فى قبضة يده ورغب أن يجعل ابن أخيه فى (روماغنه) فصده (لورينزو دوميديسى) الذى ساعد مدائن روماغنه عليه فعول البابا على قتل لورينزو ليخلو من طريقه ورتب ثورة لقلب دولة الميديسيين وتنصيب عائلة باظى أخصام البيت الميديسى فى حكومة فلورنسة فكانت أحزاب الثورة البابا وأولاد أخيه والكونت والكردينال رياريو وأسقف بيسا والباظيون وعدة قسس أخرى واستصوب فرد ينند ملك نابولى أيضا هذه الثورة وفى يوم الاحد ٢٦ ابريل من سنة ١٤٧٨ بعد الميلاد حصل العزم على قتل لورينزو وغليانو فى الكنيسة فى فلورنسة وفى مدة اقامة صلاة القداس فى الكنيسة ضرب (برناردو بنديني) مع أسقف بيسا غليانو بخنجر فى قلبه وتولى قتل لورينزو اثنان من القسس الا أنهما خابا فى سعيهما وقتلهما لورينزو ثم اجتهد زعماء الثورة فى هياج الفلورنسيين من أجل تنصيب (الباظيون) الا أن الناس الذين كانوا لا يرغبون حرمان أنفسهم من المكاسب العائدة

عليهم من أموال المديسيين قاموا فى مساعدة لورينزو وقبضوا على الثائرين وقتلوهم وصلب مطران بيسا بجانب فرنسيسكو ر باظى ولما حصل للبابا الاسف الشديد من خيبة هذه الثورة وضع الحجر الكنائسى على أهل مدينة فلورنسة ولما رأى أنه لا تأثير لهذه الحرمة هيج عليهم حربا

ثم زادت شوكة لورينزو بسبب خيبة هذه الدسيسة ورتب له الفلورنسيون خفرا من أجل المحافظة على سلامته ودبر ديوان حكومته وباشر أعماله على منوال من الفخر وجمع حوله أرباب العلوم والمعارف والشعراء ورتب لهم الرواتب الكافية ورفع قدرهم وصارت فلورنسة تحت حكمه فى أرقى درجة من المجد الا أن مادة الحرية أخذت فى الاضمحلال وحصل الاصلاح فى المشاحنة مع البابا فى سنة ١٤٨٠ بعد الميلاد وذلك أن وجود الترك فى مدينة أوطرنطة كان سببا فى وقوع الخطر على سلامة رومة فالتزم البابا على عقد الصلح ومن بعد هذا بقليل عصى الامراء النابولطانية مرة ثانية على ملكهم الشرس الاخلاق فأرسلوا للبابا أنوسنت الثامن فى مساعدتهم وذكروه بأن نابولى كانت أقطاعا للدار القسوسية فنح البابا تاج نابولى على رينى دوق اللورين الا أن الدوق المذكور تأخر مدة طويلة حتى ضاعت منه الفرصة وساعد لورينزو والمديسيين فرديننده على البابا وأخيرا دخل الاصلاح فى المسئلة بواسطة نظام عادت به الراحة فى المملكة النابولطانية ثم ان فرديننده نكث وعده وبطش بطشا مسفكا للدم ببعض رؤساء الاشراف الذين كانوا قاموا ضده وكانت الاثنتا عشرة سنة التى مضت من سنة ١٤٨٠ بعد الميلاد الى سنة ١٤٩٢ فى سلم عام وذلك أن ملك نابولى ودوق ميلان ولورينزو دوميديسى كانوا فى حاجة للسلم بينهم من خوفهم من فنيزه بما أنها صارت أقوى من ممالكهم وكانت مترقبة حصول أى حرب يقع فى ايطاليا وكان ملك نابولى خائفا من أن الحزب الفرنساوى فى مملكته الآخذ فى التقدم ربما ينتهز الفرصة فى أثناء وجود حرب ويقوم ضده وكان حاكم ميلان (لودوفيكو صفورظه) يخاف أيضا من الفرنساويه لان ابن أخيه الوارث الحقيقى لميلان كان ابن خال شارلس الثامن صاحب فرانسا وخشى لودوفيكو من أن ملك فرانسا ربما يبحث فى عوده لتخت ميلان ورغب لورينزو دوميديسى فى حفظ موازنة القوة ورفع حكومة لودوفيكو فى ميلان بما أنه كان يراعى أن هذه الدوقية هى الحصن لفلورنسة من تعدى الفنيزيين عليها

وفى أثناء مدة هذا السلم ازداد فلاح الامة الايطاليانية وأزهرت فيها المعارف وانتشرت الصنائع ومع ذلك فان فلاح الامة ونجاحها ما حصل منه أدنى تأثير فى توقيف تيار مد الفساد والعيوب التى انتشرت على البلاد

وفى سنة ١٤٩٢ بعد الميلاد مات لورينزو دوميديسى وترك ثلاثة أولاد (بيترو) خلفه فى حكومة فلورنسة (وغيوڤانى) صار كردينالا وعمره أربع عشرة سنة ثم كان هو البابا ليو العاشر (وغليانو) وفى سنة ١٤٩٣ مات أنوسنت الثامن وخلفه (رودريغو بورغية) اشترى انتخابه من اخوانه الكردينالات وتلقب باسم اسكندر الرابع وكانت مدة حياته مذمومة وكثرت فيها العيوب بجهرة وكان طماعا حريصا كاذبا فى أقواله خائنا فى أفعاله كامنا الحقد والعداوة فى قلبه وكان داهية من دواهى العالم صرف قوته وشوكته فى طمع تقدم أولاده وعائلته وكان أشهر أولاده قيصر ولوكريظة بورغية وكان جلوس حاكم مثل هذا على التخت البابوى سببا فى ميل سيد فلورنسه لاجراء سياسة عظيمة فى الاحتراز والمحافظة غير أن بيترو بعد عن طرق السياسة التى كان أبوه سائرا فيها وعقد معاهدة مع فرديننده صاحب نابولى

وشرع الاثنان فى الثوران الذى كان عليه دوق ميلان مع البابا وخاف لودوفيكو وكان ابن أخيه زوج ابنة فرديننـد من أن فرديننند ملك النابولطان ربما يبحث فى عود الدوقية المنزوعة الى صهره فعقد معاهدة تعرضية وتحفظية مع البابا والفنيزيين ولما لم يثق بهذه المعاهدة دعى شارلس الثامن صاحب فرانسا للدخول فى ايطاليا والتغلب على مملكة نابولى وبما أن شارلس كان له بعض حقوق فى تاج نابولى ورثها من بيت انجو فقبل دعوة لودوفيكو واستعد للاغارة على ايطاليا مضمرا فى نفسه التغلب على نابولى وعبور البحر الادرياطيق وطرد الترك من المورة وخلاص القسطنطينية من حكمهم وخلاص أورشليم والقبر الشريف من أيدى المسلمين وطردهم منها وعرض عليه وزراؤه عدم السعى فى الاغارة على ايطاليا ولكنه رفض سماع ما عرضوه عليه

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ من تغلب الفرنساوية على نابولى الى واقعة ليبانطو ﴾

استعدادات لمقابلة الحملة الفرنساوية فى ايطاليا ــ جيش شارلس الثامن ــ ابتداء الحرب فى ايطاليا ــ عبور الجيش الفرنساوى جبال الالب ــ شارلس الثامن ودوقيات ميلان ــ صيرورة لودوفيكو صفورزه دوق ميلان ــ وجود الفرنساوية فى فلورنسه ــ احتلال شارلس فى رومة ــ دخوله فى نابولى ــ اتحاد الممالك الايطاليانية على الفرنساوية ــ عود شارلس الى فرانسا ــ خيبة الحرب الفرنساوى ــ احياء لويز الثانى عشر الطلب الفرنساوى لنابولى ــ دخوله فى ايطاليا ــ قبضه على لودوفيكو صفورزه ــ أخذه نابولى ــ طرده من المملكة بالاسبانيين ــ تغلب القوى البابوية على روماغنه ــ صيرورة قيصر بورغيه دوق ــ موت البابا اسكندر السادس ــ قهر فلورنسه مدينة بيسا ــ موقع فنيزه فى المشاحنات الايطاليانية ــ شوكتها ــ اتحاد كبرى ــ الحرب بين الاتحاد وفنيزه ــ تغيير مقاصد البابا ــ تشكيل الاتحاد المقدس ــ واقعة رافنه ــ موت غسطون دوفوا كس ــ طرد الفرنساوية من ايطاليا ــ صيرورة ليو العاشر بابا ــ مشروعاته الذاتية ــ اجتهاد لويز الثانى عشر فى عود ميلان ــ موته ــ تجديد فرنسيس الاول الطلب الفرنساوى لميلان ــ حملته على ايطاليا ــ واقعة مارغنانو ــ تغلب فرنسيس على لومباردى ــ معاملته المجحفة لفنيزه ــ غشه بواسطة البابا ــ صيرورة شارلس الخامس امبراطورا ــ مساعدته البابا فى طرد الفرنساوية من ميلان ــ الدولة الاسبانية فى ايطاليا ــ الحرب بين شارلس وفرنسيس ــ المصائب التى حلت بالفرنساوية ــ دخول فرنسيس ايطاليا ــ واقعة باوية ــ أسر فرنسيس ــ صيرورة شارلس ملك ايطاليا الشمالية ــ كبسه على الاهالى ــ الاتحاد على شارلس ــ ضبط رومة ونهبها ــ المعاهدة بين البابا والاسبانيين ــ تغلب الاسبانيين على رومة ــ هرب البابا ــ اعلان جنوه للفرنساوية ــ احياء الاتحاد المقدس ــ معاهدة كبرى ــ تتويج شارلس امبراطورا بمعرفة البابا ــ خراب الجمهورية الفلورنسية ــ ولاية البابا بولص الثالث ــ الحرب بين فرانسا واسبانيا ــ سقوط مدينة سينا ــ تنازل شارلس الخامس ــ معاهدة كاطوكبرى ــ الاصلاح الانجيلى فى ايطاليا ــ مجلس طرنطه ــ تأسيس الجمعية اليسوعية أو الجزويت ــ أعمال اليسوعيين ــ الفحص ــ الحرب مع الترك ــ واقعة ليبانطو ــ موقع صافوا

لما علم مقصد ملك الفرنساوية بشأن الاغارة على ايطاليا فى هذه المملكة دخل فرديننند فى معاهدة مع

البابا

البابا بما أنه كان يعرف ضعف سلطته على مملكته النابولطانية ووعد البابا في نظير مساعدته على مشروعه بغنية أولاده واجتهد أيضا في عقد معاهدة مع لودوفيكو ولكن ما نجح لان لودوفيكو وغشه بما أنه ما كان على استعداد حتى يكون معه على شقاق بين الا أنه تحقق مساعدة الفرنساوية له وكان لودوفيكو من زمن طويل متقلد ازمام حكومة ميلان ومتمتعا فيها بكامل الشوكة الا أنه ما تجاسر على أن يلقب نفسه دوق لانه كان يعرف في نفسه أنه مبغوض عند أهل ميلان وكان يخشى من أنه لو لبس تاج الدوقية ربما تولد منه حرب مع ملك نابولى بما أنه صهر الدوق المستحق لوراثة تاج ميلان وكان لدوفيكو حمل أهل ميلان ما لا طاقة لهم به من الضرائب وكانوا في استعداد وتشوق للعصيان والقيام عليه

ثم ان شارلس الثامن جمع جيشا في مدينة دوفيني وأسطولا في جنوه وكان جيشه مؤلفا من عساكر متدربين على الحروب من فرانسا وجرمانيا والسويس ومرتباتهم كانت تدفع من طرف الملك وكان هذا الجيش أعظم الجيوش التى جمعت في أوروبا من حيث تطقيم عساكره ومهماته وسرعة حركاته وانتظام سواريه وكانت طوبجيته مؤلفة من مدافع خفيفة من النحاس تجر بخيول يمكن تحريكها مع العساكر في ميدان الحرب بغاية السرعة ومن قبل أن يشرع شارلس في سيره مات فرديننده صاحب نابولى في ابتداء سنة ١٤٩٤ بعد الميلاد فخلفه ابنه الفنسو فكان هذا الملك الجديد مكروها عند الاهالى زيادة عن أبيه بسبب ما كان عليه من شراسة الاخلاق وصلابة الرأى والكبرياء فجدد المعاهدة مع البابا وابتدأ الحرب في ايطاليا من قبل سفر شارلس من فرانسا واجتهد الدوق فرديريق ابن الملك الفنسو في التغلب على جنوه فانهزم في نواحى (رابالو) بواسطة دوق أورليان وفرقة من العساكر السويس وفي أغسطس سنة ١٤٩٤ بعد الميلاد عبر شارلس جبال الالب ودخل ايطاليا وزار في مدينة باوية دوق ميلان المسلوب من مملكته الذى كان مسجونا مع زوجته في قلعة باوية فرمت الدوقة نفسها على أقدام ملك فرانسا وتضرعت اليه في شأن مسئلة زوجها وخاطبته بعذب كلامها حتى ارتجت أقدام شارلس وكبر عليه ما هما فيه من الذل ومع هذا فانه لم يبد في قضيتهما شيأ وصار توسلها هدرا ومن بعد هذا بقليل مات الدوق مسموما والمعتمد أن موته كان بدسيسة من عمه لودوفيكو الذى تلقب من بعده بدوق ميلان تحت الحماية الفرنساوية

وكان شارلس استحصل من قبل على صداقة فنيزه وكانت هذه الجمهورية لحد ذلك الوقت على حيادة من المشاحنات وكان له من الضرورى توطيد فلورنسه من قبل أن يزحف على الجهة الجنوبية ولكنه عزم على السير من وسط طوسقانه بما أن الفلورنسيين صاروا أصدقاءه وكانوا يؤملون انه يخلصهم من بيترو دوميديسى وكان بيترو باقيا على محبة ملك نابولى فدخل الفرنساوية طوسقانه وحاصروا مدينة سارزنه فخاف بيترو على سلامته فتوجه في السر الى ملك الفرنساوية وعقد معه معاهدة على خلاص نفسه واتفق معه على أن يسلم له بيسا و(ليغورنه) و(بيطرسنطه) و(ليبرافاطه) ويدفع للملك مبلغا جسيما من النقود كان شارلس في احتياج له ولما عاد بيترو الى فلورنسه طرده أهلها من المدينة بسبب ما حصل عند الفلورنسيين من الغضب فالتجأ عند أمير بولونيه وما عاد مرة ثانية الى مدينته وفي نفس هذا اليوم استغاث البيسانيون بشارلس في خلاصهم من خضوعهم للفلورنسيين فجعلهم شارلس مطلوبهم ومع أنه تولد من هذا الفعل الغيظ والكدر عند الفلورنسيين الا أنهم بقوا على صداقة

الملك الذى بعد قليل من الايام دخل فلورنسه وكان أهل المدينة خائفين من أن يعمر عليها بجردهم من حريتهم فثبت لهم هذا الخوف من أن دخول شارلس فى المدينة بالسلاح جعل له حق الفاتح ومن بعد مضى بضع أيام أصر شارلس فى حفلة رسمية بينه وبين نواب الفلورنسيين مع صلابة رأيه على بعض اجراآت كانت ضررا على الفلورنسيين حتى ان (بيترو كابونى) أحد النواب هدده بقيام المدينة عليه ولما لم يكن لشارلس رغبة فى أن يخاطر بنفسه ويوقع جيشه فى محاربات فى الشوارع مع الاهالى اتفق معهم على قبول الاعانة النقدية التى يقدمها اليه الفلورنسيون ووعدهم بانه حال تغلبه على نابولى يرد اليهم بيسا والقلاع الاخر التى سلمها له بيترو دوميديسى

ثم سار شارلس من فلورنسه على رومة فدخلها من دون مقاومة وأكره البابا على التنازل عن مضادته له وتصديقه على ما أجراه من الاعمال واستمر فى سيره الى الجهة الجنوبية فهرب الفنسو صاحب نابولى الى جزيرة سيسيليا وترك تخته وكفر فيها عن ذنوبه التى كانت لا تحصر وخلفه ابنه فرديننند فخان وسلم مدينة قابوه للفرنساوية فتولد من ذلك قيام أهل نابولى عليه فهرب الى اسخيا ودخل شارلس نابولى فى ٢٢ فبراير من سنة ١٤٩٥ بعد الميلاد فمع ما حصل لشارلس من الظفر كان ناجحا الا أنه ترك وراءظهره أعداء مهولين فكان الفنيزيون أبغض الناس له وكان البابا يرغب فى خروج الفرنساوية من ايطاليا بسبب تداخلهم فى مشروعاته اللازمة لتقدم عائلته وصار الرومانيون أعداء شارلس بسبب عدم نجاحه فى عزل البابا الذى يبغضونه وصار الفلورنسيون المجروحو الفؤاد بسبب ضياع بيسا منهم أعداء أيضا لهذا الملك وخاف دوق ميلان من تقدمات الفرنساوية الذين ينوا له الاعمال التى منها يلزمه دس الدسائس فى خرابهم وخاف فرديننند وازابلا ملكا اسبانيا من أن شارلس ربما يغير على جزيرة سيسيليا التابعة لهما وقد قيل لمكسيمليان ملك الرومانيين ان المطلب الاصلى الذى عليه شارلس هو التاج الامبراطورى فاستعد هذا أيضا للمساعدة أى حركة يكون فيها طرد الفرنساوية من ايطاليا وشكل دوق ميلان اتحادا على شارلس مع البابا وملك جرمانيا والفنيزيين وملك اسبانيا ثم تكدرت حالة النابولطانيين بسبب ما حصل لهم من سوء سلوك الجيش الفرنساوى ومنح شارلس الاراضى النابولطانية على اتباعه فانضم النابولطانيون الى الاتحاد المختص بطرد الفرنساوية ولما أخذ شارلس أخبار تشكيل هذا الاتحاد عليه عزم على العود الى فرنسا وعهد الى (كونت مونطينسير) حكومة نابولى واتمام التغلب على المملكة وفى شهر مايه سنة ١٤٩٥ بعد الميلاد سار شارلس الى الجهة الشمالية وعند عوده الى رومة امتنع البابا من مقابلته وعمل شارلس الاعمال التى أوجبت بعد فلورنسه عنه وكانت هى الحليفة الوحيدة له بكونه رفض أن يعيد لها بيسا والمدائن الاخر التى وعد بارجاعها وحصر دوق ميلان دوق أورليان فى مدينة نوفاره واجتهد جيوش ميلان وفنيزه تحت قيادة الماركيز صاحب منطووه فى توقيف حركات شارلس فى نواحى فورنوفو من بعد عبوره جبال الابنين مباشرة فهزمهم شارلس ووصل تورين بالسلامة ولاجل خلاص دوق أورليان وكان فى مضايقة شديدة عقد شارلس صلحا مع دوق ميلان وعاد الى فرنسا

وأعقب قهقرة شارلس خسارته ما تغلب عليه فى ايطاليا وفى ظرف سنة تغلب فرديننند مرة ثانية على مملكة نابولى ومات فى سنة ١٤٩٦ بعد الميلاد وخلفه عمه فريدريق وكان الفلورنسيون على غضب من ضياع أملهم فى ملك الفرنساوية من ارجاعه لهم مدينة بيسا وكان شارلس أعطى قلعتها الى

لپيسانيين

البيسانيين وباع القلاع الاخرى الفلورنسية لمدينتى جنوه ولوقا وكان دوق ميلان فى شوق زائد من تغلبه على بيسا فوضع البيسانيون أنفسهم تحت حماية فنيزه وعزمت فنيزه على أن تعطى المدينة حريتها فمن ثم اجتهد الدوق فى عود (بيترو دوميديسى) الى فلورنسه فاستعد الفلورنسيون لمقاومته وهرب بيترو واستمر الحرب على طريقة غير منتظمة وفى سنة ١٤٩٧ بعد الميلاد عقدت هدنة بين فرانسا واسبانيا دخل فيها المتحالفون الايطاليانيون لكل من الدولتين ومن ثم استتب الامن وما نتج من جملة شارلس الثامن سوى الخيبة والشخص الذى لم يكتسب شيأ من هذا الحرب كان دوق ميلان وفى سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد أحيا لويز الثانى عشر خليفة شارلس الثامن على التخت الفرنساوى دعوى هذا الملك وأثبت حقه لدوقية ميلان كانه نائب عن جدته (فيلانطين فيسقونتى) الابنة الوحيدة للدوق الاخير من هذه العائلة وفى أغسطس سنة ١٤٩٩ دخل الجيش الفرنساوى ايطاليا وزحف على ميلان وطرد لودوفيكو واحتلها فى شهر سبتمبر فاعقب تغلب فوى لويز الثانى عشر صاحب فرنسا على ميلان تغيير وذلك أنه تولد من جور طريقة لطيوا العامل الفرنساوى قيام الميلانيين فى ثورة فى يناير سنة ١٥٠٠ بعد الميلاد وطردوا الفرنساويين من المدينة وعاد فى هذا الوقت لودوفيكو صفورطه فى رأس جيش من مستأجرى السويس وتغلب على الدوقية فأرسل لويز جيشا آخر الى ايطاليا كان فيه نحو من ١٠٠٠٠ من السويس فغدر العساكر السويس الموجودون فى خدمة لودوفيكو بمخدومهم وما قبلوا المحاربة مع أهل بلادهم الموجودين فى الجيش الفرنساوى ولما عزم لودوفيكو على الهرب ضبطوه وسلموه الى ملك فرانسا فسجنه فى قلعة لوخس حتى مات فيها من بعد مضى عشر سنوات وصار لويز سيد دوقية ميلان من دون منازع ولما عاد العساكر السويسية الى بلادهم ضبطوا المحطة (بلينزونه) الحاكمة على الدرب الموصل من السويس الى ميلان فحصل للملك الفرنساوية أذى من هذه الخسارة ثم شرع لويز أن يجعل نفسه سيد نابولى فدخل فى معاهدة مع فردبنند صاحب اسبانيا لاجل تقسيم المملكة النابولطانية بينهما وكان فردبنند مجبورا فى بعض أعماله على حماية فريدريق ملك نابولى بما أنه عمه الا أنهما كان على طاقة من مقاومة المطالب الذى توجه اليه من لويز فحصل التغلب على نابولى وأسر فريدريق وابنه فأرسل الاول الى فرنسا والثانى الى اسبانيا ثم ابتدأ الفرنساويون والاسبانيون فى المشاحنات من أجل الاراضى التى تغلبوا عليها وهاجت نار الحرب بينهم فهزم الاسبانيون تحت قيادة (غونسالفو قردوفه) قائدهم الاكبر الفرنساوية فى سنة ١٥٠٣ بعد الميلاد فى وقائع فاصلة وقعت فى نواحى (سميناره) و (صريغنوله) وفى سنة ١٥٠٤ فى نواحى مولا بالقرب من مدينة غايطه وبهذه النصرات صار الاسبانيون هم أهل السلطة المطلقة فى مملكة نابولى وطردوا منها الفرنساويين بالكلية

ثم ان البابا وابنه (قيصر بورغية) انتهز الفرصة وقت حملة الفرنساوية على ايطاليا ومدوا مشروعاتهم فى كل جهة من الجهات الاربعة ومع أن روماغنه كانت فى حوزة البابا اسما الا أنها كانت محكومة بعدة أمراء صغيرة وبمساعدة تجريدة من العساكر الفرنساوية أعدها لويز اغتصب قيصر بورغية ايالة روماغنه من هؤلاء الحكام وفى سنة ١٥٠١ بعد الميلاد رقاه البابا الى رتبة دوق روماغنه وما سمح له لويز فى الحاق بولونيه بعمالك لان أمير هذه المدينة كان تحت حماية الفرنساوية ثم ان دوق فلنطينو الملقب قيصر أرعب الفلورنسيين فدفعوا له مصاريف ليبعد عنهم واكتسب كثيرا من الاراضى على

مصاريفهم وفى مبادى المشاحنة مع اسبانيا من أجل نابولى رفض لويز أن يسمح لقيصر بنهب الفلورنسيين زيادة عما حصل بعانه فى حاجة للاتحاد معهم فى هذا الحرب ومن ثم ضبط قيصر مدينة (اربينو) فتولد من حركته انضمام بعض كبار الايطاليانيين أرباب الشوكة مع بعضهم عليه وأرغموه على التنازل عن هذه المدينة

وفى سنة ١٥٠٣ بعد الميلاد مات البابا اسكندر السادس من شرب نبيذ كان ابنه مزجه بالمواد السمية لهلاك الكردينال (كورنيطو) وبموته زالت نعمة قيصر فانه تجرد من كافة أملاكه بغتة كما حازها بغتة وحبسه القنيزيون وفى السنة التالية خلى سبيله وتوجه الى نابولى فقبض عليه (غنسالفو) فيها وأرسله الى اسبانيا ومن بعد أن حبس فيها اسنتين هرب والتجأ عند صهره بوحنا ملك نقارى وخدم فى جيشه حتى مات من بعد قليل

ولما تغلب ملك فرانسا على ميلان صار سيدا أيضا على جنوه لانها كانت خاضعة لها وتولد من الحكم الاستبدادى للفرنساويه على الجنو بز نفور أهلها فاجتهدوا وقاموا فى ثورة فى سنة ١٥٠٧ بعد الميلاد ثم انجبروا على الطاعة ثم ان الفلورنسيين تخابروا مع لويز فى قضية مدينة بيسا وكانوا يرغبون فى الاستحواذ على هذه المدينة وقدم الفلورنسيون رشوة لكل من ملكى فرانسا واسبانيا وحضوا هذين الملكين على ترك بيسا وفى سنة ١٥٠٩ بعد الميلاد أكرهت هذه المدينة على الانقياد لجيش فلورنسة الذى دخل المدينة متوجا بتاج النصر فهلك الجم الغفير من أهل المدينة ولم يرضوا بطاعة الفلورنسيين وذلهم وفى سنة ١٥٠٣ بعد الميلاد عقدت فنيزه صلحا مع الترك وكانت فى حرب معهم من مدة خمسين سنة ولما تخلصت جمهورية فنيزه من هذا الحرب ابتدأت فى توسيع أراضيها على البر الاصيل من ايطاليا ومن ضمن الاعمال الاخرى التى حصلت فى هذا الصدد أنها ضبطت من بعد موت اسكندر السادس عدة مدائن من الايالات البابوية كان تغلب عليها قيصر بورغية فمن ثم جلب القنيزيون غضب البابا عليهم وعداوة الامبراطور مكسميليان أيضا بهزيمتهم اياه فى وادى كادورو فى سنة ١٥٠٨ بعد الميلاد وقت سعيه فى الدخول فى ايطاليا وفى هذا الوقت صارت فنيزه فى أرقى درجات المعالى وامتدت أراضيها من (افيليه) الى (عده) الى أن وصلت الى جنوب براقنه وريمينى وكان داخلا فيها أيضا فريولى وساحل دلماطيه وبعض من الجزائر الجريقية وجهات فى الجريس الجنوبية وبرنديزى وبعض مدائن من ساحل نابولى كان فرديننـد الثانى رهنها عندهم على قرض اقترضه منهم فنتج من هذه الحالة العظيمة الغيرة فى قلوب أرباب الشوكة المجاورين لتلك الجمهورية ورغب لويز الثانى عشر بصفة أنه دوق ميلان فى استرداد المدائن اللومباردية التى كان انجبر على التنازل عنها الى القنيزيين بمقتضى معاهدة كان عقدها فى أثناء حربه مع لودوفيكو صفورطه وكذا طلب البابا أراضيه التى كان منحها كلا من بيين وشرلمانية المحتوية على أراضى ريمينى وفينسة وبعض مدائن أخرى وطلب فرديننـد ملك اسبانيا ارتداد برنديزى والمدائن الاخرى النابولطانية وطلب الامبراطور مكسميليان بادوه وفيسنزه وفيرونه على أنها كانت من ضمن اقطاعات المملكة وروفير ودووفريولى وطريفيزو بما أنها أملاك بيت أوستريا وطلب دوق صافوا جزيرة قبرص لانه من ذرية (غى دولوسيغنان) فاجتهد البابا يوليوس الثانى فى مخابرته مع الجمهورية فى شأن استحواذه على طلبه لان ذلك من حصته ولما رأى اصرار القنيزيين على عدم تسليمه شيأ ما كانوا يعدونه من حقوقهم غير البابا سياسته وشكل

اتحادا من الممالك العظيمة الاوروباوية على الجمهورية فانضم الى البابا فى هذا الاتحاد المعروف باتحاد كبرى الامبراطور مكسميليان وملكى فرانسا واسبانيا وكل من دوق صافوا وفيرار ومار كيزمنطوه وأعلن هذا الاتحاد بالحرب فى سنة ١٥٠٩ بعد الميلاد وخرج لويز الثانى عشر الى الميدان فهزم القنيزيين فى نواحى (اجنادلو) واسترد الاراضى القديمة التى كانت تابعة لدوقيته واستحوذ أيضا على فيرونه وفيسنزه وبادوه وأرسل مفاتيحها الى مكسميليان وأما البابا وكان ابتدأ بوضع الحجر الكنائسى على القنيزيين فانه استحوذ مرة ثانية على مدائن روماغنه وكذا استرد ملك اسبانيا المدائن النابولطانية التى كان طلبها وأعاد دوق برونسويك فريولى للامبراطور فلما رأت فنيزه أنها صارت على شرف الدمار تركت أملاكها الموجودة فى ايطاليا الشمالية واستعدت بجميع قوتها للمدافعة عن أصل مملكتها ونتج من بطء مكسميليان امبراطور جرمانيا فى حركاته العسكرية أن صار للقنيزيين طاقة على الخلاص من مصائبهم الاولية وانضموا مع بعضهم وضبطوا مدينة بادوه مرة أخرى فحاصر مكسميليان المدينة بجيش مؤلف من ٤٠٠٠٠ نفس ولكن أرغم على رفع هذا الحصار

ثم ان البابا غير سياسته بغتة وكان استحوذ على كافة ما كان يرغبه وابتدأ فى قلبه الخوف من أن شوكة فنيزه ربما تهبط حتى لا يكون لها طاقة فى أن تكون مانعا قويا أمام مساعى الفرنساوية عند تغلبهم على ايطاليا الشمالية واشتغل بما يلزم لطرد الفرنساوية والجرمانيين من ايطاليا مبتدئا بالفرنساوية ودس الدسائس العديدة حتى فسخ اتحاد كبرى وشكل اتحادا يعرف بالاتحاد المقدس مع السويسيين والقنيزيين وكان رفع الحجر الكنائسى عن القنيزيين وشرع فى الحرب بقوى تجهزت منها فهزم هذه القوى القائد الفرنساوى وأما لويز الثانى عشر فانه احتد بالغضب من هذا الهجوم وحرض كثيرا من الكردينالات على عقد مجلس عام فى مدينة بيسا للفحص وتوقيع الجزاء على البابا لتطيير سوء أعماله فخاب المجلس فيما كان يرغبه لويز الثانى عشر ثم ان البابا أخذ بناره بكونه حض الامبراطور على عقد صلح مع القنيزيين وأدخل كلا من ملكى انكلتره واسبانيا فى الاتحاد المقدس وصار حصار بولونيه التى كانت وقعت فى أيدى الفرنساوية بالقوى المتحدة فأرغم القائد الفرنساوى (غسطون دوفواكس) ابن أخى لويز الثانى عشر هذه القوى على رفع الحصار ومع ذلك فانه حصل للفرنساوية مضايقات شديدة حتى ان لويز أمر غسطون أن يكره المتحدين على واقعة فاصلة بين الطرفين فكانت هذه الواقعة أمام راقنه فى ١١ ابريل من سنة ١٥١٢ بعد الميلاد وانهزمت فيها القوى الباباوية والاسبانية بعد خسارات جسيمة وفقد الفرنساوية فيها قائدهم الشجاع الشاب (غسطون فواكس) دوق (نيمورس) وصار موقع ملك فرانسا فى حالة مشكلة بسبب أن انكلتره أرعبته بنزول عساكرها على ساحل فرانسا وتغلبت اسبانيا على نفارى وانضم مكسميليان الى الاتحاد المقدس وأغار ٢٠٠٠٠ نفس من السويسيين على دوقية ميلان وأخرجوا الفرنساوية من لومباردى وتغلب عليها السويسيون الذين ضبطوا بعضا من محطات حدود هذا الاقليم قاصدين اضافتها الى أملاكهم وصار (مكسميليان صفورظه) ابن لودوفيكو دوق ميلان وبولونيه وفراره وبارمة وبياسنزا اللاتى كانت وقعت فى أيدى البابا وقامت جنوه فى ثورة وما بقى من جميع ما فتحه الفرنساوية فى ايطاليا الاقلعتان أو ثلاثة تحت أيديهم ثم ان فلورنسه أرغمت بواسطة المتحالفين على خلع نائبها الكبير وقبول الميديسيين ثانيا الذين هم ألد الاعداء للفرنساوية بالنسبة لضمان سياسة

الجمهورية المستقلة وعادت أعمال فلورنسه الى ما كانت عليه قبل هرب بيترود وميديسى منها في سنة ١٤٩٤ ولما نجح البابا في أشغاله على الفرنساوية صمم يوليوس على خلاص ايطاليا من الاسبانيين ولكنه مات في سنة ١٥١٣ بعد الميلاد وانفسخ بموته ما كان جازما بفعله وخلفه الكردينال (جوفى دوميديسى) ولقب ليو العاشر وكان تولد من أعمال اسكندر السادس ويوليوس الثانى وقوع الفشل بين الفرنساوية والاسبانيين وضاعت من كل منهما السيادة في ايطاليا وأخيرا يوليوس اجتهد في خلاص الصيت جزيرة منهما وأما ليو العاشر فانه استحصل بأعماله على دوام دولة عائلته في فلورنسه وحيث انه نسب أعمال اعادة هذه الشوكة الى الاسبانيين فكانت سياسته استمرار محالفته معهم وبخلاف دولة البابا فالدولة المستقلة الوحيدة التى كانت توجد في ايطاليا في هذا الوقت هى جمهورية فنيزه ولما وقع الخصام بين الفنيزيين وأعضاء الاتحاد المقدس لعدم قبولهم استرداد الاراضى التى كانت أخذت من هذه الجمهورية شرع الفنيزيون في دس الدسائس مع لويز الثانى عشر في عود ميلان اليه وكانت هذه الدوقية محكومة باسم (مكسميليان صفورظه) الا أن حكامها في الحقيقة كانوا هم السويسيين الذين أجلسوه على التخت وكانت عداوة الميلانيين كبرت وأخذت حدها لهؤلاء السويسيين بسبب ما كانوا عليه من الجور وسوء الادارة فمالوا للملك فرانسا وكانت جنوه عصت فنزل الجيش الفرنساوى بغتة من جبال الالب ودخل ميلان في وسط تفريح الاهالى وهرب مكسميليان الى نوفاره التى كانت محفوظة بعساكر من السويسيين فعول الفرنساوية على تغلبهم على هذه الجهة فانهزموا في ٦ يونيه سنة ١٥١٣ بعد الميلاد وقهر العامل الاسبانى جنوه على الطاعة وهجم العامل المذكور مع ملك الجرمانيين على فنيزة وخربوا أراضيها وأوقعوا بأهلها المصائب نظير مساعدتها للفرنساوية على أعضاء الاتحاد وأغار السويسيون على فرانسا وهزم الانكليز جيش لويز في نواحى (غنجاطى) وفي نحو هذا الوقت هزم الانكليز جمس الرابع صاحب اسكوطلنده وكان حليفا الى لويز في نواحى (فلودين) فتسبب من هذه المصائب رغبة لويز في الصلح فعقد شروطا صلحية مع البابا وملك جرمانيا وملك انكلتره وملك اسبانيا الا أنها رفضت الدخول في محالفته وكان موت لويز الثانى عشر في سنة ١٥١٥ بعد الميلاد سببا في تغيير الاحوال فخلفه فرنسيس الاول على التخت الفرنساوى وأحيا مباشرة الطلب الفرنساوى لدوقية ميلان واستعد لتقوية هذا الطلب ودخل كل من فنيزه وجنوه في أمر الفرنساوية غير أن البابا والعامل الاسبانى والفلورنسيون والسويس قرروا طلب الدوق مكسميليان لانه لا أحد منهم يرغب أن يرى الفرنساوية مرة ثانية في ايطاليا وضبط السويسيون دروب (پيدومونت) والتزم القائد الفرنساوى (طريفولطيو) على أن يختار له وسائط أخرى في دخوله ايطاليا فرجيشه وطوبجيته وجلته من على جبل فيزو ومن قبل وصول الاخبار للمخالفين بشروعه في صعوده الجبل نزل هو مع السلامة في لومباردية وقبض على قائد البابا (بروسبر كولونا) في نواحى (فيلافرنقه) وزحف الجيش الفرنساوى نحو ميلان وفي ١٣ سبتمبر هجم العساكر السويس على المعسكر الفرنساوى في نواحى (ماريغنانو) على مسافة عشرة أميال من ميلان واستمر الحرب ليلا وتجدد في اليوم الثانى فكانت واقعة من أشهر الوقائع الدموية وكانت نتيجتها النصر للفرنساوية وترك السويس الدوقية نظر الهزيمتهم ومن بعد هذه الواقعة صاروا لا يتداخلون مطلقا في الاعمال الايطاليانية ومن بعد مضى قليل عقدوا اصطلاحا مع ملك الفرنساوية

وفى

وفى هذه الحالة صار فرنسيس سيدلومباردى ثم ان البابا انتهز فرصة غضب الملك وعقد معه معاهدة تحالفية فى بولونيه وكان الملك غير مكتف بالكلية من معاهدته فنيزه فعقد الملك معاهدة قوية مع البابا والميديسيين فى فلورنسه وقبل الغش على نفسه وقت ما كان عليه من النصر الجليل ورضى من أجل خاطر البابا بتأخير قصده فيما يختص بنابولى الى موت فرديناند صاحب اسبانيا وعين مأمور الاصلاحات (دوبوربون) نائبا عنه فى ميلان وصرف فرنسيس جيشه وعاد الى فرانسا وخلص البابا بما أجراه من خرابيش فرنسيس وعكف على تقدم أحوال عائلته فى فلورنسه

وفى سنة ١٥١٦ مات فرديناند ملك اسبانيا وخلفه حفيده شارلس أورشيدوق أوستريا ولوردبورغندى والبلاط الواطية وكان ورثها من أمه ومن بعد مضى ثلاث سنوات أى فى سنة ١٥١٩ بعد الميلاد صار انتصاب شارلس ملك جرمانيا ومن ثم صار أقوى ملوك أوروبا ثم ابتدأت حركة الاصلاح الانجيلى فى أوروبا ورجتها وكان شارلس كاتوليكيا فكان لا يرغب أن يرى وقوع أى تغيير فى ديانته من العقائد الجارى تعليمها بمعرفة مارتين لوثير وكان يخشى من أن مقاومة هذا الروحانى ربما تؤول أمرها الى ثورة على القانون المدنى غير ان هذا مال بكليته نحو البابا وكان فى ايطاليا أيضا العدو للملك فرانسا والحليف الاصلى للبابا فلذلك حصل فى سنة ١٥٢١ بعد الميلاد مخابرة فى عقد محالفة بين البابا وشارلس وحض البابا شارلس على الحضور فى ايطاليا لاجل طرد الفرنساوية منها وحصل بينهما الاتفاق على أن فرنسيسكو الذى هو الآن رأس عائلة صفورظه من بعد موت أخيه مكسميليان لابد من أن يكون هو دوق ميلان فنجح هذا المشروع وطردت الفرنساوية وجلس فرنسيسكو على كرسى الدوقية وأعيدت بارمة وبياسنزه الى البابا ومات ليو من بعد قليل من سماعه أخبار فوزه وكان رجلا شهوانيا وسلطنته وان كانت عظيمة فى حد نفسها حتى انه مجدها كل من (ميخائيل انجيلو) و(رفائيل) غير أن طمع البابا وأكاذيبه كانت سببا فى وقوع المصائب على المملكة بتوطيده السلطة الاجنبية فيها وان كان ساعيا فى خلاص الجيش بجزيرة منها وكانت سياسة الثلاثة بابات الاخيرة سببا فى زيادة هذه السلطة التى كانوا يخافونها وكان اسكندر السادس بعقده معاهدة مع فرديناند ضد الفرنساوية سببا فى دخول الاسبانيين فى ايطاليا وتولد من الاتحاد المقدس الذى شكله البابا يوليوس الثانى أن صار لهم يد قوية على ضبط ايطاليا الوسطى والمعاهدة التى كانت بين ليو العاشر وشارلس الخامس جعلتهم أسياد دوقية ميلان لان فرنسيسكو الدوق الجديد ما كان الا ألعوبة فى أيديهم والبابا دريان السادس الجديد وان كان أحسن من الذين سبقوه الا انه كان أيضا سببا فى علو الشوكة الاسبانية فى ايطاليا لانه كان أستاذ شارلس الخامس ولما كانت أسرار فرنسيس الاول على استرداد أراضيه الايطاليانية المفقودة ألزم البابا بعقد معاهدة مباشرة مع الامبراطور ولما تعبت فنيزه من التحالف الفرنساوى انضمت هى أيضا الى حزب شارلس وفى سنة ١٥٢٢ بعد الميلاد ضبط الجيش الامبراطورى جنوه من الفرنساوية فمن ثم ارتفعت الشوكة الاسبانية فى كافة الجهات الايطاليانية

ثم ان فرنسيس ما حصل عنده رعب مما نزل به من الخسارات وشرع فى سنة ١٥٢٣ بعد الميلاد فى استعدادات لعود دوقية ميلان فشكل البابا اتحاد الحماية ايطاليا وكان هذا الاتحاد مركبا منه ومن الامبراطور شارلس وملك انكلترة والارشيدوق فرديناند صاحب أوستريا ودوق ميلان وكل من مدائن

فلورنسه وجنوه ولوقا وسينه وابتدأ الجيش الفرنساوى فى سيره نحو ايطاليا وكان فرنسيس على شرف الحوق به ولكن تعطل بكشفه ثورة من الرئيس الاكبر (بوربون) فمن ثم التزم أن يعهد قيادة جيشه الى (غيليوم دو بونيڤيت) أدميرال فرنسا فصده القائد البابوى وخاب سعيه وفى نفس هذا الوقت مات البابا ادريان السادس وخلفه الكردينال (غيليو دو ميديسى) ولقب كليمنت السابع وكان هذا البابا الجديد يرغب استتباب الامن حيث كان كثير التبصر فى وقوع الاذى الذى سيحصل فى ايطاليا من صير ورة ممالك اسبانيا سيدا على مملكة السيسيليتين ودوقية ميلان الا أنه ما كان عنده طاقة على تمام مرغوبه ولما مات (بروسبير وكولونا) خلفه (المارگيز بيسكاره) فى قيادة جيش الاتحاد وفى فصل ربيع سنة ١٥٢٤ بعد الميلاد حصلت مصائب جديدة للفرنساوية وهو أن دوق بوربون دخل ايطاليا بالنيابة عن الامبراطور فالتزم القائد الفرنساوى بونيڤيت على القهقرة ثم ان بوربون و بيسكاره أغارا على فرانسا وتغلبا على عكس ومدائن أخرى وحاصرا مارسيليا فدافع أهلها عنها حتى التزم بوربون برفع الحصار وتقهقر فى داخل ايطاليا لما رأى أن أهل بلاده لا يرغبون مشاركته فى الخيانة معه

ثم ان فرنسيس دخل ايطاليا فى جيش قوى مقداره ٣٠٠٠٠ نفس فمع أن القنيزيين كانوا انضموا الى الاتحاد الا أنهم ما اتحدوا معه وفى ظرف مدة قليلة تغلب فرنسيس على كافة البلاد حتى وصل الى نهر طسين ووضع الحصار على مدينة باو يه فتخابر البابا معه فى السر وعقد معه معاهدة على حدته وترك محالفيه وكذا حصل من ملك انكلترة تراخ فى حماسته وقصر فى توريد المساعدة واللوازم التى وعد بها وافتخر فرنسيس بما حصل له من هذه السعادة العظيمة التى نالها وأضعف قوة جيشه بكونه أرسل قسما منه تحت قيادة دوق ألبانى من أجل التغلب على المملكة النابولطانية فكان ذلك سببا فى دماره لان الجيش الامبراطورى صار تقويته بجمع عساكر جديدة بمعرفة بوربون وقائد آخر جرمانى اسمه (جورج فروندسبرغ) وهجم بوربون عليه فى ٢٤ فبراير سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد وهزمه شر هزيمة وأسر فرنسيس وصهره (هنرى دالبرت) ملك نافاره وقتل فى ميدان المعركة نحو من ٨٠٠٠ نفس وحبس فرنسيس فى قلعة (بيزيغيطونى) بالقرب من ميلان ثم منها أرسل الى مادريد وحبس فيها فى القصر

وتسبب من نصرة باو يه جعل شارلس السيد المطلق التصرف فى ايطاليا الشمالية والغضب الاكبر على البابا والقنيزيين وكانوا يتمنون هزيمته لانه صار لهم جارا قويا لا يؤمن فاجتهد القنيزيون وحضوا البابا على مساعدتهم فى تشكيل اتحاد مع نائب فرنسا ودوق فراره والسويس بقصد صد الامبراطور وتخليص الملك فرنسيس فخاف البابا على نفسه ووقع على معاهدة مع قواد الجيش الامبراطورى بقصد مساعدة القوة التى أبقاها الامبراطور فى ايطاليا فمن هنا تحملت كافة امارات ايطاليا ما لا طاقة لها به من الضرائب وأما أهل دوقية ميلان فان أحوالهم تدمرت من هذه الفردة وصاروا فى حالة رديئة جدا بسبب ما هو حاصل لهم من العنف والهمجية الواقعة من العساكر المحتلين أراضيهم فلما رأى الدوق ما عليه قومه من تحمل العناء وعرف نفسه أنه مجرد ألعوبة فى أيدى الاسبانيين صمم على السعى فى رمى نافهم وتقوى على هذا الفعل بواسطة مشورة نائبه (غيرولامو مورونى) وتقوى فى السر أيضا بالبابا والقنيزيين ونجح فى كونه جلب القائد الاسبانى المارگيز بيسكاره فى الدسيسة بكونه ذكر له

الاحزاب الداخلين فى الثورة وضمن له تاج نابولى لو رغب فى مساعدته على طرد الاسبانيين والجرمانيين من ايطاليا فمال المارکيز فى مبادى أمره الى هذا المشروع لكنه من بعد قليل أفشى للامبراطور سر هذه الثورة فقبض الامبراطور على النائب وحاصر دوق ميلان فى قلعته وأمر بضبط كافة الجهات الحصينة الموجودة فى الدوقية ماعدا كريمونة وميلان وفى نحو غلاق سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد مات المارکيز پيسكاره وعهدت قيادة الجيش الامبراطورى الى دوق بوربون وأحسن اليه الامبراطور بدوقية ميلان

ثم ان فرنسيس الاول تحصل على حريته فى أوائل سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد من بعد أن وقع على معاهدة فى مدريد تنازل فيها عن دعاويه لمملكة نابولى وميلان وجنوه واسطى فلما عاد الى فرانسا جحد شروط المعاهدة وتعلل بانه أكره على التوقيع عليها فى مدة سجنه وكانت المصائب زادت على الايطاليانيين ووجهوا جميعا قلوبهم نحو ملك فرانسا كأنه هو الفرج الوحيد عندهم ووعد دوق بوربون بعسكر العساكر من ميلان على شرط أن يدفع له مبلغا مقداره ٣٠٠٠٠٠ كراون ولما استلم هذا المبلغ وجد انه لا طاقة له على وفاء وعده لان العساكر رفضوا طاعته لانه تأخر مدة عن صرف مرتباتهم وكانوا يستحصلون على ما يلزم لهم بواسطة سلب الميلانيين ومن ذلك توقفت أشغال المدينة وصار لاجسارة لاى انسان على فتح دكانه خشية من نهب العساكر وفى أثناء هذه الارتباكات شكل البابا والفنيزيون ودوق ميلان اتحادا مع ملك فرانسا عرف بالاتحاد المقدس وكان القصد منه الزام شارلس بخلاص أولاد فرنسيس الموجودين فى اسبانيا بصفة رهائن واعادة فرنسيسكو الى دوقية ميلان واذا رفض شارلس هذه الطلبات فلابد من الاغارة عليه أولا فى ميلان ثم فى نابولى

وفى غضون هذه المدة تحملت أهل ميلان مالا طاقة لهم به من العناء زيادة عن كافة الامارات لان دوقهم كان عضوا فى هذا الاتحاد واجتهد الجيش الفنيزى فى طرد الاسبانيين من ميلان فهزمه بوربون وجمع (الكردينال كولونا) جيشا وسار بغتة على رومة ونهب عسكره خط الواطيكان وكنيسة القديس بطرس وأرغم البابا الذى هرب الى قلعة سنت انجيلو على التسليم وعقد محالفة مع سفير الامبراطور وفى هذا الوقت تقوى الجيش الامبراطورى بتقوية حضرت له وكان من جملة العساكر الجديدة جيش مفتخر من الجرمانيين تحت قيادة (جورج فرندسبرغ) وكان جورج جمع هذه العساكر من تلقاء نفسه وسار وامعه على أمل النهب فعسكروا فى نواحى (منطووه) وكان جيش بوربون فى نواحى ميلان على شرف العصيان بسبب عدم صرف مرتباتهم ثم بعد قليل حصل فى عساكر جورج فرندسبرغ النفور نفسه فانضم بوربون مسرعا الى عامل نابولى بعساكره ومع فرندسبرغ وعساكره وصار لا يمكن هؤلاء العساكر خطف شئ من الميلانيين وساق بوربون الجيش الى ايطاليا الوسطى بأمل أنه يجد فيها بعضا من الوسائط ترضيهم

ثم ان البابا نكث الهدنة التى أكرهه الكردينال كولونا على عقدها وأرسل قوة لتخريب بلاد الكولونانيين وهدم سراياتهم التى فى رومة وعزم عزما كان على غير طائل ضد المملكة النابولطانية ولما وردت اليه أخبار سير العرضى الامبراطورى تحت قيادة بوربون الى الجهات الجنوبية خاف على سلامة كل من فلورنسه ورومة فأسرع فى عقد صلح مع العامل الاسبانى وصرف كامل عساكره تقريبا ووعده العامل بان العساكر الامبراطورية لا تقرب كلا من فلورنسه ورومة مع انه لا يمكنه هو ولا قواده

توقيف سير الجيش الذى هاجت عساكره ودخل فى عقولهم ما فى المدينة القديمة من النفائس الجليلة فعوّلوا على سلب جميع ما فيها ومن بعد مرور الجيش على فلورنسه وصل أمام رومة فاجتهد البابا فى توقيف هذه القوة الشديدة فكان اجتهاده على غير طائل ووقع فى عسكر فرندسبرغ هياج فاجتهد فى اطفائه فقاموا وقبضوا عليه وأعدموه حياته وصار بوربون هو المنوط بقيادة الجيش وفى ٦ مايه سنة ١٥٢٧ بعد الميلاد وقعت الغارة على رومة ودخلها الجيش عنوة واستمرت المدينة مدة أسبوعين فى حالة شنيعة مما وقع فيها من النهب والذبح وتدمرت حالة رومة فى آخر الامر وقتل بوربون فى أثناء الهجوم على المدينة وانتخب العساكر بدله برنس (أورنجه) قائدا عليهم وسلم البابا نفسه وكان هرب فى قلعة سنت انجيلو فى ٥ يونيه لعدم وجود الذخائر والمؤن اللازمة للقلعة فاستمر فى الاسر الى ٩ سبتمبر ثم هرب الى (أورفيطو)

ثم ان الفلورنسيين انتهزوا الفرصة فى وقت عدم وجود العرضى الامبراطورى فى طوسقانه وطردوا الميدسيين وجعلوا أنفسهم تحت حماية فرانسا وأعادوا هيئة حكومتهم الجمهوريه وكذلك جنوه ومت النائب الاسبانى وتحت قيادة (أندريودوريه) أعلنوا حماية أنفسهم لفرانسا وصار احياء الاتحاد المقدس ودخل الجيش الفرنساوى فى ايطاليا وتغلب على مدينة باويه عنوة انتقاما لها بما حصل من الفرنسيس من هزيمته أمام أسوارها وزحف (لوطريق) القائد الفرنساوى نحو نابولى فاخلى برنس أورنجه رومة وطرد ما بقى من جيشه بسبب ما كانوا عليه من شدة الاذى لهذه المدينة وأحاط لوطريق بمدينة نابولى من البر والاسطولان المتحدان من فرانسا وجنوه من البحر وصارت المدينة على شرف السقوط ولولا ما حصل من فرنسيس من شدة الكراهة للدوريانيين بمعاملته اياهم بالظلم فسحب (اندريودوريه) الاسطول الجنوى وتركت جنوه الاتحاد الفرنساوى وتوجهت نحو الامبراطور ومات لوطريق من مرض دمر القسم الاعظم من عساكره وما بقى من الجيش أرغمه الجنوى على رفع الحصار وكانت نتيجة الغارة الفرنساوية تمام الخيبة والعجز وصار برنس أورنجه عاملا للامبراطور فى ايطاليا وتوطدت شوكة شارلس فى ايطاليا زيادة عن الاصل

ثم ان البابا وكان عزم على أن يكون سيد فلورنسه مرة أخرى شرع فى المخابرة مع الامبراطور من أجل هذا الصدد وفى يونيه سنة ١٥٢٩ بعد الميلاد عقدت معاهدة بين هذين السلطانين ووعد البابا فى هذه المعاهدة شارلس بالتاج الامبراطورى لانه لم يزل لهذا الوقت بدون تتويج وكذا بتقليده مملكة نابولى واتفق شارلس أن يلزم القنسيزيين ودوق فرارة باعادة الاراضى التى كانوا أخذوها من البابا الى البابا وبساعده على مرغوبه من جهة فلورنسه وفى أغسطس من هذه السنة انتهى الحرب بين شارلس وفرنسيس بواسطة معاهدة عقدت فى كنبرى وبهذه المعاهدة ترك فرنسيس محالفيه الايطاليانيين لاجل الاستحصال على الصلح ولما تركوا الايطاليانيين بهذه الحالة اجتهدوا فى أن يعملوا أجود الترتيبات القادرين عليها مع الامبراطور شارلس فتصرح لدوق ميلان الخالى من الذرية أن يبقى له دوقيته على شرط دفع مبلغ جسيم بحيث انها من بعد موته تعود للامبراطور والتزم القنسيزيون أن يسلموا البابا مدينة رافنه وسرفيه مع تسليم كامل ما تغلبوا عليه فى أبوليه للامبراطور وأما الامارات الاخرى فانها اشترت الصلح بمعاهدات مهما كانت عليه شروطها بالنظر اليهم واستثنت فلورنسه وحدها هذا الصلح العمومى وما حصل من جمهورية فلورنسه سوى الانقياد بغير شروط للبابا على حالة رضى بها كليمنت وشارلس الامبراطور

وفى سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد توج البابا كليمنت شارلس ملك ايطاليا وامبراطورا واستلم شارلس التاجين فى الحال وكان احتفال التتويج فى بولونيه بدل من أن يكون فى ميلان أو فى رومة وكان شارلس أجل سلطان فى مملكة شاسعة قوية ما حكمت بنظيره من عهد شرلمانيه فكان مطلق التصرف فى ايطاليا وعلى وثوق تام من أهلها ومع ذلك ما حصل من تقلده هذه الدرجة انضمام ايطاليا الى المملكة بل انضمت مع الحكومة الاسبانية وقت تنازله عنها وبواسطة تتويجه انتهى الحرب الطويل الذى كان جاريا بين فرانسا واسبانيا للاستحواذ على ايطاليا وكانت نتائج هذا الحرب ثلاثة أشياء هرق ايطاليا وذل فرانسا وعلو اسبانيا وكان شارلس الخامس آخر من تتوج من الامبراطورات فى ايطاليا ولما تولد من وجود شارلس فى ايطاليا ارغام فلورنسة على الخضوع للبابا ولما لم يقبل الفلورنسيون عود الميديسيين أمر الامبراطور برنس أورنجه بالهجوم على المدينة وكان ميخائيل انجيلو حصن فلورنسه وحفظها من داخلها بمحافظين من أرباب الشجاعة وبجيش آخر من خارج أسوارها فلما قتل قائدها الشجاع ميخائيل فى الحرب وخان البعض التزمت المدينة على التسليم فى أغسطس سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد والتزمت على دفع مبلغ فداء عن نفسها ووضع فيها محافظون من طرف الامبراطور وأعيد حاكمها الوارث لها من الميديسيين واستمرت هذه العائلة فى شوكتها الى أن مات آخر واحد من الميديسيين فى سنة ١٧٣٧ بعد الميلاد وفى سنة ١٥٧٠ بعد الميلاد ارتقى (كوسمو دوميديسى) الى رتبة الدوق الاكبر (الطوسقانه) بمعرفة البابا بيوس الخامس فمن هذا الوقت وقفت فلورنسه من أن يكون لها ادارة استقلالية وآل أمرها أن صارت عاصمة ومقر الحكومة دوقية كبيرة

وفى سنة ١٥٣٤ بعد الميلاد مات كليمنت السابع وخلفه (اسكندر فارنيز) ولقب بولص الثالث وكان البابا بولص ألد الاعداء للميديسيين فاجهد نفسه فى التعدى عليهم وتقدم عائلته وقوى الفلورنسيين على العصيان على أسيادهم ورأى من هيئة الوقت حركة اشتعال حرب جديد بين فرنسيس وشارلس وطلب شارلس دوقية (صافوا) وكان الدوق المتسلطن فيها عم فرنسيس وفى سنة ١٥٣٦ بعد الميلاد تغلب على الدوقية بعساكره ولما أغار شارلس على فرانسا ألزم خصمه على اجراء المدافعة وصار لا طاقة له على فعل شئ فالتزم على القهقرة بخسارة مقدارها ٣٠٠٠٠ نفس وكان السعى فى ايطاليا ضد الامبراطور على غير طائل وعاقب الفلورنسيين أشد العقاب والتزموا الطاعة للميديسيين ومن بعد هذه الحركة ما كان عندهم أدنى سعى فى خلاص أنفسهم من تحت أيدى أسيادهم وسلك البابا بولص مسلك النفاق فكان تارة يلاطف الفرنساوية وتارة يميل الى الامبراطور شارلس الذى كان هو الشخص الوحيد فى نفوذ الشوكة فى تقدم عائلته فى ايطاليا ولما صار شارلس على غير رغبة من قضا شئ للفارنيزيين زيادة على ماهم عليه صار البابا الخصم الالد له وحصل بينهما الشقاق من أجل دوقية پارمة وكانت لازمة للامبراطور وليمنحها على زوج ابنته (أوطافيانو) الذى كان حفيد البابا أيضا ومات البابا فى وسط هذه المشاحنة فى سنة ١٥٤٩ بعد الميلاد وخلفه (الكردينال دبل مونطى) ولقب بوليوس الثالث فمنح هذا البابا الجديد دوقية پارمة على أوطافيانو وصار اسكندر بن أوطافيانو و(مرغريطة) ابنة الامبراطور شارلس أشهر كافة قواد فيليب الثانى ملك اسبانيا وفى غضون ذلك سلك فرنسيس الاول طريقة يخرج بها شارلس من فرانسا فجدد طلباته لدوقية صافوا وميلان غير أنه ما وقع حرب بينهما بسبب عقد هدنة فى بوليه من سنة ١٥٣٧ بعد الميلاد وترك الفرنسيس صافوا وبريس ونصف

بيدمونط وبقى للامبراطور مابقى من بيدمونط وميلان وأمادوق صافوا الذى سلب ظلماً من أراضيه فانه وضع فى ايالة نيس وصارت جنيفه جمهورية مستقلة فى هذا الوقت من بعد أن كانت خاضعة اسماً الى صافواومات فرنسيس الاول فى مارث سنة ١٥٤٧ بعد الميلاد وخلفه هنرى الثانى فاشتبك فى حرب مع شارلس فى سنة ١٥٥٠ بعد الميلاد وحصل أكبر وقائع هذا الحرب فيماوراء جبال الالب الا أن ضررها عم ايطاليا وتسبب منها الاذى الاكبر لاهلها وفى سنة ١٥٥٢ بعد الميلاد عصت سيناء على الاسبانيين فأغار عليها الفلورنسيون تحت قيادة الدوق (كوسمو دوميديسى) وتغلب عليها من بعد حصار امتد ١٥ شهرا ووضع فيها محافظين من العساكر الامبراطورية ومن بعد مضى سنتين انضمت نهائياً الى فلورنسة وكانت نتائج الحرب على العموم فى ايطاليا مظفرات الاسبانيين وتغلب الفرنساوية على دوقية صافوا الا أنه ما تيسر لهم الحصول على ميلان وفى سنة ١٥٥٥ بعد الميلاد تنازل شارلس الخامس عن تخت ممالكه واعتزل فى دير وخلفه على تخت اسبانيا ابنه فيليب الثانى وعلى تخت المملكة أخوه فرديننده وكانت ايطاليا تابعة للتاج الاسبانى وحكمها فيليب بضع سنين وفى نفس هذه السنة مات البابا بولص الثالث وخلفه (جيان بيتروكرفه) باسم بولص الرابع فكان هذا البابا يكره الاسبانيين وكان مشتاقاً أن يرى الفرنساوية مرة ثانية فى نابولى فعقد معاهدة مع هنرى الثانى ودوق فراره ومطر ودى الفلورنسيين وهيج حرباً على فيليب الثانى فى مملكة نابولى وأرسل جيش فرنساوى تحت قيادة (دوق غيز) لمساعدته ومع هذا فكان الاسبانيون هم الفائزون وطردوا الفرنساوية والتزم البابا على الانقياد لفيليب وكان فيليب أعظم أبناء الكنيسة وما حرمه من أراضيه بل أعاد عليه كل ما أخذ منه وانفصل الحرب بهزيمة الفرنساوية والتزم هنرى على التوقيع على معاهدة (كاطوكبر يزيس) تنازل فيها عن دوقية صافوا وبيدمونط ما خلا تورين وأربع مدائن وسحب عساكره من مونطفراط وطوسقانه وقورسقه

ومن الحوادث المشهورة التى وقعت فى هذا القرن حادثة يجب علينا ذكرها لكن مع الايجاز وهى حادثة الاصلاح الانجيلى الذى ثبتت قواعده عند الامم الشمالية وزلزل مدة ما فرانسا بتغلبه عليها وصار له وقع عظيم فى اسبانيا الا أنه ما جعل له قدماً ثابتاً فى ايطاليا وكان يوجد الكثير من الناس مائلا الى المصلحين ورغبوا فى اصلاح الاحكام الانجيلية الا أن غالب هؤلاء كان منضماً الى الكنيسة وكانوا يؤملون أن هذا الاصلاح يكون متصلا بالنظام القديم وكانوا منتظرين وقوعه من مجلس طرنطه الذى عقد فى سنة ١٥٤٥ بعد الميلاد وفى هذا الوقت وعلى حسب ما كان متراءى من وقوع الاصلاح نبعت جمعيات عديدة ومن هذه الجمعيات جمعية أطلق عليها (تيطاين) وأخرى عرفت باسم طائفة عيسى وكانت هذه الجمعية لها أهمية عظيمة ويستحيل علينا هنا أن نشرح بالتفصيل ما كانت عليه حالة (اغناطيوس لو يولا) وما كانت عليه حالة الجمعية التى كان هو رأسها بل يجب علينا أن نذكر فيها قولا وجيزاً وذلك انه فى الاقاليم الباسقية من مملكة اسبانيا ولد مؤسس الجمعية اليسوعية (أو الجزويت) فى قلعة ليولا فى سنة ١٤٩١ بعد الميلاد من بعد مولد مارتين لوثير بثمان سنوات وكان شاباً كثير التصور فى نفسه ليس كشباب عصره وكان يغذى تصوراته بقصص الفرسان الذين سبقوا فى العصور الماضية ويتصورها لنفسه فى المستقبل وكان يتصور فى نفسه أن له طاقة على خلاص الملوك والاغارة على القلاع وهداية الكفار وانه فارس لا كالفرسان وليس له غرض من الاغراض فالتحق

بالجيش الاسبانى وحارب معه فى واقعة حصلت مع الفرنساوية فى نواحى (بمپلونه) فجرح فى هذه الواقعة جرحا مهولا أعجزه فوجه أفكاره الى طريق آخر وكانت خرافات القرون الوسطى مسندة الى الاولياء فأراد أن يكون فارسا من ضمن فرسان هذا الميدان على شرط أن تكون فروسيته هذه قاصرة بأمر المسيح فروى الروايات والاحلام وقال ان العذراء نزلت من السماء وتكلمت معه وانه رأى أن الاقانيم الثلاثة مجموعة فى واحد وان عنده دلائل الحق الواضحة عيانا فى عقيدة التحليل وحبس نفسه فى دير فى جبل (سيراط) ثم بعد ذلك ظهر فى (برسلونة) ومن بعدها فى رومة فنال فيها بركة البابا ادريان السادس ثم سار من رومة الى فنيزه على قدميه فى صفة سائل ثم أقلع منها الى قبرص ثم الى الارض المقدسة وعند عوده لبث مدة فى باريس ثم صار قعيدة لشرذمة من المتعصبين فشرع فى ترتيب قانون جديد لنفسه وفى سنة ١٥٣٩ بعد الميلاد سلم للبابا بولص الثالث أحكام العقيدة التى اخترعها وصدق عليها البابا وأصدر من عنده منشورا باعتقادها فيما فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٥٤٠ بعد الميلاد وفى السنة التالية كان ابتداء مبادى السير على حسب هذه العقائد فى رومة بواسطة نفس اغناطيوس موظف من طرف البابا بانه رئيسها وكان اغناطيوس المذكور متوسط الهيكل زيتونى اللون أصلع الرأس عيناه متوقدتان كالنار أعوج الانف

وكانت هذه العقيدة تشتمل على التزام الطهارة وعفة النفس والزهد والقناعة والطاعة وحسن السلوك وكافة العقائد الدينية الكاثوليكية العمومية وأضاف الى هذه العقائد انه يجب على أعضاء الجمعية أن يعهدوا على أنفسهم الذهاب بحسن النية بصفة مبعوثين الى الجهات التى يمكن البابا ارسالهم اليها فكان هذا أصل الجمعية اليسوعية ولا ريب أن قوانين هذه الجمعية تنقحت فى هذه المدة التى مضت عليها من عهد قديم وكل ما حصل فيها من التغيير مشروح بوجه التفصيل فى محله وما كانت هذه العقيدة أصلية بل انزوحانيتها دخلت فى قلوب الذين حضنوها وحصل من تأثيرها قوة فعالة فى ممالك أوروبا فى افريقيه وأقصى الممالك الشرقية حتى فى الدنيا الجديدة وأخذت هذه العقيدة فى التقدم وعادت بالنفع العام على الكنيسة الكاثوليكية واستحوذت فى مدة قليلة على القلاع الكبيرة ذات الاحكام المدبرة لاحوال الاشراف والعوام وتغلبت على أرباب المنابر والمطابع وجمعيات العلوم وما كان الجزويت مترددين فى أعمالهم بل كانت جارية فيما يختص بمنافع عيشتهم ومن النادر أن تكون أشغالهم على غير فائدة وزالت من أمامهم المقاومات فمن ثم كانت أشغالهم فى كل جهة بغاية النشاط ينظمون اصلاحاتهم فى داخل الكنيسة ويبطلون ما يحصل منه مقاومة الكنيسة فى الخارج وأقاموا أنفسهم كحواجز قوية أمام القوى التى تعدت وشرعت فى الاصلاح الانجيلى وأوقفوا حركة الاصلاح وكان اغناطيوس لويولا هو الكاثوليكى الاكبر فى عود العقائد الكاثوليكية فى مدة الحركة الكبيرة التى سارت بها اركان الحكيم مارتين لوثير فى العقائد البروتستانتية

والمقصود من كلامنا هنا على الجزويت هو أن حركة الاصلاح الانجيلى ما قام لها حالة أصلية مشهورة فى ايطاليا بواسطة (الڤودوانيين) الذين كانوا مصلحين من قبل حركة الاصلاح الانجيلى انتشرت هذه العقائد الجديدة وقبلت مع الرغبة وكان (الڤودوانيين) أمة قليلة قاطنة فى جهة ايطاليا فى نواحى جبال الالب الكوطيانى وكانت أخطار الاراضى القاطنة فيها هذه الامة واقعة على خطوط الحدود

الكائنة بين فرانسا وجرمانيا فكان حكامها على الدوام فى تغيير مع تغير حالة سعادة الحروب فانه فى مدة الحروب الثنائية التى كانت بين الامبراطور شارلس الخامس وفرنسيس الاول تحملت صافوا أشد الاهوال وكان حكامها الوطنيون لامساعد لهم فى وسط حركات هاتين القوتين وفى سنة ١٥٣٣ بعد الميلاد لما ساعد دوق صافوا الامبراطور وتغلب فرنسيس على هذه البلاد ومع أنه لم يتداخل فى الحركة بين الاصلاح الانجيلى والديانة الكاثوليكية الا أنه سمح بتوقيع أحكام فظيعة على (الوالدنسيانيين) المحروسين بصفة تعصب فظيع وفى سنة ١٥٤٥ بعد الميلاد أمر فيهم بمذبحة عامة وماترك شيأ من أرضها وفى سنة ١٥٥٩ بعد الميلاد عاد دوق صافوا الى دوقيته على حسب نص شروط معاهدة كاطوكبرى وفى السنة التالية اجتهد فى ارتداد (الڤودوانيين) عن عقائدهم بطرق وحشية آلت منها حالتهم الى الدمار وتكررت هذه الاعمال الديانية على (الوالدنسيانيين) بحالات مفزعة فى سنة ١٦٥٥ وسنة ١٦٨٥ بعد الميلاد فكان دمارهم هو الحالة الكبرى التى كانت سبب السلطة الجزويت فلو كان الغرض من ذلك منع انتشار عقائد الاصلاح فى ايطاليا فقد تم الغرض وقيل فى بعض العبارات ان دماء الشهداء هو بذر الكنيسة فقد يكون كذلك عند ماتترك البذرة فى الارض والا فهذه أحوال استثنائية بل كل هذه الاحوال كان منشؤها الجور الذى أخذ فى الزيادة لتمام المرغوب حتى دخل فى هذا المنوال بوهيميه وايطاليا وفرنسا واسبانيا مع غاية السهولة

وفى هذه المدة التى كانت أعمالها جارية فى التعدى على مايختص بحركات الاصلاح أخذ الترك الموقع الجليل فى الحروب الحديثة وزاد شأن الدولة التركية العثمانية بما أجراه السلطان سليمان من حزم الرأى وشدة الحروب ومد الاراضى العثمانية وانتشر صيته بما حصل له من التصرف فى نواحى سوريا وتغلبه على بلغراد وطرده فرسان القديس يوحنا صاحب أورشليم من رودس وكانوا فى هذه الجزيرة من عهد مائتى سنة وبواسطة تكرار غاراته على هنكاريا وحروبه الطويلة مع الجيوش الامبراطورية مدة شارلس الخامس وفى نحو هذا الوقت كان شارلس فى حرب كبير مع فرانسا وحصل بين السلطان سليمان وفرنسيس الاول من الميل والمودة مالم يكن يخطر على البال وعقدا معاهدة مع بعضهما وصارت ايطاليا فى هذا الوقت ميدان حرب بين فرانسا واسبانيا فأما اسبانيا فانه بمعاضدتها بجرمانيا فى منافعها صرفت قواها فكانت هذه مصيبة كبرى على ايطاليا واتفق فى هذا الوقت أن جريقيا يعرف باسم (بارباروسة) جلس على كرسى بجزائر الغرب وجعل نفسه صاحب الشوكة فى البحر الابيض المتوسط فجعله السلطان سليمان الثانى أميرال أساطيله فهزم باربا روسة المذكور الاسطول الجنويزى تحت قيادة (أندريودوريه) وكذا انتصر على أساطيل الامبراطور شارلس والجمهورية الڤنيزية وصار لاصعوبة عليه بمساعدة فرانسا فى تخريب السواحل الايطاليانية مرة ثانية واستمرت غزوات الترك مدة طويلة بعد موت السلطان سليمان وبارباروسة وفى سنة ١٥٧١ بعد الميلاد تغلب الترك على جزيرة قبرص ومن بعد قليل أغاروا على مالطه لكنها كانت بدون فائدة وفى آخر الامر دخلت دول البحر الابيض المتوسط فى معاهدة على الترك وعهدت قيادة الاسطول الاتحادى الى (الدون يوحنا صاحب أوستريا) وفى ٥ سبتمبر سنة ١٥٧١ بعد الميلاد تدمر الاسطول العثمانى وفى واقعة ليبانطو انكسرت شوكة الترك على مياه البحر الابيض المتوسط

وقد ذكرنا فيما سبق انه بواسطة معاهدة كاطوكبرى استحصل دوق صافوا على دوقيته فى بعد قليل

تزوج مرغريطة أخت هنرى الثانى ملك فرانسا وكانت عاصمته فى الابتداء مدينة كبرى فانتقل منها الى مدينة تورين ومن تغلب الحدثان صارت صافوا مملكة ايطاليانية شيأ فشيأ ومن ثم صار رى أساسات هذه الدولة التى لها السيادة الآن فى ايطاليا

الباب السادس

(من واقعة ليبانطو الى سقوط نابليون الاول)

زيادة الشوكة المدنية للبابا ـ استحواذه على فرّاره وعوربينو ـ سياسة الحكومة البابوية ـ فنيزه والبابا بولص الخامس ـ اضمحلال دولة فنيزه ـ ضياع أملاكها الشرقية ـ اضمحلال الدولة الاسبانية فى ايطاليا ـ عصيان مسانيلو فى نابولى ـ اطفاء الثورة ـ الثورة فى سيسيليا ـ هيئة ايطاليا فى القرن الثامن عشر ـ الحرب الاسبانى الوراثى ـ صلح أوطريخت ـ قيام الشوكة الاوستريانية فى ايطاليا ـ صيرورة دوق صافوا ملك سيسيليا ـ وراثة بارمة ـ صيرورة ملك سيسيليا ملك سردينيه ـ الحرب البولندى الوراثى ـ قيام الشوكة الاسبانية ثانيا فى ايطاليا الجنوبية ـ الحرب الاوستريانى الوراثى ـ بقاء سيادة البوربون فى ايطاليا بواسطة عقد الصلح فى مدينة عكس ـ ضياع الشوكة بواسطة البابات ـ الثورة الفرنساوية ـ حملة الجمهورية الفرنساوية فى ايطاليا ـ مظفرات نابليون بونابارتو ـ معاهدة معسكر فورميو ـ الجمهوريات الايطاليانية ـ صيرورة نابليون ملك ايطاليا

حيث ان تاريخ ايطاليا فى مدة القرن السابع عشر ملحق بتاريخ الممالك الاخرى التزمنا ذكر غالب تاريخ ايطاليا فى كلامنا على تاريخ تلك الممالك ولا نذكر فى هذا الباب الا النصوص المختصة بتاريخ ايطاليا فقط فى ظرف هذه المدة وهو أن البابا صار الآن من أكبر الملوك فى ايطاليا والتفت الى أملاكه الدنيوية زيادة عن أعماله الروحانية وبقى هكذا حتى صار كليمنت الثامن أكبر حبر طماع وفى سنة ١٥٩٧ بعد الميلاد مات (الفنسو اسطى دوق فرارة) من دون أن يخلف ذرية وترك أملاكه فرارة ومودنه وريغيو الى قريبه قيصر فطلب البابا فى الوقت جهة فرارة على أنها أقطاع لدار القسوسية وأرسل هنرى الرابع ملك فرانسا (وكان متشوقا لنوال التفات البابا أشبه بكونه واسطة لتقوية نفسه مع رعاياه الكاثوليك الرومانيين) خطابا الى جلالة البابا بانه فى حالة ما اذا رفض صاحب فرارة القبول يمكنه مساعدته وكان فيليب الثانى مستضعفا ومع أنه كان متكفلا بأمر الدوق قيصر الا انه ما حصل منه أدنى حركة فى مساعدته اياه وأرسل البابا عساكره الى مدينة فراره فاحتلوها وسلم الدوق الجديد كل ما لا يمكنه المدافعة عنه وتوجه الى مودنه وأخذها التزاما من المملكة واستمرت عائلة اسطى حاكمة فى مودنه الى سنة ١٧٩٤ بعد الميلاد

وفى مدة سلطنة البابا عوربان الثامن انتقلت دوقية عوربينو الى دار القسوسية لكونها كانت اقطاعا انتهى حكمه ومن بعد انقراض سلسلة (جونى ديلا روفير) خضعت بلاد عوربينو فى الحال لحكومة متسلطنة فى الاقاليم الاخرى التابعة للكنيسة فصار يسمع فى أنحاء الدوقية شكاية الباكين من الحكومة التى كانت جارية بواسطة القسس على أهل بلاد هذه الدوقية فلو كان عند البابا قليل من حب الشهوات

الذاتية لامكنه أن يجعل المملكة التي هو سيدها أحسن أقاليم الارض لانه لما انتقلت أملاك الكنيسة في حوزة هذا الحبر كانت في حالة الغنية وجعل هذا الحبر نفسه من أول الامر السيد المطلق التصرف فيهم وجرد الاهالي شيأفشيأ من حريتهم وحقوقهم وضرب العوائد على كل صنف يمكنهم الحصول منه على معايشهم وانهم شم الفقراء تحت أثقال هذه الاحمال التي وقعت عليهم واضمحلت حالة الاعمال وراعى البابات أن أملاكهم الوقتية هي مجرد منبع اكتساب فقط فما كان عندهم أدنى التفات للاهالي الذين قهروهم ونهبوا ايراداتهم وما كان يوجد في هذا القسم من ايطاليا أدنى حكومة منتظمة ولا جرية وامتدت شوكة حكومة البابا على كل جهة عيشية وكل من خالف أوامر ديوان رومة يعاقب أشد العقاب وضاع التعليم وحل محله التراخي والكسل واشتد الفقر وازدادت العيوب حتى صارت في حالة مرعبة واجتهد البابا في مد شوكته وسلطته على الفنيزيين الا انه لاقى منهم أشد المقاومة وكانوا في ديانتهم أعضاء الامة الرومانية الا أن شرفهم الاكبر الكنائسي مقصور في بطريق أقل درجة من نفس البابا وكان له عند الفنيزيين الدرجة الرفيعة من المجد غير أنه ما كان مسموحا له في التداخل في أشغالهم الادارية وكان مقره أولا في مدينة (عكيليه) ثم في مدينة (غرادو) على حسب مقتضيات الاحوال ومن بعد أن صار اليسوعيون هم أرباب الشوكة في الكنيسة اجتهدوا في تشييد الحكومة الروحانية لرومة في أوروبا الكاثوليكية ولاجل انفاذ هذا المشروع شرعت الكنيسة في تدبير طريقة الحروب بالتهذيب وحرية الافكار وكانت فنيزة مرعية من الابتداء بعين العداوة فلاجل جعلها خاضعة لرومة كان الحرب الذي أثاره اليسوعيون من أجل المعارف أول ضربة في أشغالها المتعلقة بنشر العلوم لان فنيزة كانت مشهورة من عهد مبادي القرن السادس عشر بمطابعها فكانت مجلدات الكتب التي كان جاريا طبعها في مطبعة (الدومانوزيو) من عجائب الدنيا ولم تزل مرعية أنها من الآثار القديمة الغالية فنعت الكنيسة نشر هذه الكتب ومن ثم ابتدأت المطابع الفنيزية في تحمل الخسائر وأخيرا اجبرت أرباب هذه المطابع على ترك المدينة وأراضي الجمهورية ومن ثم دخل الفنيزيون في عداوة رومة لانها منعتهم من الاشغال التي كانت منبع الارباح العظيمة

وفي سنة ١٦٠٥ بعد الميلاد صار (بورغيس) بابا ولقب بولص الخامس فكان فظا طماعا ودخل في مشاحنة مع الفنيزيين فيما يختص بحدود أراضيهم فلما راعى الفنيزيون غلظته وكبرياءه ولما رأى البابا أنه يستحيل عليه بهذه المشاحنة الحصول على فائدة منهم شرع في التداخل في ديانتهم على سبيل الانتقام منهم وكانت المملكة لحد هذا الوقت تأخذ العشور من الفنيزيين فطلبت أن يكون لها النظر والحكم فيما يختص بفصل المشاحنات الديانية وأبت البابا حقه في أن يكون له التداخل في كل من هاتين المادتين فعارض مجلس السناتو طلبه وكان رأس هذه المقاومة (فرابولوساربي) كان عالما لاهوتيا ومشرع فنيزه وصدر أمر مجلس السناتو بأنه اذا سعى أي قسيس في نفاذ أمر البابا فلابد من شنقه وعرض اليسوعيون المجلس باقامة واجبات العبادة المعتادة ومنعوا من اقامة صلاة القداس وصارت الجمهورية والبابا في نفور وتمكنت العداوة بينهم حتى طردوا اليسوعيين من فنيزة ودخلت الجمهورية في معاضدة قضية هنري الرابع ملك فرانسا في مشاحنة مع الاتحاد جاعلة مساعدته لهم وقت الحاجة وكذا صاروا على أمل مثل هذا من جمس الاول صاحب انكلترة ومع هذا فما أمكن لواحد من هذين الملكين تأدية أدنى مساعدة للجمهورية ولما تركوا الفنيزيين وأنفسهم التزموا على

عقد

عقد شروط مع البابا ورضوا بقبول طلبه فى تداخله فى أعمالهم الديانية وماقبلوا عود اليسوعيين فى الاراضى الفنيزية

واستمرت فنيزة عدة سنوات لاتتداخل فى السياسات العمومية الجارية فى ايطاليا ولا فى أوروبا وفى سنى مبادى القرن السابع عشر شرعت فى أشغالها فى عتق البحر الادرياطيق من اللصوص

وفى سنة ١٦٤٥ بعد الميلاد هجم الترك على جزيرة كريد وكانت مازالت لحد هذا الوقت باقية فى حوزة الفنيزيين فاستمر والى حروب تدافعية لبثت ٢٤ سنة كانت نتيجتها تغلب الترك على الجزيرة فى سنة ١٦٦٩ بعد الميلاد وتولد مماوقع من مظفرات (يوحنا سوبسكى) على الترك قيام فنيزة فى سنة ١٦٨٤ بعد الميلاد وبذلت آخر مجهودها فى عود شوكتها فى الشرق وعقدت معاهدة مع الامبراطور (ليوپولد) ومع ملك (پولنده) وأرسلت قوة الى الشرق تحت قيادة (فرنسيسكو موروسينى) فتغلب على جميع جهات پلوپونيزة ومن أجل هذا صار انتخابه دوق واستقرت پلوپونيزه تحت أحكام فنيزة على حسب نص شروط صلح عقد فى (كارلوويتز) فى سنة ١٦٩٩ بعد الميلاد وفى سنة ١٧١٥ بعد الميلاد جدد الترك الحرب من بعد موت موروسينى وتغلبوا على پلوپونيزه ثانيا وعلى كافة أملاك فنيزة الموجودة فى الشرق ماعدا الجزائر اليونانية وبعض جهات فى طول الساحل وفى سنة ١٧١٨ بعد الميلاد كانت نتيجة الصلح الذى عقد فى (پساروفيتز) ختاما للحرب الذى كان جاريا بين فنيزة والمسلمين من منذ خمسمائة سنة وانقرضت دولة الجمهورية فى الجهات الشرقية

ومن ابتداء هذا الوقت أخذت فنيزة فى الاضمحلال وما كان للجمهورية نصيب فى الحروب الكبيرة التى وقعت فى القرن الثامن عشر لان هذا كان عصر الاضمحلال والاختلال فى الجمهورية وكانت مظفرات الترك العثمانية سببا فى قطع التجارة الفنيزية من الجهات الشرقية ووقفت تجارة الفنيزيين من جهة مصر والبحر الاحمر وكذا تولد من كشف سكك الدوران حول رأس عشم الخير ومن الاعمال البحرية التى شرعت فيها انكلتره واسبانيا وقوف توارد ثروة الفنيزيين من الجهات المذكورة وأن شدة حكومة الاعيان الفنيزية التى جعلت لها شهرة فى الازمان القديمة خابت فى أن تقابل احتياجات الايام الاخيرة ولذلك ازدادت ديونها العمومية وعكف القوم على الفسوق والملاهى وصارت هذه الحالة حالة أشغال المعيشة وخسر الاشراف ما كان عندهم من شرف المولد وغرق هؤلاء فى بحر الكسل والفجور وصار لامساعد لهم فى الخلاص منها فكان البعض منهم ملازما للالعاب فى القهاوى والبعض يسأل الصدقة فى الشوارع وذلك وقت ماصيرتهم عيوبهم أو عيوب آبائهم لايحكمون على درهم وصار الاشراف والعوام تحت رأفة مجلس العشرة وهذا المجلس متمكن من أن لايكون للحكام الكثيرى العدد نفوذ فى المملكة وبما كان عليه هذا المجلس من كتمان الاسرار صارله الطاقة على حطم كل ثورة يظن أهلها أنهم وطدوا كل شئ لازم لمساعدتهم فى وقت قيامهم وبهذه المثابة حطم المجلس ثورة كانت جارية فى تنظيم نفسها على خفاء بواسطة عامل ناپولى وحاكم ميلان وسفير اسبانيا فى فنيزه فى سنة ١٦١٨ بعد الميلاد وكان مطلب هذه الثورة نهب فنيزه وقلب شوكة اسبانيا وجلوس العامل على تخت ناپولى فلما وصلت أخبارها فى الخفية الى المجلس قبض على كل من ظهرت عليه شبهة فى المدينة وقتلوا من دون محاكمة عمومية

ثم نشأ من اضمحلال اسبانيا فى طول مدة القرن السابع عشر تقوية تبعتها الايطاليانية على السعى فى

نبذطاعتها وكان فردينندوشارلس الخامس وعدا أهل نابولى بانه لاتؤخذ منهم ولاتضرب عليهم ضرائب بغير رضامجلسهم وكانت عادة ملوك اسبانيا عدم مراعاتهم هذه العهود لانهم كانوا يراعون ان أملاكهم فى ايطاليا منبع ايراد لايعجز فتركت العامل طلب التئام المجلس وجمع الضرائب كما يشاء وضرب ضرائب ثقيلة على كل نسمة وفى سنة ١٦٤٧ بعد الميلاد ضرب ضريبة على الاثمار وكانت وحدها موادا لغذاء التى كانت خالصة من العوائد فحصل للفقراء شدة الضنك من تحمل هذه الضرائب وقاموا فى ثورة تحت قيادة (ماسينلو) سمالك من أهل مدينة املفى وتغلبوا على مدينة نابولى وأحرقوا الجمرك وألزموا الوالى على الهرب فى قلعة (سنت المو) وفى نحو هذا الوقت قام أهل مدينة بالرمو بالسلاح على عامل سيسيليا ونجح عامل نابولى فى استئصاله على كثير من الثائرين بمواعيد وعدها اياهم وماوفى بها وأحرمهم من قائدهم بقتله (ماسينلو) ومن ثم خمدت هذه الثورة فى مدة قليلة غير أنها انفجرت ثانية فى أوغسطس من السنة نفسها وأرغم الاهالى الدون يوحنا صاحب أوستريا الابن الشرعى لفيليب الرابع صاحب اسبانيا على سحب عساكره من بعد محاربة عدة أيام فى الشوارع غير أنه لما ظهر عليهم عدم النجاح بفقدهم قائدهم ماسينلو وكانوا على ثقة قلبية منه انتخبوا من بعده (غناروا ينسى) قائدا لهم وبعثوا نحو دعوا (دوق غيز) ليكون رئيسا عليهم ويساعدهم فى تأسيس جمهورية فأسرع الدوق فى حضوره على أمل أن يعيد ملكية بيت أنجو المتناسل هو منه فلما رأى أهل نابولى ماعليه الدوق غيز من الفكر والأمل نفروا منه ثم وقع بين الدوق وبين غنار وكراهة شديدة فأفشى غنار وسر المدينة للاسبانيين فأخمدوا حركة الثورة وقتل الاسبانيون كثيرا من حزب الاهالى وكان الخائن غنار ومن ضمن المقتولين وأطفؤا حدة الاهالى بأعمال فظيعة وحشية وأما الثورة فى سيسيليا فانه صار اخمادها بطريقة سهلة وذلك أن العامل فرق حزب الاهالى من بعضه باصدار عفوا عاما ولما أزال ماكان عندهم من الشبهة قتل الكثير منهم فى الشوارع بالرصاص وقامت مسينة فى ثورة أخرى فى سنة ١٦٧٤ بعد الميلاد وكانت معضدة فى مبادى أمرها بواسطة لويز الرابع عشر ملك فرانسا ثم تركها لويز الى ماتؤول اليه عاقبة أمرها بمعاهدة (نيموغن) فى سنة ١٦٧٨ بعد الميلاد وبمجرد رفضها طاعتها لاسبانيا وجه جيشه عليها وتساعد على حطمها وفى نفس هذه السنة كان لويز متشوقا لوقوع ارتباك للاسبانيين فى ايطاليا فعقد لهذا الصدد معاهدة مع دوق صافوا وأمر جنوه بالانضمام لهذا الاتحاد وبمجرد عدم قبولها أرسل اليها أسطوله وألزمها الطاعة له بضربه عليها من البحر ضربا شديدا

وفى كامل القرن الثامن عشر كانت ايطاليا ميدانا للوقائع الاوروباوية وكثير من المسائل المهمة التى حصلت فى هذه المدة وقعت حروبها على أرضها وانقسمت أراضيها حسب رغبة الملوك الاجانب الذين ماأتعبوا أنفسهم بان يعتبروا مرغوب الامة الايطاليانية فيما يختص بهذه الترتيبات ومن ثم كان الحرب الاسبانى الوراثى أشد عناء فى تأخير ايطاليا لانها كانت ميدانا لقسم منه وبواسطة معاهدة (أوطريخت) فى سنة ١٧١٣ بعد الميلاد نال الامبراطور شارلس السادس ميلان ونابولى وسردينيه وبما أن دوق منطووه كان حليف الفرانسا فى هذا الحرب أخذت منه دوقيته وأما دوق صافوا فانه من أجل مساعدته بيت أوستريا أعطيت له جزيرة سيسيليا وصار تتويجه ملكا فى نفس هذه السنة فى مدينة بالرمو فمن ثم انتقلت ايطاليا من تحت شوكة اسبانيا الى أيدى أوستريا ثم حصل تغيير فى الاحوال

وصار

وصار هذا التغيير قانونا عند الاوستريانيين فأخذت صافوا (مونطفراط) و(علسندريه) و بعض مدائن فى لومباردى وصار القرار عليها فى المعاهدة بأنها دولة مستقلة

وكان فيليب الخامس صاحب اسبانيا غير راض بمواد شروط معاهدة (أوطريخت) وعزم على أن يعيد لنفسه قدما فى ايطاليا عند انتهاز الفرصة فلما ماتت زوجته وكانت ابنة دوق صافوا تزوج (اليزابث فارنيز) وارثة دوق بارمة فكان هذا الزواج سببا فى وراثته لتلك الدوقية ودوقية (پياسنزه) وصارت له المطالبة بوراثة دوقية طوسقانه وكان الدوق المتسلطن فيها عقيم الذرية وأعلنت ملكة اسبانيا بأنها من نسل ابنة الدوق كوشمو الثانى فغاظ هذا الزواج شارلس السادس بما أنه كان هو المطالب لوراثة هذه الدوقية وما استكفى فيليب بما أجراه من الاعمال بل انه بمجرد فسخ شروط معاهدة أوطريخت ضبط جزيرة سردينيه وكانت تحت حكومة الاوستريانيين واستعد لارسال جيش فى جزيرة سيسيليا فتشكلت انكلتره وفرانسا وهولنده والامبراطور اتحادا عرف بالاتحاد الرباعى وصار تسفير اسطول انكليزى تحت قيادة الاميرال (بينغ) الى البحر الابيض المتوسط فى صيف سنة ١٧١٨ بعد الميلاد فدمر الاميرال بينغ الاسطول الاسبانى فى واقعة حصلت فى (رأس بسارو) والتزمت اسبانيا على التنازل عن سردينية وكان يظهر أن ملك سيسيليا مطابقا على أعمال فيليب فأكره على تسليم مملكته جزيرته لاوستريا واستعوض بدلها جزيرة سردينيه ومن هذا التغيير صار الامبراطور ملك السيسيليتين حيث كان ملك نابولى وأما دوق صافوا الذى سنتكلم عليه من الآن بأنه ملك سردينية فانه انقطع بهذه الحالة عن مشاركته فى الحروب بين أوستريا واسبانيا وصار له طاقة على توسيع مملكته فكان أول الاعمال التى أجراها (فيكتورامادوس) كان تجريد الجزويت من شوكتهم المتعلقة بالتعليم العام لانه رأى أن هذه السلطة تجعلهم أشد ضررا على راحة المملكة فكان هذا العمل من الاعمال العظيمة وتولد منه تقوية الاحساسات فى المملكة الجديدة وفى سنة ١٧٣٠ بعد الميلاد تنازل الملك لابنه (شارلس امانويل الثالث) عن تخت مملكته الا أنه سعى فى الحال فى عود الشوكة اليه ثانيا فحبس فى قلعة ريفولى الى أن مات فيها فى سنة ١٧٣٢ بعد الميلاد

ثم انه تولد من الحرب البولندى الوراثى فصل قضية وراثة كل من دوقيات بارمه و پياسنزه وطوسقانه وانضم لويز الخامس عشر صاحب فرانسا وفيليب الخامس صاحب اسبانيا وشارلس امانويل الثالث صاحب سردينيه الى بعضهم وشكلوا اتحادا على طرد الاوستريانيين من ايطاليا على أن يكون الدوق كارلوس بن فيليب الخامس مملكة السيسيليتين والدوقيات السابق ذكرها وتعطى دوقية ميلان لسردينية وأسرع شارلس امانويل فى الغلبة على كافة مملكة ميلان ما عدا منطووه وكان ابتداء الحرب فى أقطوبر سنة ١٧٣٣ بعد الميلاد وختمته معاهدة فينه فى نوفمبر سنة ١٧٣٨ فضاعت مزايا ملك سردينية بواسطة محالفيه وتقرر الدون كارلوس ملكا على السيسيليتين وتنازل عن طلبه للدوقيات ومنحت دوقية طوسقانه على فرنسيس صاحب اللورين زوج (ماريه تيريسه) ابنة ووارثة الامبراطور شارلس السادس وأعطيت دوقية بارمة للامبراطور وسمح له بيقاء ميلان ومنطووه تحت يده وأخذ ملك سردينية المغشوش فى جميع أعماله نواره وطورطونه من بعد أن صار فصلهما من ميلان

ثم تولد من الحرب الوراثى الاوسترويانى تغيير فى هذه النظامات وصارت ايطاليا ميدان لحروب مهولة

مدهرة وكان القصد من الحرب اخراج ماريه تيريسة عن وراثتها ممالك أبيها الامبراطور شارلس السادس واستحصل كل من الحزبين على محالفة ملك سردينية بأن شوكته كانت فوق شوكة لومباردى فضن فى الابتداء أمر المخالفين ثم خلا عنهم من بعد الشروع فى الحرب وساعد أمر مارية تيريسة وكان رعاياها الهنكاريون عضدوا حقوقها مع الشجاعة وكان الملك يرغب فى اضافة جهورية جنوه الى ممالكه لانه كان محتاجا الميناء بحرية ولما خاف الجنوبز من هذه الحركة رخصوا القوى الفرنساوية والاسبانية بالمرور من وسط أراضيهم الى جهات ممالك سردينية فهزمت هذه القوى الجيش السرديني فى سنة ١٧٤٥ بعد الميلاد واحتلت دوقية ميلان وفى هذه السنة صار انتخاب فرنسيس صاحب اللورين والدوق الاكبر لطوسقانه (وزوج مارية تيريسه) امبراطورا وانتهى الحرب فى جرمانيا ولما استقرت الامبراطورة مارية فى مملكتها أرسلت جيشا لمساعدة سردينية فهزم الجيوش المتحدة لاوستريا وسردينية الجيوش الفرنساوية والاسبانية فى واقعة شديدة فى نواحى بياسنزه فى سنة ١٧٤٦ بعد الميلاد فسار الاوستريانيون على جنوه فسلمت عند أول طلب واحتلوا المدينة ثم تولد من ظلمهم قيام الجنوبزيين فى ثورة فى ٥ ديسمبر وطردوا الاوستريانيين من المدينة فانسحبوا الى خلف الابنين ثم انتهى هذا الحرب بواسطة معاهدة عكس فى سنة ١٧٤٨ بعد الميلاد وبموجب شروط هذه المعاهدة صار كل من بياسنزه وبارمة وجاسطالا مملكة منفصلة على حدتها وأعطيت الى الدون فيليب ابن ملك اسبانيا وأخ ملك السيسليتين وصارت جمهورية جنوه ودوقية مودنه وملحقاتهما تحت حماية فرانسا وتنازلت جنوه لفرانسا عن جزيرة قورسقه وفى مدة حياة الامبراطور فرنسيس الاول كانت دوقية طوسقانه مجرد اقليم أوستريانى وفى سنة ١٧٦٥ بعد الميلاد أعطاها الامبراطور لابنه الثالث (بطرس ليوپولد) فصارت مستقلة مرة أخرى وحكم فيها ليوپولد حكما الاستبدادى الا انه كان حاكما عاقلا محبا للمنافع رعيته وأصلح المضار التى كانت محيطة بالادارة العدلية وجعل القسس تحت حكم المملكة وقلل عدد الرهبان وأبطل محاكم الفحص من ممالكه وفى سنة ١٧٩٠ بعد الميلاد استخلف على كرسى المملكة فعين ابنه الثانى فردينند خليفة من بعده على طوسقانه

وكانت المدة من ابتداء معاهدة عكس الى حملة الفرنساوية على ايطاليا مدة سلم واجتهد شارلس امانويل فى هذه المدة فى تقدم مملكته وحكمها بحكم مطلق وأخذ شوكة الكنيسة والجزويت وما فعل هذا لكون هاتين القوتين عدوتين لحرية ايطاليا بل لانهما عدوتان له فى ممالكه والتفت قليلا الى طريقة التعليم وكانت سلطنته مدهرة لحرية قومه حتى انهم ما تأسفوا عليه وقت موته فى سنة ١٧٧٣ بعد الميلاد وخلفه ابنه (فيكتور اماديوس الثالث) فدخل فى معاهدة مع فرانسا وأدخل فى مملكته طرق النظم البوربونى

وتولد من معاهدة عكس أن صار البوربون أسيادا فى ايطاليا فأخضعوا شوكة البابات ومن بعد مضى قليل اشتبك البابات فى مشاحنات كبيرة مع دواوين فرانسا واسبانيا ونابولى وزعموا أن لهم الحق فى ابطال كل عمل يقع فى الحكومات الملكية وانه لابد من اصلاح الاحوال فى ايطاليا بحسب ما يعود منه النفع عليهم وصارت مساعدتهم بواسطة الجزويت حتى تولد مما حصل من تهديداتهم اتحاد عموم ممالك أوروبا على دار البابوية وفى سنة ١٧٦٩ بعد الميلاد جلس البابا كليمنت الرابع عشر على كرسى البابوية بواسطة شوكة فرانسا واسبانيا خصوصا وكان رجلا دينا عظيم السلوك وفى سنة

١٧٧٣ بعد الميلاد أخذ الاضطرابات الحاصلة من الجزويت وأبدلها بالفرح في عموم أوروبا وما حصل من انفجار الثورة الفرنساوية تأثير على ايطاليا وان كان المنظور أنها مهددة بالحكم المطلق لخراب هذه المملكة وفي سنة ١٧٩٢ بعد الميلاد تأسست الجمهورية الفرنساوية وصار ضبط صافواونيس وجعلا أقساما من الاراضي الفرنساوية وفي سنة ١٧٩٥ بعد الميلاد عقدت فرانسا تحت حكومة جديدة صلحا مع جميع ممالك أوروبا التي كانت معارضة لها ما عدا انكلتره وأوستريا وسردينية وفي سنة ١٧٩٦ بعد الميلاد عبر الجيش الفرنساوي تحت قيادة (نابليون بونابارته) جبال الالب وأغار على ايطاليا وأرغم بونابارته ملك سردينية على التنازل عن طلبه لصافواونيس وتسليم علسندرية وطورطونه لفرانسا ثم سار بعد ذلك على الاوستريانيين وهزمهم في نواحي (أركولا) في ١٤ نوفمبر سنة ١٧٩٦ وفي جهة (ريفولي) في يوم ١٤ يناير سنة ١٧٩٧ بعد الميلاد وجعل نفسه سيد لومباردي ثم أغار على ممالك البابا وألزمه أن يتنازل عن قسم من أراضيه ويدفع خراجا سنويا وكان أهل ايطاليا يعتقدون في مبادي أمرهم أن الفرنساوية جاؤا لينقذوهم مما هم فيه من الظلم فقاموا في كل جهة على حكامهم وطردوا الرهبان والقسس ثم رأوا من بعد قليل أن الفرنساوية جاؤا لاجل أن يحكموا البحيث جزيرة فمن هذا ازدادت عداوتهم للفرنساوية وذبح الايطاليانيون في مدينة فيرونه ما كان فيها من محافظي الفرنساوية الذين كان تركهم فيها نابليون فعاد بونابارته في الحال لاجل تأبيد شوكته مع الدقة في البحيث جزيرة والتزم امبراطور أوستريا على عقد صلح و زحف الفرنساوية على فنيزه فسلمت حكومتها المدينة من دون حرب وألغى بونابارته الجمهورية وأخرب كافة ما كان لها من الاشغال وأخذ التمثال المشهور بتمثال الحصان المصنوع من البرنز للقديس سنت مارك وكثير من اشغالها الصناعية المفتخرة وألغى كافة الاجراآت والاشغال العائد منها الضرر على الفنيزيين

وفي سنة ١٧٩٧ بعد الميلاد عقدت معاهدة (معسكر فورميو) بين فرنسا واوستريا ومن شروطها تشكيل لومباردي وپارمه ومودنه والاملاك البابوية في بولونيه وفراره ورومانغنه والاراضي الفنيزية الى حد نهر اديجه في هيئة مملكة مستقلة سميت بالمملكة الجنوبية الالبية وأعطيت فنيزه وكافة ملحقاتها في البحر الادرياطيقي الى أوستريا واحتلتها أوستريا بعساكرها في مبادي سنة ١٧٩٨ بعد الميلاد ورتب نابليون أيضا الجمهورية (اللوغاريانية) وجعل جنوه عاصمتها وكذا جمهورية (سيسپادين) وعاصمتها بولونية وجمهورية (طيبرين) وعاصمتها رومة وفي سنة ١٧٩٨ بعد الميلاد تغلب الفرنساوية على نابولي وجعلت عاصمة لجمهورية (پارتنوبيه) وفي نفس هذه السنة صار تجريد شارلس امانويل الرابع صاحب سردينة من تخته واحتل الفرنساوية (بيدمونت) وهرب البابا پيوس السادس من رومة الى فرنساومات فيها وعندما كان نابليون غائبا في مصر تدمرت أعماله في ايطاليا باتحاد انكلتره وروسيا وأوستريا وشرع هؤلاء الدول في عود الاعمال القديمة في تلك المملكة وانهزم الفرنساويون في كل جهة كانوا فيها وما نالهم شئ الا عود نابليون بغتة من مصر والقدرة على حفظ ما تغلبوا عليه وكانت ايطاليا من افتتاح القرن التاسع عشر الى سقوط نابليون الاول تحت حكم فرانسا خاصة وسندكر حوادث هذه المدة في تاريخ فرانسا وعلى القارئ مطالعته هناك

وكانت جميع المدة التي كان متسلطنا فيها الحكم للفرنساوي في ايطاليا مدة نظام ومراعاة قانون وفيها نجحت أهل ايطاليا واستحصلوا على الافكار الحسنة والآراء العظيمة اللازمة لتقوية المملكة وكان

المأمول فى أثناء هذه المدة أن ايطاليا سوف تصير أمة واحدة ودخل كثير من الوطنيين من كافة جهات ايطاليا فى جيش نابليون ومن هذا الاجتماع وقع بينهم احساس الاخوية ورسخ فى عقولهم الفكر فى الاتحاد وما انعدم هذا الفكر من عقولهم بل نمى وازداد مع الهدو والسكون فى مدة السنين التى دخلت بين مبدئها وتمام نجازها

﴿ الباب السابع ﴾

من سقوط نابليون الاول الى الوقت الحاضر

معاهدة فينه تسلطن الشوكة الاوستريانية فى ايطاليا ـ وضع الايطاليانيين فى حالة الرق ـ ترتيب الممالك الايطاليانية ـ عود الجزويت ـ قيام الجمعيات السرية ـ الكربونارى ـ الثورة فى نابولى ـ تنازل فيكتور امانويل الاول صاحب سردينية عن تخته ـ ثورة سنة ١٨٣٠ اخمادها بالاوستريانيين ـ سلطنة شارلس البرت صاحب سردينية ـ يوسف مازينى ـ ايطاليا الحديثة ـ القلاقل فى سردينية ـ المساعى فى الحصول على حكومة قانونية ـ الفضلاء من كتّاب ايطاليا ـ ماسيمو دازغلو ـ صيرورة بيوس التاسع بابا ـ اجرا آته الحرة ـ ثورة سنة ١٨٤٨ ـ الحرب بين سردينية وأوستريا ـ غريبالدى ـ ترك البابا أمر الامة وانضمامه مع أوستريا ـ هربه من رومة ـ الجمهورية الرومانية ـ الزام سردينية على عقد صلح مع أوستريا ـ ابطال الفرنساوية الجمهورية الرومانية ـ عود البابا ـ محافظو الفرنساوية فى رومة ـ صيرورة فيكتور امانويل الثانى ملك سردينية ـ اجرا اته الجليلة القوية ـ الكونت كافور ـ انضمام سردينية مع فرانسا وانكلتره وتركية فى اشعال الحرب على روسيا ـ نجاح سياسة كافور ـ حرب سنة ١٨٥٩ مع أوستريا ـ صلح قرية فرنقه ـ مكاسب سردينية ـ الثورات الايطاليانية ـ انضمام الدوقيات الايطاليانية الى سردينية ـ تحرير غريبالدى سيسيليا وايطاليا الجنوبية ـ تشكيل مملكة ايطاليا ـ موت كافور ـ مصاعب الحكومة الايطاليانية ـ مساعى غريبالدى ضد الاراضى البابوية ـ قضية اسپرومونت ـ مجلس شهر سبتمبر ـ صيرورة فلورنسة عاصمة ايطاليا ـ الحرب الاوستريانى البروسى ـ ايطاليا حليفة بروسيا ـ هزيمة الايطاليانيين فى قوسطوزة وليصه ـ تغلب ايطاليا على فنيطيه ـ اغارة غريبالدى على الاراضى البابوية مرة ثانية ـ تأثير فعل الحكومة الايطاليانية ـ هزيمة غريبالدى بالفرنساوية فى منطنه ـ سقوط المملكة الفرنساوية ـ فسخ اتفاق شهر سبتمبر ـ احتلال رومة بالقوى الايطاليانية ـ صيرورة رومة عاصمة المملكة ـ ملحقات تاريخ ايطاليا

كان سقوط نابليون الاول دلالة على تغيرات جديدة فى ايطاليا ونظر الايطاليانيون بعين الشوق لختام الاعمال الجارية فى مجلس فينه واعتقدوا بغير ريب أن المحالفين الذين تواعدوا مع بعضهم سوف يجعلون لهم حريتهم فانحطمت هذه الآمال بقوة شديدة وصار اعادة الاملاك الايطاليانية الى الملوك الذين كانوا متغلبين عليها من قبل وقوع الثورة الفرنساوية وتشيدت مملكة سردينية ثانيا وصار حدها الشرقى نهر طيسينو وكان الجنويز فى نشاط لعود جمهوريتهم القديمة فأضيفت جنوه وأراضيها الى مملكة سردينية وفى فصل هذه الآمال المغشوشة التى كانت متسلطنة فى أفكار أهل جنوه رأى

الجنويز أن الاوفق لهم هو الحاقهم بأكبر مملكة فى ايطاليا وانتقلت فنيزة وملحقاتها الى أوستريا لاجل موازنتها مع ماخصها من أراضى بولنده القليلة وعادت ميلان أيضا الى أوستريا ورتب الامبراطور فرنسيس الثانى ممالكه فى ايطاليا على هيئة ممالك لومباردية وفنيزة ووظف لها عاملا يحكمها من طرفه وأعطيت پارمه و پياسنزه الى (ماريه تيريسه) امرأة نابليون وابنة امبراطور أوستريا وعند موتها تنتقل هذه الدوقيات الى بوربونات پارمه وأعطيت لهم أيضا مدينة لوقا ولما استحوذ البربونات البارمية على أملاكهم القديمة تنازلوا عن لوقا الى فرديننذ الثالث وكان هو الدوق الاكبر لطوسقانه وجعل فرنسيس الرابع ابن الارشيدوق فرديننذ دوق مودنه واستحوذ البابا مرة ثانية على كافة أملاك الكنيسة وطلب الاوستريانيون حق ترتيب محافظين فى فرارة وكاماخيو وبمجرد عود البابا الى رومة أعاد فى الحال حزب الجزويت وكان ذلك بتصديق من المخالفين الذين كانوا يرغبون فى مكافأة الجزويت على ما أدوه من الغيرة فى مساعدتهم أمر البوربون فصارت شوكة هذه الطائفة من بعد عودهم أكبر بكثير مما كانت عليه سابقا وأعيدت مملكة نابولى الى فرديننذ الرابع صاحب سيسيليا ولقب بملك السيسيليتين ومن هذا العود صار للاوستريانيين نفوذ كبير فى ايطاليا مرة أخرى

وكانت معاهدة فينه سببا فى استتباب الامن فى ايطاليا الا أنها تركتها مجزأة ومقيدة تحت أغراض أسيادها المطلقين التصرف فكان جميع الملوك الايطاليانيين فى اتحاد واحد مع امبراطور أوستريا وقواهم فى عدم تداخل رعاياهم فى أى ادارة سياسية ولا يقبلون منهم أى طلب فيما اذا رغبوا حكومة قانونية فقنط الايطاليانيون من نجاح آمالهم لما رأوا أن حكامهم تحت حماية ملك قوى الشوكة مثل امبراطور أوستريا ورأوا أنه من الجنون السعى فى خلعهم وكانت النتيجة أن ايطاليا تركت مكدرة كئيبة مجزأة الاراضى لا مساعد لها فتشكلت جمعيات سرية لاجل قلب هؤلاء الطغاة واقامة حكومة حرة وكان أكبر هذه الجمعيات الجمعية المسماة بجمعية الكربونارى فانه دخل فيها ألوف من الامة الايطاليانية وكانت فى قوة كبيرة فى نابولى وفى سنة ١٨٢٠ بعد الميلاد قام النابولطانيون تحت قيادة مرشديهم فى ثورة على الملك فرديننذ وطلبوا منه ابطال الحكم المطلق واستبداله بسلطنة قانونية فلما رأى فرديننذ أنه لا فائدة فى التوقف معهم فى طلبهم منحهم نظاما قانونيا عازما على فسخه فى أول فرصة موافقة ومن بعد مضى بضع شهور تقابل امبراطور روسيا وامبراطور أوستريا وملوك پروسيا وسردينية ونابولى فى جهة ليباخ من أعمال أوستريا واتفقوا على حطم الثورة النابولطانية المتضمنة طلب الحرية القانونية بما أن هذه الحركة مخلة بالحكم المطلق وفى سنة ١٨٢١ بعد الميلاد دخلت قوة مؤلفة من ٦٠٠٠٠ مقاتل من الاوستريانيين فى الاراضى النابولطانية وبمساعدة فرديننذ لهذه القوة صار ابطال القانون النظامى وأعيد الحكم الاستبدادى واحتفل فرديننذ بنصرته بمعاملته رؤساء الحرية بأفظع المعاملات ثم قامت ثورة أخرى مثل هذه الثورة فى (پيدمونت) أى فى مملكة سردينية فى سنة ١٨٢١ بعد الميلاد وطلبت من الملك فيكتور امانويل قانون نظام فبدل أن يمنحهم امانويل هذا الطلب تنازل عن تاجه لاخيه (شارلس فليكس) وكان ذلك فى هذا الوقت غائبا فى مودنه فناب عنه عمه (شارلس ألبرت پرنس كارغنانو) حتى يحضر هذا الملك الجديد الى تورين وكان شارلس ألبرت هو الوارث للتخت بما أن الملك الجديد عديم الذرية فمنح لسبب من الاسباب طلب الاحرار غير أنه عند وصول شارلس فليكس الى تورين ألغى ما منحه النائب وأكره

رعيته على الانقياد وهددهم بطلبه الاوستريانيين لمساعدته على بقاء شوكته فما كان عنده شئ أحسن من تداخل الاوستريانيين من بعد مدة قليلة والزام الحزب الحر على الانقياد للحكم المطلق

وفى هذا الوقت اجتهد حزب الجزويت والاوستريانيين فى حض شارلس فليكس على أن يجعل ولى عهده فرنسيس دوق مودنه وكان متزوجا بابنة فيكتور اما نويل الاول فأصر الملك على صداقة شارلس ألبرت فشرع الدوق فرنسيس فى دس الدسائس مع حزب الاحرار وأدخل فى عقولهم أنهم لو جعلوه ملك ايطاليا لمنحهم قوانينهم واختار فى حكومته رؤساء حزبهم ويجمع ايطاليا فى جامعة واحدة تحت سلطنة قانونية فصدقوه مدة من الزمن وتسبب من الثورة الفرنساوية التى حصلت فى سنة ١٨٣٠ بعد الميلاد ارتجاج ايطاليا وقامت الآمال وارتبكت الاحوال ورأوا انه يمكن خلاص المملكة من الاوستريانيين والقسس والملوك الموجودين وانجبر الدوق فرنسيس من مقتضيات الاحوال أن يظهر حسن نيته الا أن حزب الاحرار رأوا انه كان غشهم وانفجرت ثورة فى پارمه ومودنه فالتزم كل من دوق ودوقة هاتين الدوقيتين على الهرب منهما للنجاة بأنفسهما وانتشرت هذه الثورة لحد الاراضى الباباوية وكان البابا خاليا من العساكر فاستغاث بالاوستريانيين فى مساعدته فأجاب امبراطور أوستريا طلبه وأعاد الجيش الاوستريانى دوق مودنه ودوقة پارمة الى تختهما وأخمد هذا الجيش الثورة فى روماغنه ووضع محافظين من الاوستريانيين فى الاراضى الباباوية لاجل تأييد حكومة البابا وقتل قواد حزب الاحرار فى مودنه فتولد من احتلال الاوستريانيين فى الممالك الباباوية الغيرة فى قلوب الفرنساوية فوضعوا محافظين فى مدينة أنقونه حتى انسحب العساكر الاوستريانية من أملاك الكنيسة فى سنة ١٨٣٨ بعد الميلاد وفى ختام هذه الثورة مات شارلس فليكس وخلفه على تخت پيدمونت عمه شارلس ألبرت فرأى هذا الملك الجديد أن مملكته خالية من الجيش وجميعها فى خدمة الاوستريانيين وتحت رحمتهم وكانت تقوت شوكتهم فى ايطاليا بسبب خيبة ثورة سنة ١٨٣٠ بعد الميلاد وكان شارلس ألبرت مائلا للسير فى طريق سياسة حرة نحو رعيته ورغب أن يمنحهم القانون الذى كان منحهم به حالما كان نائبا الا أنه ما تجاسر على فعله خوفا من حصول حرب مع أوستريا ومملكته على غير استعداد لاى حرب وفى نحو هذا الوقت ترتب اتحاد سرى بمعرفة شخص اسمه يوسف مزينى أطلق عليه اسم ايطاليا الحديثة وكان مقصده طرد الحكام الاجانب بواسطة جيش وطنى وجمع ايطاليا فى مملكة واحدة حرة الحكم وكان يوسف مزينى رجلا حاذقا فصيح الخطابة اشتهر ذكره فكان أول رجل سياسى ايطاليانى فى المشروع اللازم لجمع جميع الممالك الصغيرة الايطاليانية فى مملكة واحدة حرة فاجتهد فى حض شارلس ألبرت على أن يلقى نفسه على الامة ويطرد الاستريانيين الا أن الملك خاف على نفسه من أن يفعل حركة جسورية مثل هذه فاجتهد مزينى فى هياج عساكر پيدمونت وخلعهم طاعة الملك ثم التزم على أن يترك المملكة فالتجأ الى جنوه وهناك فى يناير سنة ١٨٣٣ بعد الميلاد أغار على نواحى صافوا قاصدا بذلك حصول الثوران ولما خابت حركته التزم على الهرب الى لوندره فتولد من هذه الغارة الخوف فى قلب الملك ورأى أن حزب الاحرار أشد الاعداء له فانضم زيادة مع أوستريا وطائفة الجزويت وجعلهم وسائل لتأييد دولته وحصل الغضب عند الپيدمونتيين من الغارة على أراضيهم بمعرفة الپولنديين والفارين الذين تبعوا يوسف مزينى وطدوا الملك فى ادارته وسياسته الجديدة واستمرت پيدمونت أربع عشرة سنة خاضعة لحكومة مطلقة تحت يد الملك شارلس ألبرت

ثم انه مازال أمل الاتحاد الايطالياني فى تيسر الحصول على حكومة برقحيا حتى نبع حزب مؤلف من أكابر رجال بيدمونت وعزم على تمام هذا القصد بقضية سلمية ورأى أن مساعيه لا تنجح الا فى مدة سلطنة شارلس ألبرت وكان هذا الحزب موجودا أيضا فى طوسقانه فمع أن المطابع الايطاليانية كانت تحت سلطة الحكومة المحلية الا أن جمعية من أمهر الكتاب حافظوا على قوانين المطابع ونشروا رسائل وحكايات وأشعارا بلغوا بها مقصودهم وحضوا أهل ايطاليا على تحرير الامة وجمعها فى جامعة واحدة وأذاعوا بأن الاوستريانيين والباباهم منبع الظلم فى ايطاليا لان البابا ما هو الا مجرد آلة لامبراطور أوستريا واليه كان البابا ينسب تخته وكان أكبر هؤلاء الكتاب المحبين لوطنهم (قيصر بالبو) و (ابانه جيوبرتى) و (ماسيمو دازغليو) و (غيوسبو غيوسطى) و (المار كيز غينو كابونى) و (البارون بطينو ريكاسولى) و (السندرو منزونى)

وفى سنة ١٨٤٦ بعد الميلاد مات البابا جريجورى السادس عشر وخلفه الكردينال (مسطاى فريطى) وجلس على الكرسى الباوى بلقب بيوس التاسع فشرع بيوس فى سياسة مخالفة لسلفه لاجل سرور ايطاليا فكان بابا قانونيا وكانت جميع أعماله فى مبادى حكمه مشحونة بالمواعيد وأفرج عن كافة مسجونى الادارة وأصدر عفوا عن المكروهين من هذه الطائفة ومنح أهل ايالات الكنيسة الحرية التامة فى المخاطبات ولهم الحق فى عرضهم ما يتضررون منه وضبط المعابد والديورة ومنع وقوع الظلم فيها ووعد باصلاحات أخرى فتولد عند الجريجوريانيين من هذه الاجرا آت الغضب للبابا وغضب حزب الجمهورية بسبب أن البابا صار بهذه الحالة أحسن رجل مقبول فى ايطاليا الا أن معظم أهل الايالات الباوية صاروا فى سعادة تامة وفى خريف سنة ١٨٤٦ بعد الميلاد وفصل ربيع سنة ١٨٤٧ بعد الميلاد وقعت ارتباكات عديدة فى شوارع رومة حتى صار لا طاقة لعساكر البابا وعساكر البوليس على استتباب الامن وطلب حزب الحرية من البابا تشكيل خفر من الوطنيين فمع أنه حصل مضادة هذا الطلب من طرف حكومة أوستريا غير أن البابا رضى فى شهر يوليه من سنة ١٨٤٧ بعد الميلاد بترتيب خفر من الاهالى فى رومة وفى جميع ممالكه فارسلت الحكومة الاوستريانية قوة من كروطه الى داخل أراضى البابا لاجل معاقبته على انعامه لطلب الامة واحتلت هذه القوة فراره رغما عن البابا مع أن الحرفى البابا من اقامة الحجج على الحكومة الاوستريانية ثم تولد من نجاح الحركة الرومانية تقوية الممالك الاخرى الايطاليانية والزموا حكامهم بمنحهم قوانين حرة وكان الملوك ناظرين الى نحو أوستريا على مساعدتهم فى اخماد حركة الامة ولما رأوا أنه لا مساعد لهم التزموا تسليم طلب الاهالى على حسب الاحوال الراهنة وفى سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد وقعت ثورة فى بالرمو وأقام أهل سيسيليا دوق جنوه ملكا واستمروا زيادة عن سنة مضادين لاجتهادات فرديننداالخامس (صاحب نابولى) التى كانت حاصلة منه فى اخضاعهم له فانتهز ملك سردينية الفرصة فى هذا الامر وجعل نفسه فى رأس الحركة الايطاليانية وأعلن انه مستعد للحرب مع أوستريا لو زحفت عساكر هذه الدولة الى داخل الاراضى الباوية

ثم تولد من ثورة سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد فى فرانسا تأثير شديد على ما بقى من ممالك أوروبا حتى انتشر تأثير هذه الثورة فى داخل الاراضى الاوستريانية ونتج منه العصيان جهرة وقام فى هذا الوقت الهنكاريون بالسلاح من أجل عودا ستقلاليتهم فانتهز الايطاليون الفرصة فى وقت حلول

الكرب باوستريا ورموا عن رقابهم ناف أوستريا وفى ١٨ مارث سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد قام الميلانيون على الخفر الهنكارى تحت قيادة المارشال (رادطزكى) وطردوه من المدينة من بعد محاربة امتدت نحو خمسة أيام وانضم الى الميلانيين فيسنزه وبادوه وبريسيه وبرغامو وجهات أخرى وفى ٢٢ مارث طردت فنيزه خفرها الاوستريانى وشيدت حكومة وقتية تحت رياسة (دانيال مارنين) يهودى من أهل فنيزه وأعلن ملك سردينيه فى الحال حربا على أوستريا وسار بعساكره لمساعدة الثائرين وخاب من أن يجعل نفسه المحامى عن استقلالية ايطاليا فمن ثم ظنوا أنه ما كان يبحث الا عن توسيع دائرة بيدمونت على مصاريف الممالك الباقية من ايطاليا ومن أجل هذا ما كان فى هذا الحرب أدنى وثوق من جمع الايطاليانيين فى جامعة واحدة وما كان لشارلس البرت رأى ثابت وما كان على دراية من الاعمال العسكرية فانهزم الاوستريانيون فى نواحى (غويطو) وفى شهرى يونيه ويوليه أعلن كل من لومباردى وفنيزه التصاقهما بمملكة سردينية ولما تقوى المارشال رادطزكى هجم على ملك سردينية فى جهة (كوسطوزه) فى ٢٥ يوليه وأوقع به هزيمة حاطمة حتى قهقره الى خلف نهر (طيسينو) وأعاد الاوستريانيون ميلان وأعلنوا بان لومباردى تحت المحاكمة الجنائية ثم حصلت مقاومة شديدة فى جبال ايطاليا الشمالية تحت قيادة (غويسبى غريبالدى) الا أن هذه الشرذمة الباسلة تبدد ارتباطها وأرغمت فنيزه على التسليم فى ٢٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد من بعد حصارها زيادة عن سنة خسر فيها الاوستريانيون ما ينيف عن ٢٠٠٠٠ نفس من الامراض التى حلت بهم وأما البابا وملك السيسيليتين فانهما تركا أمر الامة من بعد اشتباكها فى الحرب على أوستريا وأعلن البابا فى مجلسه بان عساكره دخلوا فى الحرب المقام على أوستريا من دون اذنه وأبطل فردينند الخامس الحرية التى كان منحها لرعيته وأخذ مقاومتهم بذبحة قبيحة فى شوارع نابولى فى ١٥ مايه

وجمع البابا جماعة تولد منه هياج فى رومة واختفى الحزب الحر ودخل البابا فى مشاحنة مع حزب الجمهورية وذبح وزير البابا الكونت ردوسى وهجم أهل المدينة على سراية (الكوريرنال) وكان البابا هرب فيها وأخذوها عنوة وهرب البابا مختفيا فى هيئة قسيس الى غايطه فى الاراضى النابولطانية ودخل غريبالدى فى رومة بجيش من متطوعى الايطاليانيين وفى فبراير سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد تشكل مجلس قانونى فى رومة خلع فيه البابا وقامت الجمهورية الرومانية وعهد الى مزينى وارميلينى وسافى تنفيذ أوامر الجمهورية الجديدة ثم انفجرت قوة فى طوسقانه فى فبراير سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد فهرب الدوق الاكبر من ممالكه ورتب الفلورنسيون حكومة وقتية ومع أن سردينيه كانت على غير استعداد لمثل هذه الحركة الا أنها انتهزت هذه الفرصة وطردت الاغراب وأعلنت حربا على أوستريا فعبر المارشال (رادطزكى) نهر طيسينو وأوقع هزيمة على جيش البيدمونتيين فى نواحى نواره فى ٢٣ مارث وعجز شارلس البرت مما حصل له من هذه الهزيمة حتى تنازل عن تخته لابنه (فيكتورامانويل الثانى) وترك ايطاليا ومات بعد مضى أربعة شهور مكسور القلب فعقد امانويل هدنة مع الاوستريانيين آلت الى صلح لان انكلتره وفرانسا ألزما امبراطور أوستريا على سحب عساكره من بيدمونت وأما أمر البابا فانه دخل فيه ملك السيسيليتين وحضنه وأرسل جيشا الى الاراضى البابوية لاجل طرد حزب الجمهورية منها فانهزم هذا الجيش فى ١١ مايه سنة ١٨٤٩ بجيش الجمهورية تحت قيادة غريبالدى فى (بالسطرينه)

فوجد البابا نفسه مدافعا آخر عنه هى جمهورية فرانسا وكانت فرانسا مراقبة من مدة طويلة مع سوء نية من غيرتها من وجود سلطة الاوستريانيين فى ايطاليا فجعلت البابا سببا للدخول فى الاعمال الايطاليانية وأرسلت جيشا الى رومة تحت قيادة القائد (أوديتوت) فتغلب هذا الجيش على رومة فى ٣ يوليه سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد من بعد حصار امتد نحو ثلاثة شهور وهرب رؤساء حزب الجمهورية من رومة وعادت الحكومة البابوية الا أن البابا نفسه ما عاد الا فى شهر ابريل سنة ١٨٥٠ وترتب وقتيا محافظون من الفرنساوية فى رومة وعاد بيوس التاسع الى رومة فى حالة غير حالته الاولى غير معتمد على رعيته ولكنه معتمد على المدافعة بمحافظى الفرنساوية وسلم نفسه لطائفة الجزويت وساعدهم فى جمعهم كافة أهل الكنيسة الرومانية الموجودين فى الدنيا تحت أحكامهم وسلطتهم وحفظ على رومة تحت القانون الجنائى مدة سبع سنوات وكذا ساعد الاوستريانيين الدوق الاكبر لطوسقانه وكل من دوق مودنه وبارمة فى عودهما لكهم وفى غلاق فصل صيف سنة ١٨٤٩ خمدت الثورات الايطاليانية جميعها وما بقى الا نتيجة واحدة وهى أن الايطاليانيين صمموا على اجراء الحرية وجمع الامة الايطاليانية فى جامعة واحدة

ثم توجهت آمال كبار رجال ايطاليا نحو سردينية فما كان الملك الشاب فيكتور امانويل وانقاهم ثم شرع فى طريقة حرة فى مملكته وفى حالة ما كان الباقى من ممالك ايطاليا تحت الذل كان البيدمونتيين متمتعين بحكومة حرة قانونية ومطابع حرة واباحات ديانية وكان الملك صادقا فى وعده لرعيته حتى لقبوه بالملك الصادق وفى مبادى سلطنته عزم الجنويز على الثورة فارغموا على الانقياد وكانت الفائدة الكبرى لفيكتور امانويل اتحاده مع أوستريا ودخوله فى الحكم الاستبدادى غير أنه كان محبا صادقا لوطنه ولرعيته وعكف نفسه على الشغل اللازم لانتهاء هذه الارتباكات والخلاص من المصائب التى عجز أبوه عن اتمامها

وفى سنة ١٨٥٣ صار (كاميلوبنسودى كافور) وزيرا أول للملك ورئيس مشورته وكان فى مبدأ أمره وزير التجارة من عهد مبادى السلطنة فبذل كافور ما فى طاقته من التدبير فى السياسة ليس فى تقدم سردينيه فقط بل فيما يعود منه النفع العام على ايطاليا أيضا وعقد محالفة مع حزب جمهورية بيدمونت وكان هذا الحزب تحت رياسة (عوربا واورطاطى) فاستحوذ على مساعدته للحكومة ووطد صداقة أهل لومباردى بجهة سردينية بكونه أعرض عريضة غضب بنذر فيها راطزكى بما هو حاصل منه من الاعمال القبيحة فى حكومة ذلك الاقليم وكذا صداقة نابولى بواسطة ما ندبه على فرديننده ملكها من جهة جبروته وان كان سعيه هذا على غير طائل

ثم استمرت ايطاليا سنين عديدة لم تتداخل فى السياسات الاوروباوية وعزم الكونت كافور على أن يعيدها لموقعها الحقيق فى وسط دول أوروباو كان فيه طاقة على هذا العمل بواسطة سردينية فقط وكان الجيش البيدمونتى بلغ الدرجة القصوى فى القوى الفعالة بمعرفة القائد (دلامرموره) واستعد للحركة وتبصر كافور فى أمر نفسه بانه لو أقنع الدول الاوروباوية بان ايطاليا هى الحليفة العظمى لهم فان خلاصها ربما يأتى بغاية السرعة بتداخل الدول الاجنبية فى أعمالها فمن حظها أن فرانسا وانكلتره وتركية كانت فى حرب مع روسية فبذل كافور جهده فى أن صير سردينية فى محالفة مع هذه الدول وراعى أن روسيا هى مركز الحكم الاستبدادى فى أوروبا ومن ثم رغب فى اهانتها فسر أى ميلا من امبراطور

فرانسا نابليون الثالث الذى بواسطته صار قبول سردينيه فى المعاهدة الانكليزية الفرنساوية على روسيا وسفر كافور فرقة عسكرية من سردينيه الى حرب القرم وحازت هذه الفرقة أعظم نصرة فى واقعة (طشرنايه) وعند التئام المجلس فى باريس من أجل تنظيم معاهدة الصلح صار قبول ما حصلت المداولة فيه من نواب سردينيه مثل نواب فرانسا وانكلتره فكان فى هذه الحركة فائدة عظيمة للملكة البيدمونتيه وانتهز كافور الفرصة وعرض على نواب الدول الاوروباوية ذل أهل بلاد مملكة سلطة البابا ومملكة السيسيليتين فانذرت حكومة انكلتره وفرانسا ملك النابوليطانيين الا أن هذا الانذار كان على غير قصد ودخل نابليون الثالث فى أمر الايطاليانيين بحماس وكان حارب من أجل هذا الامر فى ثورة سنة ١٨٣٠ بعد الميلاد وما كان عزمه قاصرا على السياسة القديمة لفرانسا فى تعجيز سلطة أوستريا فقط بل على صداقة كاملة فى مساعدة ايطاليا وصيرورتها حرة وفى اتحادوا حد مع بعضها وأدخل فى هذا الامر أسباب زواج عمه البرنس (نابليون يوسف) بن (جيروم بونابارته) بالبرنسيسة (كلوطيلدة) ابنة (فيكتور امانويل) وأعطيت التأمينات السرية لسردينية على أن فرانسا عازمة على معاضدتها فى حربها مع أوستريا وآلت الاعمال الى الاشكال وأعلن كافور أن سردينية ستقيم حربا على أوستريا ان كانت هذه الدولة لا تمنح حكومة وطنية منفصلة الى لومباردى وفنيزه وأخذت على نفسها بأنها لا تتداخل مرة أخرى فى الاعمال الايطاليانية وأما أوستريا فانها طلبت بأنه يلزم على سردينية تفريق جيشها وأصدر الوزير الاوستريانى فى تورين أمرا فى ٢٣ ابريل سنة ١٨٥٩ بعد الميلاد بتقليل الجيش السردينى الى مقداره المطلوب فى وقت السلم فرفضت الحكومة السردينية هذا الطلب وفى اليوم نفسه عبر الجيش الاوستريانى نهر (طيسينو) ودخل فى الاراضى البيدمونتية فسافر فى الوقت جيش فرنساوى من مرسيليا الى جنوه لاجل مساعدة سردينية تحت قيادة الامبراطور نابليون الثالث وأسرع جيش آخر وعبر جبال الالب الى سوسة وسارت الجيوش الفرنساوية والايطاليانية نحو نهر (طيسينو) وقامت فى هذا الوقت الثورات فى طوسقانه ومودنه وبارمه وهرب دوقاتها الى الاراضى الاوسترليانية وأعلن بأن فيكتور امانويل هو الحاكم المطلق لطوسقانه غير أنه رفض هذا اللقب بل استلم قيادة الجيش الطوسقانى وضمه الى قواه

وفى ٢٠ مايه سنة ١٨٥٩ بعد الميلاد هزم الفرنساويون والسردينيون الاوستريانيين فى واقعة (مونطبلو) من بعد محاربة استغرقت خمس ساعات وفى ٣٠ و ٣١ مايه انتصر المحالفون أيضا فى واقعة (بالسطرو) وفى ٤ يونيه انهزم الاوستريانيون فى واقعة ماغنطه وكان النصر منسوبا للقائد (ماكهون) فرفعه الامبراطور الى درجة مارشال فرانسا ودوق ماغنطه وكانت هذه الواقعة حكما فاصلا للومباردى وتركها الاوستريانيون وتقهقروا خلف نهر العدة وفى ٨ يونيه دخل فيكتور امانويل ونابليون الثالث ميلان منصورين وبعد الاستراحة قليلا عزما على التقدم وفى ٢٤ يونيه هجما على الجيش الاوستريانى فى (سولفرينو) ووقعت واقعة مهولة كانت نتيجتها هزيمة الاوستريانيين فانسحبوا فى داخل البالنقات وهى قلاع منيعة فى نواحى (كريمونه ـ وبسضيره ـ وفيرونه ـ ومنطووه) وفى هذا الوقت أظهرت روسيا عزم دخولها فى الحرب حليفة لاوستريا فرأى الامبراطور نابليون أنه صار فى موقع صعب وكان دخوله فى الحرب مع العزم الصادق فى خلاص كافة ايطاليا من تحت ناف الاوستريانيين الا أنه من

تداخل بروسيا المجبر على حماية حدة الشرقى وانه لو ترك ايطاليا تحت رحمة أوستريا لحازت بها الرزايا زيادة عما كانت عليه ولربما تدخل دول أخرى فى حرب يتولد منه حرب عام فى أوروبا تخسر فيه ايطاليا كل ما كسبته فرأى أن الاصوب له ترك ايطاليا وعمل طريقة يؤل منها غلاق الحرب وتكتفى ايطاليا بما حازته من المكاسب ولما وصل الجيش المحالف أمام فيرونه حصلت مقابلة رسمية بين الامبراطورين فى قرية فرنقه فى يوم ٨ يوليه وهنالك دخل نابليون من دون أن يستشير حليفه ملك سردينية فى عقد معاهدة صلحية مع الامبراطور (فرنسيس يوسف) صاحب أوستريا فكان من شروطها أن سلمت أوستريا لفرانسا كامل لومباردى ماعدا قلاع منطوره وبسخيره التى نقلت أراضيها بمعرفة فرانسا الى سردينية وأن الايالات الايطالية الباقية يرتبون أنفسهم فى معاهدة اتحادية تحت قيادة قداسة البابا وأن (فينيسيه) الباقية فى حوزة أوستريا تدخل فى هذا الاتحاد فكانت هذه المعاهدة مخالفة لاجتماع ايطاليا فى جامعة واحدة كما كان يؤمل فى مبادى الحرب إلا أنه كان أعظم ما يمكن اكتسابه فى الحالة الراهنة وكانت من أقبح الترتيبات وقوع امبراطور الفرنساوية فى أشكال متباينة وذلك انه شرط أن الدوق الاكبر لطوسقانة ودوق مودنه يعودان الى ممالكهما وعقد الصلح على هذا الشرط وانسحب الجيش الفرنساوى من أراضى ايطاليا ثم ان فيكتور امانويل رفض الدخول فى أى مشروع اتحادى فى ايطاليا فالتمس كل من طوسقانه ومودنه وبارمة وايالة روماغنه البابوية من ملك سردينية الحاقهم بممالكه وسار الملك فى غاية الحذر من قبوله هذا الطلب وفى شهر مارث سنة ١٨٦٠ بعد الميلاد كانت نتائج أصوات الامة فى طوسقانه ومودنه وبارمه وروماغنه موجهة جميعها الى الاعتراف بالانضمام الى سردينية وأما البابا فانه نظرا لالحاق روماغنه وضع الحجر الكنائسى على كل من أغار على ممالكه ولو لم يصرح فى حجره باسم أحد فمن المعلوم أن هذا الحجر كان على فيكتور امانويل ونظرت أوستريا الى هذه التغييرات من دون معارضة لانه كان من المفهوم أيضا أن فرانسا حالما كانت راغبة فى عقد الصلح تنضم الى ايطاليا على أى دولة أوروباوية تبحث عن التداخل فى نقض الحرية التى تطلبها أمة ايطاليا فكانت فرانسا هى الحبيبة الصادقة لايطاليا إلا أنها كانت ناظرة لمكاسبها فطلبت التنازل من سردينية عن صافوا ونيس مكافأة لها على مساعدتها فحصل التنازل وصدق عليه فى شهر ابريل سنة ١٨٦٠ بعد الميلاد

وفى سنة ١٨٥٩ مات فرديناند ملك نابولى وخلفه ابنه فرنسيس الثانى وكان تلميذا اليسوعيين فرأى فى نفسه القدرة التامة على أن يكون ملكا مطلق الحكم مثل أبيه وفى شهر مارث سنة ١٨٦٠ بعد الميلاد قام أهل سيسيليا بسبب ما حل بهم من المصائب فى ثورة فى بالرمو ومسينه وقطانية وكان أملهم أن سردينية ربما تنظر الى هذه الحركة بعين المساعدة غير أن كلا من فيكتور امانويل وكافور رأيا أن الاوفق عدم التداخل فجاء لاهل سيسيليا المدد من حيث لا ينتظرون وذلك أنه فى ٥ مايه راوغ القائد غريبالدى بطش حكومة سردينية وأقلع من جنوه مع قوة قدرها ٢٠٠٠ متطوع ونزل فى (مارسالا) وأعلن نفسه أنه حاكم سيسيليا باسم فيكتور امانويل صاحب ايطاليا فتغلب على بالرمو وهزم عساكر الملك فرنسيس فى (ملازوه) وبهذا النصر صار غريبالدى سيد كافة سيسيليا ماعدا مسينة التى كانت محفوظة بالعساكر النابولطانية فاستغاث فرنسيس الثانى بفيكتور امانويل

بأن يوقف هجوم غريبالدى عن مملكته فأعلن ملك سردينيه (وكان غاضا النظر فى السر عن هذه الحالة) بأنه لم يكن تحت مسؤلية الهجوم على ملك نابولى ومن بعد مضى قليل خاف من ميل غريبالدى الى حركة أخرى فأصدر فيكتور امانويل أمره الى غريبالدى بأنه لايجرى أى حركة ضد نابولى حتى ان أهل سيسيليا يقرون بأصواتهم بأن لهم رغبة فى أن يكونوا قسما من المملكة السردينية أولا فرفض غريبالدى هذا الامر وفى ليلة ٢٠ أغسطوس عبر بقوته من سيسيليا الى البر الاصيل فى (اسبارطيفنتو) وهزم العساكر النابولطانية فى (ريغيو) و (صان جيقالى) وزحف نحو العاصمة فهرب فرنسيس الثانى من نابولى الى غايطه فى مركب حربية اسبانيانية فى ٧ سبتمبر وفى اليوم الثانى دخل غريبالدى فى نابولى مظفرا فانتهز جماعة من النابولطانيين المحبين لوطنهم فرصة خوف الملك فرنسيس وهربه ورتبوا حكومة وقتية فلما دخل غريبالدى نابولى حصل منه سعى كبير وحض على ضبط ما فتحه من ملك سردينية وتعشم حزب الجمهورية فى أن صار لهم طاقة على ترتيب جمهورية فى جنوب ايطاليا فما حصل من ذلك أدنى ارتباك للكونت كافور ووقع الارتباك أيضا فى الممالك البابوية بسبب ما حصل فى الحزب المحارب الذى كان البابا أبقاه ضد سردينية فأنذر الكونت كافور البابا وقال له ان لم يصر اخماد هذه القلاقل فى الحال فالجيش البيدمونتى يغير على أراضيه فدخل امبراطور فرانسا وأقام الحجة على هذا التهديد الا أن ذلك كان رسما فقط لان نابليون كان الصاحب الصادق بجامعة ايطاليا كما ذكرنا وكان على استعداد لمساعدتها فى حال الهجوم عليها بمعرفة أى دولة ولما لم تلتفت الحكومة البابوية لما حصل لها من التهديد السرديني دخل جيش تحت قيادة القائد (سيالديني) فى الايالات البابوية وتغلب على (عوربينو وبيروجية) وبعض جهات أخرى وفى غضون ذلك انضم الى غريبالدى الجم الغفير من متطوعى نابولى وفى شهر اكتوبر أوقع هزيمة على الجيش النابولطانى فى واقعة حصلت فى (غارجليانو) ودخل فيكتور امانويل الاراضى النابولطانية لاجل تأمين مظفرات غريبالدى فقابله هذا الحامى باعتبار انه ملك ايطاليا وأعلن أهل نابولى وسيسيليا باجتماع آرائهم على قبول الالتصاق بمملكة سردينية فتمم امانويل مرغوبهم وظهر على كثير من الممالك الاوروباوية عدم الرغبة فى هذا التغيير الا أنه ما تداخلت واحدة منها لمعالجة حربية لان الحرب مع ايطاليا فى هذا الشأن يكون سببا فى وقوع حرب مع فرانسا أيضا وأظهرت الحكومة الانكليزية ميلها للامة الايطاليانية

وفى هذه الحالة صارت ايطاليا منضمة الى بعضها ما خلا فنيزيا والاراضى البابوية وفى شهر فبراير سنة ١٨٦١ بعد الميلاد التأم البرلمان الايطاليانى الاول فى تورين وأعلن بأن فيكتور امانويل ملك ايطاليا فمن ثم انقطعت الآمال وصار لا ارتباك عندما اتحدت الامة الايطاليانية وشكلت مملكتها ثم تراكمت المصاعب حول الملك بسبب أن كافور وغريبالدى ما حصل بينهما اتفاق فعاد غريبالدى الى جزيرته (كبريره) بعد تفريق جيشه الذى كان من المتطوعين وصارت مسينة فى سيسيليا ومدينة غايطة فى البر الاصيل من ايطاليا خارجتين عن طاعة فيكتور امانويل وكانت قلعة غايطة محفوظة بفرنسيس الثانى نفسه أو بالملكة زوجته لان فرنسيس كان بليدا وكذا حصل عند الامة النابولطانية نفور بلهة امانويل لانهم اعتقدوا أن الملك ما عامل غريبالدى بأحسن المعاملات ثم ان السياسة التى كانت متبعة فى سردينية فى حق الديورة صار اجراؤها فى الاقاليم الاخرى النابولطانية فحصل عند

اهل

أهل الخرافات القاطنين فى هذه الاقاليم غضب شديد وانتشرت جماعة فى نواحى (ابروزى) وتقوّوا بالقسس الذين أفهموهم أن محاربتهم هى من أجل فرنسيس وان حصل لهم هزيمة يلتجؤا الى الاراضى الباويه وتكفلوا باعطائهم الاسلحة من طرف الحكومة الباويه وفى غلاف سنة ١٨٦٠ بعد الميلاد صارت هذه الفرق فى قوة حتى ان نابولى صارت غير مأمونة وانتشر الخوف فى المملكة وفى فبراير سنة ١٨٦١ هرب فرنسيس الثانى من غايطة الى رومة وسلمت المدينة نفسها الى القوى الايطاليانية وفى نحو هذا الوقت أخمد كل من القائد سيالدينى والقائد مورة شوكة الفرق المحاربة فى جنوب ايطاليا وعم تدبير الاعمال وعدلها الجارى من طرف الحكومة الايطاليانية النابولطانيين وأدخل كافور نظامات جليلة تولد منها الهدو وعاد الوثوق بالملك وابتدأت الاحوال أن تلبس ملابس الآمال مرة أخرى

وفى فصل صيف سنة ١٨٦١ بعد الميلاد مات الكونت دو كافور وبموته فقد الملك والمملكة مالا يمكن الحصول على مثله فانه كان أصلا للقسم الاعظم من الاعمال الجليلة التى انضمت بها ايطاليا وحازت حريتها وما ترك من بعده رجلا يقوم مقامه وخلفه فى وظيفته (البارون ريكاسولى)

وفى عين هذه المدة توجه الاحزاب نظرهم الى الوقت الذى تصير فيه رومة وباقى الاراضى الباويه وفنيزة أقساما من المملكة الايطاليانية فعزم غريبالدى على أن يأخذ رومة بقوة العساكر المنتظمة وقتئذ (راطاطى) وكان خلف ريكاسولى فى الوزارة أن يكون قادرا بواسطة مساعى غريبالدى فى الغلبة على رومة وجعلها عاصمة المملكة وكان كافور ابتدأ فى اصلاح هذه المادة مع الامبراطور نابليون المحامى الحماعن دار القسوسية المقدسة فكان (راطاطى) أعمى القلب فى احتياجه لربط علائق فرانسا التى كانت عساكرها محتلة رومة فتحير أمره لما وجد أن أمبراطور فرانسا عازم على اخماد حركة غريبالدى ان لم يحصل من ايطاليا هذا فالتزم (راطاطى) الحياد عن هذا المشروع ثم ان غريبالدى جمع قوة من العساكر المتطوعة فى سيسيليا ونزل فى ايطاليا فالتقى فى ريغيو بفرقة عسكرية تحت قيادة القائد سيالدينى فهزمها فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٦٢ وفى ٢٩ منه وقع الهجوم على غريبالدى بجيش ايطاليانى تحت قيادة القائد (بلافيسينى) فى نواحى (اسبرومونت) فانهزم وجرح وأخذ أسيرا وأرسل الى (سبظيا) فقال مدافعة عن نفسه انه هجم على العساكر الايطاليانية ضد رغبته وان راطاطى غشه فانه لعجزه مازالت العساكر الفرنساوية موجودة فى رومة فتولد من هذا القول غضب كان سببا فى طرد راطاطى من وظيفته وأرسل غريبالدى الى بلده فى جزيرة كبريرة وصدر عفو عام عن كل من كان معه ومع انه خاب فى غزوته هذه الا أنه حصل عند الايطاليانيين عزم على خلاص رومة وفنيزة وضم جميع ايطاليا

وفى سبتمبر سنة ١٨٦٤ بعد الميلاد حصل اتفاق بين ايطاليا وفرانسا اتفقت فيه فرانسا على سحب محافظيها من رومة على التدريج حتى يتيسر للبابا تشكيل قوة كافية للمحافظة على نفسه وأن يكون تمام الانجلاء بعد مضى سنتين وبه ينتهى تداخل فرانسا فى أعمال ايطاليا فى نظير مراعاة لهذا الاتفاق تكفل ملك ايطاليا بان لا يسمح بوقوع أدنى اغارة على الحكومة الباويه ومن المعلوم أن الدولة الباويه تجزأ وتؤل حالتها الى الدمار بمجرد انسحاب المحافظين الفرنساويه وفى هذا الوقت صار انتقال

عاصمة ايطاليا من تورين الى فلورنسه فكان هذا المشروع أجود المشروعات ليس بالنسبة لحالة القرب من رومة فقط بل لان موقع الحكومة صار فى موقع متوسط مأمونا من غوائل أوستريا زيادة عما كان عليه فى تورين

وفى سنة ١٨٦٦ بعد الميلاد انفجر الحرب بين بروسيا وأوستريا وعقدت معاهدة بين ايطاليا وبروسيا تكفل فيها ملك بروسيا على استمرار الحرب على أوستريا حتى انها تسلم الى ايطاليا كافة أملاك فينتيه ماعدا مدينة فنيزه والقلاع البالنقية وسنذكر وقائع هذا الحرب فى تاريخ بروسيا ان شاء الله تعالى ثم ابتدأ الحرب بين ايطاليا وأوستريا فى ٢٠ يونيه وقام الايطاليانيون مع الحيه وطلبوا من الملك لم العساكر وعبر الجيش الايطاليانى نهر (منسيو) فهزمه الاوستريانيون فى (كوسطوظة) فى ٢٤ يونيه وتولد من النصرة الكبيرة التى اكتسبتها بروسيا فى (كونيجراتز) فى ٣ يوليه ضعف أوستريا للغاية حتى التزمت بذل طاقتها فى المدافعة عن مملكتها ولما صار لاطاقة لها على حفظ فينتيه تنازلت عنها الامبراطور فرانسا الذى نقلها الى ايطاليا وفى ٢٠ يوليه أوقع الاسطول الاوستريانى هزيمة كاسرة على الاسطول الايطاليانى فى نواحى ليسا ثم انتهى الحرب بعقد صلح فى (نيخولسبورغ) فى ٢٠ أغسطس ومع ماحصل من المصائب فى ايطاليا فانها نالت المقاصد التى كانت حاربت من أجلها وانضم الى ايطاليا كافة جهات فينتيه بما فيها مدينة فنيزه والقلاع البالنقية وأبقت أوستريا لنفسها اسطريا وأوا كيليه والاملاك الاولية لفنيزه الموجودة على سواحل دلماطيه

وفى غلاق سنة ١٨٦٦ بعد الميلاد انسحبت العساكر الفرنساوية من رومة على حسب شروط اتفاقية شهر سبتمبر ثم ان غريبالدى عول على اغتصاب رومة من البابا وشجع راطاظى (الذى عاد الى الوظيفة) فى السر على حركته مؤملا أن يجد فيها فرصة يضم بها رومة الى ايطاليا من دون وقوع حرب مع فرانسا فاشتغل فى هذا المشروع بغير عقل وجمع غريبالدى قوة من المتطوعين وفى أثناء ما كان يستعد للغارة على الاراضى البابوية قبض عليه بأمر من الحكومة الايطاليانية وأرسل الى بلده فى كبريره وفى ٢٤ اقطوبر سنة ١٨٦٧ بعد الميلاد سمح لغريبالدى بالهرب من كبريره فهرب والتحق بعسكره وكانت الحكومة الايطاليانية مائلة الى معاضدته بالعساكر الملوكية فتولد من هذا الميل تحريض الامبراطور نابليون على أن يخبر الحكومة الايطاليانية بانه سيراعى أى فعل ضد الاملاك البابوية بانه اعلان حرب على فرانسا وفى أثناء ذلك هزم غريبالدى القوى البابوية فى نواحى (مونط روطوندو) وأوقع فى أهل رومة الارتباكات فاصدر ملك ايطاليا أمرا يعلن فيه مضادته لاى تقدم يحصل من الغريبالديين وأعلن الامبراطور نابليون فسخ اتفاق شهر سبتمبر وأرسل محافظين آخرين الى رومة واعتقد غريبالدى أن ايطاليا ربما تستقبح هذه الفعلة من فرانسا فاستعد لتفريق عساكره الخطرية وسلم محافظيه فى (منطينه) للفرنساوية والجيش البابوى فى ٤ نوفمبر سنة ١٨٦٧ بعد الميلاد من بعد مدافعة شديدة وقبضت الحكومة الايطاليانية على غريبالدى وقت سيره الى كبريره لكن نظرا لغضب الاهالى تخلص وسمح له بالاقامة فى بلده وتولد من غضب الاهالى من خيبة المشروع فى التغلب على رومة طرد راطاظى من الوظيفة مرة ثانية وكان احتلال الفرنساوية فى رومة مرة ثانية غير مقبول عند الدول الكبيرة حتى ان امبراطور فرانسا أعلن أنه ينهى هذا الاحتلال من بعد تمام الاصلاح فى ايطاليا

وفى يوليه سنة ١٨٧٠ بعد الميلاد اشتعل حرب بين فرانسا وجرمانيا وألجأت الضرورة فرانسا الى سحب جيشها من رومة وفى ٨ أغسطس عند تمام الانجلاء هاجت الامة الرومانية حتى ان أربابا الجمهورية السابقين ورأسهم مزينى تواعدوا على اغتصاب رومة من البابا وما كان للملك طاقة على التصريح بهذا لانه مازال رابطا نفسه مع فرانسا باتفاق شهر سبتمبر ووقع القبض على مزينى وفى ٢ سبتمبر سلم الامبراطور نابليون نفسه والجيش الفرنساوى الى القوى الجرمانية فى (سيدان) وأعقب ذلك سرعة سقوط المملكة وقيام الجمهورية الفرنساوية التى أعلنت بأن اتفاق شهر سبتمبر ليس من خصائص فرانسا وأنها غير مسؤلة عن أعماله

وفى هذه الحالة صار فيكتورامانويل حرا فى أعماله فأعلن البابا فى الحال بأنه أخذ على نفسه أشغال استتباب الامن فى ايطاليا واتضح جليا أن لهرغبة بأن يجعل نفسه سيد رومة فاستغاث البابا بالملك غيليوم صاحب بروسيا من أجل حماية نفسه فرفض الملك غيليوم التداخل فى الاعمال الايطاليانية ودخلت العساكر الايطاليانية الاراضى البابوية وكانت مستعدة للتسليم للملك ومن بعد مضى بضع أيام عسكرت أمام رومة فالتمس البابا المدافعة عن المدينة بل أمر باجراء مقاومة يظهر منها انه سلم بالقوة وعمل شرما صغيرا فى سور المدينة بالقرب من باب بيا دخل منه الجيش الايطاليانى فى رومة فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٧٠ بعد الميلاد وصار الاعلان بان رومة وأرضها قسم من المملكة الايطاليانية وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٧٠ دخل فيكتورامانويل بموكب عظيم فى رومة وصارت عاصمة مملكة ايطاليا الحرة المتحدة

ومن ثم سقطت شوكة البابا الوقتية وصار فى مركزه الحقيقى حاكما روحانيا فقط وحافظ الملك مع الوقار على كل ما يلزم من راحة سمو البابا واستقلاله بمركزه ومنح عليه مدينة ليونين وأخرجها من قانون المملكة حتى يكون البابا حرا فى أشغاله ولا تداخل له فى أشغال الحكومة الايطاليانية ومن سنة ١٨٧٠ بعد الميلاد أخذت ايطاليا فى التقدم ودخلت فى الاشغال التى يعود منها النفع عليها أشبه بكونها صارت فى أمة واحدة مجموعة فى جامعة واحدة واجتهدت فى نفسها على أداء الاعمال الموجبة للحرية الشخصية والحكومة النظامية وانتشرت معاملاتها مع الدول الاخرى وأخذت موقعها الحقيقى وصارت احدى الدول الكبيرة الموجودة فى الدنيا وفى ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٧٠ تم عمل السرداب القاطع لجبل سنيس فتولد من هذا الشغل الجليل الذى حصل فى خرق هذا السد المهول من جبال الالب أن صار لايطاليا موصل سكة حديدية لا انقطاع له مع فرانسا وباقى أوروبا وفى اقطوبر سنة ١٨٧٢ بعد الميلاد طرد الجزويت من رومة وكان حاصلا منهم ارتباكات شديدة للحكومة الايطاليانية ومن المحاسن التى ظهرت فى هذا اليوم اجتماع الجمعية العلمية فى داخل أسوار رومة عاصمة المملكة تحت رياسة (الكونت ماميانى)

ومع ما حصل من سقوط السعادة الدنيوية للبابا من كونه كان حاكما ملكيا فان دولته الروحانية أخذت فى الارتقاء فى هذه السنين وفى ٨ ديسمبر سنة ١٨٦٩ بعد الميلاد اجتمع مجلس عام فى الواطيقان مركب من عموم نواب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى عموم الدنيا فطالت جلساته وفى ١٨ يوليه سنة ١٨٧٠ كانت نتيجة هذا المجلس الاعلان مع الاجلال بان البابا معصوم من الخطا فى المواد الدينية والدنيوية وطلب من كافة عموم الطائفة الرومانية قبول هذه العقيدة

مثل العقائد الدينية يعاقب عليها كل من يجدها فقبلت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من دون
تردد ثم أخذ النفور بين البابا والملك وقامت العداوة ومن بعد أن احتلت الحكومة الايطالية
رومة وأخذت فى الزيادة يوما فيوما فالتزمت الحكومة الايطالية على أخذ الاحتياطات الفعالة
لبقاء سلطتها نظير ما هو حاصل من الحزب البابوى الا أن حقوق البابا كانت مرعية مع الوقار
وفى ٩ يناير سنة ١٨٧٩ بعد الميلاد مات الملك فيكتورامانويل فى مدينة رومة وخلفه ابنه
هميرت وهو الملك المتولى الآن وكان مولده فى ١٤ مارث سنة ١٨٤٤ بعد الميلاد وولى عهده
فيكتورامانويل برنس نابولى ولد فى ١١ نوفمبر سنة ١٨٦٩ بعد الميلاد

ولنذكر الآن قولا وجيزا عن ايطاليا فنقول ان إيطاليا واقعة فى جنوب أوروبا مركبة من بحيث
جزيرة وبجزائر سيسيليا وسردينيه والبى ونحو من ٦٦ جزيرة صغيرة وهى واقعة بين ٣٠ً ٣٨َ
٣٦° و ٣ً ٤٠َ ٤٦° من العرض الشمالى وبين ٣٠َ ٦° و ٣٠َ ١٨° من الطول الشرقى
لرصدخانه غرانويتس ومساحة أرضها ١١٠٦٥٥ ميلا مسطحا منها ٩١٢٢٧ ميلا مسطحا
أرض قارة و ١٩٣٧٨ ميلا مسطحا جزائر وعدد سكانها فى سنة ١٨٨٥ بعد الميلاد ٢٩٦٩٩٧٨١
نفس ومقدار طول خط ساحلها البحرى ١٩٩٩ ميلا وخط ساحل سيسيليا وسردينيه والبى
١٣٨٩ ميلا والجزائر الصغيرة ٥٥٧ ميلا فيكون مجموع طول الخط الساحلى ٣٩٤٥ ميلا
وتشتمل على عدة أجوان وخلجان معبورة فى طولها بسلسلة جبال الابنين ويحدها من الجهة الشمالية
جبال الالب وأنهارها الاصلية هى البو وأريجه وأرنو والطيبر ويخرج من طوسقانه وليفوريا
واقليم بارى الزيتون والزيت الطيب ومن أجل مصنوعات ايطاليا تربية دود القز وصناعة الحرير
ويصدر منها العنب والبرتقال والليمون والبندق والتين والتمر والبطيخ وأبوفروة الى الجهات البرانية
ومن معادنها المشمورة الحديد والرصاص والزنك والنحاس والكبريت والجبس والشب وغير ذلك
والمحصول الكلى لصنف المعادن يبلغ سنويا ثلاثة ملايين ليره وتولد من انشاء السكة الحديدية
سرعة التقدم فى عموم المملكة وعدد عساكرها ٢٥٩٠١٧٢ نفس فى وقت الحرب ومقدار الجيش
المنتظم الداخل فى هذا العدد ٢٦٣٨٨٩ نفس فى وقت السلم وأما فى وقت الحرب فتعداده
٦٣٠٨٥٢ وقوتها العسكرية المتحركة ٣٧٧٩٠٨ نفس والعسكرية الداخلية ١٣١٣٧٩٣
وعمارتها البحرية فى سنة ١٨٨٨ بعد الميلاد دعا فيها من السفن الجارى انشاؤها ٢٢٨ سفينة
وعدد بحريتها ١٦٠٠٠ نفس و ٢١ مركب لغم بحرى و ١٥٩ زورق و ١٦٥
قارب لغم بحرى ومدينة نابولى وسكانها نحو من ٥٠٠٠٠ نفس هى المينة البحرية الحربية
الكبيرة للمملكة ويلى هذه مدينة جنوه وتعداد أهل مدينة رومة عاصمة المملكة فى سنة ١٨٨٨
بعد الميلاد ٣٧٢٧٧٩ نفس

ثم ان ايطاليا ما زالت متطلعة من مدة فى استحواذها على مستعمرات تكون لها فى الجهات البرانية
ومن ابتداء ما أضيفت تونس الى مملكة فرانسا انظرت أيضا ايطاليا الى جهة طرابلس الغرب وبرقة
ليكون لها نصيب عند تقسيم ممالك الدولة التركية واستحوذت فى هذه الحالة الراهنة على مستعمرات
فى ساحل البحر الاحمر كانت تحت يد الحكومة المصرية فأقامت الحكومة المصرية الحجة عليها الا
أن ذلك كان على غير طائل وبمحلات أخرى فى شمال باب المندب مثل مينة مصوع وكانت أيضا تحت

يد الحكومة المصرية فاستحوذت عليها باتفاق مع الحكومة الانكليزية فى فبراير سنة ١٨٨٥ مساعدة الحكومة الانكليزية فى عدم تغلب العساكر المهدوية عليها ووضعت محافظيها فيها وأرادت الاستحواذ على بلاد الحبشة فهزم عساكر الحبش الجيش الايطاليانى فى نواحى مصوع وبقى الايطاليانيون فى مصوع لاطاقة لهم على التقدم فى داخل البلاد الحبشية

ومازالت هذه الجهات تحت أيديهم لحد هذه السنة أى سنة ١٨٩٢ بعد الميلاد

وليست مالية ايطاليا على حالة كافية من النظام فان الامة الايطاليانية مالت لان يكون لها جيش وعمارة بحرية قوية الا أنها صارت عرضة لما لا طاقة لها على تحمله من دفع العوائد وصارت المالية فى عجز سنوى وتراكمت الديون على المملكة فكان دينها العام فى سنة ١٨٦١ بعد الميلاد ١٢٠٠٠٠٠٠ ليره والآن غير محقق مقداره لكن قام أحد الكتاب ونشر مقداره فى الجرائد فكان ٨٧٢٥٦٠٠٠٠ ليره موزعا على هذا الوجه

٥٢٠٠٠٠٠٠٠	ليره الدين العمومى لسنة ١٨٩٠
٠٠٦٨٨٠٠٠٠	ليره دين الاقاليم
٠٣٥٣٢٠٠٠٠	ليره الدين الوركو
٣١٠٣٦٠٠٠٠	ليره فوائد مخصوصة سادة مسد رهونات
٨٧٢٥٦٠٠٠٠	الدين الكلى
٣٨٠٠٠٠٠٠	ليره قيمة الارباح الجارى دفعها سنويا
٦٤٨٢٣٠٥٦	الايراد العام لسنة ٨٩ – ١٨٨٨
٦٦٣٤٧٢٨٢	مصرف سنه سنه
٤٩٦٥٨١٥٥	مدخول سنة ١٨٨٨
٣٨٦٩٦٥١٨	الصادر الى الجهات البرانية

الى هنا انتهى تاريخ ايطاليا

﴿ الكتاب التاسع عشر ﴾

﴿ تاريخ مملكة جرمانيا ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتداء الازمان القديمة الى سلطنة شرلمانيه ﴾

الموقع الجغرافى لجرمانيا – الجنس الجرمانى – ذكر ماذكره طاسيطوس المؤلف المشهور فى حق الجرمانيين الاصليين – ترتيب القبائل الجرمانية ووصفها – ارتباط العائلات مع بعضها – الورغلد – جرمانيا القديمة – قوانين الحكومة – الديانة – اريوفسطوس – مساعى رومة فى التغلب على الجرمانيين – هزيمة فاروس بواسطة أرمينوس – هجرة القبائل الجرمانية – الفرنك – الفرنك الصاليون – مملكتهم – كلوفيس – تغلبه على سياغريوس – واقعة طولبياق – دخول

كلوفيس فى الديانة المسيحية ـ تغلبه على البورغنـديين ـ خضوع المملكة الغربية الغوطية ـ علاقات كلوفيس مع المملكة ـ موته ـ تقسيم المملكة بين أولاده ـ مشاحنات ذرية كلوفيس ـ برونيهوت ـ الملوك الذين لا فائدة فيهم ـ حكام السراية ـ بيبين هرسطال ـ انتشار الديانة المسيحية بين سكان جرمانيا ـ القديس وليبرورد ـ شارلس مارتيل ـ هزيمة عرب مسلمى اسبانيا ـ طلب البابا شارلس مارتيـل من أجل حماية دار القسوسية المقدسة ـ سقوط العائلة الميروفنجيانية ـ صيرورة بيبين القصير ملك الفرنك ـ حماية البابا من اللومبارديين ـ طرد العرب من فرانسا ـ موت بيبين

تشـغل جرمانيا القسم الاعظم من أوروبا الوسطى وكانت متغيرة الحدود على حسب اختلاف الازمان غير أنه ما كان لها حدود ثابتة لما أنها كانت واقعة فى القطعة المتوسطة من أوروبا ومحيطة بأعظم الامم الموجودة على سطح القارة المذكورة وكان الجرمانيون متحدين قلبا مع بعضهم زيادة عن كل أمة ثم ان جرمانيا تمتد الآن من بحر بلطق الى جبال الالب ومن وادى نهر الرين فى الجهة الغربية الى نهر الدانوب وهيئة الاراضى فى جنوب جرمانيا جبلية وفى وسطها تلالية وتشكل فى الجهة الشمالية قسما من السهل الاكبر الموجود فى الجهة الشمالية الشرقية من أوروبا وهذا السهل عار عن الجبال والتلال والجرمانيون فرع من العائلة الاريانية وقد ذكرنا توطن الامم الجرمانية فى أوروبا وعند ذكرنا سقوط المملكة الرومانيـة ومابقى علينا هنا الا ذكر الصفات الاصلية للقبائل الذين هم جدود الجرمانيين الموجودين الآن تابعين ما كتبه المؤرخ الرومانى طاسيطوس فى تاريخه على جرمانيا فى سنة ٩٨ بعد الميلاد فنقول وعلى الله التوكل والقبول

كان القسم الاعظم من جرمانيا مغطى فى الاصل باورمانات مشحونة بالحيوانات المفترسة ومرتعا للصيد ومناخها رطب كثير الضباب وكانت فصول الشتاء فيها باردة وطويلة زيادة عما هى عليه الآن وأراضيها خصبة الا أنها كثيرة السباخ فى كثير من جهاتها وتمتاز الجرمانيون من الاجناس الجنوبية بضخامة أجسامهم وقوة بنيتهم ونشاطهم واحترامهم نساءهم ومن احترامهم للفظة كلمة الشرف يفقدون حياتهم ولا يخسرون هـذه اللفظة وكان الجرمانيون منقسمين الى عدة قبائل تجمعت فى المدة الجارى الكلام عليها ودخلت فى صورة متحدة حتى صارت محصورة بالعدد فكان لكل من هـذه القبائل المختلفة عائلة ملوكية تعتقد أنها متناسلة من الاله أودين ماعدا الصكصونيين فانه ما كان لهم ملوك الا فى الوقت المعلوم للحرب فان الاشراف كانوا ينتخبون واحدا من بينهم يكون رئيسا عليهم وكان ينتخب الملك من هذه العائلة بحرية أصوات أقرانه

وكان الجرمانيون أهل زراعة الا أن أشغالهم التى كانت مقبولة عندهم هى الحرب والصيد فكانوا يتركون زراعة الارض وطرق العيشة السلمية لرجال لا طاقة لهم على حمل السلاح والنساء وكانوا أرباب شجاعة وكرم وسليمى النية وأهل امانة لكنهم كانوا أهل عنف وقساوة وكانوا عاكفين على لعب الميسر وشرب المسكرات وعلى الفجور وينشدون فى أشعارهم الوقائع الكبيرة التى وقعت من أجدادهم وكانوا مستعدين على الدوام للموت فى المدافعة عن حريتهم وكانوا مقسومين الى طائفتين طائفة الاشراف وطائفة أحرار العوام من الناس فكان الاشراف على العموم أغنى من العوام غير أن سيادة

الاشراف كانت على أنفسهم فقط زيادة عما كانوا عليه من الثروة وكانوا معروفين بأنهم قواد الامة في حالتي السلم والحرب وكان العوام في تعادل واحد وينحصر فيهم غالب الامة الجرمانية وكان كل من الاشراف والعوام مستحوذين على رقيق مؤلف من الاسرى الذين أسروا في الحرب مع أولادهم وكذا من أناس حكم عليهم بالرق بسبب الجرائم وكان لاسياد هذه الطائفة الملك المطلق والتصرف فيهم وما كان لهم حق في التشكي من أسيادهم ومع ذلك كانوا يعاملون عند أسيادهم باحسن المعاملة وكانت القوانين عند الجرمانيين قليلة فكان كل من ارتكب ذنبا من الاشراف والعوام يعاقب بدفع غرامة تقرر عليه يختلف مقدارها على حسب اختلاف قوانين القبائل

وكان فيما بين العائلات وقدماء الجرمانيين رباطات قوية فما كان يعقد زواج لاحد الامن بعد أن يتم له كمال العقل وقوة البدن ومع أن الرجل كان يشتري زوجته وتكون خاضعة له الا أنها كانت عنده محترمة جدا وتكون هي صديقته حتى انها تصحبه في الوقائع الحربية البعيدة وكانت تتربى على استعمال السلاح حتى تكون من أهل الشجاعة والفضل وكان الاب له السيادة على أولاده وأما الايتام من الاطفال فكان المتكفل بتربيتهم أقاربهم حتى تكون لهم الطاقة على حفظ أنفسهم وكان أهل الرجل الحريدخلون في مشاحناته واذا قتل فلهم النظر في قيمة الدية فكانت تقدر وتدفع من طرف القاتل وتوزع بين عائلة المقتول

وما كان في جرمانيا القديمة مدائن بل كان السكان يسكنون في قرى فيها أخصاص كل خص عائلة على جهة بعيدة من الاخرى محاطا بقطعة من الارض وكانت الاراضي المحيطة بالقرى مشتركة في الابتداء بين أهل كل قرية ثم صارت فيما بعد منقسمة بين أشخاص جعلوها ملكا لهم وشكل العدد الكثير من هذه القرى ما أطلق عليه اسم المائة فكان لكل قرية ولكل مائة رئيس من أهله ينتخب بحرية أصوات العوام وفوق رؤساء المآت رؤساء القبائل وكان لبعض القبائل ملوك من العائلات المحقق أن أصلهم متناسل من الآلهة وكان رؤساء المآت هم برنسات القبائل يتركب منهم مجلس الملك أو الرئيس الاكبر وكان البرنسات يتعاونون على بعضهم بكثرة التبع وكل واحد من التبع يحلف أن يكون صديقا لسيده وكان يعد نكث هذا اليمين من الجرائم التي لا تمحى وكان كل سيد يورد لرجاله الخيول والدروع والمؤنة لاداء خدمتهم

وكان عظم موقع الرؤساء في جرمانيا القديمة وشوكتهم معلوما على حد محدود وكان يوجد مجتمع من الاهالي نافذ الحكم وكان لكل قرية جمعية وأهم هذه الجمعيات مجالس المآت والعشائر وما كانت هذه المجالس كمجالس الشورى المتركبة من نواب عن الامة بل كان لكل واحد من الاحرار حق في حضور المجلس وما كانت مجالس القرى والمآت مقيدة بالنظر في قضايا القبائل بل كانت هذه القضايا تنظر أمام مجلس عموم الامة وفي هذا المجلس العام يصير انتخاب الرؤساء وليس للملك فقط الانتخاب بل لرؤساء المآت أيضا على حسب اختلاف درجاتهم وفي هذا المجلس يستلم الرجل الشاب من أبيه أو من أمير السلاح دلالة قطعية على أنه بلغ رشده وصار فيه الطاقة الكافية لاستقلالية نفسه في القبيلة وكانت كافة القضايا الصعبة العدلية يجري فصلها في مجلس القبيلة وكان من خصائص هذا المجلس أيضا اعلان الحرب أو عقد الصلح واعطاء القرارات على الحملات البعيدة للرؤساء مع تبعهم وكانت المسائل الصعبة الاشكال تحضر أمام هذا المجلس فكانت المداولة تجري فيها قبل وصولها الى

الملك أو الرئيس الآخر أو أمير القبيلة الا أن القرار القطعي فيها يكون بمعرفة نفس الامة وكان من النادر اشتراك العوام في المسائل التي يجري المداولة فيها وكان الرؤساء يقدمون مشروعاتهم أمام الامة بعبارات واضحة مقام عليها الدليل من كل وجه فان لم يحصل اتفاق العوام مع رؤسائهم فانهم يبينون آراءهم بأصوات الخلاف ويظهرون تأييد ماهم عليه من الرأي بقلب دروعهم

وكانت ديانة الجرمانيين محصورة في عوائدهم فكان الههم الاكبر (ودن) وامرأته (فريه) وابنهما (دونار) اله الرعد كان الها قوي الشوكة وكان بلدور اله الشمس محترما جدا عندهم وما كان للآلهة هيا كل مشيدة بل كان الجرمانيون يعبدونها في أيكات مقدسة وكانوا يقربون لها في بعض الاحيان قربانا من بني آدم ويؤكدون أغراضهم بالفأل وطيران الطيور وصهيل الخيل المقدسة وكان الجرمانيون يعتقدون أن للآلهة مدخلا في أعمال بني الانسان

وقد ذكرنا في تاريخ رومة الاحوال التي خرجت بها جرمانيا من ظلماتها الاصلية الى نور تاريخها فمن ثم لا لزوم هنا لتكرار هذه القصص بل نقول انه لما انفجرت المشاحنة بين (الصيكوانيين) والعدويين وهما قبيلتان من قبائل الغلية دعا الصيكوانيون الملك (أريوفيسطوس) ملك السويفيين قبيلة جرمانية الى الحضور لمساعدتهم فلبى طلبهم لكن في سنة ٦٠ قبل الميلاد مد هذا الملك شوكته على القبيلتين ومن ثم أضاف الى ممالكه كافة أرض الغلية الموجودة بين نهر الرين الاعلى ونهر لواره وبقي أريوفيسطوس في الابتداء في علاقات ودية مع الرومانيين وفي سنة ٥٨ قبل الميلاد توسل الغليون بقيصر يوليوس في مساعدتهم فسار القائد الروماني ضد الملك الجرماني وهزمه وتغلب عليه وأخضع الجرمانيين الموجودين على الشاطئ الايسر لنهر الرين ثم أدخل الجم الغفير من الجرمانيين في جيشه ومن بعد هذه الواقعة ما سمعنا عن جرمانيا الا قليلا لحد سلطنة أوغسطوس الذي اجتهد في صيرورة هذه المملكة ايالة رومانية ونال دروسوس ربيب الامبراطور أوغسطوس نصرات جليلة على القبائل الجرمانية وباجرائه ثلاث غارات متوالية داخل أراضيهم زحف حتى وصل الى نهر ألبي وأقام خمسين قلعة في طول نهر الرين لحفظ خط هذا النهر وكان يمكنه افتتاح القسم الاعظم من جرمانيا لكن موته في سنة ٩ قبل الميلاد أوقف ما كان عليه من العزم ثم استمرت الرومانيون في الحروب مع الجرمانيين وتغلب طيبريوس خليفة دروسوس على (الطوقطريين ـ والعوسبتيين) في سنة ٨ قبل الميلاد وعمل الحيل حتى تغلب على (الصيقمبريين) وأسكن منهم نحو من ٤٠٠٠٠ نفس في الغلية وأظهر أنه في مدة قليلة تدخل جرمانيا في حكم رومة غير أن الفوائد التي استحصل عليها طيبريوس أضاعها (كنطليوس فاروس) لان ظلمه أوجب عصيان أحرار الجرمانيين فحملوا السلاح ضده تحت قيادة أرمنيوس أو حرمان شاب رئيس خروسقاني فغر هذا الرئيس فاروس حتى أدخله مع جيشه في داخل أورمانات (طوطوبرغ) وهجم عليه وأباد جيشه كما ذكرنا في تاريخ رومة

ومن نصرة أرمنيوس تدمرت الدولة الرومانية في جرمانيا وفي مدة سلطنة الامبراطور طيبريوس اجتهد الجيش الروماني تحت قيادة جرمانيكوس بن دروسوس في استرداد ما خسره فاروس غير أن الجرمانيين تحت قيادة أرمنيوس قاوموا المغيرين أشد المقاومة وألزموهم بالانسحاب من المملكة ثم دعى أرمنيوس لحمايته بلاده من اغارات (الماركومانيين) وكانوا احتلوا الاقليم المعروف الآن باسم (بوهيميه) ومنه عزموا على التغلب على جرمانيا فهزم الشجاع الجرماني أرمنيوس الملك ماروبودوس

ملك

ملك الماركومانيين وكسر مملكته وأرغمه على البحث عن سلامة نفسه فى رومة ومن ثم حفظت جرمانيا استقلاليتها ثم قتل أرمنيوس فى سنة ٢١ بعد الميلاد وعمره ٣٧ سنة ولم يزل ذكره محترما للغاية الآن وفى القرن الثانى تقوت القبائل الجرمانية بما هو حاصل فى الممالك الرومانية من الضعف وخاطروا بأنفسهم فى الغارة على ممالكها وفى سلطنة (مرقوص عوريليوس) تساعد المارگومانيون والكادون بعشائر ليست من الجرمانيين واستمروا فى حرب ضد رومة امتد نحوا من ١٣ سنة وأرغموا المملكة على حماية حدودها منهم

وكان أشهر القبائل الجرمانية الذين هاجروا بين القرن الثالث والسادس السابق القول عنهم فى آخر تاريخ رومة هى قبائل الفرنك ومكث تاريخ هذه القبائل عدة قرون مختلطا فى تاريخ جرمانيا وفتحوا أرض الغلية وجهات أهلهم ورموا أساسات المملكتين اللتين قامتا فيما بعد وهما جرمانيا وفرانسا وابتدؤا فى اغاراتهم على الاقاليم الرومانية الموجودة على الشاطئ الايسر لنهر الرين فى القرن الثالث ومع أنه حصل طردهم الا أنهم استمروا فى سعيهم حتى انتصروا أخيرا فتغلبوا فى آخر القرن الخامس على كافة الاراضى المحصورة بين نهر الرين الاوسط ونهر الموز وجعلوا عاصمتهم مدينة (كلونيه) وكانوا يسمون (بالفرنك الريبوريانيين) وكانت الاراضى السفلى من نهر الرين مسكونة بقبيلة افرنكية من نسل الامة (الصقمبرية) التى كان سكن فيها طبريوس قبل ذلك وكانت هذه العشيرة تعرف (بالفرنك الصاليانيين) وما رغبت هذه الامة فى الخضوع لرومة وكانت على الدوام مراقبة لسنوح الفرصة فى عود حريتها فكانوا غالبين على أمرهم بالامبراطور (يوليان) لكنه سمح لهم فى الاستحواذ على الاراضى التى سكنوها خلف نهر الرين الممتدة الى غرب نهر الموز وفى افتتاح القرن الخامس تقوت هذه الامة حتى صارت لا تعترف بعد ذلك بسيادة رومة مع أنها كانت تجهز العساكر الاجرية للجيش الرومانى وفى هذا الوقت كان الصاليانيون محكومين بملوك منهم فكان أول هؤلاء الملوك كلوديو الذى مد حدود مملكته الى الجهة الغربية حتى وصلت الى نهر (السوم) وكان حليف رومة وساعد الرومانيين فى حربها مع عطيلة سنة ٤٥١ بعد الميلاد وكانت قوانين هذه المملكة مثل قوانين القبائل الجرمانية ومن بعد موته خلفه على ما قيل (ميرويغ) ولا يعلم لهذا الملك شئ حقيق لكن يمكننا أن نقول ان خلفاءه من هذا الوقت كانوا هم الملوك المعروفين بملوك (الميروفنجيانيين) وخلفه الملك (شلدريق) ولا يعلم عنه شئ مؤكد غير أنه كان شجاعا ساعد الرومانيين على الغوط الغربية وكانت سلطنته فى النصف الاخير من القرن الخامس وجعل عاصمته فى (طورناية) وباتحاده مع الرومانيين بلط الطريق للحوادث التى سنتلوها

ثم ان طيود وريق الثانى ملك الغوط الغربية من الغلية التى ذكرنا تاريخها الاولى مع تاريخ رومة قتله أخوه عوريق وخلفه فأخضع عوريق القسم الاعظم من اسبانيا وأرغم (السويفيين) على حفظ مملكة غاليشيا وبدفعون خراجا للمملكة الغوطية ومات فجأة فى وسط فتوحاته وترك مملكته لابنه علريق وكان طفلا وفى أثناء ذلك استخلف من بعد (شلدريق) على التخت الصاليانى ابنه كلوفيس وكان عمره ١٥ سنة وكانت مملكته محتوية على جزيرة (الباطافيانيين) ومحلات الاسقفيات القديمة فى (طورناى وعراس) وكان عدد رجاله الحربية ٥٠٠٠ مقاتل فغد كلوفيس بمهارته شوكته على قبائل الفرنك القاطنين فى طول نهر الشيلد والموز والموزل وأسفل الرين وكانوا محكومين بملوك مستقلة وكان أول

مشروع كلوفيس هو فتحه مملكة (سياغريوس) واضافتها الى مملكته ثم بعد هذه الواقعة هزم الالمانيين المستولين على الاراضى الموجودة على شاطئ نهر الرين من ابتداء منابعه الى مصب نهرى المان والموزل والمنتشرين على قطعة الغلية التى اشتملت فيما بعد على أراضى الساس واللورين وقتل ملكهم وصارت أملاكهم قسما من مملكة كلوفيس فى سنة ٤٩٦ بعد الميلاد وفى سنة ٤٩٣ بعد الميلاد تزوج كلوفيس بالبرنسيسة (قلوطيلده البورغندية) فمع أنها كانت تربت فى السراية الاريانية الا أنها كانت دخلت فى الدين الاورثودكسى الكاثوليكى فاجتهدت (قلوطيلده) فى هداية زوجها الى الديانة المسيحية ومكث كلوفيس مدة طويلة لم يدخل فى ديانة زوجته مع أنه رخص لابنه البكرى منها بالمعمدة وكانت الواقعة الفاصلة للحرب ضد الالمانيين فى طولبياق بالقرب من كلونية وكانت الواقعة فى الاول من أصعب الوقائع واستمرت زمنا طويلا حتى صار الشك فى نتيجتها فرفع كلوفيس يديه الى السماء واستغاث باله قلوطيلده ونذر على نفسه انه ان حصل له النصر فى هذه الواقعة فانه يدخل فى الديانة المسيحية ويعمد نفسه فانتصر على عدوه ومن بعد غلاق الحرب تعمد مع الاحتفال الكبير وتعمد معه من رعيته نحو من ٣٠٠٠ نفس فى الكنيسة الكبرى لمدينة رهيمس ولما دخل كلوفيس فى الديانة المسيحية وحضن المذهب الكاثوليكى نال مساعدة قوية من الكنيسة ووقع التحالف بين الطرفين على ما يعود منه المنفعة على الجهتين ووجدت الكنيسة فى تقدم شوكة كلوفيس آلة بها يمكنها أن تقهر الدولة الغوطية الغربية والدولة البورغندية وتضم كافة الممالك الى الطاعة الواجبة لدار قسوسية القديس بطرس

وفى سنة ٤٩٧ بعد الميلاد عقدت الايالات (الارموريكانية) معاهدة مع كلوفيس وصاروا خراجيين له وبواسطة هذه المعاهدة تقدمت حدود الممالك الافرنكية الى أن وصلت الى نهر لواره وفى سنة ٥٠٠ بعد الميلاد انتصر كلوفيس على البورغنديين وألزم ملكهم (غونديالد) على دفع الخراج له وكان هذا الظفر سببا فى دمار المملكة البورغندية الا أنها ما انضمت انضماما تاما الى المملكة الافرنكية لحد الجيل التالى

ثم ان كلوفيس تقوى بتغلبه على البورغنديين وسعى فى فتح المملكة الغوطية الغربية الموجودة فى جنوب نهر لواره وكانت الحكومة الملكية لهذه المملكة تحت يد القسس فانضم هؤلاء القسس لمساعدة كلوفيس كأنه المحامى عن الدين الاورثودكسى واشتاق أهل الغلية الذين هم على الدين الكاثوليكى الرومانى رعية عاربق الى نصر الفرنك وما حصل منهم الا مقاومات ضعيفة ووقعت الواقعة الحربية الفاصلة فى بواطير سنة ٥٠٧ بعد الميلاد فانهزم فيها الغوط الغربية وذبح كلوفيس عاربق بيده وتغلب على المملكة من ابتداء نهر لوارة الى نهر غارونه ثم شرع فى فصل الربيع التالى فى طرد الغوط الغربية خلف جبال البرنات فارسل طيودوريق ملك الغوط الشرقية جيشا لمساعدة أهله وألزم ملك الفرنك على توقيف حركته ولما صادف كلوفيس أمام نهر الارل ترك الغوطيين مستحوذين على قطعة صغيرة من أراضيهم تعرف باقليم (سبطمانيا) عاصمتها (ناربونه) وما بقى من أراضيهم صار الحاقه الحاقا مستمرا بالمملكة الافرنكية ولما عاد كلوفيس الى مدينة تور وردت اليه رسالة من الامبراطور انسطاسيوس يهنيه على ما حصل له من النصر ومد كلوفيس فى آخر سلطنته شوكته بصورة مزعجة زيادة عما كان حاصلا منه فى ابتداء أمره وزال الرؤساء من المروفنجيانيين بالموت وكان البعض

منهم

منهم من أقاربه وجعل نفسه الملك الوحيد على الافرنك ثم مات في باريس في سنة ٥١١ بعد الميلاد تاركا مملكته لاولاده الاربعة

ثم ان أولاد كلوفيس جعلوا عواصمهم في شمال نهر لواره فحصل من هذا الفعل عدم الامن في المقاطعة التي هي من فتوحاتهم الموجودة في جنوب هذا النهر ومازالت تحت أيديهم وأخذ طيودوريق الابن الاكبر من نصيبه الاقاليم الشرقية من نهر الموز الى نهر الرين ونواحي (أوفرنه) و (ليموسين) و (كرسي) وكانت عاصمته مدينة (متز) وتسلطن (كلوديمير) في (أورلناى) و (المين) وانجو وطوربن وعاصمته (أورليان) وكان شلدبرت ملك باريس وضواحيها مع الاقليم (الارموريكاني) الممتد من (روان) الى (رنيس) و (نمطيس) و (فانس) وكان (كلوطير) الاصغر ملك (سواسون) وحاكم المملكة القديمة (الصاليانية) مع الجهة الساحلية الموجودة بين نهر (السوم) ومصب نهر (الموز) وكان مستحوذا أيضا على بعض أراض في (سفنه) على نهر (غارون الاعلى) وبهذه القسمة صارت ممالك هؤلاء الاخوان متقاطعة ببعضها حتى انه اذا أراد ملك منهم التوجه الى آخر مملكته يلزمه العبور من مملكة أخيه نعم ثم تعددت المشاحنات بينهم وصار لايهدأ لواحد منهم العيشة بحالة سلمية مع الآخر ومع أن طيودوريق كان قاسيا في أعماله الا أنه نشر على رعيته قوانين مدنية عدلية وبذل مجهوده في نشر الديانة المسيحية في كافة الجهات التي كانت الديانة الوثنية منتشرة فيها في السابق وسعى ابنه (طيودبرت) في المداخلة في أعمال ايطاليا بناء على طلب يوسطنيان والملك الغوطي (فيتيجس) بالنجاح الذي ذكرناه في سنة ٥٣٩ بعد الميلاد وتنازل يوسطنيان لاجل البعد عن حصول أي غارة تقع في المستقبل لملوك الفرنك عن طلبانه في السلطنة في الغاية ثم ان المشاحنات الفظيعة التي جرت بين ذرية كلوفيس سودت صحف تواريخ بلادهم ولا احتياج لذكرها هنا بل أقول ان حفيديه (صيغبرت وشلبريق) ابني قلوطير تزوجا الاختين ابنتي (أثانغيلد) ملك الغوط الغربية فتزوج صيغبرت ملك أوستراسيا (برونهوت) وتزوج شلبريق ملك نوسطريا (غاليصونطه) أختها الصغرى ومن بعد قليل قتلها بواسطة اغراء رفيقته (فريديغونده) التي تزوجها فصارت برونهوت ألد الاعداء الى فريديغونده ومع أنها صبرت على عداوتها الا أنها ماتخلت عن عزمها في أخذ الثار من قاتلي أختها فكانت هذه العداوة سببا في زيادة الكراهة بين مملكتي نوسطريا وأوستراسيا وكان سكان الغلية الرومانيون كثر عددهم في مملكة نوسطريا وأما مملكة أوستراسيا فكان سكانها افرنكا وجرمانيين ولما سلكت فريديغونده مسالك الفجور تسببت في قتل زوجها خوفا من عقابها وكانت قبل هذه تسببت في قتل صيغبرت ومع أن الارملة برونهوت كانت أقل جريمة من فريديغونده الا أنها أبقت نفسها ضابطة مملكة أوستراسيا كنائبة عن ابنها ومع ما كانت عليه من ارتكاب الجرائم فانها كانت محبة للوطن ومدافعة عن الديانة المسيحية والتعليم ثم انها من خبث أعمالها قام عليها أشراف أوستراسيا فبذلت جهدها في هشمهم ثم بعد ذلك هزموها بواسطة قوى متحدة من نسطوريا وبورغندى وأسرت وجلبت الى قلوطير ابن فريديغونده فأمر بتعذيبها ثلاثة أيام ثم قتلها أقبح قتلة

وفي هذه الحالة انضمت جميع الممالك الافرنجية تحت سلطنة قلوطير الثاني الذي تسلطن بمفرده من سنة ٦١٣ الى سنة ٦٢٨ بعد الميلاد ومن بعده رفع ابنه (داغوبرت) شوكة الجنس الميروفنجياني الى أعلى الدرجات وجعل مقر ديوانه في باريس وكان حكمه متسلطنا من نهر الوزر الى جبال

البرنات ومن الاوقيانوس الى حدود بوهيمية ومات داغوبرت فى سنة ٦٣٨ بعد الميلاد وكان خلفاؤه ضعيفى الشوكة حتى لقبوا فى التواريخ بالملوك الذين لا نفع فيهم وهذا اللقب تسلطن على صفاتهم الى القرن التالى وكانت الشوكة الملوكية جارية فى الحقيقة بواسطة الاساقفة والاشراف وعلى الخصوص بواسطة الحكام المعروفين بولاة السراية وكان الوالى شريف يجرى انتخابه بواسطة طائفته فيكون مستشارا للملك فى وقت الصلح وقائدا للجيش الملوكى فى وقت الحرب ويساعد الاشراف فى مساعيهم على حد حدود السلطنة الملوكية وكانت هذه الوظيفة فى الابتداء انتخابية ثم صارت وراثية وفى مدة سلطنة الضعفاء من الملوك الميروفنجيانية الذين خلفوا داغوبرت كان ولاة السراية هم الملوك فى الحقيقة وكان أقواهم شوكة (پيپين هرسطال) فانه من بعد أن ذاق كأس الاهوال هزم الاشراف النوسطريانيين فى (قسترى) فى سنة ٦٨٧ بعد الميلاد وبعد أن أخذ نفس الملوك الميروفنجيانية جعل نفسه سيدا على مملكة كلوفيس وحكمها ٢٧ سنة مع الشدة والنجاح التام ورفع السيادة الطوطونيقية على العنصر الرومانى فى الغلية وتلقب پيپين بلقب دوق الفرنك وحافظ پيپين هرسطال فيما بقى من القرن السابع والسنى الاولى من القرن الذى جاء بعده على تشييد السيادة القديمة للفرنك فى جرمانيا والتزم الفريسيانيون والصكصونيون والالمانيون والسابيانيون والطورنغيانيون والبافاريانيون على الاعتراف بالدولة الافرنكية وأعقب هذه المظفرات دخول الديانة المسيحية ونشرها بين القبائل الجرمانية وذلك أنه كان يوجد ورا جيوش پيپين طائفة من الرهبان وخصوصا من الانكليز الصكصونيين التى بسعيها دخل الكثير من الوثنيين الموجودين فى بلادهم فى الديانة المسيحية وكان من هؤلاء الرهبان القديس (وليبرورد) فان البابا صرغيوس قدسه فى سنة ٦٩٦ بعد الميلاد وجعله أسقف (الفريسيانيين) ومات پيپين هرسطال فى شهر ديسمبر سنة ٧١٤ بعد الميلاد واجتهدت أرملته (بلقطرود) فى أن تحكم المملكة بصفة نائبة عن حفيدها الطفل (داغوبرت الثالث) الا انه حصل معارضتها من أشراف أوسترازيا تحت قيادة شارلس مارتيل ابن پيپين الغير الشرعى وأخيرا خضعت له فمن ثم استحوذ شارلس على سلطنة أبيه من دون مقاومات فى سنة ٧١٩ بعد الميلاد فحكمها ٢٢ سنة مع حزم الرأى

وكان من ضمن المشروعات الكبيرة التى أجراها شارلس هزيمته مسلمى اسبانيا وكانت اكيطانيه وسبطمانيا اذ ذاك تنالهم أشد الاهوال وكان العرب تتبعوا طرق فتوحاتهم وعبروا جبال البرنات وتغلبوا على مملكة افرنكه حتى وصلوا الى شمال نهر لواره فخرج عليهم شارلس مارتيل وهزمهم بالقرب من مدينة تور وهرب الباقى من جيوشهم الى الجهات الجنوبية وخلصت أوروبا من أذى فتوح المسلمين فى سنة ٧٣٢ بعد الميلاد وأعقب شارلس مارتيل مظفراته بعدة حملات على الجهة الجنوبية فمع انه انتصر كثيرا على المسلمين الا انه ما أمكنه طردهم من عموم أرض فرانسا وكذا ما أمكن لپيپين بن شارلس طرد العرب من سبطمانيا الا سنة ٧٥٩ بعد الميلاد وكانت احدى نتائج مظفرات شارلس هو الحصول على اقليم اكيطانيه الموجود فى شمال جبال البرنات مع حكامه وضمه الى مملكة افرنكه وسار شارلس على منوال أبيه فى كونه ما تلقب باللقب الملوكى بل كان لقبه دوق افرنكه وفى سنة ٧٣٧ بعد الميلاد وقت أن مات الملك الميروفنجيانى طييرى الرابع ثبتت شوكة شارلس وغض النظر عن تعيين ملك خليفة عن الملك الميت ووقفت السيادة الملوكية وفى نحو غلاق حكم شارلس مارتيل

طلب منه البابا جريجوري الثالث الدخول تحت السلاح من أجل حماية الكنيسة الكاثوليكية من اغارات اللومبارديين وكانوا تغلبوا على نيابة راقنه وهددوا رومة ووعده البابا بأنه فى نظير ذلك يمنحه برتبة قنصل رومة وحاميها فقبل شارلس ما عرضه البابا عليه لكن موته فى سنة ٧٤١ بعد الميلاد حرمه من كل عمل يوجب رضا البابا وقبل موته قسم ممالكه بوصية منه بين ابنه كرلومان وبيبين فأخذ كرلومان أوستراسيا مع الاراضى الموجودة خلف نهر الرين وأخذ بيبين نسطوريا وبورغندى وبروفنسه

ثم ان أولاد شارلس بحثوا عن آخر نسل من بيت كلوفيس وأعلنوا بملوكيته باسم شلبريق الثالث وبمساعدة القديس بونيفاس وكان فى هذا الوقت صار تقديسه أسقفا فى (ميانس) سنوا عدة اصلاحات فى الكنيسة ونالوا بخضوعهم للقسس مساعدتهم القلبية وفى سنة ٧٤٧ بعد الميلاد تنازل كرلومان عما يخصه فى الحكومة لاخيه بيبين ودخل فى الرهبانية وفى سنة ٧٥٢ بعد الميلاد لما استحصل بيبين على تصديق البابا واشتراكه مع الاشراف خلع الملك الضعيف شلبريق الثالث المرقصيانى وعزله فى دير من الديورة وجلس على التخت بصفة ملك افرنكه وكان صعود بيبين على التخت نتيجة اتحاده مع دار القسوسية المقدسة وكانت هذه النتيجة مؤسسة على منافع ومشروعات خطيرة لان بيبين كان محتاجا لتصديق البابا ليجعله المالك الشرعى للملكة وكذا البابا كان محتاجا لمساعدة جيوش الافرنك ليكون فى موقع ملك دنيوى وصارت هذه المعاهدة التى وقعت بين الكرولنغيانيين والباباوية أصلية وزادت قيمتها عند كافة أوروبا الغربية لافرانسا فقط وبهذا شيد بيبين حكومة ملوكية قوية وفى هذا الوقت قررت الباباوية لنفسها حكومة سامية النظام فى أعمال الكنيسة

ثم انه ما مضى مدة طويلة على بيبين حتى يكافئه البابا فى نظير مصادقته له على ضبطه التخت فان اسطولف ملك اللومبارديين تغلب على مدينة راقنه وكامل نيابتها وهدد رومة وزار البابا اصطفان الثانى عاصمة افرنكه واستغاث بمساعدة بيبين فى سنة ٧٥٣ بعد الميلاد فحلف بيبين أنه لابد من عبوره جبال الالب لمساعدة البابا فى السنة التالية وتتوج فى سنت دانيس بمعرفة البابا اصطفان باحتفال زائد ولقب بلقب محامى رومة وفى السنة التالية دخل بيبين ايطاليا فى رأس جيش كبير وهزم اللومبارديين وأرغم أسطولف على عقد اتفاق تنازل فيه عن الاراضى التى كان تغلب عليها الى البابا وعاد بيبين الى بلاده فأخلف أسطولف فى الحال وعده وخرب روماغنة وحاصر رومة وطلب تسليم البابا فعبر بيبين فى الوقت جبال الالب مرة ثانية وأوقع على ملك اللومبارديين أشد العقاب وألزمه بتسليم النيابة والبنطابولى قيمة الصلح ومنح بيبين هذه الاراضى على البابا وبهذا صار البابا حاكما دنيويا وحاكم روحانيا وأبقى بيبين لنفسه سلطنة هذه الاقاليم مع ارسال ايرادها الى الخزينة الباباوية

وكانت سلطنة بيبين مشحونة بالحروب وفى سنة ٧٥٢ بعد الميلاد شرع فى طرد المسلمين من أرض سبطمانيا وطردهم على التدريج من كافة مدائن الاقليم ثم حاصر ناربونة عاصمتهم التى تسلمت اليه بخيانة بعض التبعة الغوطية فى سنة ٧٥٩ بعد الميلاد فتولد من هذه النصرة فصل الحرب واجبر العرب على الانجلاء والتحقت سبطمانيا بممالك افرنكه ثم ان دوقية اكيطانيه الكبرى المشتملة على ربع فرانسا الحديثة نكثت طاعتها للملك افرنكه فأخضعها بيبين الى طاعته وكان ابتداء تهييجه الحرب عليها فى سنة ٧٦٠ بعد الميلاد واستمر نحو ثمان سنوات وقاوم دوق اكيطانيا مقاومة شديدة فقتله رعيته فى سنة ٧٦٨ بعد الميلاد وأعيدت سلطنة بيبين كما كانت ولما عاد بيبين من اكيطانيا

اصابته حمى شديدة فى سنطى فنقلوه الى سنت دانيس ومات فيها فى ٢٤ سبتمبر سنة ٧٦٨ بعد الميلاد وعمره ٥٤ سنة من بعد أن تسلطن ٢٧ سنة منها ١١ سنة والى السراية و ١٦ سنة ملك افرنكه وقسمت ممالكه على حسب وصيته بين أولاده شارلس وكرلومان فمات كرلومان فى سنة ٧٧١ بعد الميلاد وصار أخوه شارلس المعروف بشرلمانيه الملك الوحيد على مملكة افرنكه والله أعلم

﴿ الباب الثانى ﴾

(مملكة شرلمانيه أو شارلس الاكبر)

أهمية جلوس بيبين على التخت الافرنكى ـ صيرورة شرلمانيه ملكا ـ حروبه مع الصكصونيين ـ قساوة شارلمانيه ـ تضرع البابا الملك افرنكه فى مساعدته على اللومبارديين ـ عبور شرلمانيه جبال الالب واخضاعه ايطاليا الشمالية ـ دخوله فى اسبانيا ـ واقعة معبر جبال رونسيصوال ـ موت رولند ـ قهر شارلمانيه باقاريه ـ تغلبه على الحونزيين ـ توجهه الى ايطاليا ـ تتويجه امبراطورا بواسطة البابا ـ وصف مملكة شرلمانيه ـ معاهدته مع امبراطور الشرق ـ دولة شرلمانيه ـ حكومته وقوانينه ـ سياسته لجهة الكنيسة ـ حمايته التهذيب والتقوية عليه ـ علقووين ـ المدارس ـ صفة شرلمانيه وخواصه الذاتية ـ موته ـ صيرورة لويز العاقل امبراطورا ـ تقسيم ممالك شرلمانيه بين أولاده ـ موت لويز ـ صيرورة لوطير امبراطورا ـ معاهدة فردون ـ قيام مملكتى جرمانيا وفرانسا ـ مذهب الالتزام والاقطاع ـ وصف هذا المذهب وهيئته

من المعلوم أن جلوس بيبين على التخت الافرنكى كان ظفرا للعنصر الطوطونيق فى الغلبة وازداد هذا العنصر رفعة فى مدة سلطنة شرلمانيه الذى أثبت لنفسه أنه أكبر ملوك أى عصر من العصور ولما صعد على كرسى السلطنة كان الصكصونيون هم الامة الوحيدة التى ما دخلت تحت أحكام الفرنك ومازالت عاكفة على الديانة الوثنية وكانت مملكتهم ممتدة من مصاب نهر الالب الى الجهة الجنوبية الى حد (طورنغيا) وفى الجهة الغربية لحد نهر الرين فشرع شرلمانيه فى التغلب على هذه الامة وأغار على أراضيهم فى سنة ٧٧٢ بعد الميلاد وتغلب على مدينتهم المشهورة اريسبورغ وأرغمهم على الانقياد له واستمرت الحرب معهم ثلاثين سنة حتى غضب شارلس وقطع اليأس من تغلبه على هذه الامة ومن شدة غضبه مما حصل من شدة مقاومة الصكصونيين أمر بقتل ٤٥٠٠ نفس من الاسرى ومع ذلك ما حصل منهم الاشدة مقاومة شرلمانيه ثم اجبر أخيرا الصكصونيون على الخضوع وقبول الديانة المسيحية وفى مدة الحرب انتقل الجم الغفير من الصكصونيين الى الجهات الاخرى من ممالك شرلمانيه فاستوطن فى محلاتهم مستعمرات من الافرنك

وفى مبادى الحرب مع الصكصونيين استغاث البابا بشرلمانيه فى مساعدته على اللومبارديين وكانوا هددوا رومة مرة أخرى فأسرع وعبر جبال الالب مساعدا للحبر الاعظم وفى سنة ٧٧٤ بعد الميلاد تغلب على لومباردى وأضاف هذه المملكة الى ممالكه كمملكة منعزلة ومن هذا الوقت تلقب شرلمانيه بملك الفرنك واللومبارديين وحامى الرومانيين وخلع شرلمانيه الملك دزدريوس ولبس هو التاج الحديد ورخص لاشراف اللومبارديين بالبقاء فى أرضهم على ما كانوا عليه وسماهم عبيد الله

ومن بعد مضى سنتين خرجوا عن طاعته بمساعدة امبراطور الجريق فر شرلمانيه من جبال الالب في منتصف فصل الشتا وحطم ثورتهم ووضع حكاما معولا عليهم من الفرنك في المحلات الكبيرة من لومباردى وفي سنة ٧٧٧ بعد الميلاد طلب أمير العرب المسلمين في مدينة سرجوسه مساعدة شرلمانيه في حربه مع عبد الرحمن خليفة قردوقة ووعده بأن يكون خراجيا المملكة افرنكة في نظير هذه المساعدة فوعده شرلمانيه بمساعدته وفي سنة ٧٧٨ بعد الميلاد حمل شرلمانيه حملته في داخل اسبانيا واكتسب بعض مظفرات مد بها حدود مملكته عابرة جبال البرنات حتى وصلت الى جنوب نهر ابرو وعند عوده كانت حالته منحوسة لان الباسكيين هجموا على دمدار جيشه في معابر جبال رونسيصوال من البرنات وأهلكوه وكان من الذين قتلوا الفارس المشهور رولند ولما أخاف أمير سرجوسة وعد في خضوعه لشرلمانيه حول هذا الملك الاراضي التي ضمها الى اقليم يعرف بالمارش الاسبانى ووضع فيه حاكما امتدت سلطنته على روصيلون وكطالونيا ومملكتي أرغون ونقارا الصغيرتين وجعل مقره في برسلونه

وفي مدة سلطنة بيبين صارت باڤيره خراجية لمملكة افرنكة فمن بعد موته نكث طاسيلو دوق باڤيره طاعته فسار اليه شرلمانيه في سنة ٧٨٥ بعد الميلاد وأرغمه على الطاعة ثم عصى ثانيا في السنة التالية فغلبه أيضا شرلمانيه على أمره وعفا عن موته لكن عزله من دوقيته وصارت مملكة باڤيره من بعد ذلك دوقيات صغيرة محكومة بحكام من طرف شرلمانيه وكان الافاريون ذرارى الهونزيين الذين كانوا خربوا أوروبا تحت قيادة عطيله قاطنين في الغابات والاراضي المسبخة من نواحي بانونيه ومن ثم كانوا في موقع قريب جدا من باڤيره فعول شرلمانيه على التغلب عليهم وفي سنة ٧٩١ بعد الميلاد أغار على أرضهم وتغلب عليهم وصار بهذه النصرة سيد بانونيه الغربية ومن بعد مضى خمس سنوات أغار بيبين ملك ايطاليا ابن شرلمانيه على ما بقى من الهونزيين ومن بعد أن أوقع فيهم من القتل والاسر ما يكل عنه الوصف ألزمهم بالانقياد له وورد بيبين جميع الاموال التي كان حملها عطيله من أوروبا ودخل طودان رئيس الهونزيين مع فرسانه في الديانة المسيحية وتعمدوا في كنيسة عكس ومن ثم صار اضافة مملكة الهونزيين الى مملكة شرلمانيه وتولدمن زيارة شرلمانيه رومة في سنة ٨٠٠ بعد الميلاد من أجل البحث في القضايا التي كانت ضد البابا ليو الثالث براءة البابا ومعاقبة أخصامه فما كان عند البابا شيء يكافئ به الملك على مساعدته هذه الا أنه أسرع فزار شرلمانيه في يوم عيد الميلاد كنيسة القديس بطرس وفي حالة ركوعه على درج المنبر الاكبر قرب منه البابا ووضع على رأسه تاجا من الذهب وحياه بتحية قدماء الامبراطورات الرومانية * يعيش شارلس أوغسطس ودام نصره تتوج بتاج من عند الله حياة الامن والسلامة امبراطور الرومانيين * فسمع الجم الغفير من القسس والعساكر وأهل المدينة الذين كانوا في الكنيسة ألفاظ البابا وصرخوا جميعا مع الحماس بهذه التحية فرحين معترفين بان ملك الفرنك صار هو الخليفة الشرعي للقياصرة

وما كانت مملكة شرلمانيه مملكة جديدة بل روعى أنها محيية للمملكة الرومانية الغربية التي ما كانت محيت آثارها وقت سقوط (روملوس أوغسطلوس) بل انتقلت الى المملكة الشرقية وفي الغرب كانت السلطة الامبراطورية محصورة في نائب رأفنه وما حصل التنازع في حق الحكم السيادي لامبراطور الجريق مطلقا الا أنه يخالف زعمهم هذا أن شوكة ملوك المتبربرين ارتفعت الى أقصى

الدرجات فى الحكم بألقاب تقلدوها من طرف قيصر الشرق وكذا تولد من حرب تكسير التماثيل أن صار الغرب فى عداوة شديدة مع ديوان القسطنطينية وآل الامر الى حالة كان يستحيل فيها عود اتحاد المملكتين وتوالت الحوادث ورابعضها كل حادثة تميل لتوسيع الخرق الذى انفتح بهذه الحالة وغير ما كان عليه التخت الشرقى من احتلاله بامرأة هى (الامبراطوره أرينى) التى كان الرومانيون يرون أنها غاصبة للتخت فانهم أعلنوا بانه لا يمكن أن تلقب نفسها بلقب قيصر أو أغسطوس وان لهم الحق كما ان للشرق أيضا انتخاب قيصر جديد وأصروا فى أنفسهم على أن رومة لها الحق فى أن تكون عاصمة المملكة ثم انه فى وقت تتويج شرلمانيه أثبتوا له حقا لا ينقض وقرروا له امتيازات كانت موقوفة ولم تفسخ من قبل وأعلنوا بانه خليفة قنسطنطين السادس وانه فى الدنيا رأس العالم المسيحى وصرفوا النظر عن مراعاة خلفاء طيودوسيوس الذين كانوا فى الغرب وعدوا شرلمانيه الثامن والستين فى ترتيب السلسلة الغربية من ابتداء أغسطوس مؤسس المملكة فكان هذا الفعل من دون ريب سببا فى وقوع منازعة فى ادعاء امبراطور الجريق وما صار قبوله فى ديوان القسطنطينية ومن هذا انقسمت المملكة أخيرا كما سنذكره فيما بعد حتى انه تسلطن فى مدة طويلة من الزمن امبراطوران واحد فى الشرق وآخر فى الغرب وكل منهما يزعم انه هو القيصر الحقيقى وفى سنة ٨٠٣ بعد الميلاد حصلت المخابرة بين الامبراطورين على عقد معاهدة من أجل بيان حدود أملاكهما فى ايطاليا وتنازل امبراطور الشرق عن دعواه رومة ونيابة ترافنه وأبقى فنيزه واسطريه وساحل دلماطيه ومدائن كلبريه

وصار شرلمانيه فى هذا الوقت أقوى ملك فى الدنيا واعترفت كافة الامم بعظم ملوكيته واستحصل الانكليز والمملكة الغوطية الصغيرة الموجودة فى اسبانيا على حمايته وأرسل له الخليفة الاكبر هارون الرشيد سفير العقد صداقة معه بهدية نفيسة من ضمنها مفاتيح مدينة أورشليم والقبر الشريف واجتهد شرلمانيه فى مدة الاربع عشرة سنة الباقية من حياته فى عمل الترتيبات والقوانين المدنية لممالكه وهو شغل شاق على الطبيعة البشرية لما يوجد من تعدد الامم واختلاف أجناسها الخاضعة لحكمه وحصل من الفوز الذى لازمه فى سعيه صيت أكبر بكثير من صيت مشروعات فتوحاته وكان اجتهاده العاكف عليه هو تمدن أوروبا ودخولها فى الديانة المسيحية فتوصل الى ذلك بكده ومثابرته على أشغاله

وكانت مملكة شرلمانيه ممتدة من بحر بلطق الى نهر ابره ومن بحر الشمال ونهر الادر الى ايطاليا الوسطى ومن المحيط الاطلنطيقى الى نهر السيف ونهر الطيس ونهر أودر وأسفل نهر ويستوله وكان منتصف هذا الاقليم الشاسع أرض نهر الرين وهى مملكة افرنكه الشرقية وكانت مدينتا رومة وعاكن عاصمتى المملكة فكان الامبراطور لا يقيم الا قليلا فى رومة وأما مدينة عاكن فكانت مقره الخاص فزخرفها بسراية وكنيسة عظمى ومنها اشتق اسم (عكسلاشيل) وكانت حكومة شرلمانيه شخصية فى حد ذاتها وسلطته فيها وان كانت مطلقة التصرف والاستبداد الا انه كان منتشرا فيها قوانين مقبولة عند كافة الامم فكان الامبراطور يخترع جميع القوانين وتصير المداولة منها فى مجلسين يعقدان من الامة أحدهما فى شهر مايه والآخر فى فصل الخريف وكل من المجلسين كان مؤلفا من الدوقات والكونتات والاساقفة ورجال أخرى من أمراء ووجوه المملكة فكانت وظيفة هذين المجلسين المداولة فقط فى القوانين والامبراطور وحده يقرر ما يقال له قانون ورأينا من قوانين شرلمانيه التى

بقيت لنا ما كان عليه الامبراطور من الاحتراز والتدبير فى ممالكه وطريقة نشر سياسته على مملكته فكانت هذه القوانين مشتملة على ما يختص بالسنن والفرائض الشرعية من ابتداء المسائل والمواد العالية والمواد الديانية الكنائسية وأهمية السياسة حتى التفاصيل الموجودة فى الادارات الاقتصادية الداخلية فى المملكة وكان من مقاصده خفض شوكة الدوقات والكونتات الذين كانوا ماوكا مستقلين فى أنفسهم وكانوا أصلا للموانع الموجودة فى طريق اجتهادات هذا الامبراطور من أجل نشر العدل بين رعاياه فابطل بالكلية لقب دوق فى جرمانيا ورتب لاجل حماية الثغور المعرضة لاغارة العدو على مملكته الاقاليم المحدودية الجرمانية فى هيئة ماركات وجعل عليهم المار كيزات الذين من واجباتهم طرد قبائل الفساد المجاورة أو التغلب عليها فكانت (كارنتيه) الممتدة من البحر الادرياطيق الى الدانوب احدى تلك المار كات المشهورة وأخرى كانت واقعة فى شرق بافيره وكانت معدة لحماية تلك المملكة من الهونزيين أو الافاريين وعرفت فيما بعد باسم أوستريا

وكانت الادارة العدلية فى كثير من ايالات المملكة موجودة على الخصوص تحت أيدى كونتات متساعدين بنواب مختلفى الدرجة وعين شرلمانيه غير هذا وظيفة مخصوصة مؤلفة من حكام أطلق عليها اسم ادارة الاقاليم فكان من واجباتها زيارة جهات المملكة أربع مرات فى السنة لسماع استئناف الدعاوى الصادرة من المحاكم الصغيرة ويرفعون تقريرا للامبراطور عن الحالة العمومية للمملكة ومن هذه التقارير كان يمكن استئناف قضايا ومواد فى المحكمة العدلية الملوكية المتولى رياستها رئيس ديوان الملك

وكان شرلمانيه صادقا ثابت العزم للكنيسة غير أنه ما كان عبدا لها وقرر مع كل دقة كافة المواد العائد منها النفع على نشر الديانة المسيحية وكان شديد الرغبة فى حمايته الفقير والضعيف من رعيته من ظلم الاغنياء وذوى الشوكة وكان محبا للعلوم والعلماء ورتب جمعية من أهل الديانة استحوذت بمفردها فى عصر الجهالة على طرق التعليم وكان الامبراطور هو الرئيس المستمر لهذه الجمعية فكان رؤفا كريما عليها وأسس الكثير من الاسقفيات والديورة وغمرها بالاحسانات الجمة وأمر بدفع العشور لاجل مساعدة القسس الموجودين فى عموم المملكة ومنح فى كل جهة وعلى الخصوص فى جرمانيا على الاساقفة ورؤساء الديورة وكبار خدمة الدين الوظائف الجليلة فى المملكة حتى بذلك أمكنه أن يستعملهم درياقا للشرف الدنيوى

ومن ثم صار من الواجب على الدنيا تقديم الشكر لشرلمانيه لانها صارت مديونة له دينا نفيسا من أجل حسن أعماله من المحافظة على طرائق التقوية التى نشرها فى كافة الجهات من أجل التعليم ونشر المعارف وكان هو نفسه فى رغبة زائدة على المطالعة فما كان يكل منها حتى صار بصبره واجتهاده أنموذجا فى الدنيا من كثرة ما حازه من العلوم والمعارف وشجع العلماء على التوطن فى ممالكه وكان يحصل له الفرح الزائد وقت اجتماعهم عنده فكان يتحادث معهم فى المسائل اللازمة لممالكه وكانت أوقاته كلها حتى أوقات حروبه مصروفة فى اجتماعهم عنده وكان أجل صديق يثق به وعضو مداوم فى مجلسه عابدا انكليزى صكصونى اسمه (علكوين) كان أعظم علماء عصره وكان توظف فى ديوان شرلمانيه سنة ٧٨١ بعد الميلاد ومات فى سنة ٨٠٤ بعد الميلاد وفى هذه المدة كان يدرس للامبراطور العلوم ويحثه على كثير من الاعمال العائد منها النفع على الملك وقد عرفنا من التاريخ أنه

من الامور العجيبة التى كان الامبراطور عليها انه كان يجمع حوله البرنسات والبرنسيسات من عائلته وكبار رجال ديوانه لتلقى دروس التعليم والآداب تحت قدمى أستاذهم علكووين فى مدرسة السراية الامبراطورية فى مدينة عكس وكانت مدة التدريس الجارية لهؤلاء الاجلاء منحصرة فى السبعة علوم الكبيرة خصوصا علم النحو وترتيل المزامير وفن ضرب الموسيقى ومن هذا الوقت اشتهر علكووين بترتيل الكتب المقدسة وانتاعلى يقين من أن علوم الاسرار الخفية ما كانت منسية فى تلقى دروسه

ومن أجود المنح التى منحها شرلمانيه على رعاياه نشره طريقة التعليم فى كافة أنحاء ممالكه فانه فى مبادى سنة ٧٨٩ بعد الميلاد صدر منه منشور باستشارة علكووين الى الاساقفة يأمرهم بأن يقيموا فى كنائسهم الكبرى الموجودة فى داخل المدائن مدارس ابتدائية من أجل تعليم أطفال الاحرار ومن رعايا ممالكه وأولاد الشغالة وطلب أن يكون فى كل دير مدرسة تدرس فيها العلوم العالية فعلى مقتضى هذا المنشور تأسس الكثير من المدارس فى جهات مختلفة من جرمانيا وفرانسا وما زال الكثير باقيا منها لهذا الآن وشجع الامبراطور العلماء فى جميع أوروبا على أن يكونوا مدرسين فى هذه المدارس

وكان شرلمانيا فى حد ذاته شجاعا طويلا عريض الصدر جليل الطلعة محمودا فى صفاته وأفعاله وكان كلامه بخاوص نية وكان يتكلم مع الفصاحة باللسان اللاتينى وله دراية تامة باللسان الجريقى وكان بسيطا فى عوائده فكانت مائدته مقصورة على أربع صحاف وأعز المطاعم عنده لحم الصيد المشوى على الاسياخ وكان معتدلا فى مشروبه مبغضا للسكر وكان أحب المحادثات اليه أثناء طعامه قراءة التواريخ بصوت عال وكان متكبرا بسبب انه من الدم الطوطونيقى وبذل مجهوده فى ابقاء العوائد القديمة الجرمانية خصوصا مغانى الفروسية القديمة لاجداده وكان يلبس دائما ملابس الامة الافرنكية وما كان يظهر فى زى الرومانيين الالاسباب نادرة الوقوع

وفى سنة ٨١٣ بعد الميلاد أمر الامبراطور بتتويج ابنه الوحيد لويز الموجود على قيد الحياة فى مدينة عكس الكنيسة وأن يكون خليفة من بعده ومات شرلمانيه فى مبادى سنة ٨١٤ بعد الميلاد بالغا من العمر اثنتين وسبعين سنة ودفن تحت الكنيسة العظمى فى مدينة عكس واحتاجت المملكة العظيمة التى شيدها الرجل جليل القدر مثله يحفظها فتمزقت هذه المملكة الكبيرة قطعا من بعد موته مباشرة وكان لويز المعروف بالعاقل غير صالح بالكلية لمباشرة أحكام المملكة وردع الاختلالات التى حصلت فى زمن مرتبك ولما أحس لويز بعدم أهليته وتعشم فى أن يديم السلم بين أولاده أهل الشقاق أعطى لكل واحد منهم نصيبا فى ممالكه فى سنة ٨١٧ بعد الميلاد فأعطى ابنه لوطير أراضى الرين وايطاليا وأشركه معه فى حكم المملكة وأعطى بيبين اكيطانيه وأخذ لويز باقيره والاقاليم المجاورة لها وولد للامبراطور ابن رابع سماه شارلس من زواجه الثانى وفى سنة ٨٢٩ بعد الميلاد فصل لهذا الابن مملكة على حدتها فظن الثلاثة الاخر فى أنفسهم ظن السوء بما وقع من أبيهم وعصوا وكدروا عليه ما بقى من حياته حتى اعتزل بنفسه فى جزيرة فى نهر الرين بالقرب من مدينة (أنغليم) ومات فيها سنة ٨٤٠ بعد الميلاد

ولما مات لويز تلقب لوطير بالامبراطور ولما مات أخوه بيبين هيج عليه أخواه الموجودان على قيد الحياة لويز وشارلس الملقب بالاصلع حربا شديدا وفى سنة ٨٤١ بعد الميلاد هزموه فى فنطناى

وانتهى هذا الحرب فى سنة ٨٤٣ بعد الميلاد بمعاهدة فردون وبهذه المعاهدة قسم الاخوان مملكة جدهما بينهما وحافظ لوطير على لقب الامبراطور وأخذ مملكة ايطاليا وجزءا ما طويلا ضيقا من الارض واصلا من البحر الابيض المتوسط الى بحر الشمال وأطلق على هذه المملكة من بعد اسم (لوطيرنغيه) ثم صار هذا الاسم مطلقا على المملكة الموجودة فى شمال (بورغندى) وأخذ شارلس الاصلع الاقليم الموجود فى غرب مملكة لوطير وأخذ لويز المملكة الطوطونيقية أو جرمانيا الممتدة فى جهة الشرق من نهر الرين الى نهر ألبى وغابات السعل و بوهيمية ومن بحر الشمال الى جبال الالب وكان يطلق على هؤلاء الاخوة الثلاثة اسم ملوك الافرنك

وكانت معاهدة فردون نقطة مشهورة فى تاريخ أوروبا بها كان غلاق تاريخ الافرنك وأخذ كل من فرانسا وجرمانيا محلاتهما فى العالم على البسيطة كامم ممتازة مفصولة عن بعضها

وبما أننا ختمنا كلامنا على تشكيل مملكة شرلمانيه وتفريقها فنوجه الآن كلامنا على ما كان جاريا فى عموم التألفات العامة الاوروباوية التى تقدمت وعرفت باسم مذهب الالتزام أو الاقطاع وذلك أن المملكة كانت مستورة بممالك أمراء أقوياء الشوكة أرغموا على الطاعة لامبراطور أقوى منهم شوكة وأكثر تدبيرا ثم آل أمرهم الى الانقياد لاسم الخلفائه الضعفاء وما كان ذلك عند الامراء فقط بل كان عند الموجودين فى الاقاليم القاصية من المملكة فانهم لما وجدوا أنفسهم مجبورين على السعى فى المدافعة عن أملاكهم من أعدائهم المهددين لهم وهم المجر والعرب المسلمون والنورمانيون فكانوا يجرون حروبا أو يعقدون صلحا تحت مسؤليتهم فمن ثم قام بينهم نوع الاستقلال على التدريج حتى صاروا تابعين لانفسهم خاضعين لادارة الامبراطورية وصار الكثير من الامارات الكبيرة مثل دوقية صكصونيه ـ وطورنغيه ـ وفرنكونيه ـ وباڤيره ـ وصوابيه ـ فى الجهة الشرقية ودوقيات اكيطانيه ـ وبريطانيا وقونتات أنجو ـ وباريس فى الجهة الغربية ومار كيزات فريولى ـ واڤرية وسپلطو وطوسقانه فى ايطاليا أقوى وأغنى من ملوكهم الاسمية وكان أسياد هؤلاء هم أسياد المدائن والحصون الداخلة فى ممالكهم الا أنه ما زال الملك مطاعا ان وجد فيه قدرة تكرهه على الانقياد وصارت العلاقات بين الملك وأمرائه على التدريج فى الحالة التى سنذكرها هنا

وذلك انه كان موجودا فى الامم الطوطونيقيه فى الاصل كما شاهدنا ثلاثة أصناف من الامة الاشراف وعوام الاحرار والرقيق فأما الاشراف والعوام فكان لهم وحدهم حق التملك على أراض أو عقارات أخرى وكان كل رجل حر جرمانى يساعد أميره على فتح بلاد فيأخذ نصيبه من الغنيمة قطعة أرض تكون له حرة وعقارا يمكنه التصرف فيه وأما الرئيس أو الامير فكان يأخذ نصيبه أكبر من نصيب أتباعه وفى مجارى الازمان يبتدئ الرئيس فى أن يمنح قطعا من أراضيه على من كان واثقا به من أتباعه على شرط أن يكونوا اصادقين معه فى حالتى الصلح والحرب وكان يطلق على هذه الهبة الالتزام وعلى الارض اسم أرض التزامية وأما الاراضى الحرة فكانت عقارا لمالكها التصرف المطلق فيها بخلاف الارض الالتزامية فانها كانت ملكا لمالكها الاصلى وكان الملتزم بها استعمالها مدة من الزمن حتى تستوفى شروط الهبة وكان يطلق على المالك الاصلى اسم سيد والشخص الموهوب له الارض عبده ففى كل سنة يجثو العبد على ركبتيه أمام سيده ويضع يديه بين يديه ويحلف له بانه رجله المعتمد الذى يخدمه خدمة صادقة فى كل من حالتى السلم والحرب على حسب مقدار الاراضى الممنوحة وكذا

يعترف السيد أنه باذل جهده فى حماية عبده وكما أن كبار الامراء كانوا يأخذون أراضيهم من الملك بصفة عبيد فكذا كان صغار الاشراف والفرسان يأخذون أراضيهم من الدوقات والماركيزات والكونتات والاساقفة ويقسمونها بين عبيد أقل منهم درجة ومن توالى الايام صارت عموم الارض التزامية ولما صار ملاك الاراضي الحرة على غير طاقة من حماية أنفسهم من جيرانهم ذوى الشوكة اضطروا الاجل حماية أنفسهم على التنازل عن أراضيهم الى بعض أسياد أقوياء ثم يأخذونها ثانية كمنحة من طرف أسيادهم وفى غلاق القرن الحادى عشر انتشرت هذه الحالة فى عموم أوروبا الغربية وصار لا يوجد قطعة أرض حرة فى جهة من الجهات الا نادرا وكانت تمنح هذه الالتزامات فى الابتداء لمدة سنين أو لمدة حياة العبد ثم صارت مع تقلب الزمن وراثية وبمجرد انقراض العائلة تنتقل الى كبير العبيد وهو الملك

وكان العبد ملزما بالحضور مع سيده فى الحرب ليحارب تحت بيرقه فان كان الملك هو السيد وجب على العبد الحضور فى ديوانه لاداء واجبات رسوم الاحترام وفى وقت الحرب يطلب الملك كبار العبيد لحمل السلاح من أجل حمايته فيطلب هؤلاء عبيدهم للاجتماع تحت بيارقهم وكذا تطلب صغار الامراء والفرسان فلاحيهم تحت شرط أن كل واحد منهم ملزم بتسليح وتطقيم نفسه بمصاريف من طرفه ويتكفل السيد فى بعض الاحيان بمصاريف هذه المهمات وقال الذين لهم دراية بالاحوال السياسية ان وقوع التداخل فى توزيع هذه الاقطاعات أو الالتزامات العسكرية كان سببا فى تغييرات مهمة فى السياسة ومواد التآلف والعمران ثم حصل تغيير هذه الحالة على التدريج فكان بطىء الحركة فى انكلتره زيادة عن معظم جهات القارة وكانت نتيجته العامة رفع شأن الذين منحوا هذه الاراضي على من عداهم وسقوط الفقراء الى الدرك الاسفل وغرق كثير من سكان الممالك فى بحر الرق بمعنى أن الناس الذين ما كانوا فى الاصل أرقاء صاروا أرقاء وبيعت الرجال بالرجال فى حالة ما اذا كان الرجل مربوطا بالارض وانتقل فى البيع معها وفى أثناء هذه المدة هلكت طائفة الرقيق الاصلية وزادت الطائفة الثانية من الرقيق مؤلفة من الاحرار الذين وصلوا اليها من بيع الالتزامات والارقاء الذين نشؤا فيها ثم ضاع ما كان عند الاحرار من الشوكة الصغيرة التى كانت باقية عندهم من وجه آخر وهو أن القانون الطوطونيقى القديم الذى كان مانحا لكل رجل حر الحق فى التوجه الى مجلس الامة ما أمكن اتباعه تماما عندما استحوذ الافرنك أو أى أمة أخرى على ممالك شاسعة وصار جميع الناس لا يمكنهم الحضور بانفسهم الى مجلس الامة ولحد القرن الثانى عشر أو الثالث عشر ما كان عند أى واحد فكرة فى انتخاب عدد من الناس يتكلمون ويفعلون ما فيه المنفعة بالنيابة عن العموم كما هو موجود الآن فى مجلس شورى انكلتره وفى كثير من ممالك أوروبا وأمريقه ومن اجتماع هذه الاسباب نتج حالتان الاولى أنه فى معظم أقسام أوروبا انقرضت مجالس الامة القديمة بالكلية أو يحضرها كبار العالم الذين يمكنهم الحضور بأنفسهم فقط والثانية انه صار لكل اقليم مجلس خاص يتشكل لصالحها وكان القسم الاعظم من الامم فى القرون الوسطى تحت الرق لكن ليسوا عبيدا حقيقيين بل كان كل منهم مرتبطا بالارض ينتقل معها من مالك الى آخر وكانت أحوالهم أحسن نوعا من حالة العبيد فكانوا تحت رحمة أسيادهم أرباب الالتزامات ومع أن الملتزم كان هو الحاكم القانونى فى جهته فما كان رجاله يعرضون فى حقه أدنى مظلمة وقعت عليهم منه ومن ثم كانوا غارقين فى الجهل وما كان عندهم أدنى سعى فيما يعود عليهم بالفوز والفلاح بسبب أنه كان يمكن ملتزمهم أخذ أملاكهم فى أى وقت

وأما نفس الملتزمين فكانوا مطمئنين فى معاقلهم وكل واحد منهم كان يلقب بالطاغية فكانت الطغاة يستعملون صولتهم فى غنية أنفسهم على طرف مصاريف عبيدهم الذين لا مساعد لهم
وكان يوجد أذى آخر ناشئ من هذه الالتزامات وهو عدم تقدم الملة وجودة الحكم وكانت الحالة مجرد اجتماع شوكات ممتازة تحت رياسة الملك أو الامبراطور الذى يمكنه تقوية القوانين المختصة بالطاعة الواجبة على عبيده بواسطة تهييجه حربا عليهم وكان الملك يشترك مع الامراء الكبار فى بعض المواد وما كانت طاعة صغار العبيد واجبة عليهم للملك فقط بل أنه نائب الجهة بل تجب عليهم للاسياد الملتزمين أيضا فمن ثم كانت نتيجة هذه الطريقة انقراض القوانين السياسية حتى صارت الثلاثة قرون التى أعقبت موت شرلمانيه فى غاية الجهل وعمت المصيبة أنحاء أوروبا
وكان كلما ازدادت الشوكة فى الممالك المختلفة من أوروبا تضعف شوكة الاشراف وابتدأ مذهب الالتزام فى الانعدام وحل محله الحالة الحديثة فكان الملوك أول من أدرك فكر الحالة العظيمة للامة الواحدة وجمعوا فى أيديهم على التدريج كامل الشوكة واستعملوها فيما يعود منه الصالح على المملكة وجلبوا المساعدتهم رجال الامة وقاموا على الاشراف وتقوت قوانينهم فى عموم ممالكهم وانتظمت القوانين فى حدود معلومة وظهرت من منبع عام وحلت محل ما كان للاشراف من الاغراض والاعمال
وفى هذا الوقت كان للمدائن نصيب من درجة التقدم فى دمار مذهب الالتزام فكانت كلما أخذت فى التقدم سعت لنفسها فى امتيازات رفيعة وطلبها دوام حريتها فمن ثم جذبت اليها الكثير من سكانها وصارت فى وقت من الاوقات معاقل الحرية ضد الاشراف ومراضع أيضا لحرية العوام من سكان أوروبا والعساكر الحقيقية للحرية وبها تدمر مذهب الالتزام وما يتبعه من الاذى وبعد شوكة الملوك اكتسبت أوروبا أجود طريقة فى الحكومات وصار للسلطنة حدود معلومة معروفة
وكذا تولد من مساعى الكنيسة من أجل الحصول على ارتقاء شوكتها كسر مذهب الالتزام ووجه خدمة الدين أنفسهم نحو الملك ضد للاشراف وكانوا حماة الضعيف والفقير من مخاليب الكبار وأرباب الصولة وبما كانوا عليه من شدة تعصبهم للديانة وجودة سياستهم صاروا فى حالة مقبولة عند العموم فكانت أراضيهم خالية من الكدر ودار أمن للظلومين ممن كان له شوكة وأجهد القسس أنفسهم مع الشرف فى صد صولة الاشراف وفى سنة ١٠٣٣ بعد الميلاد صار لخدمة الدين الفرنساوية قدرة على وضع حد مخصوص لمنع الحروب الخصوصية التى كانت سببا فى ضرر أوروبا وأصدروا الوائح مضمونها أنه لا يجوز اعداد اغارة أو اجراء استعدادات حربية أو الدخول فى أى حرب فيما بين غروب شمس يوم الاربعاء الى شروق شمس يوم الاثنين من كل أسبوع أو فى أى موسم مقدس يقع فى الاخرى وتقوت هذه اللوائح بشوكة الكنيسة الكاثوليكية فى كافة أقطار أوروبا وأخبر القسس باقتراب أجل الدنيا فتولد من ذلك انقياد جميع الطوائف الى نصائح القسس والله أعلم وبغيبه أحكم

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من ابتداء معاهدة فردون الى جلوس بيت حوحنسطفون ﴾

سلطنة لويز الجرمانى — حروبه مع النورمانيين — تغلب النورمانيين على همبورغ — تشييد أسقفية بريمن — صيرورة شارلس السمين امبراطورا — ممالكه — صيرورة ارنولف ملك جرمانيا —

صيرورته سيدا ايطاليا وتتويجه امبراطورا ـ لويز الصغير ـ خراب جرمانيا بالهنكاريين ـ صيرورة هنرى الصياد ملك جرمانيا ـ شراؤه الصلح مع الهنكاريين ـ تجديد الحرب ـ هزيمة هنرى الهنكاريين ـ تغلبه على الونديين ـ ترتيبه الجيش الجرمانى وانتظامه ـ تحصينه المدائن ـ سرعة تقدم المدائن فى العمران والاهمية ـ صيرورة أوطو الاول ملكا ـ جلوسه على التخت ـ عصيان البرنس هنرى ـ حروب أوطو ـ ماركة شلسويغ ـ انتشار الديانة المسيحية فى شمال جرمانيا ـ زواج أوطو بالملكة ادليده ملكة لومباردى ـ تغلب أوطو على لومباردى ـ تدميره شوكة الهنكاريين ـ تتويج أوطو امبراطورا ـ المملكة المقدسة الرومانية ـ صيرورة أوطو الثانى امبراطورا ـ اخماده ثورة عبيده ـ أوطو الثالث ـ صفته ـ توظيفه غربيرت بابا ـ صيرورة هنرى صاحب باقاريه ملكا ـ جلوس كونراد صاحب فرنكونيا على التخت من بعده ـ سلطنة كونراد القوية ـ حروبه ـ جعله اقطاعات المملكة وراثية ـ هنرى الثالث ـ صيرورة هنرى الرابع ملكا ـ اختلال النيابة ـ بلوغ هنرى الرشد ـ مضايقته الصكصونيين ـ ثورة الصكصونيين ـ اخمادها ـ مشاحنة هنرى مع جريجورى السابع ـ مبدأ حرب تولية الوظائف الديانية ـ وضع الحجر الكنائسى على هنرى ـ مصائبه ـ توجه هنرى الى كانوصة ـ ذله بواسطة البابا ـ صيرورة رودلف صاحب صوابيه امبراطورا عدوانيا ـ توظيف هنرى بابا اسمه الدجال أو مختلس البابوية ـ تتويجه امبراطورا ـ موت جريجورى و رودلف ـ عصيان البرنس هنرى ـ موت هنرى الرابع ـ تتويج هنرى الخامس امبراطورا

سلطنة لويز الجرمانى

كانت السنون الاولى من سلطنة لويز الجرمانى * كان يلقب بهذا اللقب بسبب أنه خصه بمملكة جرمانيا على حسب شروط معاهدة فردون * مرتبكة بالاختلالات العديدة الحاصلة من النورمانيين وهم جنس من السكندناقيين من لصوص البحور كانوا شرعوا فى وقوع المصائب الشديدة باغاراتهم على السواحل الاوروباوية غير أن شهرة شرلمانيه منعتهم من ايقاع التلف على ممالكه ومن بعد موته تقووا وأغاروا على النقط الاكثر عرضة من السواحل وأقلعوا فى الانهر القابلة للملاحة وخربوا المملكة ونهبوا مدائنها التى على الشواطئ فأجهد لويز نفسه مع النشاط فى حماية مملكته من غاراتهم الا أنه ما كان له قدرة على صدهم بسبب وقوع الاذى الكبير فى المملكة وفى سنة ٨٤٧ بعد الميلاد أغاروا على همبورغ ودمروها تقريبا فهرب الاسقف الى بريمن فمن ثم صارت بريمن مركز أسقفية جرمانيا الشمالية وكان لويز مشتغلا أيضا بالحروب مع السلافيين ثم اشتبك فى حروب مع شارلس الاصلع وكان شارلس المذكور مجتهدا فى توسيع ممالكه ومات لويز بغتة فى سنة ٨٧٦ بعد الميلاد فى مدينة فرنكفورت

سلطنة شارلس السمين

ثم استخلف من بعد لويز أولاده شارلس الملقب بالسمين وكارلومان ولويز فمات كارلومان ولويز وتركا شارلس السمين ملك جرمانيا بمفرده ومن بعد قليل صار ملك ايطاليا وتتوج امبراطورا بمعرفة البابا فى سنة ٨٨٤ بعد الميلاد ثم صار انتخابه أيضا ملك افرنكه الغربية وانضمت مملكة شرلمانيه بعضها تحت يد شارلس السمين ما عدا مملكة بورغندى وكان شارلس فى ارتباك كبير أيضا مع النورمانيين وكانوا صبوا غاراتهم على داخل ممالكه خصوصا داخل فرانسا وفى سنة ٨٨٥ بعد الميلاد وضعوا الحصار على باريس فقاومهم أهلها مع البسالة وبدل أن يسير الامبراطور لخلاص باريس

ضعفت

ضعفت حركته حتى رشاهم من أجل الانسحاب فكان ذلك سببا فى تقوية أعمالهم والعود ثانيا للغارة
وتولد من سفاهة شارلس غضب رعيته عليه فخلعوه فى سنة ٨٨٧ بعد الميلاد ومات فى السنة التالية
وبموت شارلس تمزقت المملكة الكارولنغيانية وما عادا جتماعها مرة أخرى وكذا انفصلت ايطاليا
وبورغندى من جرمانيا مدة من الزمن وكان ملك جرمانيا ما زال يلقب بلقب ملك افرنكة الشرقية
ومما يجب علينا التنبيه عليه أن فرنسيه الشرقية أو فرنكونيه كانت فى هذه المدة قسما منفردا على
حدتها وان كانت القسم الاعظم من جرمانيا وكانت مشتملة على حيضان نهر الرين ونهر نيكار ونهر
اللان وكانت صكصونيه وطورنغيه واقعتين فى شمالها وألمانيا واقعة فى جنوبها مع جنوبها
الشرقى وشاغلة صوابيه وباقاريه

سلطنة أرنولف

وجاء من بعد شارلس السمين فى جرمانيا أرنولف الابن الغير الشرعى لاخيه كرلومان وكان أرنولف
ملكا شجاعا ذا همة فانه بمجرد جلوسه على التخت أوقع هزيمة حاطمة على النورمانيين فى لوين فى سنة
٨٩١ بعد الميلاد حتى صار لا يحصل منهم الاارتيابا كانت نادرة فى جرمانيا وفى سنة ٨٩٤ بعد الميلاد
دخل ارنولف ايطاليا من أجل فصل مشاحنة كانت واقعة بين متداعين فى التاج الايطاليانى فجعل
نفسه سيدا عليها وتغلب على رومة وتتوج امبراطورا بمعرفة البابا وكانت صولته فى ايطاليا مجرد اسم
وعاد على الفور الى جرمانيا ومات فيها فى سنة ٨٩٩ بعد الميلاد

سلطنة لويز الصغير

ثم جلس من بعد أرنولف ابنه لويز الصغير فكانت مدة سلطنته القصيرة مشحونة بالمصائب وذلك أن
المجر أو الهنكاريين (جنس طورنيانى) الذين شرعوا فى التوطن بالمملكة التى كانت مسكونة سابقا
بالافاريين والذين كانوا امساعدين أرنولف فى حروبه مع المورافيانيين أغاروا على جرمانيا من بعد
موت ذلك الملك وصاروا كل سنة يرجعون اليها فى مدة سلطنة لويز وكان جيشه مؤلفا من كتائب من
الخيالة وحيث ان الجرمانيين كانوا يحاربون وهم على الاقدام فكان الهنكاريون منصورين فى كل
واقعة ومن حيث ان جرمانيا كانت مملكة مكشوفة خالية من الحصون فما كان للامة من ملاجئ
يلتجئون اليها فذبح المجر منهم الجم الغفير وأخذوا آخرين أسرى الى هنكاريا وكان لويز غير قادر على
مقاومة هؤلاء الاعداء الذين أخربوا المملكة وصيروها بلقعا ثم لما مات لويز فى سنة ٩١١ بعد الميلاد

سلطنة كونراد

اجتمع رؤساء أشراف جرمانيا ووضعوا التاج على الكونراد صاحب فرنكونيه وكان كونراد كامل
الصفات أهلا لحكومة أمة كبيرة الا انه كان فى مدة سلطنته مشغولا بالحروب مع كبار عبيده بما
أنهم كانوا لا يرغبون وعلى الخصوص هنرى دوق صكصونيا فى اجتهاده فى زيادة شوكة السلطنة وفى سنة
٩١٨ بعد الميلاد بينما كان كونراد فى حرب مع الباقاريانيين اذ أصابه جرح مهلك مات منه وقبل موته
أشار على أشراف الجرمانيين بانهم يقدمون التاج الى عدوه القديم هنرى صاحب صكصونيه لانه ما رأى
فى الموجودين من يكون أهلا لهذا التاج مثله ثم ان الاشراف على حسب مرغوب كونراد انتخبوا هنرى

سلطنة هنرى الصياد

ملك جرمانيا وكان يلقب بالصياد لما روى انه لما توجه المبعوثون الذين جاؤا اليه باخبار انتخابه
ملكا وجدوه يصطاد فيما بين جبال الهرز ومعه صقوره ونسوره وحصلت المعارضة فى جلوسه فى
الابتداء من دوقى باقاريه وصوابيه وبعد مدة قليلة أذعن هذان الدوقان وأقر الجميع بملوكيته
وكان هنرى أعظم مدبر وأكبر ملك حكم فى جرمانيا من عهد أيام شرلمانيه ومن بعد جلوسه بقليل
تجددت غارات الهنكاريين على جرمانيا وفى سنة ٩٢٤ بعد الميلاد وقع واحد من أكابر رؤسائهم فى

يدى هنرى فاتفق الهنكاريون من أجل خلاص هذا المحبوس على توقيف حروبهم تسع سنين على شرط أن يدفع لهم هنرى خراجا ولما انتهت هذه المدة جدد الهنكاريون الحرب ثانيا على جرمانيا وكان هنرى صرف هذه المدة فى الاستعداد اللازم للتقاهم فأوقع بهم شر هزيمة حتى انهم من بعدها لم يقدروا على شن غارة على جرمانيا فى مدة سلطنته فمنح الجرمانيون على ملكهم الممنونين منه لما ناله من النصر العظيم لقب (أبو أرض الوطن)

وفى أثناء المدة تغلب هنرى على (لوطرنغيه) وكانت قسما من المملكة الغربية وأعطاها الدوق صارت تحت يده بصفة أقطاع للحكومة الجرمانية فمن ثم بقيت (لوطرنغيه) عدة قرون قطعة من مملكة جرمانيا وأشعل هنرى أيضا عدة حروب على العبيد وأرغم دوق بوهيميه أن يكون عبدا له وتغلب على الونديين وكانت مملكتهم واقعة فى الجهة الشمالية الشرقية من جرمانيا ومن بعد أن انتصر هنرى على الهنكاريين وجه جيوشه على الدانيين (وهم سكان دانيمارقه الآن) وكانوا أغاروا على صكصونيه وفريسلنده وطردهم الى بلادهم وأخذ منهم الاقليم الموجود بين نهر الارد ونهر الشيلى وصار هذا الاقليم معروفا فى الازمان الاخيرة باسم دوقية (هولصطين)

وكان هنرى حاكما مدبرا كما أنه كان شجاعا حاميا لمملكته فانه أدخل فى الجيوش الجرمانية قانون النظام وعلم الاشراف طرق المحاربات على الخيول حتى صيرهم فى حالة يقابلون بها الجرم مع الكفاءة على هزيمتهم ومراعاة أهمية المدائن بانها مواقع مدافعة وملاجئ رعيته من اغارة أى عدو مثل الهنكاريين حصن المدائن التى كانت موجودة من قبل باسوار استحكامات متينة وابتنى مدائن جديدة وجعلها حصونا للمدافعة وملاجئ للعصابة وأمر بانشاء قلاع فى النقط المهمة وأرغم الملك بان كل رجل حر تاسع ثمانية يسكن بالقرب من القلعة أو المدينة بصفة محافظ أو بناء ويساعد الثمانية رجال الحرين الباقين ويجعلون فى هذه القلاع مخازن مدخرة مما يخصصونه لها من ثلث ايرادهم سنويا وأصدر هنرى منشورا بعقد كافة المجالس العمومية واقامة شعائر المواسم فى داخل المدائن وأن تكون المدائن مقر الدواوين العدل وبالاختصار فان هذا الملك اجتهد فى تقدم المدائن واستمر تأثير اجتهاده مدة طويلة من بعد موته ومن ثم صار هنرى مؤسسا لطائفة جديدة سميت (بأولاد البلد) بين الامم الجرمانية وكانت المدائن بالطبع مراكز للتجارة وأولاد البلد هم التجار والاعداء للاشراف المجردين عن القانون ومن ذلك كان أولاد البلد أثبت الناس وأصدقهم للملك فى حالة وقوع المشاحنات بينه وبين الاشراف فنالوا من هنرى الصياد أعظم الالتفات ولما بدد هنرى كافة أعدائه افتكر فى كيفية ذهابه الى رومة ليطلب التاج الامبراطورى لكن موته الذى حصل فى سنة ٩٣٦ بعد الميلاد منعه من ذلك

سلطنة أوطو الاول

ثم ان أوطو الاول خلف أباه على التخت وكان عمره أربعا وعشرين سنة وكان متزوجا من سنين مضت (باديث) بنت (ادوارد) ملك الانكليز وكانت حفيدة ألفريد الاكبر وكان هنرى أضاف عدة اضافات كثيرة الى الشوكة الملوكية حتى ان الدوقات الكبار أخذوا فى مبادى هذه السلطنة وظائف دنيئة داخل البيت الملوكى فى جرمانيا حال احتفال تتويج أوطو وذلك أنه صار توظيف دوق لوطرنغيه حاجب الحجاب ودوق فرنكونيه سلحدار ودوق صوابيه كبير السقاة ودوق بافاريه رئيس اسطبلات الخيول ومن بعد مضى قليل عصى تانكمار أخو الملك من أحد والديه متساعدا بالدوق فرنكونيه ولوطرنغيه وقتل تانكمار فى مبادى النزاع وحل محله هنرى شقيق الملك المتشوق للبس التاج فكانت

محاربات أوطو مع الجسارة التامة محافظة على تاجه وأخيرا نجح أوطو فى هشم الثورة وقتل كلا من الدوقين العاصيين وأما هنرى فانه من بعد أن عفا الملك عنه أذعن وسلم وفى سنة ٩٤٥ بعد الميلاد دخلت دوقية باقاريه من دوق نيها فأقطعها الملك على هنرى وكفر هنرى عن سيئاته السابقة باغارته مع الشجاعة على الهنكاريين وأحسن أوطو بدوقية لوطرنغيه على الكونت كونراد الذى تزوج من بعد ذلك (بلوطغرد) بنت الملك الوحيدة وحفظ الملك دوقية فرنكونيه تحت يده ولما مات دوق حرمان صاحب صوابيه فى سنة ٩٤٩ بعد الميلاد أنعم أوطو بهذه الدوقية على ابنه لودولف الذى تزوج ابنة الدوق حرمان ومن ثم انتقلت كافة الدوقيات الكبيرة الى الملك بعضها لنفسه وبعضها العائلته وبذا صار فى شوكة كبيرة زيادة عما كان لاجداده ومع ما فيه فانه ما كان راضيا بأن يكون ملكا بالاسم فقط بل بلغ الدرجة القصوى حتى أرغم عبيده على أداء واجب الاحترامات اللازمة له

وكان أوطو قوى الشوكة فى ممالكه شديد البأس فساعد به الملك لويز صاحب فرانسا على دوقات فرنسا ونورمندى وكان الدانيون استحوذوا مرة ثانية على الاراضى التى كان أخذها منهم هنرى الاول فطردهم أوطو منها الى الجهة الشمالية واحتل أوطو هذه الاراضى التى كانت واقعة بين نهر الادر ونهر الشيلى وشيد ماركة سيلسويغ لاجل حماية حدود جرمانيا فى تلك الجهة وأرغم دوق بولندة على أن يكون عبدا للملكة الجرمانية كما أرغم ملك الدانيين هيرولد صاحب السنة الزرقاء واستمرت هاتان المملكتان فى القرنين القابلين مرعيتين كاقطاعات من الحكومة الجرمانية وحارب نواب أوطو محاربات طويلة مع السلافيين وتغلبوا على الكثير من أرضهم وبلادهم حتى تقدم الحد الجرمانى فى طول سواحل بحر بلطق وفيما بين نهر الالبى الاوسط ونهر الاودر واهتم الملك بعمارة جميع هذه الاراضى التى فتحت وغرس فيها قبائل ومستعمرات جرمانية تابعة له وبذل جهده فى نشر الديانة المسيحية فيما بين القبائل الوثنية وأرغمهم على الدخول فيها وأسس الكثير من الاسقفيات من ضمنها أسقفية (مجدبورغ) فى سنة ٩٦٨ بعد الميلاد

وفى سنة ٩٥١ بعد الميلاد وجه أوطو التفاته بغتة الى جهة أخرى وذلك أن ادليد ملكة لومباردى حصل لها جور زائد من برنغير الثانى بسبب رفضها طلبه أن تتزوج بابنه فاستغاثت باوطو من أجل حمايتها فتوجه هذا الملك الجرمانى لمساعدتها ولما كان أوطو عازبا من مدة ست سنوات مضت تزوج بها وهزم برنغير وتلقب بملك اللومبارديين لكنه سمح لبرنغير فى بقاء لومباردى بصفة عبد له

ومن بعد هذه بقليل انفجرت ثورة جديدة تحت رياسة ابن أوطو المسمى لودولف صاحب صوابيه وانضم اليه كونراد صاحب لوطرنغيه وأسقف ميانسه وغيرهما فكلفت هذه الثورة أوطو حربا كبيرا فى اخمادها ونجح فى اطفائها وأعطى أوطو دوقية لوطرنغيه الى أخيه برونو وجعله أسقف كلونيه ودوقية صوابية الى (بوركارد) زوج بنت هنرى صاحب باقاريه ولما صار غيليوم الابن الاكبر لاوطو قسيسا جعله أسقف ميانسه

ثم كانت هذه الارتباكات الواقعة فى جرمانيا سببا لتقوية الهنكاريين على السعى مرة ثانية فى الاغارة على جرمانيا فدخلوا باقاريه فى قوة كبيرة فى سنة ٩٥٥ بعد الميلاد فسار اليهم أوطو وأوقع بهم هزيمة حاطمة بالقرب من مدينة (أوغسبورغ) فكسرت هذه النصرة ظهرهم حتى ما عادوا للغارة مرة

ثانيــة على جرمانيا الا أنها كانت نصرة غالية الثمن على أوطو لان الفارس كونراد أشجع قواد الجرمانيين وجد قتيلا فى ميدان المعركة وكان رغب أن يكفر عن نفسه سيا ت ماوقع منه فيمامضى وصارت ماولث هنكاريه خاضعة بالاسم لملوك جرمانيا لحد القرن الثالث عشر

ثم أخذت القلاقل تزداد فى ايطاليا مع تعاقب السنين فى مدة سلطنة برنغــير حتى ان البابا يوحنا الثانى عشر حض الملك أوطو على اخماد هــذه الارتباكات وتقلده زمام الحكومة الامبراطورية فتوجه أوطو الى ايطاليا فى نحو غلاق ســنة ٩٦١ بعــد الميلاد من بعــد أن وطد ملوس ابنه الاصغر أوطو وتتوج ملك جرمانيا فى عكس الكنيسة وأمر بتتويج نفســه ملك لومباردى فى مدينـة باويه وتتوج امبراطورا بمعرفة البابا فى رومة فى ٢ فبراير ســنة ٩٦٢ بعد الميلاد وما كان ملوك جرمانيه الثلاثة الذين سلفوا ملوك لومباردى ولا امبراطورات فمن ابتداء هذا الوقت صار الملوك الجرمانيون يدعون أن كلا من التاج اللومباردى والتاج الامبراطورى من حقهــم وبما أن الامبراطور كان مرعيا بأنه محتــل الموقع الاعلى ومستحق لكمال الطاعة زيادة عن مالـذى أقطاع صار للملوك الجرمانيــة درجة عاليــة فى شرف رتبة امبراطوريتهم زيادة عن شرفهم الملوكى فمن ثم كان احياء المملكة المقدسة الرومانيــة الذى كان شاغلا أفكار أمة ذلك الوقت فتولد من الحاق المملكة الجرمانيــة بالمملكة الرومانية نتائج جليــلة فى جرمانيا وذلك أنه كان يوجد لحد زمن أوطو قليــل من الاحساس الحقيقى بين الامة الجرمانية فكانت تفتكر فى نفسها مثل أفكار الفرنك والصكصونيين والصوابيين وغيرهم الصعوبة الكلية فى أن يكونوا أمة واحدة ولما تيسر الحصول لملوكهم على الاستحواذ على حق تتويجهم امبراطورات رومانية جعلوا أنفسهم أنهم هم الجنس الملوكى وأخذوا من بعد ذلك فى العظمة بواسطة هذا الاسم الجرمانى ومن ثم قام فى عقول هذه الامة احساس لم تخل عنه حتى فى مدة ظلمات عصورهم ومع مافيه فان جرمانيا ما كانت حالتها عظيمة فى مدة اتحادها مع المملكة لان ملوك جرمانيا لما صاروا امبراطورات اشتبكوا فى حروب ما كان لممالكهم الوطنيــة طاقة على أدائها وصرفوا فيها الكثير من الدماء والاموال الجرمانية وخسروا كامل شوكتهــم الاصلية وفى حالة غيابهم عن المملكة بضع سنين فى حروب بعيــدة كان عبيدهم يستقلون بالاحكام ولا يراعون حقوق الملوكية وان عادوا اجتهدوا فى تأييد شوكتهم كملوك ذوى أقطاع فيجدون فى أنفسهم أنهم خسروا قواهم ولا يقــدرون على فعل شئ مع ماعليــه عبيــدهم من الشوكة فمن ثم حرمت جرمانيا من التقدم وصارت مثــل فرانسا وانكلترا محصورة فى سلطنة ثابتة ثم آل أمرها الى أن انقسمت الى عدة امارات صغيرة مستقلة بالفعل

وصرف أوطو الاكبر آخر سنى حياته جميعها فى ايطاليا وفى سنة ٩٦٧ بعد الميــلاد أمر بتتويج ابنه أوطو الثانى امبراطورا وأشركه معه فى الحكومة وفى ســنة ٩٧٢ تزوج الشاب أوطو بالامــيرة (طيوفانو) ابنة امــبراطور الشرق (نيسفوروس) ثم عاد أوطو الاول الى جرمانيا فمات فيها فى ســنة ٩٧٣ بعد الميلاد

سلطنة أوطو الثانى

وصار أوطو الثانى امبراطورا بمفرده وكان عمره تسع عشرة ســنة وحيث كان عنده الكثير من صفات أبيه عهد على نفسه أن يكون سلطانا عديم المثيل فعجل به الموت وختم على هــذا الوعــد الغيبى وبمجرد دخول أوطو الثانى فى سلطنته عصى عليــه (هنرى الورنغلير) دوق باقاريه وابن هنرى الذى حصل منه لاوطو الاول كثير من الارتباكات فاخمــدت الثورة مع السهولة وجرد هنرى من دوقيتــه وسجن

واجتهد هرولد ملك دانيمارقه فى نكث طاعته وسار على منوالهدوق پولنده فارغم أوطو كلا من الاثنين على الخضوع له وفى سنة ٩٧٨ بعد الميلاد اجتهد ملك الفرنساويه فى التغلب على (لوثارنغيه) وكان أوطو فى هذا الوقت فى مدينة عكس الكنيسة فهرب منها وتغلب لوثار ملك الفرنساويه عليها وأغار أوطو على فرانسا فى رأس جيش كثيف وعسكر جيشه على جبل (مارطرى) تجاه مدينة باريس ولما حل فصل الشتاء التزم على الرجعة ثانيا الى مملكته من دون أن يتغلب على المدينة وفى آخر الامر تنازل لوثار عن طلباته فى لوثارنغيه وانفصلت المادة على هذا وكان أوطو يميل كثيرا للايطاليانيين زيادة عن ميله للجرمانيين فتوجه فى سنة ٩٨٠ بعد الميلاد الى رومة وما عاد من بعدها الى وطنه واجتهد فى تغلبه على ايطاليا الجنوبية لكنه خاب كاد كرناو مات فى سنة ٩٨٢ بعد الميلاد ثم صارت الامبراطوره طيوفانو نائبة عن ابنها الطفل أوطو الثالث الذى انتخب خليفة أبيه فى مجلس عقد فى مدينة فيرونه قبل موت أبيه فلما خلص هنرى من سجنه أقام ثورة الا أن الاشراف استمروا على خضوعهم للملك الصغير وأخيرا خضع هنرى بكل سرور حينما رخص له ببقاء دوقيته وفى مدة ادارة طيوفانو صارت المحافظة على ثغور المملكة ماعدا الجهة الشمالية وكانت نيابة طيوفانو شديدة البأس محبوبة عند الامة وأنعمت بمباركة أوستريا على ليوپولد الاول من بيت (بابنبرغ) فوسع هذا الامير أرضه بكونه تغلب على الكثير من أراضى هنكاريا وأسكنها مستعمرات جرمانيه واستمرت العائلة (البابنبرغية) حاكمة فى اوستريا حتى انقرضت فى القرن الثالث عشر

وتهذب أوطو الثالث تحت أيدى أساتذة انتخبتهم له أمه فكان أشهرهم غيربرت أسقف رهيم كان أعلم أهل عصره وظهر على الملك الشاب فى مدة تهذيبه تحت أستاذية هذا الحبر درجات النجابة حتى لقبه حواشيه (أعجوبة الدنيا) وفى سنة ٩٩٦ بعد الميلاد توجه أوطو مع أن سنه كان ست عشرة سنة فى هذا الوقت الى رومة بجيش كثيف وتتوج امبراطورا بمعرفة البابا ومن بعد مضى مدة قليلة مات البابا الذى كان متوليا فعين أوطو أستاذه غيربرت بابا بلقب (سيلفيستر الثانى) وكان أوطو جرمانيا بالاسم فقط الا أن طباعه وذوقه كان ايطاليا وتخيل له فى منامه أنه أحيا المجد القديم للمملكة الرومانية وجعل عاصمة مملكته رومة ففاجأه الموت بغتة من سم دبرته له اصطفانه أرملة (كريسنطيوس) فى سنة ١٠٠٢ بعد الميلاد وكان الجرمانيون عاملوها بأقطع المعاملات ودفن على حسب رغبته فى قبر شرلمانيه فى مدينة عكس الكنيسة ولما فتح القبر وجد جسم الامبراطور الكبير لابسا الثياب الملوكية وجالسا على تخته المرمر

سلطنة اوطو الثالث ونيابة أمه طيوفانو

ثم صار هنرى دوق باڤاريه ابن هنرى (الورنغلير) ملكا من بعد موت أوطو الثالث فى سنة ١٠٠٣ بعد الميلاد وكان الاشراف حازوا لانفسهم الدرجة العظيمة من الاستقلال ثم من ثم شق على هنرى الثانى عدم اقرارهم على ملوكيته لكن أخيرا أقروا جميعا على ملوكيته وخلع (بولسلو كروبرى) دوق پولنده طاعته للملك جرمانيا وتغلب على بوهيميه وسيليزيه فاستمر الحرب مدة ١٤ سنة بين هنرى وعبده دوق پولنده وأخيرا تنازل بولسلو عن بوهيمية وميسن وأدى واجبات الاحترام لهنرى غير أنه كان فى الحقيقة مستقلا ومن بعد موت هنرى أعلن لنفسه بأن يكون ملك پولنده وفى سنة ١٠٠٤ بعد الميلاد صار هنرى ملك ايطاليا وفى سنة ١٠١٤ بعد الميلاد تتوج امبراطورا وكان أخا صادقا للكنيسة حتى قدس البابا اسمه بعد ذلك ومات هنرى فى سنة ١٠٢٤ بعد الميلاد وفى أثناء سلطنته

سلطنة هنرى الثانى

تغير لقب ملك الجرمانيين (الذى كان ملك الافرنك الشرقيـة أو ملك الافرنك والصكسونيين) الى ملك الرومانيين وكان ملوك الجرمانيين لايصيرون امبراطورات الابتتويجهم بمعرفة البابا لكن رغب هنرى فى اللقب الجديد ليجعل ملك جرمانيـه هو الذى له الحق فى التاج الملوكى فقط وفى هذا الوقت أيضا تغيرت حالة جرمانيا بواسطة سرعة تقدم المدائن التى شيدت خصوصا حول الكنائس الكبيرة والديورة والقلاع وقصور الاشراف

انتخاب الكونت كونراد ملكا

وبمجرد موت هنرى الثانى انتخب الاشراف الكونت كونراد شريف فرنكونيا فى ملكا وكان متناسلا من كونراد الذى كان متزوجا بابنة أوطو الاول فمن ثم كان من العائلة الصكسونية وكان عمره أربعين سنة وقت انتخابه فكان ملكا مدبرا وحاكما ذا شوكة وبمجرد جلوسه اجتهد فى زيادة الشوكة الملوكية بخفض شوكة الدوقات فكان على نجاح من مشروعه وجعل ابنـه هنرى الذى وعد بان له الطاقة على تنفيذ مرغوبات أبيه دوقا على كل من باقاريه وصوابيه وكرنطيه فمن ثم جلب كونراد هـذه الدوقيات القوية الشوكة لمعاضدة التاج وكان كونراد أيضا أخا صادقا لطائفة أولاد البلد ونال من جوده وكرمه للمدائن مساعدة أهلها الذين رأوا أنه حاميهم من الاشراف وفى سنة ١٠٢٦ بعد الميلاد تتوج كونراد ملك ايطاليا وتتوج امبراطورا فى السنة التالية وفى سنة ١٠٣٢ بعد الميلاد تتوج ملك بورغنـدى وكان تاج هـذه المملكة تقدم اليه كهبة من رودلف الثالث وكانت غسيلا بنت أخيه زوجة كونراد ومن ثم صار تاج بورغنـدى من بعد موت كونراد من الحقوق الشرعيـة لملوك جرمانيا غير أنه بسبب ما كان عليـه الملوك المتأخرة الجرمانية من الضعف ابتلعت فرانسا القسم الاعظم من المملكة ثم ان الدوق (ارنسط) صاحب صوابية وكان ابن غسيلا من زوجها الاول ظن فى نفسـه أنه هو الوارث الشرعى لبورغندى فلما جعل رودلف كونراد الوارث له افتكر ارنسط أن الملك غلطان فسـعى فى قيام ثورة فرفض الاشراف اتباعه وسجنه كونراد ولكنه بعد ذلك أخلى سبيله وكانت سلطنة كونراد مشهورة بعدة حروب منها أنه أخمد الثورة الحاصلة من دوق بوهيمية وهشم اغارة البولنديين على جرمانيا وأرغم ملكهم (ميسكو) على أداء واجبات الاحترامات له وتنازله عن دوقية (لوساطيه) وكان هنرى الثانى أنعم بها على (بولسلو) وأخضع كونراد أيضا قبائل السلاف الموجودين على شواطئ نهر أودر وأسـفل نهر الالبى وكان الملك اصطفان صاحب هنكاريا عازم على الاغارة على جرمانيا فهزمه هنرى بن كونراد فى سـنة ١٠٣١ بعد الميلاد وأرغمه على عقد صلح وفى سنة ١٠٣٧ بعد الميلاد أصـدر منشورا يقضى بأن أرباب الالتزامات لايلزم أن تؤخذ أراضيهم منهم الا اذا حصـل بها كتمهم بواسـطة كبرائهم فمن ثم صارت كافة الالتزامات وراثية وكان هذا المنشور واسطة فى تقوية أصاغر العبيـد ووقع فيهـم احساس أن يكونوا فى أعظـم الانقياد للملك زيادة عن رؤسائهـم الحاليـة وفى سنة ١٠٣٩ بعد الميلاد مات كونراد ودفن فى مدينة صبيرى

سلطنة هنرى الثالث

وكان هنرى الثالث بن كونراد تتوج ملك جرمانيا وملك بورغنـدى فى حياة أبيه وكان فيه كثير من خصال أبيه الجيـدة فسلك أسـاليب سياسة أبيه فى الكبس على نفوذ الاشراف والبرنسـات الكبيرة والعبيد الصـغيرة وصار أقوى ملك حكم جرمانيا من عهد شرلمانيه ومنح بدوقيات باقاريه وصوابيه وكرنطيه التى كان أخذها من أبيه على برنسات يثق بهم لانهم من رجاله ولما خلت دوقية (لوطرنغيه) العليا من دوقها أعطاها هنرى أيضا لواحد ممن له الصـداقة فيهم فوقعت المعارضة من (غوطفريد)

دوق لوطرنغية السفلى فى هذه المادة فغلبه هنرى وألزمه الرجوع الى ايطاليا وما كان هنرى مستعملا شوكته العظيمة فى أغراض نفسية وفى سنة ١٠٤٣ أعلن أمنا عاما فى أنحاء المملكة ونجح فى اطفاء جميع حروب الاشراف الخصوصية وقوى على التعليم وأصلح المفاسد الموجودة فى الكنيسة واجتهد فى أن يجعلها أهلا لشغلها الجليل وعامل البابا معاملة أحد أتباعه وعزل الكثير من البابات الذين لم ير فيهم الموافقة لمراكزهم المقدسة واستبدلهم بآخرين ورفع شأن الجرمانيين لاغيرهم الى التخت البابوى ولو طالت حياته لأمكنه من دون ريب تأييد الاعمال التى يستحيل بها على البابات أن تسلك المسلك الذى سلكه جريجورى السابع فى حق هنرى الرابع وصار تتويج هنرى امبراطورا فى سنة ١٠٤٦ بعد الميلاد بمعرفة البابا كليمنت الثانى وكان هذا البابا جرمانيا من خرقة هنرى وأتباعه وأشعل هنرى عدة حروب على الهنكاريين وأرغم ملكهم على الانقياد له وفى سنة ١٠٥٦ بعد الميلاد مات هذا الامبراطور العظيم من بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة

سلطنة هنرى الرابع

وترك هنرى من بعد موته تاجه لابنه هنرى الرابع وكان طفلا عمره ست سنوات وصارت (اغنيس) أم هذا الملك الصغير نائبة عنه فتولد من ضعف حكومتها أن صار البرنسات الطاقة فى استحواذهم ثانيا على الشوكة التى كان نزعها منهم كونراد الثانى وهنرى الثالث وفى سنة ١٠٦٢ بعد الميلاد أرغم هانو أسقف كولونيا اغنيس على التنازل عن النيابة واستحوذ على الملك الصغير لأجل أن يكون وصيا عليه ويكون الحاكم الحقيقى للمملكة فحصل لادلبرت أسقف بريمين من ذلك الغيرة من فعل هانو فاجتهد فى أخذ هنرى منه ونجح فى مشروعه وكان هنرى على رغبة من ابدال هانو العبوس الوجه بادلبرت البشوش الوجه فمن سوء الحظ اكتسب هنرى تحت وصاية ادلبرت عدة خصال دنيئة وسلك مسلك السفاهة وجعله ادلبرت يراعى الدوقات الجرمانية بانهم ألد الاعداء اليه وغرس فى قلبه شجرة الحنظل من أجل عداوة الصكصونيين

وفى سنة ١٠٦٥ بعد الميلاد بلغ هنرى رشده خمس عشرة سنة فجعل عاصمة مملكته مدينة (غوسلار) وأبقى ادلبرت أكبر مستشار به وابتدأ فى سلطنته بمعاملة الصكصونيين بأصعب المعاملات وفعل ما كان فى نيته من انضمام دوقية صكصونيه الى الاراضى السلطانية وفى سنة ١٠٦٦ أرغم البرنسات ادلبرت على الانفصال من الديوان الملوكى وأصر هنرى على ما كان عليه من الخطا الذى شرع فيه وكان أوطو صاحب (نوردهيم) وهو كونت صكصونى قوى الشوكة صار دوق بافاريه بأمر الملكة أغنيس فجرد هنرى أوطو من دوقيته من دون سبب وأنعم بها على (غيلف) بن الكونت أطو صاحب أسطى وكان متزوجا بواحدة من ذرية البيت الغيلفى القديم البافارى فمن أجل هذا شرع أوطو فى دس الدسائس مع مغنوس ابن دوق صكصونية والوارث لها ولما أطفأ هذه الدسيسة حبس الاثنين ثم أفرج عن أوطو من السجن سريعا وأمر بالمحافظة على مغنوس فى سجنه فلما مات دوق صكصونيه توجه أشراف هذه الدوقية الى مدينة غوسلار وطلبوا من هنرى الافراج عن دوقهم الصغير ونتج من عدم قبول هنرى هذا الطلب حصول حرب مزرقه فى الابتداء وألجأه الى الهرب الى ورمس التى كانت باقية على صداقته فتولد من نجاح الصكصونيين أن شنوا الغارات فى أنحاء المملكة وهدموا القلاع ونهبوا الكنائس وعملوا أعمالا فظيعة ألجأت الملك الى أن يزحف عليهم بجيش جرار وهزمهم فى واقعة دموية حصلت بالقرب من (لنغنسالزه) فى سنة ١٠٧٥ بعد الميلاد وأخيرا آل أمر الصكصونيين الى الفرار

ثم أعطيت لهم المواثيق من طرف هنري حتى عادوا الى الطاعة الا أن هنري ما حافظ على عهده فانه أخذ أراضي الكثير من الاشراف وأقطعها على عبيده ومن الغريب انه أعاد أوطوصاحب نوردهيم الى أراضيه الصكصونية وجعله مدبراسياسيا على دوقية صكصونيه مع كونه كان ألد الاعداء له وكان هنري في خطا من تصوّره انه أخمد كامل الارتباكات التي كانت حائقة بمملكته بما أجراه فيها من الاصلاحات مع أن مادة الارتباكات وما أجراه من الاعمال كان سببا في وجود احساس تسبب منه الفشل في كافة أنحاء جرمانيا وكان رودلف صاحب صوابية وأوطو صاحب نوردهيم والكثير من الاعداء الاخر يترقبون سنوح الفرصة في خلعهم بيعة الملك وطاعته وكذا تولد من ظلم هنري ابتعاد رعاياه عنه الا قليلا كانوا محبين له وكان جريجوري السابع الجالس في ذلك الوقت على كرسي القديس بطرس مترقبا أيضا سنوح الفرصة في خضوع ملك جرمانيا وتقدم السلطة الباباوية وتجنب بتدبير عقله الاشكالات التي ربما تتولد له من ذلك حتى يسمح له الوقت بحصوله على مطلوبه وفي مدة اشتباك هنري في الحروب مع الصكصونيين كتب جريجوري السابع مكتوبا الى هنري يأمره فيه أن لا يمنح أحدا وظائف تابعة للكنيسة لان هذا من خصائص مجلس الباباوية ولما كان هنري على غير طاقة باشتغاله بأي حادثة جديدة وعد البابا باتمام هذا الطلب وتنفيذه ومن بعد اخماد الثورة الصكصونية أخلف وعده مع البابا فكان ذلك سببا في وقوع اشكال في المواد الحالية وصمم البابا على ضرب هنري ضربة فاصلة وكان الوعد الذي وعده هنري الرابع للبابا مغلوبا فيه على أمره لانه كان في ذلك الوقت مشغولا بحرب من أجل المدافعة عن تاجه فراعى هنري هذا السبب وهناك سبب آخر ألجأ هنري الى ما وعد وهو أن القسم الاعظم من الاراضي الموجودة في داخل جرمانيا تحت أيدي طائفة الكنيسة وانه لو نفذت أغراض جريجوري فان هؤلاء البرنسات أرباب الشوكة لا يعترفون بطاعتهم لاحد سوى البابا وكانت مقاصد جريجوري من جهة أخرى له فيها منافع كبيرة بهذا الجراءة فانه بواسطة اخضاعه هنري يكون له القدرة الكافية على فصل مسائل التوظيف وإقامة القواعد الاساسية التي تكون ثابتة عليها دولة دار القسوسية في الحالة الاستقبالية وأن يكون البابا خليفة المسيح في أرضه وفوق ملوك الارض تصدر لهم منه القوانين وفي سنة ١٠٧٥ بعد الميلاد لما رفض هنري قبول اتمام طلب البابا جريجوري المخصوص بتقليد الوظائف طلب جريجوري حضور الملك أمامه في رومة ليجاوب عن الدعاوي المقامة عليه من طرف الصكصونيين وغيرهم فرأى هنري أن هذا الفعل من قسيس تداخل في الاعمال الملوكية فرفض قبول هذا الطلب وطلب عقد مجلس من الاساقفة الجرمانيين في مدينة وورمس سنة ١٠٧٦ بعد الميلاد وأمر بخلع جريجوري فقابل جريجوري هذا الفعل بنظيره وأصدر منشورا باباويا أخرج فيه هنري من الكنيسة يعني انه وضع عليه الحجر الكنائسي وأعلن بعدم تمليكه من الآن فصاعدا وحث رعيته على عدم الطاعة له وكانت هذه حركة على غاية من الجراءة زيادة عما كان هنري منتظرها فلو كان هنري ملكا محبوبا عند رعيته وذا شوكة في معاضدة أمته لكان يمكنه كسر شوكة البابا وكان يقع الريب فيما اذا كان جريجوري يمكنه بجراءته أن يصل الى الحصول على هذه الشوكة أولا لكنه كما ذكرنا كان الجرمانيون في نفور شديد من جهة هنري وكان البابا على يقين من كون الاشراف ينتهزون فرصة التمسك بأي حجة على العصيان على ملكهم المبغوض عندهم وكانت نتيجة الحال انتظار ما يقع فيما بعد من الاحوال وما كان على صداقة هنري الا قليل من قومه والقسم الاعظم

منهم متحسد مع أعدائه الذين قبلوا جهرة حكم البابا عليه ومن ثم انقسمت جرمانيا الى حزبين عدوين وأثمر الحرب المعروف بحرب تقليد الوظائف وكان حربا لا معنى له فى ذاته ولا فى صفاته وكان أصله عداوة بين البابا وبين المملكة فيما يختص بعلو السيادة والشوكة

فالبرنسات المضادون لهنرى اجتمعوا فى (طريبور) من أجل انتخابهم ملكا جديدا ولما رأى هنرى ما حل به من الخطر سعى فى تحويل نفوذ هذا المجلس لجهته فنجح فى أشغاله وأخيرا اتفق البرنسات على أنه يلزم أن يعطى لهنرى مدة سنة يعقد فيها الصلح مع البابا وانه عند انقضاء هذه المدة ان لم يرفع حكم الحجر الكنائسى يلزم انتخاب ملك جديد فعزم هنرى فى هذه الحالة على رمى نفسه على أعتاب جريجورى ظانا انه لا يوجد حقد فى قلب هذا البابا وقد سبق التعبير عن سفره الى ايطاليا وخضوعه للبابا ورفض جريجورى طلب كل عمل سوى رفع الحجر الكنائسى تحت شرط أن يمتثل للمحاكمة عن ذنوبه وأمر جريجورى بان هنرى لا يكون له مداخلة فى أعمال السلطنة والحكومة فى مدة محاكمته

ثم ان الاشراف النافرين من هنرى أعلنوا رسميا فى مارث سنة ١٠٧٧ بعد الميلاد بانتخاب رودلف دوق صوابيه ملكا لهم بدل هنرى وعاد هنرى مسرعا الى جرمانيا والتحق به حزب كبير من الذين سخطوا على البابا بما وقع منه من المعاملة القبيحة التى عامل بها ملكهم وكانت المدائن بالخصوص تحت طاعته فطرد رودلف من صوابيه فالتجأ الى الصكصونيين فساعدوه مع البسالة تحت قيادة أوطو صاحب (نوردهيم) ثم قرر البابا فى سنة ١٠٨٠ رودلف ملكا ووضع الحجر الكنائسى على هنرى مرة أخرى فجاوبه هنرى كما فعل سابقا بكونه عقد مجلسا من القسس الجرمانية تقرر فيه خلع جريجورى وتعين أسقف رافنه بابا باسم كليمنت الثالث وفى نفس هذه السنة قتل رودلف فى واقعة كبيرة وقعت بالقرب من (زيطز) ونال هنرى حالة عظيمة سر بها حتى كان انفصال الحرب فى جرمانيا لجهته وفى سنة ١٠٨١ بعد الميلاد وجد أنه جدير بترك مباشرة ادارة الحرب لعهدة فردريق صاحب صوابيه وزوج ابنته الذى كان أعطاه دوقية رودلف ومن ثم كان المؤسس للعائلة الكبيرة الهوحنسطوفنة ودخل هنرى فى ايطاليا وأغار على البابا أهل الشقاق والفساد وتتوج امبراطورا فى رومة بمعرفة كليمنت الثالث ونال مرغوبه فى طرده جريجورى منفيا حتى مات فى دار منفاه وعاد هنرى الى جرمانيا فى سنة ١٠٨٥ بعد الميلاد وقاد بنفسه الحرب على الصكصونيين وكانوا أقاموا ملكين آخرين من بعد موت رودلف ثم تعبوا من الحروب فخضعوا فى سنة ١٠٨٧ بعد الميلاد لطاعة هنرى وقد حنكت التجاريب هنرى وهذبته فعقد معهم صلحا وعاملهم بالرفق واستتب السلم فى جرمانيا مدة من الزمن ثم سلك خلفاء جريجورى السابع المسلك الذى كان شارعا فيه جريجورى ووجد هنرى أن موت عدوه القديم لم يوقف الحرب مع رومة وحرضوا مع الوقاحة والخزى أولاده على العصيان عليه وفى سنة ١٠٩١ بعد الميلاد حض البابا عوربان الثانى والكونتة ماطيلده كونراد الابن الاكبر لهنرى على حمل السلاح فى وجه أبيه وتساعد كونراد بعدائن لومباردى وتتوج ملك ايطاليا أولا فى (مونظه) وثم فى ميلانو وما عاش مدة طويلة حتى يتلذذ بما جنا من فاكهة العصيان وفى سنة ١٠٩٩ بعد الميلاد أمر الامبراطور بتتويج ابنه الثانى هنرى ملك جرمانيا وحلف هذا الملك الصغير قسما مؤكدا أن لا يسعى فى ضبط الحكومة مادام أبوه حيا وفى سنة ١١٠٤ بعد الميلاد تقوى هذا الشاب بشياطين مجلس البابا پاسكال الثانى ونكث يمينه المؤكد وأقام بيرق العصيان على أبيه ولما ظفر بابيه الاسير اطور عامله باشنع معاملة

سلطنة هنرى الخامس

وأرغمه على التوقيع على تنازله عن التخت في مدينة (انغلهيم) في سنة ١١٠٥ بعد الميلاد فتداخل دوق لوطرنغيه واجتهد في عود الامبراطور غير أن هنري الرابع انحطم جسمه من مخالفات الدهر ومات في سنة ١١٠٩ بعد الميلاد وسارت خلفه عداوة البابات الى قبره فمنع من دفن جسمه على نص الشعائر المسيحية وأدرج في كفن من الحجر في معبد قذروسح في مدينة صبيرس مدة خمس سنوات وفي سنة ١١١١ بعد الميلاد دفن على حسب العوائد الملوكية وقت ماصدر عنه عفو الكنيسة برفع الحجر الكنائسي الذي صدر في حقه من طرف البابا

ومع أن هنري الخامس حاز المنافع من معاضدة الكنيسة له في مدة عصيانه على أبيه لكن عندما صار ملكا أسرع في أن يكون هو المدافع الاكبر عن حقوق تقليد الوظائف التي كان عليها أبوه من قبل وتوجه الى رومة وهنالك في سنة ١١١١ أرغم البابا باسكال الثاني على تتويجه امبراطورا وبمجرد عود الامبراطور الى جرمانيا جدد البابا كافة طلباته القديمة وانتشرت حروب تقليد الوظائف ثم انفصل في قضيتها بواسطة معاهدة ورمس وتفصيلات هذه الحوادث مذكورة في تاريخ ايطاليا عن هذه المدة واستمر هنري ثلاث سنوات كانت باقية من حياته في سلم مع الكنيسة غير أنه كان محاربا فيها على الدوام للعصاة مع أشرافه خصوصا في جرمانيا الشمالية ثم مات في مدينة أوطريخت في سنة ١١٢٥ بعد الميلاد وما خلف ذرية من بعده ترثه فبموته انقرضت العائلة الفرنكونية والله أعلم

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ من ابتداء سلطنة كونراد الثالث الى جلوس شارلس الخامس ﴾

صيرورة لوثار ملكا ـ ثورة الاشراف ـ صيرورة كونراد صاحب صوابيه ملكا ـ مشاحنته مع دوق صكصونيه ـ تشييد ماركيزة برندنبورغ ـ تأسيس مدينة برلين ـ تغلب كونراد على ونسبرغ ـ غيرة النساء ـ الغلفيون والغيلنيون ـ الصليبيون ـ التحاق كونراد بالصليب الثاني ـ موته ـ فريدريق باربروسه ـ فصله أعمال جرمانيا ـ تشييد وقيام دوقية أوستريا ـ توجه فريدريق ايطاليا ـ تتويجه امبراطورا ـ سلطنته العظيمة ـ عصيان هنري الملقب بالاسد ـ التغلب عليه وتجريده من أملاكه ـ طلبه العفو من الامبراطور وعفو الامبراطور عنه ـ التحاق باربروسه بأهل الصليب ـ موته ـ سلالته ـ سلطنتا هنري السادس وأوطو الرابع ـ صيرورة فريدريق الثاني ملك جرمانيا ـ فريدريق الثاني ـ الفساد الذي وقع من غيابه عن جرمانيا ـ توقيفه الحروب الخصوصية ـ المغل ـ مشاحنة فريدريق مع البابا ـ الحكومة الفوضوية في جرمانيا ـ غيليوم صاحب هولنده ـ مدة الفترة ـ انتخاب رودلف صاحب حابسبورغ امبراطورا ـ عود الحكومة الامبراطورية ـ صيرورة ألبرت صاحب أوستريا ملكا ـ دخول بروسيا في الديانة المسيحية ـ تغلبات الفوارس الطوطونيقية وفرسان السيف ـ تأسيس كونيغسبرغ ـ ضياع الشوكة بواسطة الملوك الجرمانية ـ توجيه انتخاب الامبراطور على عهدة منتخبين ـ تقدم المدائن ـ حرية المدائن ـ المحاكم العدلية المسماة فغريشط ـ تقدم جرمانيا في الفنون ـ المغاني المحبوبة ـ قتل ألبرت الاول ـ هنري السابع ـ سلطنته وصفته ـ سلطنة لويز الرابع ـ منازعته مع البابا ـ ضلاله وعدم صوابه ـ عصيان رعاياه ـ موت لويز ـ قيام الامارات السويسية ـ عقد

اليمين

اليمين فى مدينة رونلى ـ انتصار السويسيين على الاوستريانيين فى معبر جبل مورغارطين ـ سلطنة شارلس الرابع ـ ظلم اليهود ـ المنشور المذهب ـ سلطنة ونسلوس ـ مدة الارتباكات وعدم النظام ـ تجديد أوستريا استعداداتها فى الغلبة على السويسيين ـ واقعة سمباخ ـ الامبراطور سيغموند ـ وجود ثلاث بابات وثلاث امبراطورات فى وقت واحد ـ وجود الاصلاح الانجيلى فى بوهيمية ـ مجلس قونسطنسة ـ يوحنا هوس وجيروم من مدينة براغه ـ الحرب الديانى ـ مجلس باسيل ـ ألبرت الثانى وفريدريق الرابع ـ مكسميليان ـ زواجه بمريم البورغندية ـ الديوان الامبراطورى ـ مجلس الاعيان فى مدينة أوغسبورغ ـ الحكيم مارتين لوثير ـ مراعاة مكسميليان

لوثار صاحب صكصونيه

وعند موت هنرى صار انتخاب لوثار دوق صكصونية ملكا فضادّ فى انتخابه فريدريق وكونراد من برنسات حوحنسطوفين ولاجل اخماد مقاومتهما خضع لوثار لادارة البابوية خضوعا ما حصل من أحد من الملوك الجرمانية قبله وأعلن البابا أنوسنت الثالث فى وقت تتويج لوثار امبراطورا بان الامبراطور لوثار من رجال البابا وكان المساعد للوثار هنرى دوق بافاريه الذى كان تزوج بنت الامبراطور وتحت يده أراضى الكونتة ماطيلده الموجودة فى ايطاليا وصار دوق صكصونية ومن ثم صار أقوى من لوثار نفسه وفى سنة ١١٣٤ بعد الميلاد خضع فريدريق وكونراد الى لوثار ومن بعد مضى ثلاث سنوات مات الامبراطور لوثار

سلطنة كونراد الثالث

ثم انه من بعد موت لوثار طلب هنرى المعجب زوج ابنة الامبراطور التاج لنفسه فمنعه الاشراف على كونراد صاحب فرنكونية ورأس العائلة الحوحنسطوفنيه ولما رغب كونراد فى ضعف شوكة هنرى المعجب أمره بالتنازل عن دوقية صكصونيا قائلا انه ليس من العدالة أن يكون له دوقيتان فى آن واحد ولما رفض هنرى قبول التنازل أخذت منه دوقيتاه وأعطى كونراد بافاريه الى ليوبولد ماركيز أوستريا وأعطى صكصونيا الى البرت الملقب بالدب وكان أخذ من الملك لوثار ماركة صكصونيه الشمالية فمن ثم اشتعل الحرب بين كونراد وهنرى المعجب وكانت جميع المدائن على صداقة مع الملك لان الحزب المضاد كان ينتظر المساعدة من البابا وقد حنكت المدائن التجاريب وعلموا بان تداخل البابا هو الاذى الاكبر ثم مات هنرى المعجب على الفور وترك ولدا عرف فيما بعد باسم هنرى الاسد فمن بعد موت هنرى المعجب رغب كونراد فى العود للصلح وأمر ألبرت الدب بالتنازل عن دوقية صكصونية لهنرى وكافأه بجعل ماركته حكومة منفصلة ومن بعد هذه أغار ألبرت على أراضى الونديين وتغلب على مدينة (برندنبورغ) وأطلق على الماركة اسم المدينة وكانت أراضى ألبرت الدب تشمل صكصونية الشمالية ولوثاطيه وصالزويدل وبرندنبورغ فأسس فى اقليم برندنبورغ مدينة أطلق عليها اسم برلين وفى نحو هذا الوقت أسس ليوبولد صاحب أوستريا مدينة فيينه ورفض الكونت ولف أخو هنرى المعجب قبول هذا الحكم واستمر مشعلا نار الحرب فى بافاريه وفى سنة ١١٤٠ بعد الميلاد هزمه كونراد وألزمه الهرب والالتجاء الى مدينة ونسبرغ فحاصر كونراد هذه المدينة حتى سلمت من بعد حصار طويل وروى أن كونراد لما عزم على خراب هذه المدينة وقتل كل من كان فيها من المحافظين سمح للنساء بالخروج منها ورخص لهن بان كل واحدة منهن تحمل ما تطيق منها وفى صباح اليوم الثانى فتحت أبواب المدينة فخرج منها صفوف طويلة من النساء كل منهن حاملة فوق ظهرها حبيبها أو زوجها

فانذهل كونراد من رؤية هذا المنظر العجيب وعفا عن المدينة وعن كل ما فيها من السكان وفى مدة حصار ونسبرغ اختار أتباع كونراد أن تكون أصواتهم وقت الحرب (وبلنغين) اسم قرية كان ابتناها فريدريق صاحب صوابيه أخو كونراد وكان صراخ العصاة (ولف) اسم قائدهم وطنت هذه الاصوات فى كافة أنحاء أوروبا وكانت أول واقعة سمعت فيها الاصوات الحربية وهذه الاصوات الحربية التى أفسد الايطاليانيون أصل اسمها وقلبوها الى غيلف وغبلين صارت اسما للحزبين الكبيرين اللذين بواسطتهما انقسمت المملكة فكان الحزب الغيلفى من جهة البابات على الامبراطورات والغبلنيين معاضدين للامبراطورات على البابات

ولما هدأت الاحوال فى جرمانيا وجهت هذه المملكة التفاتها الى المقصد الاكبر الذى يعود منه النفع على حفظ الملة المسيحية ففى سنة ١١٤٧ بعد الميلاد التحق كونراد بحرب الصليب الثانى مصحوبا بجيش مؤلف من ٧٠٠٠٠ نفس وكان معه ابن أخيه فريدريق صاحب صوابيه وعدوه القديم الكونت ويلف وزهرة الفوارس الجرمانية فظهر من كونراد فى هذا الحرب الصليبى الشجاعة فى الشرق الا أنه ما اكتسب شيأ وعاد الى مملكته من بعد مضى سنتين ضعيف الصحة ومن قبل أخذ ثورة أيضا كان رئيسها الكونت ولف وفى حالة استعداده للتوجه الى ايطاليا من أجل تتويجه امبراطورا مات فى سنة ١١٥٢ بعد الميلاد

وبناء على وصية كونراد منح الاشراف التاج على ابن أخيه فريدريق دوق صوابيه وصار ملكا باسم فريدريق الاول وكان معروفا باسم (فريدريق بارباروسه) بسبب ما كانت عليه لحيته من الاحمرار وكان عمره احدى وثلاثين سنة فى وقت انتخابه للتخت وكان رجلا فاضلا كريم الصفات صلبا فى أعماله فمن ثم كان محبوبا جدا عند أحبابه كما أنه كان مبغوضا جدا عند أعدائه لانه كان يثبت حقوقه ويؤكدها بالعنف والشدة وكان له رغبة صادقة فى اخماد المنازعات الواقعة بين الحزبين الغلفى والغبلينى لانه كان فى موقع يلزمه فيه فعل ذلك وكانت أمه أخت هنرى المحجب فكان هنرى الاسد ابن خاله وصديقه فنعم على هنرى الاسد وكان دوق صكصونيه دوقية باقاريه وجعله أقوى برنس فى جرمانيا ولاجل مرضاة خاطر هنرى ماركيز أوستريا بسبب تنازله عن باقاريه رتب فريدريق أراضى أوستريا وجعلها دوقية مستقلة على شرط أن تكون أقطاعا للمملكة وجعلها وراثية فى عقبه من الاناث والذكور

سلطنة فريدريق الاول

ولما فصل فريدريق أعمال جرمانيا توجه الى ايطاليا وكانت انقرضت منها الشوكة الامبراطورية فتتوج فيها امبراطورا فى سنة ١١٥٤ بعد الميلاد بمعرفة البابا ادريان الرابع وقد ذكرنا وقائع الحرب الذى حصل بين الامبراطور والمدائن اللومباردية وفصل المنازعات فى تاريخ ايطاليا وما حصل لفريدريق من النصر فى أول مرة جعله أقوى ملوك أوروبا شوكة وأدى كل من ملك بولنده وملك هنكاريا رسوم الاحترام له محافظة على تيجانهم وكافأ الامبراطور دوق بوهيميه على ما أداه من جليل خدماته له بالصداقة بان شيد دوقيته فى صفة مملكة وتزوج فريدريق (بطريسه) وارثة الارض الحرة للمملكة بورغندى ومن ثم أضاف هذا القسم من بورغندى الى المملكة الجرمانيه

وكان فريدريق الاول قرماشم سما فى داخل مملكته وخارجها الا أنه ما حصل له نجاح تام فى اخماد نيران الحروب الخصوصية وكان ذلك أقبح شئ فى مملكته لكن صدها نوعا من طريقة أجراها ضد هذه الحروب وذلك أنه أصدر أمرا من عنده بان الذين يدخلون مثل هذه الحروب يلزم أن يعلنوا الذين

يجرون معهم الحرب قبل الدخول فيسه بثلاثة أيام والذين يرفضون قبول هذا الامر تعدهم الحكومة الامبراطورية لصوصا سلابين وقوى فريدريق المدائن وجعل البعض منها حرا ومنح البعض الآخر امتيازات جليلة وتولد من شهرة حروبه وجودة حكومته أن صار أعظم ملك من الملوك الجرمانية وكان الحرب بين المملكة والباوية هائجا بشدة في جرمانيا ومازال في زيادة حتى في عصر خلفاء فريدريق ثم ان البابات ماوجدوا وسائل لاذى فريدريق خارج ايطاليا لان كافة الاحزاب في جرمانيا اتفقوا به وصاروا معه في جامعة واحدة ولما أعلن نائب البابا في مجلس أعيان جرمانيا أن المملكة تابعة للباوية وقع في المجلس زوبعة غضب شديد وأرادوا قتله وما نجا بحياته الا بواسطة فريدريق نفسه حتى صارت الاساقفة والقسس على صداقة تامة مع فريدريق ولو داوموا على الخضوع لحصل في تاريخ جرمانيا اختلاف كبير ولو كان هنرى الرابع مثل فريدريق ما حكى تاريخه في تاريخ جرمانيا

ولبث هنرى الاسد مدة طويلة متمتعا بكرم الامبراطور وازدادت شوكته وأسس مدائن جديدة من ضمنها مدينة مونيخ وساعد في تقدم كل من همبورغ ولوبيك في الثروة والقوة فتولد من سعادته وعلو شأنه الغيرة في قلوب البرنسات الاخر وكانوا يبغضونه لشدة ما هو عليه من الكبر والفظاظة وفي سنة ١١٧٥ بعد الميلاد رفض الامبراطور أن يحسن على هنرى بمدينة (غوسلار) ولذلك وقع الغضب بينهما فتركه هنرى بغتة وهو في شدة لهيب الحرب مع اللومبارديين وتوجه الى بلاده مع عساكره فتولد من تركه الامبراطور هزيمة الجيش الامبراطورى في نواحى (لغنانو) وهرب فريدريق بكل صعوبة ولما عاد فريدريق الى جرمانيا في سنة ١١٧٨ بعد الميلاد طلب هنرى للحضور أمام مجلس أعيان عقد في مدينة ورمس من أجل ذلك فما قبل هنرى الحضور أمام المجلس فمن ثم صدر أمر فريدريق في سنة ١١٨٠ بنفيه من المملكة وأعلن بتجريده من أراضيه بتصديق مجلس الاعيان وأعطى فريدريق بعض أراض كانت موجودة في شرق صكصونيه أشبه بدوقية الى برنارد صاحب (أنهالط) بن البرت الدب وأخذ فيليب أسقف كلونيه قسما من غرب صكصونيه ومنحت عليه الحقوق الدوقية للاراضى وأعطيت دوقية بافاريه الى أوطو صاحب (وطلسباخ) وكان حصل في هذه الدوقية ضعف كبير بسبب انفصال اسطريا منها ثم ان هنرى الاسد ما سمحت له نفسه أن تؤخذ أرضه منه بسهولة بل دافع عنها مع الشجاعة والبسالة ولما رأى في سنة ١١٨١ أنه لا مساعد له في أمره جاء الى الامبراطور في مجلس الاعيان وكان معقودا في مدينة (ارفورط) وطلب مع التذلل عفو الامبراطور فانقبض قلب فريدريق لما رأى ما عليه صديقه القديم من الذل فعفا عنه الا أنه ما قدر أن يعيد عليه دوقياته وسمح له بالاقامة في (برنسويك) و (لونبورغ) واتفق هنرى أن يقيم ثلاث سنوات عند هنرى الثانى ملك انكلتره وكان متزوجا بابنته وفي مدة اقامته في انكلتره ولد له غليوم ابنه ومن نسل غليوم هذا العائلة الحالية المتسلطنة في انكلتره

وفي هذا الوقت صار فريدريق بارباروسه رجلا كهلا غير أن جبينه لاتهدأ فانه في سنة ١١٨٩ بعد الميلاد سافر الى حرب الصليب الثالث في رأس جيش كبير غير أنه ما وصل الى الارض المقدسة لانه غرق ومات أثناء عبوره نهر كاليكادنوس من أعمال سيسيليا في شهر يونيه سنة ١١٩٠ بعد الميلاد ثم بعد ذلك روت الروايات أنه نائم مع فرسانه في كهف (كيفهوصر برغ) في طور نغيه وانه متى انقطع طيران الغربان من حول الجبل استيقظ فريدريق من نومه وأعاد الى جرمانيا سعادتها وسيادتها

القديمة وانتشرت هذه الرواية فى عموم جرمانيا

سلطنة هنرى السادس

ومن بعد موت فريدريق الاول صار انتخاب ابنه الكبير هنرى خليفة من بعده ولقب هنرى السادس وفى هذا الانتخاب سار هنرى على منوال كثير من الامبراطورات الا أنه كان أول من تلقب فى حياة أبيه بملك الرومانيين ومن بعده صار كل من انتخب وتتوج فى عصر أى امبراطور يلقب بهذا اللقب ومن ثم صار كل امبراطور يجتهد فى انتخاب خليفة من بعده فى حياته وما كان للملك الملقب بملك الرومانيين حكومة مستقلة مادام الامبراطور موجودا على قيد الحياة ولا تحتاج الحالة فى وقت موت الامبراطور لانتخاب جديد

وخلف فريدريق ابنه هنرى السادس الذى كان فى وقت موت أبيه مشغولا بمحاربة مع هنرى الاسد وكان هنرى المذكور عاد من انكلترة وشرع فى المخالفات القديمة فعقد معه الصلح حالا وأسرع الى ايطاليا وتتوج امبراطورا وكان من قبل موت أبيه ببضع سنين تزوج (كونسطنسة) الوارثة لمملكة سيسيليا فكان أجل المطالب الكبيرة عنده أن يجعل نفسه سيدا على كافة هذه المملكة فاشتغل بأشغال كبيرة خارجة عن جرمانيا لاجل الحصول على مطلبه وأغرق ايطاليا الجنوبية فى فتن وثورات كبيرة من أجل تأييد طلباته كما ذكرنا فى تاريخ ايطاليا واجتهد هنرى فى جعل تاج جرمانيا وراثيا وعرض على البرنسات عدة امتيازات لو صادقوا على ذلك التغيير لكن أغلبهم رفض طلبه

انتخاب فيليب وأوطو

ومات هنرى فجأة فى سنة ١١٩٧ بعد الميلاد فى سيسيليا تاركا ابنا صغيرا اسمه فريدريق وصار انتخابه ملك الرومانيين فصرف الاشراف النظر عن طلبات هذا البرنس الشاب وانتخب الغبلينيون فيليب أخا هنرى السادس ملكا وانتخب الحزب الغلفى أوطو الابن الثانى لهنرى الاسد فاشعل هذان الملكان الخصمان نار الحرب على بعضهما واستمر الحرب بينهما عشر سنوات ووقعت البلاد فى الاهوال والارتباكات فلو ترك الاثنان مع بعضهما لربما حاز فيليب النصر بسهولة لكن حصلت المساعدة لاوطو من البابا فكان ذلك تقوية عظيمة له وآلت الحالة الى أنه فى سنة ١٢٠٨ بعد الميلاد قتل فيليب بعدو سرى واستقر ملك أوطو

سلطنة فريدريق الثانى

وفى سنة ١٢٠٩ بعد الميلاد تتوج أوطو امبراطورا بمعرفة البابا أنوسنت الثالث ولما رأى فيه دلائل الاستقلالية عاد بمخالبه عليه وأمر البرنسات الجرمانية بانتخاب الملك الشاب فريدريق صاحب سيسيليا ملكا فأطيع أمر البابا وأما من جهة أوطو فانه بعد منازعات لا طائل تحتها اعتزل الى عيشة خاصة به أقام عليها حتى فارقته الحياة وفى سنة ١٢١٥ بعد الميلاد تتوج فريدريق الثانى ملكا فى عكس الكنيسة وفى سنة ١٢٢٠ تتوج امبراطورا فى رومة وما عاد الى جرمانيا مدة خمس عشرة سنة وذكر فى تاريخ ايطاليا تاريخ هذه المدة بما أنه كان متعلقا بها وكان من قبل تركه جرمانيا حض البرنسات على انتخاب ابنه الصغير هنرى ملك الرومانيين وترك هذا الطفل تحت وصاية (انغلبرت) اسقف كلونية ونائبا عنه فى جرمانيا ثم ان الاشراف الذين حازوا فى مدة الحرب بين أوطو وفيليب زيادة القوة والشوكة انتهزوا الفرصة فى مدة غياب فريدريق الغياب الطويل ووطدوا استقلالية أنفسهم مع المكنة واشتعلت الحروب المخصوصة فى كل جهة من جهات المملكة وصارت حرفة السرقة واللصوصية عامة فى كافة الجهات وما كان هنرى بن فريدريق الثانى ورث من أبيه الخصال الجيدة بل كان مهينا مخبول العقل عنيف الطبع فانه صمم على ضبط التخت الجرمانى وصرح به مجاهرة فى سنة ١٢٣٤

بمجلس برنسات فى مدينة بوبارت وفى السنة التالية وصل الامبراطور الى جرمانيا فاجتهد هنرى فى سمه فخاب أمله وأرسل مسجونا فى ابوليا من ايطاليا وفى مدة زيارة فريدريق الثانى فى هذه المرة لجرمانيا تزوج ازابلا أخت هنرى الثالث صاحب انكلتره ومن بعد تزوج فريدريق بقليل عقد مجلس كبير فى ميانسه وقال فى هذا المجلس ان الحروب الخصوصية مخالفة جدا للقواعد القانونية ولا يجوز التداخل فيها بحالة من الاحوال مالم تكن على طريقة عادلة ورتب محكمة امبراطورية مؤلفة من قاض وأعضاء للنظر فى القضايا والفصل فيها ثم مالبث فريدريق مدة كافية فى جرمانيا من أجل اتمام الاشغال التى شرع فيها بل عاد فى سنة ١٢٣٦ بعد الميلاد الى ايطاليا وما رجع لزيارة جرمانيا مرة أخرى من بعدها وترك ابنه كونراد فى الوظيفة التى حرم منها هنرى

ومن بعد هذه المدة بقليل هدد المغل جرمانيا وأزعجوها وانفجرت منهم قبائل لا حصر لعدها فى أوروبا وردت من آسيا وفى سنة ١٢٤١ بعد الميلاد التقاهم هنرى صاحب (ليغنطز) فى قوة قليلة جدا فى (سيليسيا) فبدد المغل السيليسيانيين وقطعوهم عن آخرهم وقتل هنرى نفسه ثم قوبلوا فى حدود جرمانيا بمقاومات شديدة أزالت من أفكارهم أنه يمكنهم الدخول فى البلاد وساروا الى الجهة الجنوبية متوجهين نحو هنكاريا

ثم ان فريدريق وجد أن أنوسنت الرابع ألد عدو له زيادة عن عدوه جريجورى التاسع وكان هؤلاء البابات نشروا اعلانات بان فريدريق خارجى مبتدع وفيه ميل كثير للديانة الاسلامية الا أن الاسباب الحقيقية لبغضهم هى عدم الاقرار بان شوكة البابا أقوى وأكبر من شوكة الامبراطور وان استحواذه على مملكة سيسيليا التى كانت مرعية من عهد طويل بانها اقطاع لدار القسوسية المقدسة جعل له طاقة كافية على الغارة على البابوية من الجهة الجنوبية ومثلها من الجهة الشمالية وفى سنة ١٢٤٥ بعد الميلاد ما جدد البابا أنوسنت الرابع حكم وضع الحجر الكنائسى على فريدريق فقط بل أعلن بخلعه فتولد من هذا الاعلان الارتباك فى جرمانيا وفى هذا الوقت وجد حزب مخصوص مع الامبراطور الا أن أقوياء البرنسات انحازوا نحو البابا وكان ميل هؤلاء الاشراف سببا فى الصعوبات والموانع للامبراطور حتى يضيفوها لجلالة مواقعهم فاجتمع الحزب الموجود فى طرف البابا فى مدينة (وورزبورغ) وانتخبوا هنرى كونت طورنغيه ملكا فما حصل الاقرار به ولكنه ومات فى سنة ١٢٤٧ بعد الميلاد وعند موته اجتمع هذا الحزب البابوى أيضا وانتخبوا غيليوم صاحب هولندة خليفة من بعده وكان شابا عمره عشرون سنة فاتحد غيليوم مع البيت الولفى غير أنه كان عديم الشوكة بالكلية ضد كونراد بن الامبراطور وفى هذه المدة اضمحلت الشوكة الامبراطورية بالكلية وعم الفشل والارتباك فى المملكة وأخذ الاشراف الكبار بثأرهم من الذين لهم عليهم الثأر وعمت اللصوص حتى صار لا أمان ولا سلامة على نفس الرجل ولا على أملاكه الا اذا كان له طاقة على المدافعة عن نفسه وفى سنة ١٢٥٠ مات الامبراطور وكان عازما على الحرب من أجل عود سلطنته فى لومباردى ومن بعد موته قرر الحزب الامبراطورى ابنه كونراد الرابع ملكا فمات كونراد المذكور فى سنة ١٢٥٤ بعد الميلاد وكان كونراد آخر الملوك الهوحنسطوفنية فى جرمانيا

غيلوم صاحب هولند

كونراد الرابع

ومن بعد كونراد الرابع صار غيليوم صاحب هولنده هو الملك بمفرده فى جرمانيا الا أنه ما كان مرعيا بعين الجلالة عند الاحزاب الجرمانية وقتل فى سنة ١٢٥٦ فى محاربة مع الفريسيانيين وحينئذ صمم

المنتخبون على انتخاب ملك بحيث يكون لهم ولبرنساتهم قدرة وهم تحت حكمه على ثبات استقلاليتهم وكان يوجد اثنان من الاغراب لهما الرغبة فى استلام التاج وهما الفنسو ملك كسطيلة وريشارداول كورنوال أخو هنرى الثالث صاحب انكلتره وكل من الاثنين رشى المنتخبين فانقسموا حزبين كل حزب من الحزبين انتخب واحدا من الطالبين فأما ريشارد فانه تتوج ملكا فى عكس الكنيسة ومن بعد تتويجه زار جرمانيا ثلاث مرات فقط وما تداخل فى كثير من أعمالها وأما الفنسو فانه ما وضع رجله فى جرمانيا وعرفت هذه المدة بالفوضويه وكانت هذه الفترة احدى العصور المظلمة فى تاريخ جرمانيا وحكم البرنسات والاشراف أراضيهم بغاية الدقة كما اختاروا وأوقعوا كثيرا من الحروب على بعضهم وعلى المدائن وصار البارونات الصغار المستقلون وكان أخذ عددهم فى هذا الوقت فى الزيادة لصوصا فمن أجل هذا ما كان لأحد أن يتجاسر على السفر ما لم يكن معه خفر قوى فى هذه المدة الفظيعة وتمت هذه المدة المحزنة بموت ريشارد صاحب كورنوال فى سنة ١٢٧١ بعد الميلاد وكان البابا لحد هذا الوقت متباعدا عن الدخول فى أعمال جرمانيا لانه رأى أن خلو المملكة من ملك يزيد فى جلالته ويصد الذين يقومون عليه من أخصامه ثم ظهر له من هذه الحالة الفوضويه الحاصلة فى جرمانيا الضرر الاكبر على رومة كما أنها مفسدة بصالح دولته فبالاقل كانت الايرادات البابويه لا يمكن جبايتها من دون مساعدة الحكومة الامبراطوريه فكتب جريجورى العاشر الى أرباب الانتخاب اعلانا يعلمهم فيه بانهم ان لم ينتخبوا ملكا صالحا على جرمانيا يعين هو واحدا فتولد من هذا التهديد أن انتخبوا رودلف كونت (حابسبورغ) قسم من صوابية الجنوبية وكان هذا الانتخاب فى غاية من الحكمة لان رودلف كان شهما شجاعا ذا عزم وشدة وكان مشتاقا لابطال المفاسد التى كانت سببا فى خراب جرمانيا وتساعد مساعدة قويه بمعاضدة الكنيسة حتى صار خاضعا لها بسبب معاضدتها له وضمن لها على نفسه أنه لا يتداخل مع شارلس صاحب انجو فى سيسيليا أو فى طوسقانه ومن بعد مضى قليل قرر الاراضى السلطانية للبابا وسلم للبابا نيقولا الثالث طلبات المملكة على رومة والاراضى الوراثية الموصى بها من طرف الكونت ماطيلده ولما تقوى فى نفسه بهذه الاعمال قيد نفسه مع الشجاعة فى عود الانتظام فى جرمانيا

وكان أقوى برنس فى هذا الوقت فى المملكة (أوطوكار) ملك بوهيمية فانه ضبط خلاف مملكته الاصلية أوستريا وسطيريا وكورنطية وكرينوله وحيث انه كان مؤملا فى نفسه أن ينتخب ملك جرمانيا رفض الاقرار بملوكية رودلف فسار اليه رودلف فى سنة ١٢٧٦ وألزمه بالتنازل عن أوستريا وما جاورها من الاراضى وبالانقياد لتاجه وظن الكثير من البرنسات أن الحرب انتهى فعادوا الى أراضيهم ولما وقع هذا شرع أوطوكار فى الحرب ثانيا مؤملا أنه يجد رودلف على غير أهبة وفى سنة ١٢٧٨ بعد الميلاد وقعت واقعة مهولة فى ميدان مارش على الشاطئ الايمن لنهر الدانوب وحارب كل من الطرفين مع غاية الشجاعة وأخيرا انهزم البوهيميون وقتل أوطوكار نفسه ومن بعد هذا بقليل أعطى رودلف برضا البرنسات أوستريا وسطيريا وكرنطية لابنيه ألبرت ورودلف ومن بعد ذلك أعطى كرنطية الى كونت (مينهارد) صاحب طيرول وكانت ابنته زوجة ألبرت وترك الاراضى الاخرى فى أيدى ألبرت بمفرده وبواسطة هذه الترتيبات وضع الملك رودلف أساسات السعادة المستقبلة لبيت حابسبورغ وكانت الاراضى السلطانية أى أراضى الحكومة شاسعة كبيرة القدر فى وقت من الاوقات الا انه فى الوقت

ريشارد اول كورنوال

سلطنة رودلف

الذى وصل فيه رودلف الى تخت المملكة كانت جميعها منقولة الى أيدى كبار الاشراف وكان بعض الامبراطورات باعوا منها من أجل جمع نقود بخصوص اجراء الحروب فى ايطاليا والبعض منها صار تحت يد الكونتات الذين كانوا حاكمين فيها فاجتهد رودلف فى اعادة الاراضى السلطانية الى الحكومة ثانيا ورد العوائد التى أخذت بغير حق فى مدة الفترة ومع ماوقع له من المصاعب نجح فى مطلوبه وصار مدبرا عادلا فى جرمانيا وأحيا قوانين العدل وربط عساكر الضبط التى كانت جارية فى مدة فريدريق الثانى وتوجه الى كل جهة من جهات المملكة مجتهدا فى ازالة الحروب الخصوصية وقطع دابرها وخلاص المملكة من اللصوص وفى طرنغية وحدها أمر بقطع رؤس تسعة وعشرين من الاشراف اللصوص وهدم تسعا وستين قلعة قوية وفى سنة ١٢٩١ بعد الميلاد اجتهد فى الحصول على انتخاب ابنه ألبرت ملكا الا أن المنتخبين رفضوا أن يعينوا خليفة فى مدة حياته محتجين بأن مدخولات الحكومة لا تكفى ملكين وفى شهر سبتمبر من هذا السنة مات رودلف من بعد أن بلغ من العمر أربعا وسبعين سنة وكان محبوبا عند الامة الجرمانية ولولا أن الشوكة الملوكية كانت مضمحلة بالكلية من قبل صيرورته ملكا لامكنه اجراء الاشغال التى يعود منها النفع الكثير على سعادة جرمانيا

ومن بعد موت رودلف انتخب أرباب الانتخاب أدلف كونت ناسو خليفة من بعده وكان انتخابه بواسطة (غيرهارد) أسقف ميانس وابن عم أدلف وكان يؤمل أن يجعل هذا الملك الجديد آلة لتوطيد مأربه فاجتهد أدلف فى عود بعض الاراضى السلطانية والعوائد الا أنه ما نال من أقوياء البرنسات الا شيأ زهيدا وعقد معاهدة مع (ادوارد) الاول صاحب انكلترة الذى أرسل له مبلغا جسيما من النقود على شرط اعلانه الحرب على فرانسا فاشترى أدلف بهذه النقود طرنغية من ألبرت المهين فكان ذلك سببا فى هياج حرب لان ولدى ألبرت ماقبلا وما سلما الميا ورثوه وتساعدا فى ذلك ببعض البرنسات وعبيدهم وفى هذه المدة ما حصل من أدلف أدنى طاعة الى (غيرهارد) كما كان يؤمل فانتهز حينئذ الفرصة فى مدة النفور القائم من أعمال أدلف فى طرنغية وحرض المنتخبين على عزله وانتخاب البرت دوق أوستريا بدلا منه وهو ابن الملك رودلف فقاوم أدلف فى ذلك الا أنه فى سنة ١٢٩٨ بعد الميلاد قتل فى واقعة بالقرب من مدينة وورمس ثم صار انتخاب ألبرت مرة ثانية وتتوج فى عكس المدينة

وقد ذكرنا فيما سبق أنه فى نحو مبادى القرن الثالث عشر شرع واحد من العباد اسمه (كريستيان) فى خطابة الديانة المسيحية فى بروسيا فقاومه البروسيانيون ومن أجل ذلك أشعل عليهم حربا دينيا فورد الكثير من الفوارس والمحاربين فى بروسيا لمساعدة كريستيان وفى نحو سنة ١٢٣٠ بعد الميلاد جاء فرسان الطائفة الطوطونيقيه تحت قيادة قائدهم الاكبر هرمان صاحب سالظه الى بروسيا وابتدؤا فى التغلب عليها وفى سنة ١٢٣٧ ورد فرسان السيف وهم طائفة أخرى من الجرمانيين كانوا تغلبوا على ليفونيا وانضموا مع الفوارس الطوطونيقية وكذا انضم الكثير من الجرمانيين والمحاربين من كافة الاقاليم المختلفة من أوروبا الى الطائفة الطوطونيقية من أجل مساعدتهم على فتح بروسيا وفى سنة ١٢٤٥ بعد الميلاد وقع الشروع فى تأسيس مدينة (كونيغسبرغ) وسميت بهذا الاسم تشريفا لاسم أوطوكار ملك بوهيمية وكان اشترك فى الحرب الدينى على البروسيانيين وفتح القسم الاعظم من بروسيا فى سنة ١٢٦٠ عند انفجار الثورة الكبرى وقطن الارض الكثير من الجرمانيين

سلطنة أدلف

وفى سنة ١٣٠٩ شيد الطائفة الطوطونيقية مقرهم ومركزهم فى مدينة (ماريانبرغ) وضبطوا المملكة تحت شوكتهم ودخل سكان البلاد الاصلية فى الديانة المسيحية وازداد العمران بالقبائل الجرمانية وكانت نتيجة غياب الامبراطورات من جرمانيا وطول الحرب مع البابات ضياع الشوكة من ملوك جرمانيا وذلك أنه لما أهمل الامبراطورات واجباتهم بصفة كونهم ملوك جرمانيا ولم يبذلوا ما فى وسعهم من تعميم الفوائد العائد منها النفع على المملكة سعوا البرنسات بأن يستحوذوا على امتيازات التاج واحدا بعد الآخر حتى صاروا مستقلين فى أنفسهم وفرق ملوك الهوحنسطوفنيين الكثير من حقوقهم الجليلة الجرمانية بقصد استحصالهم على فوائد دوقية كامبراطورات وصار كل من دانيمارقه وپولنده وهنكاريا ممالك مستقلة وتغلبت فرنسا على بورغندى وكان البرنسات الجرمانية رافضين على الدوام أن يكون التاج وراثيا وفى هذا الوقت حصل تغيير فى الطريقة التى كان جاريا عليها انتخاب الملوك وعهدت هذه الطريقة لسبعة من المنتخبين ثلاثة من الروحانيين وأربعة من البرنسات الملكية فكان المنتخبون من الروحانيين هم أسقف ميانسه وكلونيه وتريفس والمنتخبون من البرنسات هم دوق صكصونية ومار كيز برندنبورغ وكونت الرين وملك بوهيمة وكانت مراتب هؤلاء المنتخبين فوق كل مرتبة كبيرة كانت أو صغيرة فى المملكة ولهم فى مجلس الاعيان مجلس خاص بهم وطلب البابا أن يكون له الحق فى رؤية الاعمال المعتادة التى تجرى من طرف المنتخبين وأن يكون له حق الاقرار أو الرفض فيما لا يكون موافقا وكان لملك جرمانيا الحق فى التاج الامبراطورى الذى لا يمكن منحه من أحد سوى البابا فمن ثم كان طلب البابا

وفى هذه المدة كان أيضا التقدم المدائن هيئة جليلة أخرى فى تاريخ جرمانيا وذلك أنه بمجرد حصول الضعف فى الدوقيات الكبيرة صارت المدائن التى كانت تابعة لها من قبل فى درجة الاستقلال بمعنى أنها سارت فى أعمالها على حسب عاداتها معترفة بسيادة الامبراطور عليها فقط ومن هنا أطلق عليها المدائن الحرة الامبراطورية وشكل نواب هؤلاء المدائن قاعة فى مجلس الاعيان وصارت أصواتهم فى درجة المساواة مع أصوات المنتخبين والبرنسات وكانت المدائن فى العادة (المدائن الحرة) معضدة لسلطة الامبراطور الا أنها كانت فى حروب مستمرة مع البرنسات والاساقفة فشكلت اتحادات مع بعضها لاجل حمايتها من هؤلاء الاعداء المهولين وكان أشهر هذه الاتحادات الاتحاد الرينى وكان داخلا فيه نحو من سبعين مدينة حرة والاتحاد (الحانسيطيق) الذى ترتب فى نحو سنة ١٢٤١ بعد الميلاد بواسطة مدينة لوبك وهمبورغ من أجل حماية تجارتهما وكان داخلا فى هذا الاتحاد ثمانون مدينة وكان له أسطول بحرى وجيوش كاملة ومستحوذا على تجارة بحر بلطق وقسم عظيم من تجارة بحر الشمال وكانت قوى هذا الاتحاد كاسرة قوى الملوك الشمالية وكان له عند ملوك فرنسا وانكلتره الدرجة العظمى والاحترام واستمرت المدائن الحانسية مدة من الزمن فى معاملة مع انكلتره فى التجارة وكانت كافة التصديرات التجارية الخارجة من انكلتره فى أيدى تجار المدائن الحانسية وأطلق الانكليز على هذه المعاملة التجارية اسم استرليغ ومنها الشتق لفظة استرلينه فى النقود الانكليزية

وكانت لا توجد طريقة قانون جارية فى عموم جرمانيا فتدونت فى هذا القرن قوانين صكصونيه بمعرفة عيك من أهل مدينة ريبغورد وتدونت قوانين صوابيه بمعرفة قسيس من صوابيه وكان يوجد فى (اسطفاليه) نوع محاكم عدلية مانعة من مضايقة الازمان كان يطلق عليها اسم (فغريشط) أى محاكم

العدل فكانت تجتمع فى النهار العصو تحت شجرة من الاشجار الآن اجرا آت هذه المحاكم كانت سرية وما كانت تمهل قضية الاو يحكم فيها على المجرم بالموت ومتى صدر منها حكم الاعدام على صاحب الجريمة صلب فى الوقت وكل انسان طلب الى المحكمة ولم يحضر من بعد طلبه اليها ثلاث مرات يصير الحكم عليه بالجريمة ويقتل فى الحال أو بعده بقليل فكان المظلومون فى هذه العصور الخالية عن القانون يفرحون فى حالة وجودهم فى أى محكمة من أى جهة لانه تيسر لهم فصل القضايا بطريق العدل فابتدأ ورود الدعاوى الى هذه المحاكم للنظر فيها وفصل الحكم من عموم أنحاء جرمانيا وفى نهاية الامر ترخص للناس الحرين المولد من أى جهة من جهات المملكة التابعين لها أن يشكلوا محاكم علنية ويجروا أعمالهم على حسب ماهو جار فى المحاكم القمفريشطية فدخل ألوف من الطوائف فى هذا الامتياز واستمرت المحاكم القمفريشطية فى أداء أشغالها وقطع أحكامها بالعدل وارتاع الاشراف الذين كانوا لايعولون على الملك أو الامبراطور وقت ما كانت ترد اليهم الطلبات من القضاة الحرة من هذه المحاكم بالحضور فى وقت معلوم أمام محكمة سرية ولما أخذت شوكة المحاكم القمفريشطية فى درجة العلو صار لا تبصر عندهم وعدلوا عن العدل وصرخ كثير من الناس من أفعالهم وعلى الخصوص القسس حتى فقدت هذه المحاكم كامل شوكتها تقريبا فى القرن السادس عشر غير أن آثارها كانت بعد ذلك موجودة مدة طويلة بين فلاحى وسطفاليه

وكانت مدة ملوك الهوحنسطوفنيين مشهورة باحياء العمارات الجليلة فى جرمانيا فمنها الكنيسة العظمى فى كلونيه ومع أنها بقيت بدون تكملة الا أنها كانت فى شكل ظريف وكانت عصر المغانى المحبوبة وأزهرت الاشعار الجميلة لهذه المدة فى القرون الوسطى وكان البعض من الامبراطورات الهوحنسطوفنية على غاية من النباهة فى الشعر مثل فريدريق الثانى وأزهرت هذه المدة أيضا وعلا مجدها بما كان يوجد فيها من الشعرا والمغنين الذين برعوا وتفننوا فيها باشعارهم ومغانيهم *

وكان ألبرت الاول المتقدم الذكر أوّل ملك أوستريانى نفى بعد قتله فى سنة ١٣٠٨ بعد الميلاد نفر المنتخبون من بيت أوستريا بسبب أن ألبرت كان غير محبوب عند الامة الجرمانية بما حصل من سوء أفعاله وامتنع المنتخبون من انتخابهم أى واحد من البيت الاوستريانى وانتخبوا ملكا ليس من أولاد ألبرت بل صار انتخاب هنرى كونت (لكسمبورغ) ملك الرومانيين وبواسطة اتفاق الايالات البوهيمية تزوج ابنه يوحنا اليزابث حفيدة الملك أوطوكار ومن ثم صار ملك بوهيمية واستمرت بوهيمية زمنا طويلا فى حوزة بيت لكسمبورغ

وفى سنة ١٣١٠ بعد الميلاد توجه هنرى السابع الى ايطاليا وقابله فيها عموم أحزابها بالفرح وأهل به الغبليون كأنه سيدهم الاصلى ومال اليه حزب الغلفيين من أجل خاطر البابا وكان البابا ارتاع من انتشار سلطة النفوذ الفرنساوى على كافة ايطاليا ومازال بعض المدائن العلفية تحت رياسة روبرت ملك نابولى فى مقاومته معه فتتوج هنرى ملك ايطاليا فى مدينة ميلان فى سنة ١٣١١ بعد الميلاد وقاومته فلورنسه وأرسل ملك النابولطانيين محافظين فى رومة فأرغم هنرى هؤلاء المحافظين على الانسحاب منها فتغلبوا على مدينة ليونين وأمسكوا كنيسة القديس بطرس وقاوموا فيها هنرى فلما انقطعت طريقه الى الكنيسة العظمى تتوج فى كنيسة القديس يوحنا الطران فى ٢٩ يونيه سنة ١٣١٢ بعد الميلاد ثم اجتهد فى مقاومة الغلفيين وجمع جيشا من جرمانيا وايطاليا وسار به على

سلطنة هنرى السابع

مدينة سينه وكانت روسة مشؤمة على هنرى مع ما كان عليه من القوة ومات فى طريق سيره فى ٢٤ أوغسطس سنة ١٣١٣ بعد الميلاد وحملت جثته الى مدينة بيسه ودفنت فيها وكان آخر الامبراطورات الذين أقاموا حكومة حقيقية فى ايطاليا فلو عاش لامكنه من دون ريب أن يعيد الى المملكة شيأ من سعادتها وسوددها الاول وكان صالحا لمثل هذا الشغل لانه كان رجلا بصيرا شهما شريف النفس وجوده انطى الشاعر من استعداده للملك فى رسائله المختصة بالملوك وكتب عدوه مولانى الغلو فى حقه انه ما حصل من أحد ظلم ولا تعاظم ولا ميل فى وقت النجاح ولا افتتن بسرور وحصل له مثل ما حصل من هنرى السابع وما كان خلفاء هنرى امبراطورات بالمعنى الذى كان هذا اللقب مستعملا فيه بل كانوا رؤساء أحزاب من الايطاليانيين أهل شقاق وما تتوج أحد منهم امبراطورا مطلقا

سلطنة لويز وفريدريق

ثم انه فى وقت انتخاب خليفة من بعد هنرى السابع انقسم المنتخبون الى حزبين فانتخب أحدهما لويز دوق باقاريه وانتخب الحزب الآخر فريدريق دوق أوستريا الابن الكبير للملك ألبرت وتتوج لويز ملكا فى مدينة عكس الكنيسة وتتوج فريدريق فى مدينة بون وكل منهما اعتمد فى مساعدة نفسه على سيفه فتولد من هذا الانتخاب حرب داخلى سافك استمر عشر سنوات فأما المدائن فانها كانت على حسب القانون العام فى ناحية لويز وأما الاشراف فانهم عضدوا فريدريق ووقعت الواقعة الحربية الفاصلة بين الطرفين بالقرب من (موهلدرف) فى سنة ١٣٢٢ بعد الميلاد انهزم فيها الاوستريانيون وأخذ لويز فريدريق أسيرا وحبسه فى قلعة (طرنسنيتز) من أعمال بلتيناتيه العليا ومع هذا فان ارتباكات لويز ما انتهت على حاله لان الدوق ليوپولد أخا فريدريق مع كثير من البرنسات الاخر استمروا فى الحرب وما قبلوا أن تكون هزيمتهم أمرا فاصلا ونقووا بتصديق البابا ومساعدته لهم على أمرهم وكان هذا البابا يوحنا الثانى والعشرين فى عداوة شديدة مع لويز بسبب أنه تلقب بملك الرومانيين بغير تصديق البابا ومجاوبة هنرى قداسته بانه ينسب هذا السمو الى المنتخبين لا الى البابا فكان لهذا الجواب الشامخ وقع كبير عند البابا فمن ثم وضع عليه الحجر الكنائسى وجعل كافة الاحزاب المعاضدين له فى جرمانيا تحت المنع من الكنيسة ولما رغب لويز الرابع فى عود السلم الى المملكة أفرج عن فريدريق فى سنة ١٣٢٥ بعد الميلاد على وعد أن فريدريق يتنازل له عن كافة طلباته فى التاج غير أن البابا والدوق ليوپولد أخا فريدريق رفضا قبول هذا الاتفاق وحافظ فريدريق على وعده وفى سبتمبر سنة ١٣٢٥ اتفق لويز وفريدريق على الاشتراك فى السلطنة سوية وصار تنفيذ هذا الاتفاق وما تداخل فريدريق فى الاعمال الا قليلا ومات فى سنة ١٣٣٠ بعد الميلاد تاركا لويز ملكا بمفرده وصرف لويز المدة التى بين سنة ١٣٢٧

سلطنة لويز الرابع

وسنة ١٣٣٠ فى ايطاليا وفيها تتوج امبراطورا أولا بواسطة اثنين مختلسى البابوية ثم بواسطة واحد بابا من خرقته اسمه نيقولا الخامس كان لويز أجلسه على كرسى البابوية بدل يوحنا الثانى والعشرين الذى أعلن بخلعه ومع كون لويز عين بابا بدل البابا الاصلى فانه تعب تعبا زائدا فى ربط العلاقة أولا مع البابا يوحنا ثم بعد ذلك مع بنديكت الثانى عشر خليفة يوحنا وخابت مساعيه بعضها بسبب مقاومة فرنساله لان البابات لكونهم مقيمين فى مدينة أفغنون كانوا تابعين لها فعلا وكانت رغبتهم على الدوام فى بقاء ضعف المملكة فلو كان لويز ملكا شهما ما حصل عنده أدنى تأثير من عداوة البابات لان الجرمانيين كانوا استعدوا المساعدته رغما عن البابات بما رأوا من أن دخول البابا فى أعمالهم هو السبب الاكبر الموجب لخراب أوطانهم وكانت المدائن على الخصوص ألد الاعداء للبابا الذى حرم من الميل

والمساعدة الذين تقوى بها أسلافه في جرمانيا ضد هنري الرابع وفرديريق الثاني فلما خاب لويز في سعيه هذا انعقد المجلس الملي في مدينة فرنكفورت في سنة ١٣٣٨ بعد الميلاد وتحزب أعضاؤه مجاهرة مع الامبراطور على البابا واجتمع المنتخبون في مدينة رنسي على نهر الرين ما عدا الملك يوحنا صاحب بوهيميه فان قلبه كان مشحونا بالغل والحسد من بيت باقاريه وكان أحد الاعداء المصرين على عداوة لويز واتفقوا اتفاقا أكيدا أن رتبة الامبراطور أو ملك الرومانيين وشوكته ليست من طرف البابا بل من طرف البرنسات المنتخبين وكان اجتماع المنتخبين هذا أول اتحاد انتخابي وقبل الاقاليم والجهات ما اتفقوا عليه من القرار فيما بينهم وأعلن في الجهات بمعرفة الامبراطور وصار قانونا من قوانين المملكة فكان هذا القرار في غاية من الجلالة والاهمية بما انه كان قانونا أساسيا لاستقلال المملكة

وصار لويز من هذه الحالة في أعظم موقع ما وصل اليه أحد من الامبراطورات الذين سلفوا وصار هذا الموقع محتاجا لملك حاذق له دراية تامة بجذب قلوب الامة اليه حتى يتقوى في شوكته غير أن لويز كان عديم التبصر ضعيف الادارة لانه في سنة ١٣٢٣ بعد الميلاد كان أعطى ماركة برندنبورغ لابنه لويز التزاما ورغب أن يعطيه أيضا طيرول لكن (مرغريطه مولطاش) الوارثة لدوقية طيرول كانت تزوجت قبل بابن الملك يوحنا صاحب بوهيميه ففسخ لويز زواج مرغريطة ورخص لها بان تتزوج بابنه فاغار في هذه الحالة على حق البابا المعلوم عند كافة الامة فحينئذ صار ربطه العلاقة مع البابا غير ممكن وجلب على نفسه تغير قلوب كثير من الناس من جهته وهيج الغيرة والحمية في قلوب البرنسات من كثرة اغداقه على عائلته بالغنية والثروة وجعل ابنه لويز أغنى برنس في جرمانيا ولما مات غيليوم صاحب هولنده أخو زوجته أعطى كونتات هولنده وصيلنده وهنغان التزاما لابنه غيليوم وتولد من المعاملات القبيحة التي أجراها لويز التئام مجلس المنتخبين في سنة ١٣٤٤ بعد الميلاد مرة ثانية وعرض البرنسات عدة قباحات وقعت منه ومن بعد مضي سنتين أعلن البابا كليمنت السادس بخلعه وفي هذا الوقت كان البابا والمنتخبون في جامعة واحدة وانتخبوا ملكا بدل لويز للتخت وكان الملك المنتخب شارلس كونت موراقيه وابن الملك يوحنا صاحب بوهيمية وما زال لويز متطلبا أن يكون ملكا وامبراطورا فمات فجأة في غابات الصيد قتله خنزير بري في سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد

ولحد سلطنة لويز الرابع كان ملوك الجرمانيين يتنازلون في العادة عن أراضيهم التي ورثوها بمجرد استلامهم التاج الامبراطوري وأما لويز الرابع فانه أبقى أراضيه تحت يده واستحسن فعله هذا كل من جاء بعده من الملوك والسبب في ذلك انه لما كانت ايرادات المملكة الجرمانية غير كافية لمصرف العظمة الملوكية كانت الملوك ملزمة بالصرف من ايراداتها الخصوصية فكانت نتيجة هذا التغيير وبالا على المملكة لان الملك كان يهمل المنافع العائد منها النفع على المملكة وعلى رعاياه ويجتهد في الحصول على ثروة نفسه

ووقع في مدة سلطنة لويز الرابع عدة حوادث حصل منها تأثير كبير في مستقبل تاريخ جرمانيا وتاريخ أوروبا وذلك انه يوجد في أقاليم جبال الالب وعلى حدود جرمانيا وبورغندي وايطاليا ثلاث امارات صغيرة هي عوري وسويس وانطروالدن وكانت هذه الامارات تابعة اسما فقط لجرمانيا الا أنها كانت مقيدة بحريتها وما عهدت طاعتها لاحد سوى امبراطور أو ملك وشكل هؤلاء الامارات الثلاثة الاورمانية اتحادا جامعا لها من أجل حمايتها مع بعضها كاتحاد الاقاليم الاخر من المملكة الجرمانية

ولاريب أن هذا الاتحاد كان موجودا من مدة قديمة مضت غير أن التحصيلات التاريخية القديمة التى كانت جارية بينها كان مبدأ تاريخها من أول شهر أوغسطس من سنة ١٢٩١ بعد الميلاد وضبط كونتات حابسبورغ أراضى كثيرة فى داخل حدود هذه الامارات وجعلوا أنفسهم جيران سوء وأهل خطر على هذه الامارات ولما صار هؤلاء الاشراف دوقات أوستريا ابتدؤا بالبحث عن نشر شوكتهم فى هذا الاقليم وفى مبادى القرن الرابع عشر كثر منهم الظلم حتى ابتدأت الامارات الثلاثة فى مقاومتهم بقدر ما يمكنها وفى سنة ١٣٠٨ بعد الميلاد اجتمع ثلاثة من كبار رؤساء الامارات من كل امارة رئيس فى مدينة روتلى على حسب اتفاق كان بينهم وتحالفوا تحت قبة السماء أنهم يعيشون ويموتون فى المدافعة عن بلادهم وانتخب كل واحد منهم عشرة مشتركين معه من أهل امارته وأعاد هؤلاء الثلاثة والثلاثون يمين الحرية والمدافعة مرة ثانية وشرعوا فى استعداد أممهم للمقاومة وكان البرت فى هذا الوقت دوق أوستريا ملك جرمانيا فاستعمل فيهم العنف والشدة وأرغمهم على طاعته وتسبب من جوره فيهم ثوران الحمية فى رؤس الجبليين الى درجة اليأس وقاموا على أرباب شرطته وحكامه وطردوهم من البلاد فسار البرت اليهم فقتل فى طريق سيره ثم سار من بعده ابنه (ليوبولد) وكان خلفه على دوقية أوستريا الى تلك البلاد الجبلية وأوقع على الفلاحين أشد العذاب فتولد من فعله قيام الامارات الثلاثة فى مقاومته ثانية وفى سنة ١٣١٥ بعد الميلاد سار ليوبولد لمحاربتهم لكنه انهزم شر هزيمة فى شهر نوفمبر من هذه السنة ببضع مئات من الجبليين فى معبر (مورغارطين) الضيق وهلك فى هذه الواقعة زهرة الاوستريانيين وأشرافهم ونجا الدوق بنفسه مع غاية المشقة ومن هذا الوقت استمرت الامارات الاورمانية كما كانت عليه امارات ممتازة من المملكة وهذا الاتحاد رأى من هنرى السابع ولويز الرابع كمال الاحترام والوقار وآمناه من كل ما يتجدد عليه فى المستقبل من مساعى أوستريا وفى مدة سلطنة لويز التحق به مدينة (لوظرين) ومن بعدمونه بقليل انضم اليه مدائن زوريخ وظوغ وغلاروس وبرنى وبذا تقوى الاتحاد وزادت شوكته بكونه ضبط أو اشترى أراضى الاشراف التى كانت مجاورة له على حسب وقائع الاحوال وأطلق على هذا الاتحاد اسم الاتحاد الجرمانى القديم فى جرمانيا العليا وكانت أعضاؤه تعرف بالاعضاء المتحدين أو (عدغنوسن) وانتشر الاسم الاصلى المنسوب لامارة سويس على التدريج على عموم أراضى البلاد التى دخلت على حسب توالى الازمان فى هذا الاتحاد حتى أطلق عليها اسم (سويتزرلند) أى أرض الامة المعروفة بالسويسيين

ورفض بيت بافاريه فى الابتداء انتخاب شارلس الرابع لكن بعد مساع لاطائل تحتها فى تعيين ملك آخر امتثل البافاريون أخيرا ثم صار شارلس بدون منازع وفى سنة ١٣٤٩ بعد الميلاد تتوج ملكا فى مدينة عكس الكنيسة وفى سنة ١٣٥٥ بعد الميلاد تتوج امبراطورا فى رومة وفى سنة ١٣٦٥ تتوج ملك بورغندى فى مدينة ارل وفى سنة ١٣٤٩ بعد الميلاد أصيبت جرمانيا بالطاعون الذى أزعج أوروبا وانتشر فى ايطاليا فمات فى مدة قليلة مئات ألوف واعتقد الناس أن اليهود هم السبب فى وجود هذا الوباء بوضعهم السم فى المنابع والغدران فقاموا على اليهود وقتلوا بهم حتى انهم حرقوا الكثير من بيوتهم وأملاكهم ثم ارتفع هذا الظلم والجور بتداخل البرنسات خصوصا الامراء والوجوه الروحانية ومنعوا العامة عما هو حاصل منهم من قتل اليهود

سلطنة شارلس الرابع

وأهمل شارلس الرابع ما يعود بالنفع على جرمانيا وبدل أن يسعى فى عود الاراضى السلطانية باع

مابقى منها وأغنى نفسه أيضا ببيع درجات الشرف والامتيازات ورفع الكثير من الاشراف والبرنسات الى الدرجات الرفيعة بواسطة البرطيل وفى سنة ١٣٥٦ بعد الميلاد منح رخصة سموها بالمنشور المذهب حدد فيها كل شئ يتعلق بانتخاب الملك وأوصل عدد المنتخبين الى سبعة وجعل ملك بوهيمة أول أمراء المنتخبين وجعل أسقف ميانسه رئيس مجلس الانتخاب الذى يكون انعقاده فى مدينة فرنكفورت على الدوام فالملك ينتخب بأغلبية آراء المنتخبين ويتوج فى مدينة عكس الكنيسة وكان المنتخبون فى السابق فى موقع عظيم الاأن المنشور المذهب جاء زيادة فى جلالتهم فنالوا حقوق الملوكية بتمامها فى أراضيهم ومايقام على أحدمنهم قضية أوشكوى أواستئناف الااذا حاد عن العدل وأعلن شارلس بان المنتخبين طاهرين خالين من العيوب فمن ثم صاروا بهذه الامتيازات فوق رؤس البرنسات وغيرهم وصاروا فى جلالة ومجد زيادة عن ملك أوامبراطور حتى صار الملوك الجرمانية فى الاحوال القابلة أقل درجة من رجل رئيس التزام أوابعادية وصار برنسات المملكة أكثر شوكة من الملك وزاد شارلس زيادة واسعة فى أراضيه الوراثية فانه استحصل من زوجته الثانية على (بالاتيناتيه) العليا وضم سيليسيا ولوساطيه السفلى الى بوهيميه واستحوذ على ماركة (برندنبورغ) من بيت باقاريه ومع أنه كان ملكا جرمانيا رديئا وامبراطورا قبيح السلوك الاانه حكم الاراضى والجهات خاضعة له بعقل وجودة حكم وتدبير وأزهرت بوهيميه تحت سلطنته وصارت فى حالة ماسبقت لها تحت سلطنة ملك آخر وأصلح مدينة براغة وزخرفها وهى عاصمة بوهيمية وأسس فيها مدرسة معارف صارت مركزا جامعا التعليم فى مدة قليلة

وماتت شارلس فى سنة ١٣٧٨ بعد الميلاد وخلفه ابنه ونسلاوس وكان أقبح ملك فى جهتى بوهيمية وجرمانيا فكان خشن الطبع شرس الاخلاق عكف على الملاهى الدنيئة وأهمل جرمانيا حتى وقعت البلاد فى الارتباك كالذى حصل فى مدة الفترة ودخل الاشراف فى أحوال الدناءة وشكل المدائن لاجل حماية نفسها اتحادا مماثلا للاتحاد السويسى والمدائن الرينية والحانسية فكان الاشراف يدخلون أحيانا فى ضمن أعضاء هذه الاتحادات الاأن القاعدة التى كانوا جارين عليها هو تشكيلهم جمعيات أعداء للمدائن ومن ضمن هؤلاء الجمعيات كانت جمعية القديس جيورج وجمعية القديس غيليوم وجمعية الاسد وجمعية النمر فلو كان ونسلاوس ملكا عظيما ووضع نفسه فى رأس اتحادات المدائن لكان استرد امتيازات التاج الجرمانى المفقودة وأعاد الشوكة الملوكية الاانه كان بطئ الحركة فى أشغاله مهملا جدا فما حصل منها الاالرخاوة وزيادة الضعف عند كل اتحاد وفى هذه المدة أخذت أوستريا بسرعة فى التقدم فى القوة والاهمية لما أضيفت اليها كرنطيه فى سنة ١٣٣٥ وانتقلت اليها دوقية طيرول فى سنة ١٣٦٩ بعد الميلاد (كوصية من غريطة مولطاش) وصارت هذه البلاد قسما مستمرا من أملاكها وعزم الدوق ليوبولد دوق أوستريا وابن أخى ليوبولد الذى حارب فى معبر مورغارطين واجتهد اجتهادا زائدا فى كونه يتغلب على أراضى الاتحاد السويسى بسبب أنه دخل فيه بعض المدائن التابعة لاوستريا وانضم الى ليوبولد الكثير من البرنسات والاشراف وكانت قلوبهم مشحونة بالغيرة من هذا الاتحاد وتقدم شوكته وسار ليوبولد الى أرض السويس فى رأس عدة آلاف من عساكر مفتخرة فى الزى والتطقيم وكان معظم هؤلاء العساكر من الفوارس الخيالة وكان عدد عساكر الاتحاد السويسى نحو من ١٤٠٠ نفس معسكرين على مرتفعات جبل (سمپاخ) فلما رأى ليوبولد أنه يستحيل على خيالته الاغارة على البوغاز الضيق الموجود فى الجبل أمر خيالته بالنزول عن خيولهم والهجوم وهم مشاة

سلطنة ونسلاوس

فضرواعلى عساكر الاتحاد بسور مشكل من رجال مطقمة بالفولاذ فعـزم (أرنولدون ونكلريد) أحد القواد السويسية على فقد حياة نفسه من أجل خلاص بلاده ورمى بنفسه على خط حذاء الاوستريانيين بكل قوته وصرخ بصوت عال أنا أريد فتح طريق الحرية وقبض على كثير من الرماح التى امتدت اليه بين ذراعيه وتلقاها بصدره وخر قتيلا على الارض فتولد من جسارة هذا الشجاع صدحذاء الاوستريانيين الى الخط الذى كانوا وصلوا اليه فهجم السويسيون عليهم هجوما عباما من جهة الخرق الذى فتحه لهم بلديهم وانتصروا نصرة عظيمة على الاوستريانيين وانكسر سورهم ووقع فيهم الفشل والاضطراب وأعقب ذلك نصرة جليلة لمحبى أوطانهم وقتل فى ميدان الواقعة نحو من ٦٥٠ من أشراف أوستريا وعدة آلاف من عساكرها وكان ليوبولد من ضمن المقتولين وكان ذلك فى سنة ١٣٨٦ بعد الميلاد ومن بعد مضى سنتين نال أهل (غلاروس) نصرة أخرى على الاوستريانيين فى نواحى (نافيلس) فكانت نتيجة هذه النصرات اقرار أوستريا باستقلال الامارات السويسية وسمحت للمدائن التى كانت دخلت فى اتحادها بالبقاء فيه على ماهى عليه

وقد ذكرنا فيما سبق ماعليه المملكة الرومانية المقدسة والمملكة الجرمانية من الحالة الرديئة الغير المرضية حتى صارت كل جهة لاتراعى الاما يعود عليها من المنفعة والسعادة وكانوا لاينظرون فى الصالح العمومى فى أثناء مداولاتهم فى أعمالهم فانتقلت الاحوال من حالة قبيحة الى حالة أقبح منها فى مدة سلطنة ونساوس فزاد الحقد عند المنتخبين وكلوا من أحواله ورغبوا فى خلعه عند سنوح الفرصة لهم بسبب ماهو عليه من السفاهة وعدم الحزم فهيج ونساوس غضب بابا من البابا ويين اللذين قسما الدنيا المسيحية الى حزبين وهو البابا بونيفاس فقوى هذا البابا أعداء الامبراطور وخلع ونساوس وانتخب روبرت دوق بالاتيناتيه خليفة من بعده ومن المعلوم أن طريقة الانتخاب أسهل بكثير من طريقة القبض على زمام الحكومة والتقلد بالوظيفة وكان روبرت أهلا للمركز غير أنه لم يزل هنالك حزب معاضد لونساوس ومات روبرت فى سنة ١٤١٠ بعد الميلاد وفى هذه السنة صار انتخاب ملكين يوبسط كونت موراقيه و (سيغموند أوسيغيسموند) أخو ونساوس وفى أثناء هذه المدة حافظ ونساوس على اللقب والشوكة اللذين أمكنه الحصول عليهما ثم مات يوبسط فى السنة التالية وفيها أذعن ونساوس لاخيه وصار سيغموند من غير منازع وتتوج تتويجا رسميا فى عكس الكنيسة فى نوفمبر سنة ١٤١٤ بعد الميلاد

سلطنة روبرت

وفى هذه المدة كان للمملكة المقدسة الرومانية ظهور قليل قامت فيه فكان يوجد فى هذا الوقت فى آن واحد ثلاث امبراطورات أعداء بعضهم وثلاث بابات أعداء بعضهم أيضا فأما العداوة الامبراطورية فانها لبثت مدة قليلة جدا وأما العداوة البابا وية فانها مكثت مدة طويلة وحدث منها حوادث متباينة ليست خاصة بالتاريخ البابوى بل بتاريخ الديانة المسيحية والدنيا الجديدة أيضا ولما انمحقت العداوة الامبراطورية بالكلية انضمت جهات المملكة من بعد قسمتها الى بعضها كما كانت تحت سلطنة سيغموند وأما مايعرف بالشقاق البابوى فانه وصل الى أرقى درجة وكان ابتداؤه من بعد موت جريجورى الحادى عشر فى سنة ١٣٧٨ بعد الميلاد لكن الصحيح أن مبدأه كان من أيام البابا كليمنت الخامس الذى كان سببا فى نقل مقر البابوية من رومة الى مدينة أفغنون فى سنة ١٣٠٥ بعد الميلاد وتواجد مختلسوا البابوية فى مبادى سنة ١٣٢٧ بعد الميلاد ومهما كان فان الشقاق ظهر مع

سلطنة سيغموند

انتخاب

انتخاب خلفاء جريجورى لان عوربان السادس الذى صار انتخابه عند الرومانيين أوقع بأفعاله النفور فى قلوب الكردينالات الفرنساوية ففارقوه وانتخبوا روبرت الجنويقى بابا تحت لقب كليمنت السابع ومن هذا الوقت الى غلاق ثمان وثلاثين سنة كان يوجد اثنان من البابات خصمان لبعضهما أحدهما فى رومة والآخر فى مدينة أفغنون واستمر الناس فى ريب منهما هل يمكن نقل كرسى المملكة البابوية من موقعه القديم على الدوام أو ان الكنيسة الغربية لا تكون مجزأة الطاعة من الآن فصاعدا بواسطة الزعم والادعاء العدوانى الواقع بين خلفاء القديس بطرس فى ممالك شمال جبال الالب وجنوبها وسعى الناس فى محق الشقاق المتولد منه الاذى الاكبر الناشئ من زعم البابات وموت واحد من الاثنين حتى تعود العلاقات كما كانت فى السابق فكان الذى حصل لم يخطر بالبال ولا فى الآمال لان عوربان وكليمنت خلفهما كل من بونيفاس التاسع وبنديكت الثالث عشر ثم خلف بونيفاس البابا أنوسنت السابع وجريجورى الثانى عشر ثم امتلأت الافكار بالاتحاد وصار الناس يقولون هل يمكن قتل البابات من أجل تحسين أحوال الكنيسة ولذلك التأم مجلس فى مدينة بيسه فى سنة ١٤٠٩ بعد الميلاد وكان مجلسا عاما حضره الكردينالات وكافة النواب من جميع الطوائف المختلفة من الجهات الكاثوليكية وحصلت المداولة فى داخل الكنيسة الكبرى من هذا اليوم فيما يتعلق بالكنيسة الايطاليانية ثم انتقلوا الى الصليب اللاتينى وكان ذلك اجتهادا آخر فى مداواة الجروح الباباوية وعود اتحاد الكنيسة وكل ما حصل فى هذا المجلس من بذل المجهود فى حل المشاكل كان على غير طائل ثم آل الامر أخيرا الى خلع البابوين الاثنين وتعيين بابا آخر بدلا عنهما فكان الدواء الذى عمل لشفاء الداء بلاء زائدا على الداء الاصلى لانه عند انفضاض المجلس وجد ثلاث بابات بدل الاثنين وهم جريجورى الثانى عشر وبنديكت الثالث عشر واسكندر الخامس ثم انه ما صار ترك الغرض الاصلى وحصل الاتفاق من بعد انفضاض المجلس فى بيسه بعقد مجلس جديد فى بحر ثلاث سنوات يعهد اليه تمام هذا الشغل فالتأم المجلس فى مدينة قونسطنسه فى نوفمبر سنة ١٤١٤ بعد الميلاد وفى المدة التى خلت من انحلال مجلس بيسه حصل تغيير نوعا فى هيئة الاحوال الا أن الموقع البابوى باق على ما هو عليه ومات البابا اسكندر وحل محله البابا يوحنا الثالث والعشرون ثم ظهر مؤثر جديد خطير فى المواد الديانية الكنائسية وفى مواد أشغال المملكة وكان هذا المؤثر هو نفس الامبراطور سيغموند وتولد من ارتباك الكنيسة تأثير قوى يلزمه قوة مؤثرة أكبر منه تكون موجودة فى حكومة مركزية فى المملكة فأما سيغموند فانه أعاد النفوذ القديم للشوكة الامبراطورية وكان على تشوف من أن يرى عود الاتحاد فى الكنيسة وانقراض ما فيها من الفساد وكان له عند اجتماع المجلس تأثير شديد ومن ذلك أنه بمجرد تمام احتفال التتويج فى عكس الكنيسة سار على الفور الى قونسطنسة فوصل اليها فى مساء عيد من الاعياد مصحوبا بألف نفس من الخيالة وفتح المجلس البابا يوحنا نفسه وكان حضر فى المدينة مع الجم الغفير من أتباعه وأعوانه فى هيئة ظريفة فى ٢٨ اقطوبر ولا لزوم هنا الى وصف ما كان عليه المجلس من الجلالة والابهة وحضر المجلس خلاف البابا والامبراطور وكبار النواب أرباب الرتب الرفيعة من الروحانيين والملكية وكثير من طوائف خدمة الدين فكان يوجد فى المجلس تسعة وعشرون كردينالا وثلاثة بطارقة وثلاثة وعشرون مطرانا ومائة وخمسون أسقفا وما ينيف عن مائة من رؤساء الديورة ولا أقل من خمسمائة من خدمة الدين من كل طائفة وكثير من الاساتذة من أهل

الديانة والسياسة والمتشرعين فى القوانين والكثير من البرنسات والاشراف والسفراء وكانت شهرة هذا المجلس أن وردالى المدينة الملوكية القديمة مضافا الى أعضاء المجلس ازدحام مختلف من الطوائف ينيف عن خمسين ألف نفس ولما وصل الامبراطور شرع المجلس فى أشغاله مع الهدو والسكون وطلب كل من البابات الثلاث وهم جريجورى الثانى عشر وبندكت الثالث عشر ويوحنا الثالث والعشرون الحضور أمام أرباب المجلس فما حضر الا يوحنا وكان خضع لاوامر الامبراطور بما فوا به فى نفسه من أمل أن المجلس له الطاقة التامة على حل هذا المشكل على حسب أغراضه وكان يوحنا متابا فى أمره وخطر بباله من هيئة وصفة المجلس أن قال وقت حضوره ونظره أول نظرة الى قونسطنسة من سفح جبل (الدبرغ) ان هذا المجلس مصيدة للثعالب ثم تعطلت أشغال المجلس بما وقع فيه من الاشكالات والمصاعب وعدم الاتفاق وأخيرا حصل الاتفاق على الزام كل من الثلاث البابات الاخصام على التنازل فكان ذلك على غير فائدة وحصل من يوحنا شدة المقاومة وبأمل المحافظة على نفسه وسلامة مركزه هرب الى نحو (سكافهوسن) فلحقه الطلب فى الطريق وأعيد الى قونسطنسة وأرغم على طاعة المجلس وخلع المجلس الثلاث بابات وانتخب لكرسى القديس بطرس الكردينال أودومن كلونيه باسم مارتين الخامس ومن ثم انتهى الشقاق الاكبر وعاد الكرسى البابوى الى رومة لان مارتين نفسه كان مقيما فيها

واشتغل مجلس قونسطنسة بأشغال نافعة وأعاد اتحاد الكنيسة ترئيسة الادارة الديانية وقرر أمرها وما كان المجلس ملتئما من أجل هذا الغرض فقط بل كان من أجل ثلاثة أشياء واجبة هى أولا عود الاتحاد البابوى ثانيا ترتيب القسس وجعلهم تحت رياسة رؤسائها وأعضائها ثالثا ازالة الضلال والبدع الواقعة فى الدين المسيحى فأما المطلب الاول فقد تم كما ذكرنا وما حصل شئ فى نحو تمام المطلب الثانى بل شرع فى أخذ التدابير فى حسم البدع وازالة الضلال وذلك أن عقائد المصلح الانكليزى (ويكليف) وجدت لها طريقا حتى وصلت فى أواخر القرن الرابع عشر فى داخل بوهيميه ومالت الاحوال الى منشوراتها ووجدت مساعدة جليلة من كل من المشرع يوحنا هوس وجيروم من أهل براغة الذين لاقاموا من الاهالى أجل الترحاب وميل القلب فتولد من نجاحهما فى مشروعهما أن دخلت مدرسة العلوم والفنون فى براغة تحت نفوذ المصلحين تماما وارتقى هوس الى درجة قورى وما كان عند عالم ذلك الزمن حرية الافكار بالنسبة للاشياء الديانية وكان استدعا هوس الى مجلس قونسطنسة بمعرفة سيغموند فامتثل الامر بوعد أن لا ضرر عليه هناك ولحقه جيروم وبذل جهده فى المدافعة عنه فصارت محاكمة الاثنين ووجدا مذنبين وحكم عليهما بالحرق وبناء على ذلك نفذ حكم الاعدام على هوس فى يوليه سنة ١٤١٥ بعد الميلاد وعلى جيروم فى مايو من السنة التالية فسودت عاقبة هذين المصلحين صحف تاريخ مجلس قونسطنسة

ثم تولد من حرق هوس وجيروم تأثير شديد جدا فى قلوب البوهيميين وزاد هذا التأثير بما أجراه مجلس قونسطنسة وبما أجراه البابا مارتين الخامس من السعى فى حطم ودمار الخوارج فلما مات ونسلاوس فى سنة ١٤١٩ بعد الميلاد أعلن بأن سيغموند ملك بوهيميه فلو كان سعى سيغموند فى اصلاح المواد الهوسيين لكان استحوذ على تاج بوهيمية فى الحال لكنه بدل أن يفعل ما فيه الاصلاح أمر بخطابة

حرب دينانى على أتباع هوس وهم الخوارج فن ثم تجمعوا واتحدوا جميعا ضده وكان الحرب الذى أعقب هذه المادة حربا مهولا مسفكا واستمر خمس عشرة سنة وكان الهوسيون فى ابتداء الامر تحت قيادة (يوحنا طيسكا) أحد القواد المشهورين فى الحروب فى هذا العصر فما كان أعمى البصيرة ووثق أتباعه به وساقهم من نصرة الى نصرة ومات فى سنة ١٤٢٤ بعد الميلاد وعزمه وشهامته مذكورتان لحد الآن فيما بين الهوسيين لانهم ماهزموا جيشا سوى جيش أرسل اليهم فقط بل أغاروا على الاراضى الواقعة حول بوهيمية وخربوها ومن بعد موت يوحنا طيسكا اجتمع الهوسيون تحت قيادة قسيس اسمه (بروكبيوس) واستمروا فى حروب دموية فكان البوهيميون منصورين فى عموم الحرب الذى أشعلوه على الامبراطور ومن أجل الحماية والمدافعة عما يرون أنه من حقوقهم

وفى سنة ١٤٣١ التأم المجلس فى باسيل وكانت حركة الحرب فى هذا الوقت شديدة وشرع المجلس فى المخابرة مع الهوسيين من بعد مضى مدة فى الحرب تزيد عن ثلاث عشرة سنة من ابتداء انفضاض مجلس قونسطنسه وكان الهوسيون منقسمين الى قسمين أوحزبين الاول كالكستون والثانى طابوريون وكانت العقيدة الكبرى لحزب الكالكستين أن العوام وخدمة الدين يلزم أنهم يتناولون الكاس فى وقت الجمعية وأما حزب الطابوريين فانهم ذهبوا الى حالة بعيدة عن هذه الحالة ورغبوا فى البقاء على الدوام مفصولين من الكنيسة وأخذوا هذا الاسم من اسم جبل كان يوحنا طيسكا جعله أس حركاته العسكرية وحصنه بالمتاريس تحصينا قويا وكان اسمه جبل طابور وفى سنة ١٤٣٣ دخل حزب الكالكستيين فى اتفاق مع مجلس باسيل ورخص لهم بعود الكاس واستعماله والعود الى الكنيسة فنظر الطابوريون الى الفعل بأنه فعل خيانة وعادوا الى أصدقائهم القدماء

وفى سنة ١٤٣٤ انهزموا جميعا بالقرب من مدينة براغة وقرر سيغموند الاتفاق الذى كان حصل بين المجلس وبين الكالكستيين وتقرر أمر مملكة بوهيمية ومع هذا فانه ما فعل الفعل الموافق الحسن لانه بمجرد دخوله براغة اجتهد فى دمار الكالكستيين لئلا يرتدوا الى الديانة الكاثوليكية ومات سيغموند فى سنة ١٤٣٧ بعد الميلاد وكان تتوج فى سنة ١٤٣٣ امبراطورا ومع ما كان فى سيغموند من قبح الطبع فانه شغل محلا مشهورا فى التاريخ جليل الموقع ليس فى جرمانيا فقط بل فى تاريخ عموم أوروبا وكان معدودا من عظام الامبراطورات وساعدته الازمان والمقادير ونشرت عليه أجنحة سعدها ورقته الى أعلى درجاتها ومكنته من كل فرصة يبغيها ونية ينويها وما كانت سلطنته مشهورة بعقد مجلس قونسطنسة فقط بل عقد مجلس باسيل والحرب الكبير البوهيمى فلولا أنه كان مستحوذا على عظيم الصفات وعلو درجة التدبير والرياسة ما كان له طاقة على ما أجراه من الاشغال لان انتهاز الفرص وسنوحها لا يتأتى فى كل شئ ولا من علو المرتبة وعظيم الشوكة يحصل الثناء والخير وبالجملة فان سيغموند يجب مراعاته واحترامه بأنه كان القائد صاحب الشوكة فى مجلس قونسطنسة وأنه معيد اتحاد المملكة البابوية والمهيج لثوران عظيم دينى

ومن بعد موت سيغموند انتقل التاج الامبراطورى أولا الى البرت دوق أوستريا الذى جلس على كرسى المملكة باسم البرت الثانى لمدة سنتين ثم الى فريدريق الثالث الذى كان من نفس البيت وتسلطن مدة طويلة الا أن سلطنته ما كانت على شئ عظيم وكان ضعيف الفكر والعقل مع انه ما كان يخلو من المطامع والاغراض فانه أمسك قضيب المملكة بيد ضعيفة وكانت مملكته اسما فقط بسبب انعدام

سلطنتا البرت الثانى وفريدريق الثالث

شوكة السلطنة واستعطف فريدريق مساعدة دار القسوسية بعقد اتفاق فينة المشهورة وباسترداده الى البابا نيقولا الخامس بعض الحقوق التى كانت سلبت من سلفه أغنيوس الرابع بمعرفة مجلس باسيل ولكن مساعدة البابا كانت قليلة الفائدة حيث ان نيقولا كان ملتفتا الاشغال أخر خلاف ما يتعلق بجرمانيا وعلى العموم اذا كان البابا أفرغ أفكاره الغير المنتظمة فى أشغال فريدريق فكان يرى أن من الصعب تقديم مساعدة مؤثرة للغاية له حيث كانت أعمال الامبراطورية فى حالة اليأس تقريبا وزادها فريدريق رداءة بعزمه الردىء على الاستحصال على تاجى بوهيمية وهنكاريا وأن يجعل نفسه سيد جميع أراضى أوستريا فكان تاج بوهيمية وقع من نصيب (جيورج بوديبراد) وكان (متياس كرفينوس) صعد على تخت هنكاريا ثم ان فريدريق عوضا عن أن يزيد سلطته على أراضى أوستريا انجبر على أن يعطى فينة والاقليم السفلى لأخيه البرت فكان لمدة خمس سنوات كسائح لا بيت له فى مملكته وتولد من موت أخيه فى سنة ١٤٦٣ بعد الميلاد أن صار المالك الشرعى لجميع أراضى أوستريا ولكن نظرا لتداخله الذى بدون تروّ مرة ثانية فى أعمال بوهيمية وهنكاريا وضع كرفينوس يده على أوستريا واستمرت معه الى وفاته فى سنة ١٤٩٠ بعد الميلاد ومن الحوادث المضرة التى حصلت فى هذه السلطنة اغارات الترك على الحدود الشرقية للملكة وفى سنة ١٤٥٦ بعد الميلاد زحفت الترك على هنكاريا وفى سنة ١٤٦٩ بعد الميلاد تواجدوا فى كارنيولا وفى سنة ١٤٧٥ بعد الميلاد توغلوا الى دسالسبرغ فما كان يمكن وقوع اغارات مثل هذه لو كان هنالك شئ يسمى اجتماعا فى الحكومة أو حماسا فى مصلحة الاشغال العمومية ثم بعد وفاة كورفينوس عاد فريدريق الى فينه وتملك على الاراضى الآيلة له من أجداده وكره أن ينظر تاج هنكاريا الطامع فيه واقعا فى نصيب لادسلاوس صاحب بوهيميه ومات فريدريق فى سنة ١٤٩٣ بعد الميلاد بعد ٥٣ سنة فى سلطنة مهينة

ومع نقائص فريدريق كان فيه فضيلة عالية وهو كونه لم ينس مطلقا منافع عائلته وعرف مقدار ثروة المتحالفين أصحاب القوة فكان من ضمن برنسات ذلك العصر أصحاب الثروة والقوة شارلس الشجاع دوق بورغندى حيث كان سيدا على دوقية بورغندى بل كان أيضا سيدا على الدوقية الحرة التى اشتهرت بذلك الاسم وعلى القسم الاعظم من الاراضى السفلى وكان له ابنة وحيدة اسمها مريم الوارثة لجميع أملاكه فكان من مطامع فريدريق استخلاف ابنه مكسيمليان على المملكة من بعده وكان يعرف جيدا أن زواج ابنه مكسيمليان بمريم صاحبة بورغندى يجلب لابنه فى الحال أراضى ونفوذا عظيما جدا

ففى أثناء المخابرة عن الزواج حصل حرب بين البورغندين ودوق لورين ومحالفى السوس وفى واقعة ننسى حصل انهزام البرغنديين وقتل شارلس الشجاع وبالجملة فان موت شارلس لم يمنع اتمام المرغوب لان مريم برغبتها أعطت يدها الى مكسيمليان الذى كان فى سن التسع عشرة سنة وتولد من الزواج ارتباك فى الحال وذلك أن لويس الحادى عشر بواسطة أنه نائب بورغندى طلب الدوقية من حيث ان شارلس الشجاع مات بدون ذكر يرثه فالدوقية تعتبر أنها التزامية ولما سير لويس جيوشه على بورغندى انجبر مكسيمليان على المدافعة عن حقوق زوجته والصعوبات التى كانت حاصلة من زمن انتهت أخيرا بعقد زواج مرغريته بنت مكسيمليان من زوجته مريم على دوفين صاحب فرنسا المعروف فيما بعد باسم شارلس الثامن بعد تقديم أراض كثيرة بصفة مهر ثم انه فى سنة ١٤٨٢ بعد الميلاد ماتت مريم تاركة

مى غريته المذكورة وابنا يدعى فيليب وفى سنة ١٤٨٦ بعد الميلاد صار انتخاب مكسميليان ملك الرومانيين وفى السنين التى جاءت بعد انتخاب مكسميليان كان مشغولا بهشم الثورات التى كانت حاصلة فى الجهات الشمالية ومقاومة غارات الهنكاريين وردع مطامع فرنسا والسعى فى الانتقام من أجل فسخ عقد الزواج فالبرنس الفرنساوى تحول عن ترتيبا نه مع مى غريته وعزم بواسطة اقليمها الغنى أن يتزوج آنه صاحبة بريطانيا ولكنه أخيرا اجبر على تسليم الاراضى التى كان أخذها من مى غريته وعند وفاة أبيه صعد مكسميليان على كرسى المملكة .

ففى مركزه الجديد أظهر مكسميليان الغيرة والنشاط فكان فى كل المواضيع أفضل من والده وكانت آراؤه حسنة واذا كان له رغبة فى الاحلال كانت عنده شجاعة لانفاذ مرغوبه وبعد صعوده على تخت الامبراطورية بقليل تزوج (بينقاسفورظه) بنت دوق ميلان وكان من أعماله الابتدائية تعيينه مجلس العقد فى ورمس فى سنة ١٤٩٥ بعد الميلاد وكان هناك شيئان تحت النظر أولهما ابطال الخصام والاختلاف الداخلى ثانيهما المدافعة عن المنتخبين المتحدين ضد تعديات فرنسا وكان من مشروعات المجلس تشييد محكمة استئناف أو ديوان يعرف بالديوان الامبراطورى مؤلف من قاض أو نائب عن الملك وستة عشر عضوا فالقاضى يعين بمعرفة الملك وأما الاعضاء فينتخبون بواسطة الاقاليم والملك يصدق على تعيينهم ومن واجبات هذا المجلس فصل المسائل الداخلة بدون اسراف يلجئ الى الحرب فالامبراطور وجد أن هذا المجلس لم يشتغل بصالحه الخصوصى ولكن وجد أنه نافع وحينئذ استمر لغاية غلاق السلطنة ولاجل صالح أحوال الامبراطورية وتسهيل قرارات الديوان الامبراطورى صار تشكيل مجلس آخر استحصل فيما بعد على نظام معين وواجبات محددة وعرف باسم المجلس الاوليقى وابتدأت أعمال داخلية المملكة فى النجاح وعلى كل حال ما خضعت السويس الى الديوان الامبراطورى بل رفضت اتباع قوانينه وكانوا يقدمون المساعدة الى الفرنساوية فى غاراتهم على ايطاليا فاجتهد مكسميليان فى اخضاعهم ولكن ما أمكنه ذلك لشدة شروط المعاهدة ووجد أن الاحسن مصالحتهم وبناء على معاهدة سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد استقلت (سويتزرلند) ثم ان مكسميليان رغب أن يتتوج فى رومة مثل أسلافه وفى سنة ١٥٠٨ توجه الى جهة الجنوب بقصد الذهاب الى المدينة المقدسة فعارضى القنيزيون بعبوره فى أراضيهم فحصل من ذلك الغضب الشديد عند الامبراطور وأعلن حربا على فنيزيه وانضم على اتحاد كبرى وفيما بعد هجم هجوما كان على غير طائل على الميلانيين وأخيرا عقد مكسميليان صلحا بتسليم ميلان الى الفرنساوية وفيرونه الى القنيزيين وما كان وصل رومة ولكن سمح له بواسطة البابا يوليوس الثانى بان يستعمل لقب امبراطور وكان آخر شغل شرع فيه مكسميليان عقده مجلسا فى أوغسبورغ واشتهر هذا المجلس بظهور جمعيات مارتين لوثير وشرع المجلس فى القضاء فيها ومات مكسميليان فى سنة ١٥١٩ بعد الميلاد فى مدينة ويلس من أعمال أوستريا العليا وكان مكسميليان معدودا من الامبراطورات العظام وكان شهما شجاعا على غاية من النباهة فى القراءة والكتابة وغرس البساتين والصيد وفن العمارات وترك الكثير من تصانيفه الشعرية وعباراته المفيدة وشرف مركزه وموقعه وترك جرمانيا فى غاية المجد والفخر زيادة عما وجدها عليه وكان صاحب حزم وتبصر فى الامور بعيد النظر حاد الفكر وكانت سلطنته من أجل الايام على بيت أوستريا وزاد فى شهرة هذا البيت بزواج وقع مرتين من العائلة الملوكية فى اسبانيا

وزواج اثنين من أحفاده فى عائلة لادسلوس ملك هنكاريا وفى بوهيمية وأضاف هاتين المملكتين الى أملاكه الوراثية وحاز الشهرة والصيت مثل من حازهما قبله وكان حيد السجايا وكان له فكر فى بعض الاحيان فى تغيير حالة التاج الامبراطورى وحله من العقدة البابا وية ولما مات ترك المملكة فى حالة سلم الآن القلاقل والارتباكات اجتمعت فيها بسرعة من بعد موته ثم انتشرت على أهلها بحالة مزعجة مؤلمة

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ الاصلاح الانجيلى وحرب الثلاثين سنة ﴾

الامبراطور شارلس الخامس ـ قيام الاصلاح الانجيلى فى جرمانيا وتقدمه ـ ابطال الاشياء القديمة ـ احياء العلوم ـ مارتين لوثير ـ مبادى حياته وتهذيبه ـ البابا ليو العاشر ـ صفته ـ الراهب تترل وبيع الغفران ـ موادلوثير ـ الكردينال كاجطانوس ـ المنشور البابوى ـ التئام المجلس فى ورمس ـ ثبات لوثير ـ ميدان الملابس الذهبية ـ واقعة باوية ـ تتويج شارلس الخامس فى بولونيه ـ وجود لوثير فى مدينة ورطبورغ ـ انجيله أو عهده الجديد ـ عوده الى ويطنبرغ ـ زواجه ـ قيام الاشراف ـ حرب الفلاحين ـ اسم البروتستانت ـ محاجات الكاثوليك ـ لوثير وطونغلى ـ الفوارس الطوطونيقية ـ مجلس أوغسبورغ ـ الاقرار الاوغسبورغى ـ الاتحاد الاسمالكلدى ـ صلح نورنبرغ ـ التئام المجلس فى طرنطه ـ الرجوع ـ صلح أوغسبورغ ـ خطأ رودلف ـ خلعه ـ الاتحاد الانتقامى ـ الاتحاد الكاثوليكى ـ بوهيمية والمنحة الملوكية ـ مبادى حرب الثلاثين سنة ـ نقض المنحة ـ قيام بوهيمية ـ صيرورة فرديننداامبراطورا ـ هزيمة البوهيميين ـ الانتقام الشنيع ـ تجديد الحرب ـ احالة عهدة قيادة الجيش الامبراطورى على ولنسطين ـ نصراته ـ منشور البدل أو التعويض ـ دخول غوسطاووس أدولفوس فى جرمانيا من أجل مساعدة البروتستانت ـ تحرك ولنسطين ـ انتصار غوسطاووس ـ احتلاله مونيخ ـ واقعة لوطزن ـ موت غوسطاووس ـ مؤتمر هلبرون ـ قتل ولنسطين ـ تقدم الحرب ـ واقعة نوردلنغين ـ معاهدة براغه ـ موت فرديننند الثانى ـ سير الحرب تحت أحوال جديدة ـ نصرات الاسوجيين والفرنساويين ـ صلح وسطفاليا ـ نتائج الحرب ـ تحمل العناء وتكبد الآلام فى مدة الحروب فى جرمانيا

من بعد مضى خمس وأربعين سنة عادت حكومة جرمانيا وادارتها مرة ثانية فى أيدى المنتخبين وصار هذا الموقع الحالى ولو أنه سيحتمل كما كان عرضة لبعض مطامع وشهوات مقصودة فى أكبر المواقع العالية الموجودة فى الدنيا وصار يشق على الناس الظن من الاول أن يكون الذى يحتل الكرسى الامبراطورى من بعد موت مكسميليان لابد وأن يكون من بيت حابسبورغ وكان تفرع من هذا البيت أربع عائلات حازت الثروة والقوة وأضاف هذا البيت لنفسه القلاع قلعة بعد أخرى والاراضى أرضا بعد أرض واقليما بعد اقليم وما حاز بيت حابسبورغ ثروة الاراضى والشوكة فقط بل خرج منه ثلاثة ملوك كبيرة متعاقبة ساسوا الانتخاب الجرمانى للمنتخبين فان مكسميليان وفريدريق والبرت هؤلاء الثلاثة كانوا امبراطورات ورؤساء بيت أوستريا وناب هذه الثروة والشوكة والمجد الجالس على التخت الاسبانى باسم شارلس الاول لان فيليب ابن الامبراطور مكسميليان تزوج البنت الكبرى الوارثة لفردينند

وازابلا الكاثوليكيين فولد من هذا الزواج شارلس وكان هو البكري ولما مات أبوه في سنة ١٥٠٦ بعد الميلاد صارهو المأمول فيه دوقية بيت أوستريا لكونه أرشد عائلة هذا البيت وكذلك كان أرشد العائلة الملوكية الاسبانيه ولما مات فرديننذ جد شارلس في سنة ١٥١٦ بعد الميلاد جلس شارلس على التخت الاسبانى وكان عمره في ذلك الوقت ست عشرة سنة ومضى على ذلك ثلاث سنوات فكان المنظور في هذا الوقت أن شارلس لابد وأن يحتل الموقع الامبراطورى الخالى الا أنه كان يوجد طلاب آخرون مستعدون لتنفيذ طلباتهم لهذا المقر الامبراطورى وكان الاقوى شوكة من هؤلاء الطلاب فرنسيس الاول صاحب فرانسا وهنرى الثامن صاحب انكلتره فأما هنرى فانه تنازل عن طلباته وأما فرنسيس فانه اجتهد في جلب المنتخبين لجهته الا أن طلبات شارلس كانت أقوى منه برهانا وأشد قوة وكان فرديريق صاحب صكصونيه حاضن أمر شارلس قلبا ولسانا فمن ثم توطد أمر شارلس بقوة فرديريق وقضى أمره وصار انتخاب شارلس امبراطورا في سنة ١٥١٩ بعد الميلاد وصار تتويجه في السنة التالية في مدينة عكس الكنيسة ولقب شارلس الخامس وفي وقت معلوم تشرف بالبابا المتسلطن على كرسي القديس بطرس ولقبه البابا لقب امبراطور الرومانيين

سلطنة شارلس الخامس

وكان شارلس من قبل انتخابه عهد على نفسه بتوقيعه على منشور رسمى يتضمن احترام حقوق الايالات الجرمانية وامتيازاتها وكان اجراء هذا العمل الاحترازى ضروريا بسبب ما عليه بيت أوستريا من سعة الثروة وزيادة القوة في هذا الوقت وبسبب وجود شوكة في يد الملك ليست تحت حد محدود ما كان للمنتخبين طاقة على المحافظة على حقوقهم الا من أجل الانتخاب فقط وصار من ابتداء هذا الوقت فصاعدا أعمل مثل هذه الاحترازات في الكفالة على الحقوق والامتيازات من المستحقين للتخت الامبراطورى حتى صارت عادة جارية عند ملوك الجرمانيين

وجاء شارلس الخامس الى التخت الامبراطورى في وقت غريب أو مخصوص في تاريخ المملكة وفي أوروبا فان القارة جميعها كانت في حالة يمكننا أن نقول انها حالة طلوع الروح ومن المحتمل أنه ما وقعت حالة قبل ذلك تضاهي حالة الاعمال التى كانت موجودة في وقت جلوس شارلس الخامس على كرسي جرمانيا ومن المحقق أنه ما وجد شئ يماثل ما كان موجودا في العصر الذى اشتهر بسقوط المملكة الرومانية فكان يوجد نفور عام بين الموجودين وصارت الدنيا على شرف حياة جديدة الا أنه بأى طريقة تكون هذه الحياة الجديدة ثم شوهد من حالة العصور المتأخرة سهولة ادراك الحالة وفهم ماهى عليه فان الناس اشتغلوا بجمية في أصناف الاشغال وان كانت غير مشهورة الا أنه لذ هذا الوقت ترائى أن يكون لها تأثيرات ونتائج جليلة مظنون فيها عدم الخطا وما كان لشارلس أن يجعل نفسه مانعا لما الناس مائلة اليه في عصرهم الا أن الاسباب التى ألجأته لذلك بعضها ضرورة علو موقعه وبعضها ميل طبيعته فكان ذلك هو السبب في أنه قابل بصدره ثلاثة أمور صعاب هى أولا الاصلاحات البروتستانتية ثانيا العداوة الفرنساوية ثالثا التعديات التركية

وقد ذكرنا فيما تقدم كيفية وصول عقائد المصلح الانكليزى (ويكليف) الى أن وجدت لها طريقا دخلت منه في جرمانيا وعلى الخصوص في بوهيمة وما حصل من سعي الامبراطور سيغموند ومجلس قنسطنسة لازالة هذه البدعة وذكرنا الحالة الكئيبة المحزنة التى حصلت من موت يوحنا هوس ورفيقه جيروم من أهل براغة الا أن الطريقة القاسية المهولة التى وقعت من قتل هذين الرجلين والحروب

الانتقامية التى جاءت عقب قتلهما ما حصل منها اطفاه كلى لهذه العقائد الجديدة فانه بواسطة احياء العلوم فى القرن الثانى عشر توجهت عقول الناس الى مطالعة الكتب القديمة ومنها حصل انتشار تأثير شديد فى الادراكات والعقول البشرية وكانت عادة الخلق من قرون مضت أخذهم الاشياء كخدمة ويخضعون مع عمى القلب لكل حكومة استولت عليهم فكان من الخطا البين مقاومة سلطة الحاكم المدنى لانه خليفة السيد المسيح ومن الكبائر العصيان على حكومة البابا لانه خليفة الله على أرضه فشرع الناس فى هذا الوقت فى الفكر والسؤال عن أسباب وجود الدين بينهم وكان هذا السؤال والفكر متولدا من مطالعتهم الكتب التى قرؤها وحازوا أفكارا وتنورا من المؤلفات التى كانت محبوبة التدريس والمطالعة عندهم وكذا قوت مطالعة الاشعار الرومانية الممسكة على وجود الامبراطورية حتى رأى الناس فى أشعار الشم بردا نطى صدا صوت (فيرجيل وهوراس) وصارت أشعار هوراس وحكاياته عادة جارية فى مطالعة كتب مؤرخى الجمهوريات القديمة وما كان عليه عصرها فكانت هذه المطالعة سببا فى اشتعال لهيب حرية لا تطفأ أبدا من جسم النوع البشرى وازداد تأثير محركات أفكار الاستقلالية باختراع آلات المطابع وصارت الكتب القديمة كثيرة الوجود ويمكن الحصول على كثير منها بسهولة ووجدت أفكار المتبصرين من الناس فى هذا الوقت لنفسها طريقا موافقا جديدا وكان من ضمن الكتب القديمة كتاب واحد كثير الطلب وهذا الكتاب وان كان مشتملا على العقائد الدينية المؤسسة عليها الديانة المسيحية الا أنه ما كان معروفا الا قليلا للعلمين الاساتذة فى علم الدين فكان فتح هذا الكتاب والتدريس على موجبه أصلا فى ثورة ديانية كبيرة وقعت فى القرن السادس عشر

وكان من الذين حازوا كمال المعقولات والادراكات العقلية من تلك التأثيرات الجديدة التى ذكرناها وتحمل بمفرده مصاعبها شاب قسيس جرمانى اسمه مارتين لوثير كان أصلا لطريقة الاصلاح الانجيلى شاع ذكره وحضن الناس أمره وصاروا تابعين اصلاحه وعقائده وكان جالسا على الكرسى البابوى فى هذا العصر البابا ليو العاشر رجل مهذب ممدوح الذكر محب العلوم والفنون ومع ذلك ما كان يخلو من عيوب الدنيا وحبها الا أنه كان أنموذجا لاسلافه فى احياء الوقت بالسهو والمجد وبما أنه كان عضوا من أعضاء البيت الميديسى فى فلورنسة أهل الثروة ورفاهية العيشة كان متعودا من مبادى سنى عمره على التصورات والافكار العالية واكتساب الذكر الجميل فكان من ضمن مشروعاته التى بها انشهر ذكر اسمه فى كل عصر وخلد ذكر سلطنته ترتيبه حملة كبيرة على الترك وتمام بناء كنيسة القديس بطرس فى رومة وكان ذلك يحتاج لمصاريف جمة من النقود فشرع البابا ليو فى بيع الغفرانات وكان هذا المشروع سببا فى اشتعال نار شديدة فى كافة مواد الحريق التى كانت موجودة من قبل

وقيل للناس انه بواسطة هذا الغفران يغفر للانسان ذنوبه ويتطهر من الجرائم وعهدت تجارة بيع الغفران بمبعوث من طرف البابا على قسم عظيم من جرمانيا الى البرت أسقف ميانسه (ومجديبورغ) عضو من بيت الانتخاب فى برندنبورغ وكان فيما مضى عندما كان عمره سبعا وعشرين سنة رأس ديانة هذين الاقليمين وكان البرت سامى القدر كثير المصاريف مدبرا فى الديانة المسيحية لكنه كان فقيرا ضيق الحال فاجتهد المبعوث عند البرت فى أن يسمح له البابا أن يكون له نصيب من هذا المكسب فاختار البابا نائبا غيره رجلا راهبا اسمه يوحنا تتزل فاجرا مختل العقل قبيح الافعال أشهر نفسه فى هذه التجارة وفعل

الحكيم مارتين لوثير

أفعالاً جسيمة بالوقاحة وصلابة الوجه حسبما تشتهيه نفسه وفى مدة سفره وصل الى حدود صكصونيه فما حصل قبول دخوله فى أرض المنتخب نقام فى (يوطر بوك) من أعمال برندنبورغ وفى هذا الوقت كان مارتين لوثير معلما علم الفلسفة وخطيب كنيسة القلعة فى مدينة (ويتنبرغ) عاصمة صكصونيه العليا ومقر المنتخب فريدريق ولما استيقظ لوثير وعلم أن تتزل قام فى يوطر بوك وتأيد أمره بالجم الغفير من مدينة (ويتنبرغ) نفسها أخذته الحدة والغضب الزائد وكانت عادة تتزل عند ختامه أزهاره البليغة أن يدهش الناس بمقالاته وفصاحة كلامه وبكون صونه كرن الذهب فى صناديقه ويقوى ما قاله بواسطة ضربه على طبلة كانت معه وكان من رأى لوثير أن الديانة صارت مسخرة من وقوع الفساد فى الكنيسة ثم قال الله يفعل ما يشاء ولما وصلت اليه أخبار جديدة بما هو حاصل من أعمال تتزل قال أراد الله بهذا أنا سوف أخرق فى طبلته خرقا بدون تأخير واستخرج عدة مواد عددها خمس وتسعون مادة حكمية فى الغفران تنكر أن النجاة والخلاص يكون بأعمال مماثلة لذلك أو بأى واسطة من مثل هذه الوسائط ودعا الناس للمداولة فى هذه المواد والتفحص فيها وعلق هذه المواد بمسامير على باب كنيسة القلعة ونقر لوثير نقرة الترميبطة أو الطبلة الاولى للاصلاح

وكانت الحالة التى شرع فيها لوثير من اجراء الاحوال ووقوفه موقف الشجاعة من بعد أن كان عابدا معتزلا وريح الارض بنقرته وعلى ذلك استمر عدة سنوات ومع أنه كان لا معلومية له بها الا أنه أعد نفسه لها حتى اندهش من أعماله الذين كانوا لهم به دراية تامة وكان مولد لوثير فى مدينة (اسيلبين) وهى قصبة صغيرة مبنية على امتداد فرع من فروع جبل (الهرطز) وكان أهله فى غاية من الفقر الا أنهم كانوا فى درجة عظيمة من احترام الشرف والديانة وكانوا من طوائف الفلاحين وفى الوقت المعلوم صار ارسال مارتين فى مدرسة فى (منسفلد) عندما انتقل أهله من قصبة اسيلبين من بعد مولده بقليل ولما حصل تقدم عظيم فى علومه الابتدائية فى مدرسة منسفلد انتقل منها لتلقى العلوم الاخرى فى مدينة (مجديبورغ) ومنها الى (ازناخ) وأخيرا توجه الى مدرسة المعارف فى مدينة (ارفورت) ومن هذه المدرسة أخذ شهادة براعته فى العلوم فى سنة ١٥٠٢ بعد الميلاد وشهادة أستاذيته فى سنة ١٥٠٥ وكانت رغبة أهله أن يكون مشرعا فى القوانين وفى هذا الوقت بلغ من العمر ٢٢ سنة فكان نيرا فى ادراكاته بشوش الوجه قادرا على الخطابة بجذب القلوب بأقواله وله حاسة من الذكاء والعقل خارقة للعادة فتولد من الحوادث المختلفة لهذا العصر تعكير فى أفكاره فانحاز الى دير أوغسطين فى (ارفوت) وكان دخوله فى هذا الدير على غير رغبة أبيه وفى هذا الدير مال مارتين لمطالعة الكتب المقدسة مما أصابه من كثرة الشكوك والمخاوف فدرسها جيدا بمساعدة يوحنا (ستوبيتز) مطران طائفة هذا الدير وبواسطة ما كان عليه ستوبيتز من النفوذ طلب مارتين لتدريس علم الفلسفة فى مدرسة المعارف الجديدة التى تشيدت فى مدينة ويتنبرغ فكان تعليمه على غاية من النجاح وأخيرا لما شوهد فيه اللياقة والنجابة صار مساعدا الخطيب المدينة ثم صار ارساله فى خلال مدة من الايام لمصلحة فى رومة تخص أرباب طائفته فكانت زيارته لرومة سببا مؤثرا فى عقله وقلبه فاندهش واستغرب مما عليه رومة من السعادة الا أنه انسر قليلا من جمعيات التآلف والعمران وتمسك الامة بالديانة وعند عود لوثير من رومة صار معلما فى علم الديانة فكان وقت خطابته للعقائد الانجيلية يشرحها مع أحكامها الفاصلة ثم صار محبوبا عند الامة وكان لحد هذا الوقت الابن الصادق الحقيقى للكنيسة الكاثوليكية وما كان عنده أدنى تصور

فى أن اعتقاداته يحصل فيها ارتياب مع عقائد الذين وجدوا الكرم والمعروف فى علو الدرجات الدنيوية
ثم كان لنشر هذه المواد فى أنحاء جرمانيا وغيرها تأثير كبير جدا واشتهر لوثير بالمدح لانه كان يوجد كثير
من الناس التابعين للكنيسة أفكارهم مثل أفكاره الا أنهم ما كانوا على شجاعة تامة حتى يتكلموا
بما فى قلوبهم وأرسل لوثير نسخة من المواد مع التفاسير اللازمة لكل مادة الى أسقف (برندنبورغ)
ونسخة أخرى الى البابا عن يد المطران ستو بيتز فصار تتزل ورفقاؤه فى غضب شديد لان تجارة بيع
الغفران انحطم أمرها واعتزل تتزل فى فرنكفورت على نهر الاودر لانه وجد فيها راحته وكتب مواد
مضادة لمواد لوثير ونشرها وحرق أمام العموم مواد لوثير فأخذ طلبة ويتنبرغ وأحباب لوثير عموما
بالثار من تتزل وحرقوا ما قرره من المواد ودخل لوثير فى مجادلات مع عدة من عظماء رجال الكنيسة
وعلى الخصوص مع (يوحنا عيك) أسقف (أنغولستاد) وكان عيك المذكور ألد أعداء لوثير ولما وردت
مواد لوثير الى البابا انشرح صدره منها وقال ان الاخ مارتين أذكى وأمهر قرين وان المجادلة بين الرهبان
الحسد فقط وأخيرا افتكر فى نفسه أن هذه المواد ابتدعها واحد جرمانى وهو فى حالة السكر
ولحد هذا الوقت ما أحاط الناس بفهم تام موافق للرجل أو للمنصب ورفض كثير من الامة القول بان
لوثير رجل غير مبتدع فى الديانة ثم ما مضت مدة حتى ان البابا أخذ بعض الاحتياطات الفعالة وقد ذكرنا
انه صار عقد مجلس فى (أوغسبورغ) فى نحو غلاق سلطنة الامبراطور مكسميليان بناء على الطلب
حضره لوثير فطلب الكردينال (كاجطانوس) من لوثير الرجوع عما وقع فيه من الخطا فرفض لوثير
بالكلية الاذعان سواء كان بالاقناع أو بالتهديد وطلب فى هذا المجلس أن يكون البابا على حالة مرضية
لا قبيحة مثل الحالة الجارية فاستأنف كاجطانوس مسئلة لوثير فى مجلس حافل جامع فاصر فيه لوثير على
ماهو عليه من العقيدة وصارت الحالة أقبح الحالات فى نفس المجلس المعقود فى (أوغسبورغ) وما حصل
فيها اقرار ولا حكم بسبب ما وقع من موت الامبراطور بغتة ولما رأى لوثير ما هو عليه من صلاحية
الاحوال عاد الى ويتنبرغ من أوغسبورغ وكان فى يوم عيد من أيام السنة فعلق فى هذا اليوم مواده على
باب كنيسة القلعة وانتشر صيته على سطح البسيطة وصار اسم راهب ويتنبرغ اسما معززا معروفا فى
سائر أنحاء أوروبا ومن المعلوم بالطبع أن جراءة كل انسان ومقدرته وحذاقة أعماله التى تظهر للناس
بما يقع له من المخالفات والمشاحنات والمسائل المهمة التى يتقلدها زمامها تجمع حوله عساكر بكثرة
وميل أحباب وأصدقاء من كل صنف من العالم فما كان فى جهة لوثير الكثير من البرنسات والاشراف
فقط بل والجم الغفير من العلماء الاعلام والطلبة مثل أراسموس وملانقطون
فكانت هذه حالة الاعمال الكنائسية عندما صار شارلس الخامس رأس حكومة جرمانيا وبمجرد
صيرورته ملكا قابلته فى وجهه المصاعب الدينية فكان أول مبادى أعماله العمومية التئام مجلس فى
مدينة ورمس وبذل البابا جهده فى عمل أجود طريقة بواسطة نائبه ملتيتز فى كونه يغوى منتخب
صكصونيه بما أنه كان معلوما فى السر أنه صديق لوثير والمدافع عنه فى القبض على هذا المصلح طوعا
أو كرها وارساله الى رومة الا أن المنتخب ما كان فيه قوة أن يفعل مثل هذا فأرسل ملتيتز للبابا يقول له
لو كان تحت قيادته خمسة وعشرون ألفا من العساكر ما كان له طاقة على ارسال لوثير الى المدينة العتيقة
فتحابر البابا مع الامبراطور الشاب فى قضية هذه المادة وفى أثناء هذه المخابرة زادت الحالة ارتباكا
بحضور مبعوث من رومة حاملا منشورا من طرف البابا بوضع لوثير تحت الحجر الكنائسى واحراق

كافة ما ابتدعه من الرسائل فبدون تأخير صار تنفيذ الحكم وأحرقت مؤلفات لوثير جهارا فى مدينة ميانسه قاعدة الاسقفية فأخذ لوثير بثاره فى الحال وحرق منشور البابا كاذكرنا فى مدينة ويتنبرغ بحضور جمعية من العلماء والجم الغفير من أهل المدينة ووصلت الحالة الى درجة كبيرة من الاشكال ثم ورد من البابا طلب صغير الى الامبراطور مآله أنه يجب على الامبراطور تأييد حكم الحجر الكنائسى على لوثير فحصل فى هذا الوقت الريب فى الطريقة التى يجريها الامبراطور لان ميله ما كان بجرمانيا بما أنه تربى فى البلاد الواطية وطباعه وأخلاقه كانت اسبانية وخشى من أن يكون تحت سلطة صعاليك الرهبان ومن المحتمل أن شارلس ما كان مع لوثير ولا عليه حيث كان يميل الى الاحوال الدنيوية أزيد بكثير من ميله الى المسائل الدينية ومع هذا فانه ذهب مذهبا بعيدا وأصدر أمرا بالقبض على لوثير ونشره فى عموم الاقاليم وأكد فيه بأنه يلزم مقاصة كل من يأويه ويحميه فتداخل المنتخب صديق لوثير فى هذه المادة وقابل الامبراطور فى طريق سيره الى مدينة ورمس وطلب منه أنه يلزم على الاقل سماع أقوال لوثير قبل اجراء شئ ضده وكان شارلس مديونا المعروف المنتخب فريدريق لانه كان مستحق التخت الامبراطورى زيادة عن كل واحد من آل بيت أوستريا بعد موت الامبراطور مكسمليان وكان فريدريق ضبط هذا التخت فى مدة خلوه الا أنه كره الجلوس عليه وبذل كل ما فى طاقته فى عهد التخت الى شارلس فرأى الامبراطور بما كان خطر فى باله من الافكار أنه لا يمكنه رفض طلب المنتخب واتفق مع فريدريق على أن لوثير يلزم أن يحضر بنفسه وتعهد الامبراطور بسلامته من وقت خروجه من ويتنبرغ حتى يعود اليها من أى جهة توجه اليها وبناء على ذلك صار طلب لوثير للحضور فى ورمس ويجادل عن مواده وأغراضه

فوصل الطلب الى لوثير فى ٢٦ مارث القاضى بحضوره الى المجلس فى ١٦ ابريل فأسرع لوثير فى تجهيز نفسه وسافر بسرعة مع بعض من اصطفاهم من أحبابه وكان المنتخب فريدريق سبقه فى السفر الى ورمس وبمجرد ما قرب لوثير من مدينة ورمس ورد اليه بلاغ من سياطين صديقه فكان هذا البلاغ بالطبع عن أمر المنتخب فريدريق يحذر لوثير فيه عن القرب منها بناء على ما ظهر له من هيئة الاحوال فما أصغى لوثير الى هذا البلاغ وقال انه طلب الى ورمس والى ورمس يلزمه التوجه ولو كان فيها شياطين عدد كراميد الفخار الموجودة فوق سطوح منازلها وحضر فى الوقت المعلوم أمام المجلس وكان مجلسا حافلا جليل الشأن فى أبهة وجلالة وكان هذا أول مجلس صار التئامه فى عهد شارلس الخامس فكان حاضرا به كافة أمراء جرمانيا ووجوهها ومعتبريها ورؤساء الكنيسة وعلمائها وكان الامبراطور الشاب رأس هذا المجلس وكان لوثير فى مبادى ذكائه وشهامته وجودة عقله وكان متهما بتهمة كبيرة وهى تهمة على حسب ما يقتضيه القانون مؤدية للموت لو وجد الجانى مجرما فمع أن لوثير ما كان بغير صديق فى المجلس الا أن القوى الكبيرة من الكنيسة والمملكة اصطفت ضده وكان هذا الموقع موقع محاكمة فما كان لوثير محتاجا للشجاعة تقويه على اجرائه فانه نثر الكلام والخطابات فى المجلس بغير مبالاة وتكلم بلسان حاد فيما هو واقع من البابا والقسس من عدم احترامهم الدين وسيرهم ضد الشرائع الدينية وما هم عليه من العيوب وما رجع فى شئ من اعتقاداته وما هو عليه من العقيدة ورغب فى اقناعه من كلام الله فاسلم له وعند ختام ما قاله وما أجاب به قال بجدة وشهامة ها أنا واقف بين أيديكم وليس لى طاقة على فعل شئ خلاف هذا والله هو المساعد لى وهو حسبى ونعم

الوكيل آمين فقال الامبراطور ان الراهب تكلم بغير خوف وبشهامة كبيرة وقال له اخرج بسلامة من ورمس الى ويتنبرغ غانما آمنا وذلك وعد السلامة التى كان وعده اياها لكن من حيث انه لابد من تنفيذ حكم البابا صار لوثير من هذا الوقت فصاعدا معاملا معاملة رجل مبتدع خارج عن الدين وفى أثناء توجهه الى ويتنبرغ وفى وقت مروره من أورمانات طورنغيه أحيط برجال ملثمين مسلحين نقبضوا عليه وحملوه الى ورتبرغ واختفى فيها عن أعين الناس مدة من الزمن وصار لوثير فى هذا الوقت خارجا عن حد الشريعة فى أعماله ومشروعاته غير أنه كان فى أيدى أحبابه وأصدقائه فى حرز أمين وقد ذكرنا فيما سبق أن المصاعب الديانية ما كانت وحدها هى التى قابلت شارلس فى صدره وقت جلوسه على التخت الجرمانى بل قد ذكرنا أيضا أنه كان يوجد للتخت طلاب آخرون مثل فرنسيس الاول ملك فرانسا وهنرى الثامن ملك انكلترة وذكرنا أن هنرى اعتزل عن هذه المسئلة فى مبادى الحالة ومن بعدها انتشب الحرب بين شارلس وفرنسيس الاول فتولد من مظفرات شارلس ارتياع فرنسيس وخوفه فاجتهد فى عقد معاهدة كانت مدتها قصيرة مع ملك الانكليز واشتهرت هذه المعاهدة وقرع صيتها وقبلت شهرتها كافة الجهات بما حصل من بعد عقدها من عمل احتفال عسكرى كبير اشتهر فى القرون المتوسطة بمقابلة فرنسيس وهنرى مع بعضهما بين غاينس واردرس وعرف هذا الاحتفال بميدان الملابس الذهبية فكان معرضا مفتخرا أدى فيه الملكان وكان كل منهما جميل الصورة واجبات الود والصداقة وقد حفظت صورتها فى ديوان (همبطون) تشير الى ما كان عليه الملكان من الابهة وكل منهما راكب على حصانه محاط باركان حربية وجيوش كل ملك مصطفة فى الجهة الاخرى منه الا أن هذه الصداقة الوقتية كانت ادعائية فقط وكانت على غير ثمرة لان هنرى بعد ذلك أسرع فى زيارة الامبراطور فى (غرافلين) وسامره كاليس وفى السنة التالية تقابل ولسى فى السر مع شارلس فى مدينة بروغى وعقد معه معاهدة على الفرنساوية ووقعت العداوة الشديدة بين فرنسيس والامبراطور وانجرح قلب فرنسيس مما وقع من هذا الفعل فعزم على الانتقام على قدر امكانه فكانت النتيجة اعلان يعرف بحرب الدويل بين الاثنين فتأخر حرب الدويل هذا على حسب مقتضيات سير الاحوال حتى مات فرنسيس فى سنة ١٥٤٧ بعد الميلاد وينسب تاريخ هذا الحرب جميعه الى اسبانيا وايطاليا بالنسبة لفرانسا او جرمانيا الا أن أصله ملحق بتاريخ جرمانيا

وكان المقصد الاصلى من هذا الحرب الاستحواذ على الميلانيين ثم كانت ميلان سببا أصليا فى المشاحنة بين فرانسا والمملكة فى السلطنات السابقة لان مكسميليان كان آلة فى عود وتوطيد بيت صفورظه الى الشوكة فى ميلان من سنة ١٥١٢ الى سنة ١٥١٥ بعد الميلاد وكانت ميلان لبثت من قبل سنة ١٥١٢ اثنتى عشرة سنة تحت حوزة الفرنساوية وفى سنة ١٥١٥ وقعت الواقعة الدموية فى نواحى (ماريغنانو) حينما كان معظم العساكر الامبراطورية مؤلفا من السويس فانهزموا وتبدد أمرهم وتغلب فرنسيس الاول على ميلان ومن وقت جلوس شارلس الخامس على التخت عزم على استرداد الميلانيين لانه كان من الذل والمهنة على المملكة الجرمانية وجود بيت صفورظه تحت الخضوع لفرانسا وكانت أسباب هذا الذل ناشئة من أن عائلة صفورظه وعائلة حابسبورغ كانوا أقارب ومن غير هذا فان استحواذ فرانسا على ميلان يزيد فى أرضها وشوكتها ثم أسرع شارلس من بعد أن تم الاشغال فى مجلس ورمس ورتب الترتيبات اللازمة للمحافظة على جرمانيا فى

مدة

مدة غيابه منها سار فى رأس جيش كبير ودخل ايطاليا وتغلب على ميلان فى سنة ١٥٢٢ بعد الميلاد وأعاد فيها بيت صفورظة وفى سنة ١٥٢٥ استمر الحرب فانهزم فرنسيس شر هزيمة فى نواحى باوية وأسره شارلس وأرسله أسيرا الى مادريد فمكث فيها مكرما نحو سنة ثم منحه عتقه وخلاصه من أسره على شروط معاهدة مهينة عقدت بينهما كان منها تنازل فرنسيس عن ملوكية فلندره وأرطواز ودوقية بورغندى وكافة أملاكه فى ايطاليا وتسليم ولديه للملك رهينة على وفاء وعده وكان شارلس فى هذا الوقت رأسا لمحالفة قوية فى ايطاليا دخل فيها البابا هنرى الثامن وكافة الممالك الصغيرة الايطاليانية فامتلأت قلوب هؤلاء المحالفين بالخوف مما حصل لشارلس من الظفر فكفر البابا عن يمين فرنسيس وانتشب الحرب بحت أحوال جديدة بالكلية وذلك أن انكلتره وفنيزه وروما وفلورنسة دخلوا جميعا فى أمر فرنسيس وحضنوه فكان شارلس معادا لالهم وزيادة فاما المدينة العتيقة وهى رومة فقد أغار عليها اللصوص السود التابعون للماكم بوربون الذى سلم سيفه لشارلس فتغلبوا عليها ونهبوها وأسروا البابا نفسه وصار طرد الفرنساوية من نابولى واستمر هذا الحرب الى سنة ١٥٢٩ بعد الميلاد من بعد عقد صلح فى كبرى فى شهر يوليه وفى السنة التالية صار تتويج شارلس الذى كان سيد الجهة امبراطورا فى بولونية بمعرفة البابا وكانت عادة الملوك الجرمانية من عهد شرلمانيه وأوطو الاكبر أن الامبراطورات يستاون تيجان الامبراطورية من يدى البابا ثم اختلت هذه العادة وانقرضت بالكلية وكان شارلس الخامس آخر امبراطور جرمانى تتوج بواسطة البابا الرومانى وفى سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد عاد شارلس الى جرمانيا من بعد أن غاب عنها مدة ثمان سنوات فكانت جرمانيا فى هذه المدة مشحونة بالحوادث وكانت الاعمال الجرمانية فى مدة غياب الامبراطور معهودة الى أخيه الارشيدوق فرديننند صاحب أوستريا وكان له على ماقيل مجلس النيابة الامبراطورية وما كانت أزمة الحكومة على درجة من الثبات فكان من حوادث هذه المدة انتشار العقائد الجديدة وتمكين جذورها فى الارض وكان لوتير مقيما فى مدينة (وارتبرغ) بالعز والاكرام ومكث فيها أقل من نصف سنة وكان محفوظا من أعدائه صار فاوقته فى الاعمال الخيرية فترجم فيها العهد الجديد الجرمانى وبقى أثرا مستمرا فى وارتبرغ ومن قبل مضى السنة وقعت قلاقل وارتباك فى مدينة ويتنبرغ وذلك أن بعضا من أتباعه حصل منهم هياج لما رأوا أن الشغل أخذ فى التقدم مع حركة بطيئة فرغبوا فى قلع الحالة القديمة من جذرها وظهر أيضا بعض من المتعصبين فى ويتنبرغ من طرف (ظويكو) وأرادوا تشييد مملكة للقديسين ثم ان فارس وارتبرغ استشعر بما هو جار من الاعمال فى ويتنبرغ حال غيابه منها ورأى أن الامر الصغير يكون سببا فى تولد الخطر فصار لا طاقة له ولا صبر على هذه القلاقل وصار على قلق من حركة السفر والعود الى ويتنبرغ الا انه مازال يوجد أمامه خطر جسيم معلوم لو ترك محل عزلته لانه كان تحت حجر الكنيسة ومازال حكم مجلس ورمس معلقا فى رقبته وكان من واجبات الادارة الداخلية اجراء اللازم فى تنفيذ هذا الحكم وكان طريق سيره الى ويتنبرغ واقعا فى وسط أراضى الدوق جيورج ألد أعدائه كل هذا موقع عليه وما حصل تنفيذه فقال كل هذا مافيه ضرر ورغب فى التوجه الى ويتنبرغ وصمت أذناه عما كان يلقيه اليه صديقه المدافع عنه المنتخب فريدريق من النصائح ودخل فى فكره أن هذا المنتخب له طاقة على حمايته من أى عدو واتبع ماوقع فى فكره وفى ٧ مارث سنة ١٥٢٢ بعد الميلاد وصل الى مدينة ويتنبرغ فقابله أحبابه بالتهليل والترحاب

وشرع في الحال في ادارة الاشغال اللازمة ومباشرتها وخطب ثمان خطب حث فيها على المحبة وحسن النظام والاقتصاد وعفة النفس والغيرة والحمية والتمسك بالقوانين والشرائع فكان لذلك تأثير شديد في القلوب وعاد الاطمئنان ولما وجد رسل (طو يكو) أن مأموريتهم تم أمرها رجعوا من حيث أتوا

وعلى كل حال فانه كان يصعب الوقوف على أن لوثير يصرح له في تنفيذ أعماله من دون انقطاع فيها وتكرر السعي في تقوية الحكم الصادر من مجلس ورمس تنفيذه وفي مجلسين عقدا منفصلين في مدينة (نورمبرغ) أحدهما في سنة ١٥٢٢ والآخر في سنة ١٥٢٤ بعد الميلاد طلبت حكومة الكنيسة التضييق على البدع اللوثيريانية وضبطها وحرقها وكان من عهد مجلس ورمس جلس على الكرسي الباباوي كثير من البابات فانه من بعد موت البابا ليو العاشر حل محله ادريان السادس ثم حل محل هذا كليمنت السابع وكانت الاحوال جارية على ما كانت عليه وما وقع أدنى صلح أو مسالمة مع المبتدعين ومع أن شارلس كان غائبا من جرمانيا فانها ابتدأ أيضا في عدم الصداقة جهرة ومن بعد واقعة باوية ترآى منه الرغبة في مراعاة خاطر البابا وذهب مذهبا بعيدا وحرر أوامر خصوصية الى الادارات والمنتخبين من أجل تنفيذ الامر الصادر من مجلس ورمس فدخل في هذه الحالة البرنسات أصدقاء لوثير وأحباب أمر الاصلاح في محالفة تدافعية سميت باتحاد طورغو فتولد من سرعة وقوع العداوات تغيير في عموم هيئة الحالة الموجودة وصار البابا في هذا الوقت من ضمن أعداء الامبراطور فما كان للامبراطور حالة أحسن له من دفعه أهل الاصلاح في داخل الاسوار وفي سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد صار عقد مجلس في سبيرس مهد فيه المصلحون سبيلهم وحصل الاتفاق على أن حكومة كل ايالة مرخص لها في اجرائها المواد الديانية على حسب ما تراه موافقا لها حتى ينعقد لذلك مجلس عام فمن بعد هذا المجلس عمل المنتخب يوحنا والكونت فيليب تغييرات كبيرة في الكنيسة في ايالاتهم وكذا البرنسات الاخر فعلوا امثله وآلت حكومة الكنيسة الى هيئات جديدة وأبطلوا صلاة القداس وأمروا أن تكون الخدمات الديانية بواسطة اللسان الجرماني وامتلأت منابر الكنائس بالخطباء من اللوثيريانيين وأخذت درجة الاصلاح في الزيادة في الشوكة والعدد ودخل الكثير من البرنسات والاشراف وتمسكوا بالعقائد الجديدة وانتشرت هذه العقائد أيضا مع السرعة العجيبة بين طوائف الفلاحين والمزارعين وصار بين الكنيسة و بين المصلحين في هذا الوقت خليج كبير العمق والعرض شوهد أن هذا الخليج لا يمكن عبوره من الآن فصاعدا ثم ان لوثير رمى عن رأسه قلنسوة الرهبانية ولبس ثوبه الاسود وتزوج كاترينه الراهبة من بورا

وكان المصلحون في معظم أوقاتهم فائزين بالميل والحمية التي تمكنت فيهم الا أنه من سوء الحظ ما كان لبعضهم دراية بالعقائد الجديدة والمقصد الجديد منها فنشأ فيهم ثوران وحشى وصار يستحيل على لوثير تأييد درجة الشوكة التي كان سببا في توسيعها وصار الكثير على عداوته ثم ان (فرنسيس سكنجين) الصاحب القديم للوثير جمع جملة من الاشراف وقاموا في ثورة في صلاح الاصلاح ولكن انتهت هذه الحركة بكسر وموت فرنسيس ثم وقعت أيضا ثورة مشؤمة بين طوائف الفلاحين الموجودين في الجهات الجنوبية وكانوا يعتقدون أن عقائد لوثير لو حلت محلاتهم لكانت سببا في تحريرهم من ناف الحكام الذين يظنون من مدة قديمة أنهم ناظرون اليهم بعين السلب وهم الظالمون لهم وتطروا الى لوثير

بمساعدتهم الا أنه رفض مساعدتهم وحض البرنسات على اخماد هذه الثورة فوقع من أجل ذلك الضيق الشديد على الفلاحين ومع ذلك ما نتج شرف لحركة الاصلاح

ثم انه لما ابتدأت حركة الاصلاح كان الرئيس الأكبر للطائفة الطوطونيقية ألبرت وهو أمير من بيت براندنبورغ فصار من أتباع لوثير وفي سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد عقد معاهدة مع سيغموند الاول ملك بولنده فمن ثم صارت الطائفة الطوطونيقية في درجة الملوكية والشوكة وأخذ البرت القسم الشرقي من بروسيا التزاما من سيغموند ودوقية وراثية فظهر للطائفة الطوطونيقية أن سير البرت سير خيانة وحفظ البرت لنفسه هذه الدوقية وورثها أولاده من بعده ثم انتقلت في آخر أمرها الى الفرع المنتخب من عائلة براندنبورغ واستقلت من بولنده وفي سنة ١٥٢٢ بعد الميلاد كان تزوج الارشيدوق فردينند ابنة ولاديسلاوس ملك بوهيمية وهنكاريا وقتل لويز الثاني ابن ولاديسلاوس وخليفته من بعده في واقعة موهاكس في سنة ١٥٢٦ بعد الميلاد فصار انتخاب فردينند ملك بوهيمية وتتوج بتاجها ثم اختاره حزب من أشراف هنكاريا ملكا على هنكاريا وكان حزب آخر أجلس يوحنا ابود من أهل ترنساوانيه على التخت الهنكاري فكان هذا الانتخاب المضاعف سببا في هياج حرب في أثنائه استغاث يوحنا بمساعدة السلطان سليمان سلطان تركية فرضي بالمساعدة له بشرط أن يكون قابضا زمام تخت هنكاريا كعبد للسلطان فسار سليمان الى هنكاريا في سنة ١٥٢٩ بعد الميلاد في رأس جيش ثقيل وما تغلب على مملكة هنكاريا فقط بل دخل أوستريا وحاصر مدينة فيانه فما كان فيه طاقة على التغلب عليها حتى من بعد أن ترك السلطان سليمان أوستريا وهنكاريا ما حصل الاقرار من عموم الامة الهنكارية بفردينند بل استمر حزبه على الدوام معاضدا له ومن هذا الوقت صار التاج الهنكاري موجودا على الدوام مع أرشدوق أوستريا وكان الانتخاب في بعض الاحيان لهذا التاج من هذا البيت ثم صار أخيرا وراثيا واستحوذ أيضا بيت أوستريا على بوهيميه من بعد موت فردينند واستمرت تحت يده وصار الفرع الجرماني لعائلة بيت أوستريا كبيرا جدا وأخذ محلا من التيجان الملوكية الامبراطورية وصار أحد الدول الكبيرة في أوروبا

ثم أخذ الاصلاح في هذا الوقت درجة كبيرة في التقدم وأقام حزب المصلحين طرق اعتقادات قديمة واحتفالات عديدة حتى ارتاع الكاثوليك من ذلك وصمم شارلس زيادة عما كان عليه من بذل طاقته وعمل كل شيء له القدرة عليه في مساعدة الكنيسة وفي سنة ١٥٢٩ صار التئام مجلس مدينة سبيرس مرة ثانية تحت رياسة الارشيدوق فردينند وبما أن المجلس كان مؤلفا من أعضاء من الكاثوليك زيادة عن الاعضاء اللوثيريانية صدر منشور من المجلس يقضي بمنع أي تغيير يحصل في العقائد الدينية وبأمر باقامة صلاة القداس في كافة الكنائس فدخل البرنسات اللوثيريانية والمدائن في تحالف وشكلوا اقامة حجة على هذا المنشور أي بروتست فمن هنا أطلق عليهم اسم بروتستانت ثم ان هذا الاسم عم الذين تركوا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية

مطلب
اسم بروتستانت

وفي أثناء هذه المدة ظهرت حركة اصلاح أخرى في بعض الامارات السويسية التي ما كانت تحت ارشاد لوثير فكان مبدأ هذه الحركة في زوريخ في سنة ١٥١٩ بعد الميلاد وكان المشرع لها أولريخ زوينغلي وكان يخالف لوثير في بعض مواد وعلى الخصوص فيما يتعلق بهيئة العشاء الرباني وقام الخلاف والشقاق بين هذين المشرعين الديانيين وانتشبت العداوات والمشاحنات بين أتباعهما وفي

سنة ١٥٢٩ اجتمع لوثير وظونغلي في مجلس عقد للمناظرة في مدينة ماربورغ الا أنه ما حصل الاتفاق بين الاثنين في شيء وال الامر لتشكيل كنيستين اللوثيريا نيستو والمصلحتو كل منهما تبغض الاخرى والاثنان يبغضان الكاثوليك وكان المقصد من اجتماعهما الحصول على اتفاق بينهما حتى يحصل للحركة العمومية ثمرة من اتحادهما مع بعضهما ومع هذا فان المجلس خاب في أعماله واستمر الخلاف واقعا بين الاثنين ومن تقسيم آراء القواد تجزأت أتباعهم وما حصل من التأثير القوى آل الى ضعف لا فائدة فيه ثم ان حركة الاصلاح في السويس وحركة الاصلاح في جرمانيا وان كانتا مستقلتين في أصلهما الا أنهما مستخرجان من أصل واحد ومنظوران بحالة واحدة وكانتا سائرتين من مبادى أمرهما بالموازاة مع بعضهما ثم أخذت حركة الاصلاح في بلاد السويس دورا سياسيا وال أمرها الى هياج وثوران داخلي ومات ظونغلي في هذا الحرب من بعد أن رى أساس قواعد ديانية متينة تأبد بقاؤها وسار الداخلون فيها على منوالها

وما سبق جميعه كان على هيئة الاحوال في جرمانيا وقت عود الامبراطور شارلس اليها من غيبته التى غابها عنها مدة ٨ سنين وكان رأى من الواجب التئام مجلس فحرر مكاتيب وأوامر وهو في مدينة بولونية الى المنتخبين وأرباب الاحكام في الايالات الجرمانية في ٢١ يناير سنة ١٥٣١ يطلبهم لمقابلته في مدينة أوغسبورغ في ٨ ابريل وأما هو فانه من بعد ما طرد الفرنساوية من ايطاليا وتتوج بتاج الامبراطورية وجه أفكاره الحادثة الى جرمانيا عبر جبال الالب وما وصل في أوغسبورغ الا في ١٥ يونيه وكانت الاحتفالات الافتتاحية لهذا المجلس في غاية من الابهة وكان محل الاجتماع في الميدان الكبير من المدينة وحول الامبراطور الكثير من أشراف اسبانيا وأمرائها والبرنسات ونواب المملكة وفي الوقت المعلوم عرضت المسئلة الديانية على المجلس وكان حضور المصلحين على غاية من الاستعداد وذلك أن المنتخب يوحنا بمجرد ما وصل اليه مكتوبه المعلن فيه بالحضور الى مجلس أوغسبورغ طلب لوثير وملنكطون و يونس وغيرهم من علماء الديانة البروتستانتية لاجل مقابلته في طورغان وأن يكون حضورهم مصحوبين بتقرير مفصل فيه كافة تقارير الاصلاح الدينى فكان الاجتماع على حسب أمره في طورغان وشرح ملنكطون مواد التقرير الاصلاحي وقررها وصدق عليها لوثير ثم بعد ذلك وقع عليها البرنسات البروتستانتية وكثير من نواب المدائن الحرة وبواسطة هذا التقرير استعد المصلحون اما للقيام أو السقوط وصار ما عندهم جواب آخر يعطونه للمجلس ولا معروض يعرضونه خلاف هذا التقرير وصار من الواضح الآن النظر للجهة التى يميل اليها الامبراطور فكان من مقصده أن يعرض اليه التقرير بطريقة غير رسمية فناقض البرنسات هذا الرأى وقالوا لا بد من قراءة هذا التقرير علنا والا فلا مشاركة في المجلس ولما لم ينل الامبراطور غرضه من هذا الطلب عزم على أن تكون قراءة هذا التقرير بخفية وعين جلسة سرية في معبد أسقفية السراية فما تيسر له الحصول على ذلك أيضا ولما استقر رأيهم على أن تكون قراءته علنا قال الامبراطور يلزم أن تكون قراءته باللغة اللاتينية فقط فقال المنتخب يوحنا حاشا وكلا نحن هنا على أرض جرمانيا فمن ثم صار قراءته باللغة الجرمانية وظهر من ذلك تأثير شديد وضيق كبير للحاضرين فكان أول مناقضة ومجادلة وقعت في قراءة هذا التقرير من اناس وآخرين غير موفية بالمراد ثم قرئت مناقضة ثانية في اليوم الثانى من شهر سبتمبر وفيها الفصل باغلبية الاصوات على دحض حجة البروتستانت فما رضى المصلحون بذلك ونفروا من المجلس فاستحصل

ملتسكطون على رخصة كافية أعد فيها تقريرا كافيا قوى البرهان فى أسلوبه وموادها الا أنه ماعرض بل نشر بعد ذلك فعرف التقرير الاول باسم اعتراف أوغسبورغ والثانى باسم المدافع عن اعتراف أوغسبورغ وكانت نتيجة هذا المجلس صدور قرار بعود النظامات القديمة الى الكنيسة والترخيص للبروتستانت بالتفكر والتأمل فيما هم عليه الى حد ١٠ نوفمبر من السنة القابلة وما كان لوثير حاضرا فى هذا المجلس بل كان مقيما فى قلعة كوبورغ آمنا فيها على نفسه من الاخطار التى ربما تأتى له من أيدى أعدائه وفيها يمكنه المواصلة مع أحبابه وأصدقائه فى أوغسبورغ غير أنه ما كان يؤمل نتيجة اصلاح من هذا المجلس ولم يقطع من تقدم أعماله وصار اعتراف أوغسبورغ معروفا فى الكنائس اللوثيريانية بعلم الدين وحصلت مناقضة شديدة فى المجلس بين الحزبين ما أفادت بفائدة عليهما وأخيرا ترك المنتخب يوحنا والكونت فيليب مدينة أوغسبورغ وعادا الى محلاتهما ثم صدر من طرف شارلس منشور بابطال البدع اللوثيريانية والامر بالدخول فى عقائد لوثير وأتباعه والانقياد لطاعة الكنيسة ورد جميع ما صار ضبطه من الكنيسة وما أخذ من الديورة والمعابد التابعة لها وكل من رفض قبول هذا الامر فهو تحت حجر المملكة

وبما أن مجلس الادارة كان صديقا اللوثيريانيين رغب الكاثوليك فى أنه لابد من تعيين ملك الرومانيين وحثوا شارلس على انتخاب واحد فعرض أخوه فرديننـد على المنتخبين فعارض يوحنا صاحب صكصونية الانتخاب غير أن أغلبية الاصوات كانت لفرديننـد ومن ثم تتوج ملكا فى عكس الكنيسة وكان مجلس أوغسبورغ مجلس خيبة وخذلان على البرنسات البروتستانتية وعلى المصلحين عموما ومن ثم انتشبت العداوة وأخذت فى الدرجة العالية بين الامبراطورات والبرنسات الجرمانية اللوثيريانية وكان سيما الامبراطور بما أجرامن أعماله فى مدة وجوده وجلسته وكذا عداوة خصوصية بين الامبراطور وأخيه فرديننـد ملك الرومانيين بسبب ميله الى اللوثيريانيين وكان انتخابه اسما فقط فاستقر رأى البرنسات على أنه لابد لهم من أخذ الاهبة والاستعدادات التامة اللازمة لحمايتهم فاجتمعوا فى سمكلكاردين وشكلوا اتحادا عرف بالاتحاد الاسمكلكاردينى ودخل فى هذا الاتحاد فى مبادى الامر البرنسات اللوثيريانية فقط ثم صار فيما بعد فى سنة ١٥٣١ بعد الميلاد كبير القواعد والقوى ودخل فيه نواب المدائن الحرة الجنوبية الذين كانوا دخلوا فى عقائد ظونغلى ومن بعد مضى قليل صار ملك دانيمارقه عضوا من هذا الاتحاد واستعد ملك فرانسا الان يكون مساعدا مع بروتستانت جرمانيا ضد الامبراطور وظهرت جليا درجة الاتحاد الاسمكلكاردينى وعزمه وترتبت أعماله وصار لا يشينه شئ ولا يتعدى عليه انسان مثل شارلس الخامس بما أنه كان له غايات منظورة له خارجة عن حدود اصلاح جرمانيا وخلف أراضى ممالكه الواسعة ولما كان لا طاقة له على تنفيذ هذه الغايات ولا تنفيذ القرار الصادر من مجلس أوغسبورغ فتح مخابرة فى فصل ربيع سنة ١٥٣٢ بعد الميلاد مع البرنسات البروتستانتية كانت نتيجتها عقد صلح دينى فى نورنبرغ وكانت أسباب هذه المخابرة أن السلطان سليمان ولو أنه رجع من جرمانيا الى القسطنطينية فى سنة ١٥٢٩ بعد الميلاد غير أن قصده وبغيته عدم ترك هنكاريا وجرمانيا فى أمن وسلام فعاد فى سنة ١٥٣٢ فى رأس جيش أكبر من الجيش الاول الذى دخل به جرمانيا وتسبب من قربه ارتياع شارلس وخوفه ورفض البرنسات اللوثيريانيون عدم مساعدة شارلس على الترك حتى يصدر أمرا بالغاء منشور أوغسبورغ فما كان شارلس على رغبة من ذلك

الا أنه بالنسبة لضرورة جمعه قوة كافية قوية لصد الترك عقد هذا الصلح وتعهد فيه البرنسات أو الاتحاد الاسمكلكاريني بمعاضدته في حروبه مع الترك والقرار أيضا على أن فرديننديكون ملك الرومانيين حقيقيا وتكفل الامبراطور من جهته على نفسه بالغاء لوائح مجلس ورمس وأوغسبورغ والترخيص للبروتستانت باقامة شعائر ديانتهم حتى يصدر أمر قاطع اما بمجلس عمومي يجري عقده أو بواسطة مجلس المملكة وكان صلح نورنبرغ وهو أول ثمرة جناها الاتحاد من أعماله ظفرا عظيما للبروتستانتيين ولما وجد سليمان أن جميع الاحزاب تحزبت عليه أسرع في العود ثانيا الى بلاده ثم ان الترك عادوا مرة أخرى الى هنكاريا معاضدين للحزب الذي كان مضاد الأمر فرديننذ وتغلبوا على قسم عظيم من المملكة الهنكارية

وما وقع في هذا الصلح اختلال ولا ارتباك خمس عشرة سنة فكان الامبراطور في خلال هذه المدة غائبا عن جرمانيه غيبته الثانية عنها واشتغل بحربين شهيرين مع خير الدين بار باروسه أي أبو ذقن حمراء والى الجزائر وتونس بسبب ما أخذ من أسرى المسيحيين في غزواته البحرية وفي المدة الكائنة بين هذين الحربين أجرى شارلس حربا آخر مع فرنسيس الاول وكان طلب دوقية ميلان مرة ثانية ثم عقدت بينهما هادنة لمدة عشر سنوات في مدينة نيس في سنة ١٥٣٨ بعد الميلاد وفي سنة ١٥٤٢ هاج الحرب مرة ثانية وفي سنة ١٥٤٤ بعد الميلاد عقد صلح كريسبي ومن بعد هذا الصلح صار الحرب بين هذين الملكين واشتغل عن جرمانيا بحروب في اسبانيا والبلاد الواطية وكان في عمومها مؤيدا منصورا وفي هذه أخذ الاصلاح في درجة التقدم واستمر في سيره خصوصا في الجهات الشمالية من جرمانيا ودخل يواخيم الثاني منتخب برندنبورغ وكان خلف أباه وكان متعصبا كاثوليكيا في العقائد اللوثيريانية وأدخل فريدريق الثاني منتخب بلاتينانيه ودوق صكصونيه العقائد اللوثيريانية في ممالكهم حتى ان الاسقف هرمان أسقف كلونيه مال الى الاصلاح وما أجرى شيأ في ابطاله من بين رعاياه ومن ثم صارت الجهات الشمالية من جرمانيا لوثيريانية وأما في الجهة الجنوبية فصارت ورتمبرغ بروتستانت وطرد الاتحاد الصوابي الدوق أولريخ صاحب ورتمبرغ من ممالكه في سنة ١٥٢٠ ثم أعيد في سنة ١٥٣٤ بعد الميلاد بتداخل الكونت فيليب صاحب حسن وفي المدة التي كان فيها شارلس في حرب مع فرنسيس الاول أو مع الترك وكان محتاجا لمساعدة الممالك الجرمانية ما كان يحصل منه أدنى عداوة للوثيريانيين حتى انه قوى صلح نورنبرغ الا أنه ما تنازل أبدا عن عزمه في هشم هذه البدعة وابطالها من جرمانيا ولما عقد الصلح مع فرنسيس الاول في كريسبي في سنة ١٥٤٤ بعد الميلاد ووجد أن فيه طاقة كافية شرع في هذا الشغل وحض البابا بولس الثالث على عقد مجلس عام فالتأم هذا المجلس في مدينة طرنطه في سنة ١٥٤٥ بعد الميلاد فرفض اللوثيريانيون الاقرار على هذا المجلس وقالوا ان البابا هو أصل المنازعة والمشاحنة وانه حكم عليهم في السابق بأنهم مبتدعون وشرع شارلس في الاستعداد للحرب في السر وعقد معاهدة مع البابا على أن البابا يساعده بالمال والرجال ونجح بدسائسه في أن جعل منتخب برندنبورغ ومنتخب بلاتينانيه وبرنسات آخرين من اللوثيريانيين في درجة الحيادة عن الحرب وعقد محالفة على حدتها مع الدوق موريس دوق صكصونيه خليفة الدوق جبورج ومع هذا فان الاتحاد الاسمكلكاريني كان باقيا على الصداقة مع أعضائه وابتدأ الرؤساء الكبار والاتحاد في جمع عساكر مثل الامبراطور واجتهد

شارلس مع غاية المشقة فى أن يدخل فى عقول المدائن اللوثيريانية اعتقاد أن ما عنده أدنى عزم على هياج حرب على دينهم بل كان هياجه لحربا على بعض البرنسات العاصية عليه الا أن المدائن ما وثقوا بقوله وجندوا جيوشا وجعلوها تحت قيادة سباسطيان كارطاين أحد مشاهير قواد عصره ثم ابتدأ الحرب فى فصل صيف سنة ١٥٤٦ بعد الميلاد وكان شارلس فى هذا الوقت فى رغنسبورغ كان يعقد فيها المجلس أحيانا فلو أجرى قواد اللوثيريانيين أعمالهم بالعنف والشدة لكانوا اكتسبوا النصر فى الحال لان الامبراطور ما كان عنده فى مبادى الامر عساكر كثيرة مثل العساكر التى كانت عندهم لكنهم تفرقوا وكل منهم صمم على رأى رآه موافقا فى فكره حتى ان العساكر الباباوية وجيش من البلاد الواطية جميعها وصلت الى مساعدة الامبراطور فأجرى شارلس أشغاله مع الشدة وفى بضع شهور تغلب على المدائن الامبراطورية التى كانت داخلة فى الاتحاد الاسكلكاريني وفى أثناء هذه انفصلت البرنسات اللوثيريانية من بعضهم وتوجهوا مع عساكرهم الى بلادهم وفى سنة ١٥٤٧ بعد الميلاد هزم شارلس الجيش الصكصونى فى واقعة حصلت فى مولبرغ وأخذ المنتخب يوحنا فريدريق أسيرا ولما رأى فيليب صاحب حسن عدم النجاح سلم نفسه فأسره شارلس أيضا ومن ثم انتهى الحرب الاسكلكاريني بنصر تام للامبراطور وفى سنة ١٥٤٨ عقد شارلس مجلسا فى أوغسبورغ عرض فيه قرارا بخصوص انضمام اللوثيريانيين الى الكنيسة عرف ذلك بقرار الردة ومنح فى هذا المجلس مواد قليلة لا فائدة فيها اللوثيريانيين الا أن مواد القرار كانت مقصورة على عود الامة الى ما كانت عليه قبل مبادى الاصلاح فما عارض أحد فى المجلس هذا القرار وجعل شارلس هذا قانونا فاصلا وصمم على عود جميع اللوثيريانيين الى الكنيسة فقبل أغلب البرنسات اللوثيريانية هذا العود اسما وقاومت المدائن هذا القرار مدة من الزمن ثم سلمت فى آخر الامر بأجمعها وفى هذا الوقت صار موقع شارلس فى أعظم أبهة وجلالة فانه كسر الاتحاد الاسكلكاريني وأرغم اللوثيريانيين بكل واسطة على العود الى الكنيسة وترا آى له انه صار مأمونا فى نفسه فجعل الدوق موريس خليفة من بعد يوحنا فريدريق فى منتخبيه صكصونيه ومكث هذا البرنس الشاب مدة من الزمن أعز الاصدقاء الى الامبراطور فى مدة كانت الاحوال فيها مرتبكة معه ثم تغيرت احساساته على التدريج وصمم على مضادة شارلس وعود الدين البروتستانتي والعقائد اللوثيريانية واستحوذ على بعض من البرنسات انضموا اليه وكان أجل شئ أجراه هو عقد معاهدة مع هنرى الثانى صاحب فرانسا وشرع هنرى فى مساعدته على الامبراطور

وفى سنة ١٥٥٢ بعد الميلاد كان شارلس فى مدينة انسبروخ فابتدأ موريس على حين غفلة فى السير الى الجهة الجنوبية فى رأس جيش كثيف يقال انه سار لاخضاع مدينة مجديبورغ العاصية بعدم قبولها قرار الردة وفى هذا الوقت دخل هنرى الثانى اللورين مدافعا عن حريات جرمانيا وضبط الثلاثة الاساقفة وهم متز وطول وڤردون وكان شارلس على غير استعداد للتلقى هذه الحركة الفجائية وكان وقع الخوف حتى فى الاقاليم الكاثوليكية بكثرة شوكته وقوته وحملهم على النفور منه باجتهاده فى انتخاب ابنه فيليب ملك الرومانيين بدل أخيه فرديناند ثم ما وجد مدينة من المدائن ولا برنسا من البرنسات الكاثوليكية يساعده فى ساعة احتياجه للمساعدة وما وسعه فى سلامة نفسه الا الهرب خوفا من أن موريس يأسره وكان على قرب منه وما كان يصدق لنفسه بالسلامة حتى فى مدينة طرنطه وحصل له تعب فى مروره من المعابر الوعرة من الجبال محمولا بالقليل من أتباعه حتى وصل الى قرية فيلاخ

من أعمال كرنطية ومع أن شارلس صار فى هذه المهانة الا انه مارغب أن يسلم فى طلبات موريس ولما تعب سلط أخاه فرديننْد على عقد صلح مع الدوق موريس ثم من ثم صار التوقيع على معاهدة صلح باسو وفى هذه المعاهدة خسر شارلس كل ما ناله فى الحرب الاسمكلكاريني وحصلت الكفالة التامة للبروتستانت بخصهم حرية ما يلزم لهم فى اقامة شعائر دينهم وخلاص المتضمنين مما كانوا فيه من الاسر وفى سنة ١٥٥٥ بعد الميلاد انعقد المجلس فى أوغسبورغ وصدق على كافة النظامات التى عملت فى معاهدة باسو وكان هذا القرار يعرف بالصلح الدينى فى أوغسبورغ وبهذا القرار صار كل برنس مخيرا فى نفسه بين الديانة الكاثوليكية واعتراف أوغسبورغ وحصل الترخيص فى كل من الديانتين الا انه لا رخصة فى الدخول فى عقائد غير هذين الدينين وأن يكون البرنس على دين أمته وشرط فى هذا القرار أن كل خورى أو قسيس يقبل الدخول فى الديانة البروتستانتية يلزمه التنازل عما وجد تحت يده من أملاك الكنيسة وان رعايا البرنسات التابعين للكنيسة يلزم أن يتمتعوا بحرية ديانتهم الا انه صار كل من هاتين المادتين منبعا للشقاق والارتباك من بعد مضى بضع سنين وعرفت المادة الاولى من هاتين المادتين بالقيد الكنائسى وتألف المجلس الامبراطورى الادارى من كاثوليك وبروتستانت حتى لا يكون آلة للتعدى على أحد الطرفين وما كان هذا انتظاما داخليا الا انه كان موافقا للاحوال الراهنة وصار القرار عليه من أجل الموازنة وبواسطة عقد الصلح فى أوغسبورغ تم الكلام على تاريخ الاصلاح فى جرمانيا الا أن الاختلافات الديانية ما زال حاصلا منها بعض ارتباك وقلاقل الا أن الديانة اللوثيريانية تمكنت فى جرمانيا وما عاش لوثير حتى يشاهد منتهاها ولومات فى أمن وطمأنينة فى سنة ١٥٤٦ بعد الميلاد فى اسبلين مقر رأسه وكان توجه اليها الفصل مشاحنة كانت وقعت بين كونتات منسفلد واجتهد فى توقيع الصلح الا أن المسئلة أخذت لها موضوعا كبيرا خرج عن حد حكمه

ولما عاد الامن فى جرمانيا جمع شارلس فى الحال جيشا وسار به لاجل عود اقليم اللورين الذى كان تغلب عليه هنرى الثانى وحاصر شارلس مدينة متز عدة شهور وصار لا طاقة له على التغلب عليها وفى آخر الامر ترخص للثلاثة الاسقفيات بالبقاء تحت يد ملك الفرنساوية ومن ثم شرعت فرانسا فى زيادة أراضيها على مصاريف جرمانيا وكانت تغلبت على القسم الاعظم من مملكة بورغندى

ولما رأى شارلس أنه خاب فى كل ما شرع فيه من مشروعاته واضمحلت قوته وانضنى جسمه عزم على ترك تيجانه المختلفة وبصرف ما بقى من سنى حياته فى حالة مخصوصة قائمة بنفسه فأعطى فى سنة ١٥٥٥ بعد الميلاد الاراضى الواطية الى ابنه فيليب وكذا أعطاه فى سنة ١٥٥٦ اسبانيا والسيسيليتين وما زال مؤملا فى انتخاب ابنه ملك الرومانيين الا أنه رأى أن الاحزاب مضادون لاملة فقلد فى فصل خريف سنة ١٥٥٦ زمام حكومة جرمانيا الملك فرديننْد أخيه ومن بعد هذا صار لا شغل لشارلس فى جرمانيا ومات فى سنة ١٥٥٨ بعد الميلاد فى عمارة صغيرة بالقرب من دير القديس يوسطى فى نواحى اسطرمادوره وكان اعتزل فيها من بعد تنازله عن تاجه وأملاكه

وفى هذه الحالة وجد حزبان قويان كل منهما مواجه للآخر فى جرمانيا وهما الكاثوليك والبروتستانت ووقع بين الحزبين نوع صلح الا أن ارتباط العلاقة كانت مستحيلة بينهما واستمر الكاثوليك ناظرين بعين العداوة الى أملاك الكنيسة التى ضبطها البروتستانت أشبه بكونها من حقوقها وكل حزب اعتقد الضلال والخطأ عند الحزب الآخر وما تخذ الامبراطور الاحتياطات اللازمة فى الفصل والحكم

بين هذين الحزبين وما كان الامبراطور كاثوليكيا فقط بل كان في مركزه في الحقيقة مدافعا عن الكنيسة الكاثوليكية وصار البروتستانت ينظرون اليه بعين العداوة ويراقبونه في حركاته ويضادونه في أعماله واشتغل البرنسات البروتستانتية بإجراء مواد جديدة من أجل الاجتهاد في ضعف الشوكة الامبراطورية وفي هذه المادة مارغب البرنسات الكاثوليكية في الانضمام معهم وصارت الحكومة الامبراطورية من عهد شارلس ضعيفة وصارت الاقاليم في قوة واستقلال حتى ما كان لمجلس المملكة نفوذ ولا سلطة وكان كل مادة تعرض عليه تضاد وتعارض بأحد الحزبين فمن ثم قل عمله وضعفت المحاكم العدلية أيضا بسبب ما دخل فيها من صعوبة تعيين القضاة والاعضاء الموثوق بهم لكل من الحزبين

ومن بعد موت شارلس الخامس استتب الهدو والراحة في الاعمال الجرمانية واستمر الامن والسلم الداخلي بدون انقطاع في جهات جرمانيا مدة تنيف عن ستين سنة الا أن المملكة ما خلت عن حوادث غريبة يجب تسجيلها حتى صار الوصول الى حرب الثلاثين سنة وذلك أنه من بعد اعتزال شارلس الخامس احتل الكرسي الجرماني أخوه فرديننـد بلقب فرديننـد الاول وكان تتوج في سنة ١٥٥٨ بعد الميلاد وما استلم التاج الامبراطوري من البابا كعادة الامبراطورات الجرمانية بل تلقب بلقب الامبراطور من بعد جلوسه مباشرة على الكرسي وفي هذه الحالة سار الملوك الجرمانية الذين جاؤا من بعده على منواله وقرر البابا امبراطوريته على شرط عدم مراعاته معاهدة أوغسبورغ غير أن فرديننـد كان يعلم علم اليقين ما كان عليه الدين البروتستانتي من القوة والشوكة وكان تولد من كثرة صعوبة أعماله في هنكاريا قيام كثير من الاعداء عليه فاجتهد في جلب وتوطيد صداقة البروتستانت ومحبتهم له على قدر ما يمكنه وكان على انشراح صدر لما منحهم مجلس طرنطه بعض المنح وفي نفس هذا الوقت انقسم البروتستانت الى حزبين الحزب اللوثيرياني والكنائس المصلحة ووقع في قلوب كل حزب الغيرة من الحزب الآخر وانقسم الحزب اللوثيرياني الى حزب ساكن وحزب نهائي ونشأ من هذه الاحزاب مضار كبيرة ومع ذلك فان الدين البروتستانتي أخذ في التقدم العظيم ومن بعد أن بذل فرديننـد مجهوده في استتباب الامن والراحة في المملكة مات في سنة ١٥٦٤ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن ست سنوات

سلطنة فرديننـد الاول

وكان فرديننـد من قبل موته قسم أملاك حابسبورغ الى ثلاثة أقسام غير متساوية وأعطى كل واحد من أولاده قسما وخلفه من بعد موته مكسيمليان ابنه الاكبر وكان أخذ أملاك أوستريا وصار ملك بوهيميه وهنكاريا ثم من بعد موت أبيه صار ملك جرمانيا وامبراطورها وفي مدة سلطنته اشتغل اليسوعيون وهم طائفة حديثة العهد في عدم انتشار الدين البروتستانتي وكانت أشغالهم مع المشقة والصعوبة وكان مكسيمليان رجلا جليل القدر ذكي العقل له خبرة بالامور فما كان له رغبة في وقوع ضرر من الكاثوليق على أي طائفة من رعاياه حتى اتهموه بأنه لوثيرياني وكانت نتيجة حكومته حتى في أوستريا أن صار الدين البروتستانتي قوي الشوكة في جهات جرمانيا ودخل القسم الاعظم من الجرمانيين في الكنائس البروتستانتية وصاروا من أهلها وتمسكوا بعقائدها ومات مكسيمليان في سنة ١٥٧٦ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن اثنتي عشرة سنة ومن بعد أن صار ابنه رودلف ملك الرومانيين قبل موته بمدة

سلطنة مكسيمليان الثاني

سلطنة رودلف الثانى

وكان رودلف مخالفا فى السياسة والحكم لابيه وجده وتربى فى ديوان اسبانيا وكان لا اخلاق له ولا عقل وكان متعصبا للديانة الكاثوليكية وبذل جهده فى قلع هذا الدين الجديد من أرضه الموروثة له واقراض الدين البروتستانتى من جرمانيا فما تمكن من ذلك ومارأى أن جرمانيا مثل اسبانيا التى فعل فيها قريبه فيليب الافعال البربرية مع البروتستانت وما كان رودلف قادرا على أعماله التى تعادل مرغوبه وفى مدة سلطنته تقوى الجزويت واجتهدوا فى أعمالهم المضادة للبروتستانت وكان رودلف سيئ العمل وأصدر جملة أوامر ولوائح فى خصوص البروتستانت ما حصل منها فائدة ولا ثمرة فتولد من سوء أعماله أن خسر الحكومة الامبراطورية والاملاك الوراثية وخاف أقاربه من ضياع شوكة البيت ورغبوا فى تعيين خليفة آخر فاجتهد رودلف فى أخذ الاحتياطات فى بقائه امبراطورا وضايق البروتستانت فى بوهيمه وهنكاريا فلما حصل للهنكاريين الضيق وشدة الظلم استغاثوا بمساعدة الترك وكان أحب شئ عند الترك انتهاز فرصة لاذى بيت حابسبورغ فاجتمع الارشيدوقات فى سنة ١٦٠٦ بعد الميلاد وقرروا وسيما مطياس أخا الامبراطور رأسا للبيت ورضيت اسبانيا بهذا الترتيب ومازال رودلف امبراطورا فارغموه على التنازل عن أملاكه الى مطياس ما عدا بوهيمه وفزع الكثير من البروتستانت من الاجراآت التى أجراها رودلف فى اخمادهم ودمارهم وعلى الخصوص عند ما رخص لدوق بافاريه فى ضبط مدينة دونوارط الحرة وكانت فى الاصل من المدائن البافاريانية وجعلت كاثوليك وكان السبب فى ذلك أن الكاثوليك أجروا فيها احتفالا يختص بشعائر ديانتهم فحصلت ثورة بين البروتستانت والكاثوليك وكانت الدائرة على الكاثوليك وازداد النفوذ والهياج بينهم فوضعت دونوارط تحت حجر المملكة وأرسل الامبراطور عليها مكسيمليان صاحب بافاريه مع قوة مسلحة من العساكر فمنع العبادة البروتستانتيه وأعاد العبادة الكاثوليكية وضبط مكسيمليان هذه الجهة فى مقابلة ما دفعه من المصاريف وأضافها الى أراضيه فمن ثم فزعت المدائن الحرة الاخرى الموجودة فى الجهة الجنوبية وخضعوا للبرنسات وعفا عن الكالفنسيين واللوثيريانيين عما وقع منهم من المخالفات وفى سنة ١٦٠٨ شكل البرنسات والمدائن الحرة اتحادا من أجل حماية حقوقهم المدنية والديانية وعرف هذا الاتحاد بالاتحاد الانجيلى وكان رأسه منتخب بلاتيناتية اسما الا أن رئيسه الشديد البأس كان البرنس كريستيان صاحب انهالط واستمر هذا الاتحاد مرتبطا بعضه عشر سنوات وكانت أشغال كريستيان ودسائسه مع هنرى الرابع صاحب فرانسا وفى السنة التالية دخل البرنسات الكاثوليكية فى اتحاد مثله تحت رياسة مكسيمليان صاحب بافاريه عرف بالاتحاد الكاثوليكى استمر تسع سنوات

ومن حيث ان رأس الاتحاد البروتستانتى كان منتخب بلاتينانيه وكان منسوبا للكنيسة المصلحة كان اللوثيريانيون يعاملون الاتحاد فى غالب أوقاتهم بمعاملات باردة وما كان منتخب صكصونية يفعل معه شيأ ومن بعد قليل ظهرت فرصة العمل وذلك أن غيليوم صاحب زوليخ كان معه زوليخ وكليفه وبعض أراض أخرى مات فى سنة ١٦٠٩ بعد الميلاد فطلب كل من يوحنا سيغموند منتخب برندنبورغ وكونت نوبورغ وكلاهما عضو فى الاتحاد أنهما الوارثان له واستولوا على أراضيه ولكون الامبراطور له الحق فى فصل مسائل المشاحنات والحكم فيها أرسل الامبراطور رودلف أخاه الارشيدوق ليوبولد اسقف باسو من أجل طرد هذين البرنسين من الارض وضبطها وكان

هذان

هذان البرنسان من البروتستانت فضماغسا كرهما واتحدا سوية على المحارب لهما فوصل الاتحاد لمساعدتهما ودخل الاتحاد فى معاهدة مع هنرى الرابع صاحب فرانسا وجاء هنرى لمساعدة الاتحاد وشتتوا قوى الارشيدوق فى سنة ١٦١٠ بعد الميلاد ففزع الكاثوليك وشكلوا الاتحاد السابق لاجل صد الاتحاد البروتستانتى ولما انهزم الارشيدوق ليوبولد بقيت الارض التى وقع عليها المحاربة تحت يد برندنبورغ ونوبورغ وعزم البرنس كريستيان صاحب انهالط على تهيج حرب على بيت حابسبورغ الا أن موت هنرى الرابع والاحتياج للملاءمة بين البرنسات البروتستانتية حرمه من مقصده وفى سنة ١٦١١ أخذت شوكة منتخب برندنبورغ فى الزيادة باستخلافه على دوقية بروسيا ومن هذا الوقت صارت بروسيا الشرقية منضمة الى ماركة منتخبة برندنبورغ ومن هذا الوقت وضعت أساسات سعادة البيت البرندنبورغى فى المستقبل ثم ان مطياس لاجل مسالمته الايالات الاوستريانية منحهم حرية كاملة فى الديانة وفى سنة ١٦٠٩ بعد الميلاد استحوذ الايالات البوهيمية أيضا من رودلف على منحة ملوكية أطلق عليها اسم المكتوب السامى خول للاشراف والفوارس والمدائن الحرية التامة فى المواد الديانية والحقوق فى بناء كنائس ومدارس بروتستانتية فى أراضيهم وأملاكهم وفى الاراضى السلطانية ورأت بوهيمية أنها ما حصل لها أدنى منحة من ذلك فارتابوا من فعل رودلف فحبسه البوهيميون فى قلعته فى براغة فى سنة ١٦١١ بعد الميلاد وطلبوا من مطياس الحضور لمساعدتهم فجاء وتقلد زمام الشوكة الامبراطورية ومات رودلف فى السنة التالية

سلطنة مطياس

تتوج مطياس فى مدينة فرنكفور مع أبهة كبيرة الا أنه ما كان لائقا للتخت كاخيه فانه أرغم على خضوعه للبروتستانت فضلا عن كونه سمح لليسوعيين فى الاستمرار على رد أهل جرمانيا الى الديانة الكاثوليكية وكانت حكومته فى غاية من الضعف حتى ان اخوانه حملوه أخيرا على قبول فرديننددوق سطيريا مساعدا له وفى سنة ١٦١٧ بعد الميلاد صار انتخاب فرديننند خليفة رودلف على تاج بوهيميه وهنكاريا ومن ابتداء هذا الوقت اجتمعت الشوكة الحقيقية الموجودة فى بيت حابسبورغ فى فرديننند وكان فى ذلك الوقت شابا الا انه حائز صفات الشهامة وجودة الصفات وكانت رغبته الكبرى أن يكون امبراطورا من بعد موت مطياس وأمل أن يعيد للمملكة بعضا من شوكتها القديمة وعظمها ونظر البروتستانت الحالة المستقبلة بعين الخوف لو لبس فرديننند تاج الامبراطورية وكانت سطيريا عموما صارت لوثيريانية ولما خلف فرديننند أباه طرد جميع العائلات البروتستانتية وجعل جميع أراضيه كاثوليكية فمن هنا كان عند البروتستانت دليل قوى على أنه لو صار امبراطورا فانه يجدد أعمال شارلس الخامس ويجتهد فى عود الاحوال القديمة بحيث لا تكون الا كنيسة واحدة ومملكة واحدة ومن ظواهر الاعمال ودلائلها تولدا الخوف والفزع

وكانت الايام الاخيرة من سلطنة مطياس مشحونة بالارتباكات وذلك أنه بنى فى بوهيمية كنيستين احداهما فى أرض أسقفية براغة والاخرى فى أرض دير برونو فهدم البرنسات برخصة من الامبراطور احدى الكنيستين وقفلوا الاخرى فاشتكى البروتستانت من أجل ذلك وقدموا عريضة التماس للامبراطور فاجيبوا على الفور بان المكتوب السامى لا يسمح لهم بابتناء كنائس فى الاراضى التابعة للكنيسة فتولد من هذا الجواب النفور الاكبر والهياج الاغبر فى بوهيمية وأشيعت الاخبار بان هذا الجواب ما جاء من عند الامبراطور وانما كتب فى براغة وفى ٢٣ مايو سنة ١٦١٨ بعد الميلاد

سار جملة من البروتستانت تحت رياسة كونت طورن الى قاعة القلعة الملوكية الموجود فيها المجلس وطلبوا من المجلس أن يخبرهم عن حقيقة أصل هذا الفعل ولما تردد أرباب المجلس فى أقوالهم قبضوا على اثنين منهم مع كاتب السر ارتابوا فيهم ورموهم من الشباك فى خندق القلعة وكان عمره سبعين قدما واستحوذ البروتستانت على القلعة الملوكية وطردوا الجزويت من بوهيمية ورتبوا مجلسا مؤلفا من ثلاثين من الاشراف لمباشرة أعمال المملكة فأراد مطياس الصلح ورفضه فرديننند وشرع فى الحال فى جمع عساكر وأرسل الاتحاد كونت منسفلد من شجعان قواد العسكرية ومعه ٣٠٠٠ نفر اساعدة البوهيميين وكانوا تحت قيادة كونت طورن واستعدوا للمدافعة عن حقوقهم وفى أثناء هذه الارتباكات مات مطياس فى سنة ١٦١٩ بعد الميلاد

سلطنة فرديننند الثانى

ثم ان البوهيميين ما قبلوا فرديننند أن يكون ملكا عليهم واختاروا فريدريق الخامس صاحب بلاتينا تيه وكان فعلهم هذا بسبب أن البرنس الشاب كان شجاعا مقدا ما مجيا وكانوا يؤملون أن جاجمس الاول صاحب انكلترة يساعدهم فى الحرب المقبل عليهم وفى أثناء ذلك توجه فرديننند الى فرنكفورت قاصدا التصديق على انتخابه وتتويجه امبراطورا وعزم على خسف الدين البروتستانتى من بوهيمية بالكلية ثم بعد ها يغير عليه فى جهات المملكة وفى أثناء سيره الى فرنكفورت زار فى طريقه مكسميليان دوق بافاريه واتفق معه على انه لو ساعد الاتحاد بوهيمية يدخل الاتحاد الكاثوليكى جميعه تحت السلاح مع الامبراطور وكذا تحصل على مواعيد المساعدة من اسبانيا ثم ان الملك الشاب صاحب بوهيمية بدل أن يبذل مجهوده فى ملاقاة عدوه الاكبر صرف وقته فى حظوظ نفسه وأغضب منه الكثير من أمرائه ورعاياه وفعلت الاقاليم البروتستانتية فعل العار والفضيحة فى الخلاف بينها واتجه منتخب صكسونيه مع الامبراطور وظهر للاتحاد أن هذا الحرب مضر بهم فتشتت أمر هذا الاتحاد قبل ابتداء الحرب ومن ثم صار البوهيميون الى ما تؤل اليه عاقبة أمرهم وفى سنة ١٦٢٠ بعد الميلاد انهزموا شر هزيمة فى واقعة كبيرة حصلت فى نواحى وسنبرغ بالقرب من مدينة براغة بواسطة كونت طيلى قائد الدوق مكسميليان وهرب فريدريق وكان يلقب بملك الشتا مع عائلته فوضع تحت حجر المملكة وضبط العساكر الاسبانية أراضيه وفعل فرديننند فى أراضى بوهيمية ما لم يفعل فى أراضى غيرها فى مدة القرون الاخيرة فانه قتل الكثير من رؤساء البروتستانت وضبط أراضيهم وأملاكهم وأضافها الى المملكة ونفى خدمة الدين البروتستانتى وقسسه ومنع كل عقيدة وعبادة ما عدا العقيدة الكاثوليكية وتغيرت أحوال بوهيمية بالكلية وانقطع منها مجالس العلم والتدريس وتدمرت تجاراتها وشرع فرديننند فى اجراء مثل هذا الفعل على أوستريا وفى سنة ١٦٢٦ بعد الميلاد قام الفلاحون فى ثورة فأخمدها العساكر الاوستريانية والبافاريانية مع غاية الصعوبة

ثم استمر الحرب من طرف البروتستانت بواسطة الكونت منسفلد وكريستيان صاحب انهالط وآخرين من الاشراف بفرق من العساكر جمعوها من الرجال الذين يرغبون فى الحرب وانهزم طيلى فى سنة ١٦٢٢ بعد الميلاد الا أنه بعد ذلك انتصر على كل من منسفلد وكريستيان وألزمهما تفريق قواهما وفى سنة ١٦٢٢ انفسخ الاتحاد من بعضه وفى السنة التالية قرب الامبراطور الدوق مكسميليان اليه ورفعه الى درجة عظيمة وأعطاه منتخبية بلاتينا تية التى أخذت من فريدريق وأحيط الامبراطور بأصدقائه والمنتمين اليه وظهر له أنه ذلل جميع المصاعب والعوائق بهشمه أعداءه الآن

الحقيقة

الحقيقة كانت هذه الحالة مبادى حرب الثلاثين سنة وذكر فى موضع آخر أن مبادى حرب الثلاثين سنة كانت ثورة البوهيمين وكان هذا الحرب أفظع الحروب فى التاريخ

حرب الثلاثين سنة

ثم ابتدأت أمم بروتستانتية غير بروتستانت جرمانيا فى مراقبة حركة فردينند مع الفزع والخوف واجتهد كريستيان الرابع صاحب دانيمارقه فى الاتحاد مع قوى جرمانيا الشمالية عليه نخاب فى مشروعه خصوصا من عدم ثبات جس الاول صاحب انكلتره ومع ما كان فيه فان كونت منسفلد وكريستيان صاحب انهالط وآخرين تساعدوا حتى صار لهم طاقة على البروز الى الحرب مرة أخرى وساعدهم كريستيان الرابع صاحب دانيمارقه بقوة كبيرة وجعل نفسه فى رأس جيش من دوائر صكصونية السفلى وكان لهذا الوقت عساكر الامبراطور رجحرين حركات قليلة فى الحرب وكذا كانت حركات جيش الاتحاد الكاثوليكى تحت قيادة طيلى جارية مع البطء ورغب فردينند فى جمع قوة امبراطورية من العساكر الا أن فقره منعه من ذلك فجاءه رجل من الاغنياء الاشراف المتمولين اسمه البرت صاحب ولنسطين وعرض له بانه يجمع له قوة وجيشا بشرط أن الامبراطور يقلده زمام القيادة الكبرى فقبل الامبراطور ما قدمه البرت وشرط عليه أن العساكر لا يصرف لها من الايراد الامبراطورى بل من منهوبات الاراضى التى يتغلبون عليها فجمع ولنسطين بسرعة جيشا مؤلفا من ٣٠٠٠٠ نفس وجعل نفسه فى رأس هذا الجيش وهجم على كونت منسفلد فى سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد فى نواحى (ديسو) فهزمه وما مضت مدة قليلة حتى مات منسفلد وفى هذه السنة مات أيضا كريستيان صاحب انهالط وانهزم ملك دانيمارقه شر هزيمة فى نواحى لوطر بواسطة جيش الاتحاد الكاثوليكى تحت قيادة طيلى وتغلب هذان القائدان المنصوران على هولسطين ومكلنبورغ من بعد أن غلب ولنسطين كريستيان الرابع وأرغمه على طلب الصلح وصار ولسطين دوق مكلنبورغ واجتهد فى التغلب على المدائن الحانسانية بعضها بالبرطيل وبعضها بالقوة الى جهة الامبراطور وبنا يكون لاوستريا السطوة الكبرى فى البر والبحر ولأجل أن يتحصل على غرضه هذا اجتهد فى أن يجعل نفسه سيد سترالسوند الا أنه ما صار له طاقة على التغلب على هذه المدينة وتقهقر عنها ولنسطين من بعد أن تحمل أشد الخسارات وآل الامر الى عقد صلح مع كريستيان فى مدينة لوبيخ فى سنة ١٦٢٩ بعد الميلاد وعند ما ورد للامبراطور من أخبار الهزيمة فى نواحى مدينة سترالسوند ظن انه صار فى أعلى طبقة من مرغوبه لان جرمانيا صارت تقريبا فى قبضة يده فاصدر أمرا اسمه أمر الرد أو العوض وكان سببه أن أسقفيتين كبيرتين واثنتى عشرة أسقفية صغيرة وأراضى أخرى تابعة للكنيسة كانت وقعت فى أيدى البروتستانتين من عهد معاهدة باسو فأمر فردينند فى أمر الرد بأن كافة هذه الاراضى يلزم ردها ثانيا الى الكنيسة الكاثوليكية لان هذه الاراضى ليست مندرجة فى أمر معاهدة باسو وان البروتستانت استحوذوا عليها بطريق التعدى والجور

ثم ان الدوق مكسميليان وغيره من البرنسات وقع فى قلوبهم الغيرة والحسد من ولنسطين فحضوا الامبراطور على عزله من القيادة فتردد الامبراطور فى ذلك طويلا الا أنه لما رأى أن لا ضرورة فى غضب الاتحاد سلم فى عزله فى سنة ١٦٣٠ بعد الميلاد وألغى جيش ولنسطين وانضم بعضه الى جيش طيلى فكانت عاقبة ذلك مشؤمة لانه فى نفس هذا الوقت الذى كان فيه حال البروتستانت على شرف الدمار ظهر لهم مدافع جديد وصديق قوى الشوكة وهو غوسطاو وس ادلفوس ملك اسويج وكان

بروتستانتي المذهب ورغب في مساعدة الذين شاركوه في دينه وكان له أيضا بعض ثارات سرية خصوصية وكان له في الانضمام الى الحرب مآرب أخرى منها رغبته في التغلب على بعض الاراضي في جرمانيا وبهذا يكون فيه طاقة على تقديم نفسه للانتخاب الى التخت الامبراطوري من بعد موت فرديناندوفي فصل صيف سنة ١٦٣٠ قبل عزل والنسطاين بيضع شهور نزل غوسطاووس على جزيرة روغن مع جيش مؤلف من ١٥٠٠٠ نفس فرحب به الكثير من البروتستانت كمخلص لهم من دمارهم الا أن البرنسات قابلوه مع البرود فانهم فزعوا من الامبراطور وارتابوا في مقاصد غوسطاووس نفسه وأرغم غوسطاووس دوق بومرانيه في عقد محالفة معه وتباعد كل من منتخب صكصونيا ومنتخب براندنبورغ وفي سنة ١٦٣١ بعد الميلاد قاومت مدينة مجديبورغ أمر الرد الصادر من الامبراطور ورغبت في الانضمام مع غوسطاووس فتغلب عليها طيلي ودمرها وما وقع من هذا الفاتح من شراسة الاخلاق وقساوة القلب في نهب المدينة كان خارقا للعادة ففزع من هذا الامر منتخب صكصونيا فاعلن الامبراطور بعداوته ودخل طيلي بأمر الامبراطور في صكصونيا بعد أن دمر مدينة مجديبورغ بقصد الغاء محالفة كانت عقدت بين البرنسات البروتستانتية في مدينة ليبزيغ في مبادي السنة فانضم منتخب صكصونيه الى غوسطاووس ادلفوس ووقعت الواقعة في بريطانفلد انهزم فيها الصكصونيون غير أن ملك سويج وعساكره كانوا على شهامة وشجاعة في الحرب فهزموا طيلي وبددوا جيشه وصار البروتستانت في هذه الحالة على أمل كبير من عود أمرهم كما كان عليه الكاثوليك في السابق وأمر غوسطاووس الصكصونيين بالاستحواذ والغلبة على بوهيميه وسارهو الى الجهة الجنوبية نحو بافاريه فقابله البروتستانت في كل جهة توجه اليها مع الهيبة والحماس فاجتهد طيلي من بعد أن جمع جيشا ثانيا في صد غوسطاووس من عبوره نهر ليخ غير أن هذا القائد العجوز الذي حاز جملة مظفرات انهزم هزيمة ثانية وجرح جرحا بليغا مات منه من بعد مضي أيام قليلة ودخل غوسطاووس سراية فرنكفورت وتغلب على المدينة وفتحت مدينة مونيخ أبوابها له وتغلب على سراية مكسيميليان وهرب الدوق نفسه الى مدينة رغنسبورغ ورأى الامبراطور من هذه الحالة أن كافة ما جناه من ثمرات اجتهاداته على شرف سلبها منه فما كان عنده الا طريقة واحدة بواسطتها يمكنه خلاص هذه الثمرات وهي طلبة والنسطاين فاتفق هذا القائد الكبير على جمع جيش كبير بشرط أن يكون هذا الجيش تحت قيادته وأحكامه ومن ثم جمع تحت بيرقه جيشا مؤلفا من ٤٠٠٠٠ نفس وفي سنة ١٦٣٢ تغلب على مدينة براغه وطرد الصكصونيين من بوهيميه ثم سار على نورنبرغ الا أن غوسطاووس كان سبقه اليها واحتل موقعا حصينا فخاف والنسطاين عن انتشاب واقعة واجتهد في اغتصاب موقع العدو ولما لم يتيسر له الحصول على ذلك عاد غوسطاووس الى بافاريه وسار القائد الامبراطوري من بعده الى صكصونية فسار خلفه غوسطاووس وفي ١٦ نوفمبر سنة ١٦٣٢ وقعت واقعة لوطزين فانتصر الاسوجيون الا أن نصرتهم كانت غالية الثمن لان ملكهم قتل فيها وكان غوسطاووس أحد عظماء السياسيين وأجل قواد عصره في العسكرية وكان هو الرجل الذي ظهرت عليه اللياقة في عود الاصلاح بطريقة مرضية في الاعمال الجرمانية ومن بعد موته صار لوالنسطاين طاقة على القهر ثم من بعد أن عوقب أشد العقاب وما بقي معه الا شرذمة قليلة جدا من جيشه ووصل حرب الثلاثين سنة الى أكبر درجة من أحواله ولما مات غوسطاووس كان سيد جرمانيا وبموته ضاع كل شئ فكان لا يوجد أحد يقوم مقامه أو يجري ما كان

عليه

عليه من المقصد الحسن وخلفته ابنته وكانت طفلة صغيرة وتقلد (أوكسنسطيرنه) زمام الشوكة العالية ونيابة المملكة وصار برنارد صاحب (ويمار) فى قيادة الجيش وقام مقامه هورن الا أن برنارد كان يحب أن تعطى له مكافآت خصوصية على خدمته زيادة عن أن يحصل له نصر فمن ثم ماوقع بينه وبين هورن اتفاق وتشكى كل من الاثنين للنائب من تراخيه فى عدم ارساله لهما مطلوبهما فتولد من تشكيل دوقية فرنكونيه الجديدة واعطائها مكافأة لبرنارد حصول العداوة عند الرئيس الصكصونى فنكث ما كان عليه من العهد وفى هذا الوقت ما كانت القواد البروتستانتية خالية من القوة فشكلوا اتحادا عرف باتحاد هلبرون فى ٢٣ ابريل سنة ١٦٣٣ بعد الميلاد ودخل فى هذا الاتحاد صوابية وفرنكونية مع الرين الاعلى والرين الاسفل وتعاهدت هذه الايالات على حماية بعضها بعضا وأمل البروتستانت فى هذا الوقت مساعدة فرانسا لهم بالمال والرجال

وكان ولنسطين فى هذه المدة شارعا فى مشروعات تخصه فكان مائلا للصلح وتغيرت أحواله وسمح بالرخصة التامة للبروتستانت فى أعمالهم وكانت رغبته فى اتحاد جرمانيا ومباشرتها أعمالها وتعرض لصد تداخل الفرنساوية ورفض وقوع الحرب حتى مع مساعدة اسبانيا الامبراطور ووقع بينه وبين الامبراطور البغضاء والمشاكل الشديدة وطلب أخصامه عزله فعزله الامبراطور من قيادته وفى سنة ١٦٣٤ بعد الميلاد قتله دوبركس وتولد من موته معضلات كبيرة جديدة فى كافة الجهات وكافأ الامبراطور الذين قتلوا ولنسطين ونشر منشورا يتضمن الاعمال السيئة والمقاصد القبيحة التى قتل من أجلها ولسطين وفقد رجلا جليلا كانت كافة الاجراآت الحربية الجرمانية منسوبة له وكانت أسباب قتله مجهولة عند كل انسان والظاهر أنه لما خاب فى أعماله ارتاب الامبراطور منه ثم اشتغل بأشغال أغوته وزال وثوق الامبراطور به واعتماده عليه وتقلد فرديننده ملك هنكاريا وابن الامبراطور زمام رياسة الجيوش الامبراطورية وكان التقى مع الاسويجيين فيما سبق وطردهم من نواحى راطسبون ومن جهة دونوارط عندما انضم اليه الكردينال انفنت مع ١٥٠٠٠ نفس من الاسبانيين وقت سيره من ايطاليا الى البلاد الواطية ومن بعد تقلده القيادة حاصر نوردلنغين وفى ٦ سبتمبر وقعت الواقعة فى نوردلنغين وفى آخر النهار أسر هورن مع ٦٠٠٠ نفس وتقهقر برنارد قهقرة مشؤمة من بعد أن ترك ١٠٠٠٠ قتيل من رجاله فى ميدان المعركة وكانت خسارة العساكر الامبراطورية ١٢٠٠ نفس وأزالت واقعة نوردلنغين كل ماوقع من المصائب فى واقعة بريطانيفلد وصار فرديننند سيد جرمانيا مرة ثانية ثم أعقب نصرة نوردلنغين عقد معاهدة فى براغة صار التوقيع عليها من الامبراطور والبرنسات اللوثيريانية فى ٣٠ مايو سنة ١٦٣٥ بعد الميلاد وتمت الاحوال على ذلك وألغى أمر الردو تقررت مرة ثانية شروط معاهدة أوغسبورغ واختيرت سنة ١٦٢٧ مبادى الاعمال الجديدة ودخل الكثير من الاسقفيات الصغيرة الموجودة فى الجهة الشمالية من جرمانيا فى الدين البروتستانتى وأما مدينة هلبرسطاط فانها بقيت فى يد أسقف كاثوليكى وخسر البروتستانتيون بلا تبناتيه خسارة مؤبدة وصار التنازل عن لوساطيا الى صكصونية وصار الدين البروتستانتى فى سيليسيا تحت حماية الامبراطور وعمت هذه الترتيبات الجديدة اللوثيريانيين فقط وأما حيس كاسل والايالات الكالفنسطيانية الجنوبية فانها بقيت على ما كانت عليه من دون توطيد أمر فيها

ومادخل الاسويجيون فى معاهدة براغة فمن قبل التوقيع على هذه المعاهدة دخلوا فى محالفة جديدة

ومعاهدة أكيدة مع فرانسا وكانوا مازالوا من تبطين باتحاد هلبرون ورفض برنارد صاحب و يمار وغيليوم صاحب حيس كاسل ماعرض عليهما من المسالمة وصارا حربين فيما يجريانه من الاعمال فأما برنارد فانه من ابتداء استلامه رتبة الدوقية وأخذه دوقية فرنكونية اعتزل عن رياسة الجيش الاسويجى وتقلد زمامها القائد بانير وما كان انقطع استمرار الحرب بل تغيرت أحواله وأوصافه وصارت فرانسا فى مواجهة الحركات بما انها دولة كبيرة قوية الشوكة ولما أخضع ريشيليو دالادارات الداخلية وجعلها مستقلة فى يد سيده سنحت له فرصة كبيرة فى دمار بيت أوستريا وخرابه وكانت مصاريف العساكر الاسويجية على طرف فرانسا وكذا كان برنارد صاحب و يمار فانه دخل فى الخدمة العسكرية الفرنساوية وما مضى قليل حتى اشتعل الحرب بين دينين عدوين فكانت ايالات بروتستانتية تحارب فى جهة مع الامبراطور وايالات أخرى بروتستانتية تحاربه ضده من جهة أخرى وحرب آخر من جهة بين جرمانيا واسويج وبين جرمانيا وفرانسا من جهة أخرى وفى أثناء هذا الحرب مات فردينند فى ١٥ فبراير سنة ١٦٣٧ بعد الميلاد فى مدينة فيانه وخلفه ابنه فردينند الثالث فالتزم على استمرار الحرب لتوطيد الغايات التى كان حصل الشروع فيها ولاجل الخلاص من الاسويجيين والفرنساويين على قدر امكانه فاستنارت الآمال فى السنة الاولى من سلطنته وانهزم بانير فى وطسطوخ وقبلت مدينة ورطمبرغ معاهدة براغة وكان هذا ضياء فقط بما أن جرمانيا مازالت تحت رحمة الجيوش المتحاربة وفى ديسمبر سنة ١٦٣٨ جعل برنارد نفسه سيد الالساس ومن بعد موته فى السنة التالية دخلت فتوحاته التى فتحها فى نواحى الرين الاعلى فى حوزة فرانسا واستمرت أسويج تحت قيادة برنارد وطورسطنهسن تضم لنفسها انصرة من بعد نصرة فى الجهة الشمالية والفرنساويون تحت قيادة غبريان وطورين ودانغيان وغيرهم كانوا أيضا على نجاح عظيم فى الجهة الجنوبية وأخيرا تمزقت جرمانيا من بعضها وكل المحاربون وجهدوا من القتل والدمار وخراب البلاد فمن بعد الواقعة الثانية التى حصلت فى نوردلنغين فى ٣ أغسطس سنة ١٦٤٥ بعد الميلاد أعلن الفرنساويون النصر لانفسهم وصاحوا بصوت واحد الصلح الصلح وكانت هذه آخر وقعة للحرب الطويل المسمى بحرب الثلاثين سنة

ومن بعد هذا حصل الشروع فى المخابرات فى عقد الصلح وكانت نتيجة هذه المخابرات عقد معاهدة وسطفاليه وصار التوقيع عليها فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٦٤٨ ودخل الكالفنسطانيون واللوثيريانيون أيضا فى شروط هذه المعاهدة فكان الحرب الذى تمت به هذه المعاهدة من أقطع الحروب التى وقعت فى أوروبا فقد فيه نصف أهل جرمانيا وخربت جهات المملكة وتدمر الكثير من المدائن وماتت التجارة وأعمالها وفى سنة ١٦٣٠ رفض الاتحاد الحانسى قبول دفع المصاريف التى قررها الاتحاد الحربى على المدائن الحانسية الداخلة فى الاتحاد بقوله ان المدائن لا طاقة لها على دفع المبالغ وغير هذا فان صلح وسطفالية كان غير مرضى عند جهات فى جرمانيا لان اللوثيريانيين والكالفنسطانيين استحوذوا على رخص الحرية مثل الكاثوليك وبقيت الاملاك التى استحوذ عليها البروتستانت فى سنة ١٦٢٤ من الكنيسة تحت أيديهم وصار الكاثوليك والبروتستانت فى الديوان الامبراطورى على التساوى فى العدد ولما من هذه المنح هاج الكاثوليك حتى ان البابا أنوسنت العاشر أقام الحجة على صلح وسطفالية بواسطة سفيره ثم أصدر منشورا بابويا بانه

سلطنة فردينند الثالث

بعيد عنه وخسر البروتستانت من جهة أخرى بوهيمية وما قبل الامبراطور وقوع أدنى تغيير فى الدين البروتستانتى فى أملاكه الوراثية فى أوستريا ومن مشاحنة أحزاب الديانة فى صلح وسطفاليه حصل لجرمانيا خسارات جمة لا تعد ولا تحصى ووطدت فرانسا نفسها فيما استحوذت عليه من أسقفية اللورين ومتز وطول وفردون وأخذت من الالساس مثل ما كان لاوستريا وبواسطة هذه المكاسب وعا أجرته فرانسا من تخريبها القلاع وهدمها الاستحكامات المختلفة التى كانت موجودة على الرين الاعلى حفظت لنفسها طريقا مفتوحا سالكا الى جرمانيا وأخذت أسوج لنفسها خلاف مدائن ويسمار واسطيطين وميرانيه الغربية واسقفيات بريمن وفردين وبواسطة تغلبها على هذه الاراضى دخل فى يدها أغلب الجهات المهمة الموجودة على سواحل بحر بلطق وبحر الشمال ووعدت أيضا بدفع مبلغ خمسة ملايين طالير وبالنسبة لما استحوذت عليه أسوج من الاراضى صارت عضوا فى المجلس الجرمانى وصار لفرانسا وأسوج حقوق التداخل فى الاعمال الجرمانية وأما السويس والاقاليم المتحدة فانها استقلت بالفعل عن المملكة وأما فى داخل جرمانيا فانه حصل فيها تغييرات كبيرة وأخذ منتخب بافاريه بلاتينانيه العليا وأعيد شارلس لويز بن فريدريق الخامس الى ما بقى من أراضيه الوراثية وتشكلت ثمان منتخبات من أجل عائلته وأخذ منتخب براندنبورغ بوميرانيه الشرقية وأسقفية مجديبورغ وأسقفيات هلبرسطاط ومندين وكانين وأعطيت المنح الى مكلنبورغ وحسن كاسل ولونبرغ برونسويك ومن ثم انقرضت حياة جرمانيا الا فى الاسم فقط وكان ميل الاصلاح كما قدمنا ذكره تقوية استقلال البرنسات كاثوليكيين أو بروتستانتيين فاقر الامبراطور على هذه الاستقلالية فى صلح وسطفاليه وكان لهم الحقوق فى عقد معاهدات تحالفية مع الممالك الخارجية ان لم تكن مضرة بصالح الامبراطور أو المملكة وصارت أعمال المجلس أو الديوان الامبراطورى التى كانت تحت مباشرة الامبراطور لا عمل لها وصارت اسما فقط وصار سن القوانين وتشريع الشرائع واعلان حرب أو عقد صلح أو جمع عساكر غير متعلقة فى هذه الحالة بالامبراطور وتحولت جميعها العهدة مجلس المملكة وكانت فى الابتداء من خصائص الامبراطور حتى صار لا شوكة للمجلس ولا نفوذ فى أعماله وصارت المصاعب والمشاكل الديانية لا يجرى نظرها ولا فصل الحكم فيها بواسطة المجلس بل بالمخابرة مع الايالات الواقعة فيها هذه المشاكل وصار من الضرورى الآن بالنسبة لتقسيم جرمانيا الى امارات صغيرة عديدة مستقلة تيسر الحصول على قانون داخلى يحفظ الامارات الضعيفة من الامارات القوية فحصل الشروع فى سن هذا القانون على التدريج ومع انه لم تكن توجد قوة مركزية قامعة للتعدى والجور الا أن البرنسات الاضعف قوة حفظ لهم هذا القانون السلامة من جيرانهم ولو كانوا ملوكا أو منتخبين أقوى منهم بكثير واستمر هذا القانون الذى به دخلت النظامات فى أعمال جرمانيا شيأ فشيأ حتى صار أساسا للقانون الداخلى فى جرمانيا والله أعلم وبغيبه أحكم

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ من صلح وسطفاليه الى موت فريدريق الاكبر ﴾

سلطنة ليوبولد الاول - بحث لويز الرابع عشر صاحب فرانسا على استحواذه على السمو الامبراطورى - تقدم بروسيا - صيرورة فريدريق غيلوم الاكبر منتخبا - انضمام الاتحاد على لويز الرابع

عشر ـ هزيمة الاسوجيين فى فهربلين ـ تغلب لويز الرابع عشر على استراسبورغ تعدى ليوبولد على بروتستانتى هنكاريا ـ طلب الهنكاريين المساعدة من الترك ووصولها اليهم ـ حصار فيانه ـ انتشاب حرب جديد مع فرانسا ـ فظائع العساكر الفرنساوية ـ صلح ريسويك ـ صيرورة المنتخب صاحب براندنبورغ ملك بروسيا ـ الحرب الاسبانى الوراثى ـ انضمام منتخب باباريه ومنتخب كلونيه الى فرانسا ـ مرلبروغ والبرنس أوجين ـ واقعة بلنهيم ـ صيرورة يوسف الاول امبراطورا ـ أعماله الشديدة القاسية ـ وجود البرنس أوجين فى ايطاليا ـ مظفراته ـ انضمام مرلبروغ فى الاراضى الواطية ـ وقائع أودينارد وملبلاكيط ـ صيرورة شارلس السادس امبراطورا ـ صلح أوطريخ ـ غلاق الحرب بمعاهدة رسطاد ـ الرخصة البراغماطيقيه ـ الحرب مع الترك ـ اعطاء اللورين الى سطانيسلاوس ليزنيسكى مريم تريسه ـ السعى فى اغتصاب ممالكها ـ سرعة تقدم بروسيا فريدريق غيليوم الاول ـ جبروته وتفظاظته ـ شرب الدخان ـ معاملته الصعبة لولى العهد ـ صيرورة فريدريق الاكبر ملكا ـ حكومته ـ طلبه سيليسيا ـ اغارته على هذه الامارة ـ الحرب الوراثى الاوستريانى ـ اليأس فى موقع مريم تريسه ـ اغاثتها باشراف هنكاريا ـ تقدم الحرب ـ الصلح مع بروسيا ـ مظفرات قوى مريم تريسة ـ الحرب الثانى السيليصى ـ موت شارلس السابع ـ وقوع الصلح بين باباريه وبروسيا وصكصونيه وأوستريا ـ معاهدة عكس الكنيسة ـ صيرورة فرنسيس الاول امبراطورا ـ حكومة فريدريق الاكبر الداخلية ـ عزم مريم تريسة على عود سيليسيا ـ عقد فريدريق معاهدة مع انكلتره ـ الاتحاد على بروسيا ـ اغارة فريدريق على صكصونيه ومبادى حرب السبع سنوات ـ واقعة لوطوويطز ـ نصرة فريدريق بالقرب من براغة ـ هزيمته فى كلوينه ـ اغارة المتحدين على بروسيا ـ يأس فريدريق من موقعه ـ ثباته ـ وقائع روسباخ ولوطين ـ وصول المساعدة لفريدريق من انكلتره ـ هزيمة الروسيين فى ظورندوف ـ انهزامه فى هوخكيرشن ـ ظهور قطع الامل فى أمر فريدريق ـ شجاعته ـ هزيمته فى كونرسدورف ـ نصرته الكبيرة فى لغنيطز ـ احتلال الاوستريانيين والروسيين فى برلين ـ حركات البرنس هنرى وفريدريق فى سنة ١٧٦١ ـ تبديلات فى السياسة الروسية ـ وقائع بوخوسدورف وفريبرغ ـ صلح هوبرطسبورغ ـ تنائج حرب السبع سنوات ـ موت فرنسيس الاول ـ تقسيم پولنده ـ موت مريم تريسة ـ صيرورة يوسف الثانى امبراطورا ـ موت فريدريق الاكبر

سلطنة پولد الاول

مابقى من السنى الاخيرة من سلطنة فرديننداالثالث كانت خالية من الحوادث ومات فى سنة ١٦٥٧ بعد الميلاد وخلفه ابنه ليوپولد الاول وكان لويز الرابع عشر صاحب فرانسا كثير التلهف على استحواذه على التغلب على السمو الامبراطورى واجتهد فى ارتشاء مجلس المنتخبين فرفض المجلس ماقدمه من الرشوة وانتخبوا ليوپولد فاعفا ملك فرانسا عن كسر خاطره وبذل مافى طاقته فى مدة سلطنته كلها فى اذلال المملكة واغنا نفسه على مصاريفها وكان ليوپولد ضعيف الادراك منبع الرذائل ليس أهلا للسلطنة وكانت سلطنته مشحونة بالمصائب التى ازدادت بما وقع من الاختلافات بين الامارات الجرمانية فيما يختص باجراء الاعمال النافعة للمملكة وفى سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد أغار

لويز الرابع عشر على البلاد الواطية قاصدا استحواذه على قسم من تلك الايالة من اسبانيا فدخلت واحدة من الامارات الجرمانية فى هذه الغارة والتزمت اسبانيا بمعاهدة عكس الكنيسة فى سنة ١٦٦٩ على التنازل عن قطعة من أملاكها فى تلك الجهة

وفى أثناء ذلك أخذت بروسيا فى التقدم فى الاراضى والشوكة وبواسطة معاهدة (ويلو) التى عقدت فى سنة ١٦٥٧ كانت استقلت بروسيا من بولندة وفى سنة ١٦٦٦ بعد الميلاد انضمت دوقية كليف وكونتات مارك ورافنسبرغ الى الممالك البروسيانية وكان هذا التقدم حصل بتدبير فريدريق غيليوم منتخب برندنبورغ الملقب بالمنتخب الاكبر وكان أذكى برنس جرمانى فى عصره وعكف على اصلاح بروسيا وسعادتها وبواسطته ابتدأت هذه الامارة الصغيرة فى التقدم الكبير فى الشوكة والنجاح وفى سنة ١٦٧٢ بعد الميلاد أعلن لويز الرابع عشر حربا على الاقاليم المتحدة وكان فريدريق غيليوم الذى كان مرتابا بامدة طويلة من أشغال فرانسا خائفا خوفا شديدا من أن ملك فرانسا ربما يبحث عن الطريقة التى بها يبتلع أملاك بروسيا الجديدة فانضم مع الاقاليم المتحدة عليه وفعل الامبراطور والملك شارلس صاحب اسبانيا مثل ذلك وعهدت قيادة الجيش الامبراطورى الى (مونطيكوكولى) وكان قائدا ماهرا فرشى ملك فرانسا رئيس وزارة الامبراطور البرنس (لوبكووطز) وكان المتخبون الروحانيون وأسقف مونسطير مائلين مع لويز فتولد من ذلك عصبة قوية ارتبكت منها حركات الجيش حتى غضب فريدريق غيليوم وعقد صلحا مع الفرنساوية فى سنة ١٦٧٣ بعد الميلاد وأخيرا التزم الامبراطور على طرد البرنس (لوبكووطز) وصار فى (مونطيكوكولى) قدرة على ادارة أعماله مع الحرية فنال بعض المظفرات على الرين الاسفل الا أنه فى أقاليم الرين الاعلى حاز القائد الفرنساوى طورين نصرة جليلة على الاوستريانيين وفى سنة ١٦٧٤ بعد الميلاد رأى المنتخب فريدريق غيليوم أنه من الضرورى له أن يكون مع أحد الطرفين فانضم الى الاتحاد ثانيا على فرانسا ودخلت دانيمارقة أيضا فى هذا الاتحاد وفى نحو هذا الوقت عقدت أسوج معاهدة مع فرانسا وأرسلت جيشا الى برندنبورغ وانضم الكثير من البرنسات الاخر الجرمانية لجهة ملك فرانسا وتولد من أعمال اسوج الزام المنتخب الاكبر ترك الرين والمدافعة عن بلاده وفى سنة ١٦٧٥ اكتسب نصرة فاصلة على (الاسوجيين) فى (فهربلين) ومن بعد هذه فتح القسم الاعظم من (بوميرانية) وفى سنة ١٦٧٨ بعد الميلاد صار التوقيع على معاهدة (نيموغن) بين فرانسا والاقاليم المتحدة واسبانيا وانحصر الحرب فى الامبراطور وملك فرانسا فانعقد الصلح بينهما فى سنة ١٦٧٩ بعد الميلاد وأعاد الامبراطور مدينة (فريبورغ) فى (بريسغو) لفرانسا وأعاد فريدريق غيليوم جميع ما فتحه من الاراضى فى (بوميرانيه) الى أسوج ثم ان هذا المنتخب الاكبر عكف نفسه فيما بقى من حياته على الاشغال النافعة لبلاده وكان حاكما ثابت فى الرأى نجحت رعاياه تحت حكومته النجاح الكامل حتى راعوه بانه هو المؤسس الاكبر لسعادة بروسيا ومع أن لويز الرابع عشر كان ضمن نفسه بما وقع من الصلح بمعاهدة نيموغن الا أنه ما ترك جرمانيا من وقوع الارتباك والفزع فيها بجهة أن الاراضى الاوستريانية فى الالساس ما تيسر لفرانسا الاستحواذ عليها تماما وتغلب على الكثير من المدائن الواقعة على شاطئ نهر الرين وفى سنة ١٦٨١ بعد الميلاد تغلب على مدينة ستراسبورغ مفتاح عموم جرمانيا الجنوبية على حين غفلة وقواها حتى صار لا يمكن التغلب عليها وما وقع من اقامة الحجة من طرف جرمانيا

بخصوص التغلب على هذه المدينة كان على غير طائل واستمرت تحت يد فرانسا الى سنة ١٨٧٠ بعد الميلاد

وما كان للامبراطور ليوبولد طاقة على صد هذه المصائب بما أنه كان مشتغلا بحرب مع الهنكاريين والترك وكان الامبراطور عامل بروتستانت الهنكاريين بأسوء المعاملات العنيفة حتى قطعوا الامل من حياتهم وكان صديقهم الوحيد لويز الرابع عشر صاحب فرانسا وهو وان كان من متعصبى الديانة الكاثوليكية غير أنه ساعد الهنكاريين على تضعيف المملكة وفى آخر أمرهم طلبوا ونالوا المساعدة من تركية وكان لويز حضها أيضا على الغارة على أوستريا وفى سنة ١٦٨٣ بعد الميلاد دخل جيش تركى كبير فى هنكاريا وزحف بسرعة على ڤيانة فهرب الامبراطور والكثير من الاهالى الأ أن المدينة دافعت عن نفسها مدافعة شديدة عدة شهور تحت قيادة (روديغير كونت سلاطرنبرغ) ولما صارت على شرف التسليم أغاثها جيش تحت قيادة شارلس دوق اللورين ويوحنا سوبيسكى ملك پولنده فهجموا فى الحال على الترك وطردهم سوبيسكى من معسكرهم وعادوا الى بلادهم الأ أن الحرب مازال مستمرا ومن بعد عدة هزيمات رضى السلطان سليمان بعقد صلح وكانت معاهدة (كارلوويطز) التى حصل التوقيع عليها فى سنة ١٦٩٩ بعد الميلاد ختام الحرب وغلاقه

وفى أثناء ذلك هاج الحرب أيضا بين الامبراطور ولويز صاحب فرانسا لان لويز ما قبل على شرفه اسم منتخب كلونيه فاتحد المجلس فى هذه الحالة فى مساعدة ليوپولد وأعلن الحرب على فرانسا فدخل الجيش الفرنساوى (بلاتيناتيه) ودمر هذه الامارة الظريفة بأمر من الملك وحرقت المدائن ومساكن الفلاحة والزراعة وتحمل السكان مصائب وأهوالا وهدمت (هدلبرغ) وقلعتها العظيمة ونبشت قبور الامبراطورات فى مدينة سپيرس ورميت عظام الموتى وأخذت صناديقهم المصنوعة من الفضة فتولد من هذه الفظائع وماماثلها من الوقائع الكراهة الكبرى للفرنساوية فى كافة أنحاء جرمانيا وصارت هذه سيئة عند أهل جرمانيا لاتغفر الى الآن فرمى الامبراطور ما كان على ظهره من البلادة واجتهد فى قصاص الفرنساوية وتعاضد بفريدريق صاحب براندنبورغ ابن المنتخب الاكبر والبرنسات الاخر الجرمانية واجتمع مجلس من الدول الاوروباوية تحت رياسة غيليوم الثالث ملك انكلترة وشكلوا اتحادا على فرانسا وسنذكر مفصلات هذا الحرب فى محل آخر فاستمر هذا الحرب سبع سنوات فى مظفرات بين الطرفين وانتهى بعقد صلح فى ريسويك بين فرانسا وانكلترة واسبانيا وهولند فى سنة ١٦٩٧ بعد الميلاد وتوقف الامبراطور فى ابتداء الامر فى عقد الصلح ثم سار أخيرا على منوال حلفائه وسلمت فرانسا (فريبرغ) و (بريساخ) و (فيليبسبورغ) والمدائن الموجودة على الشاطئ الايمن لنهر الرين ماعدا قلعة استراسبورغ واتفقت جرمانيا على بقاء الديانة الكاثوليكية فى المدائن التى استلمتها

ولما مات فريدريق غيليوم المنتخب الاكبر صاحب براندنبورغ خلفه ابنه فريدريق الثالث فما رضى هذا البرنس بشرف سمو منتخبيته وكان طامعا فى زيادة علو السمو وتشييد ممالكه برضا من الامبراطور الى مملكة پروسيا فما كان يمكنه أن يكون ملك براندنبورغ لانه بصفة انه منتخب هذه الجهة يلزمه أن يكون تحت طاعة الامبراطور ولكن بصفة دوق پروسيا فيكون مستقلا فمن ثم رغب أن يكون ملك پروسيا وفى ١٨ يناير سنة ١٧٠١ بعد الميلاد تتوج فى مدينة (كونيغسبورغ) مع الابهة والاحتفال

الكبير

الكبير فكان لهذه الحادثة وقع عظيم فى أفكار العالم الا أنه أعقبها الكثير فى جرمانيا وفى أوروبا وسنذكر ما وقع من دسائس الدول الاوروباوية بشأن تقسيم الممالك الاسبانية وكذا ما حصل من موت المنتخب البرنس صاحب بافاريه بغتة فى كلامنا على تاريخ فرانسا فى القرن الاخير ثم ان شارلس الثانى صاحب اسبانيا مات فى ١١ نوفمبر سنة ١٧٠٠ بعد الميلاد ومن قبل موته بقليل صار حضه رغما عنه على أن يجعل الوارث من بعد موته فيليب صاحب انجو حفيد لويز الرابع عشر فرفض الامبراطور قبول هذا التعيين وأعلن بالتخت الاسبانى لابنه الارشيدوق شارلس بن مرغريطه تريسه أخت شارلس الثانى صاحب اسبانيا وصارت الدول البروتستانتية جميعها مع الامبراطور فى هذا الرأى لانهم تدبروا فى أمرهم انه لو صار التخت الفرنساوى والاسبانى فى حوزة عائلة واحدة تعكرت حرية أوروباوقل السلم فيها وكانوا يراعون لويز الرابع عشر أنه ألد الاعداء اليهم وخافوا من أن يحصل على شئ يضيفه لقوته وكان عند الامبراطور فى هذا الوقت أعظم قائد فى الاعمال العسكرية وهو فرنسيس أوجين برنس صقوا فعهد اليه زمام قيادة جيشه وكانت مظفرات أوجين على الترك فى السنى الاخيرة من القرن السابع عشر أكسبته درجة قائد جيش (فيلد مارشال) ودخلت مملكة بروسيا الجديدة أيضا فى معاضدة الامبراطور بسبب رضاه فى تشييدها وابتدأ الحرب الاسبانى الوراثى فى شهر مايو سنة ١٧٠١ بعد الميلاد بعبور البرنس أوجين جبال الالب ودخوله فى لومباردى فى رأس جيش كبير مؤلف من عساكر أوستريانية وبروسيانية وهانوفريانية بقصد طرد الفرنساوية من ايطاليا وانهزم المارشال (كاتينات) القائد الفرنساوى وطردت الفرنساوية من الاقليم الكائن بين نهر أديجه ونهر عدة تخلف المارشال (فيلروا) المارشال (كاتينات) فهزمه أيضا أوجين فى أول ملحمة فى نواحى شيارى وكريمونه ومن بعد مضى بضع شهور انضمت انكلتره وهولنده بمعاهدة مع الامبراطور فتولد من موت غيليوم الثالث صاحب انكلتره فى شهر مارث سنة ١٧٠٢ بعد الميلاد قلق فى حالة المتعاهدين برهة من الزمن ثم أسرعت الملكة عانى باعلان قبولها الاستمرار على ما كانت عليه سياسة غيليوم وكانت جلست على كرسى انكلتره من بعد موته وفى ٢ اقطوبر سنة ١٧٠٢ أعلنت تلك الممالك رسميا حربا على فرانسا وعينت الملكة عانى لورد (مارلبروغ) قائد قواها العسكرية فدخل فى هذا الوقت مكسيمليان عمانويل منتخب بافاريه وأخوه منتخب كلونية فى اتحاد مع فرانسا وفى سنة ١٧٠٣ عبر الفرنساوية نهر الرين وانضموا الى عساكر بافاريه وعرض المارشال فيلار القائد الفرنساوى للمنتخب فى توجهه فى الحال نحو فيانه الا أنه بدل أن يسير مكسيمليان مع الفرنساوية نحو أستريا شرع فى الاغارة على الطيرول فنال بعض مظفرات فى الابتداء وجعل نفسه سيدا على أنسبروك وأخيرا طرده الاهالى من طيرول

وفى سنة ١٧٠٤ بعد الميلاد ضم مارلبروغ والبرنس أوجين قواهما لبعضهما وأغارا على الاراضى البافاريانية وفى ١٣ أغسطس سنة ١٧٠٤ هزما القوى الفرنساوية والبافاريانية فى واقعة كبيرة حصلت فى نواحى بلنهيم بالقرب من (حوخسطاد) وكان من ضمن الاسرى القائد الفرنساوى طالارد ومن ثم التزمت العساكر الفرنساوية بمجرد هزيمتها على الانسحاب من جرمانيا وهرب المنتخب صاحب بافاريه الى الاراضى الواطية واحتل الجيش الامبراطورى أراضيه وارتقى مارلبروغ الى رتبة برنس المملكة مكافأة له على ما أداه من جليل خدماته ومن بعد مضى بضع سنين تقلد قيادة عموم القوى

الامبراطوريه لأن الامبراطور ليوبولد مع انه كان يراعى حق المهارة العظمى الواقعة من البرنس أوجين الا أنه ما كان على وثوق تام منه

سلطنة يوسف الاول

وفى سنة ١٧٠٥ بعد الميلاد مات الامبراطور ليوبولد الاول وخلفه ابنه يوسف الاول فكان الامبراطور الجديد رجلا قويا ذا شهامة فى طبعه زيادة عن أبيه وسار فى سياسة مغايرة فى بعض الاحوال لسياسة أبيه وكان عنده وثوق تام بالبرنس أوجين ورخص له باجراء الاعمال اللازمة فى مشروع الحرب وداوم على الحرب على فرانسا وأخمد عدة ثورات وقعت فى هنكاريا وتولد من قباحة الجيش الاوستريانى المحتل فى باڤاريه قيام أهلها فى ثورة على الامبراطور فأخمد هذه الثورة من بعد حرب شاق ووضع منتخبى باڤاريه وكلونيه تحت حجر المملكة وصمم الامبراطور على دمار الامة الباڤاريه فجعلها وقسم أراضيها بين عدة برنسات جرمانية وأعيدت بلاتينانيه العليا الى منتخب بلاتينانيه وكانت أخذت منه فى مدة حرب الثلاثين سنة

ثم صار ارسال البرنس أوجين الى ايطاليا لاجل طرد الفرنساويه منها انهزم دوق ڤندوم فى أغسطس سنة ١٧٠٥ فى كسنو وكذا فى نواحى كالسيناتو فى ابريل سنة ١٧٠٦ فداوى أوجين جراحات هاتين الهزيمتين بنصرة عظيمة انتصرها على الفرنساويه أمام مدينة تورين فى ٧ سبتمبر سنة ١٧٠٦ بعد الميلاد ومن ثم خضعت كافة لومباردى للعساكر الامبراطوريه وأعلن بملوكية الارشيدوق شارلس فى مدينة ميلان وفى مارث سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد حصل التوقيع على اتفاق مع فرانسا اتفقت فيه على الانجلاء من ايطاليا الشمالية ومن بعد مضى ثلاثة شهور تغلب العساكر الامبراطوريه على مدينة نابولى واستقر الامر للارشيدوق الاوستريانى بأنه ملك السيسيليتين باسم شارلس الثالث ثم سار البرنس أوجين الى البلاد الواطية وضم قوته الى قوة (مارلبروغ) وشرع القائدان المتحدان فى اجراء الحركات التعرضية وفى ١١ يوليه سنة ١٧٠٨ هزما الفرنساويه فى واقعة كبيرة حصلت فى (أودينارد) وفى ١١ سبتمبر سنة ١٧٠٩ بعد الميلاد انتصرا نصرة عظيمة فى نواحى (ملبلاكيط) وكانت أشد واقعة حصلت بين المتحاربين

سلطنة شارلس السادس

وفى ١٧ ابريل سنة ١٧١١ بعد الميلاد مات الامبراطور يوسف الاول وخلفه أخوه الارشيدوق شارلس باسم الامبراطور شارلس السادس وصار تحت يد شارلس الآن الاراضى الواطية الاسبانية والسيسيليتين وميلان فما رغب المتحالفون بأن يكون تاج اسبانيا فى حوزة رئيس بيت أوستريا كما أنه لا يكون فى حوزة البوربون فمن أجل هذا السبب وأسباب أخرى وقعت فى سياسة بريطانيا الكبرى صار طلب مارلبروغ الى انكلتره وفتحت مخابرات الصلح بين فرانسا والمتحالفين وفى ١١ ابريل سنة ١٧١٣ بعد الميلاد حصل التوقيع على معاهدة أوطريخت فرفض الامبراطور شارلس قبول هذه المعاهدة بالقول انه حصل له الغش من معاهديه فى خصوص الصلح واستمر فى الحرب فما حصل للعساكر الامبراطوريه نجاح فى الحروب التى أعقبت ذلك وفى ٧ مارث سنة ١٧١٤ حصل التوقيع على معاهدة (راسطاد) بين المملكة وفرانسا واسبانيا وفى هذه المعاهدة تنازل شارلس عن دعواه فيما يختص بالتاج الاسبانى لفيليب الخامس غير أنه استحوذ على الاراضى الواطية الاسبانية والسيسيليتين وميلان وسردينة ثم حصل التوقيع على معاهدة على حدتها فى بادين فى ٧ سبتمبر سنة ١٧١٤ بعد الميلاد تنازل فيها الامبراطور لفرانسا عن قلعة لندو الامبراطوريه ومنح العفو التام

عن منتخبى باڤاريه وكلونيه وأعادهما الى ممالكهما

وما كانت سلطنة شارلس السادس جميعها سعيدة لانه ما كان له ولد يخلفه فى ممالكه ففى سنة ١٧١٣ أصدر الرخصة البراغماطيقيه وصى فيها بوراثة الاملاك الاوستريانية لبنته مريم تريسه وورثتها من بعدها حيث لم يوجد ذكر يرثه من بعد موته ومن بعد اجتهادات كبيرة نجح أخيرا فى كفالة الدول الكبيرة الاوروباويه بهذه الرخصة وفى سنة ١٧١٥ بعد الميلاد هاج حرب مع الترك استمر الى سنة ١٧١٨ اشتهر فيه البرنس أوجين أيضا بالشجاعة وفى معاهدة (بساروويطز) تنازل الترك لاوستريا عن مدينة بلغراد وبعض مدائن وأراض وفى سنة ١٧٣٣ بعد الميلاد مات أوغسطس الثانى ملك بولنده فعضد الامبراطور وقيصر الروسيا طلبات ابنه فريدريق أوغسطس منتخب صكصونية فى شأن جلوسه على كرسى بولنده وعضدت فرانسا (سطانيسلوس لبزينسكى) حم لويز الخامس عشر فتولد من هذه المنازعة هياج الحرب الوراثى البولندى الذى استمر الى سنة ١٧٣٥ بعد الميلاد غير أنه ما حصل التوقيع على المعاهدة الثالثة فيانة الا فى سنة ١٧٣٨ واستحصل أوغسطوس الثالث على التاج البولندى غير أن مصائب الحرب كانت ثقيلة على الامبراطور فانه تنازل عن دوقية اللورين الظريفة الى (سطانيسلوس لبزينسكى) ومنه انتقلت هذه الدوقية الى فرانسا وصارت قسما من مملكتها وتزوج الدوق فرنسيس المتسلطن فى اللورين بمريم تريسه بنت الامبراطور الذى أنعم عليه بدوقية طوسقانة الكبرى وكانت طوسقانه وپارمه سببا فى الزام شارلس على تسليم السيسيليتين ومات شارلس السادس فى ٢١ اقطوبر سنة ١٧٤٠ بعد الميلاد وبموته انقرضت سلسلة الذكور من بيت هابسبورغ

الامبراطوره مريم تريسه — وكان عمر مريم أربعا وعشرين سنة وخلفت أباها على تخت كل من أوستريا وهنكاريا وبوهيمية ومع ما كانت عليه الدول من الكفالات التى أعطتها لابيها فانها رأت نفسها عرضة لكافتهم تقريبا ورغبوا فى اغتصاب ممالكها منها وتقسيمها فيما بينهم فدخلت انكلتره وروسيا وبروسيا واتحاد البلاد الواطية فى صداقة تامة مع مريم تريسة وتذبذب ملك فرانسا فى أمره وقام منتخب باڤاريه وطلب الاراضى الاوسترياينة معلنا أنها من حقوقه بما أنه من ذرية الامبراطور فرديننداالثانى ومن حقوق زوجته بما أنها ابنة يوسف الاول ومع أن ملك بولنده كفل الرخصة البراغماطيقية الا أنه قام أيضا وطلب الاملاك الاوسترياينة من حقوق زوجته بما أنها ابنة يوسف الاول وانضم الى الاتحاد السرى المشكل بين فرانسا وباڤاريه واسپانيا على مريم تريسة ومن بعد مضى مدة قليلة انضم الى هذا الاتحاد ملك بروسية وملك سردينية ومنتخب كلونيه ومنتخب بلاتيناتية وقصد هذا الاتحاد جعل شارلس البرت صاحب باڤاريه امبراطورا وتقسيم الاملاك الاوسترياينة بين أعضائه ومن ثم ما صار لمريم تريسة حليف الا انكلتره وكانت الامبراطورة اليزابث صاحبة روسيا صديقة لها الا أنها كانت مشغولة بحروب مع الاسوجيين فمن ثم صار لا طاقة لها على مساعدتها وعرف الحرب الذى هاج من أجل هذه المسئلة بالحرب الوراثى الاوسترياينى وكان أول صدمة من ملك بروسيا فمن قبل الخوض فى ذكر وقائع هذا الحرب يلزمنا العود لذكر تاريخ بروسيا من عهد تشكيل المملكة فنقول

فريدريق الاول ملك بروسيا — انه فى مدة سلطنة فريدريق الاول مؤسس مملكة بروسيا وصلت المملكة البروسيانية الى أقصى

درجات الكمال فى الاعمال العسكرية حتى اشتهرت بها من ذلك الحين وعكف على اتساع نطاقها الا انه فى هذا الوقت صير رعيته فى حالة الفقر بسبب ثقل الضرائب التى ضربها على رعيته لمساعدة نفسه على ما يلزم من الرفاهية ولذة العيشة وشيد دواوينا مكلفة مماثلا لديوان لويز الرابع عشر صاحب فرانسا وكان ملكا ذكيا خبيرا بتدبير الامور وأجرى الاجرا آت التى حصل فيها تقدم الادراكات العقلية فى مملكته وأسس من ضمن اصلاحات أخرى مدرسة جامعة وجمعية معارف فى برلين ومات فى سنة ١٧١٣ بعد الميلاد

فوريدريق غيليوم الاول

وخلف فريدريق غيليوم الاول أباه فكان رجلا سجا شهمى الطبع غلبت عليه حدة الغضب فعامل أهله وعائلته بالقل والعنف واذا حصل من احدهم معارضة له أو أغضبه فى شئ فما كان يتردد فى ضربه حالا بعكازه وكان يرى العلم والعلماء بعين الحقارة فكانت هذه صفته القبيحة وكان سالكا فى دواوينه مسالك المهنة والدناءة التى لا يعادلها شئ من صفات النقص وكان مشهورا بشرب الدخان فكثر شرب الدخان فى المملكة وكان قواده ووزراؤه يجتمعون جهرة فى قاعة مزخرفة فى ديوانه ومع كل منهم شبق طويل يشرب فيه الدخان فكانت المداولة وقطع الاحكام فى مسائل المملكة وقضاياها تجرى تحت قتام سحاب المدخنين فكان يطلق على هذا المجلس اسم (مدرسة شرب الدخان) وكانت الضرائب ثقيلة فى مدة سلطنته الا أن اقتصاده فى الصرف جعل له طاقة كبيرة فى جمع مبالغ جسيمة صرفت فى لوازم المملكة ومع أنه كان مطلق الظلم والجور الا أن أحواله كانت جارية بمعرفة وزرائه وأخذت المملكة فى التقدم فى مدة سلطنته وأخذ من أسويج فى سنة ١٧٢٠ بعد الميلاد مدينة (صطيطين) والقسم الجنوبى من بوميرانية القريب من مملكته وأخذ جزيرتى (أوصيدوم) و (وولين) واعتنى بتنظيم واصلاح الجيش حتى انه فى الوقت الذى مات فيه كانت القوة العسكرية فى بروسيا مقدارها ٨٠٠٠٠ نفس فى غاية من التطقيم والنظام العسكرى وكان يحب طوال الناس فكان يبذل مجهوده فى حثهم على دخولهم فى خدمة الالاى المسمى بالحرس الملوكى وكان له سفراء فى الجهات الاجنبية يطفون كل ما يبغضه من الاعمال

ثم تراآى لفريدريق غيليوم الحظ الموفور فى اذلال ابنه ولى عهده فريدريق وكان شابا ذكيا نحريرا من طبعه الحماس ولطافة الاخلاق حاز الدرجة العالية فى العلوم والمعارف فشرع أبوه فى فساد ما استحصل عليه ابنه من الاخلاق الجيدة ونقله الى درجة حيوانية مثله فعمل أعمالا فظيعة فى حق ابنه تراكم ظلام سحابها على شبابه فتحمل منها العنا وسوء الاحوال وفى سنة ١٧٣٠ بعد الميلاد اجتهد البرنس فى خلاص نفسه بكونه يهرب من بروسيا ويلتجئ عند عمته ملكة انكلترة فكشف أبوه عزمه وأمر بالقبض عليه ومحاكمته فى المحكمة الجنائية التى حكمت عليه بالاعدام فحصل السعى الكبير من الامة حتى ان الملك عفا عن اعدام ابنه وأبدله بالحبس وقتل شاب اسمه كاطى كان رفيق فريدريق فى هذا السر بمواجهة البرنس الشاب فتولد من هذه الاعمال الفظيعة تغير فى حواس فريدريق وانقلبت أحواله وخصاله من الخصال الجيدة الى سوء الخلق والارتياب من كل شئ

فريدريق الاكبر

ومات فريدريق غيليوم فى ٣١ مايه سنة ١٧٤٠ بعد الميلاد وخلفه ابنه فريدريق الثانى الملقب بفريدريق الاكبر وكان عمره ثمانيا وعشرين سنة وكان فى صحة قوية حاز درجة المهارة

الكبرى

الكبرى وعد من أكابر الملوك فى التاريخ فداوم فى الحال مع الرزانة على تدبير الاعمال التى يعود منها النفع على مملكته ورأى فيه رعيته نورانية العقل زيادة عن أبيه وانه أهل للملك واستلم فى يديه زمام كافة فروع حكومة المملكة وساس كل فرع منها على حسب أغراضه فكان لا يعتمد على مجلس وجعل وزراءه لتسجيل أوامره وتنفيذها فقط وحصل من أعماله الشديدة تأثير شديد فى بروسيا ولما مات شارلس السادس ورأى فريدريق أنه من الوجوب عليه القيام بالكفالة التى تعهد بها لهذا الامبراطور فى تعضيد بنته مريم تريسة الاأنه رأى أيضا أنه من الضرورى له أن يوسع أراضيه على طرف مصاريف هذه المملكة فكان له نوع طلب فى قسم من ايالة سيليسيا فانتهز هذه الفرصة وأمر سفيره فى فيانة بأن يساعد مريم تريسة لو تنازلت له عن هذه الاراضى فغضبت مريم تريسة ورفضت هذا الطلب فلما تحقق فريدريق من عدم قبولها طلبه تجاسر وأغار على أراضى سيليسيا من قبل أن يرد له جواب من أوستريا وطردمنها الاوستريانيين وجعل نفسه سيدا عليها وكان هذا هو الحرب الاول السيليسيانى وكان فريدريق مستبدا فى حكومته من ابتداء تقلده زمام السلطنة وفى فصل ربيع سنة ١٧٤١ بعد الميلاد شرع الجيش الاوستريانى تحت قيادة (المارشال نيبرغ) فى طرد فريدريق من سيليسيا فانهزم هذا الجيش فى واقعة وقعت فى (مولوويطز) وكان نوال فريدريق هذه النصرة بسرعة نيران بنادق عساكر المشاة البروسيانية وهذه الطريقة كان أدخلها فى جيشه فريدريق غليوم الاول وكان فريدريق قائد جيشه اسما لانه كان حديثا فى فن الحرب ونسبت هذه النصرة للشجاع الماهر (المارشال سكوورين)

ولما رأى أن موقع مريم تريسة على خطر شديد من بعد واقعة مولوويطز وعقدت معاهدة عليها بين فرنسا وبروسيا واسبانيا وبافاريه وصكصونيه ودخل جيش فرنساوى فى جرمانيا وانضم الى القوى البافاريانية ودخل جيش صكصونى فى بوهيمية وتقدم البافاريانيون نحو أوستريا العليا واحتلوا لنز وأعلنوا فيها منتخب بافاريه بانه الدوق الوارث لأوستريا فكان يمكنه التغلب على فيانة لو أسرع فى حركة سيرها نحوها الاأن الغيرة ملأت قلبه من ظفر الصكصونيين فى بوهيمية فشرع فى الغلبة على هذه الايالة ومازال حتى دخل مدينة براغه فى ٢٩ نوفمبر وتتوج فيها ملك بوهيمية وفى ينايرسنة ١٧٤٢ بعد الميلاد صار انتخابه امبراطورا بمعرفة المنتخبين فى مدينة فرنكفورت بلقب شارلس السابع وفى غضون ذلك ابتدأت مريم تريسه ببذل مجهودها فى اصلاح مصائبها فهربت الى هنكاريا مملكتها من أجل وقاية نفسها واستغاثت بالتئام مجلس أعيانها وحضرت أمام هذا المجلس مع ابنها الطفل الصغير على ذراعيها وتلقب هذا باسم يوسف الثانى فيما بعد واستغاثت باشراف الامة الهنكاريه ونوابها فى تعضيد أمرها فتحركت نخوة الفروسية الهنكاريه بسبب اعتمادها عليهم ورن صدا أصواتهم فى قاعة المجلس قائلين نحن جميعا فدا مملكتنا مريم تريسه واجتمع فى الحال جيش مؤلف من ١٠٠،٠٠٠ مقاتل وانضم الى هذا الجيش قوى قوية من طيرول وبرزت هذه القوى لميدان الحرب فسارت فرقة تحت قيادة القائد (خيفهولر) وماتغلبت على أوستريا العليا فقط بل رجعت على بافاريه وضبطت مدينة منيخ فى اليوم الذى تتوج فيه شارلس السابع امبراطورا ومن بعد قليل هزم فريدريق جيش أوستريانى تحت قيادة شارلس صاحب اللورين فى نواحى (غاسلو) وبواسطة هذه المصيبة التزمت الملكة مريم تريسه من أجل خلاص نفسها من عدوها المهول على التنازل عن

سطلنة شارلس السابع

سيليصيا العليا وقسم من سيليصيا السفلى واكتفى فريدريق بذلك مؤقتا وعقد صلح بين أوستريا وبروسيا في فصل ربيع سنة ١٧٤٢ بعد الميلاد ثم سار منتخب صكصونيا على منوال فريدريق ومابقي على مريم تريسه سوى رضا خاطر فرانسا وباقاريه فأما الفرنساويه فانهم انحصروا في براغة بواسطة البرنس شارلس صاحب اللورين فأمنوا خط رجعتهم وتركوا بوهيمية قاطبة من بعد أن خسروا ٤٨٠٠٠ قتيل في ميدان المعركة وجعل شارلس السابع نفسه سيد باقاريه مرة ثانية لمدة ما وفي نفس هذه السنة تقوى أمر مريم تريسه كثيرا بسبب ما وقع من انتصار جيورج الثاني صاحب انكلتره على الفرنساويه في دطنغين في شهر يونيه سنة ١٧٤٣ بعد الميلاد وحصل للامبراطور شارلس في هذا الوقت الاهانة والذل وتركه مع القوه واستحوذ الاوستريانيون على عاصمته التي ورثها من آبائه ورضي بالتنازل عن باقاريه على شرط تعسكر جيشه في أرض ايالة في حيادة من المملكة ووقع الاعلان بان هنكاريا هي الحاكمة لباقاريه

وفزع فريدريق الثاني صاحب بروسيا مما رأى من مظفرات أوستريا وخشي من أن نتائج وقائع هذه الحروب ربما تعود عليها بالنفع ثم تبحث عن الطريقة اللازمة لعود سيليصيا أول فرصة فمن ثم دخل في معاهدة تعرف باتحاد فرنكفورت مع الامبراطور وملك اسويج ومنتخب بلاتيناتيه وأعقب هذه المعاهدة الحرب الثاني السيليصياني وفي سنة ١٧٤٤ بعد الميلاد زحف فريدريق بجيوشه على بوهيمية وتغلب على مدينة براغه فأرسل جيش متحد مؤلف من العساكر الاوستريانية الصكصونية لاجل طرده من بوهيمية وسيليصيا وفي فصل ربيع سنة ١٧٤٥ بعد الميلاد استحوذ فريدريق على سيليصيا مرة أخرى وفي يناير من هذه السنة عقدت معاهدة بين أوستريا وانكلتره وصكصونيه وهولنده على الامبراطور ومحالفيه وفي هذه السنة مات شارلس السابع بغتة فتولد من ذلك وقوع تغيير في هيئة الاحوال وعقد مكسيمليان يوسف منتخب باقاريه صلحا مع أوستريا وترخص له ببقاء أملاكه الوراثية على شرط أن يتنازل عن طلباته في التاج الاوستريانى ويوجه صوته نحو فرنسيس صاحب اللورين زوج مريم تريسه وقت انتخابه للامبراطورية وأما من جهة مملكة هنكاريا فانها اعترفت بالسمو الامبراطوري لشارلس السابع

وسار الحرب على ما كان عليه مع المخالفين الآخرين ونال فريدريق الاكبر في هذه السنة نصرتين شهيرتين على الاوستريانيين في (حوحينفريدبرغ) وفي (سر) وتغلب على لوساطيا وهزم نائبه البرنس ليوبولد صاحب ديسو جيش الجنرال (دوطويسكي) في (كسلسدورف) وسلمت تريسة نفسها من دون مقاومة وصارت صكصونية تحت رحمة فريدريق وفي هذا الوقت رغب الاحزاب في الصلح فمن ثم صار عقد صلح وحصل التوقيع على المعاهدات بين روسيا وصكصونيه وأوستريا في شهر ديسمبر سنة ١٧٤٥ بعد الميلاد وعادت لمنتخب صكصونيه أملاكه بدفعه مبلغا جسيما فداء عنها وتنازلت أوستريا عن سيليصيا البروسيا وصار انتخاب فرنسيس صاحب اللورين والدوق الكبير لطوسقانة وزوج مريم تريسه امبراطورا باسم فرنسيس الاول في شهر سبتمبر سنة ١٧٤٥ بعد الميلاد وأقر فريدريق له بالامبراطورية واستمر الحرب مع فرانسا بضع سنين وانتصر الجيش الفرنساوي عدة نصرات في الاراضي الواطية تحت قيادة المارشال صاكص الابن الغير الشرعي لأوغسطس الثاني ملك پولانده وفي سنة ١٧٤٨ بعد الميلاد عقد صلح مدينة عكس الكنيسة وسلمت أوستريا پارمة وپياسنزه

سلطنة فرنسيس الاول

ويقيت

وبقيت أملاكها الجرمانية من دون أن يمسها أحد

واستمرت جرمانيا ثمان سنوات عقب هذا الصلح في سلم وعكف كل من فريدريق ومريم تريسه (لانها كانت هي الامبراطورة الحاكمة على المملكة في الحقيقة وأما زوجها فكان مجرد سلطنة وأبهة فقط) على تأييد النظام في ممالكهما وغير فريدريق في مملكته تغييرات كبيرة مهد فيها الادارة العدلية وأصلح أحوالها وجعلها ممكنة الوصول لكل فرد من أفراد الامة وكان يفتش على كافة جهات مملكته مرة كل سنة وقوى رعيته في مراعاتهم الاشغال النافعة وزين برلين وحلاها بالعمارات الظريفة وأشغال صناعية اشتراها لها من الخارج وقوى التعليم واستمر هذا الملك في مواصلات ووداديه مع كبار الآداب والعلوم من أهل فرانسا وأخذ فولطير العجب من ذكائه وفصاحته وفي سنة ١٧٥٠ بعد الميلاد أغدق عليه بالانعامات الجزيلة وأغراه على الاقامه في ديوانه ومن بعد قليل وقع بينهما نزاع التزم منه فولطير على ترك بروسيا وأخذت المملكة في النجاح تحت حزم رأى فريدريق وشدة حكومته وخصوصا ما حصل في اقليم سيليسيا من التقدم الجديد الذي هو من زيادة سعادتها فالتزمت الامبراطوره مريم تريسه في الاجتهاد في استرداد هذه الايالة مرة ثانية

وكان فريدريق على تيقظ تام من عزم الامبراطوره مريم تريسه وتحقق له أنه لابد من هياج حرب من بعد مضي بضع سنين وتيقن أن الدول الاوروباويه رأت بعين الغيرة نجاح تقدم مملكته في مدة سلطنته وأنه لابد من أن يكون له قوة تصدهم عن أغراضهم فمن ثم التفت كل الالتفات لانتظام الجيش حتى جعله في أقصى درجات الكمال من شدة التأثير واستعد لتقريرحقوقه بين أعدائه ولما لم يثق بفرانسا في أعماله دخل في محالفة مع انكلتره وكانت قبل ساعدت أوستريا ونجح في عقده معاهدة معها في ينايرسنة ١٧٥٦ بعد الميلاد وعقدت أوستريا من جهة أخرى معاهدة مع فرانسا عدوتها القديمة وانضم اليهما على الفورصكصونيه وروسيا وكان القصد من ذلك قطع دابر بروسيا فأخذ فريدريق أخبار هذه المعاهدات في السر فما فزع من تجمع أي قوة عليه الا انه تولد من الخطر الذي سيقع عليه تهذيب أخلاقه حتى وصل الى درجة الكمال في عظيم أخلاقه وعقد النية على أنه من حيث انه لابد من الحرب يلزمه اكتساب الفوائد التي يمكنه الحصول عليها بوجوده ابتداء في الميدان وكان من أهم الامور عنده عدم استحواذ أحد من أعدائه على صكصونيه وحيث ان تلك المملكة انضمت الى الاتحاد المشكل عليه عزم على الاغارة عليها في الحال من قبل استعدادها للحرب وفي أغسطس سنة ١٧٥٦ بعد الميلاد عبر الحد الصكصوني بجيش مؤلف من ٦٠٠٠٠ مقاتل فكان ذلك مبادي الحرب الكبير المعروف بحرب السبع سنوات فتقهقر الجيش الصكصوني وكانت عدته ١٧٠٠٠ نفس الى موقع حصين في وادي نهر الالبي بين بيرنه وكونغسطين فأحاط فريدريق بموقع هذا الجيش فأرسل جيش أوستريا لخلاص الصكصونيين فهزمته فرقة من الجيش البروسي في نواحي (لووظيطز) في غرة أكتوبر واجتهد الصكصونيون مع قطع اليأس في خرق الحذاء البروسياني فصدهم البروسيانيون لموقعهم وألزموهم التسليم وأرغم فريدريق العساكر الصكصونية على الدخول في ضمن عساكره فنفروا من ذلك وهرب الكثير منهم وفي هذه الحالة بذل أعداء فريدريق جهدهم في طرده من صكصونيه وتوعد مجلس المملكة كافة برنسات جرمانيا للاغارة عليه بما انه هو السبب الوحيد في وقوع الارتباك في أحوال السلم الاوروباوي وكان ذلك غير حقيقي لانه وان كان فريدريق أول من سل سيفه من غمده لكنه من

أجل المدافعة عن نفسه وشرعت كافة قوى أوستريا وروسيا وفرانسا وكافة الامارات الجرمانية فى الحركة عليه ودخلت اسويج فى هذا الاتحاد ما عدا دوقية حيس و برونسويك وغوطه وجمعت انكلتره قوة من العساكر الجرمانية على نهر الرين تحت قيادة دوق كبرلند الابن الكبير الباقى على قيد الحياة للملك انكلتره وصار لاوستريا ومعاهديها طاقة على البروز لميدان الحرب بقوة مؤلفة من ٤٠٠٠٠٠ مقاتل وأما فريدريق فانه ما قطع اليأس وكان واثقا بالنصر لنفسه من حسن نظام عساكره القليلة فكان عدد جيشه المتحد مع دوق كبرلند لا يبلغ نصف عدد جيش أوستريا ومحالفيها ولما كان أعداؤه أكثر منه عددا وسمع انهم بانضمام قواهم لبعضها ربما تؤل عاقبته مشؤمة عليه فحصر سلامته فى تصميمه على الاغارة على كل واحدة على حدتها من قبل اجتماعهم فمن ثم ترك قوة قليلة فى بروسيا للمحافظة عليها من الروسيين والاسويجيين وأسرع فى رأس معظم جيشه زاحفا على بوهيمية فتعجب الاوستريانيون من ظهور فريدريق بغتة أمام براغه فى ٦ مايه سنة ١٧٥٧ بعد الميلاد وهجم على جيشهم وكان تحت قيادة البرنس شارلس صاحب اللورين وأوقع بالجيش هزيمة حاطمة وتقهقر قسم من الجيش الاوستريانى الى كوطنبرغ وكان المارشال دون معسكرا فيها بجيشه ودخل القسم الاعظم من الجيش فى مدينة براغه والتجأ الى استحكاماتها وكانت نصرة فريدريق غالية الثمن بسبب فقد الوهبة من الله المارشال (سكوويرين) فى ميدان الواقعة

واستمر فريدريق محاصرا مدينة براغة عدة أسابيع من بعد الواقعة فسار المارشال دون لخلاصها وسار فريدريق لملتقاه فى الوقت وهجم عليه بالقرب من كولن وفى الوقت الذى كان فيه فريدريق على شرف النصر بدل حالة الواقعة من دون تبصرة فى الاجراآت الحربية فانقلب عليه وعدنجاحه بهزيمة مهولة وأعقب (دون) نصرته بالغلبة على القسم الاعظم من سيليصيا فكان ذلك أول المصائب الشديدة التى قابلها فريدريق فى طريقه وأول داهية وقع فيها وهزم الروسيون القوة التى كان تركها من أجل حماية بروسيا فى واقعة كبيرة حصلت فى (ياغرندورف) الكبيرة وضبط الاسطول الروسى ميميل وأغار الاسويجيون على بوميرانية وفتحت بزندنبورغ أبوابها للاوستريانيين وهجموا فى اقطور على برلين وضبطوها بضع ساعات جمعوا فيها ما يلزم لهم من أهل المدينة وزيادة على هذه المصائب فان الدوق كبرلند التزم بمعاهدة (كاوسترسفن) على تفريق جيشه وسلم هنوفر وحيس ودوقية برونسويك للفرنساوية (وسنذكر وقائع هذا الحرب فى تاريخ فرانسا) فكانت هذه ضربة مشؤمة أبعدت فريدريق عن كافة محالفيه الموجودين على سطح القارة

وفى هذه الحالة اتضح أن دمار فريدريق لابد منه فقطع الامل من نفسه وترا آى له أن يقتل نفسه بنفسه الا انه ثبت عقله واشتغل باصلاح ما وقع له من هذه المصائب وخلص الفرنساوية باتفاق (كاوسترسفن) وانضموا الى الاوستريانيين وزحفوا على صكصونية فعزم فريدريق على مصادمتهم بغتة وردهم على أعقابهم فسار فى الوقت نحو سعل وفى ٥ نوفمبر التقى بالجيوش المتحدة بالقرب من قرية روسباخ وكانوا أكثر منه عددا فهجموا عليه هجوما واثقين منه بالنصر عليه بسهولة فشد فريدريق حيله وأظهر شدة زائدة عن حالته الاصلية فأوقع على المحالفين هزيمة حادة وطردهم من ميدان الحرب فكانت هذه احدى النصرات الجليلة وعادت اليه روحه وتقوت عساكر جيشه وامتلأ جسمه بالغيرة فى العزم على استرداد سيليصيا وفى ٥ ديسمبر هزم فريدريق فى رأس قوة مؤلفة

من ٣٠٠٠٠ مقاتل جيش أوستريانى مؤلف من ٨٠٠٠٠ مقاتل كان تحت قيادة شارلس صاحب اللورين فى نواحى لوطين وأوقع على خصمه تلفيات يبلغ عددها نصف جيشه ما بين قتيل وأسير وجريح وبهذه النصرة أعاد سيليسيا مرة أخرى وتشوق فريدريق لغلاق الحرب فخابر أوستريا فى عقد الصلح فرفضت مريم تريسه قبوله وعزلت البرنس شارلس صاحب اللورين من قيادة جيشها وعهدت قيادته الى المارشال دون

ثم وقع تغيير فى سياسة انكلترة عاد منه النفع على فريدريق وذلك أن غيليوم بيط تعين رئيس وزارة دولة انكلترة فعزم على مباشرة الاعمال الحربية لانكلترة مع الشدة ورفض اتفاق (كلوسترسڤن) وأعان ملك بروسيا بمبلغ ٣٠٠٠٠٠٠ دولار أى ريال أمريكانى دفعه اليه وطلب منه انتخاب قائد القوة الانكليزية الموجودة فى أرض القارة فعين لها فرديناند صاحب برونسويك أخا الدوق المتسلطن فيها وأنشب الحرب ثانيا على فرانسا من طرف بريطانيا الكبرى وهانوفر وفى بضع شهور من بعد فتح حرب سنة ١٧٥٨ بعد الميلاد طردت الفرنساوية من هانوفر ومن برونسويك وفريسلندا الشرقية وحيس مع خسارات وتلفيات جسيمة وأرغموا على الانسحاب خلف نهر الرين

وكان فريدريق فى أعمال شاقة بالنسبة لزيادة عدد أعدائه وشدة أعمالهم الحربية فاجتهد فى ضبط مدينة (أولموطز) فخاب سعيه وأغارت قوة جسيمة روسية فى فصل صيف سنة ١٧٥٨ بعد الميلاد على بروسيا وحرقت مدينة كوسطرين من بعد أن خابت من تغلبها على قلعتها وعاملت أهل البلاد بأشنع المعاملات البربرية وبمجرد ما وصل خبر هذه الاغارة الى فريدريق ترك قوة تحت قيادة (المارشال كيث) للمحافظة على سيليسيا وأسرع الى بروسيا لطرد الروسيين فالتقى معهم فى نواحى (طورندورف) فى ٢٨ أوغسطس وهجم عليهم واستمرت الملحمة مع الشدة طول النهار وما ظفر أحد المتحاربين بالآخر وفى آخر الليل تشتت الروسيون فى كل جهة تاركين فى ميدان الواقعة ١٩٠٠٠ قتيل و ١٠٣ مدفع وتقهقروا نحو پولنده ومن بعد هذا أسرع فريدريق فى حركة سيره لخلاص أخيه البرنس هنرى وكان فى ضيق شديد من الاستريانيين فى صكصونيه واحتل فريدريق موقعا فى سهل عرضة للتلف خالف فيه آراء قواده العظام بالقرب من (حوخكرشن) فاغتفل الاستريانيون عن خطته وفى صباح ١٤ أوقطوبر هجم عليه المارشال دون وأوقع فى جيشه الارتباك وانجبر الجيش البروسيانى على القهقرة بخسارة جسيمة مقدارها ٩٠٠٠ قتيل وخسر ما كان معه من المدافع واجتهدت العساكر البروسيانية فى تقهقرها مع الانتظام حتى ما نال الاستريانيون منهم فائدة ومع ما كان عليه من الهزيمة فانه استمر فى سيره نحو سيليسيا وكانت أعماله فيها مع غاية النجاح حتى انه فى آخر السنة ترك الاستريانيون اقليم سيليسيا فى يده وتقهقروا الى بوهيميه ليقضوا فصل الشتا فيها ثم رغبت انكلترة وفرانسا وبروسيا فى عقد الصلح فرضيت مريم تريسه وكانت مدخرة للنقود على استمرار الحرب وما كان لها أن تسمع شيأ يختص بتوقيف الحرب الا على شرط دمار بروسيا

وبذل أعداء فريدريق جهدهم فى دماره ووقعت فى سنة ١٧٥٩ بعد الميلاد بروسيا فى مصائب ما رأتها قبل ذلك واجتهد الفرنساويون فى عود الاراضى التى خسروها فى شرق نهر الرين فانجبر البرنس فرديناند على القهقرة حتى وصل بريمين ثم عاد عليهم ثانية وفى أول أوغسطس أوقع بهم هزيمة حادة فى

نواحى (ميندن) وأعاد الاراضى التى كان خسرها وما كان فريدريق فى درجة تامة من السعادة فانه فى فصل ربيع سنة ١٧٥٩ بعد الميلاد زحف الروسيون فى قوة ثقيلة تحت قيادة الجنرال صولطيكوف نحو نهر الاودر وتقوى الجيش الاوستريانى تحت قيادة المارشال دون ولودون حتى صار فى درجة عظيمة وبذل فريدريق مجهوده فى منع اجتماع الروسيين مع الاستريانيين ولما بلغه عبور الروسيين من نهر الاودر أرسل اليهم الجنرال (ودل) لاجل صدهم عن زحفهم فهجم عليهم ودل فى نواحى كاى فى ٢٣ يونيه فهزموه واجتمع الجيش الروسى بالجيش الاوستريانى وصار موقع فريدريق فى خطر فصمم على الهجوم على الجيوش المتحدة بكل ماعنده من القوة ورأى أن سلامة ممالكته مقصورة فى أخذه كافة الاحتياطات اللازمة لتيسر الحصول على النصر وودى بان يكون خليفته من بعده على التخت البروسى أخوه هنرى من بعد موته وأن يكون هو النائب عنه فى حالة ما لو أخذ أسيرا وكلفه بان لا يعقد صلحا باى حالة كانت غير محترمة لبروسيا ومن بعد أن تمم هذه الترتيبات سار بجيوشه على المتحالفين والتقى بهم فى ١٢ أغسطس بالقرب من (كونرسدورف) فانهزم من بعد حرب مقطوع اليأس وتشتت جيشه وخسر ١٧٠٠٠ نفس وكانت مصيبة فريدريق كبيرة حتى اعتقد أنه تدمر حاله وأعلن بان كل ما قر رأى المتحالفين عليه من منفعة تعود عليهم فليس على بروسيا الا الطاعة وكان الجنرال الروسى (صولطيكوف) وقع فى الغيرة من الاستريانيين فانسحب بعساكره من دون أن يتتبع نصرته فانتهز فريدريق من ذلك الفرصة فى جمع قواه ومبارزة أعدائه فاستمر عليه وقوع المصائب وسلمت تريسة للاوستريانيين ومن بعد قليل أرغم الجنرال فنك على تسليم ما تحت قيادته من قوة مؤلفة من ٥٠٠٠ نفس الى الاوستريانيين كانت فى مكسن واحتل المارشال دون تريسته وجعلها مقر شتويته واستمر فريدريق مهددا له مدة ما حتى طرده البرد الى جهة شتى فيها فى سنة ١٧٦٠ بعد الميلاد

ثم ان موقع فريدريق صار يأخذ يوميا فى الضيق وكانت بروسيا فى هذا الوقت مملكة صغيرة وعجزت محصولاتها الا أنه من جهة أخرى ما كان يوجد شئ لصد أعدائه من استمرار الحروب الى ما لا نهاية واذا عقد صلح من بعد هذه المصائب يكون أكبر مصيبة فعزم فريدريق على مداومة الحرب وبذل جهده بما عنده من الوسائط القليلة فى استحصاله على مطلوبه وفى فصل صيف سنة ١٧٦٠ بعد الميلاد قابله فى طريقه مصيبة جديدة وذلك أن قوة الجنرال فوكى وكان معهودا اليها حماية سيليسيا سلمت نفسها للاوستريانيين فى (لندشت) من بعد محاربة قتل فيها ١٠٠٠٠ نفس من البروسيانيين وأخذ فوكى أسيرا وفى نحو هذا الوقت هزم الفرنساوية البرنس فردیناند فى كورباخ وكلوسطير وتغلبوا على منتصبة هانوفر المدة الباقية من السنة واجتهد فريدريق فى عود تريسته ولكن المارشال دون أرغمه برفع الحصار وسار نحو سيليسيا وهنالك كان الجنرال لودون نال بعض مظفرات فتبعه الاوستريانيون فى سيره تحت قيادة دون ولاسكى وكان سيرهما فى كل من جهتى جيشه وانضم هذان القائدان فى نواحى (لغنطز) مع لودن وصمموا على الاحاطة بالجيش البروسيانى وقطع دابره وفى ١٥ أوغسطس هجموا على فريدريق وفى الواقعة الدموية التى حصلت فى لغنطز نال ملك البروسيانيين نصرات جليلة وكان نتيجة هذه الواقعة انقاذ سيليسيا من مواجهة العدو وقابل فريدريق مصائب جديدة وذلك أن قوة روسية وأوستريانية زحفت على بروسيا ودخلت فى برلين فى ٤ أقطوبر وضبطت المدينة بضع أيام وما تقهقرت منها حتى

اشيع

أشيع بأن فريدريق زاحف بسير سريع من أجل خلاص عاصمته وكان خروجهم منها من بعد أن خربوا ترسانتها ودوكخاناتها وضربوا ضرائب ثقيلة على أهل المدينة ثم ان فريدريق عزم على استرداد صكصونية وفي ٣ نوفمبر هجم بقوة قليلة على موقع دون في طورغان ونال نصرة جعلته سيد القسم الاعظم من صكصونيه فذهب دون نحو تريسنه وقضى فريدريق فصل الشتاء في ليبزيغ

ثم ان الجيش الاوستريانى بذل جهده تحت قيادة المارشال دون في فصل صيف سنة ١٧٦١ بعد الميلاد في استرداد قطعة صكصونية التى تغلب عليها البروسيانيون الآن دون وجد كافة الطرق مسدودة في وجهه بما أجراه البرنس هنرى صاحب بروسيا من أعماله حتى ان فريدريق أشاع في حقه بعد ذلك أن هنرى هو القائد الفريد الذى ما وقع منه أدنى خطا في مدة الحرب

وصرف فريدريق مدة من السنة في البحث عن صد اجتماع الجيش الروسى الموجود تحت قيادة بطرلين مع الجيش الاوستريانى الموجود تحت قيادة لودن ومهما وقع من مساعيه فان الجيشين اجتمعا مع بعضهما في ١٢ أوغسطس وصدا فريدريق مدة من الزمن ثم وقعت الغيرة في قلبي القائدين من بعضهما وازدادت حتى صارا لا طاقة لهما على اتمام أى شئ وأخيرا سار لودن الى (سكويدنطز) وتغلب عليها في أول اكتوبر ومن ثم حكم على قسم كبير من سيليصيا وقضى الروسيون فصل الشتاء في بوميرانية وفي أول ديسمبر سلمت لهم مدينة كولبرغ

وكان استعفاء غليوم بيط من الوزارة الانكليزية ضربة قوية على رأس فريدريق لان بيط كان أجل أصدقائه وكان اللورد بوط خليفة بيط في الوزارة الد أعدائه فابطلت الوزارة الجديدة الاعانة التى أجراها بيط لفريدريق وعرضت بترك بروسيا ورغبت أوستريا عقد صلح فما صغت مريم تريسه لهذا القول بسبب اعتقادها أنها على شرف استرداد سيليصيا فبخت فريدريق أيضا أن الامبراطوره اليزابث صاحبة روسية ماتت في ٥ يناير سنة ١٧٦٢ بعد الميلاد وكان خليفتها بطرس الثالث شديد الميل لفريدريق فعقد معه صلحا ودخل معه في محالفة وعقد أسبوع معاهدة أيضا مع فريدريق فمن ثم صار له طاقة على أن يوجه مساعيه في الغلبة على الاوستريانيين وما صدق انه انضم مع الروسيين حلفائه حتى زحف على الاوستريانيين في (بوخرسدورف) وفي أثناء سيره وردت اليه الاخبار المحزنة بقتل بطرس الثالث وان امرأته الامبرطورة كاترينة الثانية التى خلفته أمرت الجيش الروسى بالذهاب في الحال الى بولنده فبذل فريدريق جهده مع القائد الروسى في اخفاء هذه الاوامر لمدة ثلاثة أيام وفي هذه المدة هجم المتحالفون على الاستريانيين في (بوخرسدورف) وانتصروا عليهم نصرة عظيمة ثم انسحب الروسيون الى بولنده وحاصر فريدريق مدينة (سكويد يطز) المشهورة وتغلب عليها في ٩ اكتوبر وفي ٢٩ من هذا الشهر هزم البرنس هنرى العساكر الاوستريانية في (فريبرغ) فتولد من هذه المظفرات زيادة التأثير في انتصار البرنس فرديناند على الفرنساوية وتغلب البروسيانيون في فصل الشتاء على فرنكونية وبافاريه وصوابيه وأرغموا البرنسات الجرمانية على سحب عساكرهم من الجيش الامبراطورى وعقد الصلح معهم ومن ثم تركت الامبراطورة المملكة بمفردها في استمرار الحرب لان فرانسا انكسر قلبها مما حل بها من المصائب وصارت على وشك الانسحاب من الحرب فابتدأت المخابرات في عقد الصلح فكانت المخابرات على نجاح تام في هذه المرة وفي ١٥ فبراير سنة ١٧٦٣ بعد الميلاد حصل التوقيع على معاهدة (حوبرطسبرغ) بين أوستريا وصكصونية من جهة وبين

بروسيا من جهة أخرى وتنازلت مريم تريسه عن طلبها فى سيليسيا وتركتها فى حوزة بروسيا واتفق معها فريدريق على توجيه صوته نحو ابنها الارشيدوق يوسف فى الانتخاب للامبراطورية القابلة ثم تولد من حرب السبع سنوات خسارات جسيمة فى بروسيا غير أنه عاد عليها بالنفع لانها دخلت فيه مملكة صغيرة وخرجت منه احدى الدول الكبيرة الحربية فى أوروبا وصارت مرعية محترمة مرعبة عند جيرانها وذات شوكة قوية فى بلادها وصارت خصيمة لاوستريا فيما يختص بالسيادة فى جرمانيا ومازالت هذه العداوة مستمرة حتى وجدت من فصلها وأخذها فى عهدنا هذا

وتقدمت الاصلاحات والتنظامات فى بروسيا مع السرعة فى مدة الحكم الشديد الذى وقع من فريدريق الاكبر ومانكبدته بروسيا من تحمل العناء فى مدة الحرب عاد عليها بفوائد عظيمة من نقود وحبوب وعاد النظام ونسيت الخسارات الحربية من بعد مضى بضع سنين مما وقع للسلطنة الجديدة من الفوز والنجاح الذى نشره فريدريق فى بروسيا والتفت على الخصوص لاعمال سيليسيا ووجه نظره اليها فوصلت فى مدة قليلة الى أعلى درجة فى الثروة والعمران وفى سنة ١٧٦٥ بعد الميلاد مات الامبراطور فرنسيس الاول وخلفه ابنه يوسف الثانى واستمرت الامبراطورة مريم تريسه مدة حياتها هى الحاكمة الحقيقية للملكة ومن بعد مضى سبع سنوات اتحدت أوستريا وبروسيا مع روسيا فى غنى أنفسها على مصاريف بولنده وكانت هذه المملكة وقعت فى حكومة فوضوية فسنحت الفرصة لتلك الثلاث دول على ضبط قسم عظيم من أرضها وقسموه فيما بينهم فأخذت روسيا ليفونيه البولنديه والاراضى الكائنة بين المياه العليا النهر دوينة ونهر الدانبر وأخذت أوستريا غاليسيا الشرقية ولودوميريا وأخذت بروسيا ما يقال له الآن بروسيا الغربية ماعدا مدينتى دانطيغ وطورن المشهورتين ومن هذا الاكتساب انضمت مملكة بروسيا الى برندنبرغ واستحصل فريدريق على قسم من الارض ذى ثروة وعمران وان كان أصغر من الذى ناله كلا مخالفيه

سلطنة الامبراطور يوسف الثانى

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٧٨٠ بعد الميلاد ماتت الامبراطوره مريم تريسه وابنها يوسف الثانى صار هو الحاكم بمفرده فى ممالكه وكان على رغبة من دخول الاصلاح فيها وكان على كراهة شديدة من اليسوعيين الذين ربوه فأمر بقفل ٦٥٠ ديرا وأباح مذاهب الديانة والعبادة ومنح حرية الديانة المسيحية وكان قصده اصلاح الاشغال العائد منها النفع على الايالات البروتستانتية فعرض سفراء البابا فى أوستريا القداسته صورة ماوقع فى الممالك الاوسترىانية فتأثر البابا مما عرضه له الجزويت فزار البابا بيوس السادس ڤيانه مؤملا فصل هذه المادة واصلاحها مع الامبراطور فعامله الامبراطور يوسف معاملة باردة وماسمح له فى فتح مناقشة تختص بما يرغبه فى ممالكه وما كان الامبراطور يوسف على رغبة فى اصلاح الكنائس فقط بل اجتهد فى اصلاح الادارات والمحاكم العدلية والغاء امتيازات الاشراف وادخال قانون محدود فى الحكومة فكان فى جميعها طائش العقل بدون تدبر وتبصر فى الامور فانه نسى أن مثل هذه الاصلاحات الكبيرة لايمكن اجراؤها مرة واحدة

وتولد من قلق الامبراطور يوسف أن شرع فى سياحة طويلة فى الممالك الاخرى زار فيها رومة وباريس وصان بطرسبورغ والقرم وأقاليمه فى الاراضى الواطية وعرض الى كاترينه الثانية صاحبة الروسيا انه يجب عليها التغلب على الممالك التركية وتجعل القسطنطينية مقر عاصمتها وانه يجب عليه التغلب على ايطاليا وبذلك تحيا بينهما المملكتان القديمتان الغربية والشرقية وفى هذا الوقت اجتهد فى

تقوية

تقوية القوانين الجرمانية واللسان الجرماني في هنكاريا وضيق على الهنكاريين وشدد عليهم في الاحكام فقاموا عليه في ثورة وفي وقت موت أمه ماصار تتويجه ملك هنكاريا في عاصمتها بل صار تتويجه في فيانه ونقل اليها التاج القديم للقديس اصطفان ومن أعماله صار الحرب في هولنده على درجة الهياج فصده من هذا الشغل تداخل فرانسا بالسلاح بما أنها كانت حليفة هولنده

وفي أثناء ذلك مات فريدريق الاكبر في ١٧ أغسطس سنة ١٧٨٦ بعد الميلاد وخلفه ابن أخيه فريدريق غيليوم الثاني فكان ملكا ضعيفا تحت نفوذ المقبوحين المحيطين به ومن سعادة بروسيا أن وصلت اليه وهي في أحسن أحوالها حتى ان أعماله القبيحة ماشوهت سلطتها ونفوذها في الاعمال الاوروباوية والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ من موت فريدريق الاكبر الى سقوط نابليون الاول ﴾

حرب بين يوسف الثاني وسليم خان الثالث ـ مصائب الامبراطور يوسف وموته ـ ليوپولد الثاني ـ الثورة الفرنساوية ـ تأثيرها في جرمانيا ـ صيرورة فرنسيس الثاني امبراطورا ـ حرب بين أوستريا وفرانسا ـ اتحاد بروسيا مع أوستريا ـ واقعة فالمي وجيمابس ـ تغلب روسيا وبروسيا على قسم من الاراضي البولندية ـ ثورة البولنديين ـ التقسيم الثالث لمملكة پولنده ـ حروب الثورة الفرنساوية ـ معاهدة معسكر فورميو ـ تبديلات في المملكة ـ تجديد أوستريا الحرب مع فرانسا ـ الاتحاد على نابليون ـ واقعة أوسترليطز ـ صلح بريسبورغ ـ الاتحاد الريني ـ شوكة نابليون في جرمانيا ـ زوال المملكة المقدسة الرومانية ـ المملكة الاوسترياتية ـ الحرب بين بروسيا وفرانسا ـ واقعة جانه ـ حطم نابليون بروسيا ـ واقعة فريدلند ـ معاهدة طلسيط ـ تشييد نابليون وسطفاليه ودوقة ورساو الكبرى ـ تجديد أوستريا الحرب ـ واقعة اخوهل ـ تغلب الفرنساوية على راطسبون ـ احتلال نابليون فيانه مرة ثانية ـ واقعتا اسپرن ووغرام ـ صلح شونبرون ـ خسارات أوستريا ـ ثورة طيرول ـ موت حوفير ـ تدبيرات بروسيا العظيمة ـ قهقرة الفرنساوية من روسيا ـ دخول جرمانيا تحت السلاح ضد نابليون ـ طرد الفرنساوية من الرين ـ تحرير جرمانيا ـ سقوط نابليون ـ مجلس فيانة ـ عود نابليون ـ واقعة وطرلو ـ معاهدة فيانه

وفي سنة ١٧٨٨ بعد الميلاد ذهب الامبراطور يوسف الثاني من دون تبصر في الامور الى حرب مع السلطان سليم خان الثاني صاحب تركية وتقلد زمام قيادة جيشه بنفسه فما تم شئ في حربه وحاقت به مصائب الارتيابات في مملكته من كل جانب وما تولد من اجرا آته الاصلاحية سوى النفور والهياج وكانت هذه الحالة شديدة المقاومة في الاراضي الواطية الاوستريانية فانه تشكلت فيها جمعية سرية في سنة ١٧٨٩ معضدة لمعارضته وبلغ عدد هذه الجمعية في ذلك الوقت ٧٠٠٠٠ عضو وانتهزت الفرصة في مدة قيام الثورة الفرنساوية ورفعت بيرق العصيان على الامبراطور وطردت العساكر الامبراطورية من فلندره وأعلنت باستقلالية اتحاد الاقاليم البلجيقية في بروكسيل في شهر يناير سنة

١٧٩٠ بعد الميلاد وكذا نفر أشراف هنكاريا من اغارة الامبراطور على حقوقهم وأغروا الفلاحين على القيام في ثورة وأرغموا الامبراطور على الغاء ما صدر منه من أوامر ما الاصلاحية في هذه المملكة وكان الامبراطور على خلوص نية من ادخاله هذه الاصلاحات بين رعاياه فتولد من معارضتهم له جرح قلبه وفقد حواسه في مدة الحرب الذي كان واقعا بينه وبين الترك ومن كثرة ماوقع له من الحزن أصيب بمرض هلك فيه في ٢٠ فبراير سنة ١٧٩٠ بعد الميلاد

سلطنة ليوبولد الثاني

ومن بعد موته خلفه بطرس ليوبولد الدوق الاكبر صاحب طوسقانه أخوه في التاج الاوستريانى بلقب ليوبولد الثاني فكان حازم الرأى محترزا في أعماله زيادة عن أخيه فأعاد في الحال نظام الاعمال القديمة في كافة أنحاء مملكته واستتب فيها الامن وفي ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٠ بعد الميلاد صار انتخابه امبراطورا ثم تولد من الثورة الفرنساوية وقوع هيجان كبير في جرمانيا وتوجهت الافكار نحو هذه الثورة وكان يوجد حزب في جرمانيا يؤمل فيها وجود طريقة اصلاح مفيدة يتولد من تأثيرها رفع أمة الدنيا القديمة الى درجة تحرر كبير ماتمتعت به قبل الآن الا أن الملوك والبرنسات نظروا الهابعين الفزع وامتلأت المملكة الجرمانية بمهاجرى فرنسا الذين لكونهم من حزب الاحرار أغروا الامارات الجرمانية على أخذ الاحتياطات اللازمة لمساعدة العائلة الملوكية الفرنساوية فاتفق أخيرا الامبراطور ليوبولد وفريدريق غليوم الثاني صاحب بروسيا على مساعدة ملك الفرنساوية فهلك ليوبولد في مبادى سنة ١٧٩٢ بعد الميلاد من قبل تنفيذ هذا المشروع

سلطنة فرنسيس الثاني

ومن بعد موت ليوبولد الثاني خلفه ابنه فرنسيس الثاني على التخت الامبراطورى وفي ابريل سنة ١٧٩٢ غضبت فرانسا من تداخل أوستريا في أعمالها وأعلنت حربا على الامبراطور فجدد ملك بروسيا مع فرنسيس المعاهدة التي عقدها مع أبيه وأغار جيش بروسيانى تحت قيادة دوق برونسويك مصحوبا بالملك نفسه على فرانسا وان شاء الله سنذكر مفصلات هذه الواقعة في تاريخ فرانسا في هذه المدة وانهزم البروسيانيون في فلمى والاوستريانيون في جيمابس وتمكنت الاراضى الواطية طاعتها للامبراطور وأعلنت بالجمهورية لنفسها وفي هذا الوقت وقعت ميانسه في أيدى الفرنساوية وأهل بهم أهلها مع غاية الفرح

ومن بعد قتل لويز السادس عشر هاج حرب بين فرانسا وبريطانيا الكبرى وهولنده واسبانيا وانضمت امارات المملكة في زمن قصير الى المتحالفين وأما حوادث هذا الحرب فسنذكرها ان شاء الله في تاريخ فرانسا

وفي مدة جريان الحرب كانت التفاتات الامارات الجرمانية مشغولة باعمال بولنده وفي سنة ١٧٩٣ بعد الميلاد اتحدت بروسيا مع روسيا في تقسيم ثان في الاراضى البولندية وأخذت القسم الاعظم من بولنده الكبرى مع مدينتى (طورن ودانطيغ) فتولد مما اكتسبته بروسيا من الاراضى حسد أوستريا لها وشرع طوغوت وزير أوستريا في دس الدسائس مع روسيا على بروسيا حتى ان ملك بروسيا حصل عنده تراخ في الحرب مع فرانسا ورأى أن الاصوب له عقد صلح معها وفي سنة ١٧٩٤ بعد الميلاد قام البولنديون تحت قيادة (كوسيوزكو) في ثورة واجتهدوا في استرداد أراضيهم المفقودة فشرعت بروسيا في اخماد هذه الثورة وأخيرا أطفأتها روسيا بقوتها وفي سنة ١٧٩٥ عقدت روسيا معاهدة سرية مع أوستريا من أجل التقسيم الثالث الاخير لاراضى بولنده فصارت بروسيا في

هـذا الوقت لاثنتين واحـدة من هاتين الدولتـين وأسرعت بعقد الصلح مع فرانسا وفى ٥ ابريل سنة ١٧٩٥ حصـل التوقيع على معاهدة باسيل وفى هذه المعاهدة تنازلت بروسيا لفرانسا عما تغلبت عليه فى الشاطئ الايسر لنهر الرين ومن مضى قليل عقدت هانوفر وحيس كاسل صلحا مع فرانسا ثم بروسيا باتحادها مع روسيا وأوستريا التقسيم الثالث لاراضى بولنده وأخذت بروسيا حصتها القسم المعروف ببروسيا الشرقيـة وورساو وأخذت أوستريا غاليسيا الغربية

وفى هـذا الوقت وجهت فرانسا حربا على أوستريا من أجل ايطاليا فكانت جيوش الجمهورية تحت قيادة نابليون بونابارت وانهزم الاوستريانيون فى كل نقطة وأخيرا انتهى الحرب بمعاهـدة معسكر فورميو فى ١٧ اقطوبر سنة ١٧٩٧ بعد الميلاد تنازلت فيها أوستريا عن الاراضى الواطية الاوستريانية لفرانسا وتنازلت أيضا عن أملاكها فى ايطاليا وصار ترتيب هـذه الاملاك فى هيئة جمهورية عرفت بجمهورية الالب الجنوبية وأخذت أوستريا عوضا عنها فنيزه وفريولى واسطريا ودلماطيه والجزائر الموجودة فى طول الساحل الدلماطى وكانت هذه المعاهـدة مكروهة عند أوستريا حتى انها بكل سرور انضمت على تحالف روسيا وانكلترة ضد فرانسا وهاج الحرب ثانيا فى سنة ١٧٩٩ بعد الميلاد فكانت مبادية نيرة على المتحالفين لانهم كانوا فى كل الاحوال ناجحين على الفرنساوية وتسبب من رجوع نابليون بغتة من مصر واستلامه قيادة الجيش الفرنساوى توقيف نجاح الاستريانيين فى ايطاليا

وفى اليوم نفسه احتلت أوستريا جنوه (وسنذكر حوادث الحـروب مع نابليون بالتفصيل فى تاريخ فرانسا فى نحو هذا الوقت) فأسرع نابليون بجسارة الحركة وعبر جبال الالب ودخل ميلان فى ٢ يونيه سنة ١٨٠٠ وفى ١٤ يونيه كانت واقعـة مغنا فو فتولد من هزيمة الاوستريانيين فى هذه الواقعة أن أعاد الفرنساوية ما كانوا فقدوه وخسروه فى ايطاليا وزحف فى هذا الوقت الجنرال مورو منصورا على جرمانيا وفى ٣ ديسمبر انتصر نصرة عظيمة فى (حوحنلندين) وصار لاطاقة للحكومة الاوستريانية على مداومة الحرب وفى ٩ فبراير سنة ١٨٠١ بعد الميلاد صار التوقيع على صلح (لونيفيل) وكان مشتملا على شروط معاهدة معسكر فورميو وسلم الامبراطور ثانيا الاراضى الواطية الاوستريانية ورضى باقرار جمهوريات باطاويه وحلويط والالب الجنوبية وليغوريا وأعطى دوقية بريسغو الى دوق مودنه وأسقفية صالزبورغ مع لقب منتخب الى الدوق الاكبر صاحب طوسقانه وخلاف ذلك تنازلت أوستريا عن الاراضى الجرمانيـة الموجودة على الشاطئ الايسر من نهر الرين لفرانسا وكانت طامعـة فيها وصارت الحـدود بين المملكتين ومنح أيضا لقب منتخب على صاحب حيس كاسـل ودوق ورطمبرغ وصاحب بادن وعزل كافة المنتخبين الروحانيين ماعدا أسقف ميانسه ونقل دار قسوسيته الى رغنسـبورغ وسمح لمدينة لوبيغ وهامبورغ وبريمن وفرنكفورت ببقائها على حريتها من بين المدائن الموجودة فى المملكة وألغيت حرية ثمان وأربعين مدينة لا أقل

وما ضعفت جرمانيا مثل هذه المرة أبدا فان أراضيها تقسمت وانتقل أهلها من حاكم الى حاكم بمعرفة فاتح غريب تجـرع من عـدم اتحاد أعضائها المختلفة مرارة الصـبر وما بقى الادمار المملكة تجاهها الفرح وتغيرت الاحوال وذلك انه حينما كان نابليون جاريا فى سياسة فرانسا مع التدبير وحزم الرأى ترآى منه شيأ فشيأ أن أحواله أخـذت فى زيادة عدم مراعاة حقوق جـيرانه من كافة الامم الاخرى فانه فى سنة ١٨٠٣ بعد الميلاد تغلب على هانوفر وكانت قسما من بريطانيا الكبرى وأقامت بروسيا الحجة فى شأن

هذا الانتهاك الا أنهما ما تداخلت فى ذلك

وعزمت أوستريا تماما على تجديد الحرب فى أول فرصة ففى سنة ١٨٠٥ بعد الميلاد عقدت محالفة مع انكلترة وروسيه وعول هؤلاء الدول من بعد أن انضم اليها أسويج على السعى فى حطم عدوها غير ان بونابارت بسرعة حركاته فاز بالفائدة العظيمة على المتحدين عليه وأسرع فى سيره نحو الرين وعبره من دون مهلة الى أراضى جرمانيا وانضم اليه باقاريه وورطمبرغ وبادن وراعوا فى ذلك نفع أنفسهم زيادة عن مراعاتهم واجبات وطنهم وانهزم الجيش الاوستريانى تحت قيادة الجنرال ماك عدة مرار وأخيرا انحصر فى علم وانجبر على التسليم فى ١٧ اقطوبر وخسرت أوستريا ٣٠٠٠٠ من العساكر وفى ١٣ نوفمبر دخل بونابارت فينانة ثم أسرع فى عبور نهر الدانوب قاصدا الهجوم على الاوستريانيين والبروسيانيين وكانوا جمعوا قواهم فى (موراڤيه) فكانت واقعة (أوسترلطز) فى ٢ ديسمبر انكسر فيها جيوش المتحالفين ومن ذلك انجبر الامبراطور فرنسيس على فتح مخابرات الصلح وفى ٢٥ ديسمبر حصل التوقيع على معاهدة پريسبورغ وشرط نابليون على أوستريا فى هذه المعاهدة أصعب شروط وأرغمها على التنازل عن فنيزه الى ايطاليا وعن طيرول (وفورارلبرغ) الى باقاريه وأملاكها فى صوابية الى وارطمبرغ وبادن وصارت أوستريا لاتتق بدولة من الدول وما اكتفى بونابارت بهذه التبديلات بل رفع كلا من منتخبى باقاريه ووارطمبرغ الى درجة ملوك فى نظير خدمتهم فى هذا الحرب وألزم امبراطور جرمانيا بالاقرار على هذا السمو الجديد واستقلالهما فى أحكامهما فى داخل ممالكهما وأعيدت هانوفر الى بروسيا ثم تنازلت بروسيا عن انسباخ الى باقاريه وكليف و(نوفشاتل) الى فرانسا ومن بعد مضى قليل أفاض نابليون كليف وبرغ على عديله (يواخيم مرات) وكان أخذ برغ من باقاريه وأعطى (نوفشاتل) لصديقه المارشال (برطيير)

وكان من رغبة نابليون تشييد دولة فى جرمانيا تعود منافعها عليه فخ ثم وطد لنفسه صداقتها ومساعدتها وفقدت الحية الجرمانية من أمراء جرمانيا واختار البرنسات الجرمانية شراء المنافع لانفسهم من مصاريف وطنهم ثم تشكل فى ١٢ يونيه سنة ١٨٠٦ بعد الميلاد اتحاد دخل فيه ملكا باقاريه ووراطمبرغ ومنتخب بادن ودوق حيس ودوق برغ وأسقف رغنسبورغ وآخرون من البرنسات الجرمانية وأعلنوا بنقض طاعتهم للملكة وقرروا بان امبراطور الفرنساوية هو الحامى لهم وأطلق على هذا الاتحاد اسم الاتحاد الرينى واتفقوا على معاضدة الامبراطور نابليون بجيش مقداره ٦٣٠٠٠ نفس وصار أسقف رغنسبورغ أكبر نواب المملكة الجرمانية نائبا عن امبراطور الفرنساوية فى الاتحاد ولقب برنس الاساقفة

فتولد من تشكيل الاتحاد الرينى ضربة ماحقة للملكة المقدسة الرومانية التى صار احياؤها فى مدة سلطنة أوطو الاكبر وصارت الخلف الحقيقى لمملكة القياصرة واستمر وجودها نحوا من تسعمائة سنة وكان تمام سقوطها فى ٦ أوغسطس سنة ١٨٠٦ بعد الميلاد فى يوم تنازل الامبراطور فرنسيس الثانى عن التاج الامبراطورى وفى سنة ١٨٠٤ بعد الميلاد تلقب فرنسيس بلقب وارث امبراطور أوستريا وفى سنة ١٨٠٦ بعد الميلاد صار امبراطور أوستريا فقط وتلقب خلفاؤه من بعده بهذا اللقب ومن بعد تنازله انعدم التاج الامبراطورى الجرمانى الحقيقى ومن الآن فصاعدا نتكلم على فرنسيس الاول باسم صاحب أوستريا لا امبراطور جرمانيا

ثم

ثم انه لحد هذا الوقت كانت بروسيا خالصة من ثقل يد نابليون عليها لحيادتها عن الاعمال الجرمانية الا أن فريدريق غيليوم الثالث الذى جلس على التخت فى سنة ١٧٩٧ كان على رغبة صيرورة بروسيا الدولة الرئيسة فى جرمانيا وكان على نفور من تشكيل الاتحاد الرينى بسبب أن هذا الاتحاد مهدد لسيادة بروسيا فى شمال جرمانيا وما كان عند نابليون مدة من الزمن غيرة حادة من وجود بروسيا فى حالة الاستقلال وكان يرغب متى سنحت له الفرصة فى اخضاعها فى أعمال نابليون القبيحة اجبر ملك بروسيا على أن يسوق الحرب على فرانسا فى سنة ١٨٠٦ بعد الميلاد طلب فريدريق غيليوم انسحاب العساكر الفرنساويه من جرمانيا طلبه بتهديدها بالحرب فرفض نابليون هذا التهديد فأعلنت بروسيا حربا على فرانسا وكان الجيش البروسى أقل بكثير فى الاعمال العسكرية من الجيش البروسى الذى نال الفخر السامى تحت قيادة فريدريق الاكبر فاكرهت صكصونية على التحالف مع بروسيا واتخذ الجيش البروسيانى موقع المدافعة عن المملكة ضد امبراطور فرانسا وكان عندما أعلن بالحرب زحف بالسرعة على جرمانيا وفى ١٤ أقطوبر سنة ١٨٠٦ انهزم البروسيانيون فى نواحى (أورسطاد) و(جنا) وقتل الدوق (برونزويك) الذى كان متخذا قيادة الجيش البروسيانى فى أورسطاد وأوقع نابليون خسارات جسيمة من قتلى وجرحى على الجيش المهزوم وأسر ٣٠٠٠٠ نفس فكانت نتيجة هذه الواقعة فى جنا من أكبر المصائب على بروسيا وسلمت قلاعها لنابليون ورمى القواد الموجودون فى ميادين الحروب سلاحهم وسلمت مدينة (مجديبورغ) من دون حرب لنابليون وكان فيها قوة من المحافظين مؤلفة من ٢٢٠٠٠ نفس وهرب الملك والملكة الى (كونغسبرغ) ودخل نابليون فى برلين متوجا بتاج النصر وخضعت له كامل المملكة وقال انه لا علم له أن كان التغلب على مثل هذه الامة من الافتخار أو من العار وأرسل الى باريس من ضمن أشيائها من المدينة سيف فريدريق الاكبر أخذه من قبر هذا الفارس الشجاع وعربة النصر وكانت فوق باب (برندنبورغ) فى برلين

وما بقى من الجيش البروسى انضم من بعد واقعة جنا الى الجيش الروسى الموجود على حدود مملكة بروسيا ثم سار نابليون قاصدا اتمام أشغاله وفى ٧ و ٨ فبراير سنة ١٨٠٨ بعد الميلاد وقعت واقعة مهولة فى (عيلو) بين الفرنساويه والروسيين الا أنها كانت غير فاصلة وفى ١٢ يونيه حاز نابليون نصرة عظيمة فى (فريدلند) وتغلب على (كونغسبرغ) و(طيلسيط) وكانت (دانطيغ) سلمت له فى آخر شهر مايو ومن بعد قليل تقابل مع امبراطور الروسيا على رومس فوق نهر (نيمن) لحضه على عقد الصلح ومن حيث ان بروسيا ما أمكنها المداومة على الحرب من دون مساعد حصل التوقيع على معاهدة طيلسيط فى ٩ يوليه فجزأت المملكة بهذه المعاهدة وأخذت منها أراضيها الواقعة بين نهر الالبى ونهر الرين وشكل نابليون برونسويك وحيس كاسل وقطعة من هانوفر مملكة أطلق عليها اسم وسطفالية وأفاضها على أخيه الاصغر جيروم وأخذ الاراضى البولنديه البروسيانية وجعلها دوقة (ورساو الكبرى) وأنعمها على منتخب صكصونية ورفعه نابليون الى رتبة ملك وصارت دانطيغ مدينة حرة وخسرت بروسيا من هذه التغييرات ٥٠٠٠٠٠٠ نفس من رعاياها والقسم الاجود من أراضيها وأرغم فريدريق غيليوم بدفع مبلغ ١٤٠٠٠٠٠٠٠ فرنك تضمينات حربية جزاء له على ما فعل من اعلانه الحرب على فرانسا وقلل جيشه الى ٤٢٠٠٠ نفس واعتقد نابليون أنه داس

برجله على بروسيا حتى حطمها وصار لا طاقة لها على رفع يدها عليه مرة أخرى ثم ان أوستريا ما نظرت أبدا النتائج واقعة وستيرلطز بانها نتائج نهائية وكانت عزمت على قدر امكانها فى عود ما فقد منها من الاراضى وأخذت فى الاستعداد للحرب مع الهدو والسكون فى وقت ما كان بونا بارت مشغولا بالحرب فى اسبانيا فقوى فرنسيس جيشه وبذلت الامة مجهودها وحمى وطيسها ودخلت مع بعضها فى اتحاد جديد وقامت آمال أهل جرمانيا وأخذت حدها فى علو الدرجات الاأن ساعة خلاصها ما آن أوانها من أجل تحرير الوطن وفى ٩ ابريل سنة ١٨٠٩ بعد الميلاد عبر الجيش الاوستريانى تحت قيادة الارشيدوق شارلس نهر آلان ودخل فى أراضى باڤاريه حليفة فرانسا فأسرع نابليون لميدان الاعمال وفى ٢٢ ابريل هزم الارشيدوق الاوستريانى فى (أخموهل) ثم ان الاوستريانيين رجعوا الى راتيسبون الاأنهم طردوا من ذلك الموقع وفى ١٢ مايو دخل نابليون فيانة مرة ثانية بصفة فاتح ثم وقعت واقعة شديدة فى ٢١ و ٢٢ مايه فى اسبرن انجبرت فيها الفرنساوية على القهقرة وفى ٥ و ٦ يوليه أصلح نابليون الهزيمة المتقدمة بنصرته الفاصلة فى وغرام وأحس امبراطور أوستريا بان لا طاقة له على مداومة الحرب فعقد متاركة بضعة أيام ومن بعد مضى قليل حصل التوقيع على معاهدة صلحية فى ١٤ اقطوبر صار عقدها فى مدينة (سخونبروم) تنازلت فيها أوستريا عن كرينوله وفريبولى وكروطيه وقسم من دلماطيه مع مينة تريسته البحرية لفرانسا فرتبت فرانسا هذه الجهات فى حكومة على حدتها باسم الاقاليم الايليريانية وتنازلت عن (صالزبورغ) مع أراضيها الباڤاريه وسمح لباڤاريه فى بقاء الطيرول فى حوزتها وصار تقسيم القسم الاعظم من أراضى غاليسيا بين امبراطور الروسيا وملك صكصونية وقرر امبراطور أوستريا رسميا حقوق ودرجة سمو الملوك الذين رفعهم نابليون لدرجة الملوكية

وفى أثناء هذا الحرب التزم الباڤاريون والفرنساويون على بذل مجهودهم فى حفظ الطيرول الذى كان تابعا الاوستوريا وبعد التوقيع على معاهدة سخونبروم ألزمت أوستوريا الامة الطيرولية بالقاء السلاح والخضوع لباڤاريه فعصى حوفير الاأن أهل بلاده صار والاطاقة لهم على مساعدته فالتزم على الهرب فكشف الفرنساوية أمره فقبضوا عليه وقتلوه بالرصاص بصفة خائن فى منطوه فى سنة ١٨١٠ بعد الميلاد وهى عاقبة عديمة الرحمة والعدل والانصاف

ثم انه فى هذا الوقت ترا آى أن جرمانيا وصلت الى أدنى الاحوال من الذل والخضوع وزعم بعض الجرمانيين أن الحالة التى أوصلها اليهم بونا بارت أعظم حالة لبلادهم الاأن الاحساس العام فى الامة الجرمانية مازال على قيد الصحة خصوصا فى بروسيا فان دلائل الآمال التى ظهرت لها مما قاسته من المصائب عاد عليها بالفائدة العظيمة فانه من بعد صلح طيلسيط عزل الملك الوزير (طوغويطز) وعين بدله سطين أحد كبار سياسى عصره وزيرا أول على المملكة فأدخل سطين عدة اصلاحات شديدة وأغوى الملك على ابطال الرق من المملكة وأن تكون الخدمات الداخلية فى المملكة مباحة لكافة الامة ومنح حقوق الضبط الداخل للمدائن فكانت هذه التغييرات سببا فى تولد حياة جديدة فى بروسيا أدركها نابليون مع العجلة فأجبر فريدريق على عزل وزيره الاعظم بصفة أنه عدو لفرانسا فهرب سطين الى روسيا ناجيا بنفسه الاانه حصلت المداومة على الطريقة التى سلكها فى بلاده وبواسطة مساعى (غيليوم همبولد) صار وضع طريقة التعليم فى المدارس فى بروسيا تحت قواعد أساسية ما

حصلت أبدا قبل ذلك واجتهد الامراء والوجوه فى ايقاظ الامة وحضهم على حب الوطنية العمومية وبثوا فى قلوبهم الاحساسات التى تقودهم فى الوقت المعلوم للمساعدة فى طرد الفرنساويه من الوطن وتشكل اتحاد سمى بالاتحاد الحقيقة كانت أعماله مخصوصة بأمر الامة والتحق بهذا الاتحاد ألوف من طوائف الامة وعلى الخصوص الطلبة والمدرسون فكانت اجرا آت هذا الاتحاد مخصوصة بالاشغال اللازمة لتحرير الوطن وكان نابليون حدد مقدار الجيش الى ٤٢٠٠٠ نفس فاستمرت بروسيا على هذا التحديد غير أنه بمجرد تعليم العساكر القواعد العسكرية والاعمال الحربية يجرى استبدالهم بعساكر جديدة أخرى ومن ثم صارت الامة البروسيانية فى حالة عظيمة من درايتها بالفنون العسكرية وأضيف الى الجيش الاصلى صنفان جديدان من العساكر الاول صنف المحاربين وهم المخصوصون باجراء حركات المحاربات فى الميادين والثانى صنف خفر المملكة يشتمل على عموم العساكر القديمة والمتزوجين من الرجال الداخلين فى العسكرية واستعد هذا الصنف لحماية داخل المملكة وأطرافها فى حالة ما اذا حصل للجيش المحارب هزيمة فى ميدان الوقائع ثم من بعد ذلك جاءت الساعة الصالحة لبروسيا وحصلت الرجعة المشؤمة للفرنساويه من نواحى الروسيا وصاروا عرضة لانتقام الجرمانيين وأخذ ثارهم منهم منتظرين سنوح الفرصة وفى ٣ فبراير سنة ١٨١٣ بعد الميلاد أصدر فريدريق غيليوم أمرا يطلب فيه شبان بروسيا للمدافعة عن الوطن فهرع اليه العالم من كل مكان ودخلوا تحت البيارق الملية وفى ١٨ منه دخل فى معاهدة مع روسيا وفى ١٥ مارث أعلن بالحرب رسميا على فرانسا وفى مدة قليلة رأى غيليوم نفسه فى رأس جيش كثيف مستعد للحرب

وتقدمت الجيوش البروسيانية والروسية المتحدة زاحفة على الفرنساويه فكان حصول أول واقعة فى ٢ مايه سنة ١٨١٣ بعد الميلاد بالقرب من لوطزن فى المحل الذى قتل فيه أدلفوس غوسطاووس وكانت نتيجة هذه الواقعة هزيمة المتحالفين وتقهقرهم وراء تريسته ثم ان صكصونيه ضمت قواها الى قوى الفرنساويه وفى ٢٠ مايو هجم نابليون على الجيوش المتحدة فى بوطزن ومع أن المتحالفين مازالوا أقل عددا من الفرنساويه انهزموا مرة ثانية فتقهقروا مع الانتظام كذلك الى نحو سيليسيا وما تمكن الفرنساويه أن يوقعوا بهم أدنى ضرر وبناء على طلب المتحالفين سمح نابليون بترك الحرب ثلاثة أسابيع حصل فى أثنائها المخابرة فى شأن الصلح وصرفت الجيوش المضادة هذه المدة فى الاستعدادات لعدوان جديد والمساعى لاجل الصلح كانت على غير طائل ثم عند انتهاء هذه المدة انضمت أوستريا رسميا الى الاتحاد وجاء (برنادوط) ولى عهد اسوج للمساعدة الاتحاد

ولما وقع الشروع فى الحرب مرة ثانية أرسل نابليون (المارشال أودينوت) مع جيش مؤلف من ٨٠٠٠٠ نفس لاجل ضبط برلين فوقف هذا الجيش فى ٢٣ أوغسطس فى نواحى (غروسبيرن) على أمل أنه يدخل فى العاصمة فى ثانى يوم فهجم عليه قوة بروسيانية تحت قيادة الجنرال بولو وطرد نحو نهر الالبى وأما بونابارته نفسه فانه تحرك من سيليسيا بقصد الهجوم على (بلوخير) غير أنه لما علم أن الفرقة الاصلية القوية من جيش المتحالفين تحت قيادة البرنس (سكوارطزنبرغ) زحفت من بوهيمية نحو تريسته انجبر على الرجعة وترك فى سيليسيا جيشا مؤلفا من ٨٠٠٠٠ نفس تحت قيادة المارشال (مكدونالد) ثم ان بلوخير من بعد أن كان على درجة التباعد من وقوع أى واقعة مع الجيش الاصلى الفرنساوى زحف فى الحال على مكدونالد وهزمه فى واقعة كتزباخ فى ٢٦

أوغسطس بقرب بوهيمية وفى ٢٦ و ٢٧ منه عزم المتحالفون على طرد الفرنساوية من ترينسته وما
نجحوا بل تقهقروا وفى هذا الوقت أمر نابليون جيشه بالدخول فى برلين الا أن حركة الجيش انصدت
بسبب انهزام أسلحة المرشال ناى بمعرفة المتحالفين فى (دانويطز) فى يوم ٦ سبتمبر وبكل حزم وتدبير
تجنب المتحالفون المحاربة العمومية التى كان نابليون اجتهد أن يدخلهم فيها وأخيرا تحركت جيوش
المتحالفين من بوهيمية الى صكصونيه بقصد قطع مواصلات بونابارتو مع فرانسا فقابل نابليون هذه الحركة
بتقهقره من ترينسته الى ليبزيغ ودخلها فى ١٤ اقطوبر وفى صباح يوم ١٦ منه هجم المتحالفون على
الفرنساوية وحصلت واقعة دموية استمرت يومين وكانت نتيجتها انهزام الفرنساوية بخسارة ٧٠٠٠٠
نفس وكانت خسارات المتحالفين ٤٠٠٠٠ نفس وكانت عاقبة الحرب عدم امكان الفرنساوية
مداومتهم على ضبط جرمانيا وعاد نابليون من ليبزيغ الى نهر الرين وعبره من نواحى ميانسه فى ٢ نوفمبر
وفى هذا الوقت انتهت شوكة نابليون فى جرمانيا وترك نابليون البرنسات الجرمانية الذين كانوا معه
بسرعة سلامة لانفسهم وسلمت القلاع الموجودة على نهر الالبى والاودر ونهر الويستول التى كانت
جميعها محفوظة بالعساكر الفرنساوية الى القوى المتحدة وشرع المتحالفون فى ابطال الاعمال التى
أجراها نابليون فى جرمانيا وبطل الاتحاد الرينى وانقضى أمره وألغيت مملكة وسطفالية وأعيدت
هانوفر الى ملك بريطانيا الكبرى واستعوذ منتخب حيس ودوقا أولدنبرغ وبرونسويك على الاراضى
التى كانت أخذت منهم
وصارت جرمانيا فى هذا الوقت خالصة من شوكة نابليون وعول المتحالفون على هياج الحرب على
فرانسا وانه لابد من حطم عدوهم الاكبر بما أنهم لم يتمكنوا من السلم والسلامة مادام نابليون محتل
التخت الفرنساوى ثم ان البروسيانيين عبروا نهر الرين وانحطمت جميع مساعى نابليون لصد تقدمهم
وفى ٣٠ مارث سنة ١٨١٤ بعد الميلاد سلمت باريس نفسها للمغيرين وسنذكر بعون الله حوادث
هذه الواقعة فى تاريخ فرانسا المختص بهذه المدة وفى ٣١ مارث سنة ١٨١٤ دخل كل من
الامبراطور اسكندر والملك فريدريق غيليوم باريس فى مقدمة جيوشهما واجبرنا نابليون على تركه
التخت الفرنساوى وتعينت له جزيرة البه لاقامته ثم تعين لويس الثامن عشر ملك فرنسا وفى شهر
مايو صار التوقيع على معاهدة باريس الاولى التى بمقتضاها سلمت فرانسا الى جرمانيا جميع الاراضى
التى كانت سلبتها منها سنة ١٧٩٢ بعد الميلاد وفى هذا الوقت اشتغل المنتصرون على نابليون بعود
النظام ثانيا فى جرمانيا فافتتح المجلس الكبير فى فيانه فى أول أكتوبر سنة ١٨١٤ بعد الميلاد
فكان فيه سوى السفراء امبراطور أوستريا وامبراطور روسيا وملوك بروسيا ودانيمارقه وباڤاريه
ووارطمبرغ وأغلب برنسات جرمانيا فوجد المجلس فى الحال أنه من الصعب جدا حل المعضلات
التى توجه فك مشكلاتها عليه لان بروسيا رغبت فى انضمام صكصونية اليها فى مقابلة ما حصل لها من
الخسائر وطلبت روسيا كامل پولنده فرفضت الدول هذه الطلبات ومرت المشاحنات وتراآى أن السلم
فى أوروبا على شرف التهديد والخوف وفى ٧ مارث سنة ١٨١٥ حصل فى المجلس فزع على حين
غفلة من وصول أخبار بعود نابليون من البى وجمعه قوة قوية عسكرية من فرانسا المباشرة حرب فزال
ما كان فى أفكار المتشاحنين فى المجلس من المناقضات وتركوا ما كانوا اشارعين فيه والتفتوا
الى هذا الخطر العام وأعلنوا بأن بونابارتو خارج عن حد القانون وتشكل اتحاد جديد من كافة

الدول

الدول الاوروباويه وأخذت الاحتياطات اللازمة فى جمع جيوش كبيرة واستعدت جرمانيا مع الجمية من أجل المدافعة عن نفسها ولما وقع الشروع فى الحرب فى يونيه سنة ١٨١٥ بعد الميلاد احتل البرنس (سكارطز نبرغ) جهة الرين الاسفل والاوسط واحتل بلوخير فى نواحى (ليبيغ) وما كان المتحالفون فى مبادى الحرب على نجاح فانه فى ١٦ يونيه هجم نابليون على البروسيانيين بالقرب من (ليغنى) فانهزموا بخسارات جسيمة وفى هذا اليوم وقعت واقعة الاربعة مفارق الا أن الفرنساويه ما كانوا فيها على نجاح واشتغل العساكر السود لفريدريق غيليوم صاحب برونسويك مع الشجاعة الا أن فريدريق قتل فى الواقعة وفى ١٨ يونيه كانت واقعة وطرلو الكبيرة المسماة عند الجرمانيين بالمعاهدة الظريفة وكان بلوخير وعد قبل الواقعة بالحضور لمساعدة ولنغطون فى الليل ومع أنه لاقى أشد المصاعب فى حضوره الا أنه حفظ قوله ووعده وفى ظرف تأخره مدة ثمان ساعات حارب الجيش الانكليزى مع الشجاعة وحفظ نفسه من الفرنساويه ولما وصل بلوخير عرف نابليون أنه خسر كل شئ وتمت الهزيمة على الفرنساويه وتبعهم البروسيانيون مع الشدة تحت قيادة (غنسينو) وقتلوا منهم الجم الغفير فكانت هذه الواقعة تمام غلاق الحرب حتى ان بونابارته أحس من نفسه أنه يستحيل عليه المقاومة وفى ٧ يوليه استحوذ المعاهدون على باريس مرة ثانية وعاد لويز الثامن عشر الى تخته وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨١٥ بعد الميلاد حصل التوقيع على المعاهدة الثانية لباريس ورغب الجرمانيون فى عود الالساس واللورين غير أنه صار تحديد حدود فرانسا كما كانت عليها فى سنة ١٧٩٢ بعد الميلاد وغرمت فرانسا تضمينات حربية قدرها ٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك صار توزيعها بين أرباب الاتحاد

وفى مدة اشتغال الجيوش بالحرب كان مجلس فيانه ملازما فى جلسانه على أشغاله وتولد من وقوع الخطر سكون عند المتعاهدين حتى ان أعضاء المجلس عكفوا مع الحرية التامة على مايعود على أوروبا بالنفع التام وتمت أعماله بعقد معاهدة فيانه تحددت فيها حدود ممالك أوروبا المختلفة على حسب رغبة الملوك من دون مراعاة رغبة الامم فاعادت أوستريا أملاكها فى ايطاليا وايليريا وأخذت (طيرول وسالزبورغ وفورارلبرغ والانفرطيل) وأعادت بروسيا الاراضى التى استحوذت عليها بمعاهدة طيلسيط واستحوذت على دوقية بوسن الكبيرة وبوميرانية الاسوجية والقسم الشمالى من صكصونيه ودوقيتى وسطفالية وبرغ والاراضى الموجودة فى طول النهرين بين ميانسه وعكس الكنيسة ورخص لبافاريه فى بقاء انسباخ وبيروث وأخذت بلاتينانيه العليا من نهر الرين وعرفت باسم بافاريه الرينية فيما بعد وتنازلت فى نظير ما أخذته من الاراضى لاوستريا (عن ورزبورغ واشافنبورغ) وأضيف الى هانوفر بعض أراض وصارت مملكة فكانت هذه هى التغييرات الاصلية التى وقعت فى جرمانيا والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ من معاهدة فيانه الى الاوقات الحاضرة ﴾

الاتحاد الجرمانى ــ نكث البرنسات الجرمانية ــ مواثيق اجراء حكومة قانونية ــ مطلب الاتحاد الجرمانى ــ الثورة الفرنساويه فى سنة ١٨٣٠ ــ التهابها فى جرمانيا ــ هيآت الاتحاد ــ موت

فرنسيس الاول ملك أوستريا ـ مظالم ملك هانوفر ـ موت فريدريق غيليوم الثالث ملك بروسيا ـ فريدريق غيليوم الرابع ـ أعماله الابتدائية ـ الثورة الفرنساوية فى سنة ١٨٤٨ ـ تأثيرها فى جرمانيا ـ مجلس الشورى الوقتى فى فرانكفورت ـ تقريرهذا المجلس بواسطة مجلس المملكة ـ مسئلة سكلسويغ وحولسطاين ـ الحرب بين الاتحاد الجرمانى ودانيمارقه ـ عقد متاركة ـ المجلس البروسى ـ التئام مجلس شورى جديد ـ سن نظام ـ حض ملك بروسيا على قبول لقب امبراطور ـ عدم قبوله ـ خيبة مجلس فرنكفورت ـ القلاقل فى أوستريا ـ الثورة فى هنكاريا ـ اخمادها بواسطة روسية ـ صيرورة فرنسيس يوسف امبراطور أوستريا ـ مساعى ضم جرمانيا تحت رياسة بروسيا ـ الحزب الاوستريانى ـ الصلح مع دانيمارقة ـ الحرب الايطاليانى فى سنة ١٨٥٩ ـ صيرورة غيليوم الاول ملك بروسيا ـ السنوالاولى من سلطنته ـ الكونت بسمارك ـ الغيرة التى وقعت بين بروسيا وأوستريا ـ الحرب الدانيمارقى ـ تنازل دانيمارقة عن الدوقيات ـ المنازعة بين بروسيا وأوستريا ـ عقد بروسيا معاهدة مع ايطاليا ـ حرب السبع أسابيع ـ واقعة كونيغراطز ـ خضوع أوستريا ـ سلطة بروسيا فى جرمانيا ـ خروج أوستريا من جرمانيا ـ تدبير أعمال الحكومة الاوستريانية ـ الاتحاد الشمالى الجرمانى ـ حسد فرانسا لبروسيا ـ حرب فرانسا مع بروسيا ـ انضمام جرمانيا الملتقى فرانسا ـ مبادى الحرب ـ واقعة سيدان ـ تسليم نابليون الثالث ـ احاطة الجيوش الجرمانية باريس ـ تسليم متز ـ حصار باريس ـ تقدم الحرب ـ المظفرات الجرمانية ـ تشكيل المملكة الجرمانية ـ انتخاب ملك بروسيا امبراطورا ـ تسليم باريس ـ غلاق الحرب ـ دخول الجرمانيين باريس ـ التئام المجلس الامبراطورى ـ ترتيب المملكة ـ مبارزات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية للمملكة ـ الاحتياطات اللازمة التى أجرتها الحكومة ـ رفض خدمة الدين الكاثوليكى ـ طاعة القوانين وعقابهم ـ طرد الجزويت ـ الارتباط الحبى مع أوستريا

تولد من الحسد المتسلطن فى امارات جرمانيا المختلفة استحالة عود المملكة فمن ثم انضمت فى اتحاد كبير مؤلف من تسع وثلاثين ايالة من ضمنها مدائن حرة مثل لوبيغ وهمبورغ و بريمن وفرنكفورت وكل امارة استقلت فى أعمالها بنفسها انما لاجل تنظيم منافع الاتحاد العمومية تشكل مجلس شورى على الدوام مؤلف من مرخصى الامارات جعل مقره فى مدينة فرنكفورت تحت رياسة مرخصى أوستريا وتكفل أعضاء الاتحاد بعدم وقوع أدنى حرب على بعضهم أو الدخول فى معاهدة مع الدول الاجنبية يتولد منه ضرر لاى امارة من الامارات الجرمانية وجميع ما يقع من المشاحنات بين الامارات المختلفة يحول على المجلس لاجل فصل الحكم بمعرفته وتشكل اتحاد عسكرى أدخلت فيه كل امارة عساكر من طرفها على حسب تعداد أهلها وعهدت اليه تعيين قواده وأعلنت قلاع لكسمبورغ ولاندو وميانسه بانها من أملاك الاتحاد وترتبت محافظتها من طرفه واقتضت أعمال الاتحاد ترتيب حكومة قانونية فى كل امارة وأن يكون لكافة المذاهب المسيحية حقوق مدنية وسياسية على وجه المساواة فكانت هذه الاعمال الاخيرة مجرد عدالة لان البرنسات الجرمانية كانوا وعدوا رعاياهم فى مبادى حرب الحرية بانهم ان أمكنهم الاجتماع لتحرير الوطن فانه يصير الغاء الحكم الاستبدادى

القديم

القديم ويعوض بحكومة قانونيه وجعلوا الامة اعتقدت أن سقوط نابليون لا يعود عليهم بتأمين
استقلالية بلادهم فقط بل يكون مبدأ عصر الحرية الذى يؤملونه من مدة طويلة فلما انكسرت شوكة
نابليون وحبس فى جزيرة القديسة هيلانة نسى البرنسات الجرمانية مواثيقهم واستمروا فى استبداد
أحكامهم وصارت أوستريا تحت نظارة البرنس (مطرنيخ) العدو الالد لكل حكومة قانونية فى جرمانيا
وترا آى أن فريدريق غيليوم الثالث صاحب پروسيا هو أول من مال للتسليم فيما وعد به مملكته الا أنه
اكتفى بترتيب مجالس فى أقاليم مملكته وخابت الامة الجرمانية فيما أملته وما أفادتها زمجرتها شيأ ونتج
أيضا من حرب الحرية مثل ما كانت عليه قبل الفترة الكبرى التى كانت فى سنة ١٢٥٦ بعد الميلاد
من الرغبة فى جعل جرمانيا فى اتحاد واحد وكان بعض الامارات مكتفيا بالاتحاد الحالى الذى تولد منه
قيام كل امارة فى حالة مستقلة وعرف كل انسان أنه لابد من ضياع الشوكة من كل الامارات القائمة
بنفسها وتسلطنت هذه الافكار فى كثير من المدرسين وطلبة العلوم الذين صاروا يهيجون الامة بسبب
ما هى عليه من الضعف وما كانت عليه من الشهرة وعلو الشوكة فى مدة القرون المتوسطة وكان
معظم الحكومات المختلفة للامارات على غير رغبة من حركة الامة فى اتحاد مثل هذا فعولت على أخذ
الاحتياطات اللازمة فى اخماد هذا الهياج ومن ثم التأم مجلس الوزراء فى كارلسباد وقبض على كثير
من الشبان وألقوا فى السجون وطرد الكثير من المدرسين الذين هيجوا الامة بخطاباتهم وحدد
المجلس حدودا معلومة للمدارس والمطابع تحت مباشرة الحكومة وصدق الاتحاد على أعمال المجلس
ولكن بدل أن يصير اخماد المطلب الجارى بخصوص الاتحاد زاد هذا المطلب فى القوة وصار الطلب
فيما يتعلق بحكومة حرة عاما فى كل الامارات وأخيرا انفجرت ثورات فى جهات مختلفة لتظهر عدم
صبرها على ما هى عليه من الحكم الاستبدادى حتى جاءت الساعة فى أيامنا هذه وظفرت الامة
الجرمانية بطلبها ونشأ من الثورة الفرنساوية التى حصلت فى سنة ١٨٣٠ بعد الميلاد تأثير خفيف
على الامن فى پروسيا وأوستريا الا أن الهياج كان شديدا فى الامارات الصغيرة الجرمانية وحصلت ثورة
فى (برونسويك) اجبر فيها الدوق المكروه عند رعيته على الهرب لينجو بنفسه وحرق الاهالى سرايته
وخلفه أخوه وأعاد النظام بحكومة قانونية على حسب رغبة الاهالى وكذلك صكسونية وحيس
كاسل وصاكس الطنبورغ وهانوفر التزمت بأن ترخص فى حكومة قانونية زائدة فى الحرية أو قليلة
حسب حالة بلادها ثم انفجرت ثورة فى مدينة فرنكفورت مؤلفة من طلبة العلوم وأرباب الجرانيل الا
أن عساكر الحكومة أخمدت هذه الثورة فتولد من ذلك الغاء بعض الاوامر الصعبة التى كانت جارية
فى حق المدارس والمطابع

وفى هذا الوقت كان ملك بافاريه لويز الاول وكان خلف أباه مكسميليان فى سنة ١٨٢٥ بعد الميلاد لويز الاول ملك بافاريه
ومن بعد جلوسه على تخت مملكته بقليل عقد معاهدة مع ورتمبرغ تختص بهيئة اتحادها بين المملكتين
فنتج من ذلك قيام الفكر فى اتحاد عمومى يختص ببلاد جرمانيا وفى سنة ١٨٢٨ بعد الميلاد حصل
الشروع فى هذا الاتحاد وبما أن پروسيا هى بالطبع أهل لان تكون مركزا لهذا الاتحاد دخل معها
حكومات الامارات الجرمانية فى عقد معاهدات معها لهذا الغرض فتولد من هذا الاتحاد نفوذ قوى
لپروسيا فى جرمانيا وحصل منه النفع فى التجارة

وفى ٢ مارث سنة ١٨٣٥ بعد الميلاد مات الامبراطور فرنسيس الاول صاحب أوستريا وخلفه ابنه

فرديننده صاحب أوستريا

فرديننند فكان عاجز الرأى غير أهل للملكة ثم ما وقع أدنى تغيير فى هيئة السياسة فى أوستريا وسارت على ما كانت عليه بمعرفة البرنس مطرنيخ الحاكم الحقيقى فى المملكة ولما مات غليوم الرابع صاحب انكلترة انتقلت مملكة هانوفر الى أخيه ارنست أوغسطوس وكان ملكا فظا غليظ الطبع فألغى الحكومة القانونية التى كان منحها أخوه فى سنة ١٨٣٣ ورتب بدلها قانونا قليل الحرية وآلت الحالة الى الاستبداد الاولى فقام طلبة مدرسة (غوطنغين) فى ثورة واحدة الا أن الملك الجديد أخمدها

فريدريق غيليوم الرابع

وفى ٧ يونيه سنة ١٨٤٠ مات فريدريق غيليوم الثالث صاحب بروسيا تاركا تخته لابنه فريدريق غيليوم الرابع فابتدأ هذا الملك الجديد فى سلطنته بصدور أمر عفو عام عن المذنبين وتولد من أقواله وسيره فى مبادى أمره اعتقاد رعيته فيه بأنهم وجدوا الملك القانونى الذى كانوا يرجون وجوده من مدة طويلة وجعل فريدريق غيليوم الرابع مدينة برلين قاعدة العلوم والمعارف وزخرفها وأصلحها واعتنى برفاهية أهل المملكة الا انه ما التفت لتقرير حكومة نظامية فعرض عليه قومه أن يمنحهم بها وذكروه مواعيد أبيه فكان أكبر ما فعله هو ترتيب مجلس اتحادى فى برلين التام فى ١١ ابريل سنة ١٨٤٧ بعد الميلاد فكان عبارة عن جمعية فقط من الامارات المختلفة وما كان فيه رائحة مجلس شورى أو مجلس على حسب مطلوب الامة وفى آخر الامر قطع أمل هذه الامة بقوله فى هذا المجلس انه لا يوجد أدنى شئ يلزمه بمنح نظام أو تغيير بأى طريقة كانت فى الارتباطات الطبيعية الموجودة بين ملك ورعاياه لان ملك بروسيا عنده الهامات الهية تهديه لنحو ما يقال له ملك

وفى فبراير سنة ١٨٤٨ انفجرت الثورة الفرنساوية الثالثة فى باريس وانتشرت بسرعة فى داخل جرمانيا وكان النفور فى هذا الوقت متسلطنا فقام الناس فى كافة الامارات الكبيرة لطلب تشكيل حكومات حرة مع الاتحاد الجرمانى وعزموا على أنه لا بد من الحصول على مطلوبهم كيفما وقع لهم فشرعت برنسات الامارات الصغيرة وغير الكثير منهم وزاراتهم بوزارات جديدة حرة وفى هذا الوقت تنازل لويز صاحب باڤاريه عن تاجه لابنه مكسميليان الثانى وأشرك دوق خيسن درمسطاد ابنه معه فى الحكومة وكانت الثورة أكثر اشتعالا فى أوستريا وبروسيا فقام فى مدينة فيانه ثورة جل أربابها من طلبة العلم وأرغموا الامبراطور فى ١٣ مارث سنة ١٨٤٨ على عزل البرنس مطرنيخ الذى هرب الى انكلترة وأن يرخص فى حرية المطابع وحكومة حرة وخفر أهلى فى كافة أقاليم المملكة

ثم ان الاهالى فى برلين قاموا فى ثورة بالسلاح وفى ١٣ مارث وقعت ملحمة شديدة بين الامة والعساكر فتردد الملك فى أمره طويلا فيما يلزم اجراؤه من أعمال مطالب الامة وفى ١٧ مارث وعد بترتيب حكومة قانونية ثم طلبت الاهالى منه اخراج العساكر من برلين وفى يوم ١٨ اجتمع الزحام أمام السراية لتنفيذ طلباتهم فأطلق رصاصتان من جهة غير معروفة فوقع القتال بين العساكر والاهالى واستمر مدة طويلة من الليل هلك فيها كثير من الانفس وفى اليوم الثانى سلم الملك فى الامر المطلوب وأعلن أنه جعل نفسه فى رأس هذه الحركة وأخرجت العساكر خارج برلين وترتب فيها الخفر الاهلى واستعفت الوزارة ومن بعد انتخاب المجلس الاتحادى صدرت الاوامر بانتخاب المجلس الملى

وأما فى نواحى بادن فان حزبا كبيرا فيها طلب تشكيل جمهورية وساعدته فرق حرة من الامارات السويسية غير أن رغبة الامة الجرمانية فى تقرير حكومة قانونية فقط من دون الغاء الحكومة الملوكية فهرب السويسيون خشية وقوع ضرر بهم وفى سنة ١٨٤٦ قام سبع امارات كاثوليكية تحت قيادة

الجزويت وكانوا يرغبون فى خراب المملكة ان لم يجدوا لهم طريقة يحكمونها بها وانفصلت هذه الامارات عن الاتحاد وقامت بالسلاح لحفظ موقعها فهزمتها القوى الاتحادية تحت قيادة (الجنرال دوفور) وجبرهم على ملازمة مواقعهم فى الاتحاد فتولد من هذا القيام أن هدمت الحكومة المتحدة كافة الدورة وطردت اليسوعيين وفى سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد وقعت تغييرات فى النظام السويسى حتى صار قريبا من نظام الممالك المتحدة وما وقع فى هذه الاراضى الحرة أدنى اختلال من ثوران فى هذه المدة المفزعة وفى غضون ذلك ابتدأت حركة كبيرة فى محل آخر وذلك أن الافكار كانت موجهة لاتمام وجود الاتحاد والحرية معا فى جرمانيا غير أنه من حيث ان بروسيا وأوستريا فى ارتبا كات شديدة ولا يمكن لاحداها فعل شئ فى هذا الامر اجتمع نحو من ٥٠٠ جرمانى من امارات مختلفة فى مدينة فرنكفورت فى ٢١ مارث ونظموا أنفسهم فى هيئة برلمان وقتى وقرر مجلس الاتحاد ما قرره هذا البرلمان على معلوميته أنه معين من طرف الامة ثم ان البرلمان عين مجلسا مليا أعضاؤه من أهالى الامارات المختلفة والتأم هذا المجلس فى مدينة فرنكفورت فى يوم ١٨ مايه سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد وانتخب الارشيدوق يوحنا صاحب أوستريا رأسا لحكومة وقتية مركزية وصار الاقرار عليه فى الحال من الحكومات المختلفة وفى ١٢ يوليه سلم رئيس المجلس الاتحادى رسميا الاشغال التى كانت فى عهدته المتعلقة بمجلس الاتحاد وصار الغاء هذا المجلس وشكل الارشيدوق نظارة مسؤلة متركبة من سبعة أعضاء من المجلس لكن هذه النظارة صرفت وقتها فى مناقضات لاثمرة فيها وحصل الريب من أنها ليست كفؤا للاشغال التى عهدت اليها

وفى أثناء ذلك وقع ارتباك بين جرمانيا ودانيمارقه وذلك أن ملك دانيمارقه بصفة أنه دوق حولصطين كان عضوا فى الاتحاد الجرمانى وكانت دوقية (سكلصويغ) جميعها داخلة فى أملاك دانيمارقه ولو أن معظم أهلها جرمانيون وكان معظم الاهالى الجرمانية الموجودين فى (سكلصويغ) وأهل حولصطين على دراية تامة من أنه فى المعاهدة التى عقدت فى سنة ١٤٦٠ بعد الميلاد لا يجوز فصل الدوقيتان من بعضهما وانه متى انقرضت سلسلة الذكور من العائلة الملوكية الدانيمارقية عادت هاتان الدوقيتان لجرمانيا وينفصل التحاقهما بدانيمارقه وأما ملك دانيمارقه فانه أعلن من جهة أخرى بان دوقية سكلصويغ والقسم الاعظم من حولصطين لابد من بقائهما على الدوام قسما من دانيمارقه فاستغاث الحزب الجرمانى الموجود فى الدوقيتين بمجلس الاتحاد لكن استمرت الحالة بدون قرار حتى مات كريستيان الثامن فى سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد فأعلن فريدريق السابع ابنه اعلانا قويا يدافع به عن حقوق المملكة الدانيمارقية وكان عدد الحزب الجرمانى آخذا فى الكثرة فقام فى ثورة فى وقت حركة الثورة العمومية التى هاجت فى جرمانيا وشكل حكومة وقتية فى الدوقيتين فأرسل ملك دانيمارقه عساكر لاخماد الثورة فدخل مجلس فرنكفورت فى أمر الدوقيتين وأرسل جيشا تحت رياسة القائد البروسيانى (ورنغيل) لمساعدتهم فطرد الدانيمارقيين من سكلصويغ وأحاط الاسطول الدانيمارقى بالمينات الجرمانية وحصرها وأوقع التلف فى التجارة ولما ظهر لمجلس فرنكفورت أن اجراء الحرب لا يعود منه نفع عقد هدنة لمدة سبعة شهور فى مدينة مالمو فى ٢٧ أغسطس وترتبت حكومة وقتية مؤلفة من عضوين بروسيانيين وعضوين دانيمارقيين نواب لكن حصل من هذا الترتيب الضرر على المجلس الملى وقام الهياج والثوران فى فرنكفورت فبتدا العساكر أرباب الثورة وقتل العوام اثنين من النواب

البروسيانية ومن هذا الوقت صار أرباب المجلس فى كراهة شديدة عند الامة وبدل أن يصرف أرباب المجلس أوقاتهم فى أعمال يعود منها منفعة على الامة صرفوها فى مشاحنات بينهم لاثمرة فيها
ثم انفتح المجلس الذى كان طلب عقده فى برلين فى تلك المدينة فى ٢٢ مايه سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد فقاوم حزب الجمهورية كافة مطاليب الحكومة وفى هذه الحالة ساعده الكثير من طوائف الامة واجتهد فى وقوع الفزع فى قلوب الاعضاء بالوعيد ان لم يجيبوا الطاعة فأوقف الملك فى ٩ نوفمبر التئام المجلس الى ٢٧ منه حتى صدر له أمر بالالتئام فى مدينة براندنبورغ حتى يتمكن من اجراء أشغاله فى راحة واطمئنان فأطاع الامر قسم اليمين والوسط وأما حزب الشمال فانه أقام الحجة واستمر فى جلساته فى برلين وأصدر لائحة من عنده بان الحكومة لا حق لها فى ضرب الضرائب وجعلها مادام المجلس غير موف بشروط وظائفه فى العاصمة وحصل أن المجلس لا يتمكن من اجراء شئ فى مدينة براندنبورغ كما كان فى برلين ومن بعد عدة جلسات قليلة انفض أمر هذا المجلس فطلب برلمان جديد يعقد فى فرنكفورت فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد للمداولة فى أمر لائحة قانونية كان الملك أمر بنشرها فى ٥ ديسمبر سنة ١٨٤٨ فانعقد البرلمان فى الوقت المعلوم فلما حصل بينه وبين الحكومة اتفاق فألغى فى ٢٧ ابريل وانتخب برلمان آخر تحت قانون الانتخاب والتأم فى ٧ أوغسطس ونجح فى أعماله بحالة توفق بين الحكومة والامة وفى ٦ فبراير سنة ١٨٥٠ بعد الميلاد أخذت العهود على الملك من أجل المداومة على القانون الجديد وهذه الطريقة الجديدة وان لم تكن على رغبة الامة الا أنها كانت فائدة جليلة لها ومن هذا الوقت أمكن أن يقال انه يوجد حكومة قانونية فى بروسيا
ثم اجتهد أخيرا مجلس فرنكفورت فى مناقضة القانون وكانت الحكومات الجرمانية فى هذا الوقت تممت ما كان عندها من المصاعب وصاروا لا يقبلون أدنى خسارة فى القوة من أجل الصالح العمومى ثم حصل السعى فى اخراج أوستريا من الاتحاد فخابت آمال هذا السعى بما أن الرغبة الاصلية أن أوستريا تكون قسما من جرمانيا وطلبت هذه المملكة أن تكون تحت طاعة الاتحاد ثم حصل السعى أيضا فى أن تكون هيئة المجلس هيئة حكومة فتقرر فى ٢٧ مارث سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد بغالب آراء المجلس أنه يلزم احياء المملكة الجرمانية ولو اسما ويلقب رئيس المجلس الاتحادى بلقب امبراطور الجرمانيين وأن يكون هذا اللقب وراثيا فى عائلته وفى ٢٨ منه عزم أرباب المجلس على عرض هذا السمو الامبراطورى لملك بروسيا فعرضوه عليه فى ٣ ابريل فما قبل فريدريق غيليوم هذا اللقب وقال انه لا يمكنه قبوله من دون رضا البرنسات الجرمانية وان القانون لا يرخص للامبراطور نفوذا كافيا يمكنه به وفاء واجبات هذا الموقع الجليل فتولد من هذا الجواب قطع الامل فى الاتحاد الجرمانى فى عموم جرمانيا وقبل القليل من الامارات القانون وسحبت أوستريا وبروسيا وهانوفر والامارات الكبيرة نوابها من المجلس وفى ٣٠ مايه استعفى غالب أعضائه الباقين ومابقى منه صار نقله الى مدينة (ستوغارد) وفى ١٨ يونيه طردتهم حكومة ورطمبرغ
ثم ان مجلس صكصونيه طلب من الحكومة قبولها قانون فرنكفورت فمن ثم ألغت الحكومة المجلس فتولد من ذلك حرب بين أهل ترسدنه والعساكر حتى ان الملك انجبر على الهرب الى قلعة (كونيغسطين) واستغاثت الحكومة ببروسيا فى مساعدتها فدخلت العساكر البروسيانية فى صكصونيه وأخمدت الثورة ووقعت ثورة مهولة فى باقاريه الرينية وبادن ولكن أخمدت أيضا بواسطة البروسيانيين وكانت

المملكة

المملكة الاوستريانية مشحونة أيضا بالقلاقل الكبيرة فالتأم مجلس المملكة فى ٢٢ يوليه سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد فى فيانه الا أن أعضاءه كانوا يتكلمون بلغات مختلفة وما كانوا يفهمون كلام بعضهم الا فى النادر ونظرا لانقسامهم الناشئ من الحسد الملى ما أثمروا شيأ وقام الهنكاريون تحت قيادة لويس كوصوط وخلافه وطلبوا الاستقلال الكامل الا أن أوستريا رفضت هذا الطلب فمن ثم قامت القلاقل والارتباكات فى بست وقتل النائب الامبراطورى فى تلك الجهة فغضب الامبراطور من هذه الفعلة وأمر بأخذ الاهبة للسفر من أجل قصاص الهنكاريين فى ٦ أقطوبر مع قسم من محافظى فيانه انما الكثير من العساكر اتفقوا مع الاهالى وانهزمت العساكر المطيعة بعد قتال شديد كانت نتيجته قتل وزير الحربية وفرار الامبراطور الى أولمتز وبقيت فيانه فى حوزة الثائرين ثم جاءت الجيوش من كل فج لمساعدة الامبراطور وأحاطوا بالمدينة فى ٢١ أقطوبر ومن بعد سفك دماء كثيرة تغلب العساكر الامبراطورية على المدينة فى ٣٠ أقطوبر وجردوا الاهالى من سلاحهم وحبسوا الثائرين وقواد الثورة الذين ما نجوا بحياتهم بطريق الفرار وفى أول ديسمبر سنة ١٨٤٨ بعد الميلاد تنازل الامبراطور فرديننند بسبب مرضه عن تخته لابن أخيه فرنسيس يوسف وكان عمره فى هذا الوقت ثمان عشرة سنة

سلطنة الامبراطور فرنسيس يوسف صاحب أوستريا

فشرعت حكومة هذا الامبراطور الجديد فى أعمالها بشدة وفى افتتاح سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد أخضعت كافة الاقاليم الجرمانية الاوستريانية لطاعتها وأخمدت القلاقل فى ايطاليا فى فصل ربيع سنة ١٨٤٩ بعد الميلاد ثم ازدادت مصاعب الثورة فى هنكاريا حتى خشى منها وقوع ضرر كبير فأرسل جيش أوسترياني تحت قيادة البرنس (وندبخراطز) فى هنكاريا من أجل اخماد ثورة الثائرين فانهزم هذا الجيش فى عدة وقعات شديدة وطرد على أعقابه نحو الحدود من بعد تلفيات جسيمة فيه وتغلب الثائرون على مدينة (بودبست) عاصمتهم القديمة ودخل الكثير من الجرمانيين والبولنديين فى هنكاريا وانضموا مع الوطنيين وبلغ عدد الجيش الهنكارى ٢٠٠٠٠٠ نفس فى مدة قليلة وكان القائد العمومى لهذا الجيش رئيس اسمه جورجى وطنى من هنكاريا على غاية من المهارة وساعده القائدان البولنديان (بن) و (دمبنسكى) ولما صار طرد الاوستريانيين التأم مجلس هنكاريا فى مدينة (دبريكظين) وأعلن باستقلالية هنكاريا من أوستريا وشكل كوصوط حكومة وقتية تحت رياسته

ولما صارت أوستريا على غير طاقة من اخضاعها هنكاريا طلبت روسيا لمساعدتها وكان الامبراطور نيقولا محشدا عساكره من مدة على الحدود الاوستريانية فزعا من التهاب الثورة فى ممالكه فمن ثم كان مستعدا للنداء طلب الامبراطور فرنسيس يوسف فزحف الجيش الروسى فى آخر شهر مايو سنة ١٨٤٩ على هنكاريا وتقوى الجيش الاوسترياني وعهد زمام قيادته للقط هاينو وكان المذكور سيئا فى المدة الاخيرة فى وقوع ثورة فى لومباردى فدخل هذا الجيش أيضا فى هنكاريا من الجهة الشرقية وفى هذا الوقت أغار على تلك المملكة المنحوسة قوة كبيرة من (الكرواط) تحت قيادة قريبهم (جلاخيخ) من الجهة الجنوبية فمع أن أنواع هذا الهجوم كانت كثيرة الوفرة فان أهل هنكاريا حاربوا مع البسالة حتى انهزموا فى واقعة طمسوار الكبيرة وتغلب الاوستريانيون على (بودبست) وكان مجلس الهنكاريين هرب الى (سيظيغدين) فهرب منها أيضا فجمع كوصوط مجلسا فى مدينة (عرض) فى ١١ أوغسطس وتقلد جورجى زمام حماية المملكة بسلطة مطلقة وفى ١٣ أوغسطس أى من بعد مضى يومين

فقط تمم جورجى غلاق الحرب بكونه سلم نفسه مع كامل جيشه الى القائد الروسى (روديغير) ففزعت الامة من هذه الفعلة ورأى أهل البلاد أن جورجى من الخائنين بلا ريب بسبب هذه الفعلة وهرب زعماء الثورة الى تركية ومنها سافروا الى انكلتره وأمريقه وسلمت القلاع التى كانت محفورة بالعساكر الوطنية للاوستريانيين وتحمل الهنكاريون مصاعب كبيرة فى مدة الحرب غير أنهم عدوها أنها ليست شيأ فى مقابلة خيبة آمالهم فى حرية أنفسهم التى كانوا يرجون وفاءها

وفى أثناء اشتغال أوستريا بحروبها مع هنكاريا كانت بروسيا باذلة جهدها فى ضم جرمانيا تحت قيادتها من دون دخول أوستريا فيها ولهذا عقدت محالفة فى ٢٦ مايوسنة ١٨٤٩ بعد الميلاد بين بروسيا وهانوفر وصكصونية وانضم اليها بعض الايالات الصغيرة فى جرمانيا الشمالية وبما أن هذه المعاهدة مادخل فيها كافة جرمانيا أطلق عليها اسم الاتحاد الجرمانى والتأم برلمان هذا الاتحاد فى شهر ابريل سنة ١٨٥٠ بعد الميلاد فى مدينة ارفورت فما صدقت هانوفر وصكصونية على هذا المجلس وماقبلا ارسال نوابهما اليه ثم تركت هانوفر الاتحاد وفى حالة انعقاد هذا البرلمان فتح مجلس من برنسات الاتحاد فى يوم ١٠ مايه فى برلين وكانت أوستريا فى هذا الوقت أطاعت اخضاع هنكاريا وفرغت من سيادتها فى جرمانيا فاشتغلت باحياء الاتحاد الجرمانى وانضم اليها بافاريه وورتمبرغ وطلبت من الامارات الجرمانية ارسال نواب لهذا الغرض الى فرنكفورت فأجاب هذا الطلب صكصونيه وهانوفر وامارتا حيس وكثير من الامارات الصغيرة وفى نفس اليوم الذى انعقد فيه مجلس البرنسات الذين قبلوا قيادة بروسيا فى برلين كان افتتاح مجلس نواب أوستريا والامارات التى دخلت معها فى فرنكفورت

فتولد من هذا قسمة جرمانيا الى حزبين خصمين وآلت الحالة لوقوع حرب داخلى تولد من سعى منتخب حيس كاسل فى جمع ضرائب بدون موافقة مجلس امارته وتولد من ذلك هياج عظيم التزم فيه المنتخب على أن يترك كاسل وطلب من مجلس فرنكفورت المساعدة فدخلت قوة من العساكر الاوستريانية والبافاريانية أرضه لتقوية نفوذه فاستعدت بروسيا لهذه المادة وضبط الجيش البروسيانى كلا من مدينتى كاسل وفولده فطلبت أوستريا سحب هذه العساكر فرفضت بروسيا طلبها فمن هنا استعد الحزبان للحرب وظهرت المسئلة أنه لو رغبت أوستريا أو بروسيا أن تحل أول محل شامخ فى جرمانيا لم يوجد فاصل لهذه المسئلة سوى السيف فوقع السعى فى عدم هياج حرب داخلى واتفقت بروسيا وأوستريا على التئام مجلس حربى تألف من البرنسات الجرمانية وبمعرفته يرتب النظام فى جرمانيا وتتفق أوستريا وبروسيا فى فصل مسئلتى (حيس كاسل) و (سكلصويغ حولصطين) الواقع فيهما النزاع من مدة طويلة فكانت نتيجة المجلس الجرمانى الذى انعقد فى تريستة مؤلفا من البرنسات الجرمانية لاشئ ثم ان بروسيا من أجل الصلح قررت مجلس فرنكفورت وسارعلى منوالها الامارات الاخرى ومن ١٢ يونيه سنة ١٨٥١ بعد الميلاد استمر المجلس فى أعماله كما كان عليه فى سنة ١٨٤٨ وأما من جهة طلبات بروسيا وأوستريا السيادة فى جرمانيا فكان ينتظر الفصل فيها

وفى غضون هذه المدة تم ميعاد هدنة مالمو وهاج الحرب مع دانيمارقه فما كان الجرمانيون على نجاح مثل الذى كانوا عليه فى مبادى أمرهم وكانت دانيمارقه متساعدة بالدول الكبيرة ثم حصل صلح فى سنة ١٨٥١ وأعيدت حكومة سكلصويغ وحولصطين لملك دانيمارقه وفى سنة ١٨٥٢ بعد الميلاد وقع

حرر خصو

حرضوا الدول العظيمة على لائحة عقد مجلسها فى لوندره كافلة للدانيمارقة باستحواذه على الدوقيتين وورائتهما مع المملكة الدانيمارقية راجعة الى ذرية (جلوكسبورغ) الاأن امارات الدوقيتين والمجلس ماقبلوا لائحة المجلس المنعقد فى لوندره فمن ثم استمرت مسئلة الدوقيتين بغير فصل فيها

ثم ان السنين الثمانية أو العشرة التى جاءت عقب الثورة فى جرمانيا كانت بجميعها سنى أمن وفلاح وأينعت فيها التجارة وازدادت معامل الصناعة وتقدمت طرق تعليم المعارف خصوصا فى الممالك الجرمانية الشمالية وفى ٨ اغطوبر سنة ١٨٥٨ التزم فريدريق غيليوم الرابع صاحب بروسيا على التنازل عن حكومة مملكته لاخيه فريدريق غيليوم لويز بسبب خيبة آماله فى أغراضه فباشرها بضع سنين كنائب عن أخيه وفى سنة ١٨٥٩ بعد الميلاد وقع حرب بين أوستريا وسردينية من جهة وبين أوستريا وفرانسا من جهة أخرى واجتهدت أوستريا فى الاتحاد فى الحرب فرغب الكثير من الامارات الصغيرة معاضدتها الاأن بروسيا وان كانت أعدت فرقا من جيشها الاأنها أعلنت بان لاحق للاتحاد فى الدخول فى حرب ليس جاريا فى مصالح جرمانيا فخسرت أوستريا فى هذا الحرب لومباردى ثم تولد من اتحاد ايطاليا تحت قيادة فيكتور عمانويل شعور جديد فى عقول كثير من الجرمانيين فيما يتعلق بمسئلة "الاتحاد الجرمانى" فالذين رغبوا فى انضمام الامارات المختلفة فى جامعة واحدة انقسموا الى حزبين وأمل الاتحاد الاهلى أن بروسيا يلزم أن تجعل نفسها فى رأس الوطن وانه يجب اخراج أوستريا رأسا من جرمانيا وأصر الحزب الجرمانى الكبير على أنه لايمكن استيفاء شروط النظام فى هذا الاتحاد ان لم تدخل فيه أوستريا ومايتبعها من الدوقيات

ومات فريدريق غيليوم الرابع صاحب بروسيا فى ٢١ ينايرسنة ١٨٦١ بعد الميلاد وصار أخوه البرنس والنائب عنه ملكا فى محله باسم غيليوم الاول وتتوج مع الاحتفال العظيم فى مدينة (كونغسبرغ) فى ١٨ اكتوبر سنة ١٨٦١ بعد الميلاد وابتدأ فى سلطنته بتنظيم الجيش البروسى على قواعد أساسية يصير بها فى حالة لايقهر فعارض مجلس النواب بشدة مشروع الحكومة بحيث يوقع المملكة فى ديون فاحشة ومع ماوقع من المجلس فان الملك أصر على أشغاله وفى ٨ اكتوبر سنة ١٨٦٢ بعد الميلاد عين الملك (أوطودو بسمارك سخونهوسن) وزيرا أول للمملكة وناظر أعمالها الخارجية فماوقع له انتخاب أجل من هذا وكان بيسمارك فى مبادى أمره عضوا فى المجلس البروسى الاتحادى ثم صار نائبا عن بروسيا فى مجلس فرنكفورت وكان على دراية من سياسة أوستريا وحافظ على ثبات حقوق مملكته بين الحقوق الجرمانية فلما استلم بيسمارك زمام الوزارة كان مستبدا فى أعماله ومخالفا للرأى العمومى فبمساعدة بيسمارك نفذ الملك مشروعه فى اصلاح جيشه مع ماكان عليه من معارضة المجلس ورتب نظامات قوية وقال بيسمارك جهرة فى المجلس البروسيانى ان مسئلة السيادة فى جرمانيا لايمكن فصلها بين بروسيا وأوستريا الابالدم والحديد فمن ثم كانت العلاقات بين المملكتين فى غاية التعكير وفى أوغسطس سنة ١٨٦٣ بعد الميلاد طلب الامبراطور فرنسيس يوسف عقد مجلس من البرنسات الجرمانية فى فرنكفورت من خصوص سن قوانين جرمانية جديدة فرفضت بروسيا عمل أدنى شئ فى هذا المجلس فخاب مشروع أوستريا فى ذلك وعرضت بروسيا أن مجلس النواب يلزم أن يكون متحدا فى أشغاله مع مجلس الاتحاد فاصغت أوستريا لاقوالها وما تولد أدنى فائدة من وقوع الغيرة بين المملكتين العدوتين لبعضهما تعود على جرمانيا بالنفع وفى ٣٠ مارث

سنة ١٨٦٣ أصدر فريدريق السابع صاحب دانيمارقه ديكرتو يتضمن فصل دوقيتي حولصطين ولوئنبرغ من دوقية سكلصويغ وأن يكون سكلصويغ خاصة لاملاك دانيمارقة فكان هذا الدكرتو مخالفا للقانون الاساسي للدوقيتين المعمول في سنة ١٤٦٠ بعد الميلاد فتولد منه هياج زائد في جرمانيا فعزم المجلس الاتحادي على عمل فاصل مع ملك دانيمارقه ومن قبل تنفيذ هذا العمل مات ملك دانيمارقه في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٣ بعد الميلاد فسار خليفته كريستيان التاسع على منواله وصادق على الدكرتو المذكور الا أنه بموت فريدريق انقرضت سلسلة المذكور العائلة الملوكية الدانيمارقية وصارت جرمانيا عالمة بان كريستيان التاسع ليس له أدنى حق في الدوقيات التي يلزم أن تكون الآن امارات جرمانية محضة وحيث لا يمكن فصل هاتين الدوقيتين يلزم نقل الثلاث دوقيات الى أقرب وارث لها الذي كان دوق (أوغوسطنبورغ) وكان هذا تنازل في سنة ١٨٥٢ بعد الميلاد عن حقه للدوقيتين فأقام فريدريق ابنه في سنة ١٨٥٩ الحجة على هذا التنازل ولما كان فريدريق المذكور هو الدوق الموجود الآن من بعد أبيه قام مطالبا بدعواه في الدوقيات وقام بعض برنسات آخرون مطالبون بدوقية لوينبرغ

ومن حيث ان المجلس الاتحادي ما قبل الترتيب الذي عمل في لونده في سنة ١٨٥٢ المتعلق بتلك الدوقيات فصار مطلق الحرية يفعل فيها ما يشاء وأعلن بخلو الدوقيات وعزم على أن يحتل الدوقيات بعساكر الاتحاد حتى يتم فصل في مسئلة الوارث لها ومن أجل هذا دخل في حولصطين جيش مؤلف من العساكر الصكصونية والهانوفريانية وكان من رأي بيسمارك عدم فصل المسئلة بهذه المثابة بل كانت بغيته توطيد الدوقيات لبروسيا ليس لتوسيع أراضيها فقط بل لاستحواذها على مينة كيل العظيمة الموجودة في حولصطين بما أن الضرورة محوجة لان يكون لبروسيا مينة بحرية من مينات الدرجة الاولى فبمكره السياسي أغوى أوستريا على اتحادها مع بروسيا في احتلالهما الدوقيتين بحالة مستقلة عن رأي مجلس الاتحاد فرفض كل من مجلسي أوستريا وبروسيا باغلبية الآراء مطاليب حكومتيهما فيما يختص بهذا الحرب الذي أعلنتا به بما أن ذلك من خصائص مجلس الاتحاد الجرماني ومع ما وقع من المجلسين فان الحكومتين أصرتا على عزمهما ثم ان القوى المتحدة تحت قيادة الجنرال رانغيل البروسياني عدت نهر الايدر في غرة فبراير سنة ١٨٦٤ بعد الميلاد وهجمت على تحصينات دانيورك وفي ٦ فبراير تقهقر الجيش الدانيمارقي لخوخطوط دوبيل المستحكمة فاحاط البروسيانيون بسرعة وهجموا على هذه المتاريس وتغلبوا عليها في ١٨ ابريل بعد حصار ثلاثة أسابيع وكذا حاصر الاوستريانيون قلعة (فريدريسية) فانجلى عنها الدانيمارقيون على حين غفلة وصرف النظر عن المتاركة التي حصلت من سعي الدول الكبيرة في عقد الصلح واستمر الحرب الى شهر اكتوبر سنة ١٨٦٤ بعد الميلاد وحاصر الدانيمارقيون المينات البروسيانية باسطولهم وانتصروا على أسطول المخالفين في (هيليغولنده) الا أن جيشهم كان انهزم شر هزيمة وما طرد هذا الجيش من الدوقيات فقط بل ومن (شتلنده) أيضا فلما تضعضعت حالة دانيمارقه طلبت عقد صلح وحصل التوقيع على معاهدة في ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٦٤ بعد الميلاد تنازل فيها ملك دانيمارقه عن حقوقه في دوقيات سكلصويغ وحولصطين ولوينبرغ لامبراطور أوستريا وملك بروسيا ثم اتضح أن العلة التي احتجت بها الدولتان المنصورتان في المدافعة عن حقوق دوق أوغوسطنبورغ كانت مقاصد خفية من أجل استحواذهما

لنفسهما

لنفسهما على الدوقيات فقط واستمرت عساكرهما محتلة فى هذه الدوقيات مدة طويلة الا أن أوستريا ما كان لها مآرب فى توسيع أراضيها فى هذه الجهة بل عزمت على أن لا يكون لبروسيا أدنى فائدة فى الدوقيتين فمن ثم شرع الدولتان المذكورتان فى كيفية موقع تلك الدوقيات وترآى انه يتولد من هذه المنازعة هياج حرب بينهما فخادتا عن أخطاره مؤقتا باتفاق عمل غاسطين عبارة عن مخابرة أجراها الكونت بيسمارك مع السفير الاوستريانى الكونت بلوم واشترت بروسيا حقوق امبراطور أوستريا فى دوقية لونبرغ وحصل الاتفاق على جعل سكلسويغ تحت يد بروسيا ودوقية حولصطين تحت يد أوستريا الى أن يتم فصل مسئلة الوراثة وأخذت بروسيا مينة كيل على أنها تكون حرة لاسطول أوستريا وما كانت بروسيا لهذا الوقت مستعدة لحرب فرضيت بهذا الترتيب فما أسرع أن تجدد النزاع وذلك أن الجنرال فون منتوفيل الحاكم البروسيانى فى سكلسويغ منع وقوع أى هيجان فى تلك الدوقية بشأن البرنس أوغسطنبورغ وأما أوستريا فانها رخصت من جهة أخرى لاصدقاء البرنس فى القيام بأمره فى داخل دوقية حولصطين قاصدة بذلك عدم استمواذ أوستريا على الدوقيتين وفى ٢٦ ينايرسنة ١٨٦٦ بعد الميلاد أقامت بروسيا حجة رسمية على الحكومة الاوستريانية ضد سياستها فى دوقية حولصطين فكان الجواب أنه لا بد من بقاء سياسة أوستريا فكان هذا دلالة بالطبع على شرف الوقوع فى الحرب ثم ان بروسيا شرعت فى اصلاح قلاع صكصونيه وقلاع الاقاليم السيليسيانية البروسيانية من أجل المدافعة وشرعت أوستريا فى جمع قواها فى بوهيمة وأعدّ الامارات الصغيرة الجرمانية عساكرها على قدم الحرب وفى مارث سنة ١٨٦٦ تقوت بروسيا بتداخلها فى معاهدة مع ايطاليا التى اتفقت على الهجوم على أوستريا من جهة فينيسيه فى وقت اعلان الحرب مباشرة بين أوستريا وبروسيا واتفقت بروسيا على أن لا تعقد الصلح حتى تخلص فينيسيه من حكم أوستريا واجتهدت أوستريا فى تقوية نفسها بتهييجها الاتحاد الجرمانى على بروسيا واجتهدت الدول الموجودة على الحيادة بالنظر لما يقع من مصاعب الحرب فى تشكيل مجلس تفصل فيه المسائل المضرة بالسلم الاوروباوى فخاب هذا السعى وأعقبه الحرب ❊ ولنذكر هنا أن أعمال الدوقيات كانت علة فقط فى وقوع الحرب غير أن السبب الحقيقى فى وقوعه كان التنازع الذى ذكرناه من عهد فريدريق الاكبر بين أوستريا وبروسيا فيما يختص بالسيادة فى جرمانيا وفى ٧ يونيه سنة ١٨٦٦ احتلت بروسيا حولصطين بعساكرها وأكرهت أوستريا على الانسحاب منها فغضبت أوستريا من هذا الفعل وحضت الامة الجرمانية على أنه من خصائص الاتحاد أن يقاوم بجهده دولة تكون سببا فى فسخ القاعدة الاساسية اللازمة لثبات نظام الاتحاد فعضد الكثير من الامارات الصغيرة أمر أوستريا وفى ١٤ يونيه صدر أمر المجلس باستعداد جيش الاتحاد ما عدا العساكر البروسيانية فأعلن المرخص البروسى فى المجلس بأمر حكومته أن بروسيا لا تعترف من الآن فصاعدا بهذا المجلس ولا بقرار هاعلمه وسحبت بروسيا فى الحال نائبها من المجلس

وعرف الحرب الذى هاج فى هذا الوقت بحرب السبع أسابيع وترآى لارباب العقول الذكية أن الغلبة لا بدّ وأن تكون لبروسيا وكذا الذين مارسوا أحوال جرمانيا وعرفوا حقيقة أعمالها ما وقع عندهم أدنى شك فى ذلك ووطدت الحكومة البروسيانية مساعيها بتنظيم جيشها ولو كان على غير رأى نظام المملكة حتى صار أعظم جيش فى تأثير شدة حركاته العسكرية فى أوروبا وكانت عساكره مسلحة

بالبنادق ذات الابرة وهى أجود سلاح فى البنادق المشخشنة وكان رئيس رجال الحرب البروسيانية الجنرال مولطق أول عسكرى فى الدنيا القديمة وصار ترتيب الخدامات الداخلية فى كل جهة تحت استعدادات الطلبات العسكرية وعهدت الادارة الداخلية والخارجية فى المملكة لصاحب العقل بيسمارك فأعلن هذا الرجل السياسى بان هذا الحرب خاص بجرمانيا وأعلن امبراطور الفرنساوية بانه لا مدخل له فى هذه المسئلة وبذلت انكلترة ما فى وسعها فى الصلح واغماد السيف وكانت روسيا مديونة لبروسيا فى مساعدتها فى اخماد الفتنة التى كانت وقعت أخيرا فى بولنده وأما أوستريا فانها ارتبكت فى أمرها عما نبث فى قلبها من خرافاتها القديمة وكان جيشها أقل بكثير من جيش بروسيا فى العدد والنظام والسلاح وليس لها رجل عظيم سياسى يدبر أعمالها ورأت نفسها أنها عاشت زمنا طويلا وهى فى درجة السيادة الا أنها ما تحصلت على شئ من درجة التمدن لانها محت أسباب الحصول عليه فى بلادها

ثم ان امارات جرمانيا الشمالية وهى صكصونيه وهانوفر وحيس كاسل وناصو توجهوا نحو أوستريا التى كانت متساعدة بالقسم الاعظم من جرمانيا الجنوبية ثم ان الجيش البروسيانى أغار على هانوفر وصكصونيه وحيس وهزمت العساكر الهانوفريانية فرقة من عساكر بروسيا فى (لنغنسالطه) فى ٢٧ يونيه الا أنه ما نتج شئ من نصرتهم هذه حيث أحاط بهم البروسيانيون وفى ٢٩ يونيه انجبر الملك جورج على أن يسلم نفسه وجيشه للبروسيانيين وأرغم على تسليم تاجه أيضا وما رخصت له بروسيا فى الاقامة فى داخل الاراضى الهانوفريانية فكان تغلب بروسيا على هانوفر من أجل الفوائد لها لانها صارت مستحوذة على الاراضى الواقعة بين أقاليمها الشرقية والغربية وكان لها رغبة من مدة طويلة فى الاستحواذ على هذه الاراضى ولما تغلبت عليها أضافتها الى أملاكها

وكان الجيش الشمالى لاوستريا (وأطلق عليه هذا الاسم لامتيازه عن الجيش المجرى الحرب فى ايطاليا) محتلا فى المملكة من ابتداء سيليصيا الشرقية الاوستريانية متجها نحو الغرب الى ضواحى براغة وتحت قيادة الفيلد مارشال بنديك وتعداده بما فيه الجيش الصكصونى ٢٨٠٠٠٠ نفس وكانت القوى البروسيانية مقسومة الى ثلاثة جيوش فأما الجيش الاول فكان مؤلفا من ١٠٠٠٠٠ نفس تحت قيادة البرنس فريدريق شارلس ومعسكرا فى سيليصيا الجنوبية والجيش الثانى مؤلف من ١١٦٠٠٠ نفس تحت قيادة البرنس ولى العهد ومعسكرا فى سيليصيا العليا والجيش الثالث مؤلف من ٤٠٠٠٠ نفس مشكلا الجناح الايمن للجيش الاول تحت قيادة (الجنرال بيطنفلد) ومستحوذا على صكصونيه ولما احتلت بروسيا صكصونية صدر الامر للثلاثة جيوش بعبور حدود بوهيمية والاجتماع بالقرب من غيطسكين فأجريت هذه الحركة فى أيام قليلة ونال البرنس فريدريق شارلس نصرة عظيمة فى نواحى غيطسكين وهزم الجناح الايسر لجيش البرنس ولى العهد تحت قيادة (الجنرال صطينمطز) الاوستريانيين فى نواحى نخود وسكاليطز

وفى ٢ يوليه وصل الملك غيليوم لجيشه وتقلد زمام القيادة العظمى وفى اليوم الثانى كانت واقعة كونيغراطز الكبيرة وكان بنديك محتلا موقعا عظيما محفوظا من مواجهته بنهر الالبى ونهر بيسطريطز ومن جهة اليمين بقلعة جوسفسطاد ومن جهة اليسار بقلعة كونيغراطز ومركزه كانت على مرتفعات مطلة على قرية صدوه ثم ابتدأت الواقعة فى الساعة ٧ صباحا وكان البرنس فريدريق

شارلس

شارلس مؤملا المساعدة من البرنس ولى العهد الا أن جيش ولى العهد كان معسكرا على مسافة بعيدة فتعطل فى أثناء سيره من كثرة الوحل الذى تسبب من سقوط الامطار فى الليل وأخذت الواقعة حدها فى الشدة وصارت عيون البرنس شارلس فريدريق متطلعة نحو حضور البرنس ولى العهد وأخيرا شوهدت عساكره على بعد وبعد الظهر دخلت عساكره فى حرارة الواقعة فمن ثم ما صار عند الاوستريانيين طاقة على مقاومة عدو وردت اليه الامدادات وكسر البرنس ولى العهد جناحهم الايمن وكسر الجنرال بطنفلد الجناح الايسر وتقهقر القلب أمام البرنس فريدريق شارلس وكانت رجعة الاوستريانيين فى الاول على وجه الانتظام ولما عقبهم البروسيانيون مع الشدة وقع الفشل فى حذائهم وكل من العساكر رأى طريق سلامته وهرب فيها على قدر امكانه وفى هذه الواقعة الكبيرة خسرت بروسيا نحوا من ١٠٠٠٠ نفس وكانت خسارة الاوستريانيين نحوا من ٢٠٠٠٠ نفس خلاف ١٨٠٠٠ نفس أسيرا

ومن بعد واقعة كونيغراطز حصل النصر للجيوش البروسيانية أينما توجهوا وفى ١٥ يوليه انتصرت العساكر البروسيانية نصرة أخرى فى نواحى (طوبيطسخو) الى جنوب أولموطز وهرب الجيش الاوسترياني الى هنكاريا فتبعه البرنس فريدريق شارلس والجيش الثانى والثالث زحفوا الى فيانه وكانت مظفرات بروسيا أيضا فى جرمانيا الوسطى ناجحة وسار (الجنرال فلكنسطين) من اسناخ فى أول يوليه نحو نهر المين وطرد عساكر الاتحاد ودخل فرنكفورت فى ١٦ منه منصورا وكان مجلس الاتحاد ترك المدينة فى ١٤ منه وتوجه الى أوغسبورغ ثم تعين فلكنسطين حاكم بوهيميه وسار خليفته الجنرال منطوفيل مباشرا الحرب للتغلب على الاقاليم الرينية وهزم منطوفيل القوى المتحدة فى (أصحافنبورغ) وكان الاوستريانيون أدخلوا عساكر كثيرة من الفنيتيين فى جيوشهم فى هذه الجهة مؤملين أنهم يحاربون هنا أحسن ما كانوا عليه فى ايطاليا فرفض العساكر الفنيتية محاربة حلفاء ايطاليا وألقوا سلاحهم فتولد من هذا احتلال فلكنسطين فرانكفورت

وكانت واقعة كونيغراطز الفاصلة للحرب فلما رأت أوستريا أن لا طاقة لها على مداومة الحرب فتحت مخابرة الصلح وفى ٢٦ يوليه صار التوقيع على شروط مبادى الصلح بين المتحاربين وعدة من الامارات الصغيرة وفى ٢٣ أغسطس صار التوقيع على معاهدة براغة وفى هذه المعاهدة خرجت أوستريا الى الابد من جرمانيا وتكفلت بدفع غرامة حربية لبروسيا مقدارها ٤٠٠٠٠٠٠٠ طالير (الطالير الواحد عبارة عن ٣ شلنج من الجنيه الانكليزى) وتنازلت أوستريا فى نظير قيمة نصف هذا المبلغ عن كامل حقوقها فى دوقيتى سكلصويغ وحولصطين لبروسيا وعقد صلح بين بروسيا وبافاريه وبادن وورتمبرغ فى آخر أوغسطس ومع حيس درمسطاد فى سبتمبر ومع صكصونيه فى أقطوبر وأرغمت بافاريه على كونها تتنازل عن قسم من أرضها لبروسيا وتنازلت حيس درمسطاد عن امارة حيس هامبورغ وحق محافظتها القلعة ميانسة وعقدت معاهدات سرية بين بروسيا وهذه الامارات ما عدا بافاريه اتفقوا فيها أن يجعلوا عساكرهم تحت قيادة ملك بروسيا فى وقت الحرب وكانت بروسيا من قبل معاهدة براغة أضافت الى ممالكها بحق التغلب هانوفر وحيس كاسل وناصو وفرنكفورت وتولد من المظفرات الكبيرة التى حصلت لاوستريا فى هذا الحرب انشراح صدور أرباب مجلس بروسيا وعفوا عن الحكومة فى خرقها قوانين المجلس لما رأوا ما وقع من السياسة الكبيرة التى أجرتها الحكومة فى أشغالها

وعاد الملك غليوم الى برلين فى ٤ أغسطس فقابله طوائف الامة البروسيانية مع الحسية والابتهال وربطت علاقات التوافق الدائمى بين الملك وأرباب المجلس الشورى ومن بعدها ما حصل فى هذه العلاقات شئ يشوبها وقد ذكرنا وقائع الحرب الذى حصل فى ايطاليا فى تاريخها فلا حاجة للتكرار ومن بعد عود الصلح كف امبراطور أوستريا عن التداخل فى أعمال جرمانيا وواظب على اصلاح ممالكه الوراثية وكانت المملكة الاوستريانية من وقوع الصلح فى حالة يؤسف عليها وصارت جيوشها فى أقبح حالة من المصائب التى حلت بها وخربت مالياتها وغضبت الامم وأهل المملكة الموجودون فيها من حرمانهم من التمتع بالحضارة والحرية الديانية وصاروا مستعدين للقيام مرة ثانية فى ثورة جامعة على الحكومة الامبراطورية التى اضمحل حالها فطلب الامبراطور فى هذه الحالة المحزنة لمساعدته (البارون بوسط) وكان فى مبدأ أمره وزيرا أول فى صكصونيه فاعاد بوسط مع غاية السرعة الهيئة الامبراطورية وسارت الاعمال بمباشرته ومشورته فتشيدت حكومات نيابية فى كافة الايالات وجعل فى كل منها نصيب للاهالى فى الادارة العمومية وظهرت الآمال التى كانت مرغوبة عند الهنكار بين من مدة طويلة فى حالة الوجود وترتب فى هذه المملكة مجلس على حدته ووزارة قائمة بنفسها وتتوج الامبراطور فرنسيس يوسف وسمى ملك هنكاريا فى مدينة بست فى سنة ١٨٦٧ بعد الميلاد وفى سنة ١٨٦٨ بعد الميلاد تغير اللقب الرسمى للمملكة بذكر تو امبراطورى الى مملكة (أوستريا - هنكاريا) فكان ترتيب الحكومات النيابية القانونية فى المملكة الاوستريانية من أحسن النتائج التى عادت على الامة الاوستريانية الهنكارية بأعظم المنافع وما حصل توطيد هذه الحكومات الامن بعد منازعات مع الاشراف القديمة وخدمة الدين ومن الطالع السعيد للامبراطور أنه داوم على قانون وألغى السلطة المستبدة من وطنه ومنح الرخصة العامة لمذاهب الديانات المختلفة وأقيمت شعائر المساواة فى كافة المذاهب وصار الناس فى درجة واحدة أمام القانون وجعلت مواد الزواج والتعليم فى الديانات تحت مباشرة أعمال المملكة وفى سنة ١٨٧٠ بعد الميلاد ألغيت الاتفاقات التى كانت بين البابا والمملكة فيما يختص بالمواد الديانية

وأما فى جرمانيا فانه من بعد غلاق حرب سنة ١٨٦٦ بعد الميلاد تشكل اتحاد الامارات الشمالية تحت قيادة بروسيا وأطلق عليه اسم اتحاد جرمانيا الشمالية وجعلت امارات هذا الاتحاد جيوشها تحت سلطة بروسيا وانعقد أول جلسة لهذا الاتحاد فى برلين فى ٢٤ فبراير سنة ١٨٦٧ بعد الميلاد فاهتم فى مباشرة سن القوانين اللازمة للاتحاد وحصل له النجاح حتى انه فى ١ يوليه وضع هذا القانون موضع العمل فتقرر فى هذا القانون ان أعمال الاتحاد يجرى مباشرتها بواسطة مجلس ينتخب بمعرفة أهل جرمانيا الشمالية ومجلس اتحادى يتألف من نواب ممالك جرمانيا الشمالية وتعين ملك بروسيا رئيس الاتحاد غير أنه ما صار مراعاة هذا القانون نهائيا بما ان امارات جرمانيا الجنوبية ما زالت فى حالة استقلالية ورغب قسم كبير فى جرمانيا الشمالية يعرف باسم الحزب الحر الاهلى فى انضمامه الى الاتحاد الجديد وتساعد الكونت بسمارك فى ادخال هذا الحزب فى الاتحاد بكل من البرلمان البروسى ومجلس الاتحاد لان جل رغبته كان انضمام هذا الحزب وحصل النجاح الزائد فى شهر مايه سنة ١٨٦٨ بعد الميلاد فى تنظيم العلاقات التجارية للامارات بين بعضها ووقعت (بادن) و (حيس كاسل) على اتفاق ما له ترتيب عساكرهما على قواعد تماثل قواعد الاتحاد وكانت بادن ترغب فى انضمامها للاتحاد

الشمالى الا أن عدم رغبة الممالك الجرمانيـة الجنوبية منعهامن ذلك وكان يوجـد حزبان قويان فى جرمانيا الجنوبية أعداء لبروسيا حزب من الطائفة لبروتستانتية وحزب ديموقراطى يميـل للحكومة المستبدة فعارض هذان الحزبان فى اتحاد جرمانيا الشمالية مع جرمانيا الجنوبية مع أشد الكراهة حتى ان أحباء الاتحادابتدؤا فى قطع الامل من تمام الاتحاد فمن ثم تأخر بضع سنين فلما آن أوان هذا الاتحاد وظهرت الشهامة الجرمانية اتحدت كافة الاحزاب الجرمانية فى جامعة واحدة على عدو قام عليهم وذلك أنه تولد من مظفرات بروسيا فى حرب سنة ١٨٦٦ وقوع الحسد فى فرانسا وكانت تراعى نفسها فى هذا الوقت أنها هى المملكة الرئيسـة فى أوروبا وأظهر الامبراطور نابليون الثالث لبروسـيا أنه منتظر منها مكافأة تسمح له بها من زيادة الاراضى التى ربحتها من الحرب وفى أول أغسطس سنة ١٨٦٦ طلب سفير فرانسا فى برلين أن بروسـيا يلزمها التنازل لفرانسا عن الشاطئ الايسر لنهر الرين فرفضت بروسيا هـذا الطلب مع علمها أن رفضها يتولد منـه هياج حرب آخر فمن ثم دخـل امبراطور فرانسا فى مخابرة مع ملك هولنده بشأن أن يشترى منه دوقية (لكسنبورغ) وكانت هذه الدوقية فى الاصل قسما من الاتحاد الجرمانى فأقامت بروسيا الحجة على هذا الطلب واستعدت لتقوية حجتها بالقوة ثم تراآى أن جريان أعمال مثل هذه المسـئلة لا يوافق انتهاءه بوقوع حرب وصار التباعد عن أخطار هذا الحرب بعقد مجلس دولى فى لونده فكانت نتيجته فصل لكسنبورغ من جرمانيا وصيرورتها مملكة مسـتقلة تحت كفالة الدول الكبيرة فانقبض صدر الامبراطور نابليون الثالث جدا من خيبة رغبته وصارت بروسيا مرعية بعين الاعتبار الزائد من أجل ثباتها فى فصل هذا المشكل فمن ثم وقعت العداوة الشديدة بين بروسيا وفرانسا من هذا الوقت ومامضى قليل حتى هاج الحرب بينهما

وفى شهر يوليه سنة ١٨٧٠ بعد الميـلاد صار انتخاب البرنس ليوبولد صاحب (هوحنظولرن) على حسب طلب الحكومة الاسبانية وترخيص الملك غليوم صاحب بروسيا للتخت الاسبانى فعزمت فرانسا على أن تجعل انتخاب البرنس ليوبولد حجة فى اقامة الحرب على بروسيا حيث كانت لا ترغب فى تشكيل الاتحاد الجرمانى تحت رياسـة بروسيا فكانت على الدوام ساعية سرا فى عدم اتحاد الامارات الجنوبية الجرمانية مع الامارات الجرمانية الشمالية وبمجرد ماعلمت انتخاب البـرنس ليوبولد أعلن مجلس النواب الفرنساوى بان هذا الفعل تعـدّ من بروسيا الساعية فى احاطة فرانسا بالاعداء بسبب وضـعها على التخت الاسبانى ملكا عدوا لفرانسا وطلب غالب الامة الفرنساوية من الامبراطور اجراء اللازم لمنع نجاح المشروع البروسيانى وارغام هذه الدولة على ابطال اسم ليوبولد فأعلن ملك بروسيا انه لا يمكنه أن يفعل شيأ فى انتخاب البرنس ليوبولد وليس له أمر يلزم به أهل التاج على عدم انتخابهم ما يوافقهم فرفض فى الحال البـرنس ليوبولد قبوله هـذا الانتخاب من نفسه منعا لوقوع الارتباكات وحفظا للسلم فما اكتفت فرانسا بذلك وأرسل تعليمات للموسـيو بنديطى السفير الفرنساوى فى برلين بان يطلب من ملك بروسيا ضمانة قوية بعدم تجديد انتخاب البرنس ليوبولد مرة ثانية فتوجه السفير بنديطى الى مدينة امس وكان الملك مقيما فيها وكان فى النزهة العموميـة وعرض عليه طلب الحكومة الفرنساوية فرفض الملك غليوم قبول هذا الطلب فقط بل أمر أيضا السـفير أنه لا يفتح له شيأ فى هذه المادة وكانت هذه المقابلة فى يوم ١٣ يوليه وفى اليوم الثانى جاوبت الحكومة الجرمانية عن هذه المسئلة بالتلغراف رسميا وصار من اليقـين أن الحـرب على شرف الوقوع فأسرع الملك فى التوجـه الى برلين

ووصلهافى ١٥ منه

فكان ماتصوره الملك حقاوذلك أنه أشيع فى باريس بان ملك بروسياسب سفير فرانساوامتلأت شوارع باريس بالزحام طالبين الحرب وفى ١٥ يوليه أعلنت حكومة فرانساحربا على بروسياوأصدرت أوامرهافى الحال بتحشيد الجيش الفرنساوى على حدود جرمانياووصلت أخبار هذا الاعلان للملك غيليوم بعيد وصوله محطة السكة الحديد فى برلين بواسطة الكونت بيسمارك فأصدرت الحكومة البروسيانية فى الوقت أوامرهابابراز قواهاوقوى الاتحاد فى ميدان الحرب وفى ١٦ منه التأم مجلس الاتحاد وصادق على أعمال الملك غيليوم ووعد بالمساعدة القلبية وشرع المجلس فى أخذ الاحتياطات اللازمة للمداومة على الحرب مع الشدة والعنف وكانت فرانسامرتكنة فى أعمالها هذه على ماهو حاصل من العداوة بين جنوب جرمانياوشمالها فكانت فى ذلك على خطا مبين لانه مهما كانت الامارات الجرمانية فى اختلاف بينها فانها كانت ترى فرانسابعين العداوة ومازالوا متذكرين ما كان عليه آباؤهم من العبودية تحت حكم نابليون الاكبر فكانت هذه الحالة كامنة فى صدورهم وفوق ذلك كانت فرانساتسعى جهرة فى الدخول فى المسائل الجرمانية فكان ذلك من أكبر الاشياء على الامة الجرمانية وأماجرمانيا الجنوبية فانهاما رغبت فى الانضمام مع عدو وطنها ولابقيت على الحيادة فى مثل هذا الحرب فانه فى ١٦ يوليه أعلنت امارات جرمانيا الجنوبية ملك بروسيابان عساكرهم تحت أوامره فترك ولى عهد بروسيابرلين فى الحال وتولى قيادة الجيوش المتحدة لجرمانيا الجنوبية ووقعت الحمية فى أنحاء الوطن وحصل الاستعداد بسرعة فيما يلزم للحرب وكان من المعلوم أن جرمانيا شارعة فى استعداداتها المدافعة عن نفسها وأما محاربة فرانسافكانت من أجل علو سيادتها فى أوروبا وكان تعداد القوى الجرمانية ينيف عن مليون نفس وكانت هذه القوى مساقة فى حركاتها العسكرية بمعرفة (الجنرال دوملطق) كما كانوا فى حرب أوستريا وكان زمام قيادة هذه الجيوش الكثيفة فى يد ملك بروسيا فانه وان طعن فى السن الا أنه برز الى الميدان بنفسه ففصل قسمامن هذه القوى وأبقاه فى جرمانيامن أجل حماية المملكة ورتب الباقى فى هيئة ثلاثة جيوش أسرعت فى سيرها نحو نهر الرين بحركة أدهشت الدنيا وفى آخر شهر يوليه كانت الثلاثة جيوش فى مواقع الحركات الحربية فكان الجيش الاول تحت قيادة (الجنرال دوسطينمطز) فى الجهة اليمنى من الحذاء الجرمانى وموقعه بالقرب من طريفس والثانى تحت قيادة البرنس فريدريق شارلس فى القلب محتلا بافاريه الرينية والثالث تحت قيادة ولى عهد بروسيا البرنس فريدريق غيليوم فى الجهة اليسرى محتلا الشاطئ الايمن من نهر الرين من ابتداء منهيم الى رسطاد وكان هذا الجيش الثالث مؤلفا من قوى امارات جرمانيا الجنوبية وثلاث فرق بروسيانية

حرب فرانسامع بروسيا

وانتظر القواد الجرمانية اغارة مستعجلة تحصل من الفرنساوية على بلادهم وتعجبوا مما حصل من تأخير عدوهم وحصل بعض مناوشات صغيرة لاثمرة فيها وماحصل من الفرنساوية أدنى سعى فى التقدم فلمارأى ذلك ملك بروسياعزم على الاغارة على الاراضى الفرنساوية لاجل خلاص جرمانيامن أن تكون ميدانا للحروب فابتدأ العرضى الثالث فى الزحف نحو الامام وفى ٤ أغسطس انهزم الفرنساوية فى واقعة حصلت فى (وسنبورغ) فى أول ملحمة وقعت وعسكر الجيش الثالث على الارض الفرنساوية وفى ٦ منه هجم البرنس ولى العهد على الجناح الايمن من الجيش الفرنساوى

وكان

وكان تحت قيادة (المارشال ماكهون) فى (ورث) ومن بعد واقعة شديدة حصل فيها تلفيات للطرفين تبددت الفرنساوية وصار لا طاقة لماكهون على جمع المتشتت من جيشه ثم ان البرنس ولى العهد ترك عساكر بادن محاصرة (ستراسبورغ) وأسرع فى سيره وعبر جبال فوزجس وفى ٦ أغسطس هجم الجيش الاول والثانى على الجيش الاصلى الفرنساوى وكان تحت قيادة (المارشال بازين) فى (مربوخن) وتغلبوا عنوة على مرتفعات سبيخرن وهزم الفرنساوية وألزمهم القهقرة نحو متز وتولد من نصرة البرنس ولى العهد فى ورث ومن النصرة التى حصلت فى سعربروخن كسر الحذاء الفرنساوى جميعه وفى اليوم الثانى كانت جميع الجيوش الجرمانية فى داخل فرانسا وفى وقت ما كان الجيش الثالث فى حركة عبوره من جبال فورجس كان الجيش الاول والثانى زاحفين نحو متز

وصار الآن موقع ميدان الحركات والوقائع الكبيرة التى ستجرى ويعقب بعضها بعضا على الاراضى المواجهة لقلعة متز وكان المارشال بازين المتقلد قيادة الجيش الفرنساوى عند قهقرته سار وضبط قلعة متز فلما رأى خطأه فى ضبطها رغب فى الانضمام مع ماكهون فابتدأ فى سيره من متز فى ١٤ أغسطس فعلم الجرمانيون بحركته فهجم عليه قسم من الجيش الاول الجرمانى فى نواحى كورسيل ورده على أعقابه فانتهز الجنرال مولطق الفرصة فى تأخير حركة الفرنساوية التى نشأت من هذه الواقعة وأخذ قسما من الجيش الاول والثانى وعبر نهر الموزل قاصدا ضبط الطرق التى تمر منها الفرنساوية حال رجعتهم وعنى بذلك رجوعهم الى متز بالثانى وحصرهم فى تلك القلعة وفى أثناء ما كانت هذه الحركات آخذة فى التقدم صدر أمر للجيش الثالث من بعد وصوله الى ضواحى نانسى بالوقوف فى هذه الجهة من أجل مساعدة الجيوش الاخر فى وقت الحاجة وفى ١٦ أغسطس لما سار بازين على مسافة قليلة من متز هجم عليه القوى الجرمانية التى عبرت نهر الموزل وسميت هذه الواقعة بواقعة (مارط لوطور) اسم القرية التى وقعت فيها وسماها الفرنساويون واقعة (فيونفيل) فاستمرت هذه الواقعة كل اليوم وكانت مهولة عند الطرفين وكانت نتيجتها قهقرة الجيش الفرنساوى نحو متز وانتهى أمر رجعة بازين وانقضى يوم ١٧ فى استعداد الطرفين لواقعة فاصلة بينهما فبذل الجرمانيون جهدهم فى التجمع فى مواقعهم الجديدة وفى صباح ١٨ أغسطس كان تحت يد الجنرال مولطق نحو ١٩٠٠٠٠ نفس بيادة و ٢٤٠٠٠ من السوارى وما ينيف عن ٦٠٠ مدفع فى الاستعداد وأخذ بازين موقعا قويا بالقرب من (غرافيلوط) وقوى حذاءه بمتاريس وحفائر ذئب فكان عدد القوة الفرنساوية ١١٠٠٠٠ من البيادة و ١٠٠٠٠ من السوارى و ٢٦٠ مدفع وفى ١٨ أغسطس كانت الواقعة الكبيرة فى غرافيلوط فكانت احدى الوقائع الحربية المشهورة فى التاريخ انهزم فيها الفرنساوية وتقهقروا نحو متز والتجؤا فى داخل استحكاماتها فأحاط بهم الجرمانيون فى الحال وحصروا متز والجيش الفرنساوى فى داخلها ومن ثم صار هذا الجيش عديم النفع فيما بقى من الحروب

ثم كانت نتيجة هذه النصرة العظيمة أن صار للقواد الجرمانية وثوق تام فى تحققهم من خلاص جرمانيا من اغارة الفرنساوية وانتشر الفزع فى فرانسا ومع هذا فان الجرمانيين حصل عندهم تلفيات جسيمة فكانت خسائرهم ١٦٠٠٠ فى واقعة فيونفيل أو مارط لوطور وكانت الخسارات فى غرافيلوط ثقيلة جدا حتى ان الحكومة البروسيانية اشمأزت من اعلانها ومات فى هذا اليوم زهرة العساكر الجرمانية

ثم انه من بعد احاطة متز بالجيش الاول والثانى تحت قيادة البرنس فريدريق شارلس صدرت الاوامر للبرنس ولى العهد بالحركة من نانسى وكان منتظرا فيها نهاية الواقعة أمام مستز على شالون وكان المارشال ما كهون تطم فيها جيشه ثم صار تشكيل جيش رابع من العساكر التابعين للجيش الثانى وأطلق عليه اسم جيش الموز وعهدت قيادته للبرنس ولى عهد صكصونيه وتولى الملك بنفسه قيادة الجيش الثالث والرابع وسار الجيشان نحو الجهة الغربية ونصب البرنس ولى عهد بروسيا مركزا ادارته العسكرية فى ليغنى فوردت اليه الاخبار بان ما كهون تحرك بجيشه من شالون وظهر الخبر بانه كان فى ريمس وسار نحو راطيل واستبان أن حركته هذه نحو متز لاجل اتحاده مع المارشال بازين على البرنس فريدريق شارلس فاسرع الجيش الثالث والرابع البروسيانى فى الحركة نحو اليمين تابعين حركة ما كهون ثم جمع ما كهون جيشه بالقرب من (فوزيير) وفى ٢٨ أغسطس سار نحو الموز حتى وصل بومنت وفى ٣٠ أغسطس هجم الجرمانيون على الفرنساوية بالقرب من بومنت وطردوهم نحو قلعة سيدان فكانت نتيجة نصرة الجرمانيين أن ضبطت جيوشهم السكك الموصلة من الموز الى متز ومن ثم خابت مساعى ما كهون فى الوصول الى متز فاستعد مولطق لحطم جيش ما كهون بضربة فاصلة وفى أول سبتمبر وقعت الواقعة الفاصلة للحرب أمام سيدان ومن بعد وقوع ملحمة شديدة تقهقر الفرنساوية نحو سيدان فاحاطت بها العساكر الجرمانية على الفور وأسرعت الطوبجية بالضرب المتوالى على العالم الذين لا مساعد لهم الموجودين داخل القلعة وانقطع الضرب بتسليم الجيش الفرنساوى بمعرفة الجنرال وميفين وكان خلف ما كهون بعد أن جرح جرحا بليغا فى الواقعة وكان الامبراطور نابليون الثالث مصاحبا الجيش ما كهون فسلم نفسه لملك بروسيا فعين له محل مقره قلعة (ولهلمشوهى) بالقرب من كاسل وفى هذا التسليم أسر الجرمانيون ٨٤٠٠٠ أسير و ٥٠ جنرالا و ٥٠٠٠ من الضباط الآخرين مع مدافعهم وأسلحتهم وذخائرهم فأما الضباط الذين أعطوا كلمة الشرف للجرمانيين بعدم دخولهم فى الخدمة العسكرية مدة الحرب فانه صار اخلاء سبيلهم وأما العساكر فأرسلوا الى جرمانيا بصفة أسرى حرب

واقعة سيدان وأسر نابليون الثالث

وكان المأمول فى جرمانيا أن هذه المصيبة التى حلت بالفرنساوية تكون غلق الحرب فما سار القواد الجرمانيون على هذا الامل بل بمجرد توطيد ثمرة النصرة فى سيدان ساروا بسرعة نحو باريس وقبل الحركة كان الجرمانيون عزموا على أن تكون شروط الصلح تنازل فرانسا عن الالساس وقسم اللورين الجرمانى فرفضت الحكومة التدافعية الاهلية التى قامت محل الامبراطور قبول هذا الشرط واستمر الحرب وفى منتصف شهر سبتمبر كان الجرمانيون أمام باريس وأحاطوا بها من كافة جهاتها فعسكر الجيش الثالث فى الجهة الجنوبية مع الجهة الجنوبية الشرقية وأمسك الجيش الرابع الجهة الشمالية مع الجهة الشمالية الشرقية ثم اجتهد الفرنساوية باجراء طليعتين واحدة فى ١٩ سبتمبر تحت قيادة (الجنرال الدوكروت) وأخرى فى ٣٠ سبتمبر تحت قيادة (الجنرال فينوا) من أجل صد الاحاطة فكان على غير طائل وجعل البرنس ولى عهد بروسيا مركزه فى فرسايل وفى ٥ اقطوبر وصل الملك غليلوم فرسايل وفى ١٣ و ٢١ اقطوبر اجتهد الفرنساوية وهجموا بانواع هجومات شديدة متعددة لخرق الخط آت الجرمانية بدون طائل وحصلت ملاحم بين الجرمانيين والفرنساوية كانت على غير ثمرة للفرنساوية وأخيرا بذل الفرنساوية مجهودهم وجمعوا قوة ثالثة أطلقوا عليها اسم جيش

لالوار على أمل أنهم يلزمون الجرمانيين برفع الحصار عن باريس وشكلوا جيشا رابعا فى الاقاليم الشمالية تحت قيادة الجنرال فيدربى للاشتراك فى الحركات مع جيش لالوار

ثم ان ما أجراه غامبتا من هربه من باريس فى قبة طيارة وتقلده زمام شوكة الحماية فى الاقاليم ما حصل منه أدنى فائدة فى خلاص فرانسا من مصائبها فانه فى أثناء ذلك سلمت قلعة ستراسبورغ فى يوم ٢٧ سبتمبر وكانت محصورة بعساكر بادن من ابتداء واقعة ورث وانتقلت هذه المدينة القديمة مرة ثانية فى حوزة الجرمانيين وفى ٢٧ اقطوبر سلم المارشال بازين جيشه وقلعة متز للبرنس فريدريق شارلس من بعد أن بذل مجهوده فى عمل أنواع هجوم لخرق الحذاء الجرمانى فكانت القوة التى سلمها بازين مؤلفة من ثلاث مارشالات و ٦٠٠٠ ضابط و ١٧٣٠٠٠ عسكرى وكان هذا التسليم أشهر تسليم فى التاريخ فتولد من ذلك اطلاق عنان حركات الجيش الاول والثانى الجرمانى وصارا مستعدين لعمل حركات أخرى فى جهات أخرى على الفرنساوية وعهدت قيادة الجيش الاول للجنرال منطوفيل وصار فى الخلف من أجل احتلال متز واللورين وأسرع من بقى من الجيش فى السير نحو الجهة الشمالية الغربية للاغارة على الفرنساوية الموجودين تحت قيادة الجنرال فيدربى وأسرع الجيش الثانى تحت قيادة البرنس فريدريق شارلس فى السير نحو لالوار لمساعدة الجرمانيين المشتغلين هنالك

ومن قبل سقوط متز كانت الحركات العسكرية فى نواحى لالوار أخذت فى الاصلاح فانه فى ١٢ اقطوبر احتل (الجنرال درطانه) مدينة أورليان من بعد أن طرد الفرنساوية منها وكانوا تحت قيادة (الجنرال مطروغ) وفى ٨ نوفمبر هددته قوة عظيمة من الفرنساوية فالتزم على الانسحاب من أورليان وفى ١٠ منه هجم عليه جيش لالوار وكان تحت قيادة (الجنرال دوپلادين) فانهزم درطانه وهذه هى النصرة التى اكتسبها الفرنساوية فى مدة الحرب بجميعه فتقهقر درطانه نحو طورى وانضم فيها مع الدوق صاحب مكلمبورغ مع امداد أرسل من الجيوش الموجودة أمام باريس حتى يكون له طاقة على صد الفرنساوية الى أن يصل اليه العرضى الثانى الجرمانى الذى قام من متز وحاز الدوق بعض مظفرات على القوى الفرنساوية بالقرب من شارترس ومن بعد مضى أيام قليلة وصل البرنس فريدريق شارلس مع الجيش الثانى واستلم القيادة العمومية

ثم ان (الجنرال طروشو) قائد محافظة باريس دبر رأيا مع الجنرال دوپلادين وعزما على اجراء حركة واحدة من أجل خلاص باريس وذلك أن جيش لالوار يهجم على جيش فريدريق شالس ويطرده الى الخلف ويتقدم نحو باريس من طريق (فونتين بلو) ويكون الجنرال دوكروت فى هذا الوقت مع قوة مؤلفة من ٦٠٠٠٠ نفس من العساكر القوية تقطع طريقه من المواصلة مع الحذاآت الجرمانية على نهر المرن وينضم الى جيش لالوار فيتولد من نجاح هذه الحركات ارغام الجرمانيين على رفع الحصار عن باريس فابتدأ جيش لالوار فى ٢٨ نوفمبر فى الحركة الى الامام وهجم على شمال البروسيانيين فى (بونلارولند) ومن بعد واقعة لبثت ٦ ساعات تقهقرت الفرنساوية ثم أعقب هذه الواقعة مناوشات كبيرة وفى ٢ ديسمبر هجم الفرنساوية أيضا على الجيش الجرمانى وأوقعوا تلافيات كبيرة فى قلبه لكنهم انهزموا وتقهقروا وفى صباح يوم ٣ منه اتحد الجرمانيون فى الحركات التعرضية وهزموا الحذاء الفرنساوى من كل الجهات وجعلوه ثلاثة أقسام وألزموا كل قسم بالقهقرة من طريق وبعدت هذه الاقسام جدا من بعضها وفى ٤ منه احتل الجيش الجرمانى أورليان مرة ثانية ثم

انقسم الجيش الفرنساوى الى قولين منعزلين أحدهما تحت قيادة (الجنرال بورباكى) والآخر تحت قيادة (الجنرال شانذى) وتقلد شانذى أيضا زمام قيادة جيش لالوار وحصل من الجنرال دوكروت اجتهادات كبيرة فى خرق هذا آت الاحاطة فى باريس فى يوم ٢٩ و ٣٠ نوفمبر الا أنها كانت على غير طائل وتبدد الفرنساوية فى كل جهة ودام الحذاء الجرمانى متصلا ببعضه

وكانت حركات الجرمانيين فى شمال فرانسا على نجاح تام لانهم احتلوا مدائن هذه الجهة وانهزم الفرنساويه بالقرب من اميانس فى ٢٧ نوفمبر وفى ٢٨ منه سلمت اميانسه للجنرال مطوفيل ومن بعد أن أعاد الجرمانيون أورليان لانفسهم سار منطوفيل من (السوم) نحو الساحل وفى ٥ ديسمبر هزم الفرنساويه فى بوشى وبهذه النصرة وقعت مدينة (رووان) فى حوزته وفى ٨ منه احتلت فرقة جرمانية مدينة ديبى وفى حالة ما كان منطوفيل مجريا حركاته فى هذه الجهة جمع فيدربى جيشه و زحف بسرعة نحو اميانسه من أجل عودها فاجتهد منطوفيل فى سيره حتى وصل فى اميانسه قبله وهزمه بالقرب من تلك المدينة فى يوم ٢٣ منه وهزم الفرنساوية أيضا فى ٢ و ٣ ينايرسنة ١٨٧١ بعد الميلاد وفى ١٩ ينايرهزم (الجنرال غوبين) خليفة منطوفيل الجنرال فيدربى فى (سنت كنطين) وفى أثناء هذه المدة زحف البرنس فريدريق شارلس على جيش لالوار وقهقره نحو بريطانيا ومن بعد عدة ملاحم أوقع عليه هزيمة حادة فى لومان فى ١١ ينايرسنة ١٨٧١ ثم ان القول الذى تقهقر من جهة أورليان فى ٣ ديسمبرسنة ١٨٧٠ تحت قيادة الجنرال بورباكى وقف فى بورغى وصار تقويته وترتيبه جيشا بمفرده وفى ٥ ينايرسنة ١٨٧١ بعد الميلاد صدر أمر من غامبتا الى بورباكى بالحركة من لالوار من أجل رفع حصار بلفورت الموجودة على الحد الشرقى لفرانسا فوصل فى ١٤ يناير الى ضواحى بلفورت فوجد القوة المحاصرة للقلعة متقوية بجيش (الجنرال وردر) وكان أسرع فى وصوله الى بلفورت قبله ومن بعد حصول عدة وقائع فى ١٥ و ١٦ يناير عول بورباكى على الهجوم على مواقع الجرمانيين فانهزم ونقهقر فتبعه فى قهقرته منطوفيل وكان انفصل من قيادته فى الجهة الشمالية واستلم زمام قيادة القوى الجرمانية فى هذا الجهة وألزم بورباكى على أن يختار واحدة من اثنتين اما تسليم نفسه وجيشه واما الانسحاب مع جيشه الى السويس فاختار بورباكى الدخول فى الاراضى السويسية فخزقت الحكومة السويسية قواه وكان جيشه مؤلفا من ٨٤٠٠٠ نفس

وفى أثناء هذه المدة ضايق الجرمانيون باريس وابتدؤا فى ٢١ ينايرسنة ١٨٧١ بعد الميلاد بالضرب المتوالى على المدينة وداوموا على الضرب عليها بشدة حتى سلمت وبذل الفرنساوية مجهودهم لاجل كسر خط الاحاطة فكان الجرمانيون يصدون هجوماتهم وطلائعهم أولا بأول وقل صبر أهل باريس مما حاق بهم من الجوع وأخذوا فى التهاب الثورات والتزمت الحكومة الاهلية التدافعية باخماد الثورات الواقع فى المدينة وكان آخر طلائعهم هجوم الفرنساوية على الحذاء الجرمانى فى ١٩ يناير فصدها الجرمانيون وفى ٢٨ ينايرسنة ١٨٧١ بعد الميلاد سلمت باريس رسميا للجيش الجرمانى وفى مدة تقدم الحرب فى فرانسا استحبت حركة الاتحاد الجرمانى فى الوطن وتولد من نجاح الجيش الجرمانى وقع عظيم فى قلوب الملة الجرمانية لهذا الاتحاد فكانت الخاتمة العظيمة للنصر المشترك للامة الجرمانية فى فرانسا أن جعلها تحت جامعة واحدة وكان من النتائج التى أبرزتها نصرة الحرب فى ميدان أرض جرمانيا أن دخلت جرمانيا الجنوبية فى معرض نهاية الالتحاق بالاتحاد الشمالى وفى منتصف

شهر

شهر أقطوبر أرسل امارات امر خصين من طرفها الى فرسايل يعرضون على ملك بروسيا ما عليه الامارات من رغبة الالتحاق بالاتحاد الشمالى وفى ١٥ نوفبر حصل التوقيع على معاهدات مع حيس وبادن وفى ٢٣ منه مع بافاريه وفى ٢٥ مع ورتمبرغ وصار التصديق على هذه المعاهدات من مجلس جرمانيا الشمالية ومجلس جرمانيا الجنوبية واستبدل اسم الاتحاد الشمالى باسم الاتحاد الجرمانى ومن ثم تمت أعمال اتحاد الوطن وتمتعت الامة الجرمانيـة بأفراحها الصادقة ثم أعقب هذه الحادثة حادثة مماثلة لها فى الاهمية وهى أنه فى ٤ ديسمبر كان ملك بافاريه عرض على الملوك الأخر الجرمانية والمدائن الحرة لزوم اعطاء رئيس الاتحاد الجرمانى لقب امبراطور جرمانيا فحصل اتفاقهم على هذا الامر وقدموا التاج الامبراطورى لملك بروسيا فقبله وفى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ بعد الميلاد صار الاعلان بامبراطورية الملك غيليوم مع الاحتفال العظيم فى جرمانيا وكان ذلك فى مجلس جليل مؤلف من برنسات جرمانيا وضباط الجيش فى صالة ميرور من سراية فرسايل

وكان تسليم باريس غلاق الحرب وأعقبه هدنة لمدة ثلاثة أسابيع رتبت فيها الامة الفرنساوية حكومة تجرى ما يلزم لها فى عقد صلح دائمى وصار التوقيع على مبادى الصلح فى ٢٦ فبراير سنة ١٨٧١ بمعرفة الكونت بيسمارك ومرخصى جرمانيا الجنوبية من طرف جرمانيا وموسيو تيرس وفافر من طرف فرانسا وبواسطة شروط هذه المعاهدة تنازلت فرانسا لجرمانيا عن اقليم الالساس ما عدا بلفورت والقسم اللورينى الجرمانى بما فيه متز وطيونقيل وتدفع لجرمانيا غرامة حربية مقدارها ٥٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

وفى غرة مارث دخل قسم من الجيش الجرمانى فى باريس واحتل قطعة صغيرة منها وفى ٣ منه انجلى عن المدينة ثم وقع التصديق على مبادى المعاهدة من المجلس الاهلى الفرنساوى فى (بوردو) وانسحبت العساكر الجرمانية الى الجهات الحدودية واستحوذوا عليها تأمينا على تنفيذ المعاهدة وانتهى الحرب ثم عقدت معاهدة صلح نهائيـة فى فرانكفورت بمعرفة الكونت بيسمارك وفافر فى ١٠ مايو وكانت مماثلة فى موادها للمعاهدة الاولى وتولد من نتائج الحرب أن صارت جرمانيا الدولة الاولى الحربية فى أوروبا

وسافر الامبراطور من مدينة فرسايل متوجها الى مملكته من بعد غلاق الحروب ودخل برلين فى ١٧ مارث متوجا بتاج النصر فقوبل فيها بالاحتفال وفى ٢١ مارث التأم أول مجلس للمملكة الجديدة فى برلين وشرع هذا المجلس فى عمل تغييرات فى قانون جرمانيا كطلب أهالى المملكة وتم هذا الشغل فى نحو شهر فكان هذا القانون الجديد هو عين قانون الاتحاد الجرمانى الشمالى وتشكلت المملكة الجرمانيـة فى خمس وعشرين امارة داخل فيها الثلاث مدائن الحرة وصار كل امارة حرة فى أشغالها الداخلية تقبل وترسل قوناسل سياسيين بدلا عنها وأما المواد التى يحدث منها تأثير يتولد منه حروب فى الامارات فصارت تحت سلطة الحكومة الامبراطورية خاصة وعهد للمجلس الامبراطورى النيابة فى معضلات المسائل وعهدت الشوكة التنفيذية للامبراطور وصار له حق تشكيل العلاقات وعقد المعاهدات واعلان الحرب وعقد الصلح وناب عنه نائب فى مجلس الاتحاد يعينه الامبراطور من طرفه ويكون رئيسا على المجلس ويباشر أعمال المملكة وأن يكون نائب الامبراطور وزير الخارجية أيضا ومع أنه أعطى الايالات والامارات امتيازات جليلة عند تشييد المملكة الا أنه كان يوجد فى ذلك شك

واديما أن الميل فى الاعمال يضعف هذه الامتيازات ويقوى شوكة الامبراطور
وفى ظرف سنة ١٨٧١ بعد الميلاد تم نظام المملكة الجرمانية من دون صعوبة وصرفت الحكومة الجرمانية بعضا من مبلغ التضمينات الحربية التى أخذته من فرانسا فى لوازم مالياتها من دون أن تضرب ضرائب جديدة وارتفع الكونت بيسمارك الى درجة برنس المملكة وعينه الامبراطور نائب المملكة ونسب الى أعماله كافة ما حصل من نجاح الاعمال * ومن أشهر الحوادث التى حصلت فى سنة ١٨٧١ المعارضة الشديدة التى قامت بغتة من تجمع خدمة الدين الكاثوليكى للاتحاد الجرمانى تحت سيادة بروسيا وكان هذا القيام جاريا فى بعض طوائف من وجود العقيدة الجديدة المتعلقة بالعصمة البابوية وكان فى أثناء مدة جلسات مجلس الفاتيكان القسس الجرمانيون فى أشد العداوة لهذه العقيدة وبمجرد نشرها قبلوها من دون تردد وأمروا أتباعهم باتباعها وفى هذا الوقت شرعوا فى معارضة المملكة جهرة وأزعجوها من فوق منابرهم بخطابات مهيجة حتى ان الحكومة الامبراطورية التزمت بأخذ الاحتياطات اللازمة لردعهم وصدر منشور من مجلس الاتحاد بتوقيع الجزاآت الشديدة على كل من خطب بأقوال مهيجة على المنابر وكان المقصد من ذلك جميعه حض الحكومة الجرمانية على عدم التداخل فى اباحة الرخص الديانية فلو كانت هذه العقيدة الجديدة مادة دينية ما حصل الكلام فيها غير أن هذه المادة مادة سياسية وصمم طائفة القسس الجرمانية على زيادة الاعتقاد بها فى مملكة تشيدت تحت سلطة البروتستانت فما كان هذا الخلاف الا تجديد مساع وقعت من رومة فى كونها تجعل طريقة السياسة الجديدة تحت خدمتها فما سمحت الحكومة الجرمانية بهذه السياسة وجعلت خدمة الدين الكاثوليكى مسؤلين قانونا عن خصوص ما هو حاصل من أعمالهم المهيجة فى حق المملكة على منابرهم وأصدرت أمرا قاطعا بان المنابر لا تكون محل هياج فقبل هذا الامر كافة المذاهب الديانية الا أنه من حيث ان خدمة الدين الكاثوليكى هم الاصل فى وقوع هذه الارتباكات فى المملكة فذاقوا وبال شدة تأثير القانون لانهم ما راعوه جهرة حتى رعايته والتزمت الحكومة فى السنة التالية على ترتيب الجزاآت الشديدة على كثير من خدمة الدين الكاثوليكى وكان الجزويت استوطنوا من مدة فى جرمانيا فصار واهم الحزب المؤثر بالخصوص فى معارضة الحكومة الامبراطورية وفى سنة ١٨٧٢ بعد الميلاد صدر من البرلمان الجرمانى منشور بطردهم من المملكة وهدمت الحكومة معابدهم وأرغموا على الخروج الى الممالك الاخرى وفى نفس هذه السنة عهد البرلمان البروسيانى لنفسه سلطة التهذيبات الابتدائية للشبان من أيدى خدمة الدين كاثوليكيين كانوا أو بروتستانت وعهدها المصالح رتبها من نفسه من طرف المملكة فقبل البروتستانت هذا الامر ورفضه الكاثوليك
وكان يوجد بعض طوائف ملقبة بالقاب طوائف العتق ومداواة العلل وتطهير القلوب جميعها مؤلفة من نساء وبعض طوائف أخرى كلها فى علاقة واحدة مع الجزويت فشاركتهم فى عاقبة أمر طردهم وأرغموا على الخروج من جرمانيا وفى نوفمبر سنة ١٨٧٢ بعد الميلاد انعقد مجلس من القسس الكاثوليكية الجرمانية فى مدينة (فولده) ورفضوا اجراآت الحكومة فيما يختص بالشرائع الديانية وجعلوها تعديا من الحكومة وفى شهر ديسمبر وبخ البابا الحكومة الجرمانية فى أوامر أرسلها لها توبيخا عنيفا من دون حزم فى الامور بخصوص الاجراآت التى استصوبت اجراءها مع خدمة الدين

فاجابه

أجابه الامبراطور على الفور بقطع علاقات المداخلة مع الحكومة البابوية وفى سنة ١٨٧٣ بعد الميلاد عرضت الحكومة الجرمانية على برلمانها لائحة تتضمن أن الزواج فى المملكة والمعمدة وما يماثل ذلك من المواد الدينية من خصائص الاعمال الداخلية فى المملكة وعرضت الحكومة على البرلمان من هذا القبيل كثيرا من الاعمال المهمة وكان المقصود من هذا جعل بروسيا فى حالة محترمة مع طوائف الكنائس المختلفة على حسب الاعمال الجارية فى الامارات الأخر البروتستانتية فرفض القسس الكاثوليكية طاعة هذه القوانين فتولد من هذا العصيان جبر الحكومة الجرمانية على تقوية أوامرها وضربت غرامات ثقيلة على الاساقفة الذين لا يراعون القوانين واقتضت الحالة بسجن البعض منهم ومنعت الحكومة صرف المبالغ الجارى صرفها المساعدة لخدمة الدين الكاثوليكى حتى يعودوا لطاعة أوامرها فعرض البابا مكتوبا قويا للامبراطور بين فيه تأثره الشديد من اعتقاده عدم صلاح الحكومة الامبراطورية وانقطاع عشمه منها بالنسبة للقوانين العنيفة الصادرة ضد الكنيسة ويستحسن من الامبراطور أن يأمر بأن تستحوذ الكنيسة على بعض حقوق غير معروفة عندها تلزمها طاعتها حتى عند الملوك البروتستانتية فأجابه الامبراطور من بعد مدة طويلة قائلا ان الحكومة النظامية مثل بروسيا يحتاج فيها لكل قانون وكل أمر الى تصديق الملك عليه وانه فى غاية الميل الى الاتحاد فى الاجراآت والاعمال الجارية بمعرفة حكومته الى أن قال ان القسس الكاثوليكية جلبوا العقاب على أنفسهم بارتباكهم حالة السلم فى المملكة وعدم طاعتهم القوانين الداخلية والذى أغضب الاساقفة الجرمانية الكاثوليكية وشحن قلوبهم بشدة الحنق صدور لائحة تختص بخدمة الدين وتهذيبهم تتضمن أن تعيين القسس فى الوظائف لا يجرى تنفيذه الا من بعد تصديق الحكومة وان طلبة علوم القسوسية يلزم تلقيهم علومها فى المدارس الاهلية العمومية ومن ثم كان للحكومة البروسيانية أمل فى أن القسس الجرمانيين يكونون جرمانيين حقيقة وتغرس فى قلوبهم محبة الوطن ثم ظهرت طائفة جديدة أضيفت الى الاختلاف الحاصل وهم قدماء الكاثوليكيين فانهم طلبوا طلبا وجعلوه قانونيا على حسب ما هم عليه من الصفة فكان هؤلاء الكاثوليك الذين رفضوا عقيدة المجلس الفاتيكانى وزعموا أن البابا والاساقفة الموجودين على العقيدة الفاتيكانية حادوا عن الكنيسة الكاثوليكية وأنهم هم الناثبون عنها وبما أن هذه الكنيسة كانت مرعية فى بروسيا لانها احدى الايالات الكنائسية طلبوا قبل سنة ١٨٧٠ بعد الميلاد أن يكونوا نوابا حقيقيين عن الكنيسة لانهم أحق باستلام النقود الجارى صرفها من المملكة مساعدة للكنائس وقد رخص القانون الداخلى بصرفها فرفضت الحكومة الجرمانية الحالية قبول هذا الطلب وفى هذا الوقت عزمت أن تعامل قدماء الكاثوليكيين بمعاملة أنهم مفصولون من الكنيسة الكاثوليكية وان قولهم وعرضهم هو احدى المسائل الداخلية للحكومة وان الكنيسة الكاثوليكية الكبرى لا مدخل لها فى مثل هذه المسئلة فمن ثم قررت بروسيا أن تراعى وظيفة أسقف قدماء الكاثوليكيين بصفة أسقف الكنيسة الكاثوليكية وسمحت له براتب سنوى وأخذت المنازعة بين المملكة والكنيسة الكاثوليكية فى الزيادة سنويا وما حصل الفصل فيها واستمرت بغير فصل عدة سنين وفى سبتمبر سنة ١٨٧٢ بعد الميلاد زار امبراطور أوستريا امبراطور جرمانيا فى برلين وقوبل فيها بالاحتفال العظيم وفى سنة ١٨٧٣ زار الامبراطور غيليوم وملك ايطاليا فيانه فدلت هذه الزيارة على أن أوستريا قبلت بصدق النية التغييرات

التي حصلت في جرمانيا وفي ايطاليا وظهر من الاعمال الحديثة العهد في جرمانيا أن السياسة العامة الموجودة فيها بما فيها من الاصلاحات الداخلية وزيادة علو درجة التهذيب والتعليم وعلو طوائف الاشغال وانتظام الجيوش وتقويتها أحسن بكثير من التداخل في الاعمال الخارجية وانكمد القائلون بالجمهورية وانقرض الاشتراكيون من المملكة بسبب القانون وشعور الامة وتحددت وظائف ورتب الكنيسة والمملكة بقوانين محدودة وتأيدت سلطة الامة الجرمانية ونفوذها في الاعمال الاوروباوية وغطس حزب المحافظين الجرماني وفي سنة ١٨٨٧ بعد الميلاد وسنة ١٨٨٨ انقضى كثير من المنازعات بين بروسيا وكثير من الدول المعظمة الاوروباوية

وأما الحالة الراهنة لجرمانيا أي لسنة ١٨٩١ بعد الميلاد فان هذه المملكة كائنة بين ١٨َ ٤٧° و ٥٢َ ٥٥° من العرض الشمالي وبين ٥٠َ ٥° و ٥٠َ ٢٢° من الطول الشرقي لرصدخانة انكلترة وتشتمل على ٢٥ ايالة وأراضي الالساس واللورين ومساحتها ١٦٨َ ٢١١ ميل مسطح وعدد سكانها في سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ٠٦٤َ ٤٢١َ ٤٩ نفس تقريبا منهم ٨٤٧َ ٣٦٩َ ٢٩ بروتستانت و ٧٣٤َ ٧٨٥َ ١٦ كاثوليك و ١٧٢َ ٥٦٣ يهود وجميع هؤلاء السكان يتكلمون باللسان الجرماني ويوجد فيها ما ينيف عن ٠٠٠َ ٢٤٠َ ٣ نفس من أصناف أمم أخرى وفيها ٢٦ مدينة كبيرة لا يقل عدد سكان المدينة الواحدة عن ٠٠٠َ ١٠٠ نفس ومن عهد غلاق الحرب الكبير في أوروبا هرع المهاجرون الجرمانية الى سائر الجهات فتعداد من هاجر من جرمانيا من ابتداء سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد هو ٧٩٦َ ٨٧٦َ ١ نفس ويوجد في المملكة اثنتان وعشرون مدرسة جامعة بها ٢٣٢٩ معلم و ٧١١َ ٢٨ تلميذ وصارت جرمانيا بالتدريج دار أشغال وصنائع فكان يوجد فيها في سنة ١٨٨٢ بعد الميلاد ٤٣ في المائة مشتغلين بالزراعة و ٣٦ في المائة في أشغال المعادن والصنائع و ١٠ في المائة في التجارة فأما المحصولات والايرادات الواردة من الزراعة فغير كافية لاحتياجات الاهالي وفي سنة ١٨٨٨ بعد الميلاد كان ايراد المعادن ٣٥٠َ ٧٣٥َ ٢٤ ليره وفي سنة ١٨٨٩ بلغ ٠٠٠َ ٧٩٠َ ٢٧ ليره وتصديراتها التجارية للممالك الغربية هي أصناف الحيوانات والخيول ومواد الغذاء ولحم الخنزير والصيني والزبدة والاصواف والمواد الكيماوية وأصناف الحبوب والمشغولات القطنية والدقيق والبيض والنيل والزجاج والفواكه والجلود والرصاص وآلات الموسيقى وورق الكتابة والطبع والسكر والعرقي والاسبرتو والخشب والقصدير وخلافه وعمارتها البحرية في سنة ١٨٩١ مؤلفة من ٦٣٣َ ٣ سفينة منها ٨٩٦ مركب بخارية وعدد بحريتها ٤٤٩َ ٤٠ نفس والطول الكلي لخط السكك الحديدية في المملكة لنهاية سنة ١٨٩١ بعد الميلاد ٩٢٠َ ٤٠ كيلومتر وفي آخر سنة ١٨٨٩ كان طول خط التلغراف ٣٩١َ ٩٨ كيلومترو ويتألف الجيش الجرماني في مدة السلم من ٤٤٠َ ٢٠ ضابط و ٩٨٣َ ٤٨٥ عسكري و ٩٠٨َ ٩٣ حصان و ١٩١٤ مدفع من أول اقطوبر سنة ١٨٩٠ وأما مقداره مدة الحرب فهو ٤٢٧َ ٣٥ ضابط و ٦٧٧َ ٤٣٦َ ١ عسكري و ٧٣١َ ٣١٢ حصان و ٢٨٠٨ مدفع وتتألف عساكر المحافظين من ٢٤٠َ ١١ ضابط و ٠٣٢َ ٤١٦ عسكري و ٩٤٣َ ٣٨ حصان و ٣٢٤ مدفع ولجرمانيا طاقة على أن تستعد وقت الحرب بجيش مقداره ٠٠٠َ ٣٥٠َ ٣ نفس في الميدان جميعها كاملة التطقيم والسلاح وأما

اعبارة

العمارة البحرية الامبراطورية فى سنة ١٨٩١ بما فيها من قوارب الالغام البحرية فهى مؤلفة من ٨٧ باخرة حربية فيها ٥١١ مدفع منها ٢٨ مركب زرخ بها ١٦٨ مدفع و ١٩ مدرعة بها من البحرية ١٨٠٥١ نفس

٥٥١٢١٧٥٦ ليره واردومنصرف ميزانية سنة ١٨٩١ و سنة ١٨٩٢

١٢٣٦٤٥٥٠٠ ليره مبلغ الايراد فى سنة ١٨٩٠

١٧٠٤٧٩٢٠٠ ليره مجموع التصديرات فى سنة ١٨٩٠

٣٠٥١٦٢٨١ ليره مدخول من جهات انكلتره سنة ١٨٩٠

٢٦٠٧٣٣٣١ ليره تصديرات الى انكلتره فى سنة ١٨٩٠

٦٢٠٤٥٤٤٠ ليره الدين الداخلى

(والى هنا تم بحمد الله وعونه تاريخ جرمانيا)

﴿ الكتاب العشرون ﴾

﴿ تاريخ مملكة فرانسا ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من العصور الخالية الى معاهدة فردون ﴾

موقع فرانسا الجغرافى ـ غلية القديمة ـ الصيمريون ـ البلجيون ـ المستعمرات الفنيقية ـ المدائن الجريقية ـ عبور الغليين جبال الالب ـ خراب رومة ـ غلية جنوب الالب ـ وجود الرومانيين فى الغلية ـ تأسيس مدينة عكس ـ ناربونه ـ المنازعة بين العدويين والصيكانيين ـ ضبط اريوفيسطوس قسما من الغلية ـ صيرورة القيصر يوليوس نائب قنصل فى الغلية ـ كسره اريوفيسطوس ـ تغلبه على الغلية ـ ثورة البلجيين ـ اخماد القيصر ثورتهم ـ قيام الغليين ـ فرصنغطوريكس ـ كسرته وخضوعه للقيصر ـ استتباب الهدو فى الغلية بمعرفة القيصر ـ صيرورة مدينة ليون العاصمة ـ وجود الغلية تحت الحكم الرومانى ـ قوانين الغلية القديمة ـ الدروديون ـ طرد كلوديوس الدروديين من الغلية ـ ثورة صفيليس ـ صابينوس ـ دخول الديانة المسيحية فى الغلية ـ الظلم الذى حل بالمسيحيين ـ القديس دنيس ـ القديس هيلارى ـ حالة الغلية فى مدة اضمحلال المملكة الرومانية ـ حماية قسطنطين للمسيحيين ـ طلب الجرمانيين فى الغلية ـ ظفر يوليان بهم ـ الاغارة الكبرى الجرمانية ـ المملكة الغوطية الغربية ـ البورغنديون ـ الفرنك ـ مملكة عيطوس ـ اغارة الهونزيين ـ واقعة شالون ـ القديسة غنيفيفه ـ شلدريق ـ موقع الغلية فى أثناء سقوط المملكة الرومانية ـ الفرنك ـ صيرورة كلوفيس ملك الفرنك ـ الاسباب المختصة بنقل القصص الى التاريخ الجرمانى ـ صيرورة الغلية ايالة جرمانية

الارض المعروفة عندنا باسم فرانسا هي الجهة المقفولة من كافة جهاتها بالخليج السبر يطانى وجون بيسكاى وجبال البرنات والبحر الابيض المتوسط وجبال الالب وتشمل القسم الاعظم من الاقليم المعروف عند الرومانيين باسم غلية الالب الشمالية وكان هذا القسم معمورا من مدة قديمة غير معلومة بامة الغلية وهم قبيلة حربية من ذرية الصلط الذين هاجروا من اسيا الوسطى واستحوذوا على الاقليم الشاسع الممتد من نهر الرين الى المحيط الاطلنطيق ومن البحر الابيض المتوسط الى بحر الشمال وأطلقوا على هذا الاقليم اسم غليه ومن بعد مضى مدة أغار الصيمريون (جنس كبير من الصلط) على أوروبا الغربية فى نحو منتصف القرن السابع قبل الميلاد ودخلوا من الجهة الشمالية الشرقية ومن بعد حروب مؤيسة طويلة مع أقاربهم الغليين تيسر لهم الحصول أخيرا على قسم كبير من الارض فى شمال نهر لالوار داخل فيه بحيث جزيرة أرموريقة وأخذت البلجيون (أمة أخرى صلطيه) الاقليم الشرقى من نهر الرين وهناك خالطوا الجرمانيين وشاركوهم فى عوائدهم وتطبعوا بطباعهم ثم انه من بعد مضى ماتى سنة من اغارة الصيمريين عبر البلجيون نهر الرين وتغلبوا على الغلية الشمالية ونظرا لكونهم من جنس الغليين القاطنين فى الارض من قبل تطبعوا بطبعهم مع مرور الزمن الا أنه مازال فيهم الطبع الجرمانى وأطلقوا على الارض التى تغلبوا عليها اسم بلجيقا وتألف من هذه الامم سكان الغلية القديمة

وكان الفنيقيون فى مبادى المدة القديمة شيدوا مستعمرات على ساحل البحر الابيض المتوسط من أرض الغلية ويدعون أنهم هم أول من فتح المعادن الصفنية واشتغل بها ومن بعد مضى مدة حل محلهم الجريق الذين استحوذوا على مستعمراتهم وأقاموا مستعمرات أخرى وأدخلوا فيها الحضارة الهلانيقية وفى نحو سنة ٦٠٠ قبل الميلاد هرب بعض الجريق من فوكيه الى آسيا الصغرى وأسسوا مدينة مرسيليا ومدائن انطيب ونيس واغده وبعض مدائن أخرى وكانت هذه الامم اكتفت بمستعمراتها وما بحثت على مد شوكتها فى داخل الغلية

ثم ان الغليين الذين طردهم الصيمريون من أملاكهم هاجروا الى الاراضى المجاورة لهم وعبروا جبال الالب مرتين وتغلبوا على ايطاليا الشمالية وعبر قسم منهم جبال البرنات ودخل اسبانيا واختلطوا بالابريانيين الموجودين فى تلك البلاد فأطلق عليهم اسم صلطبرى وفى نحو سنة ٣٩٠ قبل الميلاد عبر الغليون الصنونيون جبال الابنين وزحفوا على رومة وأحرقوها ودمروها كما ذكرنا ذلك فى باب آخر ثم انسحبوا منها من بعد أن دفع لهم مبلغا جسيما فداء عن المدينة وفى هذه الحالة وطن الغليون أنفسهم فى شمال ايطاليا وصاروا يشنون الغارات على رومة حتى انتصر عليهم القنصل ديسيوس فى سنة ٢٩٥ قبل الميلاد وعميلوس وعطيلوس فى سنة ٢٨٤ قبل الميلاد وكاودبوس مارسيلوس فى سنة ٢٢٣ قبل الميلاد وكسروا شوكتهم ومن بعد حروب طويلة فتحت رومة كافة الاملاك الايطاليانية التى كانت تحت يد الغليين ورتبت ايطاليا الشمالية فى صورة اقليم رومانى تحت اسم الغلية الالبية الجنوبية ومن ثم صارت جبال الالب الحد بين الغليين الحربين ورومة فى سنة ١٩١ قبل الميلاد ومن بعد مضى نصف قرن ابتدأت رومة أن تنظر لاملاك الغليين الموجودة فى شمال جبال الالب ففى وقت ما هاج حرب بين مستعمرة مارسيليا والغليين المجاورين لها استغاث المارسليانيون برومة فارسلت جيشا كثيفا لمساعدتهم تحت قيادة القنصل عوبيموس فى سنة ١٥٤ قبل الميلاد فهزم

الرومانيون

الرومانيون الغليين وجعلوهم رعايا خراجية للمارسليانيين وكذا من بعدمضى بضع سنين هزم الرومانيون الصاليين فى أسفل الرون وتغلبوا على أراضيهم التى كانوا استحوذوا عليها من قبل وأقاموا أوّل مستعمرة لهم فى الغلية بتأسيسهم مدينة عكس فى بروفنسه فى سنة ١٢٣ قبل الميلاد ومن هذه النقطة مدّ الرومانيون فتوحاتهم بعجلة وفى سنة ١٢١ قبل الميلاد رتب الرومانيون ما استحوذوا عليه فى صورة ايالة وكانت هذه الايالة مطابقة على وجه التقريب لجهتى دوفينه و بروفنسه الحديثى العهد وفى سنة ١١٨ قبل الميلاد أسسوا مستعمرة ناربونه وجعلوها العاصمة الرومانية للغلية الجنوبية وأطلقوا على الايالة اسم المدينة وسموه الغلية الناربونية فكانت هذه الايالة ممتدة من نهر غارونه وجبال البرنات الى جبال الالب وحدود ايطاليا

وفى نحو منتصف القرن الاول قبل الميلاد هاج حرب بين قبيلة العدويين وهم سكان الاقليم الذى عرف فيما بعد باسم بورغندى وقبيلة الصيكانيين وهم سكان الالساس الاعلى فاستغاث الصيكانيون بالجرمانيين القاطنين خلف الرين فعبر جيش جرمانى تحت قيادة أريوفيسطوس نهر الرين وهزم العدويين وطلب القائد الجرمانى من الصيكانيين أن يتنازلوا عن ثلث أراضيهم مكافأة له على مساعدته فما قبل الصيكانيون ذلك وانضموا الى أعدائهم الاولين لطرد الجرمانيين فهزم أريوفيسطوس هذه القبائل المجتمعة فى واقعة كبيرة فى سنة ٦٠ قبل الميلاد واحتل على الفور أراضيهم وزحف حتى وصل الى حدود الايالة الرومانية فانعدمت اذ ذاك استقلالية الغلية وصارت المسئلة محصورة فى أحد أمرين اما أن تكون من نصيب الجرمانيين أو من نصيب الرومانيين وكان الرومانيون مراقبين حركات أريوفيسطوس وزحفه مع عدم الصبر بما أنهم كانوا معوّلين على التغلب على كافة الغلية

وفى هذا الوقت كانت الغلية الالبية الجنوبية والغلية الناربونية تحت حكم القيصر يوليوس بصفة نائب قنصل فى سنة ٥٨ قبل الميلاد ولما رأى القيصر اقتراب الاهوال من الجرمانيين استعدّلها مع السرعة ومن بعد مضى قليل سار الجرمانيون فى مشروعات تولد منها للرومة أن تقيم عليهم حربا وذلك أنهم لما أغاروا على الغلية الشمالية أرسل القيصر يوليوس رسولا الى أريوفيسطوس يعلمه بانه لو رغب العيشة السلمية مع رومة فليوقف نفسه عند الشاطئ الايمن لنهر الرين فلما بلغ الرسول هذا البلاغ لاريوفيسطوس أجابه مع العظمة أن تغلبه على ايالته فى الغلية هو عين الحق الذى تغلبت به رومة على ايالتها فيها وافتخر بمقابلته القيصر فى الميدان فبمجرد استلام القيصر هذه الاشارة زحف فى الحال على اريوفيسطوس وأوقع به هزيمة مهولة فى سهول الالساس وتبدد الجيش الجرمانى مع خسارات بلغت ٥٠,٠٠٠ نفس وهرب الذين بقوا على قيد الحياة نحو نهر الرين ومن بعد مضى مدة قليلة مات اريوفيسطوس من شدة ما لحقه من العار فى هزيمته ودمرت هذه الهزيمة شوكة الجرمانيين فى الغلية وتجهز القيصر لان يلحق هذه المملكة بالممالك الرومانية وفى سنة ٥٧ قبل الميلاد شكل قبائل الغلية الشمالية اتحادا على الرومانيين وبرزوا فى الميدان بجيش مؤلف من ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل ورفضت قبيلة الريمى وحدها الانضمام الى الاتحاد وعقدت معاهدة مع القيصر وفى هذا الحرب تغلب القيصر على القسم الاعظم من الاقليم المعروف فى الازمان الحديثة بنورمندى وبريطانى وفى السنة التالية خضعت كافة جهات ارموريقه أو بريطانى وفى نفس السنة أخضع كراصوص

أحد نواب القيصر عموم القبائل الاكيطانية المتوطنة فى جنوب نهر غارونه
وفى سنة ٥٥ قبل الميلاد فى أثناء غياب القيصر يوليوس فى بريطانيا قام الايوزنيون (قبيلة بلجيقية قاطنة على شواطئ نهر الموز) فى ثورة وذبحوا فرقة من الفرق الرومانية كانت معسكرة بينهم وحصروا أخرى تحت قيادة سيسرو فى معسكرها فعاد القيصر مسرعا بمجرد ما بلغه هذا الخبر فى قوة مقدارها ٧٠٠٠ مقاتل وقطع خط مرور البلجيقيين نحو سيسرو وفى فصل ربيع سنة ٥٣ قبل الميلاد أخضع الرومانيون قبيلة (الايورنيانيين) وقطعوا دابر أهلها وأرغموا قائدهم (عمبوريكس) على الهرب ناجيا بنفسه الى جهة الاقليم القاطن به (العردونيون)
وفى سنة ٥٢ قبل الميلاد قام الغليون فى ثورة على الرومانيين تحت قيادة (فرصنغيطوريكس) شاب شريف المولد كان له نفوذ بين (الارفرنيين) وكان يرى فى نفسه القيادة على ما لا يكون أهلا له فرتب الثورة سرا وطلب الغليون لمقابلته فى (بحر جوفية) عاصمة البلاد الارفريانية فاجتمع هنالك جيش كثيف فى الوقت المعين وأهل العساكر (بفرصنغيطوريكس) بصفة انه القائد لهم وكان الوقت أوان الشتاء فظن فرصنغيطوريكس أن الرومانيين لا طاقة لهم على محاربته لحد فصل الربيع وكان القيصر فى ايطاليا حينما بلغه أخبار قيام ثورة الغليين فسافر فى الحال الى الغلية ووصلها فى مدة قليلة وجمع عساكره من دون أن يراعى شدة الشتاء وسار نحو بلاد الارفريانيين وأوقع بها الدمار طولا وعرضا وتغلب على مدينة أفريقوم (بورغى) من بعد حصار شديد ومن بعد ما وقع من سعى (فرصنغيطوريكس) فى خلاصها وقتل سكانها البالغين ٤٠٠٠٠ نفس بالسيف فتقهقر فرصنغيطوريكس الى بحر جوفية وصد هجوم القيصر عن هذه المدينة والتزم الرومانيون على رفع الحصار والتأخر نحو الجهة الشمالية فتبعهم فرصنغيطوريكس والتقى مع القيصر بالقرب من ديجون فحصلت بينهما واقعة دموية انهزم فيها القائد الغلى والتجأ الى مدينة البصيا الحصينة فى اقليم (المندوبيين) فحاصرها الرومانيون فى الحال وكانت هيئة الموقع صعبة جدا حتى ان القيصر عول على أن لا يخاطر بنفسه فى الهجوم عليها بل لا بد له من اخضاعها بطريق الحصار فأقام حولها متاريس الحصار على أحسن منوال وأما فرصنغيطوريكس فانه أرسل كامل خيالته بأوامر يدعو بها الغليين للاتحاد معه فى توطيد استقلالية بلادهم فأجابوا طلبه بجمع جيش مؤلف من نحو ٢٥٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة (فرغاسيلونوس) فاجتهد هذا الجيش فى الزام القيصر على رفع الحصار عن البصيا فهزم القيصر هذا الجيش الذى جاء لخلاص المدينة فى ثلاث وقعات وشتت شمله وأخذ فرغاسيلونوس أسيرا وختمت هذه النصرة على عاقبة البصيا ولما رأى فرصنغيطوريكس أن حالة التسليم لا بد منها انتظم فى أحسن ملبوسه الحربى وركب حصانه ووجه نحو الحذاآت الرومانية فى ثانى يوم الواقعة وحضر أمام القيصر ورمى سلاحه تحت أقدام الفاتح مقرا له بطاعته فلبث أسيرا عدة سنين ثم قتل فى السجن وكان سقوط البصيا الحكم الفاصل فى عاقبة الغلية الا أن كافة البلاد كانت خضعت قبل ذلك للرومانيين
ولما تغلب القيصر على الغلية باشر ترتيبها وصيرها اقليما رومانيا وعامل أهلها بالرأفة وبمجرد ما انتشر بينهم القوانين الرومانية رخص لهم فى البقاء على امتيازات حكومات وطنية فيما بينهم وحض أحسن شجعانهم على الالتحاق بالجيش الرومانى فتشكل هؤلاء العساكر فيه الفرقة المسماة بالفرقة الوطنية وكان لهم علامات يعرفون بها فوق خودهم وأعطيت لهم امتيازات المدائن الرومانية ودخل أيضا

فى

فى الجيوش الرومانيـة الجم الغفير من غليبى بلجيقا واكيطانيـه وامتازوا فى الحروب الداخلية بشجاعتهم وانتظمت الجهات التى تغلب عليها القيصر فى ايالة رومانية أطلق عليها اسم قومينة الغلية ولماشيد أوغسطوس المملكة الرومانية جعل الغلية اقليما امبراطوريا بمعنى أنها صارت تحت حكم الامبراطور مباشرة وقسمت الى أربع ادارات كبيرة هى الغلية الناربونية وهذه ماحصل فيها تغيير واكيطانية وصار توسيعها ومدها من نهر لاوار الى جبال البرنات والصيفين والغليـة اللوغدونسيه ممتدة من نهر لاوار الى نهر الرون ونهر ساؤنه وفى الجهـة الشمـاليـة الى نهر الوازة ونهر السوم ونهر المرن وبلجيقة الغليـة داخل فيها الغليـة الشمالية الى نهر الرين وممتـدة فى طول هـذا النهر الى بحيرة كنسطنسة

وكان مركز الحكومة فى لوغدونوم أوليون فتقدمت هـذه المدينة التى تأسست فى سنة ٤٣ قبـل الميلاد مع السرعة وفى مدة خمس عشرة سـنة صارت أعمر مدينة فى الغليـة وكانت على الدوام المحل المختار لاقامـة الامبراطورات الرومانية وأنشأ الرومانيون منها أربع سكك فى غاية الاتقان واصلة الى الجهات المختلفـة من الايالة وعمـل الرومانيون الطرق اللازمـة فى تطبيع الغليين بطبعهم والحاقهم بالمملكة وحلوا كافة ارتباطاتهم القديمة وعاملوهم بالحسنى ونشروا عليهم امتيازات المدائن الرومانية واتسعت مادة التمدن فى كافة أنحاء الايالة وتشيدت مدارس يانعة فى مـدائن بوردو وطولوز وارل وفيانه وأوطون ورهيم وغيرها واشـتهرت مدارس ارل وأوطون حتى صارت ألد الاعداء لجمعيات المعارف فى الجردس وابطالها واكتسب الغليون فوائد التعليم ودخل الجم الغفير من الوطنيين فى كافة مصالح الخدمات الرومانية وتحلت المدائن التى أسسها الرومانيون لاسيما الجهـة الجنوبية من الغلية بالابنية الجميلة والاشغال العمومية الظريفـة منها الى الآن قنطرة الحفر وقوس النصر والملعب فى أورنجه والانفتياتروز والبيت المربع فى نيسم من أجود الابنية وفى منتصف القرن الاول من التاريخ المسيحى كانت جميع الغلية مصبوغة بحضارة رومة وصارت آخذة فى التقدم سنويا

ومن المعلوم أن التغييرات التى حصـلت كانت عظيمة فى الحقيقة الا أنه مازال قدماء الغليين باقين على حكومات مطلقة اسمها حكومة الاعيان فكان أكبر هذه الحكومات حكومة الدروديين فقد نقل عن القيصر يوليوس ان فى عصره كانت السلطة السياسـية مقسومة فى الغلية بين الدروديين والاشراف وكانت الامة أرقاء لكن لاتباع ولاتشرى ومن عاملهم معاملة رديئـة كان جزاؤه التغريم ثم كانوا فى الاحوال الاخر تحت أيدى الاشراف فكان لكل شريف محيطا بالجم الغفير منهـم وله منهم طائفة مخصوصـة يتكفل بالمدافعـة عنهـم من أى ضرر يقع عليهم من آخرين وهم أيضا ملزمون بالمحافظة على شخصه والبقاء على طاعته فكان مطلق الامر فيهم وكان يعضـدهم ويساعدهم فى معايشهم وهم يلقون أنفسهم فى كل هلكة يقع فيها أمـيرهم فان أسر أوقتـل فى محاربة كان من الواجب عليهم قتل أنفسهم فوق قـبره كى يكون لهم نصيب فى عاقبـة أمره فى الآخرة وقيل ان المدة التى انقطع فيها دابر هذه الاجراآت غير معروفة التاريخ

وكان الدروديون رأس نظام الديانة الصلطية فكانوا منقسمين الى قسس من الدرجة الواطية والشعراء فكانوا يدعون أنه يوحى اليهم بالهامات الهية وكان لهم بهـذا شوكة عامـة على الامـة والدروديون الاصليون وهم طائفة مستثناة من طلبات العسكرية واللوازم الداخليـة يقضون معيشتهم فى العزلة

ورومانات عندهم يشتغلون فيها بمطالعة أصول علم الدين والعلوم العقلية والافكار الروحانية وقال القيصر انه كان من ضمن تعليماتهم عدم فناء الارواح وانتقال الروح بعد الموت الى أجساد أخرى ويعتقدون أن هذا هو الباعث على وجود الشجاعة وأنه بذلك يزول خوف الموت وكان للدروديين مجلس يعقد فى كل سنة فى محل مقدس فى مملكة (الكرموطيين) فكانت هذه الجمعية مشكلة أيضا لمحكمة استئناف وكان من الواجب على كل انسان الحضور فيها عند طلبه اليها فى دعوة من كافة أصناف الطوائف والذين لا يقبلون أحكامها يجرى اخراجهم من القربانات وكان هذا عقابا مخيفا عند الغليين حيث يطرد المجرم من الاشتراك مع قومه ويحرم من كل وظيفة عامة وما كان الدروديون رؤساء الديانة وقضاة الامة فقط بل كانوا أيضا أطباء الامة وحكماءها وأساتذتها فى بعض معارف كانت معروفة عند الامة الغلطية مثل الشعر وعلم الانساب وفن التاريخ وكانوا محتكرين أنواع التهذيبات وعلوم المعقولات وكانت شوكتهم على الامة طبيعية .

وكانت الشعائر الديانية عند الدروديين مفزعة قاسية فكانوا يقربون قربانات من نوع البشرى لاجل الاستحصال على كرم آلهتهم أو الاحتراز من موت بمرض مفجع ويعتقدون أن الآلهة تطلب كل روح ذهبت لها وأحيانا كان يملأ تمثال ضخم مصنوع من القش على هيئة الآدمى بأرواح من النوع البشرى محكوم عليهم بالجرائم والذين أسروا فى الحروب وتضرم النار فى هذا التمثال فتهلك المخلوقات المحبوسة العاقبة فى لهب النيران

ثم انه ما حصل من أوغسطوس أدنى اجتهاد فى ابطال ديانة الدروديين هذه من الغلية بل حفظ سلامة الغليين من عناآت عذابها وأخرجهم منها بعدم قبوله منح امتيازات مدنية رومانية لكل من تمسك بعقائد الديانة القديمة وعلى الخصوص الذين يتمسكون بتقريب قربانات من النوع البشرى واجتهد فى اتحاد العبادة القديمة مع عبادة الآلهة الرومانية بطريقة بها حلت ديانة رومة محل الديانة الدرودية فنجح فى مشروعه هذا حتى انه فى بضع سنين ترك الاشراف والذين لهم شوكة من الطوائف الاخرى الديانة الدرودية واستمر بعض الطوائف الواطية متمسكين بها الا أن شوكتهم انقرضت من ابتداء هذا الوقت من الغلية ثم ان الامبراطور كلوديوس عوّل على قطع دابر الديانة القديمة وأصدر فى سنة ٤٣ بعد الميلاد أمرا بتحريم الديانة الدرودية وكل من تمسك بها كان جزاؤه الموت وطرد الطوائف الدرودية من الغلية فهربوا الى بريطانيا فسار وراءهم انتقام الامبراطور وعقابه فالتجؤا الى جبال الويلس واصكوطلنده وكان معقلهم الكبير الحصين فى جزيرة انكلزيا فهجم عليهم فيها القائد الرومانى (صوطونوس بولينوس) وقتلهم

ثم ان الهدو الذى كان عم الغلية اضمحل حاله فى سنة ٦٩ بعد الميلاد بثورة قامت فيها بالجيقة الغلية تحت قيادة (كلوديوس صقيليس) ونادى باستقلال مملكة الغليين وأجلس (يوليوس صابنوس) امبراطورا بزعم أنه من نسل القيصر يوليوس فأخمد الرومانيون هذه الثورة بعد وقوع أهوال شديدة وخضع صقيليس مع قومه ونالوا عفو الرومانيين وأما صابنوس فانه هرب مع زوجته وابنيه واختفى الاثنان فى مغارة تحت الارض لبثا فيها تسع سنين وأخيرا صار الكشف عليهما بمعرفة الرومانيين ووضع صابنوس فى السلاسل وأرسل الى رومة وقتل فيها وطلبت زوجته مع الشجاعة مقاسمته فى عاقبته فقطعت رأسها أيضا

وكان

وكان هذا آخر سعى حصل من الغليين فى عود حريتهم وأعقب هذا مدة طويلة استتب فيها الهدو وحصل فيها للاقاليم التقدم الزائد فى الرفاهية والحضارة واستحبرت عقول الامة الغلية وعكفوا على الرخاوة والبلادة وانعدمت منهم الشدة التى كانوا عليها فى مبادى نشأتهم وفى وقت من هذه المدة دخلت الديانة المسيحية فى الغلية ولا يعلم التاريخ الحقيقى لهذه الحادثة فمن المؤرخين من يقول ان القديس بولص وقت سفره الى اسبانيا مر من أرض الغلية وبذر فيها البذور الاولية للديانة المسيحية ومنهم من يقول ان دخولها كان بعد القديس بولص أما الاول من القولين فمنقوض لان الذى وصل الى الغلية فى سنة ١٥٥ بعد الميلاد كانوا جماعة من المبعوثين المسيحيين من آسيا الصغرى تحت رياسة (بوثنوس) و(ارنوس) من تلامذة القديس بوليكارب أسقف ازمير فنجحوا فى أشغالهم وغرسوا الكنيسة المسيحية غرسا محكما فوق أرض الغلية ومن بعد مضى عشرين سنة ابتدأ (مرقص عوريليوس) فى الجور القاسى على مسيحى الغلية وفى سنة ٢٠٢ بعد الميلاد جدد (سبطيموس سفروس) هذا البغى بحالة أقبح من الاولى فما حصل من هذه المساعى أدنى تضعضع فى الديانة الجديدة وتولد من كثرة موت الشهداء أسباب انتشار الديانة المسيحية وفى نحو سنة ٢٥٠ بعد الميلاد سفر (فابيان) أسقف رومة جماعة من المبعوثين الى الغلية وكانت هذه الطائفة تحت رياسة (دونوسيوس) المعروف باسم القديس دانيس و (ساطورنينوس) و (سطرومينوس) و (مرطياليس) و (طروفينوس) و (غراطيان) و (بولص) فأسس هؤلاء دورقسوسيات باريس ـ وطولوز ـ وكليرمونت ـ ولميورغ ـ وارل ـ وطور ـ وناربونه وهؤلاء الاساقفة ذاقوا الشهادة فى مدة سلطنتى فاليريان ودوقلطيان غير أن أشغالهم استمرت على ما كانت عليه بمعرفة خلفاء صادقين فمن ثم يمكننا أن نؤرخ من ابتداء عصرهم دوام الديانة المسيحية فى الغلية وفى افتتاح القرن الرابع تشيدت الكنائس فى كافة المدائن المشهورة من الايالة وفى القرن الرابع كانت الاختلافات بين القديس هيلارى أسقف بواطيير مع الخوارج الاريانية ونجح فى عدم انتشار هذا المذهب فى أوروبا وشيد القديس مارتين أسقف مذهب الرهبانية فى الغلية وانتشرت الديانة المسيحية فى أنحاء الايالة مع الثبات مع ما كان حاصلا من اجتهاد الامبراطورات فى دمارها ولما جلس قنسطنطين على التخت أسرع فى علو شأن الديانة فى الغلية

وكانت الغلية فى حالة كئيبة من عدم النظام وتحمل الآلام فى أثناء اضمحلال المملكة الرومانية فوقعت ثورة مهولة من الفلاحين فى مدة سلطنتى الامبراطورين مكسيميان ودوقلطيان فأخمدها مكسيميان

ولما عادت النظامات فى المملكة فى سنة ٢٩٢ بعد الميلاد صار تقسيم الغلية الى سبع عشرة كورة وعهدت ادارة كل كورة لنائب من النواب وعهدت ادارة جهات الغلية الى القيصر قنسطنطين كاوروس فجعل مقر حكومته العمومية فى مدينة ارل واشتغل بالمدافعة على الحد الرينى من الاغارات المستمرة الواقعة من الجرمانيين فى عبورهم هذا النهر والاغارة على جهات الغلية ومن بعد موته خلفه قنسطنطين ابنه الملقب بقنسطنطين الاكبر فهزم قبائل الفرنك شر هزيمة من بعد خرابهم الكورات الشمالية الشرقية وطردهم على أعقابهم الى جرمانيا فى سنة ٣١٠ بعد الميلاد وسار قنسطنطين على منوال أبيه فى حمايته المسيحيين وفى وقت ما صار امبراطور رومة جعل الديانة المسيحية ديانة المملكة

ثم هاج عقب موت قسطنطين حرب بين خلفائه كانت نتائجه ظفر قسطنطينوس وكان استحصل كل من قسطنطينوس وخصمه مغننطيوس فى هذا الحرب على مساعدة الجرمانيين القاطنين خلف نهر الرين فبمساعدتهم انتصر قسطنطينوس على خصمه غيرأنه من بعد غلاق الحرب رفض الجرمانيون حلفاء الامبراطور قسطنطينوس الرجعة الى بلادهم فأعطيت لهم الكور الكائنة فى حدود المملكة ثم ان الفرنك الصاليانيين قبضوا على جزائر بطافيه والقسم الاعظم من برابنت وهينولط وخربوا البلاد بالسيف والنار ونهبوا مدائن طريفس وكلونيه وميانسه وورمس وهدموها مع أربع وثلاثين مدينة عامرة زاهرة من مدائن الغلية فسفر قسطنطينوس جيشا من أجل خلاص الغلية تحت قيادة عمه يوليان فى أوائل سنة ٣٥٦ بعد الميلاد فهزم يوليان الجرمانيين فى كلونيه وسنس وطردهم نحو نهر الرين وأرغمهم على عقد صلح ثم عاد يوليان الى باريس واختارها مقرا لاقامته ووسع وأصلح هذه المدينة وابتنى فيها لنفسه سراية جليلة على الشاطئ الايسر من نهر السين مازالت آثارها موجودة لحد الآن وفى مدة اقامته فى باريس نادى الجيش باغسطوسيته أو امبراطوريته فى سنة ٣٦٠ بعد الميلاد

ولما مات يوليان ظهر الجرمانيون مرة ثانية على شواطئ نهر الرين فلاجل الظفر بهم بأى فائدة من الفوائد التزم الامبراطورات على استخدام عساكر من الامم المتبربرة بالاجرة ثم تولد من تقسيم المملكة فى مدة سلطنة اركاديوس وهنوريوس ضعف كبير كان سببا فى تقوية الجرمانيين وزادوا فى المضايقة على الحد الريني وفى سنة ٣٩٨ بعد الميلاد هجم الجرمانيون على مدينة طريفس عاصمة الغلية ونهبوها وخربوها فأرسل هنوريوس جيشا اليهم تحت قيادة (سطيلخو الاكبر) الا أنه ما كان لهذا الشجاع طاقة الاعلى صد تيار الغارات مدة من الزمن ثم بعد ذلك تحركت القبائل الهمجية الاسياوية مثل تيار بحر سريع الجريان نحو أوروبا الشمالية فكبست أمم هذه النواحى مع الشدة على المملكة الرومانية ومن هذا الكبس سار الجرمانيون نحو حدود الغلية فسد عليهم طريقهم أقاربهم وهم الفرنك الريو ريانيون وصاروا حلفاء رومة واستمروا على صداقتهم لها ودافعوا عن الحد الرينى ثم انهزموا شرهزيمة وفى ليلة ٣١ ديسمبر سنة ٤٠٦ بعد الميلاد عبر الجرمانيون نهر الرين وجاسوا خلال الغلية وجاء من بعدهم قبائل مع توالى الازمان وانتشر هؤلاء المغيرون على قسم عظيم من الغلية وحافظوا على استحواذه ولما بلغ الفرق العسكرية الرومانية الموجودة فى جزيرة بريطانيه اغارة الجرمانيين على الغلية نكثوا طاعتهم للضعيف هنوريوس ونادوا بامبراطورية الشجاع قسطنطين وكان معه المعتبرون من أتباعه وساعده البورغنديون والفرنك فوطنهم فى الاراضى التى تغلبوا عليها فى بلاد الغلية وصار قسطنطين بمساعدتهم سيد الغلية الجنوبية والوسطانية وهزم جيشا أرسله عليه هنوريوس من ايطاليا ثم بعد هذا أغار على اسبانيا وحاز بعض مظفرات فيها ثم انه من بعد سلطنته بثلاث سنين فارقته السعادة وهزمته قوى هنوريوس والتزم على تسليم نفسه من بعد أن ضمن له هنوريوس حياة نفسه ثم نكث هنوريوس وعده وقتل قسطنطين فى سنة ٤١١ بعد الميلاد فأعقب موت قسطنطين مدة كانت مشحونة بالارتباكات والفوضوية فى الاحكام غير معروف تاريخها بالكلية وفى أثناء هذه المدة غرس ثلاث أمم قوية من الجرمانيين أنفسهم فى الغلية وهم الامة الغوطية الغربية وطنت نفسها فى الجهة الجنوبية والامة البورغندية فى الجهة الشرقية وأمة الفرنك فى الجهة

الشمالية الغربية ثم علريق ملك الغوط الغربية مات في سنة ٤١٠ بعد الميلاد من بعد أن سلب رومة وأغار على ايطاليا وخلفه أخوز وجته ادلفوس أو عطولفوس وكان تزوج بلاصيديا أخت هنوريوس وكانت بلاصيديا أسيرة عند علريق فأحسن هنوريوس على ادلفوس بالاقاليم الجنوبية من الغلية وسيلة الى انجلاء الغوط الغربية من ايطاليا فعبر الغوط الغربية في الوقت جبال الالب وهزموا المدعين الذين جاؤا من بعد قسطنطين وأخضعوهم واستحوذوا على الاراضي التي أنعمت عليهم وفي سنة ٤١٨ بعد الميلاد عقدت معاهدة جديدة مع هنوريوس تحددت فيها حدود المملكة الغوطية الغربية تدخل فيها كافة كيطانيه الرومانية وكان ادلفوس مات قتيلا في سنة ٤١٥ بعد الميلاد وانتقلت مملكته لمن خلفه من دون انقطاع

وأما البورغنديون فانهم جاؤا في الغلية في أثناء الغارة الكبيرة التي وقعت في سنة ٤٠٦ بعد الميلاد واستحوذوا على الالساس ومن بعد مضي قليل أحسن اليهم هنوريوس باقليم الغلية الصيكوانتصيصيانية مكافأة على ما حصل منهم من هزمهم المدعي جوفنوس وقتله وحازوا بعض أراض أخرى وامتدت مملكتهم من بحيرة جنيفة الى (كوبلنطز) على نهر الرين وصار نهر الرون ونهر البيرا الحدين الفاصلين لمملكتهم من مملكة الغوط الغربية من الجهة الشرقية وحدهم الجنوبي البحر الابيض المتوسط وكانت ليون وجنيفه وباسل وأوطون ولنغر مدائنهم المشهورة ولبثت المملكة البورغندية التي وقع ترتيبها بهذه الحالة ما ينيف عن قرن ثم شربتها مملكة شرلمانية وكانت أمة الغوط الغربية والامة البورغندية متمسكين بالديانة المسيحية في مدة اقامتهم في الغلية ثم استحسنوا البدع والضلالات الاريانية

وأما الفرنك فانهم عبروا أسفل الرين كما ذكرنا الكلام عليهم في جرمانيا واستوطنوا الاراضي الكائنة بين هذا النهر ونهر الشلد والجبال الاردبانية وجعلوا أنفسهم بالتدريج أسيادا بلجيقه ثم زحفوا في اغاراتهم حتى وصلوا الى نهر السوم وفي سنة ٤١٣ بعد الميلاد تغلبوا على عاصمة طريفس الرومانية ونهبوها وكانت هذه هي المرة الرابعة ثم من بعد قليل تغلبوا على كلونية وعلى كامل الكورة المحصورة بين نهر الرين ونهر الموز وكان الفرنك مشكلين اتحادا مركبا من عدة قبائل أهلية أكبرها الصاليون ـ والريوريون ـ والصيكمبريون ـ والبراكطريون ـ والشمافيون ـ وأطلقوا اسمهم على الكورة التي تغلبوا عليها وسموها باسم فرانسية أي أرض الفرنك وصار الفرنك الصاليون أعظم قبيلة وكانوا هم المؤسسين لمملكة الفرنك

وفي مدة سلطنة (فلنطينيان) الثالث شرع القائد الامبراطوري عيطيوس في عود الحكم الروماني في الغلية فنال بعض علامات الظفر على الغوطيين الغربيين والبورغنديين والفرنك الصاليين وفي حالة ما كان على عمل مقصوده صدت تقدماته بغتة بظهور الهونزيين في الغلية تحت قيادة عطيلة وذلك أن الهونزيين عبروا نهر الرين في فبراير سنة ٤٥١ بعد الميلاد وخربوا المملكة من أي جهة توجهوا اليها وتغلبوا على متز عنوة وهدموها وزحف هؤلاء المتبربرون نحو الجهة الغربية قاصدين باريس فكان أهل هذه المدينة على شرف الفرار منها مما حل بهم من الفزع لولا أنهم تقووا بواسطة بنت من الفلاحين اسمها عنيفيقة صدتهم عن الفرار وحلفت لهم باسم خالق السموات والارض أن المتبربرين لا يأتون الاعلى منظر من أسوار المدينة فتحقق نبوءها بكون عطيلة حاد عن جهة باريس

وسار بعساكره نحو جهة نهر المرن فأكرم أهل باريس هذه البنت وصار لها ذكر جميل بينهم وسموها بالقديسة غنيفيفة واعتقدوا أنها الولى العظيم المحب المدافع عن مدينتهم ثم سار عطيلة نحو شالون فتبعه فى حركته عيطيوس وتفوتت عساكره بعساكر الغوط الغربية تحت قيادة ملكهم طيودوريق وكذا عساكر الفرنك تحت قيادة كلوديون وقد ذكرنا واقعة شالون وما حصل فيها من النتائج فى تاريخ جرمانيا فلا حاجة لذكرها هنا

وفى مدة سلطنتى (افيطوس - وماجوريان) كانت الغلية محكومة بوال اسمه (اغيديوس) من أشراف الرومانيين فكان محمود السيرة والاخلاق وشيد سلطنة مستقلة من رومة وراء جبال الالب وكان ملك الفرنك فى هذا الوقت شلدريق فلما غضب الفرنك على ملكهم خلعوه وعهدوا حكمهم الى اغيديوس ومن بعد مضى ثمان سنوات دعا الفرنك شلدريق مرة ثانية من دار نفيه فهاج الحرب بينهم وبين اغيديوس وأعادوا الاراضى التى كان أخذها منهم عيطوس وطردوا الرومانيين من باريس وألزموهم القهقرة نحو نهر اللوار ومات اغيديوس فى سنة ٤٦٥ بعد الميلاد وخلفه ابنه (صياغريوس) فجعل مدينة سواسون عاصمته وتسلطن على النواحى الموجودة على نهر الواز والسوم والمرن واسنى وفى مدة سلطنة صياغريوس سقطت المملكة الغربية الرومانية سقوطا لارجعة بعده فقر رامبراطور الشرق (ظنو) اللقب الملوكى الى عودوسير ملك الغوطيين فى ايطاليا وترك السعى فى بقاء الغلية قسما من ممالك الامبراطورية ثم مات شلدريق ملك الفرنك الصاليانية فى سنة ٤٨١ بعد الميلاد وخلفه ابنه كلوفيس الذى كان يبلغ من العمر خمس عشرة سنة فكانت هذه الحادثة مرعية بأنها أساس دولة فرانسا ومن هذا الوقت الى معاهدة فردون بعد سقوط مملكة شرلمانيا صار تاريخ فرانسا وتاريخ جرمانيا واحدا وحيث كانت فرانسا كما ذكرنا فى تاريخ جرمانيا تحت سلطنة الجرمانيين فقد سبق القول عن كلوفيس وخلفائه لحد تقسيم ممالك شرلمانيا فى تاريخ جرمانيا ولذلك طلب التفات القارئ الى الباب الاول والثانى من تاريخ جرمانيا المراجعة هذه الحوادث التى لالزوم لتكرارها هنا

الباب الثانى

من معاهدة فردون الى موت لويز التاسع

تخصيص فرانسا لشارلس الاصلع بواسطة معاهدة فردون - تشييد سلطنته - التدميرات التى وقعت من النورمنديين - تغلب شارلس على قسم من بورغندى - صيرورة شارلس امبراطورا - خلفاء شارلس - شارلس السمين - حصار النورمانديين باريس - شارلس البسيط - اعطاء النورمانيين جهة نورمندى مكافأة لوقوع الصلح - رولو - تنظيم واصلاح نورمندى - ضعف شارلس - لويز الازرق - تأسيس هيو أبو طقيه المملكة الفرنساوية - روبرت الناسك - طلاقه زوجته بأمر الكنيسة - دخول الحضارة الجنوبية فى فرانسا - الايقاظ الدينى - تشييد الكنائس - الظلم والجور الذى وقع على اليهود - هنرى الاول - القحط فى فرانسا - الهدنة الالهية - غليوم صاحب نورمندى - تشييده سلطنته على دوقيته - فيليب الاول - تغلب غليوم صاحب نورمندى على انكلتره - حرب بين نورمندى وفرانسا - منازعات فيليب مع الكنيسة -

الصليبيون ـ لويز السادس ـ توسيع المملكة الفرنساوية ـ تحرير الامم ـ النظامات المختلفة في القرى الواقعة في شمال فرانسا وجنوبها ـ تقدم الشوكة الملوكية ـ حروب لويز مع هنرى الاول صاحب انكلتره ـ لويز السابع ـ سفره لحرب الصليب الثانى ـ خيبته ـ طلاقه الملكة علنوره ـ زواجها هنرى أبو مقشه ـ صيرورة هنرى ملك انكلتره ـ منشأ العداوة بين فرانسا وانكلتره ـ فيليب أوغسطوس ـ زواجه ازابلا صاحبة هينولط ـ سياسته ـ حربه مع انكلتره ـ اتفاق فيليب وهنرى على الالتحاق بحرب الصليب ـ مساعدة فيليب في عصيان ريشارد قلب الاسد ـ حرب الصليب الثالث ـ حسد فيليب لريشارد ـ عود فيليب الى فرانسا ـ اتحاده مع يوحنا على ريشارد ـ اغنيس دوميران ـ حرب بين فيليب ويوحنا ـ مكسب فيليب ـ حرب الالبغنسيانيين ـ اغارة البرنس لويز على انكلتره ـ الحرب في لنغيدوق ـ موت فيليب ـ لويز الثامن ـ لويز التاسع ـ سلطنته الفخيمة ـ موته ـ تقديسه

سلطنة شارلس بن لويز

بواسطة معاهدة فردون تخصصت فرانسا بشارلس الاصلع فلما استلم مملكته الجديدة وجدها فى حكومة مطلقة فوضوية وعلى الخصوص صارت بريطانى واكيطانيه ولنغيدوق جميعها فى حالة استقلال ويلزم لها حروب طويلة صعبة من أجل انقياد أهلها الطاعته نوعا والظاهر أن التفاتات شارلس كانت مشغولة فى هذه المدة بالغارات الواقعة من النورمانيين أو رجال الشمال وهم همج نزلوا من قفر اسكنديناڤيه وجاسوا فى الاقاليم الظريفة من أوروبا وسفكوا فيها الدماء وخربوا البلاد وقطعوا السبل وكانوا وثنيين وعلى كراهة شديدة من الديانة المسيحية فكانوا لا يراعون عابدا ولا معبدا وهرعوا من الجزائر وقطنوا دانيمارقه ونرويج وقطعوا سبل بحر الشمال وجعلوا فرانسا احدى المقاصد الكبرى لغاراتهم فنجاهم سير قواربهم السريعة القذف فى المياه نهر قابل للملاحة فى فرانسا فكان لا يصدهم نوء البحار المكشوفة وكانت قوادهم حربيين وشعراء يشنفون أسماع أتباعهم باشعار بربرية مفزعة تختص بأعمال أجدادهم وكانوا وصلوا مع السرعة الى بوغاز جبل طارق وسلكوا طريق سلبهم سواحل البحر الابيض المتوسط وفى سنة ٨٤١ بعد الميلاد جاسوا شواطئ نهر الصين لحد الرون وأوقعوا فيها الخراب وفى سنة ٨٤٥ وصلوا باريس تحت قيادة قائدهم المشهور (روغنور لودبروغ) فترك شارلس عاصمته من دون أن يحافظ عليها فنهب النورمانيون المدينة وأموال كنائسها الثمينة ومعابدها ثم رضوا بعقد شروط مع شارلس واشترى منهم خروجهم من المدينة بمبلغ من الفضة قيمته ٧٠٠٠ ليره وفى سنة ٨٥٧ بعد الميلاد تغلبوا على باريس مرة ثانية وذبحوا من أهلها مقدارا وافرا ولما عادوا فى سنة ٨٦٢ بعد الميلاد قابلهم روبرت القوى بمقاومة شديدة وكان عينه شارلس كونت باريس والاقليم الكائن بين نهر السين ونهر لاوار ومع ما أجراه الكونت روبرت من المقاومات الشديدة فقد تولد من ضعف شارلس أن صار للنورمانيين طاقة على وقوع تلفيات مهولة فى فرانسا وفى سنة ٨٦٦ بعد الميلاد قتل الكونت روبرت فى محاربته مع رأس اللصوص هاستنغ المشهور

ثم ان الامبراطور لوطيرمات فى سنة ٨٥٥ بعد الميلاد تاركا أقاليمه الى أولاده الثلاثة ثم ان أحد هؤلاء الاولاد المدعو لوطير ملك اللورين مات فى سنة ٨٦٩ بعد الميلاد ومن حيث انه لا وارث له

كان يلزم نقل أقاليمه الى أخيه الاكبر الامبراطور لويس فانتهز شارلس الاصلع الفرصة من أجل توسيع ممالكه على مصاريف الوديرين وتغلب على الجهات الغربية الموجودة بين نهر الموز ونهر الشيد وهي كيمبورانيه بورغندى وقونتة ليون وفيانه ولما مات الامبراطور لويز فى أغسطس سنة ٨٧٥ بعد الميلاد انتهز شارلس الفرصة وأسرع فى عبور جبال الالب ودخل ايطاليا وأغوى البابا على الدخول فى أمره وتوجه بتاج الامبراطورية فى يوم عيد الميلاد فى سنة ٨٧٥ فنتج من ذلك حروب مع أخيه لويس الجرمانى الذى أغار على فرانسا فى سنة ٨٧٦ لكن موت لويس الذى حصل فى أغسطس من هذه السنة أنهى الحرب وفى سنة ٨٧٧ بعد الميلاد مات شارلس نفسه

سلطنة لويز الالكن — ومن بعد موت شارلس الاصلع خلفه ابنه لويز الالكن فتسلطن سنة ونصفا ثم مات فى سنة ٨٧٩ بعد الميلاد وترك تخته لولديه لويز الثالث وكارلومان فتسلطنا معا فأما لويز ففى شمال فرانسا وأما كارلومان ففى اكيطانيه وبورغندى وفى مدة هذه السلطنة عصى (بوصو) دوق بروفنسه صهر شارلس الاصلع وادعى لنفسه الملوكية وفصل دوقيته من فرانسا فى سنة ٨٨٠ بعد الميلاد وجعلها مملكة مستقلة باسم بروفنسه وجعل عاصمته مدينة ارل ولبثت هذه المملكة منفصلة على حدتها ماينوف عن قرن ونصف ومات لويز فى أغسطوس سنة ٨٨٢ بعد الميلاد من بعد أن هزم النورمانيين هزيمة فاصلة مع قائدهم هاستنغ فى صانكورط بالقرب من ابيفيل ومات كارلومان من بعده سنة ٨٨٤ بعد الميلاد ولما كان الوارث للتاج مباشرة طفلا صغيرا منح الاشراف تاج سلطنتهم على الامبراطور شارلس

سلطنة شارلس السمين — السمين ابن لويز الجرمانى وفى هذه الحالة انضمت تقريبا ممالك شارلمانيه فى سلطنة واحدة تحت حكم واحد من ذريته وفى سنة ٨٨٥ بعد الميلاد حاصر النورمانيين تحت قيادة قائدهم الشهير المعروف برولو باريس بقوة كثيفة فقاومت المدينة أشد مقاومة هجمات المتبربرين النورمانيين تحت قيادة عوديس بن الكونت روبرت القوى ثمانية عشر شهرا ثم من بعد زمن طويل تحرك شارلس من جرمانيا لخلاص باريس لكن عند وصوله ضواحى المدينة رضى نظرا لضعفه أن يشترى انسحاب النورمانيين بمبلغ ٧٠٠٠ ليره فغضب سكان المملكة من ضعف شارلس وعدم أهليته لحكم المملكة وخلعوه

سلطنة عوديس — فى سنة ٨٨٧ بعد الميلاد ثم ان أشراف فرانسا قدموا تاج مملكتهم للكونت عوديس المدافع عن باريس معترفين له بالشكر على ماأداه من جليل خدماته وكان عوديس صار بوظيفه فى سابق الامر دوق فرانسا بمعرفة شارلس السمين فتقررت سلطنته ملكا فى انحوالأنها ماتقررت فى اكيطانيه بل كانت مجرد اسم فقط فى الاقوار الجنوبية فانضم حزب كبير مع شارلس البسيط آخر الموجودين على قيد الحياة من الكارلونغيانيين من البيت الملوكى ومن بعد حروب قصيرة تنازل عوديس من فضله الى خصمه الشاب عن سلطنة الاقاليم الكائنة بين نهر السين ونهر الموز وفى وقت موته فى سنة ٨٩٨ بعد الميلاد أوصى البارونات الذين عنده بطاعتهم مع خلاص نيتهم الى شارلس البسيط وخلف روبرت أخو عوديس على وظيفته دوق فرانسا وانتقل التاج على حسب رغبته ووصيته لشارلس البسيط وكان موت عوديس فى ٣ يونيه سنة ٨٩٨ بعد الميلاد

سلطنة شارلس البسيط — وماذكر كتاب ذلك العصر شيأ فى الاربع عشرة سنة الاولى من سلطنة شارلس البسيط الاماكان من اغارات النورمانيين الهمج على السكان المغيرين عليهم فى نواحى فرانسا وفى غلاق هذه المدة المرتبكة حصلت حادثة مشهورة وهى أن رولو الرئيس النورمانى أحاط بمراكبه على سواحل فرانسا

فى سنة ٨٩٩ بعد الميلاد وبما حصل منه من المشروعات الكبيرة فى سنة ٩١١ بعد الميلاد صار صاحب سلطنة عظيمة بين أقرانه ولما عاد من غزوة نجح فيها فى انكلتره بذل مجهوده وجمع عساكره وحاصر مدينة باريس وهزم الفرنساويه فرقة من عساكره أمام مدينة شارطريس فما كانت هذه النصرة الا سببا فى زيادة غضب رولو فبطش بطشا زائدا وانتقم من أهل البلاد انتقاما شديدا ولما صار لا طاقة لشارلس على ملتقى هذا العدو فى الميدان قدم اليه ابنته مع قطعة واسعة من أرض المملكة لعله يرضى و يبعد عما هو حاصل منه من الدمار فيما بقى من المملكة فكانت الاراضى التى أعطيت لرولو كافة نوسطريا الساحلية ومع أن التنازل عنها كان بعد العشائر الهمج الذين منحت لهم الا أنها كانت فى الحقيقة غير مقبولة عند الفرنساويه فانه آل أمرها الى أن صارت صحارى قبيحة غير قابلة للزراعة حتى رأى رولو أنه من الضرورى له أن يطلب فى الشروط المعطاة فى حقها ان السكان المستجدين الذين يقطنون هذه الاراضى تأتى لهم مواد الغذاء من طرف الموردات جيرانهم وحصل من هذا الحربى صعوبة خفيفة وقت طلب دخوله وأتباعه فى الديانة المسيحية اما من همجيته أو من جهة لان النورمانيين على عداوة شديدة لاهل الديانة المسيحية بسبب ما كانوا عليه من أباطيل الخرافات الاسكنديناقية وبمجرد ما تقلد زمام الدوقية أمر بان يؤدى رسوم واجبات الاحترام للملك حسب عادة ملتزمى الاراضى لاسيادهم ونبه القسس رولو أن يلثم أقدام سيده فقام الغضب فى وجهه ونفر من مثل هذا الذل وقال والله لا يكون ذلك أبدا أفهل أركز وألثم أقدام رجل أخى ثم لما صار حضه على ذلك أمر واحدا من أتباعه يؤدى هذا الاحترام بالنيابة عنه فقبض البربرى من عدم معرفته أو مسخرة بالملك على أقدام الملك قبضة شديدة حتى ارتج الملك ووقع من فوق تخته فضحك النورمانيون من هذه الحركة وحصل عند الاشراف الفرنساويه شدة الغضب فى قلوبهم مما حصل من الوقاحة بهم وتحملوها وتزوج رولو ابنة شارلس وجعل عاصمته رووان ولما انتفع رولو وأتباعه بهذه الاراضى منع ما كان حاصلا من أهل بلاده من التعدى على أهل فرانسا ومن ثم حفظت فرانسا من تأثير شدة الاهوال التى كانت حائقة بها من هذه الجهة وحضر رولو الى جرن المعمودية فى رووان فى وسط شعائر أهل المدينة وكان روبرت أخا الملك السابق عوديس وابن روبرت القوى وحامل لقب دوق فرانسا مع رولو وتولى معمدته فى الجرن وصار اشبيناله ومن بعد أن منح عطايا ثمينة على كنائس أقاليمه فرق ما بقى من أراضيه على أتباعه على حسب نص شروط الالتزامات الجارية وصار أحد رجال الدولة الفرنساوية الاكثر نفعا وكان حاكما مدبرا ماكينا بارعا فى أعماله أخذت نورمندى تحت حكمه (الاراضى التى أخذها رولو عرفت باسم نورمندى) فى سرعة التقدم حتى بلغت أقصى درجة الفلاح وأعاد بناء الكنائس التى كانت خربت وسور المدائن وأحكمها والتفت الى زراعة الاراضى ونشر العدل بحالة منتظمة وأعاد الى بلاده ما فقدمنها من الراحة وخصوبة الاراضى واختار قومه وعشيرته لسان الامة الفرنساوية القاطنين فى وسط أهلها وكان عصر رولو فى نوسطريا مشتملا على أكبر الحوادث التى اشتهر بها القرن العاشر فى تاريخ فرانسا وفيه عادت شجاعة وشباب فرانسا من بعد اضمحلال استمر نحوا من ثلاثمائة سنة

وأخذ ضعف شارلس البسيط وعدم تدبيره فى الزيادة سنة بعد سنة فكانت الحكومة جميعها فى يد وزيره هغنون رجل دنىء الاصل فاستعمل قباحته وشراسة أخلاقه فى تنفيذ شوكة نفسه حتى تولد من

ذلك غضب أشراف الامة وقاموا في ثورة جهرة تحت قيادة روبرت أخ الملك عوديس السابق وكان كونت فرانسا وانهزم شارلس وهرب الى اللورين مع هغنون وتتوج روبرت ملكا في رهيم سنة ٩٢٢ بعد الميلاد فاجتهد شارلس في عود تاجه ثانيا ووقعت بينهما واقعة سافكة في نواحي سواسون قتل فيها روبرت الا أن شارلس انهزم شر هزيمة في يونيه سنة ٩٢٣ بعد الميلاد ثم صار انتخاب رودلف صاحب بورغندي خليفة روبرت ومن بعد جلوسه اجتهد شارلس البسيط في عود تاجه وأغرى هربرت دوق فرمندواز شارلس المنكوس على الحضور عنده في أرضه ووعده بالمساعدة فلما وصل شارلس الى جهته هربرت قبض عليه هربرت وسجنه وهربت ملكته الغيفا الى انكلتره مع ابنها لويز الذى تلقب من هذا الوقت بلويز الازرق والتجأت عند أخيها عطلستان ملك الانكليز الصكصونيين وتولد من سوء تدبير شارلس البسيط واغتصاب رودلف التخت صيرورة فرانسا في حالة فوضوية وصار كل لورد ملتزم ملكا في حد نفسه في أرضه وبلاده القائم فيها وكان هيوس الابيض كونت باريس وهربرت صاحب فرمندواز أكثر شوكة وأشد بأسا من هؤلاء فلما غضب هربرت من طريقة أجراها رودلف بتوزيعه بعض اقطاعات ليس لها أرباب وانقضت آجالها أفرج عن أسيره شارلس البسيط وقام بالسلاح على رودلف فتوسط هيوس كونت باريس في الصلح بينهما فترك هربرت أمر شارلس وتجرد شارلس عن كافة ما كان فيه من النعم فكان عدوه رودلف يصله ببعض احسانات وما زال في مهنة رودلف حتى مات في أسر هربرت في مدينة بيرونه من أعمال فرمندواز في اقطوبر سنة ٩٢٩ بعد الميلاد

سلطنة لويز الازرق

ثم لما مات رودلف في سنة ٩٣٦ بعد الميلاد أعاد كل من هيوس دوق فرانسا الكبير والدوق هربرت صاحب فرمندواز والدوق غيليوم أبو سيف طويل صاحب نورمندي لويز الملقب بالازرق من دار النفي وأجلسوه على التخت ثم من شدة ميله الى الاستقلال خاف هيوس على سلطته خوفا شديدا ألجأه على نكث طاعته وأعلن بعبوديته الى أوطو الاكبر صاحب جرمانيا وتبعه في سيره دوق نورمندي وبعض من أكابر الاشراف ثم أغار ملك جرمانيا على فرانسا وخفض لويز الى أدنى الدرجات بالرغم مما أجراه من المدافعة الشديدة على تاجه وأخيرا في أثناء هذه الارتباكات سقط لويز عن حصانه سقوطا كان سببا في موته في سنة ٩٥٤ بعد الميلاد

سلطنة لوطير بن لويز

ثم منح هيوس الاكبر الحاكم الحقيقي لفرانسا التاج على لوطير بن لويز ومن بعد مضى سنتين أى في سنة ٩٥٦ بعد الميلاد مات هيوس وخلفه في كونتية باريس ودوقية فرانسا ابنه الاكبر هيوس أبو طقية ولقب بذلك بسبب أنه كان اعتاد لبس طقية قسيس حتى انه من بعد أن جلس على تخت فرانسا من بعد مضى سنين كان يلبسها أيضا وبموت الامبراطور أوطو الاكبر سعى لوطير في استرجاع مقاطعة اللورين له لكن كسر سعيه أوطو الثاني الذى أغار في سنة ٩٧٨ بعد الميلاد على فرانسا بجيش مؤلف من ٦٠٠٠٠ عسكري وعسكر أمام باريس (وكان المدافع عنها هيوس أبو طقية) لكن نظرا لاقتراب فصل الشتاء انجبر الامبراطور على الرجوع الى جرمانيا وعقد صلحا في سنة ٩٨٠ بعد الميلاد تنازل فيه لوطير عن دعواه فيما يتعلق باللورين ضد مشورة هيوس أبو طقية ومرغوب الامة الفرنساوية ثم مات لوطير في سنة ٩٨٦ بعد الميلاد وخلفه ابنه لويز الخامس الملقب بالبليد وهذا تسلطن مدة قصيرة جدا ومات في شهر مايو سنة ٩٨٧ بعد الميلاد وبموته انقرضت

سلطنة لويز الخامس

العائلة

العائلة (الكارلونغيانية) من فرانسا وصرف أشراف فرانسا النظر عن شارلس دوق اللورين الاسفل أو (برابنطه) الاخ الوحيد للوطير بسبب ما كان عليه من الخصال الذميمة ومنحوا التاج على هيوس أبي طقية فى أول شهر يوليه سنة ٩٨٧ بعد الميلاد فى رهيم

سلطنة هيوس أبوطقيه

وكان جلوس هيوس أبوطقية على تخت فرانسا مبدأ التاريخ الحقيق للسلطنة الفرنساوية وكان جلوسه على التخت مرعيا عند الامة الفرنساوية أنه ظفر على كل ما كان معتبرا عندهم من سلطنة البيت الكارلونغيانى بسبب أنهم كانوا يعتبرون سلطنة هذا البيت حكومة أجنبية واستمرت العائلة التى أسسها هيوس أبوطقية فى سلطنة فرانسا من دون انقطاع وارث الى حصول الثورة فى فرانسا فى القرن الثامن عشر فتسلطن هيوس مدة ٩ سنين أثبت فيها لنفسه قدرة وفطانة كما كانت السنوا الاولى من سلطنته مرتبكة من مساعى شارلس صاحب اللورين للاستحصال على التخت لكن كانت هذه المساعى على غير طائل نظرا لما كان من سلطة هيوس من قوة الاساس وأخيرا وقع شارلس فى الاسر ومن بعد مضى بضع أشهر مات فى السجن فى سنة ٩٩٢ ميلادية واجتهد هيوس فى توطيد نفسه بأشداء الاشراف القاطنين فى الجهة الجنوبية من فرانسا ودام على استحصاله مساعدة الكنيسة له بانعامه على الاساقفة بالاملاك ذات الثروة وأعاد على الديورة الموجودة فى أنحاء المملكة امتياز الانتخاب الحر وكان ألغى من عهد سلطنة شارلس الاصلع ثم مات فى عاصمته فى السنة السابعة والخمسين من عمره فى ٢٤ اقطوبر سنة ٩٩٦ بعد الميلاد تاركا مملكته فى حالة الهدو والسكون

سلطنة روبرت الناسك

وجلس من بعده ابنه روبرت الملقب بالناسك على تخت المملكة فى حالة أمن وكان روبرت الناسك يبلغ من العمر أربعا وعشرين سنة فى وقت جلوسه على تخت أبيه وكان تلميذ الشهير غربرت الذى صار فيما بعد البابا (صيلفستر الثانى) فنال منه أجل التهذيبات وكان على دراية تامة من فن الموسيقى وقضى زمنه فى نظم الشعر وفعل الخير والصدقات وكانت طبيعته تميل الى ذلك مع المحبة الزائدة

ثم ان روبرت تزوج برثة ابنة عمه وبما أن هذا الزواج كان من محرمات الكنيسة وضع البابا جريجورى الخامس المملكة تحت الحجر الكنائسى ومن بعد أن صرف روبرت بضع سنين فى أعمال ضد سلطة دار القسوسية اجبر أخيرا على ترك زوجته الصادقة المحبوبة لكى بذلك يرجع لرعيته السرور والفرح العائد عليهم من واجباتهم الدينية وكانوا حرموا منها مدة الحجر

وفى سنة ١٠٠٦ بعد الميلاد تزوج روبرت الناسك كونسطنسة ابنة كونت طولوز وكانت عاتية شامخة الطبع حاكمة عليه بمقامع من حديد وكثرت حكايات الوقت فى حقها وفيما كان واقعا منه من الصبر على أذاها فكان حبه لها مغطيا على كثير من قباحتها وجلبت لخدمتها فى سرايتها الجم الغفير من أصحاب الرق والجمال من جهات اكيطانيه فأدخل هؤلاء ظرافة وتمدن الجهات الجنوبية فى الاقاليم الشمالية

وفى هذا الوقت دخل فى الناس وهم واعتقدوا اقتراب الساعة وقيام القيامة وانتشر هذا الاعتقاد فى أقطار الدنيا المسيحية وكان له وقع كبير فى جهات فرانسا فان الناس اضطربوا فيها وصاروا جميعا فى حركة كبيرة وانضموا لبعضهم وشرعوا فى اعادة الكنائس والمعابد وتنظيمها من بعد اصلاحها وبنوا مبانى جديدة ديانية للعبادة فكانت هذه الحركة مبدأ حركة المبانى البديعة الشكل فى مدة القرون الوسطى

وعمت هذه المبانى أوروبا وغطت أرضها وزخرفت بأنواع النقوش الظريفة بحسن نية واخلاص طوية فكان من هذه المبانى الجسيمة والهياكل الفخيمة معبد القديس مارتين فى مدينة طور والكنيسة الظريفة التى أقيمت للقديس اغنان فى مدينة أورليان وكنائس أخرى شيدت فى جهات غير هذه بديعة الشكل فى عصر سلطنة روبرت الناسك

وفى أثناء ما كان عليه الناس من هذه الحمية الديانية وردت الاخبار فى فرانسا بان الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى صاحب مصر والشام انتهك حرمة قبر المسيح فى مدينة أورشليم وخربه فاشتبه الناس فى اليهود أنهم هم الذين أغروه على فعل هذه البدعة الشنيعة فأغاروا عليهم فى كافة الممالك خصوصا فى فرانسا وقتلوا منهم مقاتل جمة شنيعة المنظر ووقعت عليهم الاغارة فى نواحى سنس من طرف الملك روبرت فى سنة ١٠١٦ بعد الميلاد

ثم ان السنين الاخيرة لروبرت تعكرت بثورات أولاده الذين انساقوا الى العصيان بمعرفة والدتهم كونسطنسه فأوقع عليهم روبرت محاربة دموية فى بورغندى كانت نتيجتها أن جبروا على الانقياد ولكن ما حصل للملك من بعد هذه المحاربة أدنى انتظام من الضربة التى وقعت عليه من هذه الحادثة الغير طبيعية فحصل له فى الحال مرض شديد بعد الصلح ومات فى قلعة ميلون فى سنة ١٠٣١ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن ٣٥ سنة

سلطنة هنرى الاول

ثم سعت كونسطنسه فى تنصيب ابنها الاصغر روبرت محبوبها على تخت المملكة وصرفت النظر عن حقوق ابنها الكبير هنرى فلذلك وقعت المملكة مرة ثانية فى حرب داخلى ونالت الملكة من عود بس كونت شمپانية جليل المساعدة حتى انجبر هنرى على طلب المساعدة من الدوق روبرت صاحب نورمندى فساعده روبرت الملقب بالشيطان نظير الخسارة وطياشته مدة هذا الحرب حتى جبر هنرى أمه على الخضوع ثم ان هنرى حال تسوية أمور المملكة أنعم بدوقية بورغندى على أخيه روبرت واستمرت هذه الدوقية فى حوزة ورثته مدة تنوف عن ثلاثة قرون ثم حصل عند كونسطنسة الغم والكدر من انهزامها فماتت فى ميلون فى سنة ١٠٣٢ بعد الميلاد وتنازل هنرى للبرنس روبرت صاحب نورمندى نظير مساعدته له عن غيسور ـ وشومنت ـ وپونطواز ـ وجميع الاقليم المسمى فكسين الواقع بين الواز وابت فمن هذا الانعام امتدت حدود نورمندى الى بعد ٣٠ ميلا من باريس وفى نحو هذا الوقت عم المملكة قحط مخيف تسلطن ثلاث سنوات فى أنحاء فرانسا وكان سباقا فى وقوع مصائب شديدة على المملكة فقامت الكنيسة وأجرت الطرق اللازمة فى ابعاد هذه الكروب ومنع الحروب الخصوصية ونادت بالهدنة الالهية السابق التعبير عنها فى تاريخ جرمانيا ومع أنه ما صار التشديد فى تقوية هذه الهدنة الا أنه ما صار الغاؤها وتلطفت بها مصائب الحروب الخصوصية نوعا وتولد من مساعدة تقدم الزراعة والتجارة ووضع أعمالها تحت حمايات مخصوصة تأثير شديد فى عود النظام العام والاعتماد التام

ولما تمم روبرت الملقب بالشيطان صاحب نورمندى بانه استحصل على تاجه بقتله أخيه الاكبر ريشارد الثالث أقام روبرت الحجة على هذه التهمة بعد بضع سنين وبعد أن أكره دوق بريطانى على أن يكون عبدا له بتوجهه الى زيارة بيت المقدس فجعل ابنه غليوم وكان غير شرعى خليفته من بعده فى حالة عدم رجوعه الى مملكته فقبل البارونات هذا الانتخاب وحلفوا يمين الطاعة الى الدوق الصغير

البالغ

البالغ من العمر سبع سنوات ثم ان روبرت قام الى الحج ووصل أورشليم ولكنه مات حال عوده في مدينة نيخيا من أعمال بسينيا في سنة ١٠٣٥ بعد الميلاد ولما بلغ بارونات النورمانيين خبر وفاة دوقهم رفضوا تقرير غيليوم بقولهم انه ولد غير شرعي فتعاضد غيليوم من أول الامر بهنري ملك فرانسا لكنه ما أسرع أن حول الملك سلاحه ضد الدوق الصغير وانتشب الحرب بينهما فأوقع غيليوم على الملك هزيمة فاصلة في مدينة (مورتيمر) في سنة ١٠٥٨ بعد الميلاد ثم بالنصرة التي نالها في فراقيل جبر هنري على عدم الدخول في أعمال نورمندي وشيد غيليوم سلطنته مع الاحكام على دوقيته ومات هنري الاول في أغسطس سنة ١٠٦٠ بعد الميلاد وخلفه على التخت ابنه الاكبر فيليب من زوجته الثالثة الروسيانية وحيث كان فيليب الاول في هذا الوقت صغيرا يبلغ عمره ثمان سنوات بوشرت أعمال المملكة بكل حزم في مدة السبع سنين الباقية بمعرفة وصيه بولدوين الخامس كونت فلندره وكان أيضا عمه ونظرا لوفاة بولدوين في سنة ١٠٦٧ بعد الميلاد ترك فيليب وان لم يبلغ خمس عشرة سنة سيد نفسه وكان اكتسب الحذاقة وحسن التعاليم الا أنه كان يميل من صغره الى التنعم والرفاهية والخلاعة حتى صار هذا من دأبه فبينما كان صغيرا شرع غيليوم صاحب نورمندي في حملته المشهورة التي صيرته سيد انكلتره ولكن قبل العزم عليها زار غيليوم سيده الشاب في سنت جرمان والتمس مساعدته فاغوى مستشار والملك وقوابه الملك في عدم قبول طلب غيليوم خيفة من أنه اذا نال الظفر يكون له جار قوي الشوكة واذا خاب في مشروعه تكون فرانسا عرضة لعداوة ظاهرة مع انكلتره ومع ضعف عزم غيليوم من هذا الرفض أجرى مشروعه وكان متوجا بالظفر والنجاح ولما فتح انكلتره صار تتويجه ملكا في وستمنستر في يوم عيد الميلاد من سنة ١٠٦٦ بعد الميلاد

سلطنة فيليب الاول

فتولد من انضمام التاج الانكليزي الى التاج النورماني أن صار غيليوم ملكا أقوى في الشوكة من فيليب سيده فوقع من ذلك الحسد في قلب فيليب حتى انه في سنة ١٠٧٥ بعد الميلاد برز الى الميدان ضد غيليوم مساعدا العلان دوق بريطاني وبجمع قوته على قوة علان أكره غيليوم على رفع الحصار الذي كان على (دول) وتهقرته بخسارات جسيمة ومن بعد مضي قليل قام روبرت الابن الاكبر لغيليوم في ثورة ضد أبيه فقواه فيليب على عصيانه وكان روبرت المذكور مجبرا حروبا منفردة داخل نورمندي لعدة سنين لكن كانت على غير طائل واستمر غيليوم مدة طويلة متحملا تعديات فيليب بصبر خارق للعادة وأخيرا عزم على ايقافها وطلب من فيليب ارجاع اقليم فكسين الذي أعيد للملكة في بحر شبوبيته فعند ما رفض فيليب هذا الطلب زحف غيليوم على الاقليم الحاصل عليه النزاع واستحوذ بطريق الهجوم عنوة على (مانطيس) وأحرقها ولكنه في هذا الوقت سقط عن حصانه في وسط خربات المدينة فحصل له ألم شديد ونقله أتباعه الى رووان ومنها الى درسنت غرفيس القريب من تلك المدينة ومات هنالك بعد مضي ست أسابيع في ١٠ سبتمبر سنة ١٠٨٢ بعد الميلاد

وتولد مما كان عليه فيليب من فساد الآداب أن جلب على نفسه المنازعة مع الكنيسة وذلك أن ايراده الخاص كان غير كاف لمصاريف حظه فشرع في زيادة هذه الايرادات ببيعه الوظائف الجليلة والرتب الاخرى المخصوصة بوظائف الكنيسة وكان جريجوري السابع في هذا الوقت هو الجالس على كرسي البابوية فلما بلغه ما فعله فيليب من بيع الوظائف الكنائسية امتلأ بالغضب وخير الملك بين أمرين اما أن يكف عن مشروعه واما أن يوقع الحجر الكنائسي عليه ويخلعه من

سلطنته نخاف فيليب واختار الكف عن بيعه الوظائف وانقاد مدة ما للامر الباوى ولما اشتبك جريجورى فى منازعات مع هنرى الرابع فى شأن بيع الوظائف أيضا عاد ملك فرانسا العادته القديمة فرأى البابا أن الاحسن له التباعد عن المنازعة معه وفى سنة ١٠٩٢ بعد الميلاد حبس فيليب زوجته برثه الطيبة وكانت خلفت منه جملة أولاد فى قلعة مونطريل لكونه غضب منها وفى هذه السنة أخذ لنفسه بطريق الاغراء (برطريده دو منطفورت) زوجة قونت انجو وكانت أجمل نساء المملكة فأخذت برطريده على الملك عهدا باشتراكها معه فى التخت وعقد فيليب عقد الزواج عليها بواسطة أسقفين من الكنيسة فقام الكونت صاحب انجو زوج برطريده وكونت فلندره زوج أم الملكة برثه بالسلاح على فيليب ثم حصل اطفاء هذا الضرر وتولته الكنيسة بنفسها وفى سنة ١٠٩٤ بعد الميلاد وضع الحجر الكنائسى على الزوجين (الحجر الكنائسى هو الارتداد عن الدين وأن لا يكون للانسان الواقع عليه الحجر نصيب فى العبادة الكنائسية المسيحية بصفة أنه خرج منها وصار مطرودا من الديانة المسيحية والمسيح برىء منه) ومنع فيليب من استعمال بيارق الملوك حتى يترك برطريده ويتوب من ذنبه ثم ان فيليب الذى ما كان يفتكر الا قليلا فى تحريمات البابا رغب أن يحافظ على تخته بخضوعه ظاهر البابا الذى ما التفت الى أعماله فاستمر فيليب مع برطريده وتوجها الملكة فى طرابو وخلفت منه أربعة أولاد ما حصل الاقرار عليهم بأنهم شرعيون وفى أثناء ذلك ماتت الملكة برثه فى سجنها فى مونطريل مكسورة القلب وما تولد من هيجان مبادى الحروب الصليبية كان سببا فى بعد الملك عما كان عليه من العيشة الخصوصية والتفت الى الاشتغال مع الغيرة بخلاص أورشليم وسمح له البابا ببقائه مع برطريده بدون أدنى كدر الى نهاية عمرهما

وأما أصل وحوادث الحروب الصليبية فسنذكرها ان شاء الله فى محل آخر من هذا الكتاب وما كان فى فرانسا حوادث ذات أهمية بعد سفر الجيش الاول الى حرب الصليب حيث صارت العيون شاخصة الى الارض المقدسة وعم فى فرانسا الهدو والسكون

سلطنة لويز السادس

ومات فيليب الاول فى سنة ١١٠٨ بعد الميلاد بعد أن جلس على كرسى المملكة ٤٧ سنة وخلفه ابنه لويز السادس الملقب بالسمين نظرا لضخامته وكان لويز أمهر وأجود ملك ما جلس على كرسى فرانسا مثله قبله وفى وقت تتويجه كانت الاراضى التى تقرر عليها املاكا محتوية على خمس مدائن هى باريس ـ وميلون ـ واسطامبس ـ وأورليان ـ وسنس وبعض جهات أخرى كانت مفصولة عن بعضها بمعاقل وحصون تابعة للاشراف فكانت هذه المعاقل قاطعة خط المواصلة بينهم وكان أهلها يقبضون على المارين والمسافرين ويودعونهم فى سجون لا طاقة لهم على الخلاص منها الا من بعد دفع مبالغ جسيمة فداء أنفسهم وكان قانون النظام تحت أقدام هؤلاء اللصوص قطاع السبيل فكان لا يوجد فى أى جهة من المملكة ما يقال له أمن وكان أول شغل أجراه لويز السادس ابطاله هذه الاحوال وتعاون على تمام مقصوده بتشجيعه الاهالى فى الانضمام مع بعضهم ومقاومة البارونات أرباب الهياج والثوران وعين لويز وزيره الاول صوغير رئيس أساقفة دير سنت دينس وكان معه فى صداقة تامة فحض هذا الوزير الكنيسة على مساعدتها الملك والامة مساعدة قلبية يكون لها تأثير فى مقاومتهم الاشراف فكانت نتيجة هذا الحرب الذى لبث ثمان سنوات ما يقال له فى تاريخ فرانسا (تحرير المقاطعات) ولما تقوت المقاطعات بالملك انضمت الى بعضها للمدافعة ضد ملتزميهم

وأرغموهم على أن منحوهم وحدة توطيد الحرية الشخصية وحقوق الامتيازات العالية فى التداخل فى النظامات السياسية حتى صارت العوام أو الطائفة الثالثة من سكان المملكة احدى الطوائف الكبيرة وصدّت شوكة كبار الملتزمين ومع أن معظم هذا الحركة كان منسوبا الى لويز الا أنه ما أجرى تنظيمها بل كان الشغل جاريا فيها بمعرفة التبعة من أهل المدائن من أجل المدافعة عن حقوق الملكية وتيسر الحصول على امتيازات التجارة وجعل لويز نفسه فيها حاميا على النظام العام فازال المضار وأصلح ما كان واقعا من العيوب ووطد سلطة التاج فوق رؤس عبيده وكان أغلبهم نكث طاعته ورتب هيئة الحكومات الداخلية فى جهات فرانسا الشمالية والجنوبية فأما المدائن الجنوبية فانها ما فقدت امتيازاتها الداخلية التى منحها الرومانيون اياها بل تقرر لها فى هذه الحالة حقوق انتخابها نوابها وتحشد أهلها تحت السلاح فى شأن النظام العام وأما فى الجهات الشمالية فكانت حرية المدائن تابعة على العموم للسيد الملتزم وكان يوجد درجة ثالثة من المدائن منحتها أسيادها الملتزمين درجة الحرية الشخصية والامنية على الاملاك وبعض امتيازات تجارية الا أنها ما كانت حائزة درجة حق امتياز انتخاب نوابها أو التداخل فى تشكيل حكومة لنفسها ومن صيرورة النظام فى المقاطعات زادت الشوكة الملوكية فكان الملك يفصل بين الاشراف والامة وكل من الطرفين يراعى قراره أنه نهائى ومن هنا صار هو المنظم للدولة وصاحب الشوكة السائدة فى المملكة وطلب الكثير من المدائن وأولادها دفع مبالغ سنويا على وجه التقسيط للخزينة الملوكية لتستعد فى قوة عسكرية ثابتة تحت طلب الملك ولما تيسر الحصول للملك فرانسا على تمام هذا المرغوب صار له طاقة على توسيع ممالكه وتنفيذ أحكامه على العصاة من عبيده وبواسطة صوغ بر ومشورته حكم لويز مملكته مع غاية الاحكام حتى انه أعاد شوكة التاج ونجاح المملكة ووسع ممالكه عما كانت عليه حدودها القديمة الاصلية

وكانت سلطنة لويز السادس مشهورة بعدة حروب منها أن روبرت صاحب نورمندى حال عوده من الارض المقدسة قبض عليه أخوه هنرى الاول صاحب انكلتره وسجنه سجنا مؤبدا فى قلعة كرديف فهرب ابنه غيليوم كليتون من تتبع هنرى اياه واستغاث بلويز صاحب فرانسا فى أن يملكه دوقية نورمندى التى كانت تعلق أبيه فلبى لويز الطلب ووقع حرب مع هنرى استمر عدة سنين ثم انه بقتل غيليوم فى سنة ١١٢٨ بعد الميلاد زال النزاع الذى كان بين فرانسا وانكلتره ثم ان هنرى لاجل تقوية نفسه زوّج ابنته الوحيدة الامبراطوره ماطيلده الى جيوفرى أبو مقشه وكان أكبر أولاد فولكى الخامس كونت انجو المتسلطن فكان هذا الزواج حركة مكر لانه فى سنة ١١٢٩ بعد الميلاد ترك فولكى أقاليمه وسافر الى الارض المقدسة فمن ثم جلب احدى موقع فرانسا المهمة تحت نفوذ التاج الانكليزى ومات هنرى الاول فى سنة ١١٣٥ بعد الميلاد وخلفه على التخت الانكليزى اصطفان صاحب بولونيه فطلب هذا أيضا نورمندى فوقع بينه وبين أبو مقشة التنازع فى أمر هذه الدوقية فى تطهير حقوق زوجته ومن أجل هذا وقعت واقعة دموية انهزم فيها جوفرى واستحوذ ابن اصطفان على الدقية بمساعدة ملك فرانسا وحاز لويز فائدة أخرى فى نحو هذا الوقت وذلك أن غيليوم العاشر دوق اكيطانيه توجه من أجل تكفير ما جناه من الذنوب لزيارة قبر القديس جيمس فى قومبوسطلا فى اسبانيا فمات فيها فى سنة ١١٣٧ بعد الميلاد ومن قبل سفره وصى لابنته علينوره الوحيدة بوراثتها أملاكه وجعلها تحت وصاية لويز السادس على شرط أنها تتزوج بالبرنس لويز الصغير ابن الملك فقبل لويز

السادس بتلهف هذه الشروط لانها جلبت لوارث تخته جميع فرانسا الواقعة فى جنوب نهر لالوار وعقد تكليل الزواج فى أغسطس من السنة المذكورة فى الكنيسة العظمى فى بوردو ومات الملك نفسه قبل الدخول بيوم وخلفه على التخت لويز السابع وامتدت مملكته من نهر السوم وحدود فلندره الى نهر أدوره وذيول جبال البرنات وكانت سلطنة لويز السادس عصر اشتغال الناس بالفصاحة والمعقولات فى فرانسا وتهذب فيها عدة رجال اشتهرت أسماؤهم فى عالم الدنيا منهم روسلين ـ والقديس انسيلم ـ وبطرس ابيلارد ـ وغليوم شامبوا ـ والقديس برناردو وغيرهم

وما كان لويز السابع حائزا للفضائل التى كانت عند أبيه وفى سنة ١١٤١ بعد الميلاد بعد جلوسه على التخت بأربع سنوات تشاجر مع البابا بخصوص حق انتخاب رئيس أساقفة مدينة بورغة فتساعد البابا على أمره بكونه شمبانية الذى وقع بينه وبين لويز حرب فى السنة القابلة ثم ان لويز من خوفه الناتج من وسوسته انجبر بعد مضى سنتين على الانقياد وبذلك ضم نصرا آخر الى نصرات دار القسوسية وكان لويز يدفى الحرب الذى هاج بين بيت بلواز وبين انجو من أجل الاستحواذ على نورمندى وذلك باتفاق مع جيوفرى أبى مقشة وساعده على الاستحصال على تلك الدوقية ثم آل الامر أخيرا الى صلح من مقتضاه أن أبقى اصطفان التخت الانكليزى فى حوزته مدة حياته وتعين وارثا له هنرى الابن الاكبر لجيوفرى وفى سنة ١١٤٧ بعد الميلاد قام لويز السابع من فرانسا ليحضر حرب الصليب الثانى ولكنه ما حاز أدنى فائدة فى هذه الحملة وبعد زيارته أورشليم وعجزه عن فتح دمشق وجولانه فى أرض فلسطين سنة كاملة ترجع بالخزى والعار الى فرانسا فى سنة ١١٤٩ بعد الميلاد وكان القائم بادارة المملكة مدة غيابه الحبر صوغير وكان أعظم مدبر فى فرانسا وطالما اجتهد بدون ثمرة فى حض الملك على عدم اشتباكه فى حرب الصليب وعند عود لويز الى مملكته وجدها فى حالة حسنة جدا مستتبا فيها الامن بنشاط وهمة صوغير الذى بموته فى ينايرسنة ١١٥٢ بعد الميلاد فقد الملك أعظم مستشار به

وفى أثناء زيارة لويز فلسطين اشتبه فى أمانة زوجته الملكة علينورة حتى بمجرد رجوعه عرض مسئلته الى صوغير فترجاه هذا على حسب ضرورة الاحوال فى فرانسا أن يكتم الامر على قدر امكانه ويغض الطرف عما حصل ثم حصل من الملكة التشامخ وعلو الانف وازدرت بزوجها فصار الخرق يتسع بينهما يوما فيوما وطلب كل منهما الانفصال عن الآخر وفى شهر مارث سنة ١١٥٢ بعد الميلاد صدر أمر من مجلس بيوغنسى يقضى بالفراق بينهما بسبب عدم الموافقة بينهما ورجعت علينوره الى رتبتها الاولى وهى دوقية اكيطانيه وتقلدت بنفسها حكومة أملاكها الوراثية ومن ثم نزعت من التاج الفرنساوى زيادة عند نصف أملاكه ومن بعد مضى ستة أسابيع تزوجت هنرى أبا مقشه دوق نورمندى وكونت انجو وفى أكتوبر سنة ١١٥٤ بعد الميلاد صار هنرى ملك انكلتره بعد موت اصطفان وصار أقوى ملك فى أوروبا فكان ذلك أساس العداوة الطويلة بين هذين الملكين وما كان لويز معادلا لهنرى لان هنرى كان فيه الطاقة الكافية لنوال أى غرض يقصده عند تحركه على لويز الا أنه ما حصل منه لخصمه أدنى ارتباك مدة سلطنته الا قليلا بسبب أنه آوى الاسقف توماس بكت عنده مع أنه نفى من انكلتره وساعد عصيان الملكة علينورة وأولادها هنرى وجيوفرى وريشارد ضد هنرى ومن بعد اخماد هذه الثورة كانت له الرغبة فى عقد الصلح مع انكلتره لكنه مات فى

سلطنة لويز السابع

سلطنة فيليب الثانى

١٨ سبتمبر سنة ١١٨٠ بعد الميلاد وخلفه فيليب الثانى الملقب أغسطوس وكان ابنه من زوجته الثالثة عليس أخت الكونت شمبانيه وكان فيليب يبلغ من العمر خمس عشرة سنة عند جلوسه على التخت وسبب تلقيبه باغسطوس هو لكونه ولد فى شهر أوغسطس على حسب ماذكره بعض المؤرخين وبعضهم قال أيضا ان هذا الاسم مشتق من السمو والعلو ثم ان فيليب بعد ابتداء سلطنته بقليل تزوج ازابلا بنت الكونت بولدوين صاحب هينولط وبنت أخ فيليب صاحب فلندره الذى أخذ مهرها مدينة امنيس وعدة قسم من فلندره عند موت عمها وكان أول أعمال فيليب المهمة هو زيادته سلطة التاج على مصاريف أكابر الملتزمين وارغام صاحب الشوكة دوق بورغندى على اعادة ماسلبه من أموال الكنائس واصلاح ماوقع منه من الفساد وجعل نفسه تحت رأفة الملك ولما خضع له الدوق المذكور عامله بأجل المعاملات وأكرم قبوله وفى سنة ١١٨٢ بعد الميلاد طرد فيليب جميع اليهود من مملكته وضبط أملاكهم ومعابدهم للكنيسة ورتب عقابات شديدة على الذين يحلفون زورا وأهل الغيبة والنميمة ولاعبى القمار ومبتدعى العقائد الباطنية وقتل كثيرا من مبتدعى هذه العقائد

وفى سنة ١١٨٧ بعد الميلاد هاج الحرب ثانيا بين فرانسا وانكلتره واحتل ملك الفرنساوية جزأ عظيما من أملاك الانكليز قبل وصول هنرى ثم عملت هدنة قبل الاشتباك فى الواقعة وتقابل كل من فيليب وهنرى بالقرب من غيصور فى سنة ١١٨٨ بعد الميلاد لاجل عقد صلح مجدد وفى أثناء هذه المقابلة وردت الاخبار باحتلال صلاح الدين مدينة أورشليم وطلب رئيس أساقفة طير المساعدة ضد المسلمين ففى الحال حول الملكان نظرهما عن منافعهما الخصوصية وابتدآ بعمل الترتيبات وأخذا على أنفسهما المواثيق فى أن يتقلدا الصليب ويخلصا الارض المقدسة من المسلمين وتبع مشروعهما كل من امارات فرانسا وانكلتره ونورمندى وتحددت سنتان للتجهز لحرب الصليب

فمع ماحصل من هذا الترتيب كان فصل الصيف الثانى لذلك دالا على تجديد الحرب وذلك لان فيليب تحالف مع ريشارد قلب الاسد ابن هنرى صاحب انكلتره وكان عصى جهرة على أبيه وخضع الى فيليب من أجل أملاكه البرية فالجبر هنرى على طلب الصلح والتوقيع على معاهدة من مقتضاها خضوعه خضوعا مطلقا الى خصمه وترك جميع طلباته المتعلقة بسلطنة برى واشترى بمبلغ جسيم رجوع المدائن التى كانت أخذتها الفرنساوية ورضى بان جميع البارونات الذين أقاموا السلاح من أجل خاطر ريشارد يبقون عبيدا لذلك البرنس ثم بعد ذلك مات هنرى من كثرة ماحاق به من الاكدار والهموم فى سنة ١١٨٩ بعد الميلاد وخلفه على التخت ابنه ريشارد

وفى سنة ١١٩٠ بعد الميلاد سافر فيليب أوغسطوس وريشارد الاول صاحب انكلتره لينضما على حرب الصليب الثالث ووصلا فلسطين فى أوائل سنة ١١٩١ بعد الميلاد وكان مشروعهما هو حصرهما عكا وأظهر ريشارد الجسارة فى مدة الحصار بل فى جميع الحرب أما فيليب الذى كان حائزا لدرجة عالية من تدبير أمور المملكة أكثر من الشجاعة فانه اغتاظ من الفخر الذى ناله خصمه وبمجرد تسلم عكا ترك فلسطين وعاد الى أوروبا وحيث انه كان سابقا حلف الملك انكلتره يمينا مؤكدا على أن لايتعرض لاملاكه تجهز فى الحال الى رومة وهنالك اجتهد فى حض البابا على أن يغسله من هذه اليمين لكن رفض البابا سلسطين طلبه فلما خاب سعيه عاد الى فرانسا وعزم على

ضرب بريشارد فى أول فرصة تسنح له لخفاء السبب المستعجل فى هذه الضربة وذلك أن يوحنا أخا ريشارد اشتغل بتدبير دسيسة يجعل بها نفسه ملك انكلتره ودوق نورمندى ودخل فيليب فى الحال فى دسيسته وأدى يوحنا رسوم الاحترام لملك فرانسا لامن أجل نورمندى فقط بل من أجل انكلتره أيضا وسلك فيليب طريق التغلب على أملاك ريشارد الموجودة فى فرانسا وفى أثناء هذه المدة قبض دوق أوستريا على ملك الانكليز الذى كان عدوه فى أثناء عود ريشارد من الارض المقدسة وسجن مدة تنوف عن سنة ثم خلص من سجنه فى الوقت الذى ظن فيه فيليب ويوحنا أن مشروعهما تتوج بتاج النصر والفلاح وظهر ريشارد فى نورمندى فى رأس بارونانه وأعاد الاراضى التى كان أخذها فيليب وهزمه هزيمة فارصة فى (فريطيفال) بالقرب من فندوم فى ١٥ يوليه سنة ١١٩٤ بعد الميلاد وانقلب الخصمان الى محلاتهما من دون حصول نتيجة فاصلة لحد يناير سنة ١١٩٩ بعد الميلاد حتى ان البابا أنوسنت الثالث تداخل بينهما وألزمهما عقد صلح وعقدت معاهدة تسمح لكل ملك أن يبقى أملاكه الحقيقية ومات ريشارد فى ابريل من هذه السنة وخلص فيليب من عدوه ثم دخل فيليب فى أمر (أرثر دوق بريطانى) ابن أخ الملك يوحنا وكان بينه وبين عمه مخاصمة فى شأن تاج انكلتره ونورمندى الاان ماوقع من فيليب أدنى سفاهة فى حق يوحنا بل كان مصمما فى بيته على مشاحنة مع الكنيسة وقت وجود الفرصة فى اشتغاله فى حرب أجنبى

ومن بعد موت زوجته ازابلا صاحبة هينولط عقد فيليب زواجه على (انغيلبرغه) ابنة ملك دانيمارقه وكانت موصوفة بالعقل والجمال والصداقة الا أنه بمجرد اجتماعه بها فى أول مرة وقع فى نفسه كراهتها حتى انه ألزم الاساقفة بفسخ عقد الزواج فاستغاثت الملكة بديوان رومة فرفض البابا التصديق على اجرا آت الاساقفة الفرنساوية ومع ماوقع من هذا الرفض فان فيليب تزوج (اغنى دوميران) الجميلة ابنة المركيز صاحب أستريا فاجتهد البابا سلطين الثالث فى رجوعه عن مقصده فكان اجتهاده على غير طائل وجلس من بعد سلطين على كرسى البابا وية أنوسنت الثالث فكان على منوال جريجورى السابع وأصدر أمره لفيليب بطلاق اغنى ورد زوجته الشرعية اليه ولما رفض الملك هذا وضع البابا كافة المملكة تحت الحجر الكنائسى واستمرت الكنائس مغلقة مدة ثمانية شهور وحرمت الامة من اقامة شعائر ديانتهم ماعدا معمدة الاطفال ودهن المرضى فى وقت الموت فالتزم فيليب من غضب رعيته على قبول أمر البابا وطلق زوجته اغنى التى ماتت بعد مضى بضع سنين ورد (انغيلبرغه) اليه لكنه عاملها بأشد المعاملات وأقساها ولما انقاد الملك ارتفع الحجر الكنائسى عن فرانسا وفتحت أبواب كنائسها ومعابدها وأقيمت شعائر الديانة فيها

وكان يوحنا أخو ريشارد صاحب انكلتره جلس على تخت انكلتره من بعد موت أخيه فقام فى سنة ١٢٠٠ بعد الميلاد أرثر دوق بريطانى وحفيد هنرى الثانى ابن ابنه الثانى جيوفرى فى طلب تاج انكلتره بما أنه المستحق لوراثة هذا التاج من بعد موت عمه ريشارد وكانت أمور مدبرة بواسطة أمه كونسطنسه وكانت على غاية من الشماخة جسورة لا تطاق فى أعمالها صاحبة هياج وارتباك وكانت انجو وطورين ومين تقررحيازتها لارثر ودخل فيليب فى مساعدة طالب أرثر لتاج انكلتره فى نورمندى فى رأس جيش كبير وخرب المملكة وسلبها فى طلب حليفه الشاب أرثر وفى أثناء هذه حاصر يوحنا بجيش ضخم عاصمة مين ومن بعد أن تغلب عليها هدم أسوار المدينة وسواها بالارض

لكون

لتكون عبرة لاهل المدائن الاخرى الذين يسلكون مسالك تلك المدينة ويقيمون عليه بيارق العصيان لكنه ارتاب من قوة ومقاومة سيفه فاستعمل صنائع المخابرات وقدم الى لويز مسئلة زواج بنت أخته البيضاء ابنة ألونز وملك قسطيلة بالابن الكبير لملك فرانسا ووعد أن يورث هذه البرنسيسة فى حالة عدم وجود من يرث أملاكه فى فرانسا وكذا تنازل لفيليب عن فيكسين فى نورمندى وجعل صداق ابنة أخته مبلغ ٣٠٠٠٠ ماركه من الفضة ومدينة افروكس وملحقاتها فرضى فيليب بذلك وعقد به معاهدة وترك معاضدة أرثر والتزم أرثر على تجديد أداء رسوم الاحترام ليوحنا من أجل مملكة بريطانى وفى ٢٣ مايو من هذه السنة كان زواج البرنس لويز ابن ملك فرانسا بالبيضاء القسطليانية

ثم تولد من شهوات الدهر ضياع العلاقات المقدسة المختصة بحقوق الزوجية وذلك أن ملك يوحنا ماتردد فى طلاق قرينته وحل محلها (ازابلا انغوليم) من بعد أن شغف بجمالها وكانت عروسة مخطوبة لقونت مارش فطلب القونت المذكور الحكم العادل بينه وبين يوحنا وساعده على طلبه أشراف (بواطو - وليموسين) ومن حيث ان فيليب هو السيد الملتزم على الكل طلب يوحنا للحضور فى ديوانه فى باريس فى شهر مايو سنة ١٢٠٢ بعد الميلاد من أجل المحاوبة فى شأن القضية المقامة عليه فما التفت يوحنا لهذا الطلب فاستعد فيليب فى الحال لمعاضدة أرثر على طلباته وجند أرثر جيشا على مصروف فرانسا وحاصر الملكة الارملة علينوره فى مدينة ميرابو من أعمال بواطى واستيقظ يوحنا من غفلات شهواته وأسرع فى رأس جيشه من أجل خلاص أمه وهجم على أرثر وهزم جيشه وأخذه أسيرا من بعد محاربة شديدة وحبسه فى قلعة فاليز ثم نقله منها الى رووان ومن هذا الوقت خفيت آثار أرثر الا أن الاعتقاد عند أهل ذلك العصر أن الملك يوحنا قتله بيده فى قلعة رووان ورمى رمته فى نهر السين فى ٣ ابريل سنة ١٢٠٣ بعد الميلاد فتولد من هذه الجريمة التى اكتسبها يوحنا أن صار العدو الالد لقومه وقامت عليه بواطو وانضمت لجهة ملك فرانسا وكانت نورمندى المطلب الثانى لفيليب ففى فصل ربيع سنة ١٢٠٤ بعد الميلاد تغلب فيليب على كافة الدوقية وأضافها التاج فرانسا وفى سنة ١٢٠٥ أخضع أيضا جهة (سنطونغ) و (انغوليم) وأضافهما الفرانسا وفى سنة ١٢٠٦ بعد الميلاد عبر يوحنا الخليج واجتهد اجتهادا ضعيفا فى عود ماضاع منه من الاراضى ومن بعد نصرات لاطائل تحتها التزم على عقد صلح وتنازل عن طلباته فى سلطنة نورمندى وبريطانى ومين وكذلك انجو وطورين الواقعتان فى شمال نهر لاوار وتنازل أيضا لفيليب عن مدينة بواطى وملحقاتها من الاراضى ومن ثم زاد فيليب فى ظرف ثلاث سنوات فى سعة المملكة الفرنساوية ما ينوف عن سعتها الاصلية وأخذ أيضا قاليمى (فرمندواز - وارطواز) وأضاف (أوفرينه) اليهما وما حصل من تقوية فرانسا بهذه المثابة جعلها المملكة الثانية من بعد جرمانيا وأقوى مملكة فى أوروبا وأعمرها

وصار ملك الفرنساوية فى هذا الوقت صاحب أراض قوية فشرع المشروعات السياسية التى تسير سلطنته بها وهى تقدم الشوكة الملوكية على مصاريف الاشراف ثم ان الامة الفرنساوية القاطنة فى جنوب فرانسا تألفت قلوبها وصاروا على بصيرة وانغرست فى عقولهم المعارف والعلوم فتنورت منها وما انقادوا للقسيس الاعمى القلب والبصيرة الموجودة فى رومة ولا للاعمال التابعة للكنيسة الحالية

المتسلطنة فى الجهة الشمالية

وفى ظرف مدة تبعت عقيدة تعرف بالعقيدة (اللابيغوازية) حرمت ما عليه ديوان رومة من مطامع الفساد وجحدت سيادة البابا بالكلية وعقائد صلاة القداس والعشاء الربانى والتقديس وعبادة التماثيل فعزم انوسنت الثالث على حطم أهل هذه العقيدة وقذف ديوان رومة صواعقه على كل مذهب يخالف مذهبه وشكل البابا محاكمة المبتدعين ومعاقبتهم محاكم للفحص فى أمورهم فقام ريموند قونت طولوز مدافعا عن (اللابيغوازيين) وكان على اعتقاد مذهبهم فاجتهد رسل البابا فى حضه على تسليم رعاياه للفحص وعقابه ولما خابوا فى اجتهادهم حذروه بطش البابا به وسفهوا عليه فغضب واحد من خدم القونت من شدة ما حصل من رسل البابا من الوقاحة فى حق سيده وقام غضبا وقتل واحدا منهم فى يناير سنة ١٢٠٨ بعد الميلاد فوضع البابا أنوسنت الثالث الحجر الكنائسى على ريموند وعلى قومه ونادى عليه بحرب الصليب فاجتمع فى ليون جيش ضخم فى فصل صيف سنة ١٢٠٩ وعهدت قيادته الى (سيمون ــ منطفورت) وابتدأ الحرب فى الحال ولبثت سبع سنوات وانتهت بتغلب الصليبيين على لنغيدوق وفعلوا أشنع الفعال وأفظعها وتجرد ريموند من أراضيه ومنحت على (سيمون ــ منطفورت) وكان وقوع الاهوال على (اللابيغوازيين) من أشد الرزايا وأهم الوقائع السوداء التى تسودت بها صحف التاريخ أما فيليب أوغسطوس فكان حوّل جيشه نحو مشروع فيه زيادة النفع له عن مشروع (اللابيغوازيين) فدعاه أنوسنت الثالث من أجل تغلبه على انكلتره فجمع فيليب جيشا ضخما بمصاريف وافرة ولما كان على قدم السفر ورد عليه رسول البابا وأمره بعدم الاغارة على انكلتره لان يوحنا صار من مقاطعى البابا وية ومع ان فيليب غضب من ذلك فى السر الا أنه أطاع أمر البابا ثم ارتاع من دسائس واستعدادات ملك انكلتره وذلك أن يوحنا استيقظ من غفلته بما حاق به من الخطر وغطى البحر باسطوله وعراكبه وشحن كل ديوان حكومة بمخابرة مبارزته لفرانسا واتحد قونتات فلندره وبولونيه وطولوز مع أوطو امبراطور جرمانيا وقسموا بالوهم ممالك فيليب فمن ثم وجه فيليب فى مبادى أمره الجيوش التى كان أعدها تحت أمر البابا على قونت فلندره وحاصر (غنط) برا وأحاط باسطوله بجرامينة (دانطزيق) الا أن فيليب انجبر على رفع الحصار بخسارة وتلفيات ودمرت أساطيل يوحنا ثلثمائة مركب من مراكبه ولما دمد ملك انكلتره تخريباته حتى وصل الى حدود بريطانى تقهقر الى (بارطرنى) من أعمال بواطى منتظرا حركة محالفيه فى فلندره وأما فيليب فانه اعتقد أن الاشرف له عدم مراعاته حصول الخطر وزحف فى رأس جيشه لملتقى قوى المتحالفين وفى ٢٧ أغسطوس سنة ١٢١٤ بعد الميلاد التقت الجيوش مع بعضها فى قرية بوفين بين ليل وطورنى فكان مقدار جيش الامبراطور أوطو (وكان تحت قيادة نفس الامبراطور) ١٥٠٠٠٠ نفس وبه الجم الغفير من نبالة الانكليز تحت قيادة ارل سلسبورى الاخ الغير شرعى للملك يوحنا فهجم فيليب على هذا الجيش الضخم بقوته القاسلة فكانت الواقعة عنيفة مسفكة ومكثت مدة نظن ان النصر فيها اما للفرانسا أو الجرمانيا وانجرح فيها فيليب ووقع من فوق حصانه وصار على خطر تحت سنابك الخيل حتى أشرف على الموت وأحاط باوطو أعداؤه وكان على شرف الاسر لولا انه تجاسر مع المشقة ثم ان الفرنساوية تغلبوا بشجاعتهم على كل صعب ولما رأى عساكر المتحالفين أن المضايقة حلت بهم اجتهدوا فى القهقرة فكان اجتهادهم على غير طائل ثم انهزم جيش الامبراطور شر هزيمة وما نجى هذا

الجيش الا الهرب وتلف منه الجم الغفير وأسر الكثير من قواده وكان ممن أسر كونت فلندره ـ وارل سلسبوري فكانت هذه النصرة سببا في انحطاط شوكة الامبراطور أوطو وفصلا للملكة بلجهة فريدريق الثاني وأما يوحنا صاحب انكلتره وكان خاب بالكلية في أعماله حتى عقد هدنة لمدة خمس سنوات ودفع غرامة حربية مقدارها ٦٠٠٠٠ ماركه وصار تجريد كل من كونتي فلندره و بولونيه من أملاكهما وأودع كونت فلندره في سجن لمدة حياته وكانت نتيجة الحرب فائدة كبيرة لتاج فرانسا ومملكتها ولما انهزمت حلفاء يوحنا عبر هو البحر الى انكلتره فالراحة التي ربما كان يستحوذ عليها من الهدنة تغلب عليها تيار هياج شقاق داخلي وذلك أن بارونات انكلتره رفعوا بيرق المناقضة وأبدوا حقوقهم من تعديات الطاغية يوحنا بحرب معه كانت نتيجتها منحهم رخصة الحرية التي هي أساس الحرية الانكليزية الموجودة عليها الآن ومن بعد أن وقع يوحنا مع البارونات على رخصة الحرية نكث الحرية وفسخ رخصة حريتها بعدم ذمته وأعانه على ذلك البابا الموجود تحت طاعته يوحنا وأقاله من اليمين الذي حلفه فاندهش البارونات من غشه وبما أنهم ما كان لهم طاقة بمفردهم على مقاومتهم القوى الملوكية دعوا المساعدتهم لويز الابن الكبير لملك فرانسا وقدموا له تاج مملكتهم فاجتهد البرنس لويز في اخفائه تغلبه على المملكة وطلبه اياها تحت ظل لقب قرينته البيضاء حفيدة هنري الثاني وأخذ في تجهيزاته مع القوة وساعده في اجرائها أبوه في السر بما انه لا رغبة له على فسخ الهدنة التي كان عقدها في السابق مع يوحنا وفي أثناء ما كان مشغولا في استعداداته بجيش ضخم منعه عن التداخل في الشقاق الحاصل في انكلتره وما راعى لويز الرعود القاطيكانية والعواصف البابا وية وأقلع من كاليس ونزل في سندو يتش وقابله فيها البارونات النافرون بحل الاحضان وزيادة الامتنان وكان نجاحه سريعا مظفرا زائلا بوجه العجلة وانقادت له روشيستر وأهلت به لوندره بصفة أنه مخلصها من ظلم طاغيتها ملكها وظهر له أن سلطنته وحكومته توطد أمرها وثبت حكمها غير أن لمحة هذا النجاح غشاها مع السرعة ظلمات من سحب تكاثفت عليها في ١٩ اقطوبر سنة ١٢١٦ بعد الميلاد وأرغم على كونه يتنازل عن حصار وندسور وقلاع الدوفر مع الاهانة وتولد من موت يوحنا انضمام البارونات مرة أخرى تحت طاعة ابنه الصغير هنري والتجلي لويز عن العاصمة التي احتلها مع العجلة بغاية الاشمئزاز ومما وقع به من المصائب عقد هدنة مع أهل لوندره ومن بعد انتهاء أجل الهدنة اجتهد باجتهادات بغير طائل وهزم الاسطول الانكليزي الاسطول الذي جمعه لويز وكذا انهزمت قواه في واقعة بالقرب من لنكولن وانتهت الاعمال التي أجراها (ارل بامبروك) نائب انكلتره مع الدقة وحزم الرأى بعقد صلح كان من شروطه عود القلاع التي مازال لويز محتلا فيها الى هنري وتنازل عن كافة حقوقه في تاج انكلتره وترخص له بالانسحاب الى فرانسا وكان البابا في وقت اغارة لويز على انكلتره وضع الحجر الكنائسي عليه بشأن اغارته عليها فابطله بواسطة نائب من طرفه ومن بعد أن اجتهد فيليب في وقوع تخريبات مدمرة على انكلتره رضي بعقد معاهدة أخرى لمدة أربع سنوات ثم قامت القلاقل في طولوز وكان سببها عدم تحمل الاهالي الظلم الشديد الذي حصل من عدم مروءة (سيمون منطفورت) ورفع ريموند صاحب طولوز وابنه القارس بيرق العصيان من أجل استرداد حقوقهما فتقابلهما قومهما مع الاجلال وفي آخر سنة ١٢١٧ بعد الميلاد دخلا عاصمتهما متوجين بالنصر والظفر وحاصر (سيمون منطفورت) مدينة طولوز في الحال فقتل في شهر يونيه من سنة ١٢١٨ بعد الميلاد وجدد أهل (لنغيدوق) طاعتهم

وبعضهم الكونت طولوز وطردوا ابن منطفورت ووارثه فأعلن البابا هونوريوس الثالث عليهم حربا صليبيا آخر ودعا فيليب أوغسطوس الى أن يستحوذ على أراضى الكونت ريموند وأملاكه فجند فيليب جيشا تحت قيادة ابنه البرنس لويز ومن بعد أن خاب البرنس فى حربه هذا تركه وتوجه لحال سبيله وهلك الكونت ريموند فى سنة ١٢٢٢ بعد الميلاد وخلفه على أملاكه ابنه ريموند السابع ومات فيليب أوغسطوس فى سنة ١٢٢٣ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن أربعا وأربعين سنة وكان أول ملك من ملوك العائلة الملوكية انضمت فرانسا تحت حكمه حتى صارت أمة واحدة وكان أول ملك بارع ما حكم فرانسا نظيره قبله وكان شهما عالى الهمة حازما حريصا محبا لذاته متيقظا محترزا على سلطنته من أن يستولى عليها حكام آخرين وحكم رعيته مع العدل والحكمة وقل أن سار على هذه الاوصاف من خلفه وكان ودودا صادقا كريما المدينة باريس فانه وسعها وأتقنها وزخرفها بالمبانى الفاخرة والهيا كل الخطيرة التى من رؤيتها يشهد له كل من رآها بعلو الهمة وزيادة على هذا انشأ المدارس وجعلها مقر تربية العقول فى أوروبا وهذه من أجل المزايا ما سبقه أحد بها قبله وبذل مجهوده فى نشرونا بيد ادارة الاحكام والعدل فى داخل المملكة وجعل حالة الاعمال والاحكام على أحسن مثال وكان أصل السعادة التى وصل اليه خلفاؤه من بعده

ومن بعد موت فيليب انتقل التاج لابنه الكبير لويز الثامن الذى ابتدأ سلطنته بحرب مع هنرى الثالث صاحب انكلترة وبعد حصول واقعتين عقدت هدنة لمدة خمس سنين وأمكن حينئذ للويز أن يلتفت الى الحرب الحاصل فى لنغيدوق وفى سنة ١٢٢٥ بعد الميلاد وضع مجلس بورغيس الحبر الكنائسى على الكونت ريموند صاحب طولوز ونقل أملاكه الى لويز صاحب فرانسا وفى فصل صيف سنة ١٢٢٦ بعد الميلاد تقدم لويز الى لنغيدوق بجيش جرار وفى منتصف الخريف امتلك جميع المدن المهمة ما عدا طولوز التى لم تزل فى حوزة ريموند وفى نهاية الحرب مات لويز فى مونطنبسير فى ٨ نوفمبر سنة ١٢٢٦ بعد الميلاد تاركا تاجه لابنه لويز التاسع ‹سلطنة لويز الثامن›

وجلس لويز التاسع على تخت فرانسا فى سنة ١٢٢٦ بعد الميلاد وكان عمره اثنتى عشرة سنة وعهدت النيابة فى الاحكام عنه فى مدة صغره لامه البيضاء ابنة ملك كسطيله وتقلدت هذه البرنسيسة زمام الحكومة وقبضت عليها بيد ثابتة واشتغلت فى أوقاتها بتوطيد تاج ابنها وتتوج الملك الشاب فى مدينة رهيم بمعرفة أسقف سواسون واستشعرت الملكة بدسائس الاشراف وكانوا من مدة طويلة فى غم بشأن انحطاط استقلاليتهم الاولى وانتهزوا فى هذا الوقت وجود الحالة التى بها يستقلون فى أنفسهم فقاموا فى دسائس فاستعدت للتقاهم بمثل أفعالهم وبقوة زيادة عن قوتهم فأرغمتهم على الانقياد لها ‹سلطنة لويز التاسع›

وكان أشد هؤلاء الاشراف بأسا الذين تجمعوا واستعدوا لتعكير راحة المملكة هم فيليب الفظ ابن فيليب أوغسطوس من زوجته اغنى المسمى بكونت كليرمونط الملقب بلقب بولونيه ويوحانه كونتة فلندره فانها من بعد سجن زوجها فرديننه من بعد واقعة بوفين حكمت مملكة فلندره بحكم مستقل وصارت فى كراهة مع الملكة الارملة أم لويز وبطرس دروكس حفيد روبرت والابن الرابع للويز السمين فانه بصفة أنه زوج كونسطنسه حكم البلاد الخصبة لارض بريطانى تحت لقب كونت وطيبود كونت شمبانية كان يعترف بأنه أول شخص مقبول عند البيضاء أخذته الغيرة والحسد وقام مضادا لحكومتها وريموند كونت طولوز الذى وقع الظلم فيما تقدم على ممالكه من أجل أمر الديانة واستحصل على الصلح

فى وسط هياج الحرب ــ وبرنغير كونت بروفنسه وكان هذا قام فى عصيانه فى رضا وصداقة كونت طولوز وكانت المواد القائم من أجلها هؤلاء المتحدون مخفيـة تحت زعم الاصـلاح العمومى فى طلباتهم بحالة تدبير ظاهرى وطلبوا من قبـل أن يقـدموا خضوعهم للملك أن الملكة ينبغى أن تؤيد لهم بقاء القوانين المستعوذين عليها من جدودهـم وانها على غـير دراية منها ويلزمها عود الاراضى التى وقع ضبطها فى مدة السلطنة السابقة ويلزمها أن تفرج عن المسجونين وبالخصوص فرديننذ كونت فلندره فصممت البيضـاء على محافظة سمو التـاج الذى عهـدلها فى غاية من النقاوة والطهـارة ورفضت ماطلبوه وفى أثناء جمعها قوة وان كانت قليلة العدد الا أنها جيدة من التنظيم استعملت كل حيلة فى زيادة تعوينا تها وانخـدع كونت شمپانيـة ومال اليها بواسـطة حيلتها الا بواسطة الخوف منها وتضجرت كونتة فلندره من عدم خلاص زوجهـا من سجنه فالتزمت طلب الافراج عنه مع الادب فافرجت الملكة عنه ودخل كونت فلندره فى صداقتها ومهدت أفكار الثـائرين وربطت علاقاتهم ودخلوا فى طاعة التاج وأدوا له واجبات الاحترام وخمدت الزوبعـة التى قامت وأرعبت حكومة الطفل لو يز الا أن هـذا الخمود كان لاجـل قصير مغشوش وذلك أنه فى حالة ما كانت البيضاء تعلل نفسها وتهنئ بفوزهـا باستتباب الراحة قامت الزوبعـة بحالة أشد من الحالة الاولى وقام فيليب كونت بولونيه وكان أدخل فى عقول الثائرين ما كانوا يرجونه ورفع بيرق العصيان جهرة حتى سولت له نفسه بالجلوس على تخت فرانسا ولما خاب فى سعيه من القبض على نفس الملك اجتهد فى خداع الملكة بقوة قليلة غير كافية فى داخل أرض بريطانى فانكشف الطريق للبيضاء بصداقة كونت شمپانية وعرفت ماعليه الثائرون ولما أملوا وطيد ماهم عليه خمدت اجرا آتهم بظهور كونت شمپانيـة لهم فى رأس جيش ضخـم وانتهزت الملكة فرصة وقت النجاح وتخابرت مع كونت بولونيه وأظهرله أن مقصده الحقيقى ضبطه سلطنة الملك ابن أخيه وأظهرت المقاصد السرية لهذا الاتحاد وفى حالة ما كان الثائرون يهنئون طمعه فى نجاح السلطنة انجمع لهم جميعا نحو (انجيراندوكوسى) رجل شريف مشهور فوق معاصريه بفضائله وبراعته فرضى فيليب بتبديل آماله المنامية من أجـل التاج بعاش لنفسه سنويا وسارت حيل البيضاء حتى دخلت دولة لوندره وأغوت نظارهنرى بواسـطة هـدايا جليـلة على عقـد هدنة لمدة ثلاث سنوات وخضع كونت بريطانى بسلاح الملكة وانقادمع الاشمئزاز والكراهـة لطاعتها بلسان الندم والتوبة وفى هـذه المدة انتهى الحرب (الالبيغوازى) وعادت ثمرته على التاج الفرنساوى وصار التوقيع على معاهـدة عقدت فى باريس فى سـنة ١٢٢٩ بعد الميلاد بين لويز وبين نائب البابا وريموند صـاحب طولوز ومنح على ريموند قطعـة صـغيرة من أراضيه الاولية بصفة مقاطعة لمدة حياته ولما مات انتقلت هذه المقاطعة لالفنسو كونت بواطيرأخ ملك فرانسا وكان تزوج بوحانة ابنـة ريموند الوحيـدة ومابقى من الحرب التنغيد وقى متداخل فى التاج الفرنساوى وفى مدة هذه الشقاقات المختلفة وختامها بلغ الملك الى سن تسع عشرة سنة فتزوج بامر أمه فى سنة ١٢٣٤ بعد الميلاد مرغريطة ابنة (ريموند برنغير الرابع) كونت بروفنسه وكان عمرها ثلاث عشرة سنة وخطبتها له أمه وكانت البيضاء اهتمت واعتنت بتربيـة ابنها وهذبتـه وهى وان كانت تميل الى الخرافات الا أنها أثبتت فى مخه وعقله أساسات الخصال الجيدة والمزايا الحسنة حتى صار من أجل الملوك عقلا وحزما فى سنين قليلة

وفى سـنة ١٢٤١ بعـد الميلاد لما تزوج أخوه الفنسو بوحانة ابنة ريموند صاحب طولوز قلده لويز

حكومة بواطو وافرينسة على شروط وصاياأبيها فتولد من ذلك خطب شديد وقامت ثورة كبيرة من بارونات بواطو مناقضة لاعمال الملك مؤسسة على أن الاتصال القديم لبواطو مقصور على البيت الانكليزى الملوكى فى انكلترة وكان رئيس هذه الثورة الكونت دولامارش وكان تزوج بالملكة ايزابلا قبل ذلك ببضع شهور من بعد موت الملك يوحنا ورغبت أن تعيد لابنها هنرى الثالث الاملاك الاولية التى كانت للتاج الانكليزى فى فرانسا فخرج لويز ليدان الحرب بلمساعدة أخيه وعبر هنرى الثالث الخليج من أجل مساعدة أصدقائه وفى واقعة وقعت فى نواحى صانطيس فى ٢٢ يوليه سنة ١٢٤٢ بعد الميلاد انهزم الانكليز ومحالفوهم وعاد البارونات الثائرون الى ما كانوا عليه من طاعتهم والتزم هنرى الثالث على عقد هدنة لمدة خمس سنوات صار التوقيع عليها فى مارث سنة ١٢٤٣ بعد الميلاد وبهذه المعاهدة انتقلت كافة اكيطانيه الى حد (غيروند) الى التاج الفرنساوى وانقرض دابر استقلالية الاشراف والملتزمين الذين كانوا مستحوذين عليها وقامت سيادة التاج على كافة عبيده ومن ابتداء هذا الوقت أخذت أحوال الالتزام فى الضعف وأخذت الحكومة الملوكية فى القوة ونال البيت الملوكى فى فرانسا زيادة شوكة بزواج شارلس فى سنة ١٢٤٦ بعد الميلاد أخ الملك وكونت انجو ومين بوارثة بروفنسه وفى شهر أوغسطوس سنة ١٢٤٨ بعد الميلاد أصيب لويز بمرض شديد أشرف منه على الهلاك فنذر على نفسه بانه ان شفى من هذا الداء يتوجه بنفسه لحرب المسلمين وكانوا تغلبوا على مسيحى الشرق بنصرات متتالية وأذاقوهم الوبال ثم ان غيرة وحماسة الاعمى التى حضته على أن ينزل من فوق تخته ويجازف بنفسه بصفة انه فارس مشهور ما أفادته الا الخسة والانحطاط ولاجل توطيد الامن فى مملكته فى مدة غيابه أخذ معه فى الحرب المقدس كونتى مارش وبريطانى خشية أن يقع منهما الهياج والنفور فى المملكة ومن بعد أن عهد ملك فرانسا زمام الحكومة لامه البيضاء استعد للسفر فى سنة ١٢٤٨ بعد الميلاد وضعف حال فرانسا من جهة العساكر والنقود عن استعدادها القوة حربية معادلة لمشروع وحدة ملكها فاعدت فى البحر ١٨٠٠ شراع و ٩٥٠٠ خيالة و ١٣٠٠٠٠ من المشاة فكانت هذه هى القوة التى توجه بها لويز لحرب الصليب واشتركت مرغريطة مع قرينها فى أخطار هذه الحادثة وكذا أخواه روبرت كونت ارطوا زوشارلس كونت انجو وهذا صار فيما بعد ملك نابولى وسافر لويز مع جيشه ووصل مع السلامة الى ساحل جزيرة قبرص فنزل العساكر على سواحلها وفى مدة شدة الشتاء اكتسب العساكر قوتهم وصحتهم من كثرة خصوبة هذه الجزيرة وفى سنة ١٢٤٩ بعد الميلاد لما قرب فصل الربيع شرع لويز فى الاعمال الحربية وأمل فى نفسه أن التغلب على فلسطين متوقف على التغلب على مصر لان المسلمين ما لهم قوة مؤثرة فى فلسطين الا من مصر ومنها يتيسر لهم الحصول فى كل شئ على مساعدتهم فنزل فى مراكبه وشحن أسطوله بعساكره وساعده الريح حتى رمى مخاطيف أسطوله أمام مصب نهر النيل وتقلد لويز بسلاحه وفرد أمامه بيرق سنت دنيس وحاصر دمياط ومكثت هذه المدينة الحصينة مقاومة لهجوم المسيحيين واغاراتهم عليها ستة عشر شهرا وفى أثناء هذه الاغارات التى أجراها عليها فيليب ترك المدينة محافظوها فكانت أول فتوحات لويز وآخرها ولما تغلب لويز على مدينة دمياط وجه قولات عساكره منها من أجل الاغارة والتغلب على القاهرة عاصمة الديار المصرية فدخل فى عسكره الدمار المهلك وتسلطنت الامراض فى معسكره ووقفت حركة القولات

بما حصل من فيضان النيل وأظهر البارونات الفرنساوية وفرسانهم تحت مناظرة ملكهم الجسور شجاعتهم وانتظام حركاتهم وعبر كونت ارطواز مع ألفى نفس من زهرة الجيش الفرنساوى النهر السريع الجريان و زحفوا فى سيرهم هاجين على المنصورة فقاومهم سكانها مدة ولما وردت اليهم الاخبار بان الجيش الاصلى للفرنساوية ما زال مفصولا بالنيل من هذه الشرذمة الهاجمة واجتمع الذين هربوا منها تحت قيادة واحد من متدربى العساكر المصرية اغتصب قضيب الملك فيما بعد ومن قبل أن تصل المسيحيون لمساعدة مقدمتهم قطع المصريون دابر كونت ارطواز ورفقاءه الشجعان ثم أعيد الحرب مع غاية الصعوبة وانهزم المسلمون وتركوا ميدان الحروب لشجعان الفرنساوية من بعد أن استعبت أنفسهم وساروا على منوال ملكهم الا أن هذه النصرة التى لا فائدة بها ما تولد منها الا زيادة المصائب على رؤس الفرنساوية فانهم هاجوا وطاشوا فى أعمالهم وافتضحوا فى اغاراتهم فما زادهم الا خبالا وذلك انه من زيادة عدد المصريين يوميا التزموا على أن يحموا أنفسهم فى موقع حصنوه لانفسهم وامتلأ نهر النيل بمراكب المصريين وتغطت الاراضى بالمسلمين وقطعوا عنهم المؤنات وزادت عليهم أنواع الهزيمة والقحط وأرسل على رؤسهم المصريون نيران السواريخ الحربية فعزم الفرنساوية على القهقرة فرأوا أن ذلك غير ممكن لهم وكان يمكن للويز الهرب بمفرده من البحر لو ترك عساكره ورفقاءه الا أن مروءته أبت قبول الهرب الذى لا شرف تحته ورأى أن الطريق الاعظم له شرفا تسليم نفسه مع أخيه كونت انجو وغالب أشرافه وما بقى معه من جيشه للعساكر المنصورة الاسلامية فأعقب هذه النصرة المفتخرة قساوة المسلمين المنصورين ووضعوا الملك المأسور فى السلاسل وذبحوا كل من لا طاقة له على فداء نفسه من رعيته وأرسلوا رؤسهم الى القاهرة وعلقوها على أسوارها وكان فى دمياط قرينة لويز وكنوزه محفوظة فى داخل الاستحكامات التى شيدها حول المدينة ولما خاب المصريون من تغلبهم على دمياط من بعد أن أسر لويز فدى لويز نفسه وما بقى من عساكره وحواشيه بتسليمه دمياط للمصريين ودفع ٤٠٠٠٠٠ درهم من الفضة وعقد معهم هدنة لمدة عشر سنوات وفى سنة ١٢٥٠ بعد الميلاد نزل لويز مع قرينته ونحو من ستة آلاف من عساكره فى مراكب جنوه وقصد مدينة عكا فى أرض فلسطين وكان مرغوبه من ذلك اطفاء ما حصل له من العار والخزى من قبل أن يعود الى مملكته وما رغب أن يعود اليها من دون شرف يحصل له فى جهة الشرق وكان واثقا فى حكومته فى مملكته بحكومة أمه البيضاء ومعتمدا فى أشغاله عليها الا أن ما حل بأمه من المصائب فى وقت أسره فى مصر كان سببا فى تسلطن الامراض عليها وماتت من بعد مضى سنتين تحت أثقال الاحزان مما وقع لابنها فتولد من موتها فى سنة ١٢٥٤ عود لويز من عكا الى مملكته بانذار من رعيته وفى أثناء مقامه فى عكا ما كان له من طاقة على توجهه لزيارة أورشليم ورجع فى غاية الخزى والعار الى مملكته من بعد أن غاب عنها نحوا من أربع سنوات ومع أن رعيته قابلوه بالافراح الا أن هيئته كانت ظاهرة جليا وصورته مكدرة فأما الاولى فكان ظاهرا عليه الكسوف من جهة الصليب والثانية هزيمته فى حربه ومع هذا كان الاحتفال به فى مملكته جليلا ومكثت فرانسا من بعد هذا ست عشرة سنة متمتعة بوجود ملكها وحكومته الجليلة واستتبت ادارة العدل فى أنحاء المملكة ووثق عموم الامة بحكومته وبكل ما يراه من الاعمال موافقا من دون معارضة من أحد منهم وكان سهل الوصول لكل من أراده من قومه صبورا جلدا على معضلات الاعمال التى تعرض عليه

من رعاياه وكان حكمه مشهورا بالرفق الا أنه كان ثابتا فى حكمه قويا فى ادارته وفى مدة سلطنته تقدمت شوكة التاج وفى سنة ١٢٥٩ بعد الميلاد ظهر للويز أن فيليب أوغسطوس أخذ بعض أملاك التاج الانكليزى بغير حق فأعاد لهنرى الثالث صاحب انكلتره باختياره نواحى ليموسين — و بيريغورد — ومرسى — وصانطنغ وكذا تنازل هنرى من جهته عن طلب دعواه فى نورمندى — وانجو — ومين — وطورين — و بواطو ومن ثم دفع ملك الانكليز و بارونانه الى لويز مبلغا جسيما بشأن أملاكهم التى كان التاج الفرنساوى متغلبا عليها من مدة طويلة وفصلها الهم لويز ببراعته من دون حصول وقائع دموية وفى سنة ١٢٦٢ بعد الميلاد قدم له البابا عوربان الرابع تاج جزيرة سيسيليا فرفض لويز قبوله وقال انه لا يقبل شيئا ليس له حق فيه وكذا ما سمح لابنه روبرت فى قبوله وقبله شارلس صاحب انجو وكان لا ذمة عنده فغارضى لويز بكسر خاطره وما وقع منه أدنى مساعدة له لانه كان يرغب فى خروجه من فرانسا وكان السبب فى هذا أن منفروى بن فريدريق الثانى من الزنا اغتصب تاج السيسيليتين من كونرادين ابن أخ الامبراطور فريدريق وكان البابا على عداوة كبيرة مع الاثنين و بما أنه خليفة القديس بطرس قدم التاج الى لويز ولما لم يرغب لويز فى قبوله قبله شارلس صاحب انجو ونشر شارلس بيارق الصليب على أعداء البابا وسار فى رأس فرسان الفرنساوية ووقع بينه و بين منفروى واقعة دموية تجرد فيها منفروى من تاجه وقتل فى الواقعة فلما مات الغاصب استيقظ كونرادين من منامه فى طلب تاجه فأسره شارلس وقتله وضاعت حقوقه وجلس شارلس صاحب انجو على كرسى مملكة السيسيليتين وكان لويز من بعد غلاق الحرب الصليبى الاخير عوّل على الاجتهاد فى مشروع آخر خاص بأمر الديانة المسيحية ومع أن البابا ما حرضه على شئ يخص الديانة المسيحية الا أنه لما بلغه أن السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر والشام حاز مظفرات جليلة وتغلب على انطاكيه وغيرها من الاملاك المسيحية فى آسيا وما وقع منه من الشدة وسوء الحال فى حق المسيحيين التزم الملك لويز على عدم ضياع الوقت وانتهاز الفرصة وأعد الاستعدادات اللازمة وسار على منواله أولاده الثلاثة فيليب و يوحنا و بطرس وابن أخيه كونت ارطوا زو كباردو وان فرانسا وعهد زمام السلطنة فى مدة غيابه الى متى رئيس ديرد بنيس وفى سنة ١٢٧٠ بعد الميلاد سافر الاسطول الفرنساوى متوجها الى ساحل افريقيه بدل أن يتوجه الى فلسطين أو الى مصر وكانت تونس محكومة فى هذا الوقت بواحد من ملوك الحفصيين وكان توجه لويز قاصدا الاغارة على تونس من أعمال افريقيه فمن قبل اجرائه أى شئ مما كان مصمما عليه مات فى ٢٥ أوغسطس من سنة ١٢٧٠ من بعد أن بلغ من العمر ستا وخمسين سنة ولبث على كرسى السلطنة أربعا وأربعين سنة وما كان لويز ملكا محكوما بغيره بل كان رجلا عالى الهمة جليل الذكر خيرا صادقا أمينا فى كافة أعماله التى أجراها فى حياته ومع أنه ما كان عالما كبيرا ولا قائدا خطيرا لكن بلينه وحسن نيته حاز الصفات الجميلة التى عادت عليه وعلى مملكته بالنفع وفعل ما لم يفعله غيره من ملوك عصره فى مدة سلطنته ونفوذه على أوروبا وما جلس على تخت فرانسا ملك من الملوك استحكم له طالع السعد مثله ونشر السعادة على قومه حتى ان فولطير ذكر سجاياه وخصاله بأحسن العبارات ومانسب الفضائل وعلو الهمة لرجل سواه وكافأته الكنيسة بما يستحقه من جميل الذكر وعلو القدر وقدس البابا بونيفاس الثامن جسمه فى شهر أغسطس سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد

الباب

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من موت لويز التاسع الى موت شارلس الخامس ﴾

فصل مسئلة طولوز للتاج الفرنساوى ـ استحواذ فرانسا على نفاره ـ حرب بين بيت أرغون وانجو فى سيسيليا ـ المذبحة السيسيليانية المعروفة فى التاريخ بصلاة الغروب ـ اغارة فيليب على ارغون ـ موته ـ فيليب الجميل ـ نتائج سلطنته ـ غلاقه الحرب مع أرغون ـ الحرب مع ادوارد الاول صاحب انكلتره ـ انضمام فلندره للتاج الفرنساوى ـ ثورة أهل فلندره ـ واقعة كورطرى ـ الصلح مع فلندره ـ منازعة فيليب مع البابا ـ القبض على البابا ـ موت البابا بونيفاس الثامن ـ ظفر فيليب فى انتخابه كليمنت الخامس ـ المبايعة المهينة ـ قطع دابر فرسان الهيكل ـ استشهاد جاكس دومولى ـ موت كليمنت وفيليب ـ صفة الملك ـ لويز العاشر ـ فيليب الخامس ـ القانون الصاليقى ـ شارلس الرابع ـ الارتباكات فى انكلتره ـ الملكة ازابلا ـ فيليب السادس ـ انفصال نفاره من فرانسا ـ اغارة فيليب على فلندره ـ منازعته مع ادوارد الثالث صاحب انكلتره ـ روبرت صاحب ارطواز ـ حرب بين فرانسا وانكلتره ـ اتحاد أهل فلندر مع الانكليز ـ هزم الاسطول الانكليزى الاسطول الفرنساوى بالقرب من هلوسطيلية ـ هدنة بين فرانسا وانكلتره ـ المنازعة الوراثية فى بريطانى ـ قونتة منطفورت ـ قتل البارون صاحب بريطانى ـ اغارة ادوارد على فرانسا ـ واقعة كريسى ـ حصار كاليس ـ هدنة مع انكلتره ـ موت فيليب ـ ضم دوقية دوفينى لفرانسا ـ ولى العهد الملقب بالدوفين ـ يوحنا العاقل ـ القبض على شارلس القبيح صاحب نورمندى ـ هياج الحرب فى اكيطانيه ـ واقعة بواطير ـ تسليم الملك يوحنا ـ أسره ـ صيرورة شارلس الدوفين نائبا ـ قيام ثورة فى باريس تحت قيادة اتيين مارسل ـ عقد مجلس المملكة ـ ثورة الفلاحين ـ صلح بريطجنى ـ خلاص الملك يوحنا ـ تأسيس الدوقة الثانية لبورغندى ـ شارلس الخامس ـ حرب مع بدرو القطيع صاحب كسطيله ـ تجديد الحرب مع انكلتره ـ نجاح الفرنساويه ـ موت البرنس الاسود ـ ضم بريطانى لفرانسا ـ ثورة البريطونيين ـ موت دوغسقلين وشارلس الخامس

سلطنة فيليب الثالث

فيليب الثالث الملقب بالجسور الابن الاكبر للويس التاسع وخليفته من بعده دخل عاصمته بحالة كئيبة محزنة فى ٢١ مايه سنة ١٢٧١ ومعه أجسام الميتين أبوه وزوجته ازابلا وأخته ازابلا ملكة نفاره وعمه الفنسو كونت بواطو وطولوز وزوجته يوحانه وكانت طبيعته مخالفة بالكلية لطبيعة أبيه وما كان على شئ من التهذيب بل كان ضعيف العزم يميل كثيرا للخرافات خاليا من شرف السيادة وتيسر له الحصول من بعد موت الفنسو ويوحانه من دون وارث يرثهما على كامل أملاكهما الشاسعة وأخذ البابا من هذه الاملاك أيضا قسما على مقتضى اتفاق كان عقده مع ريموند صاحب طولوز وكان هذا القسم مقصورا فى مدينة افنيون والاراضى التى كانت حولها المعروفة بأراضى فنسين واستمرت فى حوزة دار القسوسية الى قيام الثورة الفرنساويه فى سنة ١٧٨٩ بعد الميلاد وتولد من موت أخوى الملك وهما حنا طريسطان وبطرس من دون وارث يرثهما زيادة أملاك التاج أيضا واستحصل التاج منهما

على فلواز والنكون وفى سنة ١٢٧٤ بعد الميلاد مات هنرى ملك نقاره وكانت أرملته (برنسيسة) فرنساوية هربت الى ديوان فيليب من أجل وقاية نفسها فقابلها فيليب بالرأفة ولما بلغت ابنتها حد الزواج زوجها الابنه ولى عهده ومن ثم انضم تاج نقاره الى فرانسا وكانت شمبانيه تابعة لتاج نقاره فانتقلت الى ابن فيليب وفى سنة ١٢٨٤ بعد الميلاد توجه فيليب لحرب مع أرغون مساعدا لعمه شارلس صاحب انجو ملك سيسيليا المقتول من المذبحة المعروفة فى التاريخ باسم صلاة المغرب فى سيسيليا أن صارت هذه المسئلة أى حالة الحرب مقبولة عند فرانسا وما استحوذ الملك على معاضدة قلبية من جهة قومه وأغار على أرغون فى فصل ربيع سنة ١٢٨٥ بعد الميلاد وتغلب على غارونه من بعد حصار لبث نحو ثلاثة شهور الا أن أعماله الاخرى كانت غير ناجحة فالتزم على الرجعة الى فرانسا ولما وصل (بربغنان) مات فى ٥ أقطوبر من سنة ١٢٨٥ من بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة وفى ١١ نوفمبر من نفس هذه السنة مات خصمه بدر والثانى صاحب أرغون بعين الداء الذى مات به فيليب وهو داء الحمى التيفوسية

سلطنة فيليب الرابع

ثم استخلف فيليب الرابع الملقب بالجميل على تاج أبيه وامتدت مدة سلطنته تسعا وعشرين سنة وكانت احدى السلطنات الجليلة فى تاريخ المملكة الفرنساوية وزاد فى شوكة التاج الى درجة كبيرة حتى صار مطلق التصرف فى فرانسا وانقرضت درجة استقلالية كبار عبيد التاج بالكلية وخضعوا له تمام الخضوع وأصر الملك على تقدم أهل القرى أو متوسطى الدرجة وفى أثناء مدافعته عنهم من مظالم الاشراف صيرهم برعاعته آلات خادمة فى تمام مقصوده من الحكم المطلق وفى مدة سلطنتها بتدأت الهيئات الالترامية فى الاستبدال بالقوانين الداخلية المدنية وأجريت ادارة الاحكام العدلية فى أنحاء المملكة الفرنساوية على اسم الملك وصار برلمان باريس هو العضو المقرر فى الادارة المحلية المركزية وفى هذه السلطنة ترتب المجلس العام أو مجلس نواب الامة فى هيئة القانونية الجديدة وكان مؤلفا على التساوى من ثلاثة أصناف الامة وهم الاشراف والقسس والطائفة الثالثة نواب الامة وضرب فيليب الجميل أيضا الضربة الاولى الناجحة فى الشوكة الواسعة البابا وية التى كانت مخيمة على كافة ممالك أوروبا وبدد هذه الشوكة بالكلية حتى انعدمت وصار لا طاقة لها على القيام واكتسابها ما كانت عليه من علو الشوكة كما كانت قبل

وشرع فيليب فى مبادى سلطنته بعمل الوسائل اللازمة فى غلاق الحرب الذى كان جاريا مع أرغون وكان سببا فى عاقبة موت أبيه وذلك أن شارلس صاحب فلواز كان البابا أنعم عليه بتاج الارغونيين فرفضه ورفض طلبه له واتفق ملك أرغون على أن أخاه جمس يلزم أن يرجع سيسيليا البيت انجو فما أمكن اتمام هذه الطريقة واستمرت سيسيليا مستقلة عن مملكة نابولى الفرنساوية ثم انفصل هذا الامر بواسطة تداخل قريب فيليب وهو ادوارد الاول صاحب انكلتره ومع ما فعل ادوارد من هذه الخدمة الجليلة فان فيليب انتهز الفرصة فى أثناء حصول ارتباكات ادوارد مع اسكوطلنده وسعى فى القبض على دوقية غيينة أو اكيطانية وكان السبب مشاحنة وقعت بين بحرية الانكليز والبحرية النورمانية فى مينة (بايون) وكانت سببا فى حرب مهول عنيف بين بحرية تجار الامتين كان غير محمود العاقبة عند كل من الحكومتين وفى سنة ١٢٩٣ بعد الميلاد اكتسب الانكليز بعض فوائد حتى ان فيليب تداخل فى المسئلة وطلب ادوارد بصفة أنه دوقا كيطانيه للحضور أمامه فى شهر يناير سنة ١٢٩٤ للمحاربة عما وقع من رعاياه فأرسل ادوارد أخاه بالنيابة عنه وهو (عدموند ارل لنكستر)

وطلب

وطلب فيليب أن اكيطانيه أو غيينه يلزم أن تكون تحت يده حتى تستقيم الحالة و يقع الاصلاح وكانت هذه مجرد أقوال فى المادة ولما استحوذ على المدائن الكبيرة من الدوقية رمى برقع الحيا وأعلن بان ادوارد عاص بسبب عدم حضوره بنفسه و بوجوده من كافة التزاماته وضمها الى التاج الفرنساوى فبرز ادوارد فى الحال لميدان الحرب من أجل المحافظة على حقوقه وساعده فى ذلك دوق بريطانى ودوق فلندره وادلف صاحب ناسو ملك الرومانيين و وقع الحرب فى غسكونيا فى سنة ١٢٩٤ بعد الميلاد واستمر سنتين وكانت الفائدة العمومية فيه لجهة الفرنساوية وتسبب من حرب ادوارد مع أسكوطلنده حرمانه من اجرائه اجتهادا قاطعا وأرعبه أيضا عصيان أهل الويلس فسعى البابا بونيفاس الثامن فى حصول الصلح لكنه ما نجح فى سعيه وجلب على نفسه فى تداخله هذا عداوة فيليب وفى سنة ١٢٩٧ بعد الميلاد أغار فيليب على فلندره فى قوة ضخمة وأخضع ملك المملكة لطاعته ثم ان البابا وجه التفاته فى وقوع السلم مرة ثانية فقبل توسطه عند كافة الاحزاب وحصل التوقيع على معاهدة صلح بين انكلتره وفرانسا فى شهر يونيه سنة ١٢٩٩ بعد الميلاد وعلى مقتضى نص شروط هذه المعاهدة تزوج ادوارد الاول مرغريطه أخت فيليب الكبيرة وخطب ابنه ادوارد ولى عهده ازابلا ابنة فيليب وكانت طفلة عمرها ست سنوات وترك ادوارد بهذا الاتفاق أمر حليفه الكونت صاحب فلندره وترك فيليب أيضا محالفيه الاسكوطلنديين لانتقام ادوارد وبطشه بهم

ثم تولد من صلح فرانسا مع انكلتره صيرورة فلندره تحت رحمة فيليب الجميل حتى انه فى سنة ١٣٠٠ بعد الميلاد زحف جيش ضخم فرنساوى تحت قيادة شارلس صاحب بولواز على حدودها وسلمت دوناى و بيطون ودامم من دون صدمة وذهب كونت فلندره الى مدينة (غنط) واستعد فيها للمقاومة على آخر جهده لكنه لما قطع الامل من مركزه هذا سلمه فى وقت حضور شارلس صاحب بلواز وأخبره شارلس أن ملك الفرنساوية مستعد لتوجيه التفاتاته مع الرأفة اليه فسلم المدينة ونفسه و ولديه ووجوه أشرافه فأرسل شارلس فى الحال أسراه الى باريس فعاملهم فيها فيليب بأفظع المعاملات وأشقها وكانوا على خبرة تامة من أن طبع فيليب لا يتردد فيما كانوا منتظرينه منه من هذه الافعال وأودع كونت غى وأولاده فى سجن قبيح فى قلعة شاطليط والبارونات الفلمنكية فى قلاع مختلفة بالقرب من باريس وأعلن فيليب بحل وانتهاء أجل التزام فلندره وأضافها للتاج الفرنساوى ومن بعد مضى بضع شهور زار فيليب مملكة فلندره مع الملكة يوحانه زوجته فقابلهما أهل فلندره بالتهليل والابتهاج وكان أهل فلندره على كراهة كبيرة لكونت غى وقدموا للملك الفرنساوية هدايا ثمينة ما وقع فى يده نظيرها أبدا وعاد فيليب مسرورا الى باريس وعين فى فلندره عاملا له عليها وهو (جاكس صاحب شاطيلون) وكان رجلا صالحا للنيابة فى الاعمال لاعاظم الملوك الذين لا يترددون فى أعمالهم

وما مضى على هذه الحالة مدة طويلة حتى علم الفلمنكيون من بعد قبولهم سيادة ملك الفرنساوية عليهم أنهم صاروا فى أيدى ظالم عنيد راعى كافة امتيازاتهم القديمة بعين الاحتقار وذلك أن الملك شرع فى أول أشغاله معهم بتكسيح تجاراتهم ومزق العامل الوضيع صورة حريتهم وداسها تحت أقدامه ثم وقعت الواقعة على نسخ حريتهم فاتفق فى ليلة من الليالى فى شهر مارث سنة ١٣٠٢ بعد الميلاد أن ضرب ناقوس الخوف فى منتصف الليل فى بورغة فخرج أهل المدينة من كل فج حاملين السلاح وأوقعوا بالفرنساوية وقتلوهم عن آخرهم وكان عددهم نحو من ٣٠٠٠ نفس وهرب شاطيلون الى باريس فأرسل فيليب

فى الحال بجيشا تحت قيادة روبرت ارطوازالى فلندره من أجل عقاب أهل بورغة وخضوعهم لطاعته فهزم الفلمنكيون هذه القوة العظيمة فى نواحى كورطرى فى ١١ يوليه سنة ١٣٠٢ بعد الميلاد وكانت واقعة مهولة قتل فيها الكثير من فرسان فرانسا وكبار ضباطهم وجمع أهل فلندره مناطقهم ومزاريقهم وحرابهم المذهبية من بعد تمام الواقعة وكان من الذين قتلوا فى ميدان المعركة كونت ارطوا نفاندالجيش الفرنساوى وكذا شاطيلون العامل

فقابل فيليب هذه الرزية مع الثبات التام وعكف نفسه فى الحال على اصلاحها وعقد مع الفلمنكيين هدنة لمدة سنة وفى اخر هذه المدة صار لهذا الملك من شدة أعماله طاقة على أن يبرز لميدان الحرب فى رأس جيش مؤلف من ٧٠٠٠٠ مقاتل مع غاية التطقيم والتسليح ورتب أسطولا من المراكب الجنويزية على مصاريفه وأمره بالهجوم على الساحل الشمالى لفلندره فهزم هذا الاسطول الفلمنكيين فى واقعة فى البحر وانتصر فيليب نصرة عظيمة على جيش الفلمنكيين من بعد افتتاح الحرب بثمانية عشر يوما فى ١٨ أغسطس سنة ١٣٠٤ بعد الميلاد وقاومه الفلمنكيون أشد مقاومة ما كانت تخطر للملك على بال وانضموا الى بعضهم وتركوا ما كانوا عليه من الخلاف وفى ظرف بعض أسابيع قليلة قابلوه بجيش مؤلف من ٦٠٠٠٠ مقاتل فاندهل ملك الفرنساوية مما رأى من نتيجة شدة محبتهم الوطنية وعرض عليهم صلح شرف وبواسطة شروط معاهدة حصل التوقيع عليها فى ٥ يونيه سنة ١٣٠٥ بعد الميلاد عهد فيليب للابن الكبير لكونت غى السابق وهو (غى دودامبير) ولاية فلندره اقطاعاله وتعهد باحترامه الحرية القديمة وامتيازات الفلمنكيين ودفع أهل فلندره من عندهم لملك فرانسا غرامة حربية كبيرة بشأن مصاريف الحرب ورهنوا كفالة لتمام الدفع تحت يد ملك فرانسا أربع مدن كبيرة من مدائنهم ومن ثم كان غلاق الحرب الاول الذى به حفظ فرسان الفلمنكيين حرية بلادهم

وكان فيليب مباشرا أشغال الحرب بينه وبين الفلمنكيين فى مدة منازعات شديدة بينه وبين البابا وكان مبدأ هذه المنازعة فى نحو غلاق القرن الماضى الا أنها تجمعت واشتد أمرها فى مبادى القرن الرابع عشر وذلك أن الملك لاجل قيامه واجرائه الوسائط الضرورية فى تنفيذ حكومته أدخل خدمة الدين فى العوائد الجارى ضربها وجبايتها من الامة وكان الحبر المتسلطن فى رومة بونيفاس الثامن رجلا متعاظما فى نفسه لا يطاق فى أخلاقه فرأى فى منامه أنه يرجع الشوكة البابوية التى كانت متمتعة بها دار القسوسية فى مدة أيام جريجورى السابع وأونسنت الثالث وكان فيليب على دراية حقيقية من أحوال العصر الموجود هو فيه ويعلم أن الاجتهاد الواقع من جهة البابا الارجاع فيه فما تردد فى ارتقاء الشوكة الملوكية على مصاريف الكنيسة وترا آى للملك والاشراف بوجه الحق أن خدمة الدين الحائزين من الثروة والاملاك شيأ عريضا فى المملكة ينبغى أن يحملوا نصيبهم فى الاثقال الواقعة على المملكة ومكث البابا مدة طويلة مراقبا حركة ينتهز فيها الفرصة فى اخضاع ملك فرانسا فجعل ذلك سببا وأصدر من طرفه فى سنة ١٢٩٦ بعد الميلاد منشورا يقضى بعدم دفع خدمة الدين أى ضريبة أو مساعدة نقود للملك دنيوى الا برضا دار القسوسية ومنع كل ملك من طلبه أو قبوله مثل هذا الدفع وان حصل فجزاؤه توقيع الحجر الكنائسى عليه وتصبيره مراعاة بانه مرتد عن الدين المسيحى فقابل فيليب هذه المسئلة بمنشور أصدره من طرفه قاضيا بمنع كافة التصديرات التى تخرج من المملكة من

دون

دون تصديق عليها من الحكومة الملوكية وعدم اصدار نقود أو سبائك من الذهب أو الفضة أو ألواح حديد أو نحاس أو مجوهرات أو سلاح أو خيول أو ذخائر حربية ومع أن البابا ما كان له اسم في هذا المنشور الا أن الحالة كانت موجهة نحوه وكان هذا أمرا يستحيل به عليه مناولته المدخولات العريضة التي كانت تدفع له سنويا من خدمة الدين الفرانساوية فارتاع البابا وخاف مما حصل من خسارة ايراداته واراده وتنازل نوعا عما كان في نيته وظهر ارتباط العلاقة بين البابا بونيفاس وملك الفرنساوية

وفي يوم احتفال عيد سنة ١٣٠٠ للبابا وهي السنة المتممة الخمسين سنة من جلوس البابا بونيفاس هرع الناس أفواجا الى رومة من أجل الزيارة وصارت رومة غاصة بالناس فدخل في أفكار البابا أنه يقوي أمر البابوية ويجعلها فوق رقاب ملوك أوروبا وأجرى اجراآته اللازمة وتظاهر مع الكبرياء حتى نال كافة الاعمال اللازمة التي يؤمل بها اذلال فيليب ومع هذا فانه ما نجح في شغل مع ملك لا يتردد في شيء حتى يتمه ولا يخشى سلاح البابا وكان على خبرة تامة من ضياع الايام التي كان البابا يعمل فيها أشغاله ويهين ملك أمة قوية ثم ان فيليب طلب من (ويسكونت ناربونه) و (أسقف موغيلانه) أداء رسوم الاحترام على ما كان تحت أيديهما من التزامات الكنيسة فنعهما البابا من اجابة هذا الطلب وأرسل الى فرانسا رسولا من أجل اصلاح هذه المادة مع الملك (الاسقف باميير) وكان هذا الاسقف على كراهة شديدة من فيليب كما كان فيليب يكرهه ذاتا ويشتبه في مقاصده خيانته فدخل هذا النائب مع الملك بأمور السفاهة حتى ان الملك أمر بالقبض عليه وأودعه في سجن تحت محافظة (رئيس أساقفة ناربونه) فأصدر البابا منشورا من طرفه بين فيه بكل لسان ما وقع من فيليب من الوقاحة وطلب الاساقفة الفرنساوية لعقد مجلس في رومة يتداولون فيه على تقرير رأي في فصل الاختلالات الواقعة في فرانسا فأمر فيليب بحرق منشور البابا في مدينة باريس في مواجهة العموم وطلب عقد مجلس المملكة وكانت هذه أول مرة التأم المجلس في شهر ابريل سنة ١٣٠٢ بعد الميلاد وقرر لفيليب مع الرغبة أمر مساعدة المملكة في منازعته مع البابا ثم من بعد مضي بضع شهور أصدر البابا بونيفاس منشوره المشهور مؤكدا فيه طلبات البابوية مع سفاهة زائدة عن كل مرة وذكر فيه انه لا يوجد الاسيفان روحاني ودنيوي وكلاهما في قبضة الكنيسة فأما الروحاني فاستعماله منوط بالكنيسة خاصة وأما الدنيوي فهو مادة مخصوصة لشؤن الكنيسة والاول مقصور على القسس والثاني على الملوك والعسكرية وأن تكون الملوك والعسكرية مذعنة لطاعة القسيس وبواسطة أمره ووصاياه يجري انتخابهم وانه لابد من أن يكون السيف الدنيوي تحت السيف الروحاني وان الشوكة الروحانية هي القائدة للشوكة الدنيوية وهي المدبرة لاعمالها والمراقبة على اجراآتها والهادية لها الى الطريق المستقيم فان وقع من الشوكة الدنيوية أدنى خطا هدتها الشوكة الروحانية الى سبيلها المستقيم ومن ثم تقرر قلبا ولسانا على أنه من ألزم الالزامات من أجل السلامة والخلاص الاعتقاد والايمان بان كل مخلوق بشري هو رعية لحبر رومة وتابع له في حركاته وسكناته وفي ١٣ ابريل سنة ١٣٠٣ أصدر البابا أمرا بتوقيع الحجر الكنائسي أو الارتداد على فيليب فانتقم منه فيليب من أجل ذلك بان اتهمه بعدة جرائم وأقام عليه دلائلها وأمر فيليب بانه لابد من محاكمة البابا في مجلس كنائسي عمومي

وفي هذه الحالة عزم فيليب على جلب البابا تحت سلطته بالقبض عليه وكان ولم يزل لا يعلم أن

مقصده عقابه أو مجرد القبض عليه ومنعه من اجراء الاعمال المؤدية للعداوة فهذه حالة مجهولة لا يعلم أحد بسرها الا أن مسئلة القبض عليه كانت واضحة ثم حصلت اشاعة من طرف بونيفاس البابا بانه فى
٨ سبتمبر سيصدر منشورا بخلع ملك الفرنساوية ويأمر رعاياه بعدم الطاعة مطلقا فكان لفيليب حز بان أحدهما (غيليوم دونيغاريط) رجل من كبار المشرعين كان حصل لاجداده الظلم الشديد من محاكم الفحص فى طولوز وثانيهما (سيارة كلونه) الابن الاصغر لعائلة شريفة رومانية بهذا الاسم فعزم هذان على أن لا يضيعا وقتا فى تنفيذ مقاصد فيليب ولو لم يصدر لهما أوامر تأمرهما بهذا الفعل من الملك وكان البابا فى هذا الوقت مقيما فى بلده مدينة (انغنى) فأسرع دونيغاريط وكلونه الى ايطاليا وهجما على سراية البابا فى رأس قوة قليلة متسلحة وأرغموا المحافظين عليه بالتسليم واغتصبوا طريقهم الى حضرة الحبر العجوز فقابلهم وهو جالس على تخته لابسا على رأسه قبعته ولابسا حلى القديس بطرس قابضا على مفاتيح مقصورته ومع أن أصدقاء البابا تركوه الا أن هذا الشجاع العجوز ماضعفت قوته من وجود أعدائه أمامه فقرب منه دونيغاريط وقيل ان كلونه ضربه بكفه الحديد الذى كان لابسه فى يده وامتنع مع غاية الصعوبة من قتل البابا داخل السراية فأخذوه وأركبوه حصانا فى حالة قبيحة وجعلوا وجهه نحو ذيل الحصان وساروا به فى وسط المدينة الى السجن ثم من بعد مضى يومين هاج أهل انغنى وقاموا فى ثورة على العساكر وطردوهم مع قوادهم من المدينة وخلصوا البابا من سجنه فأسرع فى الذهاب الى رومة ليأخذ بثأره من أعدائه الا أنه تولد من فزعه من هذه الفظيعة ومن عدم تحكمه على أخلاقه وما تمكن فيه من الغضب مضافا الى تقدم عمره وكبر سنه أن صار فى حالة لا يتمالك بها نفسه ولا يهدأ بها روعه فأصابته حمى شديدة كانت سببا فى اختلال عقله وأعقبها موته حسبما حكاه بعض المؤرخين وقال آخرون ومن المحتمل صحة قولهم فى وصفهم له بانه تراكمت عليه الهموم وحزن ثم مات فجأة وكان حوله ثمانية من الكردينالات ومن بعد ما اعترافه بالدين وبعقائد الكنيسة مات فى ١١ أقطوبر سنة ١٣٠٣ بعد الميلاد

ومع أن فيليب خلص من عنف بونيفاس وشدة بأسه الا أن سلوكه ما زال جاريا مع العداوة الشديدة وطلب من البابا الجديد بنديكت الحادى عشر التوقيع على الحكم الرسمى الذى صدر من المجلس فى حق بونيفاس على ما جناه من البدع والا ثام فرفض بنديكت السير على منوال سلفه وأصدر حكما بتوقيع الحرم الكنائسى على الذين دخلوا فى مسئلة القبض على البابا بونيفاس وعلى الذين ساعدوهم بأى حالة من الاحوال وصادق عليهم ومن البديهى أن ملك فرانسا كان داخلا فى ضمن هؤلاء ومن بعد مضى شهر مات البابا فجأة فقالوا ان موته وقع من تدبير سم دبره نواب ملك الفرنساوية فصمم فيليب على أن الذى يكون بابا رجلا فرنساويا وأن يكون تابعا له ولاعماله ورشى الكردينالات على ذلك حتى نجح فى أن وعدوه بالتصديق على ذلك ومن ثم أرسل فى طلب (برطرنه دوغوط) رئيس أساقفة بوردو وهو رجل فى ذاته وصفاته مثل فيليب وعرض عليه البابا وية وأن يجعله فيها لو حلف له على أداء ستة شروط خمسة منها قالها له فى وقت جلوسه معه وهى الغاء الاوامر الكنائسية الصادرة من دار القسوسية فى حق فيليب وأتباعه وأن يمنحه عشرا يراد الكنيسة فى فرانسا خمس سنوات وينفذ الحكم الصادر على بونيفاس الثامن وعود عائلة كلونه الى ما كانت عليه من الشرف وأن يعين عدة من الناس فى وظيفة الكردينالية ممن اهم له فيليب وأما الشرط السادس فان فيليب ما ذكره حتى يجىء

الوقت اللازم له فحلف رئيس الاساقفة قسما مؤكدا على أنه يؤدى هذه الشروط جميعها فى وقت طلب أدائها منه ولما انتهت هذه المبايعة القبيحة أمر فيليب بانتخاب رئيس الاساقفة هذا بابا وجلس على كرسى البابا وية باسم كليمنت الخامس فى يونيه سنة ١٣٠٥ بعد الميلاد وتتوج بتاج البابا وية فى ليون وجعل مقر حكومته فى مدينة أفغنون بدل رومة كما تقدم ذكره فى محل آخر وبواسطة هذا التغيير جعل كليمنت نفسه فى قبضة فيليب ثم وجده رجلا لا يلين ولا رجعة عنده فأسرع البابا فى أداء الخمسة شروط التى قالها له فيليب وانتظر مع التلهف ذكر الشرط السادس فكان طائفة فرسان الهيكل أى معبد أورشليم من عهد طردهم من نواحى فلسطين مداومين على الاقامة فى أوروبا كما حاد الامم المحولة والاكثر سعة فى الثروة والقوة وكانوا مؤلفين من أمة عددها ١٥٠٠٠ نفس من شجعان الفرسان مستثنين من الشوكة الملوكية ومحكومين بقوانينهم وأمرائهم المخصوصين بهم وكانوا موجودين فى جميع ممالك أوروبا فقتوا الهم من سعة ثروتهم وشمامختهم وشح أيديهم وقبح معاملتهم الاهالى أن صاروا مكروهين فى كل جهة قاطنين فيها وجلبوا على أنفسهم عداوة فيليب بمقاومتهم له فى بعض أعماله الظالمة فعزم على دمارهم وصمم على اجراء الطرق اللازمة ضدهم حتى يستحوذ على ثروتهم وأملاكهم ولاجل تمام مقصوده من تدمير شيعة الكنيسة ومن تحت حماية البابا الحالى رأى فيليب أنه من الضرورى له توطيد مساعدة الكنيسة فمن ثم عندما جلس كليمنت الخامس على كرسى البابا وية ذكر له فيليب الشرط السادس الذى حلف أن يخصه اياه وهو اهلاك فرسان الهيكل فنفر البابا فى مبادى أمره من هذا الامر الفظيع الا انه واقع فى قبضة فيليب من دون مساعد له وانه ملزم بتنفيذ مرغوب سيده فصار طلب (جاكس دومولى) وهو العمدة الكبير لفرسان الهيكل مع حكام وضباط الطائفة الى فرانسا بحجة المداولة فى الاعمال اللازمة لاجراء حرب صليبى جديد وأن تكون هذه المداولة مع البابا ولما وصلوا اليها تلقاهم فيليب فى ابتداء الامر مع غاية الاحترام ثم وقع القبض عليهم وأودعوا فى السجون فى ١٣ أقطوبر سنة ١٣٠٧ بعد الميلاد وصار ضبط أملاك الطائفة المذكورة الموجودة فى أنحاء فرانسا بمعرفة حكام التاج الفرنساوى وضبطوا كافة فرسان الهيكل الموجودين فى المملكة وأودعوهم السجون وادعى الملك على فرسان الهيكل بانهم أهل أوثان ملحدون وكثير منهم غرقان فى اللهو وكانوا بريئين مما ادعى عليهم به فيليب من كل الوجوه وأرغموا الكثير منهم بواسطة العذاب على الاعتراف بالجرائم التى اتهموا بها حتى ثبتت عليهم وتحمل آخرون منهم أشد العناء ودافعوا عن أنفسهم بقدر جهدهم ومع هذا فقد أثبت فيليب بالدلائل التى أقامها توقيع الحكم الجنائى على الطائفة المذكورة بواسطة مجالس المملكة فى شهر مايو سنة ١٣٠٨ وأرغم البابا على المصادقة على هذا القرار القاضى بدمار طائفة الفرسان وحرق الجم الغفير منهم على عيدان الحرق وماتوا وما حصل ربح فى شجاعتهم التى لا تغلب فى الحروب وفى شهر مارث سنة ١٣١٢ بعد الميلاد ألغى البابا فى مجلس عقد فى فيانه طائفة الهيكل من كافة جهات أوروبا وأنعم بأراضيهم على فرسان القديس يوحنا من فرسان أورشليم وأدخل ثلثى أملاك وأراضى طائفة فرسان الهيكل فى بدملك فرانسا مكافأة له على ما صرفه من مساعيه فى الظلم والجور وصار تقدير هذه الاملاك بمبلغ جسيم جدا وكان آخر ضحايا فيليب هو (جاكس دومولى) العمدة الكبير ومعلم نورمندى أى رئيسها وذلك انه من بعد أن أودع فى السجن سبع سنوات صار حرقه على عمود الخشب فى مدينة باريس فى شهر مارث سنة ١٣١٤ بعد :

الميلاد ومعه أمراء قومه ومن بعد أن دافعوا عن براءتهم على آخر جهدهم ماتوا أسوفا عليهم من كل من شاهد موتهم ناعين عليهم بسكب عبرات الدموع ومن بعد مضى بضع أسابيع مات كليمنت الخامس في ٢٠ ابريل وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨١٤ بعد الميلاد تبع فيليب نفسه البابا الى القبر فكان من أشهر ملوك فرانسا وكان له طالع كبير ونجاح فى أعماله عظيم فانه ما خاب فى مشروع شرع فيه وأهان الكنيسة بمعاملته التى عامل بها كلا من بونيفاس وكليمنت وبمحطمه فرسان الهيكل بضربة شديدة ما وقع نظيرها لاشراف وكبار الملتزمين وأعاد نفوذ القانون المدنى الداخلى وحفظ العوام ودافع عن حقوق الاهل وسكان المملكة من جور الاشراف ولو انه كان لا يحترم حقوقهم ومن سماحة قريحته ونجاح أعماله حاز درجة بين عظماء ملوك فرانسا ومع ما كان عليه من جودة القريحة وحزم الرأى كان حريا باطماعا جبارا حتى انه ما فعل خيرا مستمرا على مملكته بل تركها فى حالة عادت عليها بالمهنة وعدم الوثوق

سلطنة لويز العاشر

ومن بعد موت فيليب خلفه ابنه الكبير لويز وكان أكبر أولاده الثلاثة وكلهم صاروا ملوك فرانسا واحدا بعد الآخر وتسلطن لويز العاشر سنتين وفى ظرف هذه المدة حصل رد فعل عنيف فى الاعمال من كافة الطوائف من أشراف وقسس وعوام فى شأن الاحكام الاستبدادية التى أقامها فيليب واستعود كل طائفة على بعض من حقوق امتيازاتها التى كانت سلبت منها ولو كان موجودا فى هذا الوقت رجل نبيل قائد حنكته الامور ورؤساء الحركة لكانت النتيجة الحصول على تشييد قانون حرية قوى يجرى العمل بعد واما فى فرانسا الآن الاشراف رفعوا منزلة أنفسهم على مصاريف العوام كما وقع ذلك ومات لويز فى شهر يونيه سنة ١٣١٦ بعد الميلاد من دون وارث يرثه ومن بعد مضى أربعة شهور وضعت زوجته الملكة يوحانه صاحبة نفاره ولدا مات من بعد مضى ستة أيام فما صار درجة ضمن ملوك فرانسا كما جرت بذلك العادة

سلطنة فيليب السادس

وكان فيليب أخو لويز العاشر تعين وصيا ونائب المملكة وقت موت أخيه ولما مات الطفل ابن لويز أمر بتتويج نفسه ملكا فى مدينة رهيم فى ٩ ينايرسنة ١٣١٧ بعد الميلاد فطلب دوق بورغندى المملكة لابنة أخته البرنسيسة يوحانه ابنة لويز العاشر من زوجته الاولى فطلب فيليب عقد مجلس العموم فقرر هذا المجلس قانونا قاضيا بعدم دخول النساء فى وراثة التخت الفرنساوى وعرف هذا القانون بالقانون الصاليكى لانه تأسس على مادة قديمة من القانون الصاليكى القديم القاضى بتحريم تحويل الاملاك والاراضى الحرة التى كانت للقبيلة الصاليكية الى النساء واستمر العمل على ذلك فى القانون الداخلى الفرنساوى وكانت هذه المادة حكما فاصلا فى عدم معارضة الملك الجديد وطدت له حق اغتصابه التاج وكانت فائدة كبيرة فى المستقبل لفرانسا فى منع البرنسات الاجنبيين من استيلائهم على كرسى فرانسا وتأييد السلطنة فى أيدى الملوك الوطنيين ومهما كان حصل من الملوك من الخطا فى الحالة المستقبلة فانه لا يقال لهم انهم كانوا غير وطنيى النزعة لانهم حازوا مدة طويلة فى توطنهم الارض مثلهم مثل واحد من رعاياهم

وتسلطن فيليب الخامس الملقب بالطويل نحو ست سنوات وكان متوسط القامة كريما وكان مصنفا لعدة قوانين نافعة منع فى واحد منها رهن الاراضى التابعة للتاج ومات فى سنة ١٣٢٢ بعد الميلاد

سلطنة شارلس الرابع

ومن بعد موته خلفه شارلس الرابع الملقب بالجميل وهو الابن الثالث لفيليب الرابع وأصغر أولاده وأخو فيليب الخامس لان فيليب مات من دون أن يخلف ولدا يرثه على تخته من بعد موته فانتهز شارلس

الرابع فرصة هياج الحرب بين ادوارد الثانى صاحب انكلترة وبين رعاياه واجتهد فى استحواذه على دوقيـة غيينه ونجح فى تغلبه على لاروشيل فتوجهت الملكة ازابلا زوجـة ادوارد وأخت شارلس الجميل الى باريس بأمر زوجها فى شهر مايو سنة ١٣٢٥ بعد الميلاد من أجل المخابرة فى عقد صلح فلما وصلت فرانسا شرعت فى دس الدسائس فى حق زوجها فساعـدها أخوها بالرجال والمال وعادت الى انكلترة فى شهر سبتمبر سنة ١٣٢٦ بعد الميلاد وكانت سببا فى هياج حرب على المملكة كانت نتيجته خلع ادوارد الثانى وقتـله ولما جلس ادوارد الثالث على كرسى انكلترة أعاد اليـه ملك الفرنساوية دوقية غيينه من بعد أن دفع غرامة مقـدارها ٥٠٠٠٠ مارك استرلينه ومات شارلس فى ٣١ يناير سنة ١٣٢٨ بعد الميلاد وما خلف ذكرا يرثه من بعد موته ومن بعد مضى شهرين ولدت زوجته بنتا وبموت شارلس الرابع انقرضت سلسلة الذكور من بيت أبى طقية من بعد أن استولت هذه العائلة على التخت وتوارثه رجالها من أب الى ابن من دون انقطاع ما ينوف عن ثلاثة قرون فاعتقدت الامـة أن انقراض الوارثين من هذه العائلة أمر من الله سبحانه وتعالى فى دمارها عقابا على ما جناه فيليب الرابع من الجرائم والآثام

ولما ولدت زوجـة شارلس الرابع بنتا وكانت الابنـة لا ترث أباها فى تاج المملكة حسب نص القانون الصاليكى قدم أشراف المملكة تاج مملكتهم الى فيليب كونت فالواز وحفيد الملك فيليب الثالث وكان أول أولاد العم وأقرب فى العصبية لشارلس الرابع فعلى حسب القانون وقع عليه الانتخاب وقدم اليه التاج وتتوج فى مدينة رهيم فى ٢٩ مايو سنة ١٣٢٨ بعد الميلاد ولقب فيليب السادس وكان عمره فى هـذا الوقت خمسا وثلاثين سـنة وفيه الكثير من الخصـال المحمودة فكان شجاعا بشوس الوجه محبا للفخر وأنشأ ديوانا فاخرا كانت تستقر فيه كبار الاشراف وملوك بوهيمه ونقاره وما يورقه مع خدمهم وحشمهم وفى أثناء هذه الابهة والجلالة صار للملك قوة على زيادة نفوذ شوكة التاج شيأ فشيأ حتى صار الملك فى قوة قوية وحكومة مطلقة استبدادية كما كانت جارية فى عهد فيليب الجميل

وابتدأ فيليب السـادس فى أشغال سـلطنته بجلوس كونت وكونتة افروكس على كرسى مملكة نقاره وكانت الكونتـة ابنـة الملك لويز العاشر وكان القانون الصاليكى حرمها من وراثة تاج فرانسا وقت موت أبيها وفى نظير ذلك تنازل الكونت والكونتـة عن طلب حقوقهـما فى التاج الفرنساوى ولما قام الفلمنكيون فى ثورة على كونت فلندره استغاث ذلك الامير بمساعدة فيليب فأسرع لمساعـدته وهزم الفلمنكيين فى واقعة على مسافة من كاسل وأيد سلطنة الكونت ثم رأى فى نفسه فى هذا الوقت انه فى قوة كافية من طلبه ادوارد الثالث صاحب انكلترة للحضور لديوانه من أجل أداء رسوم الاحترامات الالتزامية من أجل دوقيته غيينه وبما أن ادوارد ما كان على استعداد لمحاربة فيليب رأى أن الاصوب اجابة الطلب وأدى رسوم الاحترام لفيليب فى مدينة أميين فى سنة ١٣٢٠ بعد الميلاد ومع هذا فانه عمل احتياطات سرية مع مجلس مملكته فى كونه لا يسلم حقوق نفسه بصفة أنه ملك مسـتقل فقط بل يحفظها عند أول فرصة تسنح له فعانى فى هذه المسـئلة مشاق ست سنوات مرت عليه وفى أثناء هـذه المدة وقعت العداوة بين فيليب وروبرت كونت ارطواز وكان روبرت من أكبر الخاضعين الصادقين لفيليب وكان عديله فاغرى واحد من الكاذبين روبرت فى كونه يأمر برسم ثنين من أقاربه ليتيسر له الحصول على كونتية ارطواز التى كانت أخـذت منه فى السلطنة السابقـة فانكشفت خيانته وحكم

عليه بالنفى المؤبد وضبطت أملاكه فهرب من المملكة قبل صدور الحكم عليه وشرع فى دس الدسائس على فيليب بسبب ما حصل عنده من كراهته له لانه ما حماه مما وقع من الجرائم وخشى فيليب جدا من عداوته فتتبعه من مملكة الى مملكة وأمر الملوك الذين أووى اليهم أن لا يؤووه فى بلادهم فهرب روبرت أخيرا الى انكلتره فقابله فيها ادوارد الثالث بأجل الاحترامات وأسدى اليه معروفا كاملا فى سنة ١٣٣٣ بعد الميلاد وكان ادوارد الغيور الحاسد والعدو المراقب لفيليب ثم تولد من كثرة دس الدسائس المقلقة فى الديوان الانكليزى الواقعة من كونت ارطواز تحريض فيليب على نمو هذه البلاد وتمامها فأعلن فى مبادى القسم الاول من سنة ١٣٣٦ بعد الميلاد أن روبرت ارطواز خائن وألد الاعداء للمملكة وينهى كافة عبيده من كافة الدرجات سواء كانوا فى داخل الاراضى الفرنساوية أو خارجين عنها بعدم قبوله وكل من خالف ضبطت التزاماته فرأى ادوارد أن هذه الواقعة منقصة فى حقه ورأى أنها اعلان حرب من طرف ملك الفرنساوية فشرع فى الاستعداد للحرب مع السرعة ودخل معه وحضن أمره فى هذا الوقت الفلمنكيون تحت قيادة رئيسهم (جس وان ارطيفيلد) البيراوى المشهور فى غنط وأشار (وان ارطيفيلد) على ادوارد فى سنة ١٣٣٧ بعد الميلاد فى كونه يتقلد بسمة لقب ملك فرانسا فأعلن ادوارد ذلك بسبب أنه من نسل فيليب الجميل أى أنه ابن ابنته وقرر الفلمنكيون فى الحال سيادته الالتزامية عليهم وفى سنة ١٣٣٩ بعد الميلاد عدى ادوارد الخليج الى فلندرة وأغار على فرانسا من تلك الجهة فكان هذا الحرب الاولى غير فاصل وما كان بفائدة على الانكليز فمن ثم تقهقروا الى جهة هينولط

وفى فصل ربيع سنة ١٣٤٠ بعد الميلاد عاد ادوارد الى فلندره مع أسطول قوى وجيش ضخم وفى أثناء ذلك كان أرسل جيش فرنساوى الى هينولط وأرسل أسطول فرنساوى مؤلف من ٤٠٠ سفينة فى غاية من التطقيم الى المياه الفلمنكية من أجل منع ملك الانكليز من نزوله فى أرض فلندره فأخذ الفرنساوية لهم موقعا بالقرب من مصب نهر (الشيلط) فى (هلوا يطسلوز) ووصل الاسطول الانكليزى على منظر منهم بعد الظهر فى يوم ٢٣ يونيه وفى صباح اليوم الثانى هجم ادوارد على الفرنساوية وامتدت واقعة الحرب الى بعد العصر الاخير فهزم الفرنساوية شر هزيمة وخسروا ٣٠٠٠٠ نفس وتغلب الانكليز على كامل أسطولهم وتلاشت العمارة الفرنساوية وقامت السيادة البحرية لانكلتره وخابت فرانسا فيما كانت تؤمله وكانت خسارات الانكليز خفيفة بالنسبة لتلفيات الفرنساوية وفى هذه الواقعة جرح ادوارد جرحا خفيفا ومن بعد مضى بضع أسابيع سار فى داخل فرانسا فى رأس جيش كان فيه جيش من الفلمنكيين مؤلف من ٦٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة (وان ارطيفيلد) ووضع الحصار على مدينة طورنى فما اكتسب فى هذا الحرب فائدة مثل التى اكتسبها فى الحرب السابق وعقدت معاهدة هدنة صار مراعاة موادها عند الحزبين الى آخر نهاية المدة المحدودة فيها وهى منتصف فصل صيف سنة ١٣٤٢ بعد الميلاد وكان يمكن أيلولتها الى صلح مستديم لولا أنه دخل فيها منبع ارتباكات جديدة تولد منها فتح المنازعة مرة ثانية بين المملكتين وذلك أن وراثة دوقية بريطانى وقع فيها المنازعة بين شارلس بلواز وحنا كونت مونطفورت فعضد ملك الفرنساوية دعوى شارلس بما أنه كان ابن أخيه ودخل ادوارد فى أمر مونطفورت ورفعه الى رتبة ارل ريشموند مضافا الى لقبه بريطانى وفى أغسطس سنة ١٣٤١ بعد الميلاد تغلب شارلس على مدينة (نانطيس) وكان محافظا

فيها

فيهامونطفورت فاخذ خصمه أسيراوأرسلها الى باريس فقامت كونتةمونطفورت فى هذه الحالة بأمر زوجها ودافعت عنه مع الفروسية وجعلت نفسهافى مدينة (هورنبون) وحفظتهامن عدوّها حتى ورد اليهامساعدةقوية من عنداودوارد من أجل مساعدتها وأرغمت الفرنساوية على الحصار فى سنة ١٣٤٢ بعد الميلاد ثم بعد ذلك وصل ادواردنفسه الا أنه ماتم شئ فاصل وفى ١٩ يناير سنة ١٣٤٣ وقع التوقيع على معاهدة صلحية لمدة ثلاث سنوات بين الملكين دخل فيهامحالفوكل من الطرفين فاراعى كل من الطرفين هذه المعاهدة وكان فيليب أول من نكثها وذلك أنه من قبل انقضاء السنة دعا خمسة عشر شخصا من أكبر أولى البأس من بارونات بريطانى من أجل لعب الجريدفى باريس وبهذه الخديعة قبض عليهم فى تطير مساعدتهم فى دس الدسائس عليه مع الانكليز وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٣٤٣ قتلوا جميعا بأمر الملك من دون حصول أدنى محاكمة وفى سنة ١٣٤٤ وقع القبض على ثلاث بارونات نورمانية وقتلوا بهذه الطريقة فتولد من قتل هؤلاء الاشراف من دون جريمة جنوها قيام الغضب على فيليب من كل جهة وأعلن ادوارد بان المعاهدة صار نكثها بواسطة ملك الفرنساوية ومن ثم أعلن حرباعلى فيليب فى سنة ١٣٤٥ بعد الميلاد وفى السنة التالية أغار على فرانسا فى رأس ٣٠٠٠٠ من عساكر المشاة وكان نزوله فى رأس لاهوج فى نورمندى فى ١٢ يونيه سنة ١٣٤٦ وسار تقريبا الى باريس مخربا البلاد بالسيف والنار ثم تقهقر الى فلندره تابعاله فيليب فى رأس جيش مؤلف من ١٠٠٠٠٠ مقاتل واجتهد ملك الفرنساوية فى الزام عدوه على الدخول معه فى واقعة فى الميدان مؤملا فيها انه بكثرة عدد عساكره ينتصر عليه فراوغه ادوارد بحذاقته حتى عبر نهر السوم وطد خط رجعته نحو فلندره وعسكر عساكره على حرف أورمان كريسى على نحو اثنى عشر ميلا من (أبيفيل) وانتظر فى هذا الموقع قرب العساكر الفرنساوية ولما خاب فيليب من منعه عبور الانكليز من نهر السوم عبر هو أيضا هذا النهر من تجاه ابيفيل وسار مسرعا زاحفا على موقع الانكليز فوصل أمامه فى ٢٦ أغسطس سنة ١٣٤٦ بعد الميلاد وعزم على تأخير الهجوم الى اليوم القابل فاشتغلت عساكر مقدمته بالهجوم من دون أمره ثم كان هياج الحرب واشتباكه فانهزم الفرنساوية شر هزيمة فاصلة وخسروا ١٢٠٠ فارس و ٨٠ بيرق و ٣٠٠٠٠ نفس وجاغفيرا من البرنسات والكونتات وكبار الضباط وكان من الذين قتلوا كونت ألنسن وكونت فلندره والفارس بوحنا ملك بوهيميه وكان طاعنا فى السن أعمى البصر وخسر الانكليز أقل من الربع فلما رأى فيليب وكان تحمل وطيس الحرب بنفسه أنه فى خسارة جسيمة فى هذا اليوم هرب من ميدان الواقعة والتجأ فى مدينة أمين وكانت نصرة الانكليز منسوبة للماهر ولى عهد الانكليز لانه كان قائد الفرقة الاولى من جيش أبيه وكذا من ثبات وبراعة النبالة الانكليزية فانه عند رميهم نبالهم مرة واحدة زلزلت أقدام الفرنساوية ووقع فيهم الاضطراب وصار لا طاقة لهم على الثبات ثم بعد ذلك سار ادوارد من نواحى كريسى الى قلعة كاليس وحاصرها من البر بعساكره البرية ومن البحر باسطوله فقاومته هذه القلعة أحد عشر شهرا وأخيرا سلمت مما وقع بهامن القحط وكان تسليمها فى ٤ أغسطس سنة ١٣٤٧ بعد الميلاد وكان ادوارد عزم فى مبادى أمره على صلب جميع وجوه أهل المدينة لكنه قبل فيما بعد رجاء الملكة فيليبه فى العفو عنهم ورتب ادوارد مستعمرة كبيرة انكليزية فى قلعة كاليس فاستمرت هذه القلعة ما ينوف عن قرنين احدى المستعمرات لعصبة الموجودة تحت يد الحكومة

الانكليزية وفى ٢٨ سبتمبر من هذه السنة عقدت هدنة لمدة عشر شهور بين الملكين وتوجه ادوارد الى انكلتره ولما انقضى أجل الهدنة ماعادالحرب ثانيا وفى سنتى ١٣٤٨ و ١٣٤٩ بعد الميلاد كان الوباء المفزع المعروف بالموت الاسود فاشتد أمره فى فرانسا وانكلتره وهلك فيه ألوف من الناس وهلك من باريس نفسها خمسون ألف نفس ومن الذين هلكوا فيه ملكة فرانسا ونفاره ومات فيليب نفسه من مرض حزن من كان تسلطن معه فى ٢٢ أغسطس سنة ١٣٥٠ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن اثنتين وعشرين سنة

ووقع فى مدة سلطنة فيليب السادس حادثتان شهيرتان الاولى أن الملك ضرب ضريبة على الملح فمن هنا صار ترتيب مصلحة التزام الملح فجاءت من بعد مضى سنين بمنافع جليلة على خزينة مالية المملكة ورديئة جدا على الاهالى والثانية أنه فى السنة الاخيرة من حياة الملك اعتزل همبرت الثانى دوفين فيانه الى دير من الديورة وكان اسم دوفين علما عليه على حسب رغبته وما كان له ولد وتنازل للبرنس شارلس حفيد الملك عن أملاكه الوراثية وصار تقرير هذه الاملاك بمبلغ مائتى ألف فلورين دفعت من طرف الملك وكان من احدى مواد الشروط التى وقع الاتفاق عليها أن اقليم دوفينى لاينبغى ضمه أصالة للتاج الفرنساوى وعلى حسب هذا البند واظهار أهمية الاكتساب عندما صار البرنس الشاب شارلس ملك فرانسا باسم شارلس الخامس أمر بان يعطى لقب الدوفين من ابتداء هذا الوقت لكل مولود بكرى وارث لسلطنة فرانسا ومن بعد موت فيليب جلس يوحنا الملقب بالطيب على تخت مملكة الفرنساوية وكان عمره فى وقت جلوسه اثنتين وثلاثين سنة وكان يشابه أباه فى صفاته فكان مثله على درجة كبيرة من الكبرياء والعناد والجبر والقسوة وحب الفخر والتظاهر وكان شجاعا وما كان عنده كرم الالمن اختاره لنفسه وفى مبادى سلطنته قبض على مأمور مصالح فرانسا (رول دونسل) وقتله من دون محاكمة وأنعم بوظيفة مأمور المصالح على رفيقه المصطفى (شارلس دولاسرده) وأنعم عليه أيضا بايالة انغوليم وكان تنازل عنها للتاج شارلس الردىء الملك الجديد لمملكة نفاره على وعد استبدالها باراض أخرى ولما أخذ يوحنا هذه الاراضى تولد منها عداوة شارلس الكبيرة واستعد لان يجلب على فرانسا كل كرب فى مدة هذه السلطنة ونذر على نفسه أن يأخذ بثار مأمور المصالح ويبطش بمأمورها الجديد دولاسرده فوفى بنذره وأمر بذبحه فى فرشه فى ينايرسنة ١٣٥٤ بعد الميلاد فاستعد الملك يوحنا فى الحال للاغارة على أراضى شارلس صاحب نفاره وأفروكس الا أنه لما كان شارلس خصما شديد البأس رضى يوحنا بعقد العلاقات التى أجرتها أقاربهما وكانت هذه العلاقات بحرض بخرب فان ملك نفاره أغرى الدوفين شارلس على أن يجعل نفسه فى رأس حزب مضاد لابيه فقام الغضب فى وجه يوحنا من هذا السلوك ولما تحققه سار فى الحال الى رووان وكان الدوفين مقيما فيها بصفة أنه دوق نورمندى وقبض على شارلس الردىء بيده وأراد قتله لولا أن الدوفين حضه على تنازله عن نيته فأرسل ملك نفاره الى باريس وحبسه فى سجن شاطليط وعومل فى هذا السجن باشق المعاملات فى ابريل سنة ١٣٥٦ بعد الميلاد فقام فى المشاحنة من أجل ملك نفاره أخوه فيليب فى فصل صيف السنة المذكورة وانضم هو وعدة من الوردات الفرنساوية النافرين من الملك الى دوق لنكستر وأهاجوا حربا على ملك الفرنساوية فى نورمندى فبرز يوحنا اليهم فى الميدان وردهم على أعقابهم وحاصر برطويل قلعة تابعة لملك نفاره وفى أثناء اشتغاله بهذا الحصار وردت اليه الاخبار بان البرنس ولى عهد الانكليز

سلطنة يوحنا الطيب

المعروف

المعروف بالبرنس الاسود خرج من دوقية غينيه مع جيش مؤلف من ٨٠٠٠ نفس وزحف داخل الاراضى الفرنساوية حتى وصل الى بورغيس فرفع يوحنا الحصار عن قلعة برطويل وأسرع فى السير الى بواطو من أجل قطع خط مواصلة البرنس الاسود ومنعه من القهقرة الى غينيه ونجح فى أن جعل مقدار جيشه مؤلفا من ٦٠٠٠٠ مقاتل وسار تابعا طريق ادوارد ولما رأى ادوارد أنه يلزمه اما الحرب أو التسليم انتخب لنفسه موقعا قويا فى بواطيه وصار لا يبالى فى هذا الموقع بكثرة عدد الفرنساوية وانتظر هجومهم عليه وفى صباح يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٣٥٦ بعد الميلاد هجم الملك يوحنا هجوما شديدا على الجيش الانكليزى فانهزم ووقع الارتباك فى الفرنساوية من كثرة ضرب النبل الواقع عليهم من جهة الانكليز حتى انخرقت صفوفهم وولوا الادبار أمام الحملات الفاصلة التى أجراها عليهم ادوارد ومابقى من العساكر الفرنساوية فى ميدان المحاربة الافرقة واحدة كانت تحت قيادة الملك يوحنا نفسه عزمت على توقيف تقدم الانكليز فهزمها العساكر الانكليزية وأخذ الملك يوحنا أسيرا وخسر الفرنساوية ٢٥٠٠ نفس من فرسانهم وأشرافهم ومن ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠ نفس من عساكرهم وكان عدد المأسورين ينوف عن ضعف أو ثلاثة أمثال قوة العساكر الانكليزية وعامل ادوارد الملك أسيره بأجل الاحترامات وبذل جهده معه فى أن ينظر شأنه ويترك ماصار عليه من حالة الاسر وأخذه معه الى بوردو وفى فصل ربيع سنة ١٣٥٧ بعد الميلاد أرسله الى انكلترة فقابله الملك ادوارد أحسن مقابلة وعين سراية صافوا القديمة مستقرا له وحصلت المساعى فى غلاق الحرب الا أنها كانت على غير طائل بل صار عقد هدنة لمدة سنتين من ابتداء عيد الفصح لسنة ١٣٥٧ بعد الميلاد

وأما الدوفين شارلس وكان هرب من عاقبة ميدان الحرب فى بواطرفانه وصل باريس من بعد مضى عشرة أيام من وقوع الواقعة وتقلد زمام الحكومة بصفة أنه قائمقام المملكة ثم تولد من أسر الملك حصول الهياج فى داخل المملكة وطلب شارلس مجلس المملكة فى الحال واتضح جليا أن العوام عزموا فى هذا الوقت الذى سنحت لهم فيه الفرصة على عود بعض حقوقهم التى كانوا خسروها فقاموا تحت قيادة (عطيين مارسيل) رئيس مجلس البلدية أوشيخ باريس و (روبرت لوكوك) اسقف ليون وكانا من أقوى الرجال براعة ومن أكبر محبى الوطن والتزم شارلس على تسليمه طلبات العوام مع اللين الا أنه تلقى فى السر من أبيه أمرا بعدم مراعاة مواعيده ومايجريه المجلس العام من الاشغال فكانت هذه المادة سببا فى قيام الامة فى ثورة وخلصوا شارلس الردى من سجنه وحضوه على اثبات التاج لنفسه وكان لامنازع له فيه وان كان من نسل النساء من فرع العائلة الملوكية وقتل الثائرون اثنين من أجل المعتمدين فى مشورة الدوفين أمام عينه وأرغموه على المصادقة على أعمالهم وصار شارلس فى هذه الحالة مأسورا فى يد مارسيل بما أن له شوكة يستعملها فى كونه يرغمه الدوفين على منح بعض قوانين قوية مخصوصة بحرية النظام فى البلاد الا أنه بدل أن يفعل ذلك سمح لشارلس أن يترك باريس ويعتزل الى (كامبيغ) وانضم اليه فيها أشرافه ووجوه قومه وانعقد مجلس المملكة وعضده وعادت لشارلس شوكته ومن ثم هاج حرب داخلى امتد نحو خمسة أشهر وكانت نتيجته نصرة الدوفين ومن حوادث هذا الحرب وقوع ثورة مهولة حصلت من أرباب الفلاحة وكانت قومة عامة من رقيق فلاحى الاقاليم على أسيادهم رغبة فى حريتهم فبطشوا بظالميهم وشربوا من دماء مواليهم ثم خمدت هذه الثورة وماظهر لها أثر مرة ثانية فى جهة أخرى ومع أن هذه الثورة كانت قصيرة الاجل الا أنها كانت احدى

الارتباكات المزعجة فى الحوادث التاريخية وكانت مظفرات الدوفين على مارسيل وحزبه سببا فى اطفاء أى أمل مدة طويلة فى وضع قوانين مانعة أو صادة للحكم الاستبدادى الجارى من ملوك الفرنساوية وعدم اطلاق شوكتهم

واستمر شارلس ملك نفاره قائما فى حروبه مدة طويلة مع المملكة وفى أغسطس سنة ١٣٥٩ بعد الميلاد وقع الدوفين على معاهدة موافقة لملك نفار من أجل حصول السلم وفى هذا الوقت وردت الاخبار من جهة انكلتره بان الملك يوحنا المأسور عقد معاهدة مع ادوارد الثالث صاحب انكلتره تنازل له فيها عن السلطنة المطلقة فى اكيطانيه ـ ونورمندى ـ وطورين ـ وبواطو ـ وسانطونج ـ وليموسين ـ وهو نصف مملكة فرانسا تقريبا فغضب الدوفين شارلس وعقد مجلس المملكة ورفض فيه هذه المعاهدة وأعلنوا بحمية وطنية فى عدم رغبة الامة الفرنساوية وان معاناتهم المصاعب وتكبد الآلام خير لهم من الذل والعار والفضيحة فى تقسيم مملكتهم فقام فى وجه ادوارد الحماقة من أجل رفض الامة الفرنساوية هذه المعاهدة وأغار على فرانسا فى أقطوبر سنة ١٣٥٩ بعد الميلاد ومع أنه ما حاز أدنى نصرة على شارلس الا أنه أرغمه على الرضا بعقد معاهدة تعرف بصلح بريطغنى فى مايو سنة ١٣٦٠ بعد الميلاد وكانت شروط هذه المعاهدة صعبة مثل شروط المعاهدة التى ما صار قبولها فان شارلس تنازل فيها عن اكيطانيه ـ وبواطو ـ وانغوموا ـ وليموسين ـ وسانطونج لجهة ادوارد بسلطنة تامة بمعنى أنها خالية من أداء رسوم الاحترامات الى التاج الفرنساوى وأما نفس ادوارد فانه تنازل من جهة نفسه ومن جهة ولى عهده عن دعواه فى طلب التاج الفرنساوى وعن كل ما يدعيه بخصوص نورمندى والاملاك القديمة الاخرى التى كانت تحت يد بيت أبى مقشة فى الجهة الشمالية من نهر لاوار وتقرر فداء الملك يوحنا ثلاثة ملايين كراون تدفع على ستة أقساط سنويا وأنه يصير الافراج عن الملك من أسره بمجرد دفع أول نصف مليون كراون وبرهن عدة من أكابر الفرنساوية من الدرجة الاولى تحت يد ادوارد حتى يتم دفع الباقى فجبى شارلس مع غاية الصعوبة المبلغ اللازم دفعه وخلص الملك من أسره ولما وصل يوحنا بلاده قابله رعيته بالتهليل والتبجيل وكانت حالة الاضمحلال الموجودة فى المملكة سببا فى عقد صلح بأى حالة كانت ترى الفرنساوية عذبة لهم وفى سنة ١٣٦١ بعد الميلاد مات الدوق المتسلطن فى بورغندى وبموته انقرضت سلسلة البيت القديم الذى كان متسلطنا فيها ولما انقطع الوارث العصبى لهذا البيت طلب الملك يوحنا الدوقية بصفة أنه أقرب ذكور عائلة البيت للدوق الفقيد وما راعى دعوى شارلس الردى صاحب نفاره وكان معادلا له ان لم يكن أكبر منه واستحوذ على دوقية بورغندى وأضافها الى أراضى التاج وكان من ضمن الرهائن الذين صار تسليمهم الى ادوارد صاحب انكلتره فى خلاص الملك يوحنا على مقتضى نص شروط معاهدة بريطغنى لويز صاحب انجوالابن الثانى للملك يوحنا لكن هذا البرنس الشاب نكث كلمته وهرب من قلعة كاليس وأسرع الى باريس ففزع يوحنا من هربه وكان يوحنا فارسا صادقا فى أقواله وغضب غضبا شديدا من كون ابنه نقض كلمته فعزم على أن يوفى قوله و يعود الى انكلتره ويسلم نفسه أسيرا كما كان ومن قبل أن يترك فرانسا جعل ابنه الاصغر فيليب دوق بورغندى وكان هذا البرنس الشاب حارب محاربة الفرسان بجانب أبيه فى واقعة بواطير ووضح الملك فى منحته هذه الدوقية عليه بانها مكافأة له على شجاعته وطاعته له ومع أن هذه المنحة مرعية من جهة الملك بما أنه أب الا أنها كانت بغير تبصر فى الاحوال

السياسية فان فيليب الجسور ولما صار دوقا جديدا لهذه الدوقية أسس البيت الدوقي الاخير في بورغندي وصار من ألد الاعداء في القرن التالي للعائلة الملوكية في فرانسا وعاد يوحنا الى انكلتره في شهر يناير سنة ١٣٦٤ بعد الميلاد وقوبل فيها بالاحترام والاجلال الملوكي ومن بعد مضي قليل من وصوله الى انكلتره أصابه مرض كان سببا في قضاء نحبه بغتات في ٨ ابريل من هذه السنة من بعد أن بلغ من العمر خمسا وأربعين سنة

سلطنة شارلس الخامس

ومن بعد موت يوحنا جلس ابنه شارلس الخامس الملقب بالعاقل على تخت المملكة الفرنساوية وكان على غير عوائد أبيه ومن عاداته الهدو وكثرة المطالعة وكان رجلا عالما في عصره وحذرا في نفسه حازما عارفا بأحوال أوقاته وكان نحيف الجسم جدا حتى لم يكن له طاقة على العيشة الخشنة العسكرية الا أنه كان حائزا من سعادة الافكار اللازمة ما يكون بها رأس أمة كبيرة ومملكة عظيمة وكان على خبرة تامة في انتخاب الرجال الاكثر موافقة في تنفيذ آرائه وبما كان فيه من عظيم البراعة اختار مع عدم التردد القائد الكبير لقيادة جيوشه الرجل العسكري الماهر البارع (برطرند دوغسكلين) فان هذا الرجل الكبير برهن في افتتاح مبادي هذه السلطنة على شهرة مهارته في الاجراآت العسكرية

وفي وقت جلوس شارلس على تخت المملكة هاج حرب داخلي في مملكة كسطيلة الاسبانية بين بدرو الطاغي وأخيه هنري صاحب طرسطمارة ولما طرد هنري من مملكته توجه الى فرانسا والتمس المساعدة من شارلس فأرسل شارلس في سنة ١٣٦٥ بعد الميلاد جيشا الى اسبانيا تحت قيادة دوغسكلين فقام أهل كسطيلة في الحال على بدرو فالزم على الهرب واستحوذ هنري على التخت من دون ضرب وهرب بدرو الى ديوان البرنس الاسود في بوردو وأغواه على الدخول في اسبانيا ونجح في حضه على مساعدته ودخل البرنس الاسود في اسبانيا في رأس ١٠٠٠٠ مقاتل من العساكر وفي ٣ ابريل سنة ١٣٦٧ بعد الميلاد وقعت واقعة في (نقاريط) بين جيش بدرو تحت قيادة البرنس الاسود وجيش هنري تحت قيادة دوغسكلين فانهزم دوغسكلين شر هزيمة وأخذ أسيرا وهرب هنري والتجأ عند البابا في مدينة أفغنون فكان هذا الحرب سببا في حصول فوائد كبيرة للمملكة الفرنساوية وذلك أن بدرو صاحب كسطيلة خاب في كونه يؤدي المبالغ اللازم دفعها لعساكر البرنس الاسود وكان معظم جيشه مؤلفا من عساكر بالاجرة بالشركات الحرة وما كان في طاقة البرنس الاسود قدرة على جمع النقود اللازمة لمصروف العساكر عنده ومن اسبانيا فانقسم الجيش الى عدة طوائف واشتد بهم النفور وارتكبوا الاعمال الفظيعة والنهب في ممالك البرنس ادوارد حتى انه طلب خروجهم من بلاده رغما عنهم فانتقلوا الى فرانسا وأوقعوا في أهلها مثل هذه الفظائع حتى ان أهالي الجهات التي حصل لهم الاذى حنقوا على البرنس الاسود فضرب البرنس الاسود ضرائب ثقيلة على رعيته من أجل جباية النقود اللازمة لهؤلاء العساكر فانذره الاشراف وما قبلوا دفع هذه الضرائب واستغاث ثلاثة من أولي البأس من الاشراف في سنة ١٣٦٨ بعد الميلاد بملك فرانسا بصفة أنه سيدهم الاكبر من أجل حمايتهم من ظلم أميرهم فقوي شارلس في السر هذا النفور واختار الوقت الموافق لنفسه وكان البرنس الاسود في هذا الوقت على شرف الموت من مرض شديد وادوارد الثالث صار طاعنا في السن وكانت قلوب أهل فرانسا مجروحة من المذابح والخسائر التي أعقبتها معاهدة بريطغني بما حصل فيهما من بنودها المهولة وأهل الاقاليم التي حصل التنازل عنها لانكلتره في تلهف من

أجل انضمامهم مع فرانسا فأول شغل أجراه شارلس فى رأيه الذى عزم عليه أن وطد فى خدماته الشركات الحرة وأرسلهم الى اسبانيا تحت قيادة دوغسكلين من أجل عود هنرى طرسطمار والى تخت كسطيلة فكان هذا السعى على غاية من الفلاح وانهزم بدرو ووقع سريعا فى الاسر وقتل من بعد قليل وصار هنرى ملك كسطيلة وعقد معه شارلس معاهدة تعرضية وتدافعية ثم ان شارلس أزال برقع الحجاب ونقض معاهدة بريطغنى وطلب البرنس الاسود لديوانه من أجل المجاوبة أمامه بشأن ماهو واقع من الشكوى من عبيده

وانفجرت الحرب مرة واحدة فى الجهة الشمالية والجهة الجنوبية من فرانسا ونجحت الاجراآت السياسية التى كانت جارية من جهة شارلس وتولدت فائدة كبيرة لفرانسا من ضعف صحة البرنس الاسود وصار ضعيفا جدا حتى انه تنازل عن مباشرة الحرب وتوجه الى انكلتره فى سنة ١٣٧٠ بعد الميلاد وفى غلاق سنة ١٣٧٢ بعد الميلاد استحوذ دوغسكلين من بعد أن تعين مأمور مصالح فرانسا على كافة الاقليم الواقع بين نهر غيروند ونهر لالوار وفى سنة ١٣٧٣ وقع التغلب على بريطانى ووقع معظم قلاع بريطون فى يد الملك شارلس فأرسل ادوارد الثالث فى هذا الوقت جيشا ضخما الى فرانسا تحت قيادة (يوحنا غنط) دوق لنكستر ونزل هذا الدوق فى فرانسا فى شهر يوليو سنة ١٣٧٣ بعد الميلاد فاستصوب شارلس اجراء الحركات الفابيانية وتقهقرت قواده أمام القائد الانكليزى ورفضوا أن يقيموا معه حربا فاصلا وقال شارلس لقواده اتركوا هذه العاصفة وتقهقروا أمامها فانها تخمد من نفسها بسرعة وكانت الحكمة ما قاله وذلك أن دوق لنكستر زحف بجيشه وما وصل بوردو حتى خسر ثلث جيشه من الامراض والتعب والاسر والقتل الذى حصل من عدة هجمات صغيرة أوقعتها الفرنساوية على الجيش فى أثناء سيره ومات من الجيش ٢٤٠٠٠ نفس وأصله ٣٠٠٠٠ نفس وتمم الشتاء والآلامه الشغل للفرنساوية وهلك الجيش الانكليزى من دون أن يجرى أدنى محاربة فتركت فى هذه الحالة قلاع غسكونيه مع السرعة للفرنساوية وفى غلاق سنة ١٣٧٤ بعد الميلاد كان للانكليز من الاملاك العظيمة فى فرانسا قلعة كاليس ـ وبوردو ـ وبايونه ثم انه فى شهر يونيو سنة ١٣٧٥ عقدت هدنة بين المملكتين لمدة سنتين بمعرفة البابا وفى السنة التالية مات البرنس الاسود وتبعه أبوه ادوارد الثالث فى سنة ١٣٧٧ بعد الميلاد ومن ثم خلصت فرانسا من عدوين كبيرين لها

ومن بعد موت الملك ادوارد مباشرة نزلت الاساطيل المتحدة لفرانسا وكسطيله على سواحل انكلتره وخربوا سواحل جزيرة (ويط) وما جاورها من أرض انكلتره وخضعت الاملاك الانكليزية فى غينيه ودوقية بريطانى لفرانسا وأضيفت جميعها للتاج ولما ظهر أن ملك نفاره سعى فى سعى آخر على شارلس الخامس أرغم على شراء الصلح بتسليمه عدة من قلاعه القوية الموجودة فى مملكته وكان انضمام بريطانى لفرانسا فى سنة ١٣٧٩ بعد الميلاد وتولد من هذه الاعمال حصول الغضب عند أهل بريطانى بما أنهم كانوا لا يرغبون التسليم فى حرية أنفسهم وأسرعوا فى العصيان على شارلس وأعادوا دوقهم المنفى فنزل فى سنت مالو فى أغسطس سنة ١٣٧٩ وقابلوه مع الحمية واستعفى كافة القواد البريطونية الذين كانوا فى الخدمات الفرنساوية حتى الرجل القائد الكبير دوغسكلين الذى كان على غاية من الخضوع لشارلس من وظيفتهم وخرجوا من الديوان من أجل خاطر أهل بلادهم فتوسل شارلس الى دوغسكلين ببقائه فى مصلحته فرضى على شرط أن لا يسل سيفه على أهل بلاده ومع ما حصل من هذا العناد واصرار

شارلس

شارلس على تنفيذ أغراضه على البريطونيين قطع الرجا من خدمة هؤلاء القواد وأبعدهم من ديوانه ثم انفجرت الارتبا كات فى (لنغيدوق) من سوء ادارة دوق انجو وانتهز الانكليز الفرصة واستحوذوا على عدة قلاع فى طول الحد النغيدوقى فأرسل شارلس دوغسكلين من أجل طردهم فأصيب دوغسكلين بمرض موته ومات فى أثناء محاصرته قلعة رند وابلديد وتوحافظ القلعة الذى كان حلف أن لا يسلم مفاتيح القلعة الا للدوغسكلين جاء بمفاتيح القلعة الى خيمة مأمور المصالح ووضعها على صدر الشجاع الميت فنعت أهل فرانسا قاطبة دوغسكلين وحزنوا عليه وكان أكثرهم حزنا شارلس الخامس وأمر الملك بجلب جثته فى باريس ودفنه مع الاحتفال الملوكى فى دير سنت دنيس بين الملوك الفرنساوية ومن بعد مضى شهرين مات شارلس الخامس فى ١٦ سبتمبر سنة ١٣٨٠ بعد الميلاد وبموته خسرت فرانسا أجل ملوكها لانه وان كان مستبدا فى أحكامه الا انه كان على الدوام يبذل جهده فيما يعود بالنفع لرعيته ثم ان نجاحه فى عود الاقاليم التى كانت تحت يد الانكليز وضمها الى فرانسا دلالة كافية على أنه كان من أعظم الملوك الفرنساوية وصنف عدة قوانين عظيمة نافعة فى مملكته ومع أنه كان محبا للعلم أسس دار الكتب الملوكية فى باريس وشجع على الحرف وعلى الخصوص فن العمارات وابتنى الفندق الواسع الكبير المشهور باسم القديس بولص فى باريس وكانت محله المختار لاقامته وكان شرع فى بناء قلعة بستيل

﴿ الباب الرابع ﴾

من جلوس شارلس السادس الى موت لويز الثانى عشر

شارلس السادس ــ النيابة ــ فيليب دوق بورغندى ــ استعدادات الاغارة على انكلتره ــ تقلد شارلس زمام الحكومة ــ مرضه واختلال عقله ــ صيرورة دوق بورغندى حاكم فرانسا ــ الصلح مع انكلتره ــ العداوة بين دوق بورغندى وأورليان ــ قتل دوق أورليان ــ الارمغناقيون ــ الحرب الداخلى ــ اغارة هنرى الخامس صاحب انكلتره على فرانسا ــ واقعة أغينكورط ــ معاهدة بين الملكة ودوق بورغندى ــ ذبح الارمغناقيون ــ قتل دوق بورغندى ــ التحاق ابنه بالانكليز ــ معاهدة طرويه ــ زواج هنرى الخامس بالبرنسيسه كاترينه ــ موت هنرى الخامس وشارلس السادس ــ صيرورة دوق بدفورد نائب هنرى السادس ــ شارلس السابع ــ جاكلين كونتة هولنده ــ فتور بين دوق بدفورد وبورغندى ــ حصار مدينة أورليان ــ يوحانه دارق فتاة أورليان ــ نجاحها ــ تتويج شارلس السابع فى رهيم ــ القبض على يوحانه دارق وحرقها ــ مصائب الانكليز فى فرانسا ــ استحكام علاقة دوق بورغندى مع ملك الفرنساوية ــ طرد الانكليز من باريس ــ عقد مجلس المملكة فى أورليان ــ تأليف الجيش الثابت ــ سلوك ولى العهد وخيانته ــ موت شارلس السابع ــ صيرورة لويز الحادى عشر ملك فرانسا ــ أخلاقه ــ فسخ التصديق الفضولى ــ زيادة أراضى التاج ــ التحالف الخيرى العام ــ معاهدة كونفلنس ــ عود لويز نورمندى ــ صيرورة شارلس الشجاع دوق بورغندى ــ العداوة بين لويز وشارلس ــ زيارة لويز بيرونه ــ وضع شروط صعبة على الملك ــ عدم قبولها ــ التداخل فى أعمال انكلتره ــ موت دوق غيينه ــ حرب بين فرانسا وبورغندى ــ هزيمة السويسيين شارلس الشجاع ــ موت شارلس ــ تغلب لويز على بورغندى وبيكاردى ــ حرب مع مكسميليان ــ موت لويز ــ شارلس الثامن

ـ النيابة ـ فاتى صاحبة بريطانى ـ زواجها بشارلس ـ صلح صانليدس ـ اغارة شارلس فى ايطاليا ـ زواج لويز الثانى عشر بالملكة حانى ـ تجديد الحرب الايطاليانى ـ خيبة الحرب ـ موت لويز الثانى عشر

سلطنة شارلس السادس

كان عمر شارلس السادس الملقب بالمحبوب اثنتى عشرة سنة فى وقت موت أبيه فوقع التنازع بين أعمامه الاربعة فى وقت واحد بشأن النيابة ثم وقع الاتفاق على الصلح وتعين دوق انجو نائبا فى المملكة وعهدت حراسة الملك الى دوق بورغندى وبوربون وتعين دوق برى حاكم لنغيدوق وا كيطانيه وتعين (أوليفييردوكليسون) بوصية من الملك شارلس الخامس حال موته ناظر المصالح العمومية وكان قائمقام معتمدا عند دوغسكلين وكان دوق انجو رجلا شحيحا طماعا فأوقع مع العجلة القلاقل فى المملكة بسعيه فى جباية نقود على غير عادة الضرائب المضروبة فاستمرت هذه القلاقل مدة سنتين ثم أخذت هذه الارتباكات بغاية من الصعوبة ولما عاد النظام رجع الملك مع عمومته الى باريس فى شهر مايو سنة ١٣٨٢ بعد الميلاد ومن بعد قليل سافر دوق انجو الى مملكة انجو وكانت عمته يوحانه ملكة نابولى جعلته الوارث لهذه المملكة ومات فيها فى سنة ١٣٨٤ بعد الميلاد وانتقلت المملكة الى أيدى فيليب دوق بورغندى أحد عمومة شارلس وكان قوى البأس وبواسطة مشورة الدوق دخل شارلس فلندره فى رأس جيش ضخم وهزم أهل فلندره تحت قيادة (فان ارطيفيلد) فى روزبيك وأعاد كونتية فلندره الى ناجه فى شهر نوفمبر سنة ١٣٨٢ بعد الميلاد وتباهى شارلس بسهولة نصرته على محبى الحرية فى فلندره وعاد الى باريس ودخل المدينة فى رأس جيشه وسار فى طريق حطم الحزب الوطنى فيها وجعل المدينة تحت الحكم الاستبدادى وقتل كافة رؤساء الحزب الوطنى وضرب الضرائب الغير جائز ضربها وجبى الملك غرامة مقدارها ٩٦٠,٠٠٠ فرنك من أهل المدينة ومن بعد هذا رضى بالعفو عنهم بشأن تداخلهم فى الارتباكات السابقة وعاقب مدائن رهيم وطرويه وشالون وأورليان والمدائن المشهورة الموجودة فى شمال فرانسا بما عاقب به أهل باريس وكانت هذه الاعمال سببا فى الحروب الداخلية التى هاجت فى المدة الاخيرة من سلطنة شارلس السادس ونتائج دمار حقوق الامة الفرنساوية وحريتها

وفى شهر يناير سنة ١٣٨٤ بعد الميلاد مات كونت فلندره بدون وارث يخلفه فى دوقيته فخلفه فيليب الجسور دوق بورغندى على أملاكه وكان متزوجا بابنة دوق فلندره الوحيدة وكانت أملاكه مؤلفة من فلندره وأرطوا وكونتات رطيل ونفيرس وأراض أخرى فى شمبانيه وأسرع فى اضافة دوقية برنط لاملاكه الاخرى ومن ثم صار أشد قوة بين ملوك أوروبا وفصل فى الوقت القلاقل التى كانت واقعة من مدة طويلة بين كونتات فلندره وأهل غنط ونشر سلطنته مع الامن على عموم الاقليم وضم فيليب نفسه لاحد البيوت القوية فى جرمانيا بكونه زوج ابنه البكرى بابنة الدوق البرت صاحب باڤاريه وتيسر له الحصول على كونه زوج ابن أخيه ملك فرانسا ايزابلا ابنة الدوق اصطفان صاحب باڤاريه فكان هذا الزواج ثمرة ارتباكات وقعت فى فرانسا فى سنة ١٣٨٥ بعد الميلاد

وفى سنة ١٣٨٦ بعد الميلاد صار جمع جيش ضخم وأسطول كثير العدد من أجل الاغارة على انكلتره الا أن هذه الحملة خاب أمرها بسبب ما حصل من الخسارات من العواصف وما وقع من التنازع بين

وماتركته العواصف من الاسطول قبض عليه الاسطول الانكليزى وأغرق بعضه فى مينة سلوز ثم حصل الاجتهاد فى السنة التالية فى تجديد الهدنة فخابت أيضا بما وقع من العداوة التى كانت بين دوق بريطانى ومأمور المصالح العمومية وفى سنة ١٣٨٨ بعد الميلاد بلغ شارلس احدى وعشرين سنة فتوسل اليه رعيته مع مشورة الكردينال أسقف ليون فى ابطاله النيابة وتقلده زمام الحكم بنفسه فمن ثم نزع من عميه دوق بورغندى وبرى وظائفهما ولما كان لاطاقة لهما على المقاومة سحبا أنفسهما من الديوان وفى يوم سفرهما وجد أسقف ليون الذى كان سيافى عزلهما ميتا بدلائل واضحة على أنه صار سمه وعلما أن الملك ما كان عنده أدنى ذوق من أمر مركزه ترك الحكومة فى أيدى وزرائه وكان أشدهم شوكة (دوكليسون) مأمور عموم الاصلاحات وعقدوا هدنة لمدة ثلاث سنوات مع انكلتره وأدخلوا عدة اصلاحات نافعة فى الحكومة فمن ثم انقضت هذه الثلاث سنوات فى أمن وراحة ثم ان أعمام الملك شرعوا فى هذا الوقت فى هلاك (دوكليسون) وكانوا على كراهة شديدة منه فوقع الهجوم عليه فى ليلة من شهر يونيه سنة ١٣٩٢ بعد الميلاد وترك على شرف الموت فى الشارع والذى هجم عليه جماعة من الشجعان تحت قيادة رجل شريف اسمه (دوكراون) أغراه الى هذا الفعل الدوقات الملوكية وهرب (دوكراون) فورا الى دوق بريطانى فغضب الملك من مثل هذا الهجوم الذى وقع على واحد من أكابر حكام المملكة وحلف ليأخذن بثأره ظاهرا وطلب الملك من دوق بريطانى تسليم دوكراون ولما وصل جواب دوق بريطانى بأنه لامعلومية عنده بدوكراون ولا بجريمته برز شارلس لميدان الحرب على عمه من أجل معاقبته على هذا الفعل وقوله الكذب فأصابه فى أثناء سفره مرض شديد كان سببا فى اختلال عقله ومع أنه كان يرجع أحيانا الى عقله الا أنه بعد ذلك ما صار فيه استعداد لعمل ما من أشغال الحكومة وكان لا يؤمل فيه الخير فيما بقى من عمره فكان يحصل عنده أحيانا دور جنون شديد وتارة دور فرح مفرط يلبث مدة قليلة ولما صار الملك غير موافق لادارة المملكة تعين دوق بورغندى فى رأس ادارة الاعمال فكان أول أعماله تجريد دوكليسون من وظيفته ونفيسه من أرض فرانسا وفى ظرف خلال احدى المدد التى كان شارلس يفيق فيها من جنونه عقدت معاهدة صلح مع انكلتره وصار زواج البرنسيسة ازابلا وهى طفلة صغيرة عمرها ست سنوات لريشارد الثانى صاحب انكلتره فى سنة ١٣٩٦ بعد الميلاد

ثم انقضت الثمان سنوات الاولى من القرن الخامس عشر فى منازعات بين دوق أورليان ودوق بورغندى بخصوص الاستحواذ على نيابة المملكة ومات فيليب الشجاع فى شهر ابريل سنة ١٤٠٤ بعد الميلاد واستمر ابنه وخليفته من بعده وهو حنا الجسور على كل ما كان عليه أبوه من الدعاوى ودخل فى المشاحنة مع عدوه الى أقصى الدرجات وفى ٢٣ نوفمبر سنة ١٤٠٧ بعد الميلاد أمر دوق بورغندى بذبح دوق أورليان ولما هلك عدوه جعل نفسه السيد الحقيقى للمملكة وفى سنة ١٤١٠ بعد الميلاد عقد اتحاد بين شارلس دوق أورليان الصغير وأخيه وولدى الدوق المقتول ودوق برى وبوربون وبريطانى وكونت برنارد أرمغناق ومأمور المصالح العامة البريت من أجل خلع دوق بورغندى وكان رأس هذا الاتحاد كونت أرمغناق وكانت ابنته زوجة الشاب دوق أورليان وكانت أحزاب بيت أورليان معروفة باسمه فجمع جيشا ضخما فى جنوب فرانسا وغربيها وخرب البلاد حتى وصل أبواب باريس وفى سنة ١٤١١ بعد الميلاد تغلب الارمغناقيون على باريس غير أن دوق بورغندى طردهم منها وألزمهم

بالقهقرة الى أورليان ثم ان الدوق قتل كثيرا من الذين كانوا منتمين للارمغناقيين فى باريس وسالت شوارع المدينة من دماء تبعة الحزب المهزوم وفى هذا الوقت صار مقام الارمغناقيين مقطوع الامل ولما صدر من الملك أمر بأنهم خارجون عن حد القانون وتتبعهم دوق بورغندى بالقساوة ما وجدوا طريقا لمساعدتهم الا كونهم استغاثوا بانكلتره فمن ثم دخلوا فى معاهدة مع هنرى الرابع فى شهر مايو سنة ١٤١٢ بعد الميلاد ووقع الاتفاق فيها على أنهم يساعدون الانكليز فى عود ممالكهم القديمة فى جنوب فرانسا فدخل هنرى فى مساعدتهم بقوة مؤلفة من ٤٠٠٠ مقاتل مطقمة فاستكشف ملك الفرنساوية هذه المخابرة ومن ثم هاج الحرب فكانت نتيجته طرد دوق بورغندى من رياسة الحكومة ومنعه من الدخول فى باريس الا برخصة من الملك وبقى الارمغناقيون فى رياسة الحكومة بتمامها ولما كان الملك فى غاية من الغفلة كان الحاكم الحقيقى للملكة هو الدوفين أى ولى العهد وكان غلاق الحرب فى سنة ١٤١٤ بعد الميلاد وآل أمر فرانسا الى حالة كبيرة من الذل فانتهز هنرى الخامس صاحب انكلتره حالة هذا الضعف وأحيا طلبه للتاج الفرنساوى وطلب التزوج بالبرنسيسة كاترينه مع عود كافة الاقاليم التى كانت تنازلت عنها انكلتره فى معاهدة بريطغنى مع نورمندى أيضا والا فالحرب وبما ان الدوفين يعلم ضعف المملكة لم يستصعب الوقاحة التى حصلت من انكلتره فى هذه المادة وعرض على هنرى زواج البرنسيسة مع صداق كبير من النقود واقليمى اكيطانيه وليموسين فرفض هنرى فى الحال قبول هذه التقدمة ونزل فى ١٤ أغسطس سنة ١٤١٥ بعد الميلاد فى فم نهر السين فى رأس جيش ضخم ووضع الحصار على قلعة هارفلور فسلمت من بعد مضى شهر ثم وقع المرض فى جيش هنرى وأشرفت قوته على الضعف الكلى فصمم على تأخير هذه الحركات للعام المقبل وسار الى جهة الشمال بجيشه نحو قلعة كاليس عازما على قضاء الشتاء فيها وفى أثناء سيره هجم عليه الجيش الفرنساوى فى اغنيكورت فى ١٩ اقطوبر وأراد الفرنساوية قطع خط رجعته فأوقع عليهم هزيمة حاطمة وخسروا ٨٠٠٠ من فرسانهم الاشراف و ١٠٠٠٠ من العساكر وكان من الذين قتلوا فى ميدان القتال دوق ألنسون وبربنط ومأمور المصالح العامة ألبريث قائد الجيش الفرنساوى ولما كان لا طاقة لهنرى من ضعف حالة جيشه على تتبع نصرته استمر فى قهقرته حتى دخل قلعة كاليس

وفى هذه الحالة تعين كونت ارمغناق مأمور المصالح العامة لفرانسا ومات الدوفين فى ديسمبر سنة ١٤١٥ وخلفه أخوه يوحنا دوق طورين ومات هذا فى مدة أقل من سنة وحصلت الاشاعة بأن مأمور المصالح العامة سمه وصار الابن الثالث للملك وكان اسمه شارلس وعمره أربع عشرة سنة هو الدوفين وكان على خضوع تام للحزب الاورليانى وكان تربى بينهم وصار تحت سلطة مأمور المصالح دارمغناق الذى أغرى شارلس على رفع يد الملكة من دخولها فى الحكومة ومعاقبتها على ما هى عليه من قبح السيرة فوقع القبض على معشوقها ومن بعد أن صار عذابه رمى فى نهر السين وأرسلت الملكة نفسها الى حبس مكرم بل أسر ضيق فى قلعة طور ومن ابتداء هذا الوقت صارت الملكة ازابلا لا ترى ابنها الا بعين الغضب الذى لا يطاق واستمر دوق بورغندى فى سيادة عظيمة فى جميع المدة التى كان الحرب هائجا فيها مع الانكليز وكان هو والملكة مظهرين أشد العداوة لبعضهما فربطا علاقات الميل لبعضهما فى هذا الوقت وانضما مع بعضهما ووجها كراهتهما نحو الارمغناقيين ومن قبل أن تلبث ازابلا زمنا طويلا فى السجن دخلت فى مخابرات جهرية مع الدوق فسار الى قلعة طور فى رأس قوة كافية وخلصها

من

من جهتها فأعلنت الملكة بنيابتها للملكة وهاج الحرب الداخلي من جديد مع شدة العنف فانتهز الانكليز فرصة هذه الحالة في فرانسا وضبطوا قلعة قاين وبايوكس وبعض مدائن أخرى في نورمندى وفي شهر مايو سنة ١٤١٨ دخل البورغنديون في باريس بمعرفة واحد من أهل المدينة كان على كراهة بينة مع مأمور المصالح ووقعت مذبحة مهولة في حزب الاورليانيين وقتل مع الفظاعة مأمور المصالح دارمغناق وعدة من الاساقفة وكثير من الاشراف واستمرت شوارع باريس ثلاثة أيام مذابح وكان شغل البورغنديين جاريا بواسطة جماعة من أهل باريس يقال لهم قطاعين الحلوق اسمهم الكابوشيانيون تحت قيادة جزار اسمه كابيلوش ونجح واحد من قواد الحزب الاورلياني في كونه أخذ الدوفين وهرب به الى مدينة ميلون في ابتداء المذبحة ومن بعد مضي أسبوع دخلت الملكة ودوق بورغندى مدينة باريس وقوبلا مع التهليل وشرع الكابوشيانيون في شغلهم مرة ثانية وما منعهم دوق بورغندى عن هذا الشغل الابكل صعوبة وشنق كابيلوش نفسه

وفي مبادى سنة ١٤١٩ بعد الميلاد تغلب هنرى الخامس على مدينة روان وجعل نفسه سيد نورمندى وشرع الحزبان القاسمان لفرانسا في المخابرة معه كل لنفسه فرفض مع العظمة قبول المحالفة مع أيهما وسار الى بونطواز وهددمنها مدينة باريس فتولد من خطر تغلب الانكليز على عموم المملكة ابطال الحرب الداخلي للاحزاب وجمعهم في جامعة حبية واحدة موقتا ثم ان (طونيغوى دوشاتل) أحد قواد الارمغناقيين وكان هو الذى خلص الدوفين من باريس ولما تحقق من عدم الاعتماد مع دوق بورغندى عزم على اهلاكه فمن ثم في وقت ما كان الدوق مشغولا بمجلس مع الدوفين على قنطرة مونطيرو جره دوشاتل وقواد آخرون من الارمغناقيين من أمام الملك وقتلوه في يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٤١٩ فتولد من هذا القتل أعمال عديدة صعبة وذلك أن فيليب ابن وخليفة الدوق المقتول توجه في الحال الى الانكليز غريقا في بحر محبته للوطن راغبا الاخذ بثأر أبيه وساعدته على أمره الملكة وكانت ترغب أيضا في معاقبة ابنها ودخل أهل باريس أيضا في أمر الانكليز وكانوا متحدين جدا بدوق بورغندى وابتدأت المخابرات في الحال مع الانكليز من طرف حزب الملكة وفي ابريل سنة ١٤٢٠ بعد الميلاد وقع الملك المعتوه شارلس السادس على حسب رغبة الملكة ازابلا ودوق بورغندى على معاهدة من أكبر العار ما عهد لملك من ملوك فرانسا التوقيع على نظيرها وفيها حصل الاتفاق بان هنرى يتزوج بالبرنسيسة كاترينه وأن يكون نائب المملكة والوارث للتاج الفرنساوى من بعد موت شارلس السادس وأن يكون تاج فرانسا وانكلترة من الآن فصاعدا واحدا في شخص واحد الى الابد وأن الاحزاب الداخلة في المعاهدة لايدخلون في شغل مع شارلس الملقب بدوفين فيانه ما عدا حالة ما اذا كان الرضا حاصلا بأغلب الآراء من كافة الاحزاب الداخلة في المعاهدة وبهذا صار ارغام شارلس السادس الكئيب على تسليم بلاده وخلع ابنه من السلطنة وكانت هذه الحالة الدنيئة التى تسببت من الحرب الداخلي سببا في انحلال قوة الشجاعة ومحبة الوطن عند أهل فرانسا حتى التزموا على الدخول في مثل هذه المعاهدة المهينة التى تخلدت في صحف تواريخهم وقبولها مع غاية السرور في كافة أنحاء القسم الشمالي من المملكة ولما تمت شروط المعاهدة وصار التوقيع عليها تزوج هنرى الخامس البرنسيسة كاترينه مع الطنطنة في طروية في ٢ يونيه سنة ١٤٢٠ بعد الميلاد

وفي غضون ذلك اعتزل الدوفين شارلس وأتباعه وراء نهر لالوار وكانت الاقاليم الواقعة في جنوب ذلك

النهر جميعها في جهة الدوفين ومع ما كان عليه من ذميم الصفات وعدم درايته بالاعمال الحربية كان آخر واحد بذل مجهوده في حماية استقلالية الامة من السلطة الاجنبية وكان موت هنري الخامس الذي وقع في ٣١ أغسطس سنة ١٤٢٢ فائدة عظيمة للحزب الوطني حيث انه بموته زال ألد أعداء هذا الحزب وكان عمر ابنه الوارث له تسعة شهور فقط وفي يوم ٢١ أقطوبر من هذه السنة مات شارلس السادس أيضا في باريس وفي هذا الوقت صار اعلان شارلس السابع الملك الحقيقي لفرانسا ملكا في مدينة ميلون وتعين يوحنا دوق بدفورد عم هنري السادس نائب المملكة وكانت قوته الكبيرة مقصورة على محالفته مع فيليب دوق بورغندي واجتهد الحزب الوطني المرة بعد المرة في فصل فيليب من اتحاده مع الانكليز فكان على غير طائل وفي سنة ١٤٢٣ بعد الميلاد تقوى هذا الاتحاد بزواج النائب بواحدة من أخوات فيليب

سلطنة شارلس السابع

وتلقب شارلس السابع باسم المنصور وأمر بتتويج نفسه ملكا في مدينة بواطي وجعل مقر حكومته في بورغيس ومن ثم لقبه الانكليز ملك بورغيس ومع هذا فكان حزبه دنيئا وان كان معضدا بنحو كافة فرانسا الموجودة في جنوب نهر لالوار وبواسطة بيت انجو وكونتات ألنسون وكليرمونط وغيرهم كان له قوة ضخمة من العساكر مجهزة بواسطة دوق ميلان وملك اسكوطلنده وكان الاسكوطلنديون تحت قيادة ارل دغلاس ورقاه شارلس الحربية دوق طورين وتعين ارل بوشان الاسكوطلندي مأمور مصالح فرانسا وفي سنتي ١٤٢٣ و ١٤٢٤ ما كان لشارلس من طاقة على اكتسابه أدنى فائدة وهزمه النائب بدفورد مرتين في واقعتين ثم حصل سبب من الاسباب منع الانكليز والبورغنديين من اجراء أعمالهم سوية مع الشدة لتوالي ظفرهم وذلك أن جاكلين كونتة هينولط وهولنده كانت عقدت زواجا قبيحا مع دوق برنبط عم دوق بورغندي وكان أقرب العائلة له والوارث له أيضا ولما صار للكونتة عدم الطاقة على تحمل زوجها هربت في سنة ١٤٢١ بعد الميلاد من هينولط وتحصلت من البابا المخلوع بنديكت الثامن على رخصة بفسخ عقد زواجها ومن بعد مضي قليل أنعمت بيدها على همفري دوق غلوسيستر الاخ الصغير للنائب بدفورد ففزع فيليب دوق نورمندي من هذا الزواج بما أن له الحق في وراثة أراضي جاكلين من بعد موتها فدخل معارضا في هذا الزواج وتقوى بدوق برنبط وأزعج دوق غلوسيستر بحرب مهول وقبض على جاكلين وأودعها في سجن في غنط حتى يصير فصل المسئلة بواسطة البابا مارتين الخامس ومن ثم انفتح خرق بين الانكليز والبورغنديين وضاع اعتماد بدفورد في الدوق فيليب وراعى بدفورد أن ابتعاد الدوق منه على شرف الوقوع واتسع الخرق جدا بواسطة ما صدر من البابا مارتين الخامس من فصل الحكم في مسئلة فسخ زواج جاكلين من همفري وهربت جاكلين من حبس الدوق فيليب وهاج حرب بينها وبين فيليب انهزمت فيه شر هزيمة وانقادهمفري الى قرار البابا وعاد الى انكلتره وأرغمت جاكلين على اعترافها بان فيليب هو الوارث لاملاكها وتعهدت بان لا تتزوج مرة ثانية الا برغبته فكانت هذه المادة سببا في توقيف الحروب عدة سنين بين الانكليز والفرنساوية فلو كان شارلس نشيطا لانتهز الفرصة في هذا الوقت ونال مقصوده في عود مملكته الا أن ضعفه وحسد أتباعه وما كان بينهم من الدسائس جعلت موقعه في غاية الاشكال مع ضياع الزمن الذي كان فيه الحصول على مطلوبه

وأخيرا عزم النائب بدفورد على حرب فاصل بينه وبين شارلس السابع فحاصر في اكتوبر سنة ١٤٢٨

بعد

بعد الميلاد مدينة أورليان مفتاح عموم الاقليم الواقع فى الجهة الجنوبية من نهر لالوار وكانت هذه المدينة محفوظة بدونواز أحد كبار شجعان الفرنساوية وكان المعروف عند الحزبين أن شارلس لوخاب فى حمايته أورليان كانت عاقبته مشؤمة فى فقد مملكته فأما دونواز فانه جرح جرحا شديدا فى أول سنة ١٤٢٩ بعد الميلاد وانسحب كونت كليرمونت من المدينة مع قوة قدرها نحو ٢٠٠٠ نفس وترك أهل أورليان يدافعون عن مدينتهم بمفردهم من الانكليز فلما اشتدت عليهم مضايقة الحصار وقطعوا الامل من النجاح عرضوا تسليم المدينة لدوق بورغندى ليرضى النائب برفع الحصار فوافق فيليب على هذا العرض وأما النائب بدفورد الذى زاد عدم وثوقه بدوق بورغندى فانه رفض قبول هذا العرض فأخذ فيليب قواه وتقهقر نحو فلندره مع الغضب وأصدر أمر الكافة عبيده بانسحابهم من الجيش الانكليزى وفى هذه الحالة وصل للفرنساوية امداد على غير انتظار منهم مع (يوحانه دارق) فتاة صغيرة فلاحة من قرية دومريمى من اللورين ادعت بأنها مبعوثة من عند الله لتحرير بلادها ونجحت فى أن جعلت نفسها صادقة فى دعواها عند الملك ورعاياه ثم اتخذت قيادة قوة وزحفت لخلاص أورليان وهزمت الانكليز أمام المدينة وأرغمتهم على رفع الحصار فى مايو سنة ١٤٢٩ بعد الميلاد ثم حضت الملك على كونه يتقدم لجوره يم فتقدم وحاز نصرتين على الانكليز فى أثناء سيره واحدة فى يارجو فى ١٠ يونيه سنة ١٤٢٩ وأخرى فى باطاى فى ١٨ منه ومن بعد قليل تغلب على طرويه بشهامة يوحانه وفى ١٧ يوليه دخل الملك مدينة رهيم وتتوج فيها مرة ثانية مع الابهة فى الكنيسة الكبرى لهذه المدينة

ثم ان النائب بدفورد حصل له فى هذا الوقت الفزع الاكبر ووجد فى الحال مخالفته مع دوق بورغندى وكان جاء فى باريس وجمع قوة عظيمة من أجل حماية العاصمة غير أن فيليب نجح فى سياسته ذات الوجهين فى تأخير شارلس عن هجومه على باريس وفقد الملك الزمن العظيم الذى كان موافقا له فى التغلب على باريس واجتهدت فتاة أورليان فى صب شهامتها فى بدن شارلس الكسلان فكان اجتهادها على غير طائل بما كان واقعا فى قلوب المعتمدين عند الملك من الحسد لها وأخيرا ألزمت الملك على الزحف الى سنت دنيس فى أغسطس سنة ١٤٢٩ بعد الميلاد من أجل الهجوم على باريس فخاب ذلك مما كان واقعا من الحسد فى قلوب القواد الفرنساوية لها وكذا من بلادة الملك وتردده فى أعماله وصار لا شئ فى هذا الوقت الا تقهقر الجيش الملوكى وراء نهر لالوار من أجل قضاء فصل الشتاء وفى فصل ربيع سنة ١٤٣٠ بعد الميلاد برزت يوحانه دارق أيضا الى ميدان الحرب وتركت شارلس غرقان فى لهوه وكسله فى قلعة سولى وفى ٢٣ مايو أسرها البورغنديون فى واقعة بالقرب من كامبيغ وباعوها للانكليز ثم ان الدوق بدفورد رفض معاملتها كاسيرة حرب بل أحرقها فى سوق روان فى ٣٠ مايو سنة ١٤٣١ بعد الميلاد وما فعل شارلس السابع أدنى اجتهاد فى خلاصها مع أن بقاء تاجه منسوب لفروسيتها وماتت شهيدة حرية وطنها وكان النائب بدفورد مؤملا أن موت يوحانه دارق يكون سببا فى عود السعادة له فأمر بان الشاب هنرى السادس يلزم تتويجه فى كنيسة نوتردام الا أن الاحتفال ما كان فيه أدنى بهجة وتولد من سلوك أهل باريس العداوة جهرة حتى ان هنرى انسحب الى نورمندى ووردت المصائب بالسرعة وحاقت بالانكليز وذلك أن (شارتريز) سلمت القوى الملوكية تحت قيادة دونواز وانهزم بدفورد فى واقعة حصلت فى لاغنى وفى نوفمبر سنة ١٤٣٢ بعد الميلاد ماتت زوجة بدفورد أخت

فيليب دوق بورغندى وانحلت العقدة التى كانت بين الدوقين ونبعت العداوة بينهما وزادت فى حدها بواسطة زواج بدفورد مرة ثانية من دون مشورة فيليب ولما غضب فيليب مع محالفيه الانكليز فسخ محالفتهم جهرة ودخل فى مخابرات مع الملك شارلس وفى سنة ١٤٣٥ بعد الميلاد انتظمت العلاقة بينهما ولما مات بدفورد دخل فيليب جهرة فى أمر ما كه على الانكليز وأغدق الملك بالانعامات على الدوق حتى أرضاه فى نظير موت أبيه وتعلل بما كان عليه من عنفوان شبابه فى ذلك الوقت بما جناه فى أخذه نصيبا من الجريمة وتنازل لفيليب عن كونتتى ما كون وأوكسير وبعض أراض أخرى على نهر السوم وفى بونطيو وتنازل له فيليب عما يخصه من شرف التاج الفرنساوى واعترف له باستقلالية ملكه ومن ثم انضمت فرانسا لبعضها مرة ثانية من بعد مضى تسع وعشرين سنة فى حروب داخلية ومن بعد التوقيع على المعاهدة بين شارلس وفيليب بثلاثة أيام ماتت ازابلا صاحبة بافاريه أم شارلس السابع التى جلبت على المملكة المصائب فى باريس وعملت جنازتها مع الازدراء فى كنيسة سنتدينس بسرعة من دون أن يعمل لها أدنى شئ من الاحترامات التى كانت تعمل لامثالها

وضم الآن دوق بورغندى جيوشه الى جيوش ملك فرانسا وفى فصل ربيع سنة ١٤٣٦ بعد الميلاد طردت قواهما المتحدة الانكليز من باريس وصدر من شارلس عفو عام واعترف أهل باريس بملوكيته وفرحوا بصدور هذا الامر واستمر البطش مدة متسلطنا فى باريس وغيرها حتى ان العساكر داوموا فى الحرب على منوال كبير وأجروا كافة الاجتهادات التى كانت سببا فى اخماد هذه الاحوال ومن بعدها شكل الكثير من العساكر الملوكية أنفسهم فى جماعات لصوصية ونشروا الخوف فى أنحاء المملكة فبددهم مأمور المصالح العمومية ريشمونت بيد قوية ولما وطد شارلس فى استحواذه على تاجه أظهر شهامة وشرفا ما كان أحد يعتقدهما فيه وذلك أنه فى شهر أقطوبر من سنة ١٤٣٩ بعد الميلاد طلب انعقاد مجلس المملكة فى أورليان ونشر فى هذا المجلس عملا من أجل الاعمال ألغى فيه الجبايات القديمة للالتزامات وكانت أصلا للخيانات الواقعة من الاشراف فى جمعهم عساكر من دون رخصة ملوكية ورتب قوة عسكرية منتظمة من أجل حماية المملكة وتدفع مرتباتها من الخزينة العمومية وأن يكون تعيين ضباطها من طرف الملك وبهذا كان تشكيل الجيش الثابت فى فرانسا وكانت ضربة قاتلة لمسئلة الالتزامات فى المملكة فوقعت المعارضة فى ذلك من جهة دوق بوربون ودوق ألنسون ومن بعض أشراف أخر وانضم الدوفين لويز الى هذه الحركة الا أنه خاب فى مساعدة نفسه وصده دوق بورغندى وأطفأ الملك فى الحال الثورة وأرغم العصاة على الانقياد

وفى سنة ١٤٤٤ بعد الميلاد عقدت هدنة لمدة اثنين وعشرين شهرا مع الانكليز وكان حصل منهم أشد المصائب فى غسكونيا ونورمندى ووقعت المخابرة فى زواج بين هنرى السادس صاحب انكلتره ومرغريطة بنت رنيه ابنة أخى ملكة فرانسا ووقع الزواج فى مدينة نانسى فى فصل ربيع سنة ١٤٤٥ وفى سنة ١٤٤٩ تجدد الحرب مع الانكليز فطردوا قاطبة من أرض فرانسا وفى غلاق سنة ١٤٥٣ بعد الميلاد خسروا ما كان لهم الا مدينتى كاليس وغينيه والحزام الضيق من الارض المجاورة لها وكانت السنون الاخيرة من سلطنة شارلس السابع التى كان ينبغى أن تكون أحسن السنين عنده بسبب أنه حرر المملكة من أعدائها وأعاد الامن فى فرانسا سنى حزن للغاية لانه غرق فى بحر محاظيه ونسائه وترك المملكة وأشغالها ووقع بينه وبين الدوفين لويز مشاحنة وكان ديوانه فى دوفينى وصار

ديوان لويز مركز الدسائس ضد أبيه وتزوج برنسيسة من بيت صافوا على غير رغبة أبيه واستمر في مودة خالصة مع دوق بورغندي العدو الوارث لسلطنة الفرنساوية وأخيرا هرب الى الديوان الفلمنكي في بروسل وصار شارلس في عذاب شديد من تصوره أن لويز مداوم على دس الدسائس في فقد حياته حتى أصابه الخلل الذي ورثه من أبيه وأخيرا امتنع عن كل مأكول خشية أن يكون مسموما ومات في شهر يوليه سنة ١٤٦١ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن تسعا وثلاثين سنة

سلطنة لويز الحادي عشر

كان لويز الحادي عشر في فلندره في وقت موت أبيه فعاد مسرعا الى فرانسا وأقام في رهيم حتى تتوج وأسرع في سيره الى باريس وقبض على زمام الحكومة وكان لويز من مشهوري الرجال الذين ما حكم فرانسا نظيره وكان عمره تسعا وثلاثين سنة في شدة عنفوان شبابه حنكته التجاريب ولبث عدة سنين حاكما في اقليم دوفيني بصفة أنه ملك مستقل هدف المقاصد أبيه وصار على دراية تامة من مشاق الاشغال وفصل الاحكام بين الناس وكان وقورا رائق الفهم غزير الفطنة قوي الرأي له دراية بهزيمة كل حاسية شخصية نفسية جالبا المنافع التي تعود عليه في أعماله وجلس على التخت عازما على قطع دابر مسئلة الالتزامات بالكلية وقلع ما بقي من جذورها في الارض وأن يشيد فوق أطلالها سلطنة مطلقة مستبدة في أحكامها فكانت أعماله الثابتة في مدة سلطنته مقصورة على اذلال كبار الاشراف الى حالة دنيئة وجمع كل قوة موجودة في المملكة في أيدي الملك فما كان يوجد انسان له طاقة على النجاح في مثل هذا المشروع وكانت الحكومة عنده في صورة علم من العلوم فانه مارسها حتى عرف كيف يتيسر له الحصول على أجل الفوائد ورمى عن ظهره العيوب والشهوات الموجودة في بني الانسان وكان سيدا تاما في فنون الحيل والخداع وجعلها أشغال حياته ليحتال بها على حيل وخدائع أخرى ويجمع بذهنه في أنواع المكر ولما كان لا طاقة لاسلافه على استعمال الشدة اعتمد لويز على التملق والغدر وصار له اليد الطولى في طريقة لعبه بطائفة في منافع نفسه ضد طائفة أخرى وطريقة بذره بذور الاجتماعات وتشتيتها من أجل انتفاعه فيما بعد بما يقع من الخصام ويعامل الضحايا التي يصطادها بمكره عندما يراها موافقة بالقساوة الشديدة وأخذت هذه الحالة في الزيادة حتى صار قلبه صلدا للاحساسات البشرية ونتج من مثل هذه الصفة في مثل هذا الموقع نتائج جليلة كانت غير خافية في فرانسا بل في عموم السياسة وحالة التآلف في أوروبا وفي نفس هذا الوقت امتلأ تاريخه بالمخالفات العجيبة والشذوذ وخاص لويز رعاياه بصفة أنه ملك بواسطة مذابح من دون تردد في أعماله نتج من هذه الاعمال انه كان يرغب في وجود التباين الكلي حسبما يرى من قريحته وحزم رأيه فان بعض الملوك اجتهد كثيرا في مد سلطة فرانسا وعلو درجة سيادتها وآخرون تركوا صحف التاريخ مفتوحة فيها اشارات شخصية كدرة مظلمة ثم كان ابتداء لويز في سلطنته فسخه التصديق الفضولي (أي الذي ليس من خصائصه اجراؤه) وهو التصديق على السنة المشهورة التي صار سنها في سلطنة أبيه من أجل مراعاة حرية الكنيسة الغاليقية من تعدي رومة عليها فازدرى الاشراف والقسس بهذا الفعل وفعوا بابا للارتباكات استمرت من دون فصل فيها مدة السلطنة ومع أن لويز كان على غير رغبة من التزام الباب الا أنه اتحد معه أولا ثم مع رعاياه على حسب دواعي السياسة وتباعد عن كل ما يحصل منه فتح باب المشاحنة مع كلا الاثنين وفي سنة ١٤٦٢ بعد الميلاد احتاج يوحنا الثاني صاحب أرغون الى مبلغ من النقود من أجل اشغال حرب على عصاة القطلانيين فاقترض مبلغا جسيما من ملك فرانسا ووضع كفالة تحت

بدلو يز أراضى روسيلون و سردينيه ومن بعد مضى مدة قليلة زاد لو يز فى ممالكه بعقده توافقا مع دوق بورغندى خلص به مدائن اميانسه وأبيقيل بمبلغ ٤٠٠٠٠٠ كراون وكذا سنت كنطين وكان أبوه تنازل عنها للدوق فيليب بواسطة معاهدة أراس ثم ان شارلس كونت كاروليس الذى تلقب فيما بعد بشارلس الجسور صاحب بورغندى ابن فيليب ووارثه لما اعتقد أن لو يز فعل فعل السلب مع أبيه فى هذه المنحة صار ألد الاعداء للملك فرانسا على قدر ما كان صديقا له وفى أثناء هذه المدة تولد من ظلم لو يز قيام عداوة تمكنت فى قلوب رعيته فدخل دوق بريطانى مع كونت كاروليس فى معاهدة مع بعض ماضد الملك الذى اجتهد فى هياج حرب بينهما وفى سنة ١٤٦٤ انضم الى هذا الاتحاد النافرون من أشراف الفرنساويه وكان المشهور فيهم دوقات بربون ولورين وألنسون ونيمور و برى وأطلق على هذا الاتحاد اسم الاتحاد النافع العام وانفجر حرب داخلى ووقعت واقعة دموية الا أنها غير فاصلة بين الملك وكونت كاروليس فى جبل لهرى فى ١٦ يوليه سنة ١٤٦٥ بعد الميلاد ومع أن لو يز خاب فى حيازته النصرة الا أنه حاز السيادة على باريس و وجه قلوب أهلها اليه بمواعيده و تملقه ومن ثم فتح مخابرات مع أرباب الاتحاد وخسر البرنسات الذين كان لهم شوق لمنفعة العموم حيث هم تحت طمع المنافع التى قدمها لهم الملك بصفة جائزة للصلح ومن بعد مضى قليل عقدت معاهدة فى (كونفلانس) تنازل فيها الملك مرة ثانية عن الخط المهم لنهر السوم لدوق بورغندى وصار دوق برى دوق نورمندى وأعطى دوق بريطانى كونتتى اطابه ومونطفورت وصار الكونت دوسنت بول مأمور مصالح فرانسا واستحصل كل من الآخرين على بعض منافع لنفسه فى المعاهدة ومن ثم صار الغاء الاتحاد فكانت هذه شروطا مهينة ذليلة على رأس لو يز وكان لو يز عزم فى ضميره من الابتداء على عدم تنفيذها الا أنه تمم بهذه المعاهدة ما قصده من ايجاد زمن كاف لتفريق هذا الاتحاد ثم اشتغل بتجريدهم من أملاكهم وجلبهم تحت أقدامه فرفض البرلمان التصديق على شروط منحة نورمندى على دوق برى بما أن الملك لا حق له فى حل أملاك التاج ومنحها على آخرين ومن بعد مضى قليل ألغى لو يز أحكام الدوق فى هذه الايالة ثم تسبب فى هياج منازعة بين دوق برى ودوق بريطانى وحض دوق بريطانى على قبوله الرضا بضبطه نورمندى ثم حض أهل مدينة ليبغ على القيام فى ثورة على حكومة فيليب دوق بورغندى وبهذا ربط أيدى كونت كاروليس وكان اتخذ الاحتياط اللازم لاتحاد الثائرين وصار لا طاقة له على الدخول فى الاعمال الجارية من الملك فى عود نورمندى وانتهى أمرها فى يناير سنة ١٤٦٦ بعد الميلاد بتغلب لو يز عليها عند ما دخل روان مركز حكومة الدوقية من دون حرب

وفى يونيه سنة ١٤٦٧ بعد الميلاد مات فيليب دوق بورغندى فى مدينة بروغس وخلفه ابنه شارلس الملقب بالجسور وفى سنة ١٤٦٨ أغار لو يز على سافلة نورمندى وبريطانى بجيشين قويين وأرغم كلا من دوق برى ودوق بريطانى بالتوقيع على صلح حصل الاتفاق فيه على ترك مخالفة دوق بورغندى وكفلا أنفسهما على معاضدة الملك ضده وكان شارلس الجسور فى هذا الوقت فى نواحى بيرونه وجمع فيها جيشا عازما على سيره من أجل مساعدة الدوقين وفى أثناء استعداداته وردت اليه الاخبار بنجاح الملك فى اجرآته على الدوقات الفرنساويه فطلب فى هذا الوقت من لو يز تنفيذ شروط معاهدة كونفلانس بالتمة وهدده بحرب حالى ان رفض القبول فلو كان لو يز جاوبه على تهديده بزحفه عليه لهزمه الا أن مثل هذا السير المستقيم ما كان موافقا للسياسة الملك المعوجة ولما عارضه الكردينال بالو وكان أعز

مستشاريه حتى أبطل مقصده نحو دوق بورغندى انقادلشورته وكان الكردينال المذكور فى مخالفة سرية مع دوق بورغندى ورضى الملك على حسب مشورة الكردينال بالمقابلة مع شارلس نفسه ولما وطدلو يز شروط الأمن لنفسه فى حالة توجهه وعوده من الدوق سافر فى الحال الى بيرونه مع قليل من الحرس فى أقطوبر سنة ١٤٦٨ بعد الميلاد فقابله الدوق بالاجلال وأنزله فى قلعة بيرونه وابتدأت المخابرات بين الملك والدوق واستمرت عدة أيام حتى وردت الاخبار بانفجار ثورة جديدة من أهل مدينة ليبغ وكان سببها الدسائس التى دسها ملك فرانسا وتحقق من ذلك دوق بورغندى شارلس فانفجر الغضب فى وجهه وأمر بغلق أبواب قلعة بيرونه ووضع الحفر عليها وفى أثناء غضبه هذا الشديد صمم على قتل لويز وجعل دوق برى أخا الملك الصغير ملكا على فرانسا بدله ثم حاد عن هذا الشغل بواسطة (فيليب دوكومين) وحضه على اطلاق الملك ومنحه حريته بشروط مهينة تؤخذ عليه فعهد لويز على نفسه بقسم أكيد على ذخيرة كان يحترمها على حسب ما فى عقله من الخرافات أن ينفذ معاهدة كونفلانس وأن ينعم باقليمى شمبانية وبرى على دوق برى بدل نورمندى وكذا أرغمه شارلس على أن يسير معه على أهل مدينة ليبغ فسار معه وشاهد العقاب الفظيع الذى أوقعه الدوق على المدينة وأهلها بما حصل من العصيان وكان معضدا من الملك ثم خلص لويز وما رغب فى العود الى باريس بل توجه الى طور لاجل الاشتغال بالاجراآت اللازمة للاخذ بثأره بما حصل له من الاهانة فعزم على أن لا يعطى شمبانيه وبرى لاخيه دوق برى لان استحواذ الدوق على هذه الاراضى يجعله جارا حليفا لشارلس الجسور وصمم على استبداله ما بأراضى غيينه أوا كيطانيه البعيدة جدا عن دوق بورغندى فافشى الكردينال بالو سر الملك لدوق بورغندى بمكاتيب كتبها اليه فوقعت مكاتيبه فى أيدى الملك فقبض على الكردينال وسجنه فى قفص من حديد فى قلعة لوش ثم نجح لويز فى حث دوق برى على قبوله دوقية اكيطانيه ونكث هذا البرنس مخالفته مع شارلس الجسور وقابله بعدم قبوله زواج مريم ابنة شارلس الوارثة له فى سنة ١٤٦٩ بعد الميلاد

وفى هذا الوقت دخل لويز وشارلس فى الحروب والمشاحنات التى كانت جارية بين بيتى يورقه ولنكستر وكانت سببا فى تقسيم انكلتره وعاضد لويز بيت لنكستر وساعد شارلس بيت يورته فتولد من خيبة المساعى التى كانت جارية فى عود هنرى السادس الى التخت الانكليزى تقوية كبيرة للبورغنديين ومضايقة بمثلها للويز فجدد دوق غيينه معاهدته الاولية مع شارلس الجسور وقام دوق بريطانى بالسلاح من أجل مساعدتهما فتدارك لويز نفسه بالحيادة عن هذا الخطر الذى هدده به هؤلاء المتعدون بكونه قدم مخامهينة على رأسه لهذا الاتحاد ثم تولد من موت دوق غيينه بغتة الناتج من الملك زوال الخطر مدة من الزمن وكان موت دوق غيينه خسارة جسيمة عند شارلس الجسور فمن ثم أغار على فرانسا فى يونيه سنة ١٤٧٢ بعد الميلاد وتغلب على مدينة نسل من أعمال بيكاردى ثم خاب سعيه فى التغلب على بوفيس فى آخر شهر يوليو واتفق على عقد متاركة لمدة خمسة شهور فامتدت زيادة عن سنتين وانتهز لويز الفرصة فى أثناء هذا الصلح وأخذ بثأر نفسه من ملتزمى الاشراف الذين رفضوا أوامره فجرد دوق ألنسون من أملاكه وأودعه فى السجن مدة حياته وذبح كونت ارمغناق بحضرة زوجته ومات دوق اللورين بغتة والصحيح أنه مات مسموما بواسطة نواب الملك وفى سنة ١٤٧٥ بعد الميلاد عقد دوق بورغندى مخالفة مع ادوارد الرابع صاحب انكلتره

ومع دوق بريطانى اتفق فيها أدوارد على احياء مطلب أسلافه لتاج فرانسا وفى فصل صيف تلك السنة نزل أدوارد فى قلعة كاليس مع جيش مفتخر مؤلف من ٣٠,٠٠٠ مقاتل الا أن شارلس فقد نصف جيشه فى اغارة أجراها فى كلونيه فمن ثم صار لا طاقة له على البراز لميدان الحرب من أجل مساعدته ورأى الباقون من المتحدين عدم حصول الفائدة من هذه الحلة ففتح لويز فى الحال مخابرة مع أدوارد وعقدت بينهما معاهدة سبع سنوات اتفق فيها لويز على دفع مصاريف الحرب التى تكبدها ملك الانكليز وخطب لابنه الدوفين شارلس البنت البكر لادوارد على أن يكون اشهار الزواج بمجرد وصول الزوجين الى العمر المحدود وفعلى مقتضى شروط هذه المعاهدة سلم سنت بول مأمور المصالح العامة لفرانسا نفسه الى لويز وكان داخلا فى هذا الحرب ضد مليكه فكانت خيانته ظاهرة وحكم عليه برلمان باريس بالاعدام وقتل فى ميدان جريف فى ١٠ ديسمبر سنة ١٤٧٥ بعد الميلاد وكانت هذه القتلة ضربة شديدة على حزب محافظى الالتزامات وصار تجريد مأمور المصالح العامة من أملاكه الواسعة ومن نفوذه الكبير الذى كان فيه وكان عضوا من العائلة الامبراطورية للكزمبورغ وكان متزوجا باخت ملكة فرانسا وله اتصال بعدة بيوت كبيرة فى أوروبا

وطلب شارلس الجسور جائزة كبيرة من أجل تركه مأمور المصالح سنت بول وهذا البرنس الطماع الذى صار أغنى وأقوى ملوك أوروبا ما اكتفى بما فى يده من الاملاك بل أضمر فى نفسه أن يعيد مملكة (لوطرنغية القديمة) كى يكون سيدا على الاراضى الواقعة بين فرانسا وجرمانيا وبين الجهة الشمالية والبحور البيضاء المتوسطة وباصراره على مقصده هذا سار فى طلب الاستحواذ على دوقية اللورين وطرد منها الدوق الشاب رينى فما عارضه لويز فى هذا الصدد وجعلها جائزة له على أن يسلم له سنت بول الا انه فى نفس هذا الوقت قوى أهل السويس على معاملة الدوق بالاهانة حتى ان شارلس من بعد أن صار سيد اللورين وجه سلاحه عليهم وكان لويز متيقنا من أن محاربة شارلس الجسور مع هؤلاء الجبليين أشداء البأس لا بد من أن تكون سببا فى دمار عدوه هذا فمن ثم ما كان مستغربا عند سماعه بهزيمة شارلس شر هزيمة من أيدى السويسيين فى واقعة غرانسون فى ٢ مارث سنة ١٤٧٦ بعد الميلاد ثم من بعد مضى ثلاثة شهور انتصر السويسيون أيضا على البورغنديين فى مورات بالقرب من بحيرة بيين وقتل زهرة البورغنديين فى ميدان هذه الواقعة وحصل النفور الشديد جهرة عند رعايا شارلس ونموه فى شدة اندفاعه وطمعه وقام اللورينيون عليه وعاد الدوق الشاب رينى ودخل نانسى متوجا بالنصر فجمع شارلس مع الطياشة وقطع الامل ما بقى من جيشه ووضع الحصار على مدينة نانسى وجمع دوق رينى بمبالغ أعدها له لويز ملك فرانسا جيشا مؤلفا من ٢٠,٠٠٠ مقاتل من السويسيين والالساطيانيين وزحف من أجل خلاص عاصمته فوقع بينه وبين شارلس واقعة فاصلة أمام مدينة نانسى فى ينايرسنة ١٤٧٧ بعد الميلاد انهزم فيها شارلس وقتل فكان موت دوق بورغندى من دون وارث ذكر له من أعظم الفرص عند لويز فانه ضبط فى الحال الاراضى البورغندية وأعلن بان دوقية بورغندى التزام انقضى أجله وأضافها للتاج فرانسا ومن بعدها ماوقع فصلها منه وأعلن لنفسه بانه الوصى على مريم البورغندية ابنة شارلس وكانت قريبته من النساء وتعهد بالمحافظة على مصالحها بالذمة ومع ما وقع منه من هذه الكفالة قد حض الفلمنكيين على العصيان على البرنسيسة وكان سببا فى حصول المضايقة التى وقعت عليها حتى انها من بعد أن التمست منه مرارا تنفيذ ما وعدها به مع

الذمة وطدت مع عموم رعيتها حماية نفسها وقومها بواسطة المدافع الشديد البأس الارشيدوق مكسيمليان صاحب أوستريا بكونها قدمت يدها له وتزوجت به وكان اشهار الزواج فى مدينة غنط فى ١٨ أغسطس سنة ١٤٧٧ بعد الميلاد فكان هذا الزواج غما على لويز لانه كان فى ضميره تزويج البرنسيسة للدوفين ولى عهده أو بجردها أصالة من أراضيها فكان هذا الزواج سببا فى حصول السعادة المستقبلة لبيت أوستريا ومبادى وقوع الغيرة العدوانية بين هذه الدولة وفرانسا وكان أيضا سببا فى هياج عدة حروب فى أوروبا فى القرنين التاليين فاظهر غضبه على دوق نمور الذى كان داخلا فى الاتحاد النافع العام وكان الملك ناظرا اليه بعين الغيرة فأمر بالقبض عليه فى أغسطس سنة ١٨٧٦ بعد الميلاد ومن بعد أن أذاقه العذاب فى السجن مدة سنة أمر بقتله فى شهر أغسطس سنة ١٤٧٧ بعد الميلاد

ثم توقعه من موت الدوقة مريم صاحبة بورغندى فى سنة ١٤٨٢ بعد الميلاد أن صار للويز طاقة على عقد صلح محدود مع رعاياها وكانوا اما اعتبروا مكسيمليان من بعد موتها ملكا عليهم وضبط لويز دوقية بورغندى وكونتية بيكاردى وخطب مرغريطة ابنة مريم ومكسيمليان الدوفين شارلس وأرسلت الى فرانسا من أجل تربيتها ووقع الاتفاق على أنه يلزم أن تأخذ فى صداقها أرض بورغندى الحرة وكونتات ارطواز وماكون وأوكسير واذا لم يقع هذا الزواج أولم يحصل منه وارث برثها يصير انتقال هذه الاراضى الى فيليب أخيها ابن مريم وتنازل لويز عن دعواه فى فلندره الفرنساوية واتفق على أنه من الآن فصاعدا لا يتسبب فى حصول ثورة بين الفلمنكيين ومما يجب تذكاره أنه على حسب نص معاهدة (بيكيغنى) كان الدوفين خطب البرنسيسة اليزابت ابنة ادوارد الرابع صاحب انكلتره فغضب ادوارد مما حصل له من الرذالة وشرع فى الاستعداد للاغارة على فرانسا فمات فجأة فى ابريل سنة ١٤٨٣ بعد الميلاد وصار لويز فى هذه الحالة فى أرقى درجات شوكته ووسع المملكة بوسائط موافقة أو غير موافقة وزيادة على الاراضى التى اغتصبها من بيت بورغندى فى وقت موت شارلس الجسور استحوذ فى هذا الوقت على دوقية انجو وصية من رينى دوقها السابق ومن بعد مضى سنة استحوذ أيضا على كونتتى المين وبروفنسه بالوصية نفسها وأضيفت أيضا دوقية غيينه وكونتتى ألنسون وبرشى الى أملاك التاج بطرائق قليلة الشرف وأضاف الى أملاك التاج أيضا اقليمى روسيلون وسردينية اللتين كان رهنهما ملك أرغون ومابقى من الالتزامات الكبيرة سوى بريطانى وتولد من الجسارة التى ضرب بها الاشراف حتى دخلوا تحت طاعته ومن نجاحه فى أشغاله التى دخل بها فى الاعمال السياسية أن صار أحد ملوك أوروبا أهل البأس والشوكة

وفى وسط هذا النجاح أصيب الملك فى شهر مارث سنة ١٤٨٠ بعد الميلاد بداء الفالج ثم شفى منه ثم هجم هذا الداء عليه ثانيا فى سنة ١٤٨١ بعد الميلاد فلما رأى نفسه أنه على شرف الموت اعتزل فى قلعة (بلسيسلستور) وحجب نفسه فيها وأمر محافظيها بضرب النار على كل نسمة تقرب من أسوارها وكان معه صديقه القشار (طريسطان الراهب) وكان آلة متحركة لفظائعه وجرائمه وكذا طبيبه (جاكس كواطير) رجل فظ استعمل شوكته على الملك حتى سلب منه نقودا جمة وأقام لويز بمحاريب الكنائس عبالغ جسيمة قدمها لمريم العذراء والقديسين فكانت هذه أشياء لا ثمرة فيها ومات فى ٣٠ أغسطس سنة ١٤٨٣ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر احدى وستين سنة

وكان شارلس الثامن الابن البكرى للويز الحادى عشر غلاما سنه ثلاث عشرة سنة ضعيف البنية سلطنة شارلس الثامن

فحصل التنازع فى النيابة بين دوق أورليان أخى لويز والبرنسيسة عانى ابنة لويز وكانت صارت دوقة بربون بموت أخى زوجها الكبير فقام دوق أورليان بالسلاح فى سنة ١٤٨٨ بعد الميلاد من أجل طرد ابنة أخيه من الحكومة فانهزم وأخذ أسيرا واستمرت دوقة بوربون قابضة على زمام المملكة وفى سبتمبر سنة ١٤٨٨ بعد الميلاد مات دوق بريطانى وكان روح ثورة وقيام دوق أورليان فترك أملاكه لابنته الكبرى عانى صاحبة بريطانى طفلة عمرها ثلاث عشرة سنة فعزمت دوقة بوربون على كونها تنتهز الفرصة وتضيف بريطانى لتاج فرانسا فحضت أخاها شارلس على كونه يطلب أن عانى لا يلزمها أن تتقلد اللقب حتى تنفصل مسئلة الوراثة بوجه العدالة بينها وبين الملك وأنها يلزمها أن تقبله بصفة وصى عليها ولما لم تقبل هذه الطلبات صار ارسال جيش فرنساوى الى بريطانى فتغلب هذا الجيش على بريست وبعض مدائن أخرى مشهورة فتولد من هذه الحملة وقوع الفزع فى انكلتره وجرمانيا واسبانيا وراعت هذه الممالك تقدم فرانسا بعين الغيرة وشكلت اتحادا بعضها من أجل حفظ استقلالية ايالة بريطانى وفى فصل ربيع سنة ١٤٨٩ بعد الميلاد نزلت قوة انكليزية واسپانية فى بريطانى الا أنه ما حصل من ذلك فعل فاصل وانسحب الانكليز مع غاية السرعة وصار حض دوقة بريطانى على كونها انعقد عقد زواج بالوكالة عنها فى فصل صيف سنة ١٤٩٠ بعد الميلاد مع مكسيمليان صاحب أوستريا وتلقبت عانى من بعد عقد الزواج بلقب ملكة الرومانيين الا أنه ما حصل من مكسيمليان أدنى مساعدة لها بما أنه كان مشتغلا فى حرب مع الهنكاريين وفى أثناء ذلك تحملت البلاد أشد العناء وفى هذه السنة تقلد شارلس زمام حكومة مملكته من بعد أن بلغ من العمر عشرين سنة فكان أول أعماله افراجه عن دوق أورليان وكان متحدا معه على صداقة تامة وربط علاقات البرنس مع دوقة بوربون وصاروا فى جامعة واحدة فكان هذا سببا فى جذب كونت دونواز لجهة الملك وكان دونواز أكبر مستشار عند دوقة بريطانى وهو الذى كان أشار عليها بمعاهدتها مع مكسيمليان فحض فى هذا الوقت دوقة بريطانى على أنها تنهى ما هى عليه من المشاكل بتزوجها بملك فرانسا ولما قطعت الامل من مكسيمليان رضيت بما أشار به عليها كونت دونواز وفى دسمبر سنة ١٤٩١ بعد الميلاد صار اشهار الزواج فى (شا تولنغيس) من أعمال طورين ولاجل صيرورة بريطانى مع فرانسا فى حالة دائمة ذكر فى شروط عقد الزواج انه فى حالة ما اذا مات شارلس من دون عقب فالملكة أن تتزوج بخليفته فاذا كان متزوجا فانها تتزوج بالوارث الحقيقى من بعده فكان هذا الزواج اهانة فى حق مكسيمليان لانه حرم من زوجته وأعاد له شارلس ابنته عانى التى كانت مخطوبة لشارلس الثامن من منذ صغرها وكونتات ارطواز وقومتى الفرنساوية (الارض الحرة من بورغندى) وكاروليس التى وقع التنازل عنهما فى صداقها وما كان لمكسيمليان طاقة على الانتقام مما وقع له من هذه الوقاحة بسبب ما كان عليه من اشتغاله بالحرب مع الهنكاريين وما حصل من القلاقل فى فلندره كان سببا فى ربط يديه فانقاد لهذا الامر مع الشكر على قدر امكانه ولما أعيدت له الاراضى البورغندية عقد صلحا مع فرانسا ووقع التوقيع على المعاهدة فى سنليس فى شهر مايو سنة ١٤٩٣ بعد الميلاد ومن بعد هذا بقليل وقع الصلح أيضا مع انكلتره من بعد دفع مبلغ جسيم لهنرى السابع قيمة مصاريف الحرب فى بريطانى وربط ملك فرانسا الفة مع اسبانيا بكونه سلم لها أراضى روسيلون وسردينه التى كان رهنها يوحنا الثانى عند لويز الحادى عشر وأعادها شارلس من دون أن يطلب مبلغ القرضة

واجتهد شارلس كثيرا فى الاشغال اللازمة لتوطيد الامن الا أنه ذهب ما كان يؤمله سدى بحملة جديدة كان يرغبها وذلك أن (لودوفيكو صفورظه) كان تغلب على دوقية ميلان من ابن أخيه ولما خاف من أن ملك نابولى ربما يعيد الدوق المخلوع الى دوقية ميلان بما أنه كان زوج ابنته دعا لودوفيكو صفورظه شارلس للسعى فى التغلب على هذه المملكة ووعده بالمساعدة بجميع أمواله ورجاله وكان شارلس يرث وراثة خيالية المملكة النابولطانية وتختها من بيت انجو فقبل شارلس دعوة لودوفيكو واشترى صلح انكلترة وجرمانيا واسبانيا بثمن غال حتى يكون حرا فى نفسه من اجرا السعى وتصور أنه يجرى أشغالا كبيرة ليفتح ايطاليا ويطرد الترك من أوروبا ويخلص أورشليم من أيديهم مع ما كان فيه من ضعف البنية وتخيل له فى نفسه كامل الفروسية والشجاعة فنصحته دوقة بوربون مع وزرائه الخاضعين له الصادقين فى خدمته بأن يسلك منهج أبيه ويبعد عن الاخطار الوهمية الايطاليانية فما زاده هذا الا الاصرار على انفاذ مرغوبه وجمع جيشا كثيفا فى ليون ودخل فى ايطاليا فى سبتمبر سنة ١٤٩٤ وحيث انه سبق ذكر حوادث هذا الحرب فى تاريخ ايطاليا فلا حاجة لتكراره هنا وقد شاهدنا النجاح الذى ناله شارلس فى أول أمره ثم أعقبته الهزيمة التى طردته من ايطاليا والتزم على العود الى مملكته فمن بعد كسر مساعيه فى ايطاليا عاد الى ما كان عليه من الافراط والفجور وعدم الالتفات الى حكومته وفى سنة ١٤٩٧ بعد الميلاد لما خاب شارلس فى سعيه ضد دوق ميلان سعى سعيا آخر فى الغلبة على جنوه فكان على غير طائل أيضا وأعقبه هدنة مع الامبراطور والاحزاب الآخرين الداخلين فى اتحاد فنيزه ولما رأى الملك أن صحته أخذت فى الاضمحلال استخدم آخر أيامه فى الاصلاحات الداخلية لمملكته وترك أعماله القبيحة الشهوانية والتفت الى حكومة مملكته وأدخل فيها انتظامات الامن ومات بداء الفالج فى وسط أشغاله هذه فى ٧ ابريل سنة ١٤٩٨

ومن بعد موت شارلس جلس على كرسى المملكة دوق أورليان وتلقب بلقب لويز الثانى عشر وكان حفيد الدوق الذى ذبح مدوق بورغندى فى سنة ١٤٠٧ بعد الميلاد وابن حفيد الملك شارلس الخامس وكان فى عنفوان شبابه فصير نفسه محبوبا عند الامة بما كان عليه من الرفق فى الاعمال والعدل فى الاحكام وكان أول أخصامه من الابتداء دوقة بوربون فراعاها حق رعايتها وأغدق عليها بكرمه وكذا على الذين اشتركوا فى المنازعة التى وقعت من أجل النيابة فى مدة صغر شارلس السابع وأزال من قلوبهم خوف فقد مناصبهم بما أن ملك فرانسا كان عفا عما وقع من دوق أورليان من الضرر ومن بعد موت شارلس الثامن بقليل اعترت المملكة الارملة عانى الى نانطيس وتقلدت زمام حكومة دوقية بريطانى وكان لويز الثانى عشر متزوجا بامرأة كان لويز الحادى عشر أرغمه على زواجها ومع أنها كانت قبيحة المنظر كانت مشهورة بالفضل فاتفق أنه لاجل تنفيذ معاهدة اتحاد بريطانى مع التاج كان من الضرورى للويز طلاق زوجته وتزوجه بالملكة عانى بما أنه لا ولد له فتيسرت له رخصة بذلك من البابا اسكندر السادس الذى استحصل فى نظير التصديق على هذا الفعل الشنيع على لقب دوق فلنطنواز فى دوفينى وعلى معاش عظيم لابنه قيصر بورغية وبذا تزوج لويز بعانى صاحبة بريطانى وبما أن الملكة كانت على الدوام فى غيرة على حقوقها فى دوقية بريطانى أبقت ادارة أحكام الدوقية تحت يدها وذكر فى شروط الزواج انه فى حالة ما اذا لم يتولد من هذا الزواج خلف تعود الدوقية الى ذريتها يتملكها القديمة وانه ان حصل من زواج عانى بلويز ولدان فان الثانى يكون هو دوق بريطانى ثم ان لويز الثانى

سلطنة لويز الثانى عشر

عشر أخذ في تجديد الحرب على ايطاليا متصورا أنه موصى به من أسلافه فطالب تاج نابولى فقط بل طلب تاج ميلان أيضا بصفة انه نائب عن جدته (قلنطين و يسفورتي) ابنة الدوق الاخير لهذه العائلة واشترى رضا البابا في هذا الامر ووطد حياد قيصر مانيا واسبانيا وفنيزه وفلورنسه وصافوا بجزم مخابراته ودخل الجيش الفرنساوي في ايطاليا في أغسطس سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد وهرب دوق ميلان الى الطيرول وفي ١٤ سبتمبر احتل الفرنساويه مدينة ميلان من دون اطلاق نار

أما الحوادث المختصة بسقوط دوقية ميلان وتغلب لويز الثاني عشر عليها بالثاني وسعى ملك فرانسا ليكون سيد نابولى وهزيمة الفرنساويه بمعرفة الاسبانيين وانتقال مملكة النابولطانيين الى فردينند صاحب اسبانيا فقد سبق ذكرها في تاريخ ايطاليا وكان فقد نابولى من الامور المحزنة على لويز حتى انه وقع في مرض خطر حتى قطع الامل من حياته ثم بعد ذلك تصالح مع فردينند وفي سنة ١٥٠٨ انضم على اتحاد كبرى ضد فنيزه ثم بصفة أنه دوق ميلان كان من سياسته الحقيقية أنه جعل تلك الجمهوريه حدا مانعا التعديات أوستريا ولكن رغبته الشديدة لزيادة أملاكه الايطاليانيه أعمته عن منافعه الحقيقية وقد سبق القول على حوادث الحرب الذي ابتدأ في سنة ١٥٠٩ بعد الميلاد ثم أعقب هذا الحرب تشكيل الاتحاد المقدس السابق التعبير عنه في تاريخ ايطاليا وبعوت (غسطون دوفوا كس) تحت عاقبة الفرنساويه في ايطاليا حيث طردوا بسرعة من البصيث جزيرة وتعين (مكسميليان صفورطه) دوق ميلان وتحصلت جنوه على استقلاليتها ونجح الاتحاد المقدس نجاحا تاما فما كانت هذه المصائب مانعة لرغبة لويز لاجل تغلبه على ايطاليا الشمالية لانه في سنة ١٥١٣ بمحالفته مع الفنيزيين عزم ثانيا على التغلب على ميلان فطرد مكسميليان من المدينة واحتلها الفرنساويه ثم عزم الجيش الفرنساوي على احتلال نفاره ولكن هزمته السويسيون وطرد خلف جبال الالب ثم تولد من مصائب الفرنساويه في ايطاليا تشجيع أعداء لويز على الهجوم عليه في مملكته وذلك أن فردينند ابتدأ في تهديد حدوده الجنوبية من جهة أرغون ونزل هنرى الثامن في كاليس بقوة مؤلفة من ٠٠٠،٠٢ نفس وأغار السويس على قومتى الفرنساويه وفي أغسطس سنة ١٥١٣ بعد الميلاد حاصر الجيش الانكليزي مدينة طيرونه وفي أثناء هذا الحصار خدم الامبراطور مكسميليان الاول متطوعا في الجيش الانكليزي بماهية ١٠٠ كراون في اليوم ثم انه سفر قوة لاجل خلاص طيرونه لكنها انكسرت وكان من ضمن الاسرى الذين أخذتهم الانكليز الفارس المشهور بيارد أحد قواد الجيش الفرنساوي وسميت هذه الواقعة (بواقعة المهاميز) لان الخيالة الفرنساويه من بعد مقاومة خفيفة وقع فيهم الرعب والارتباك عند رؤيتهم العدو وانهزموا وهربوا بسرعة داخل الغابات ثم بعد قليل سلمت مدينة طيرونه ومن بعدها مدينة طورني ثم ان هنرى الثامن تعب من مشاق الحرب فعاد الى انكلتره وأغلق الحرب وفي نفس فصل الصيف هزمت الانكليز وقتلت أعز محالفي لويز وأصدقهم ألا وهو جيمس الرابع صاحب اسكوطلنده في الواقعة التي حصلت في فلودين وفي سنة ١٥١٤ بعد الميلاد ماتت عانى صاحبة بريطاني زوجة لويز وكان مشغوفا بحبها ومن بعد موتها رغب الملك في عقد الصلح فعقد معاهدة مع كافة أعدائه ماعدا السويس فانهم رفضوا عقد المعاهدة معه وبنص شروط هذه المعاهدة تزوج البرنسيسة مريم أخت هنرى الثامن صاحب انكلتره في ٧ أغسطس سنة ١٥١٤ ومات بعد هذا الزواج بقليل في غرة ينا ير سنة ١٥١٥ بعد الميلاد فنعاه قومه وحزنوا على موته أشد الحزن وان كان صرف مبالغ كثيرة

على الحروب الخارجية وكانت على غير ثمرة لكنه كان أحد كبار ملوك فرانسا العظام وكانت حكومته لمملكته موشحة بالعدل والرأفة وعلى اقتصاد تام فى مصرفه وكان فاضلا سخيا محبا للعلوم والفنون والصنائع وتقدمت الزراعة فى مدة سلطنته وزادت فيها ثروة الامة وكانت مدة سلطنته عصر تفاخر فى رفاهية العيشة واتقان المبانى باستعها واثاثها وفى هيئة الملبوس

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ من جلوس فرنسيس الاول الى موت لويز الثالث عشر ﴾

صيرورة فرنسيس الاول ملك فرانسا ـ اغارته على دوقية ميلان ـ واقعة ماريغنانو ـ معاهدته مع السويسيين ـ عدم قبول لويز المعاهدة مع فنيزه ـ خطوة فى ذلك ـ صيرورة شارلس السادس ملك اسبانيا ـ معاهدة نويون ـ انتخاب شارلس امبراطورا ـ معاهدة شارلس مع هنرى الثامن صاحب انكلتره ـ ميدان مراسم الملابس الذهبية ـ حرب بين فرانسا واسبانيا ـ طرد الفرنساوية من ميلان ـ عصيان دوق بوربون ـ هزيمة الفرنساوية فى ايطاليا ـ واقعة بافيه ـ أسر فرنسيس ـ مدة أسره ـ معاهدة مادريد ـ جحد فرنسيس المعاهدة ـ تجديد الحرب ـ مصائب الفرنساوية فى ايطاليا ـ صلح كبرى ـ جور فرنسيس على بروتستانت الفرنساوية ـ هياج الحرب بين فرانسا واسبانيا ـ اغارة شارلس على بروفنسه وارغامه على القهقرة ـ موت الدوفين ـ الصلح مع الامبراطور ـ وجود شارلس فى فرانسا ـ معاهدة فرنسيس مع السلطان سليمان صاحب تركية ـ تقدم الحرب ـ معاهدة كريسبى ـ ظلم بروتستانت فرانسا ـ موت فرنسيس ـ هنرى الثانى ـ شوكة الغيزيين ـ محالفة اسكوطلنده ـ زواج الدوفين بمريم صاحبة اسكوطلنده ـ الحرب بين فرانسا واسبانيا ـ تغلب الفرانساوية على قلعة كاليس ـ صلح كاطوكمبرس ـ موت هنرى ـ الاصلاح الانجيلى فى فرانسا ـ سلطنة فرنسيس الثانى ـ الثورة فى امبواز ـ شارلس التاسع ـ نيابة كاترينه دوميديسى ـ الحرب بين الكاثوليك والهوغينوطيين ـ الحرب الداخلى ـ معاهدة سنت جرمان ـ زواج هنرى صاحب نفاره بمرغريطه صاحبة فلواز ـ مذبحة يوم القديس بارثولومى ـ تجديد الحرب الداخلى ـ حصار قلعة روشيل ـ موت شارلس التاسع ـ هنرى الثالث ـ نصر الهوغينوطيين ـ الاتحاد الكاثوليكى ـ وجود دوق انجو فى البلاد الواطية ـ موته ـ معاهدة بين اسبانيا ودوق غيز ـ هياج الحرب على الاتحاد ـ قتل دوق غيز ـ الثورة على الملك ـ ارتباط علاقاته مع هنرى صاحب نفاره ـ حصار باريس ـ ذبح هنرى الثالث ـ خلافة هنرى الرابع للتاج الفرنساوى ـ مصاعبه الاولية ـ واقعة ايفرى ـ نتائجها ـ تباعد الامة عن هنرى ـ الاقرار على أمره فى سائر أنحاء المملكة ـ تدبير سياسته ـ منشور نانطيس ـ فرانسا تحت حكم هنرى الرابع ـ آراؤه فى شأن عود النظامات الاوروباوية ـ ذبحه ـ لويز الثالث عشر ـ نيابة مريم دوميديسى ـ العزلة فى سولى ـ عقد مجلس المملكة ـ زواج الملك ـ قيام ريشيليو وارتقاؤه ـ موت المارشال دانكر وزوجته ـ اعادة ريشيليو علاقات الملك مع أمه ـ موت لويدس ـ صيرورة ريشيليو كردينال ـ تعيينه وزيرا أول ـ سياسته القوية ـ أخذه مدينة روشيل ـ الحرب فى ايطاليا ـ معاهدة شيراسكو ـ يوم الخديعة ـ خيبة ريشيليو فى اطفاء ثورة الثائرين على فرانسا ـ حرب

الثلاثين سنة ـ مساعدة ريشيليو البروتستانت الجرمانيين ـ ثورة ٥ مارث ـ موت ريشيليو ـ موت لويز الثالث عشر

سلطنة فرنسيس الاول

ولما لم يخلف لويز الثانى عشر ولدا يخلفه من بعده على تاجه انتقل التاج الى فرنسيس انغوليم دوق فلواز زوج البرنسيسة كلوده البنت الكبرى للويز الثانى عشر وعانى صاحبة بريطانى وكان فرنسيس الاول نجيبا شابا جميل الصورة شجاعا حازما على خبرة تامة من تعليمات العسكرية محبا للافتخار العسكرى وكان محبوبا عند جميع طوائف الرعية فمن ثم كان جلوسه يوم عظيم عند كافة الامة وهو وان كان بلغ مبلغ الرجال الا أنه مازال تحت طوع أمه فى حركاته وكانت أمه لويز مصافوا على براعة كبيرة وأخلاق حسنة فرفعها الملك فى الوقت الذى جلس فيه الى دوقية انغوليم وهى عينت أول موظفى هذه السلطنة الجديدة دوق بوربون وقلدته سيف مأمور مصالح عموم فرانسا ثم ابتدأ فرنسيس الاول فى سلطنته بتصميمه على عود الاراضى الايطاليانية التى ضاعت فى سلطنة لويز الثانى عشر فجمع جيشا مؤلفا من ٦٠,٠٠٠ مقاتل تحت قيادة مأمور المصالح دو بوربون والفارس بايارد وغيرهما من القواد المشهورين وجملة كبيرة من الطوبجية وضبط السويسيون دروب جبل سينز وجبل جينفره وفتح (طريقو الطيو ـ ولوطرى) وهما قائدان فرنساويان بمساعدة المهندس نقاره طريقا على رقبة جبل (آرجنطيير) ونقلوا هذا الجيش الضخم بما معه من المدافع والجلة عابرا من جبال الالب من طرق ما كانت معروفة وما كان يجوبها الا صياد الوحوش وبهذه الحركة الجليلة دار الجيش الفرنساوى من حول مواقع العدو ودخل ايطاليا قبل أن يحصل العلم بحركة مبدا سيره من فرانسا فارتد السويسيون نحو نقاره وزحف الفرنساوية نحو تورين ومنها نحو ميلان ولما ورد للسويسيين تقوية من بلادهم مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ هجموا على معسكر الفرنساوية فى ماريغنانو على مسافة ١٠ أميال من ميلان وابتدأت الحرب فى الساعة الرابعة افرنكى بعد الظهر وامتدت زيادة عن ثلاث ساعات من بعد دخول الليل وانسدال الظلام حتى انفصل المحاربون وكلوا من شدة الحرب ونام الطرفان على أسلحتهم وفى وقت الفجر جدد السويسيون من دون ملل حركات الهجوم بشهامة جديدة فكانت الواقعة فى هذه المرة فاصلة انهزم فيها السويسيون شر هزيمة وأرغموا على القهقرة من بعد أن خسروا ١٠,٠٠٠ مقاتل وكانت خسارة الفرنساوية ٦٠٠٠ نفس من ضمنهم بعض أشراف المملكة ولما أظهر فرنسيس شجاعته فى ميدان الواقعة نال درجة شرف الفروسية من يد فارس مملكته المشهور بايارد وكانت هذه النصرة حكما فاصلا على دوقية ميلان وانتقلت الى الفرنساوية وكبس فرنسيس بشهامته على السويسيين حتى استعدوا للمساعى الشارع هو فيها من توطيد محالفتهم وعقدت محالفة سلمية ودادية بين السويسيين وملك الفرنساوية وصار التوقيع عليها من الطرفين واستمرت من دون فسخ الى حدوث ثورة سنة ١٧٨٩ بعد الميلاد

ولما صار فرنسيس استاذا ايطاليا الشمالية وسيدها صار من السهل عنده ضم مملكة نابولى الى فتوحاته الا أنه تصور أن الامة القنيزية التى لا عقل لها أهل التجارة والصنائع غير موافقة على أن تكون حليفة لملك عظيم فنكث محالفتها وعقد محالفة مع المديسيين أهل فلورنسه ومع البابا الذى تم له النجاح فى تجريده من كافة مصالحه ولما ربط فرنسيس علاقاته مع البابا رضى بتأجيل هجومه على مملكة

نابولى الى موت فرديننـد صاحب اسبانيا وترك مأمور المصالح بوربون حاكما على ميلان وعاد الى فرانسا وفى يناير سنة ١٥١٦ بعد الميلاد مات فرديننـد صاحب اسبانيا وخلفه حفيده شارلس صاحب أوستريا وكان موقع شارلس فى هذا الوقت حلوا مرا فبمجرد ما عرف حق معروف ملك الفرنساوية عمل معه معاهدة سلمية ومحالفة فى نويون فى أغسطس من هذه السنة واستمر الملكان سنتين فى صداقة عظيمة وتسلطن الامن فى عموم أوروبا الغربية وفى سنة ١٥١٩ بعد الميلاد مات الامبراطور مكسيمليان وصار فرنسيس وشارلس عدوين لبعضهما بشأن التاج الامبراطورى فكانت نتيجة الانتخاب لشارلس وصار امبراطورا تحت لقب شارلس الخامس ومن بعد مضى قليل حاز شارلس مظفرة أخرى على فرنسيس وذلك أن كلا من الملكين صار ودودا صادقا لهنرى الثامن صاحب انكلتره وفى سنة ١٥٢٠ بعد الميلاد عبر شارلس الخليج الى منية الدوفر من دون دعوة وتقابل عدة مرات مع هنرى مقابلات ودية واستماله لنفسه بتملقات صناعية لآمال مخصوصة من الوزير الاكبر لهنرى وهو الكردينال وولسى وكانت آماله متعلقة بجلوسه على كرسى البابا وبه تجذب هنرى بكليته نحو شارلس ومن بعد انقضاض هذه المقابلات توجه هنرى وولسى الى فرانسا من أجل مقابلة فرنسيس فى يوم معلوم كان أعده فرنسيس للمقابلة فكانت المقابلة بين ملك الفرنساوية وملك الانكليز تعرف بميدان مراسم الملابس الذهبية بواسطة ما ظهر من الابهة التى أجراها فرنسيس لضيفه واستمرت الضيافة ثمانية عشر يوما وبعد انتهاء هذه المدة عاد هنرى راجعا الى انكلتره مكدرا بما ظهر له من أبهة فرنسيس زيادة عن أبهته وقبل عوده الى انكلتره تقابل مع الامبراطور مرة ثانية فى نواحى غرافلين وتعاهد معه على أن لا يلتفت لاى غنيمة فى حقه من عدوه ونجح فى كونه استحوذ من هنرى على عهد بانه لا يتداخل فى أدنى عداوة فيما يختص بمصالح الامبراطور وكانت الصداقة الكبرى بين فرنسيس وشارلس أخذت فى الضعف من عهد انتخاب شارلس للسمو الامبراطورى فازدرى فرنسيس بسعادة بخت عدوه وغار من اجتماع شوكة كبيرة تحت أيدى جاره ورأى هو وشارلس أن مصالحهما تؤدى بهما الى الوقوع ببعضهما وكان حصول هذا الفساد فى نحو سنة ١٥٢١ بعد الميلاد وذلك انه فى نفس هذه السنة صار ارسال جيش فرنساوى خلف جبال البرنات من أجل مساعدة هنرى دالبرت فى ارجاعه مملكة نفاره وكان اغتصبها منه فرديننـد صاحب اسبانيا وفى هذه السنة عقدت معاهدة سرية بين البابا والامبراطور لطرد الفرنساوية من ايطاليا وفى اكتوبر سنة ١٥٢١ بعد الميلاد برزت قواهما المتحدة فى ميدان الحرب وفى فصل ربيع السنة التالية طردوا الفرنساوية مرة ثانية من دوقية ميلان ودخل هنرى الثامن صاحب انكلتره فى هذا الوقت فى أمر الامبراطور وأعلن حربا على فرانسا فى شهر مايو سنة ١٥٢٢ بعد الميلاد

فاستعد فرنسيس من أجل ارجاع أرضه التى خسرها فى ايطاليا وفى حالة ما كان على قدم السفر الى ايطاليا وقعت حادثة كانت عواقبها عليه أشد ضررا من هجوم أعدائه عليه وذلك أن مأمور المصالح دوبوربون أقوى رجل فى رعية التاج كان اكتسب ثروته من زواجه سوسانه وارثة الفرع الاكبر لبيت بوربون ولما ماتت زوجته انجذب قلب لويزه أم الملك الى محبته بسبب شهرته وحسن سجاياه وقدمت يدها لزواجه فرفض بوربون قبول زواجها مع الوقاحة فغضبت الدوقة مما وقع منه وصممت على خرابه وكانت ابنة أخت الدوق الاخير لبوربون وكانت تدعى أنها أقرب وارث له فطلبت من

مأمور المصالح تسليم كافة الاملاك التى حازها من زوجته ونجحت فى أن وجهت الملك تحت رأيها حتى أصدر من عنده أمرا ملوكيا بتجريد مأمور المصالح من كافة ما يوجد تحت يده من الاملاك وصار على شرف الدمار وفى هذه الحالة شرع بوربون فى مشروع تدبر فيه زمنا طويلا فى سره ثم خلع طاعته لفرنسيس وترك خدامته وتوجه الى الامبراطور شارلس ثم حصل ترتيب عهد فيه قيادة بوربون لاى جيش يستعد للاغارة على فرانسا من نواحى الحدود الجرمانية وفى هذا الوقت يغير عليها جيش من نواحى اسبانيا واتفق ملك انكلتره على أن ينزل على نورمندى و بيكاردى ووعد الامبراطور دوبوربون أن يزوجه أخته علينوره وسلطنة مستقلة على مملكة تشيد على أراضى دوفينى و بروفنسه فتولد من هذا الخطر الذى حاق بفرانسا من كل جهة أن صار من الضرورى لفرنسيس البقاء فى فرانسا الا أنه ما كان على رغبة من ضياع فرصة اغارته على ايطاليا فأرسل جيشا عبر جبال الالب تحت قيادة الاميرال (بونيفيت) غير أهل لهذه الحركة بل ثم انكسر هذا الجيش وخاب سعيه

وفى فصل صيف سنة ١٥٢٤ بعد الميلاد أغار بوربون على بروفنسه بجيش ضخم ومن بعد أن تغلب على طولون وفريجون وعكس وضع الحصار على مرسيليا فدافعت عن نفسها أشد المدافعة ولما قرب الملك منها فى رأس قوة كبيرة التزم الدوق على رفع الحصار والقهقرة الى ايطاليا وبدل أن يسير فرنسيس خلف عدوه فى طول الساحل عبر هو جبال الالب بقوة سيره ودخل لومباردى وضبط ميلان و بدل أن يسير فى حركاته لأجل استحواذه على منافعه عاد ووضع الحصار على مدينة باقيه ولبث متأخرا فى أعماله أمام هذه المدينة ثلاثة شهور فكان تأخره هذا سببا فى أن صار عند بوربون وقت كاف فى جمع جيش جديد فى جرمانيا وانضمامه مع القائدين الاسبانيين دولانوى و بيسكاره فى لودى وفى ٢٤ فبراير سنة ١٥٢٥ هجم الجيش الامبراطورى بعد تقويته على الجيش الفرنساوى فى باقيه وأوقع فيه هزيمة كلية وخسارة قدرها ٨٠٠٠ نفس من ضمنها كافة أعظم قواده وأخذ فرنسيس أسيرا وأرسل الى قلعة (بيظيغيطون) بالقرب من ميلان وأرسل بوربون منها خبر أسره الى أمه لويزه ولما وصلت أخبار الهزيمة فى باقيه وأسر الملك فى فرانسا كان لها وقع شديد وهياج كبير وكانت لويزه أم الملك هى النائبة فى المملكة فقامت فى هذه الحالة بأعباء الحكومة و بذلت مجهودها فى أشغالها واشتغلت أشغالا كان لها وقع عظيم وفتحت فى الحال المخابرات مع البابا وملك انكلتره والقينزيين وأهل فلورنسه حتى مع سلطان تركيه وأزعج شارلس كافة الدول الاوروباوية بمطامعه الغير المستقيمة وصار لا صعوبة عند لويزه فى كونها عقدت محالفة حيادية ومعاهدة تدافعية مع هنرى صاحب انكلتره فى أغسطس سنة ١٥٢٥ بعد الميلاد ذكر فيها هنرى من بعض الشروط أن خلاص ملك فرانسا لا يمكن شراؤه بالتنازل عن أى شبر من أرض فرانسا وعهد على نفسه أن يبذل مجهوده فى خلاص هذا الملك ومن بعد مضى قليل صار تشكيل اتحاد بين البابا وانكلتره وقينزه وفرنسيسكو صفورظة على اخراج الاسبانيين من ايطاليا وفى أثناء هذه الحالة صار ارسال فرنسيس الى مادريد وسجن فى برج الكظار المظلم ورفض الامبراطور أن ينظر اليه وأصاب الملك المرض وأخيرا فى شهر ينايرسنة ١٥٢٦ بعد الميلاد أنقذ فرنسيس وهو فى سجنه ووقع على معاهدة مادريد وكانت معاهدة سرية وعد من بعد التوقيع عليها بالافراج عنه وتضمنت هذه المعاهدة تنازله عن بورغندى وفلندره وارطوا الى الامبراطور وعن

دعواه فى نابولى وميلان وان يعيد لدوق بوربون ما أخذه من أملاكه وأن يلازم الامبراطور باسطول وجيش وقت توجهه للتتويج فى رومة أو فى حالة ما اذا سار لمحاربة التركية وأن يسلم فرنسيس ولديه الاثنين كفالة على ايفاء شروط هذه المعاهدة وتعهد فرنسيس على نفسه أن يعود لاسره اذا خاب فى تسليم بورغندى فى ظرف أربعة شهور

ولما عاد فرنسيس الى مملكته عزم على عدم الوفاء بهذه الشروط المهينة وأعلن على أنه لا يعتمدها لانها أخذت عليه بالجبر وهو فى السجن ولما حضه العامل لا نوى على الوفاء بالشرط المختص بايالة بورغندى جمع فى مدينة كوجناق نواب أمة دوقية بورغندى فقالوا فى حضور النواب الاسبانية انه لا حق للملك فى ابتعاد الدوقية من تاج فرانسا جاء أن اليمين الذى أخذ عليه وقت تتويجه يمنعه من هذا الفعل وأنهم لا يرضون بمثل هذا الفعل أبدا وأعلن الملك بانه مستعد لاداء الشروط الاخرى الموجودة فى المعاهدة وأن يقدم للامبراطور بدل بورغندى غرامة مليونين كراون فظهر لشارلس انه انغش فطلب من فرنسيس أن يعود لاسره كما كان فما صغى الملك لهذا الطلب وصارت اقالته من اشتغاله مع الامبراطور بواسطة البابا ومن ثم حصل عند فرنسيس الهمة فى تقدم أشغال الاتحاد المقدس وقد سبق القول فى تاريخ ايطاليا على عاقبة هذا الاتحاد ودخول الجيش الاسبانيانى رومة تحت قيادة دوق بوربون وفى سنة ١٥٢٨ بعد الميلاد سفر فرنسيس جيشا لفتح نابولى لكن على حسب ما ذكر حرم فرنسيس نفسه من مخالفة الجنويزين نظرا لمعاملته اياهم فاتجهوا الى جهة الامبراطور ونظرا لعدم نجاح الجيش الفرنساوى فى حروبه ووقوع الوباء فيه التزم على ترك حصار نابولى وتقهقر نحو (افرسه) وهناك سلم مابقى من الجيش نفسه الى القوى الامبراطورية وبقى من الثلاثين ألف مقاتل الذين كانوا توجهوا الى المملكة النابولطانية نحو ٥٠٠ نفس دخلوا فى هذا التسليم وكان ضياع جنوه خرابا على الفرنساوية فى نابولى وخلص دوريه أرضه وبلاده من الدول الاجنبية واستمرت جنوه مستقلة عن فرنسا الى حروب الثورة الكبيرة ثم ضعف عزم فرنسيس من كثرة توالى الحروب بلا فائدة وشرع فى اجراء الصلح وكذا ارتاع الامبراطور من تقدم العقائد اللوتيريانية فى جرمانيا فرغب فى الصلح أيضا ليلتفت الى ذلك الخطر فمن ثم عقدت معاهدة صلحية حصل التوقيع عليها فى كمبرى فى شهر يوليه سنة ١٥٢٩ بعد الميلاد دخل فيها كافة مواد معاهدة مادريد ما عدا التنازل عن بورغندى وقبل الامبراطور بدلا عنها الاثنين مليون كراون الذين قدمهما ملك فرانسا وعهد فرنسيس على نفسه أن لا يتداخل فى أى عمل فى ايطاليا ولا يتسبب فى هياج عداوة على الامبراطور وأن يساعده فى وقت الحاجة باسطول ومسعد مقدارها ٢٠٠,٠٠٠ كراون واتفق الملك أيضا على زواج علينور أرملة ملك البرتغال أخت الامبراطور شارلس وكان اشهار هذا الزواج فى شهر يوليه سنة ١٥٣٠ بعد الميلاد وخلص ولدى فرنسيس اللذين كانا باقيين رهينة فى مادريد وكان صلح كمبرى من أذل شئ على فرنسيس فانه ضيع به جميع الاملاك الفرنساوية فى ايطاليا بل ضيع أيضا حلفاءه من تيسرهم على الصلح فى الاحوال اللازمة لهم

وفى أثناء مدة السلم التى جاءت عقب هذه المعاهدة اكتسب فرنسيس جريمة لا تمحى عنه وهى ظلمه الذين دخلوا فى العقائد الاصلاحية الانجيلية من رعاياه وكانوا نموا وتقووا فى فرانسا ودخلت فى عدادهم مرغريطه أخت الملك التى صارت فيما بعد ملكة نفار وبعض من اشراف المملكة وكان فرنسيس

مائلا بطبعه للعمل بهذه العقائد الا أن وزيره الكبير (الكردينال دو براط) ساقه الى عمل مضاد لميله فشرع فرنسيس فى توقيع الظلم على المتمسكين بالعقائد البروتستانتية وحرق منهم الكثير فى العاصمة وفى الاقاليم ومن بعد مضى قليل رغب فرنسيس فى تقوية نفسه ضد الامبراطور بغرسه المحبة فى قلوب البرنسات اللوثيريانية فى جرمانيا فقطع الظلم عن اللوثيريانيين وفتح باب المحبة لهم الا أنه تولد من الاعمال العنيفة التى أجراها فرنسيس فى أهل العقائد اللوثيريانية الفزع الاكبر عند اخوانهم الجرمانيين وأصم البرنسات اللوثيريانية آذانهم من جهة ملك فرانسا وعقدوا صلحهم مع الامبراطور ومع هذا فان فرنسيس أخذ فى السعى وأظهر لهم زيادة ميله وأفرج عن الذين سجنهم من البروتستانت من أجل جلبهم نحوه الا أنهم ما رأوا فيه ذمة ومن ثم عمت عليه مدته القصيرة فى الفظاعة نتائجها القانونية ولما خاب فرنسيس فى مشروعه هذا دخل فى علاقات مع البابا وتخابر فى مادة زواج بين ابنه الثانى هنرى دوق أورليان وكاترينه دوميديسى ابنة الدوق الاخير عود بينو قريب البابا كليمنت فحصل اشهار الزواج فى مارسيليا بحضور البابا نفسه فى ٢٨ أقطوبر سنة ١٥٣٣ بعد الميلاد ومات كليمنت فى السنة التالية وكان خليفته على كرسى البابا وية صديق الامبراطور وفى سنة ١٥٣٣ بعد الميلاد أغضب الامبراطور شارلس ملك فرانسا بقبضه على سفير فرانسا فى ميلان وقتله اياه ولما كان فرنسيس مترقبا وجود الفرصة فى تجديد الحرب زحف فى سنة ١٥٣٥ بعد الميلاد على دوقية صافوا من دون أدنى طلب وتغلب بسرعة على صافوا وپيدمونط بعساكره فبرز الامبراطور فى الحال لميدان الحرب عليه وأغار على ايالة پروفنسه فى رأس ٥٠٠٠٠ مقاتل فتقهقر فرنسيس أمامه ونقل معه سكان البلاد وحرق المدائن وخرب الاراضى ومن ثم أوقع أكبر الضرر على رعيته الا أنه هزم اغارة الملك من دون طعن فان شارلس ما وجد فى طريقه أدنى شئ يتساعد به على قوت عساكره وحيواناته فتسلطن فى جيشه القحط والمرض وكنس الجيش ثم عزم على حصار مدينة ارل ومارسيليا فطردمنهما بأسهل طريقة ولما بلغه زيادة تقوية الجيش الفرنساوى تقهقر الى ايطاليا من بعد أن خسر نصف قواه بدون استفادة شئ وفى أثناء هذا الحرب مات الدوفين الابن الكبير لفرنسيس فى ١٠ أغسطس وخلفه أخوه دوق أورليان فى وراثة التاج واستمر الحرب من دون فصل شئ الى فصل صيف سنة ١٥٣٨ بعد الميلاد حتى عقدت هدنة لمدة عشر سنوات بمعرفة البابا وكل واحد من الملكين وضع يده على ما استحوذ عليه فى ظرف هذه المدة وبقيت ميلان تحت يد الامبراطور وحفظ فرنسيس لنفسه صافوا وقسما كبيرا من پيدمونط وأعقب هذه الهدنة اجتماع الملكين سوية فى مقابلة رسمية وأحيا ما كان بينهما من الود القديم

وفى هذا الوقت عكف فرنسيس على ارتباط علاقات الامبراطور ونكث علاقاته مع هنرى الثامن والسلطان سليمان صاحب تركية وصار ألد الاعداء الى البروتستانت وفى سنة ١٥٣٩ بعد الميلاد عصت غنط على الامبراطور فطلب فرنسيس لمساعدته ووعده بعود سلطنة فرانسا فى هذه المدينة وفى بعض مدائن أخرى فى فلندره وكان فرنسيس على رغبة شديدة من أن يجعل الامبراطور تحت احتياجات يطلبها منه فقبل التماسه وأخبره باجابة طلبه وقدم له طريقا للمرور منه من وسط أرض فرانسا الى البلاد الواطية فقبل شارلس فى الحال ما عرضه عليه وأكرمه فرنسيس وأغدق عليه بكليته فى وقت عبوره من أرض فرانسا ثم ان كثيرا من المعتمدين عند الملك حرضوه على أن يبقى

ا'مبراطور

الامبراطور فى شوكته حتى يرضى بايفاء كل مايطلبه فارضى فرنسيس بكسر أقواله وصحب ضيفه الى الحدود حتى وصلها فى فبراير سنة ١٥٤٠ بعد الميلاد ثم طلب فرنسيس من شارلس حكومة ميلان فراوغ شارلس فى رد الجواب ولما وصل الى فلندره جحد أنه ماخرج من فمه أدنى وعد يتقوى به شارلس على أمله فى جواب موافق لاغراضه ومن بعد مضى بضع شهور عين ابنه فيليب دوق ميلان فغضب فرنسيس من عدم قبول شارلس طلبه وجدد مخابراته مع اللوثيريانيين وعقد محالفة مع السلطان سليمان وانضم الاسطول العثمانى مع الاسطول الفرنساوى فى مارسيليا فى شهر مايو سنة ١٥٤٣ بعد الميلاد وسار المتعاهدون الى نيس فسلبوها وحرقوها وهزم الجيش الفرنساوى تحت قيادة الكونت دانغين الجيش الامبراطورى فى نواحى (سيريز وليس) من أعمال صافوا فى ١٤ ابريل سنة ١٥٤٤ بعد الميلاد ومع مافيه فانه ماعاد على فرنسيس أدنى فائدة من هذه النصرات فان شارلس نجح فى أن جلب نحوه هنرى الثامن بمعاهدة محالفية عقدها معه وقع عليها الامبراطور وهنرى فى شهر فبراير سنة ١٥٤٤ بعد الميلاد اتفقا فيها على السعى فى فتح فرانسا ومتى حصل النجاح قسماها بينهما وفى شهر يوليه من هذه السنة نزل هنرى فى كاليس فى رأس جيش مؤلف من ٣٠,٠٠٠ نفس وحاصر بولونيه ومونطريل وزحف شارلس على شمپانيه وحاصر (سنت ديزير) على نهر المارن فقاومته أشد مقاومة حتى أقام أمامها نحوا من ست أسابيع وفى هذا الوقت تيسر لفرنسيس جمع جيشا كبيرا حفظ به خطوط الوصول الى باريس ولما رأى الامبراطور أنه من عدم الصواب المخاطرة فى واقعة بهذه القوة وقف فى كامبيغ وفتح مخابرة مع ملك فرانسا وصار ترتيب معاهدة صلحية بينهما فى ١٨ سبتمبر من هذه السنة وأعاد كل منهما ماتغلب عليه من عهد معاهدة نيس وتنازل أيضا فرنسيس عن دعواه فى نابولى وفلندره واتفق على تسليمه صافوا على شرط تقليدا بنه الثالث وهو دوق أورليان بلقب دوق ميلان ويتزوج بابنة الامبراطور أو ابنة الارشيدوق فردينند وفى ظرف سنة مات الدوق وتولد من موته عدم فصل فى المواد المتعلقة بصافوا وميلان ورفض هنرى الثامن دخوله فى هذه المعاهدة واستمر الحرب بين انكلتره وفرانسا بحالة قطيعة الى شهر يونيه سنة ١٥٤٦ بعد الميلاد حتى انعقد الصلح بينهما

وفى السنة التالية مات فرنسيس فى ٣١ مارث وكان أكبر حاكم وأشده بأسا ما ظهر نظيره من عهد أيام شرلمانيا وحصل له نصرات عديدة وأصر على حفظ كمال فرانسا وامتداد حدودها وعند مارئى أى فسخ وقع من خصمه القوى يتربا باً له حربه ويلتقى معه فى حروبات حتى سار الامبراطور شارلس على مرغوبه باتفاقات بينهما وكان محبا للمعارف والصنائع أسس المدرسة الملوكية فى باريس والمتحف (فونتينبلو) بدار كتب جليلة وأبنية جميلة وتصاوير وهيا كل تدل على جلالة اسمه وكان فريد عصره فى الخلاعة واللذات الشهوانية وكان من أهل العشق وأضحية لنفوذ الجميلات من النساء وحاز عدة صفات جعلته محبوب زمنه ووطدت له محلا عاليا عند حكام فرانسا وبصداقته بلغ الدرجة القصوى فى رتبته الا أنه ما كان على قواعد ثابتة فى العقائد الديانية وما وقع منه من الظلم فى حق القودوازيين كان سببا فى اظلام صحف تاريخه

سلطنة هنرى الثانى
ومن بعد موت فرنسيس خلفه ابنه هنرى وجلس على تخت المملكة باسم هنرى الثانى وكان عمر هذا الملك الجديد فى وقت جلوسه تسعا وعشرين سنة ومولده فى سنة ١٥١٨ بعد الميلاد وكان متزوجا

من سنة ١٥٣٣ بعد الميلاد بكاترينه دوميديسى ابنة لورينزو دوميديسى دوق عوربينو وابن أخى البابا كليمنت السابع وما كانت فرانسا فى جامعة واحدة فى شوكة قوية مثل ما كانت عليه فى وقت جلوس هنرى على تختها وان كان محبا للملاهى ولم يخل من الطمع وحب الرفعة الا انه كان من الناس الذين يجلسون على تخوت الممالك ويسمحون لآخرين بمباشرة أعمال ممالكهم فانه اتفق انه فى مدة هذه السلطنة نبعت عائلة غيز فى فرانسا حتى صارت فى أول درجة فيها وبجسارة هذه العائلة وشماخة سلطتها أبعدت كافة الاشراف الوطنية وكان مؤسس هذه العائلة وأول دوق فى غيز هو كلودى الابن الخامس لرينى الثانى دوق اللورين وذلك أن كلودى المذكور لما وقع بينه وبين أخيه الكبير مشاحنة ترك اللورين ودخل فى خدمات فرنسيس الاول وسار معه الى ايطاليا وأصابه اثنان وعشرون جرحا فى واقعة ماريغنانو ومن بعد مضى ثمان سنوات طرد الجرمانيين من شمبانية فنال بشجاعته وذكائه التفات الملك فتزوج (انطوانيت دوبوربون) فولدت له اثنى عشر ولدا منهم ثمانية ذكور وتزوجت واحدة من بناته وهى مريم بجمس الخامس صاحب اسكوطلنده وكان فرنسيس الاول كشف ما كان عليه غيز من ميله للطمع هو وعائلته وقيل انه أنذر فى آخر ساعة من حياته ابنه بان يكون مضادا لهم ولمأمور المصالح (مونطمورنسى) وكان طرده من مجلسه قبل موته فما سلك هنرى مسلك النصيحة وأعاد مونطمورنسى الى ديوانه ورفع شرف الغيزيين وكان من مشهورى أمرائهم فى الديوان الفرنساوى الغيز الكبير الدوق كلودى وابنه الكبير فرنسيس وابنه الثانى كردينال اللورين وخورى الملك ومأمور المصالح العامة مونطمورنسى والمارشال سنت اندرى ومحاظى الملك من بناته (ديانه بواكطيرس) رفعها الى درجة دوقة (فلنطينواز)

فكان أول حادثة من الحوادث الكبيرة من بعد قبض هنرى زمام الشوكة وصول مريم الطفلة صاحبة اسكوطلنده فى فرانسا وكان حضورها بصفة أنها مخطوبة للدوفين فرنسيس الثانى وكان يوجد القليل من البرنسيسات أهل الجمال والطرافة مثل مريم سطوارط ولما بلغت ست سنوات طلبها هنرى الثامن صاحب انكلتره لابنه الوحيد برنس الويلس الذى صار فيما بعد ادوارد السادس الا أن الامة الاسكوطلندية مارغبت فيه وكان هذا من أكبر الخطا الذى وقع من هنرى فانه حملهم على هذا جبرا عنهم حتى عزموا على المحافظة على شخص الملكة الشابة بطرق عظيمة أو جنونية فحصل عند هنرى غضب حمله على محاربة هذه الملكة الصغيرة فنقلت مريم الى محل أمين وكانت فرانسا راغبة فى الاستحواذ عليها كما كانت انكلتره راغبة فى ذلك ثم كان يوجد بين فرانسا وأسكوطلنده محالفة عظيمة ما دامت مريم موجودة بينهما ومن بعد اليزابث كان الاقرب لوراثة التخت الانكليزى مريم صاحبة اسكوطلنده هذه فكانت منزلة الغيزيين كبيرة بما انه صار من أنفسهم ملكة لاسكوطلنده ولو جعلوها ملكة فرانسا أيضا لكانت المنزلة أعظم وبما أن مريم حفيدة دوق كلودى فهى بالطبع ابنة أخى فرنسيس وابن أخت الكردينال وفى هذه الحالة صارت منافع الغيزيين وفرانسا فى حالة واحدة ودوّر الكردينال بيطون والملكة أم مريم الافكار التى أدخلها هنرى فى عقول أهل اسكوطلنده الى حالة عظيمة عندهم حتى انهم فى السنة التالية أى فى سنة ١٥٤٨ بعد الميلاد أرسلوا مريم الى فرانسا تحت حماية أسطول لها وخطبت للدوفين وصار لها فى فرانسا نفوذ كبير فى الاعمال الفرنساوية شيأ فشيأ واتفق من سوء بخت هنرى أنه ورث من أبيه ربط العلاقات الحربية مع عدوه الاكثر قوة على سطح

الارض

الارض وتولد من ارتباك الاعمال فى هذه المدة أنه شبك نفسه فى حرب مع انكلتره وفى مبادى القسم الاول من هذا الشغل كان عرض على هنرى عقد معاهدة مع دوق موريس صاحب صكصونيه حالما خرج هذا البرنس عن طاعة الامبراطور شارلس الخامس واغتصب منه (بيسة باسو) فن أجل هذا خرج هنرى لميدان الحرب بنفسه فى رأس جيش مؤلف من ٣٨٠٠٠ مقاتل وتغلب على منزوطول وفردون وخاب شارلس فى كافة المساعى التى أجراها فى عود هذه الجهات وتولد من المقاومات الكبيرة التى أجراها فرنسيس دوق غيز للامبراطور وحصل فيها النجاح فى مدة ثلاثة شهور وحاصر فيها متز زيادة فى شوكته وشهرة جديدة للبيت المنسوب اليه الدوق المذكور وكان هنرى قليل البخت فى حربه مع اسپانيا وذلك أنه من بعد تنازل شارلس عن تاج الامبراطورية ومن قبل استعداد فيليب لاصلاح أحواله عزم على أن يجرى هجومات متوالية على الدولة الاسپانية واحد فى ايطاليا وآخر فى البلاد الواطية فاما حملة ايطاليا فانها ما أفادت فائدة لان تصميمات دوق غيز جميعها تلبكت بحيل دوق ألفا وكانت أعلى من تصميماته وأما حملة البلاد الواطية فانها كانت أضل وأكثر حزنا لان الفرنساوية على نفس أرض فرانسا وتحت أسوار مدينة (سنت قنطين) أصيبوا بمصيبة هزيمتهم من جيش متحد من العساكر الاسپانية والانكليزية تحت قيادة دوق صافوا وقتل وأسر فى هذه الواقعة الدموية زهرة الفرسان الفرنساوية وكان من ضمن الذين وقعوا فى الاسر القائد العمومى مأمور المصالح مونطمورنسى فأسرع فى هذا الوقت دوق غيز فى الرجعة من ايطاليا وجمع جيشا جديدا فى كامبيغ ومن بعد عدة حركات مظفرة هجم على قلعة كاليس وضبطها وكانت على حالة غير جيدة من المحافظة فن ثم سلبت من انكلتره وكانت هى الباقية الاخيرة من فتوحات بيت أبى مقشة وكان التغلب على قلعة كاليس فى ٨ يناير سنة ١٥٥٨ بعد الميلاد وفى هذه السنة فى ٨ ابريل تزوجت مريم سطوارط بالدوفين وتم بذلك نجاح الغيزيين وصار لاعدو لهم فى هذا الوقت فيما بين أشراف فرانسا وفى شهر ابريل من السنة التالية صار التوقيع على معاهدة (كاطوكبريزيس) وأبقت فرانسا لنفسها قلعة كاليس ــ وغينيه ــ ومتز ــ وطول ــ وفردون ــ وسلمت عموم صافوا وپيدمونط ماعدا تورين وأربع قلاع أخرى وتركت أيضا كافة فتوحاتها فى ايطاليا وفى البلاد الواطية وبهذه المعاهدة سلمت فرانسا مائة وتسعاوتسعين مدينة وقلعة فى جهات مختلفة من أوروبا فكانت معاهدة مهينة على فرانسا الا أنه ما حصل منها أدنى ارتباك فى استتباب الراحة العمومية وفى أثناء هذه الراحة عقد هنرى ملعب الجريد ولعب فيه فدخل فى احدى عينيه شظية من رمح (دوق مونطغومرى) قائد خفر الاسكوطلندى فحصل له منها جرح مهلك ومات فى ١٠ يوليه سنة ١٥٥٩ بعد الميلاد

ولنشرح فى هذا الوقت المدة المهمة من تاريخ فرانسا التى من قبلها ما ذكرنا شيأ فيما يختص بمادة الاصلاح الانجيلى البروتستانتى الذى وقع فى هذا العصر وذلك أنه من الخطا أن يتصور الانسان أن حركة الاصلاح التى كانت سببا فى تشكيل أمة كبيرة فى جرمانيا وفى جهات أخرى غيرها خاب أمر دخولها فوق سطح الاعمال فى فرانسا وأنه مهما وقع من الظلم الذى حصل من فرنسيس الاول وابنه هنرى الثانى حتى صار هذا الظلم صورة فى مدة سلطنتهما فان مادة الاصلاح أخذت لها مرقعا حقيقيا فى أرض فرانسا وبالخصوص فى سلطنة هنرى صار كل من سرعة الاصلاح وتقدمه المبادى الحياة الحقيقية والشوكة الغير خفية فى الاملاك الفرنساوية حتى انه فى سنة ١٥٥٨ بعد الميلاد كان

موجوداعلى حسب ماصار تقديره ٢٠٠٠ محل للعبادة البروتستانتيه فى جهات المملكة الفرنساوية تحت أوامر الاصلاح الانجيلى وعدد الاهالى الملازمين على العبادة فى هذه المحلات نحو من ٤٠٠،٠٠٠ نفس وكانوا فى عباداتهم على مقتضى مذاهب مدينة جنيفه لاعلى مقتضى نص قواعد مدينة أوغسبورغ فكانوا (برسبتريانيين) فى الحكومة والعبادة (وكالفينيستقين) فى العقيدة وفى سنة ١٥٥٩ بعد الميلاد وهى السنة التى مات فيها هنرى حصل منهم حركة جسورية فى كونهم شكلوا مجلسا فى باريس لانفسهم وحصل القرار فى هذا المجلس على الاعتراف بالدين والاقرار عليه وفصلوا أمرهم بينهم على حسب نظاماتهم الكنائسية ومن ثم صار الدين البروتستانتى فى فرانسا مقررا تحت رياسة عدة مجالس كنائسية مستقلة فى نفسها باعمالها وعباداتها وبجموع كبيرة فى جامعة واحدة متفق جميعها على أن الدين البروتستانتى عباداتهم وحكومتهم

وكان للبروتستانت الفرنساوية عدة أسماء مختلفة أطلقت عليهم فى أزمان متباينة فكان يطلق عليهم فى هذا الوقت اسم (الهوغينوطيين) وهو اسم حاز الشرف والخلود فى التاريخ واختلف فى أصل هذا الاسم فقال بعضهم انه مشتق من كلمة جرمانيا معناها الاتحاد كانت أعطيت فى السنى الاولى لوطنيى السويس وحرفها الفرنساوية الى لفظة ايدسينوط وآخرون جعلوا هذه اللفظة مأخوذة من اسم هيوأبوطقية وأما فى مدينة طور فكانوا يعتقدون هذه الخرافة وهى أن شبح هيوأبوطقية سرى فى الشوارع ليلا ومن حيث ان البروتستانت كانوا يعقدون مجالسهم فى الليل تحت أستار الظلام لقبوا بالهوغينوطيين استهزاء بكونهم فرسان الملك هيو والبعض قال أقوالا أخرى اشتق منها هذا الاسم حتى انه صار فى سنة ١٥٦٠ بعد الميلاد علما عموميا عليهم وكان الهوغينوطيين فى مبادى أمرهم مشكلين حزبا سياسيا كبيرا وما كان الداخلون لهذا الحزب من أسافل الناس أو متوسطيها بل كانوا ينسبون أنفسهم لاشرف البيوت ومشاهير الامراء فى فرانسا فتولد من موت هنرى عصر جديد فى دور تقلب الاعمال فى فرانسا وذلك أنه كان فى معاهدة كاطوكمبريزيس مادة سرية بين ملكى فرانسا واسبانيا مقتضاها قطع دابر البدع التى ظهرت فى ممالكهم ومن ثم تشكلت محكمة مخصوصة أطلق عليها اسم مسئلة الفحص فى فرانسا من أجل محاكمة كل من كان سالكا فى عقيدته مسلكا يخالف نص الديانة وبناء عليه لما جلس فرنسيس الثانى على تخت فرانسا وكان شابا عمره ست عشرة سنة كان ظلم البروتستانت والايقاع بهم هو أوامر هذا العصر وكانت هذه طريقة سياسة موافقة لذوق ورغبة الملكة أم الملك بسبب ما كان فى نيتها من طمعها فى الشوكة التى كانت تجهلها فى مدة حياة زوجها واعتقدت أن ابنها صغير السن وابتدأت فى اظهار شوكتها الا أن كاترينه كانت على غير بصيرة لان فرنسيس كان بلغ العمر المحدود وصار بريم سطوارط معتبرة فى الذات والصفات بناء على هذا فى ديوان فرنسيس الثانى زيادة من كاترينه دوميديسى الا أن مريم سطوارط كانت تحت أحكام أخوالها الغيزيين والدوق هنرى وكردينال اللورين ومن سوء الطالع على البروتستانت أن السياسة الجارية كانت موافقة فى ظلمها عليهم عند الغيزيين وعند مريم سطوارط وعند الملكة أم الملك أيضا فاتفق فى هذه الحالة أن الهوغينوطيين صاروا أصحاب أهمية عظيمة فى السياسة وكان من ضمن العائلات المشهورة الذين قبلوا هذه العقائد الجديدة وأدخلوا أنفسهم فى الجور الواقع على الكالفنيين عائلتى البوربون والشاتيلون فكان ينظر لارباب هاتين العائلتين بصفة أنهم رؤساء الهوغينوطيين

سلطنة فرنسيس الثانى

فالذين

فالذين كان منهما من بيت بوربون أنطوني ملك نفاره بواسطة زواجه (بنوجانه دالبرت) ثم أولاد هنري الثاني الوارث الثاني للتخت وأخوه شارلس كردينال دروان ولويز برنس كوندي ومن بيت شاتيلون عوديط كردينال شاتيلون والاميرال كوليغني ودنديلوط أميرالاي مشاة الالب الجنوبي وكان الرئيس الاصلي لهذا الحزب أنطوني صاحب نفاره الا أنه كان رجلا قليل الهمة وكان كوندي وحده من بين اخوته الثلاثة رجلا صاحب قوة وهمة وكان الاخوان الشاتيلونية أهل شرف حقيقة وكان كوليغني أشرف رجل في عصره فحنقوا جميعا من الظلم الواقع على البروتستانت حتى صار لا طاقة لهؤلاء الرؤساء على الصبر وصارت الحالة عندهم من أقبح الحالات لكونهم رأوا اخوانهم في الدين يسلبون من أملاكهم ثم يعذبون ثم يقتلون وكان لا طاقة لهم على أن يروا حكم المملكة في أيدي العائلة الغيزية التي ارتقت فيها الى أعلى الدرجات فعوّلوا على القبض على الوزراء المقبوحين وأن يصيروا الملك الشاب تحت محافظة مستشارين طبق النظام فما قبل كوليغني الدخول في هذه الثورة وانقبض كالفن من هذه الحركة وكان حصول هذه الثورة في وقت ما كان الديوان في امبواز وخاب سعيها وعرف الغيزيون وسلموا أنفسهم وانتقموا من أرباب الثورة انتقاما دمويا وسلم كوندي من القتل بموت الملك الشاب صدفة وتولد من ثورة أمبواز منهاج جديد في تاريخ الديانة البروتستانتية الفرنساوية ومن هذا الوقت عرف أهل الاصلاح باسم هوغينوطيين ووجدت كاترينه في هذا الوقت فرصتها

وذلك أنه لما جلس ابنها الثاني الملقب شارلس التاسع على أريكة فرانسا كان عمره عشر سنوات فتقلدت أمه زمام الوصاية والنيابة ومع ما كانت عليه فانه واجب عليها أن تسلك مسلك الحزم فمن ثم طلبت لوكالة نفسها ومستشار أمورها البارع النائب نوبتال فنصحها في كونها تلتفت الى كوندي باكرامها له وتصرف النظر من الجور الواقع على الحزب وتعين ملك نفاره نائب عموم المملكة وعهد الى مأمور المصالح مونطمورنسي ادارة الاعمال العسكرية ورخصت للغيزيين بالبقاء في المجلس العالي بما أنه كان لا طاقة لهم ولا رغبة في التوجه الى جهة بعيدة من الحكومة وتعين الدوق فرنسيس في وظيفة ناظر ادارة السراية الملوكية واستمرت اباحة العقائد التي أجراها لوبتال مدة من الزمن جارية واطمأنت بها الاحوال وتولد من منشور (رومارتين) الصادر في سنة ١٥٦٠ منحات غير مهمة ومازالت جمعيات البروتستانت في شأن العبادة ممنوعة فعقد المجلس المعروف (بالكلوكي) في مدينة بواسي في سبتمبر سنة ١٦٥١ بعد الميلاد ورخص فيه للهوغينوطيين باقامة البراهين الديانية عندهم بحضور الملك وكان بيزه وبطرس الشهيد النائبين المدافعين عن عقائد الدين البروتستانتي وكردينال اللورين المدافع الاكبر عن عقائد الديانة الكاثوليكية فكانت نتيجة هذا المجلس صدور منشور في ١٧ يناير سنة ١٥٦٢ بعد الميلاد يتضمن الاعتراف الاولي الرسمي والاقرار على الديانة البروتستانتية ورخصة الحرية بالاجتماع في محلات العبادة من دون سلاح في المحلات الواقعة خارجا عن أسوار المدائن وكان يطلق على منشور يناير أو منشور سنت جرمان كما كان يقال له اسم رخصة منحة الحرية للحقوق الهوغينوطية وكان مشتملا كما سنذكره على اباحة المواد الموجبة لتأخر حرب داخلي في المملكة وترآى في هذا الوقت ان أعظم يوم بزغ فجره على الهوغينوطيين وفرانسا غير أن مدته كانت قصيرة وذلك أن طائفة الكاثوليك عارضوا وبذلوا جهدهم في ابطال هذه الرخصة وأخذت الضغائن تنمو شيأ فشيأ بين الطائفتين حتى صار أنه لا بد من وقوع مصائب دموية بينهما في الحال أو في الاستقبال

سلطنة شارلس التاسع

وكانت حالة الحروب الداخلى منتظرة حصول ثوران أو سنوح فرصة وذلك أنه فى صباح يوم الاحد غرة مارث سنة ١٥٦٢ بعد الميلاد كان الهوغينوطيون مجموعين فى مدينة فاسى من أعمال شمبانية على حسب عادتهم فى جمعية ديانية من جمعياتهم فى بيت فلاحة صغير أو زريبة من الزرائب وكان دوق غيز عائدا من جرمانيا الى باريس ومعه جم غفير من الاشراف والعساكر فلما مر من وسط هذه المدينة سمعوا أصوات دق الاجراس فقال الدوق ما هذا فأجابه الحاضرون بقولهم تلك ـ نية الهوغينوطيين فى فاسى فابتدأ الدوق فى نتف لحيته وأظهر علامات الغضب ومن بعد برهة أغار رجاله على هذا الجمع وفى حال توجه الدوق لميدان الواقعة أصابه حجر فى أذنه فزاد غضبه واقتحم العساكر على العباد الذين لاسلاح عندهم وكانت مجزرة شنيعة انتشرت أخبارها كأنها نار مستعرة وعند وصول الدوق الى باريس قوبل بالتهليل غير أن البروتستانت الموجودين فى كافة الجهات حصل عندهم الغضب الشديد ومن ثم انفسخت المسالمة الدينية وهرع البروتستانت تحت قيادة كوندى حاملين سلاحهم لاجل أخذ الثار من أعدائهم ورأى كوندى المساعدة لنفسه فى الفارس الشجاع كوليغنى وكان فى رأس الطائفة الكاثوليكية دوق غيز ومونطمورنسى وسنت اندرى وكانوا يعرفون باسم الحكومة الثلاثية وألقى دوق غيز المنشور الملوكى المتضمن للحقوق والامتيازات الهوغينوطيه ووضع يده على قبضة سيفه وقال ان هذا يقطع فى الحال عقدة هذا المنشور مهما كان من صلابتها وانقسمت فرانسا الى معسكرين عدوين لبعضهما ومن ثم كان مبدأ المدة الآجلة فى الحرب الداخلى ومهما وقع من الاجراآت الكبيرة والاعمال المشهورة فانه ما كان مثل حرب الثلاثين سنة الذى وقع فى جرمانيا ومن بعد عدة محاربات صغيرة حصلت واقعة مهولة فى دروكس كانت نتيجتها قتل سنت اندرى وأسر كل من كوندى ومونطمورنسى ثم أعقب هذه الواقعة حادثة مهمة ملأت فرانسا بالرعب والفزع وذلك أن شخصا من متعصبى الديانة يدعى حنا بولطروط تجارأ على ذبح دوق غيز فصار القبض عليه وفى أثناء محاكمته قال انه مؤجر من طرف كوليغنى فأقام كوليغنى البراهين على انه برىء من هذا الفعل وأنه منع المرة بعد المرة فعل مثل هذه الخيانات وكان موت دوق غيز حزنا على طوائف الامة وتولد منه مخابرات جديدة بين الحزبين المتشاحنين كانت نتيجتها عقد صلح فى امبواز وحصل التوقيع عليه فى ١٩ مارث سنة ١٥٦٣ بعد الميلاد من بعد مذبحة فاسى بسنة فكانت هذه المعاهدة من أكبر المنافع لكبار الاشراف ونقصا فى امتيازات أصاغر الاشراف والمدائن وكانت قاضية بقطع دابر الديانة البروتستانتية من باريس

ومع هذا فانه ما كان يوجد فى الترتيبات التى عملت فى امبواز أدنى شىء يقوى على أعمال هذا الصلح الاخير وما كان مرضيا عند أحد من الامة وما حصل منه أدنى ارتباط علاقة وظهر فى الوقت أن هذه كانت اجرا آت وقتية وقعت عند حزب الحكومة فانه فى سنة ١٥٦٥ بعد الميلاد زار كاثرينه ابنتها اليزابث زوجة الملك الاسبانى فيليب الثانى وكان فى صحبتها دوق ألفا رجل معتمد على القدر مشهور بشدة قطاعته فى الاراضى الواطية فاتفق أنه صار عقد مجلس فى مدينة بايون فى أثناء زيارة ألفا فى فرانسا فتعالى ألفا فى أقواله وحض الديوان الفرنساوى على كونه يأخذ الاحتياطات اللازمة فى دمار البروتستانت الآن الملك وأمه ما كانا على رغبة تجديد حرب فما كان للبروتستانت علم بأحوال حقيقة الاعمال فحصل عندهم الفزع الشديد من الاعمال الوحشية التى كان أجراها ألفا فى البلاد

الواطية فعولوا على المسابقة قبل حلول الاذى فكان من رأيهم القبض على نفس الملك فانتقل الملك بديوانه فى باريس فحاصر كوندى العاصمة ثم أرغم على القهقرة الى اللورين ولما تقوى فيها بعشرة آلاف مقاتل من الجرمانيين تحت قيادة البرنس (يوحنا كاسيمير) رجع الى باريس وألزم من فيها على عقد الصلح فى ٢٧ مارث سنة ١٥٦٨ بعد الميلاد وبهذا عادت شروط معاهدة امبواز ثم حصل فسخ هذه المعاهدة لانها عملت على غير رغبة الملك وكانت غما على أمه واستمر ظلم البروتستانت على ما كان عليه فقام الهوغينوطيون مرة ثانية تحت قيادة كوندى بالسلاح وهاج الحرب الثالث الداخلى والتقت القوى الهوغينوطيه تحت قيادة كوندى والقوى الملوكية تحت قيادة دوق انجو أخى الملك الذى صار فيما بعد هنرى الثالث فى نواحى جارناق فى ١٣ مارث سنة ١٥٦٩ بعد الميلاد ووقعت بينهم واقعة انهزم فيها الهوغينوطيون وقتل كوندى فتقلد كوليغنى زمام القيادة بدله واستمر الحرب على ما كان فاتفق فى هذا الوقت أن انضم هنرى صاحب نقاره الى الهوغينوطيين وذلك أن أباه كان قتل فى أثناء الغلبة على روان فى سنة ١٥٦٢ بعد الميلاد وكانت أمه يوحانه دالبرت مازالت باقية على عهد البروتستانت وكانت حريصة على ما يعود منه النفع لابنها وكان ابنها من عهد موت أبيه رأس عائلة بيت بوربون فمن ثم جعل هنرى نفسه فى رأس الحركة الهوغينوطية على حسب طلب أمه فحصل عندهم بدخوله معهم شهامة فى النفس وأملوا فيه الظفر على أعدائهم وحاصر كوليغنى بواطير ومع هذا فكان موجودا جوع مجمعة عليهم وهزمهم دوق انجو فى (مونطكونطور) من هذه السنة فتولد من قبح المعاملة الجارية مع الهوغينوطيين ايقاظ الممالك البروتستانتية وميلها اليهم وأرسلوا اليهم من انكلتره وجرمانيا ومن بلاد السويس الرجال والنقود اللازمة لهم وعادت كرة الحروب لهم فأخذوا نيمس من العساكر الملوكية قبل غلاق سنة ١٥٦٩ بعد الميلاد وخلصت روشيل وكان فيها ديوان ملكة نقاره وهزم الهوغينوطيون تحت قيادة لانو العساكر الملوكية فى لوسونس فرغبت كاترينه وابنها فى هذا الوقت الصلح مع غاية السرور وحصل التوقيع على معاهدة جرمان فى لاى فى ٨ أغسطس سنة ١٥٧٠ بعد الميلاد وكانت غلاقا للحرب الثالث الداخلى وبواسطة هذه المعاهدة أعيدت شروط معاهدة امبواز وأربع مدائن محصنة كان من ضمنها مدينة روشيل صارت تحت يد الهوغينوطيين كفالة على تنفيذ شروط المعاهدة بالذمة من طرف الحكومة

وأعقب هذه الترتيبات سنتان حصل فيهما سلم واستتباب أمن وظهرت صلاحية الاحوال وانقطع الظلم الذى كان جاريا بشأن العقائد الديانية وكانت العلاقات مع اسبانيا على غاية من البرودة فعقدت معاهدة مع انكلتره ضد فيليب الثانى وكانت عظمته وكبره لا يطاق وصار نظام هذا الوقت ارتباط العلاقات وعقد عقود الزواج وتداخل الناس فى بعضهم بالمحبة فكانت اليزابت صاحبة انكلتره أول من خطبت الى دوق انجو وارث التخت الفرنساوى ثم من بعده لاخيه الاصغر دوق علنسون وحصل عقد زواج بين الشاب كوندى وبرنسيسة من بيت كليفس وكان أهم هذه العقود العقد الذى وقع بين الشاب هنرى صاحب نقاره ومرغريطة فلواز البنت الصغيرة للملكة كاترينة فكان زواجهما على منوال من الابهة ما سبق نظيره وأمل الناس فى مدة هذا الزواج زمن استتباب الامن وعود الرفاهية وفى أثناء ذلك توجه الكثير من أمراء الهوغينوطيين الى باريس ووصلت ملكة نقاره الى العاصمة من أجل حضور هذا زواج ابنها وصار اغراء كوليغنى على حضوره الى الديوان فقابلته الملكة بالاحترام

فمن حسن طباعه وبراعته تمكن من اعتماد الملك عليه وكانت الحالة فى غاية من الهدو الا أنها كانت مقدمة لرعود شديدة وذلك انه كان من المستحيل على رجل مثل كوليغنى أن يكون فى درجة سامية وسلطة فى ديوان من دون أن يكون له أعداء فكان عظيم سجاياه وحسن صفاته مخالفة جدا لغيره من رجال عصره وكان خالص النية راسخا فى عقائده الدينية قوى القلب مكينا فى أعماله خاليا من العيوب والذنوب فكان المشاكل وقورا مبجلا فى تصرفه وسيره حائزا كمالات الفطانة رائق الفهم والادراك وكان فى كوليغنى صورة موافقة لكل عصر وبلد الا أنه فى أيامه فى فرانسا كان على حدته فى غالب أوقاته وكان فى أعظم السعادة فى بلده مع عائلته وأتباعه وما كان يغيب يوم الاحد عن محله فى المسجد المعد لعبادة الله تعالى وكان من عادته أنه متى جاء وقت اللف بالعشاء الربانى ساربين قومه مظهرا لهم المحبة ناظرا لهم بعين الاخوية ويزيل ما فى قلوبهم من الضغائن وكان فى حيادة على الدوام من الدخول فى الحروب الداخلية الا أن أحوال الوقت أحوجته لذلك وبما كان فى زوجته من الرحمة وكرم النفس صار لا يختار لنفسه غيرها وما كان فى ميادين الحروب جبارا بل كان يكرم من يقع من أعدائه فى يده لكنه كان بالنسبة للديانة وما أجراه من أجلها مبغوضا محسودا عند الحزب الكاثوليكى وعند الغيزيين بسبب أنه حل محلهم فى اعتماد الملك عليه واتهموه بغير حق فى قتل الدوق فرنسيس غيز وصار من المستحيل ارتباط علاقة بين كوليغنى والملكة كاترينه فكان لا يوجد موافقة بينهما وأظهرت كاترينه أثر الغيرة من نفوذ وارتقاء كوليغنى عند الملك وكان كوليغنى على رغبة شديدة من تهييج الحرب على اسبانيا وكان الوقت موافقا لضرب العدو الا الدفرانسا فعارضت كاترينه فى مثل هذا الحرب وما كان لها رغبة فى اهانة فيليب ورأت أنه لو حصل ظفر فى الحرب مع اسبانيا كان فيه فوز للهوغينوطيين ويقوى به كوليغنى فى سلطته على الملك فصممت على التباعد عن وقوع هذين الضررين وقام الغضب بين كاترينه وكوليغنى بحضرة الملك فقال كوليغنى ان الملك يلزمه تهييج الحرب ولو كان على غير رغبته ووجه فكره للحرب فى الاراضى الواطية وقال لو لم ينتهز الملك الفرصة فى هذا الوقت ويدخل فى الحرب برغبته تضطره الحالة اليه رغم أنفه فكانت ألفاظه غير مفهومة عند كاترينه فقالت ان ألفاظه هذه ألفاظ تهديد وكان كوليغنى فى الواقع على ما قالت لانها كانت نذرت على نفسها أولا وآخرا البطش به وصار لا شبهة فى أن كاترينه وجدت فى الغيزيين وحزبهم مطمعا لثورتها الخبيثة وكانت الاشاعات طائرة فى الاول ثم انخفض أمرها بما وقع بغتة وخفية من موت ملكة نقاره وانحصرت شبهة موتها فى الملكة كاترينه وأشار على كوليغنى أحبابه أن يترك المدينة الا أن عادته عدم الهرب من أى خطر كان

وفى ١٨ أغسطس سنة ١٥٧٢ بعد الميلاد كانت اقامة شعائر الزواج لهنرى صاحب نقاره ومرغريطة فلوا وكانت أيام سرور عند الامة وهرع الجم الغفير الى باريس للفرجة على الفرح وكان من ضمن الاجانب الذين دخلوا باريس الكثير من الهوغينوطيين وكان من الملاحظ أن الكاثوليك ناظرون الى شهرة هذا الفرح بعين الغضب وكان هذا الزواج من أكبر المصائب عندهم وكان من عادات الوقت امتداد هذا الفرح عدة أيام وفى ليلة ٢٢ أغسطس وقت أن كانت الولائم فى شدة اجرائها أطلقت عيارات نارية من شباك معروف بابه من شبابيك أتباع الغيزيين على كوليغنى فى أثناء مروره من اللوفر الى بيته فى حارة كنيسة سنت جرمان فانكسر ذراعه الايمن وجرح فى ذراعه الايسر فأسرع

الملك الى قاعة الاميرال المجروح من أجل وقوفه على ما حصل ونذر على نفسه أن يبطش بالغيزيين بما جنت أيديهم والتحق بالملك مع السرعة الملكة أمه وأخواه انجو وعلنسون وتراآى على وجه كاترينه الاسف والحزن على ما حل بكوليغنى واتضح أن الرصاص كان مسموما وآلت حالة كوليغنى الى العدم فدعا الملك الى جانبه وقال له سرا انه نصحه وحذره من أقوال كاترينه ومجالسته لها ومن الحزب الذى مالت بكليتها اليه وكانت كاترينة مراقبة كل ما وقع فرغبت أن تعرف ما قال كوليغنى وقالت ماذا قال للملك فخطفت ما قاله للملك مع السرعة من فم الضعيف ابنها فصار لا طاقة لها على حمله وعقدت مجلسا فى تلك الليلة وكان ما حصل فى هذا المجلس غير معلوم لحد يومنا هذا الا أنه لا ريب فى أنه صار الاتفاق فى هذا المجلس على اجراء أشغال خبيثة ومذبحة فظيعة وألزموا الملك المعتوه رغم أنفه على أن يكون مشتركا فى مثل هذه الثورة القبيحة وما وقع عليه الاتفاق فى المجلس وقع فى الوقت بسفك دماء مهول ما عهد مثله فى صحف التواريخ وذلك انه فى ليلة عيد القديس بارطلمى فى ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ بعد الميلاد من بعد ليلتين من السعى فى فقد حياة كوليغنى وكانت ولائم الفرح آخذة فى التقدم اغتصب بعض المتممين لعائلة الغيزيين طريقهم الى قاعة كوليغنى المريض وذبحوه ورموه وهو يغرغر فى طلوع روحه الى أسفل الشارع فوقع على أقدام دوق غيز فقيل انه رفسه فى وجهه برجله عندما سقط عدوه أمامه ثم ان خادم دوق نفرس كان واقفا مع دوق غيز ففصل الرأس عن البدن وحملها الى الملكة كاترينة والملك ودوق انجو وبعد هذا بقليل أعطيت اشارة معلومة بينهم بدق الجرس فى برج السراية الملوكية وقام الصياح (اقتلوا الهوغينوطيين) فحصل البدء فى مذبحة عمومية ومن المعلوم أن الشغل الذى أجرى فى هذه المذبحة كان نتيجة ثورة أحكم ترتيبها وكان خدم ملك نفاره قاطنين فى السراية الملوكية فكانوا فى أول من وقع فيهم الذبح فى حوش سراية اللوفر وأما هنرى صاحب نفاره وابن خاله كوندى فانهما اقتحما الجوع وخلصا أنفسهما بزعمهما أنهما ارتدا عن ديانة المصلحين وهجم الناس على مساكن الهوغينوطيين الموجودين فى المدينة ونهبوها وأخرجوا أهلها وذبحوهم فى الشوارع وشوهد الملك المهين يضرب النار على من لا مساعد لهم الفزعين من الهول والرعب من أحد شبابيك السراية وكانت أمه الملكة وخدمها فى شباك آخر يتفرجن على ما هو حاصل من الاحوال الهمجية وما كان هذا الشغل القبيح مكتوبا على باريس فقط بل وقع بامر الملك مثله فى أورليان وبورغيس وروان وطولوز وكل جهة كان حكم الملك نافذا فيها وفى الجهات المعلوم فيها اجتماع الهوغينوطيين واختلف فى عدد قتلى هذه المذبحة اختلافا كبيرا من خمسين ألفا الى مائة ألف نفس وكان أكبر تقدير ما ذكره بريفين وكان فى هذا الوقت أسقف باريس فقال ان عدد الذين ذبحوا فى باريس وحدها من خمسة آلاف الى سبعة آلاف نفس وان الهول ما كان مقصورا على القتل فقط بل ان ألوفا من الناس تكبدوا الاما أشد من موتهم فى أثناء هربهم من دون أن يجدوا مأوى يأوون فيه

فكانت هذه صفة مذبحة يوم عيد سنت بارطلمى وكانت هذه الواقعة المعروفة بسفك دماء الفرح أفظع حادثة معروفة فى تاريخ العالم فكانت بالطبع يوم فرح عند رجل مثل فيليب صاحب اسبانيا وخسرت فيها فرانسا زهرة جيشها وخلصت الدنيا نوعا من مثل هؤلاء المتشعبذين وقيل ان الوحش فيليب صاحب اسبانيا قهقه قهقهة عالية كانت أول مرة فى عمره عندما وردت اليه الاخبار ومن المصائب أيضا أنه تسبب من وقوع هذه الحادثة وجود السرور فى رومة ولا لزوم لتوضيح هذه المسئلة لانها من المعلوم

كانت احدى الاعمال المرغوبة عند البابا وصار ما وقع فى هذه الحركة كدرا وأسفا وتذكارا مذموما على توالى العصور وتولد منها الفزع المهول والتهديد فى كافة الجهات الكاثوليكية والبروتستانتية ماعدا رومة ومادريد

ومع ما وقع من هذه الحالة القبيحة فان الهوغينوطيين ما انقرضوا بالكلية وما قنطوا من آمالهم التى هم عليها فانهم تجمعوا تحت قيادة برنس آخر اسمه كوندى كان هرب من الديوان وصار لهم طاقة كبيرة على المقاومة مع الشجاعة فى مدينة روشيل وكان التجأ اليهم ألوف منهم وهيجوا حربا يعرف بالحرب الرابع الداخلى حتى أكدوا لانفسهم شروط صلح مع الشرف الكامل ثم تولد من الفزع الذى حصل فى مذبحة القديس بارطلمى ضعف الجبان شارلس التاسع فكان يحصل له اضطراب ليلا ونهارا مما كان يراه فى منامه من الصور القبيحة التى رآها فى مدة المذبحة التى دخل فيها مع الخزى وكان هو المسؤل عنها حتى فقد حياته ومات فى ٣٠ مايو سنة ١٥٧٤ بعد الميلاد

وفى أواخر سلطنته صار انتخاب أخيه انجو ملكا على بولنده فكان موت شارلس سببا فى عوده الى فرانسا وتلقب هنرى الثالث وبسبب أنه كان متزوجا من عائلة اللورين ازدادت شوكة الغيزيين وكانوا ينظرون بعين نظر الجلوس على التخت من السابق ولما أذعن هنرى لشوكة الغيزيين شبك فرانسا فى الحرب الداخلى الخامس وكان هنرى صاحب نفاره رأس الهوغينوطيين فاستحصل على منشور صدر منه فى بولية فى شهر مايو سنة ١٥٧٦ بعد الميلاد وكان هذا المنشور منحة جليلة ما منح للبروتستانت بمثلها قبل الا أن هذا المنشور ما كان موافقا لطائفة الكاثوليك فكانت النتيجة التى أعقبت هذا المنشور تشكيل الاتحاد المسيحى تحت رياسة دوق غيز على الخصوص وجعل الملك نفسه فى رأس هذا الاتحاد فكان الحرب السادس الداخلى ثمرة الاتحاد ثم عقد الصلح أيضا فى سنة ١٥٧٧ بعد الميلاد وصدر منشور بواطير وعادت شروط المعاهدة الاولى وفى سنة ١٥٨٠ بعد الميلاد وقع حرب داخلى سابع الا أنه كان قليل الاهمية ومع هذا فان الحالة اشتدت فى سنة ١٥٨٥

وفى السنة السابقة مات الاخ الوحيد للملك وكان يعرف أولا بعلنسون ثم تلقب انجو لما جلس هنرى الثالث على التخت وكان حاز بعض المظفرات فى البلاد الواطية ثم أظلمت بعد ذلك بالهزيمة وأشيع عنه بانه ما وافق اليزابث صاحبة انكلترة فى تزوجها به وربما أن الملك ما كان له عقب يرثه على التخت فكان موت علنسون سببا فى صيرورة هنرى بوربون ملك نفاره الهوغينوطى وارث التخت فرانسا وكانت هذه حالة منتظرة من مدة طويلة الا أنه تولد من كونه كان ملكا متشعبذا اشتعال النار فى قلوب طائفة الكاثوليك وكانت سببا فى احياء الاتحاد المسيحى فعاد الغيزيون بمساعدة فيلب صاحب اسبانيا على هنرى الثالث وفضل الهوغينوطيون على الحيادة وأرغموه على ابطال الديانة البروتستانتية بأمر صدر منه فى نيمورس فى شهر يوليه سنة ١٥٨٥ بعد الميلاد

سلطنة هنرى الثالث

ومن ثم وصلنا فى هذه الحالة الى مدة الحرب الثامن الداخلى ويعرف هذا الحرب أيضا بحرب الثلاث هنريات فكانت الثلاثة رجال المشهورة فى الحرب هم هنرى الثالث وهنرى صاحب نفاره وهنرى دوق غيز واشتهر بعدة أحوال مختلفة ومن ثم كان الحرب بعضه عائليا الا أن أساسه كان حربا دينيا فكان عائليا بسبب ما كان عليه الغيزيون من الطمع وكان دوق غيز مؤسسا دعواه فى طلبه تخت فرانسا بسبب أن سلسلة نسبه من الملوك الكارلوفنجيانية السابقة الا أنه ما كان له طاقة على تقوية دعواه

بجعل كاردينال بوربون بصفة الوارث الشرعى وتقوى فى هذا الصدد بمنشور صدر من البابا الحالى سيكسطوس الخامس قاض بخلع كل من ملك نقاره وبرنس كوندى بسبب أنهما متشعبذان فى الدين وأعلن فى هذا المنشور بتجريدهما من شرفهما وأملاكهما وكافة ألقابهما ومالهما من الوراثة فى تخت فرانسا وكان حرباد ينيا بسبب أن الديانة وقعت فى مصاعب شديدة وبسبب أن البروتستانت قاموا تحت رياسة هنرى صاحب نقاره بالسلاح بما تيسر لهم الحصول عليه فى منشور نيمورس ثم ان قوى الاتحاد التى هى تحت قيادة دوق جايوز التقت مع قوى الهوغنوطيين تحت قيادة صاحب نقاره فى كونتراس فكانت نتيجة الواقعة انتصار الهوغنوطيين فيها وقتل جايوز ومع هذا فان دوق غيز حاز نصرة اقتطفها من هذه الهزيمة بكونه شتت قوة كبيرة وردت من جرمانيا للبرتستانتيين وردها على أعقابها وكان دوق غيز معززا من الاصل عند الامة فعاد الى العاصمة متوجا بتاج الظفر مع ما كان من الضغط من أوامر الملك وبمساعدة الامة صار لا صعوبة عنده فى أن جعل نفسه سيد باريس وأرغم الملك على كونه يتفق مع الدوق فعينه الملك قائمقام عموم المملكة ومن ثم انحصر فى يده عموم الشوكة ثم ان هنرى وان كان خضع الا أنه عزم على البطش بالدوق ففى شهر دسمبر سنة ١٥٨٨ بعد الميلاد انعقد مجلس العموم فى بلواز وفى ٢٢ منه حضر دوق غيز فى قاعة النوم الملوكية بدعوة الملك فذبحه خدم الملك فى الحال ووقع القبض على كردينال اللورين فى هذا الوقت وقتل فى السجن وقال هنرى لامه انه صار الآن ملك فرانسا مرة ثانية بما كان له من قتله ملك باريس الا أن الحكومة الكبرى الكنائسية قامت عليه وحبست البارلمان فى قلعة الباستيل وأعلنت دوق عومال وهو الاخ الاصغر للدوق غيز المقتول أن يكون محافظ باريس وأعلنت دوق ماين الاخ الآخر أن يكون قائمقام عموم المملكة وفى هذا الوقت طلب البابا الملك هنرى للحضور فى رومة من أجل المجاوبة عما اكتسبه من الجرائم فمن طالع سعد الملك أن هنرى صاحب نقاره مازال فى رأس جيش ضخم فسار بجيشه الى جيش هنرى الملك وانضمت قوى الملكين لبعضهما وحاصروا باريس وصار هنرى الثالث من هذه الحالة فى طريق عظيم لاعادة مافقد منه من شوكته الا أن العواقب كانت مكتوبة على رأسه فان أصدقاء الدوق المقتول جعلوا مكافأة عظيمة لكل من قتل الملك فتوجه شخص اسمه جاكس كليمنت راهب دومنيكى ودخل فى المعسكر وحضر أمام الملك وطعنه فى معدته بخنجر فكانت هذه الطعنة قاضية على حياته وعاش الملك مدة كافية من الزمن حتى أوصى بأن هنرى صاحب نقاره يكون خليفته وجمع الاشراف وأخذ عليهم العهود بالطاعة لسيدهم الجديد وفى ٢ أغسطس سنة ١٥٨٩ فى الساعة الثالثة صباحا شهق شهقة آخر حياته وبموته انقرض آخر ملك من بيت فلواز وهو الملك الثالث عشر من هذا البيت وحكم هذا البيت فرانسا مدة مائتين واحدى وستين سنة

ثم ان هنرى وان كان هو الوارث الشرعى لتاج فرانسا الا أنه ما وجد مادة سهلة لجلوسه على التخت وكان هنرى من عهد موت أبيه رأس بيت بوربون وعند انقراض بيت فلواز كان هو أقرب ذكر وارث فى العصبية مباشرة لتخت سنت لويز وكانت الصعوبة الاصلية الموجودة فى طريق هنرى هى كونه غينوطيا وبسبب هذا كان هو وعمه كوندى واقعا عليهما الحجر الكنائسى من البابا قاضيا بانهما مجردان من حقوقهما وألقابهما وليس لهنرى حق فى دعواه أنه من الدم الملوكى وكان أعداؤه الطالبون للتاج كثيرى العدد فكان منهم فيليب الثانى بسبب تزوجه باخت الملك السابق ودوق ماين وكان جعل

سلطنة هنرى الرابع

نفسه فى رأس الغيزيين وادعى أنه نائب ووارث ملوك الكارلوفنغيانيين السابقين والكردينال دوبوربون عم هنرى الرابع والبرنس كوندى وأما قتل هنرى الثالث فانه ما تولد منه أدنى هياج وكان الملك الجديد هنرى الرابع مع قواه ومع ما كان باقيا عنده من عساكر الملك السابق الذين استمروا على طاعته مازال موجودا فى ميدان الحرب ضد الاتحاد المسيحى فكان أمامه فى هذه الحالة أمران يحارب من أجلهما وهما أمر الديانة كما كان عليه سابقا وأمر تاجه فمن ثم كان فى هذه الاثناء فى موقع صعب جدا فكان يجاحه تحت الحجر الكنائسى ومقابلته الملك اسبانيا والاتحاد أهل القوة والعناد مظلما جدا الاجل معلوم ومن بعد موت سلفه مباشرة صار تحت مواعيد الرامية مختصة بالاشراف وهذه المواعيد ما كانت على رغبة الكاثوليك وبعدم العمل بمقتضاها فقد منه ميل كبار الهوغينوطيين فلو كانت أسبانيا والغيزيون والامة الكاثوليكية باجتهاد دخلوا فى جامعة واحدة وساروا عليه لما كان ينتفع بنافعة الأنهم ما كانوا على يد واحدة وذلك أن دوق ماين الذى كان قائد قوى الاتحاد ما كان فيه أدنى جسارة على اقامة دعواه فدفع أمامه كردينال دوبوربون وكذا فيليب صاحب اسبانيا فانه ألح على طلبات ابنته بنت أخت هنرى الثالث وتيسر له ارتباطه مع الاتحاد بكونه عرض زواجها الابن دوق غيز السابق فما كان هذا العرض موافقا عند ماين لانه دبر فى بيته أن تجمع كافة طلبات بيت غيز فى شخصه فتولد من الاختلافات التى وقعت بين أعداء هنرى ابتداء تجمع القوة فى أمره فصرف النظر عن حصار باريس وسار متوجها نحو الجهة الجنوبية وتراآى له أن ينظر فى أمره فى هذه الجهة فقوبل فيها بملء الاحضان وبعد لحظة من الزمان أعلنت بملوكيته نورمندى وبريطانى وطورين وبواطو وسانطنغ وغسكونيا ولما استحوذ على ديبى سهلت عليه المواصلة بانكلتره وكانت وردت اليه الامدادات من البرابث من قبل

وظهرت الدلائل على أن أمر هنرى صاحب نفاره ليس مقطوع الامل منه فانه حصل الاقرار على ملوكيته من كافة دواوين أوروبا البروتستانتية وظهر أيضا أن البابا ما بقى عنده أدنى معارضة فى طلباته وطد لنفسه أصدقاء كثيرين بسبب ما كان عليه من حسن الطباع وكرم النفس ومن بعد أن قل عدد جيشه وقت رفعه الحصار عن باريس صار جيشه فى حالة موافقة جدا وفى هذا الوقت التقى مع قوى الاتحاد فى نواحى اركيس وأوقع العذاب الشديد على دوق ماين فى عدة وقائع فتولد من هذه المظفرات زيادة الآمال فى قلوب عساكره وصار لا خوف عندهم من كثرة أعدائهم وصار عندهم حماس فى اقتحامهم الوقائع وفى ١٤ مارت سنة ١٥٩٠ بعد الميلاد التقت القوى المتحاربة ببعضها فى نواحى ايفرى فكانت هذه أكبر واقعة فى هذا الحرب الطويل وانهزم فيها عساكر الاتحاد شر هزيمة وحاز هنرى فيها صفات الدرجة الاولى من القيادة العسكرية وأظهر شجاعته فى هذا اليوم الذى اكتسب فيه الواقعة ومن عدم طالع سعد هنرى أنه ما ظهرت منه هذه الشهامة التى كانت سببا فى نصرته من بعد هذه الواقعة وذلك انه سار قاصدا باريس ولما حاصرها وصل برنس بارمه لخلاصها وكان برنس بارمه هذا أعتى قواد فيليب صاحب اسبانيا فالتزم هنرى بسبب قلة المؤنة على رفع الحصار واجتهد هنرى فى أن يلتقى مع برنس بارمه فى واقعة فاصلة فما نجح فى اجتهاده وعول برنس بارمة على القهقرة الى البلاد الواطية وفى هذه الحالة صارت فرانسا قائمة بنفسها ومع أن الاتحاد ما كان فى جامعة واحدة كما كان من قبل الا أنه كان عنده قوة كافية فى المملكة وكان دوق ماين مازال رأس الاتحاد فعلى

حسب

حسب رأى الاتحاد عين الكردينال دوبوربون ملكا باسم شارلس العاشر مدة ما وكانت باريس من عهد نصرة دوق غيز الاخير تحت أحكام مجلس مؤلف من ستة عشر عضوا منتخبين من بين أمرائهم وكانت شوكة هذا المجلس وأحكامه قائمة بمعرفة العوام الذين لانظام عندهم وما كان يوجد بين الستة عشر عضوا وبين الاتحاد أدنى موافقة بل كانوا أعداء لبعض وكان دوق غيز المقتول وقت ما كان رأس الاتحاد كان صنم أهل باريس كما شاهدنا فيما سبق فمن ثم كان يوجد ارتباط ظاهرى فيه منفعة لكل من الجهتين وما كان عند الكردينال دوبوربون الذى بلغ من العمر سبعا وستين سنة أدنى قوة شخصية يظهر بها فى الميدان الا أنه كان فيه النفع بسبب أنه فدى كلا من الاتحاد وأوباش باريس بمبالغ دفعهما من أجل حياتهم وكان يوجد أمام هنرى مصاعب قليلة للحصول على شخص عمه فاستحصل عليه ومع أنه عامله بالاحترام اللائق به فقد حافظ عليه حتى صار لا يمكن اجتماعه بأصحابه ولا المواصلة معهم بأى حالة كانت وكان هنرى على خوف شديد من الاتحاد ومن عوام باريس كما أن خوفه كان أكثر من مساعى الطمع والاحترازات التى كان فيليب الثانى متخذها وقد ذكرنا أن فيليب خاب أمله فى توطيد علاقات الاتحاد وعدم اياه بزواج ابنته للدوق الشاب غيز فأشار فيليب على دوق ماين وهدده وقت ما تحقق لديه أنه على رغبة من التاج ولما أبطل طلبات الكردينال عاد الى مشروع النيابة وهى أن تكون ابنته نائبة وأن يزوجها الارشيدوق أوستريانى فكان مشروعه هذا أقبح مشروع وقطع يأس لفيليب لان مقصده الحقيقى أن يجعل فرانسا اقليما اسبانيا غير أن المملكة الاسبانية كانت مفلسة وأسطولها تدمر وجيشها تشتت والذى ما كان فى طاقة فيليب أن يتممه بالقوة سعى فى تمامه بالمكر فكانت خيبة فيليب فى أعماله فائدة لفرانسا ونجح هنرى فى أعماله رغم أنف فيليب ومن السعادة أيضا لهنرى أن دوق ماين وقع بينه وبين عوام باريس مناقشات فاشهر سيفه عليهم وقتل بعضا من قوادهم فوقع الخلاف بين الاتحاد وأرباب الفوضى فى العاصمة وقسم الاتحاد نفسه

وفى أثناء هذه المدة رأى أشراف الفرنساوية من العقيدتين الكاثوليك والبروتستانت أن لا طاقة لهم على الصبر تحت كبرياء فيليب ومع أنهم مختلفو العقيدة الا أنهم فرنساوية جميعا وأنه بواسطة عنفهم وحروبهم المدمرة صيروا أنفسهم تحت رحمة جارهم الجبار فمن ثم فى سنة ١٥٩٣ بعد الميلاد أعلن مجلس المملكة اعلانا مضادا لزعم فيليب وابنته وأصروا على ذلك بحسب القانون الصاليكى فكانت هذه الحالة مكسبا لهنرى وصار من الواضح أنه يوجد غرض فى انعقاد الصلح غير أن هنرى مازال بروتستانتيا ومازال الصراخ حاصلا فى فرانسا الكاثوليكية بأنهم لا يرغبون أن يحكم عليهم ملك متشعب فمن ثم طلب من هنرى موافقة أهل بلاده وقيل له ان الحاجز الدينى هو المانع وحده فى طريقة للتخت ووقع السلم فما كان لهنرى أن يتخلى عن دينه ثم أخيرا تحقق له ان الديانة هى الطريقة الوحيدة للاستحواذ على السلم وعلى حسب مشورة دوروسنى الذى صار بعد دوق سولى وكان نائبا جليلا وصديقا أمينا وكان بروتستانتيا أذعن هنرى أخيرا وفى يوليه سنة ١٥٩٣ بعد الميلاد ارتد هنرى عن الديانة البروتستانتية الى الديانة الكاثوليكية فى كنيسة سنت دنيس فكانت فصلا للارتباكات وان كانت ألما على بعض رؤساء البروتستانت وكانت سببا فى كسر شوكة الاتحاد بالكلية ودخلت المدائن فى طاعته واحدة بعد الاخرى وفى سنة ١٥٩٤ بعد الميلاد دخل العاصمة

متوجا بتاج النصر وانقاد له أشراف الكاثوليك ودخل فى ديوانه أيضا دوق ماين ودوق ابرنون فى الوقت ولما وطد هنرى نفسه على تخته شرع فى فصل المعضلات مع فيليب ملك اسبانيا وعقدت بينهما معاهدة فيرفنس فى شهر مايو سنة ١٥٩٨ بعد الميلاد فكانت أساسا لوقوع الصلح بين المملكتين وغلاقا للحروب الداخلية وتولد منها فى فرانسا صلح لبث ستا وثلاثين سنة وكان هنرى من قبل توقيعه على معاهدة فيرفنس وقع على منشور نانطيس وهو أمر ملوكى متضمن الكفالة لكافة رعاياه بالحرية والمساواة فى الاعترافات الدينية ومذاهب العبادات وكافة المدائن التى كان الهوغينوطيون استحوذوا عليها وعددها نحو من خمس وسبعين مدينة بواسطة معاهدة سنة ١٥٧٧ تقرر أمرها على الدوام لهم وكان من ضمن تلك المدائن روشيل ونسيمس ومونطبليير وغرينوبل وعدة مدائن أخرى مهمة وصار قبول البروتستانت لقواعد المساواة فى مصالح المملكة وشرفها سواء كان فى المصالح الملكية أو العسكريه وترتبت محاكم مخصوصة فى أنحاء المملكة من أجل المحافظة عليهم ومنحت الحرية للمليين بان يعقدوا مجلسا عاما فى كل ثلاث سنوات مرة يتداولون فيه عن المواد المتعلقة برفاهية معيشتهم ويعرضون للحكومة كل ما يحصل لهم منه تعب وضرر فعارض فى ذلك قسس طائفة الكاثوليك والذين فى غيرة شديدة من البروتستانت ورفضوا قبول أمر نانطيس الآن بارلمان باريس سجله من بعد ما اعتمده فى ٢٥ فبراير سنة ١٥٩٩ بعد الميلاد وبه توطد الامن والفوز لفرانسا نحو قرن ومن هذا قام بيت بوربون على التخت الفرنساوى وتوطدت حالته بهيئة سلمية واستمر فى السلطنة الى قيام الثورة الكبيرة فى سنة ١٧٨٩ بعد الميلاد

ولما استتب الامن فى المملكة صار لهنرى طاقة على تخصيص نفسه بالاصلاحات اللازم اجراؤها فى داخل مملكته على قواعد ثابتة وكانت مالية المملكة فى حالة ضنك وبلغ مقدار الدين العام نحو ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وكان جمع الاموال والايرادات تحت عهدة حكام من أرباب الفلاحة كانوا يخونون الحكومة فى مبالغ جسيمة فكان الذى يجبونه سنويا من الاهالى نحوا من ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك والذى يصل خزينة المملكة أقل من ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك فعين الملك فى سنة ١٥٩٨ (مسكيميليان دو بيطون) بارون روسنى ورقاه الى رتبة دوق سولى ناظرا على بيوت الاموال وكان أكبر رجال السياسة فى وقته ما خدم فرانسا نظيره وكان على غاية من الكمال فتولد من دقة أشغاله تغيير وقتى فى المواد المالية وصدم الخائنين الذين طالما تضررت منهم الحكومة وألغى كافة المصاريف التى لا فائدة فيها والوظائف ذات المصاريف الباهظة وغير ذلك مما الاخير فيه وألغى كافة الضرائب التى كانت ضربت بغير وجه عدل وآل مقدار ما يتحصل من الضرائب خاصة الى ٢٦,٠٠٠,٠٠٠ سنويا كان يدخل منه فى الخزينة ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ ونقص الدين العام الى النصف واجتمع فى الخزينة مبلغ احتياطى يزيد عن ٢٦,٠٠٠,٠٠٠ ليرة استرلينه والتفت هنرى لمساعدة وزيره الاعظم وظهر على هيئة المملكة تغيير حالتها الاولى وقوى الملك ونظاره أشغال الزراعة والفلاحة والتجارة ومعامل الصناعات وفروع التجارة والتشغيلات وحصلت مخابرات فى عقد علاقات تجاريه مع انكلتره وهولنده واسبانيا وتركية وأنشئت المستعمرات فى أمريقه وصار تصفية المستنقعات وأنشئت القناطر والسكك والترع وأخذت الاحتياطات اللازمة فى المحافظة على الاورمانات وما بقى مطلب ولا شئ يعود منه النفع على المملكة الاصار اجراؤه مع المحافظة والاعتناء التام ومع أن هنرى كان على غاية

من

من النجاح فى احياء أهل مملكتـه غير أنه كان منكوسا جدا بين أقاربه وذلك أنه من دوام الاثقال التى حلت به من زوجته مرغريطة فالوازو كان تباعد عنها من سنين مضت وبما أنه ما خلف ولدا شرعيا يرثه فى تختـه تفكر فى أمر الحصول على طلاق زوجتـه وأن يتزوج محظيتـه (جبرائيله دسطريس) وكانت خلفت منـه عدة أولاد ورقاها الى رتبة دوقية بوفورت فاستصوب الكثير من أكابر الاشراف هذا الزواج غير أن سولى عارض فيه وأبعـد الملك عنه فطلبت الدوقة من الملك مع عـدم التبصر فى عواقبها خلع هذا الوزير فأجابها هنرى مع الشدة انه لو أن زوجته الحالة أن يكون مع الوزير أو معها فانه يختار لنفسه أن يكون مع الوزير فكانت هـذه الضربة سببا فى وقوعها فى مرض شديد ماتت منه فى شهر ابريل سنة ١٥٩٩ بعد الميلاد وفى شهر ديسمبر سنة ١٥٩٩ طلب الملك من البابا فسخ زواجه من مرغريطة فالوازو أعطى هنرى وعدا بالكتابة فى كونه يتزوج بالجميلة (هنريطه دانطريغه) ورقاها الى رتبـة ماركيزة فيرنيل فلما رأى سولى هذه الورقة مزقها قطعا واجهد نفسه فى كونه يفتش على قرينة موافقـة للملك فوقع انتخاب الملك على مريم دومديسى ابنـة الدوق الكبير السابق لطوسقانه وحصل اشهار الزواج فى شهر أقطوبر سنة ١٦٠٠ بعد الميـلاد فأثمر هـذا الزواج عدة أولاد كانت ولادة أكبرهم فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٦٠١ وصار فيما بعد لويز الثالث عشر وكان من نص شروط معاهدة فيرفنس أن دوق صافوا يسلم لفرانسا ماركيزة سالوسس فما حصل هذا التسليم مهما كانت عليه المعاهدة فذهب الدوق فى سنة ١٦٠٠ الى باريس من أجل المداولة مع الملك فى شأنها وسنحت له الفرصة فى مدة هذه الزيارة بترتيب ثورة ضـد الملك وأدخل فى هـذه الثورة الكثير من الاعضاء الاولية الذين كانوا فى الاتحاد المسيحى وكان أشهرهـم شخصا المارشال دو بيرون رفيق هنرى القـديم فى الحروب وكان الملك مغدقا عليه بكليته من اعيا صداقته القديمة ومع هذا فكان دو بيرون طماعا وما اكتسب شيأ الا فقد نفسه فيما بعد ولما استوفى شارلس أمانويل أشغاله توجـه الى صافوا ورفض قبول تسـليم المطلوب منه على حسب شروط المعاهدة وكان مؤملا أن دسيسته التى رتبها يحصـل بها النجاح التام من تجزئة فرانسا الى اقطاعات التزامية تحت سلطنة ملك اسبانيا وكان هذا الدوق متلهفا لوقوع الحرب فاغار هنرى مـع المنونيـة على صافوا فى رأس جيش كان مارشال دو بيرون أحـد كبراء قواده وأسرع فى التغلب على الدوقيـة وفى ٢١ أغسطس احتـل شامبرى العاصمة فالتزم دوق صافوا بطلب الصلح والتزم أن يتنازل عن اقليم لابريس الكائن بين ليون وجنيفه بدل سالوسس فى نظير عقد الصلح وفى أثناء رجوع هنرى الى فرانسا بلغه خبر الثورة وأن مارشال دو بيرون كان له نصيب فيها ولما أقر دو بيرون بجريمته سامحه الملك وأرسله برسالة الى انكلتره ولما خاب دو بيرون من انتفاعه من الملك جدد دسائسه مع أعداء فرانسا ولما انكشفت دسائسه أحضره الملك حتى يعترف بجرائمه وكان عازما على العفو عنه لو رأى منـه ما يدل على شئ من الاشاعات فرفض المارشال مع العظمـة الاعتراف بجريمتـه فأحاله على المحاكمة فثبتت عليه جرائمه وقطعت رأسه فى ٣١ يوليه سنة ١٦٠٣ وكان ذلك من الآراء العظيمة التى لها تأثير كبير فى قطع دابر الدسائس ضد هنرى وتوطيد الراحة الداخلية فى فرانسا وأعقب هذه الحادثة ثلاث سنوات استتباب أمن صار لهنرى فيها طاقة على أن يعكف نفسه على الاصلاحات اللازمة فى مملكته

وشرع الملك فى هـذا الوقت فى تنفيـذ مشروع كان يشتد برغبة فى اجرائه من مدة طويلة وهو اصلاح

الممالك الاوروباويه واذلال بيت أوستريا ورغب فى تشكيل اتحاد كبير أوروباوى من الامم يلزم أن يدخل فيه على قدم المساواة الثلاثة مذاهب المسيحية المتسلطنة وهى الديانة الكاثوليكية واللوثيريانية والمصلحين وكل عضو من هؤلاء الاعضاء الثلاثة يكفل له الحرية والتمتع الكامل بالقوانين السياسية التى توافقه وأن يدخل فى هذا الاتحاد ست ممالك وراثية وست ممالك انتخابية وثلاث جمهوريات فأما الممالك الوراثية فهى فرانسا واسبانيا وبريطانيا الكبرى ودانيمارقه وأسوج وايطاليا الشمالية أوصافوا وأما الممالك الانتخابية فهى أوستريا وبولنده وهنكاريا وقمبره وبوهيميه والايالات الباباوية وأما الجمهوريات فهى البلاد الواطية والسويس وجمهوريات ايطاليا المشتملة على جنوه ولوقا والايالات الاخرى الصغيرة ثم ان قبول هذه اللائحة عند أوروبا رعايتولد منه ضعف اسبانيا بفصل البلاد الواطية وقومتى الفرنساويه ولومباردى منها وكذا تضعف أوستريا بفصل بوهيمية وهنكاريا والطيرول منها وبهذا يحصل التعادل بين الدول الكبيرة وأن يكون هذا العمل محفوظ الاجراء بواسطة مجلس تنتخب أعضاؤه من كافة هذه الدول وتحال القضايا التى تحصل بين تلك الدول وبعضها على هذا المجلس وأن يكون قرار منهائيا وأمل هنرى فى نفسه بتقويته تنفيذ هذه اللائحة ضعف اسبانيا واذلال أوستريا بما أن كلتا الدولتين شديدة جدا فى استتباب راحة عموم أهل أوروبا وأنه ينهى بذلك الحروب الديانية ويقيم طريقة قانون داخلية أهلية تجمع كافة أوروبا فى جامعة واحدة فكان ذلك رأيا كبيرا لكن هيهات أن يصير تنفيذه

ثم ان هنرى صار فى تقويه مشروعه بكونه علق قلبه بالاشتغال بضعف بيت أوستريا وجعل ذلك أول خطوة يخطوها وذلك أن موت الدوق غيليوم دوق يوليخ وكليف وبيرغ فى سنة ١٦٠٩ من دون وارث قد ذكرناه فى كلامنا على تاريخ جرمانيا وكذا قد ذكرنا المساعدة التى أجراها هنرى الرابع لمنتخب براندنبورغ وكونت بلاطينة نوبورغ الذين قبضا على أراضى الدوق الفقيد واتفق هنرى بواسطة معاهدة عقدت فى هالى فى يناير سنة ١٦١٠ بعد الميلاد على مساعدتهما بقوة مقدارها ١٠,٠٠٠ نفس ومن ثم أظهر نفسه أنه العدو الالد لبيت أوستريا بما أن الامبراطور كان أعلن أن أراضى الدوق غيليوم مقاطعات انتهى أجلها وشرع هنرى فى استعداداته الحربية على منوال كبير وجمع جيشا مؤلفا من ٣٠,٠٠٠ مقاتل مع العزم على اغارته على جرمانيا بنفسه وجيشا ثانيا مؤلفا من ١٤,٠٠٠ مقاتل ينضم الى دوق صافوا من أجل الهجوم على لومباردى وجيشا ثالثا مؤلفا من ٢٥,٠٠٠ مقاتل صار جمعه فى جهة ذيول جبال البرنات من أجل الاغارة على اسبانيا وتأخر هنرى فى سفره من باريس بقصد اشهار احتفال تتويج مريم دوميديسى بصفة ملكة وكان عينها قبل هذا نائبة فى المملكة فى مدة غيابه فتتوجت مع الاحتفال فى كنيسة سنت دنيس فى ١٣ مايو سنة ١٦١٠ وفى اليوم الثانى شرع الملك فى السفر لزيارة سولى الذى كان مريضا فى الترسانة فذبحه فى عربته رجل اسمه (فرنسوا رافيلاق) فوقع القبض على رافيلاق المذكور ووضع تحت العذاب الشديد ليقر بالاسباب التى أكسبته هذه الجريمة ويعترف بالذين أغووه فما اعترف بشئ فقطعت رأسه فى ٢٧ مايو بعد العذاب الشديد وأخفيت أسباب ذبحه فى زوايا الاسرار واعتقد الكثير من الناس فى ذلك الوقت أن موته دسيسة من ديوان أوستريا واسبانيا ونسب آخرون موته الى الجزويت وبموت هنرى فقدت فرانسا أجل ملوكها فانه كان رجلا عميق السياسة فارسا فى الحروب منصورا

فى أعمالها كامدبرا ازدادت فرانسا فى مدة سلطنته فى قوتها وفلاحها مع السرعة وكان موته من أكبر المصائب على البلاد وتولد من شجاعته وذكاء عقله وسخائه أن صار محبوبا عند الامة الفرنساوية واستحق منهم الذكر الجميل وفى هذا الوقت شنع أرباب الجرائم والذين لا اخلاق لهم بالقدح فى صفاته وذموه بكل ما يكرهونه فالتزم أصدقاؤه من المؤرخين على معارضة هؤلاء المعتوهين ودوّنوا كثيرا من صفاته المحمودة ومات من بعد أن بلغ من العمر ثمانيا وخمسين سنة

سلطنة لويز الثالث عشر

وبموت هنرى الرابع خلفه ابنه الاكبر على تخت فرانسا تحت لقب لويز الثالث عشر وكان عمره فى وقت جلوسه تسع سنوات وأخذ سولى وابرفون فى الحال الاحتياطات اللازمة فى توطيد النيابة للملكة الارملة فى مدة صغر ابنها وهذا العمل وان لم يكن قانونيا الا أنه من تأثير حكومة مستتبة الامن صار حض كافة الامة على قبول هذا الامر وكانت مريم دوميديسى عاجزة الرأى قليلة الفهم غير موافقة لهذا الموقع الصعب المحفوف بالاخطار وابتدأت فى سلطنتها بابقاء الوزراء الذين كانوا فى مدة سلطنة هنرى الرابع وعهدت الى سولى النفوذ الذى كان عليه فى حياة زوجها وأرسلت العساكر التى وعدبها هنرى مساعدة بروتستانتى الجرمانيين وقررت منشور نانطيس ومن بعد مدة وقعت النائبة تحت النفوذ الشيطانى لاختها فى الرضاعة المسماة (ليتوره جليغاى) وزوجها (كونسينو كونسينى) رجل جاهل لا اخلاق عنده من أهل فلورنسه فكانت زوجة كونسينو أول ست فى قاعة نوم الملكة وصار كونسينو يرتقى من درجة الى درجة حتى صار ماركيز دانكر ومن بعدها صار مارشال فرانسا وبمشورة هؤلاء الشياطين شكلت النائبة مجلسا سريا لنفسها مؤلفا من كونسينى واليسوعى كوتن وسفير البابا والسفير الاسپانى وسلمت مقاليد أعمالها لهؤلاء الاشقياء فأغووا مريم دوميديسى على تأسيس ارتباطات العلاقات الودية بين كل من أوستريا واسبانيا وقوت هذه الارتباطات بزواج لويز الثالث عشر بالطفلة عانى صاحبة أوستريا وخطبت أخته الكبيرة البرنسيسة اليزابيث الى فيليب برنس الاوستريانيين وانقلبت سياسة هنرى الرابع وصارت منافع فرانسا عائدة على ألد أعدائها فلما رأى سولى أعمال الملكة تأسف فى نفسه ولما كان لا طاقة له على تصديقه على ما حصل من سيده الكبير وعظها وأنذرها بسوء العاقبة ولما رأى منها اصرارها على ما فى رغبتها استعفى من وظيفته فى سنة ١٦١١ بعد الميلاد واعتزل فى محله وصار لا تداخل له فى عمل من الاعمال العمومية لكن كانت مريم تتخابر معه فى شؤنها فى المدة التى كانت باقية من حياته ومات فى سنة ١٦٤١ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة

وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٦١٤ بعد الميلاد بلغ لويز الثالث عشر رشده فى سن ثلاث عشرة سنة وتقلد زمام السلطنة اسما واستمرت الملكة أمه نافذة الشوكة فى المملكة وفى ١٤ أكتوبر انعقد مجلس عموم المملكة فى باريس واجتمع فيه مع الكثرة رجال ثلاث طوائف الامة فكان من ضمن نواب القسس رجل حاز الفخر واشتهر صيته وكان أجل رجال فرانسا السياسيين كان اسمه (أرمندو پليس دوريشيليو) أسقف لوسون فى ذلك الوقت وعند غلاق الجلسة لخص طلبات الاشراف وخدمة الدين فى التماس بليغ انجذب اليه قلوب الحاضرين وانتهت الجلسة بمشاحنات حتى التزمت الحكومة بسبب هذا الشقاق الذى وقع بين الطوائف المختلفة على طردهم من المجلس؛ واعيد لا دلالة على ايقافها وتولد من منازعاتهم غضب عموم الامة وكان هذا يوم السرور الاكبر عند الحكومة فى كونها نظرت أن مجلس نواب الامة ما ظهر فيه أدنى قريحة فى أداء واجباته وفى ٢٤ مارث سنة ١٦١٥ صدر

أمر الملك بالغاء مجلس عموم المملكة فلم حصل انعقاده من بعدها الى سنة ١٧٨٩ بعد الميلاد أى من بعد مضى ١٧٤ سنة وقت افتتاح الثورة الكبرى

وفى نحو غلاق سنة ١٦١٥ بعد الميلاد تزوج لويز الثالث عشر عانى الاوستريانية فوقعت مقاومة شديدة فى هذا الزواج من حزب تحت رياسة برنس كوندى وكان قام بالسلاح مرتين من أجل ارغام الحكومة فى قطعها العلاقات الودية مع أوستريا واسبانيا وتجديد ما كان عليه هنرى الرابع من العلاقات وساعده فى ذلك البرلمان وكان رفض تسجيل الاوامر التى صدرت من الحكومة القاضية بدماره وخراب حزبه فانجبرت الملكة مريم دوميديسى على كونها أسرفت فى الانعام عليه بعطايا وافرة ليتنازل عن معارضته فوجه كوندى عداوته بالخصوص على النديم مارشال دانكر فلما استشعر هذا بان لاسلامة له فى الديوان هرب الى نورمندى وكان كوندى على رغبة كبيرة فى اغتصاب الشوكة من الملكة لنفسه الا أنه وجد له فى هذا الموضوع خصم قوى البأس وهو ريشيليو وكان أخذ فى درجة الصعود من عهد انعقاد مجلس العموم حتى احتل مجلس المملكة العالى فساعد ريشيليو الملكة بحزم رأى وأشار بالقبض على برنس كوندى فوقع القبض عليه فى شهر أغسطس سنة ١٦١٦ بعد الميلاد فى وقت خروجه من قاعة المجلس وأرسل الى سجن فى الباستيل وهرب رؤساء حزبه من باريس الا أن أتباعهم سعوا فى هياج ثورة فى المدينة فنهبوا بيت مارشال دانكر وخربوه ثم أخمدت الثورة فى الحال وعاد دانكر الى العاصمة فحصل منه عدة قبائح حتى صار مذموما عند الناس الا الملكة وصار مكافأة ريشيليو فى نظير ما أجراه من خدمته ضد كوندى بان تعين وزير الدولة فى نوفمبر سنة ١٦١٦ بعد الميلاد ثم بلغ لويز الثانى عشر ست عشرة سنة وابتدأ يئن من الاثقال الموضوعة على ظهره بواسطة الملكة أمه ونديمها وكان لويز يكرهه فانتخب لويز (الموسيو دولوبين) صديقا له وكان شابا منكبا على الملاهى طماعا كبيرا فاجتهد دولوبين فى تقدم سعادة نفسه وأغوى لويز على الايقاع بالمارشال دانكر ومازال حتى نجح فى اغوائه وفى ٢٤ ابريل صدر أمر الملك بالقبض على دانكر فحصل من المارشال حركة خفيفة ترجحت بمقاومته فى خلاص نفسه فأطلق عليه الخفر الملوكى الرصاص وقتلوه وفى صباح اليوم الثانى تطرلويز من شباك سراية اللوفر وشكر قائد الخفر على قتله المارشال وقال انه الآن صار حقيقة ملكا ووقع موت النديم عند أهل باريس موقع السرور فانهم قطعوا جسمه وجروه فى الشوارع ثم حرقوه وصارت محاكمة زوجة دانكر بانها امرأة ساحرة وقطعت رأسها فى ميدان غريف وضبطت أملاك الزوجين وأنعم بها على دولوبين وفى اليوم الذى قتل فيه المارشال وقع القبض على مريم دوميديسى ثم نفيت الى بلواز وطرد ريشيليو الى أسقفية لوسون وبهذه الحالة صار دولوبين رأس الاعمال فاشتغل بغنية نفسه وأهله وجعل دوق فرانسا وأميرها وحاكم جزيرة فرانسا وبيكاردى وتيسر له التزوج بابنة دوق (دومونطبازون) وترقى اثنان من اخوته أيضا الى رتبة الدوق ثم تولد من سرقته أن صار مكروها عند الامة ووفد الاشراف النافرون منه على سراية الملكة فى بلواز وصارت مركزا للاهوال وعولوا على صد الملك ونديمه وفى ٢٢ فبراير سنة ١٦١٩ خلصت مريم من قلعة بلواز بواسطة الدوق أبرنون ووصلت بالسلامة الى أنغوليم وكانت أخطار الحرب الداخلى مهولة وارتاع لويز ودولوبين فاما دولوبين فانه أظهر عدم طاقته على مقابلة الزوبعة فاستغاث بريشيليو وكان مقيما فى معزله منتظرا وقوع ماله به معرفه من أنه لابد من نتيجة تتولد من اجتهاد دولوبين عند الحكومة

فتوجه

فتوجه ريشيليو الى سراية الملكة مريم واجتهد فى ربط علاقاتها مع ابنها حتى نجح فى أعماله وأزال أخطار الحرب وأفرج عن البرنس كوندى من سجن الباستيل وانضم برنس كوندى الى حزب دولوين وكان دولوين يؤمل أن يجد لنفسه حليفا قويا يستعين به على الملكة وحزبها

ثم ان الملك شرع فى ضم اقليم بيارن البروتستانتى الصغير الى التاج وأمر باعادة الديانة الرومانية الكاثوليكية فيه فكان ذلك سببا فى قيام أهل هذا الاقليم فى ثورة قام من أجلها كافة الهوغينوطيين الموجودين فى المملكة فأبرز الملك جيشا فى ميدان الحرب من أجل اخضاع الهوغينوطيين لطاعته ولما غضب أهل المملكة منه منح سيف السلمدارية على دولوين وابتدأت المبارزات فى فصل ربيع سنة ١٦٢١ بعد الميلاد وكان دولوين غير كفء بالكلية لاجراء الاشغال التى عهدت اليه ومن بعد أن حصل له مظفرات قليلة فى بواطو ووضع الحصار على مونطوبان القلعة المشهورة للهوغينوطيين فى لنغيدوق وفى هذه الحالة ظهر عدم ذكاء دولوين ورغما عما وقع من اجتهاد الجيش الملوكى فى الحصار التزم الملك على رفع الحصار عند زحف دوق روهان لخلاص القلعة من بعد أن فقد الملك نحو من ٨٠٠٠ من عساكره وأما دولوين فانه ما عاش حتى يرى هذه الاهانة فانه مات فى ١٤ ديسمبر سنة ١٦٢١ بعد الميلاد من حمى شديدة أصابته وما أسف على موته انسان حتى الملك واستمر الحرب من بعد موت دولوين مع العنف وفى السنة التالية أصيب الهوغينوطيون بخسارة شديدة وهى ارتداد (المارشال ليسديغيرس) أول رجل عسكرى فى عصره فانه ارتد عن الديانة الهوغينوطية وحضن الدين الكاثوليكى وتعين سلمدار فرانسا بأمر من الملك وأخمدت الثورة فى لنغيدوق وغينه وأخيرا انجبرت مونطبليير على التسليم للقوى الملوكية وفى هذا المحل عقدت معاهدة فى ١٩ أقطوبر سنة ١٦٢١ سلم فيها الهوغينوطيون المدائن الحصينة التى كانت أعطيت لهم فى المعاهدة الاولى ما عدا مونطوبان وروشيل ومن بعد موت دولوين صار محل الوزير المعتمد عند الملك خاليا فوقع التنازع من أجله مدة من الزمن بين الملكة والبرنس كوندى فساعد ريشيليو مع الغيرة أم الملك حتى صار لها طاقة على الظفر بخصمها وابتدأ ريشيليو ببراعته أن يكون من ضمن أعضاء مجلس الملك واشتهر اسمه زيادة عما كان يظن فيه وأدركت الطوائف أنه متى سنحت له الفرصة يجعل نفسه سيدا عليهم فاتحدوا سوية فى اخراجه من مجلس المملكة وكان الملك من طبعه يكرهه فرفض مدة طويلة قبوله فى أى وظيفة من وظائف الحكومة الا أنه أذعن أخيرا الطلبات أمه ووفا ما وعدها به من مدة طويلة فيما يختص بريشيليو وطلب له من البابا طفية الكردينال وفى ٥ سبتمبر سنة ١٦٢٢ بعد الميلاد تقلد ريشيليو بأمر البابا وظيفة كرديال الكنيسة المقدسة الرومانية فكانت هذه أول خطوة لنصره وصار ضعف حكومة الملك يأخذ فى الزيادة يوما فيوما وتولد من المطامع الحاصلة من أوستريا واسبانيا الفزع الشديد فى فرانسا وغير الملك وزراءه المرة بعد المرة فما وجد فى واحد منهم الكفاءة التامة لادارة المملكة وصيرورتها فى أمن من الارتباكات التى حاقت بها فالتزم لويز أخيرا على سماع الحاح أمه فى طلب ريشيليو فى مجلس المملكة ففعل على مقتضى أمرها هذا الشغل فى ٢٦ ابريل سنة ١٦٢٤ ورأى لويز أن يكون الكردينال محل شاغر فى المجلس فما كان له قدرة على أن يمنع الكردينال من احتلاله ببراعته بأعلى مقعد فى المملكة وكان لويز على غير رغبة من وجوده لمساعدته فى أشغال المملكة وذلك انه من قبل أن يتم لريشيليو ستة شهور من وجوده فى المجلس صار هو الحاكم الحقيقى لفرانسا واعترف بعلو شأنه الملك

وأرباب الديوان وكامل الامة وأظهر شوكته التى لا تقهر فى كل فرع من فروع الخدمات العمومية واكتسبت الحكومة على حين غفلة قوة ظهرت فى جهات المملكة

وكانت حالة فرانسا عندما تقلد ريشيليو زمام أعمالها كما قال الكردينال نفسه ـ يمكننى أن أقول بوجه الحق انه فى وقت دخولى فى الوظيفة كان الهوغينوطيون قاسمين حكومة المملكة مع جلالتكم حتى ان كبراء الاشراف جعلوا أنفسهم أنهم ليسوا رعيتكم وان حكام الاقاليم كانوا بصفة رعايا مستقلين فى ممالكهم والمعاهدات الاجنبية غير مفهومة الموضوع وفيها منافع خاصة بأرباب الدولة وبالجملة فان جلالة التاج كانت فى غاية من الانحطاط حتى ان معظم جهات المملكة ما كان معترفا بها ثم انه من وقت دخول ريشيليو فى الوظيفة سار فى سياسة ثابتة غير منحرفة ومن مقاصدها الاصلية دمار الهوغينوطيين بصفة أنهم مشكلون حزبا سياسيا وتأييد الحكومة الملوكية على الاشراف وما تتغلب عليه فرانسا بسيادتها فى أوروبا بواسطة اهانة أوستريا وبواسطة سير ريشيليو فى هذه السياسة تدارك أمره فى ضعف مملكة أوستريا واسبانيا بواسطة تشكيله محالفة بين فرانسا والممالك البروتستانتيه الموجودة فى شمال أوروبا وكانت أول طريقة أجراها هى مخابرته فى عقد زواج شارلس ولى عهد انكلتره ابن جمس الاول صاحب انكلتره بالبرنسيسة هنريبطه مريم أخت لويز الثالث عشر وكان قبل ذلك صار عقد زواج شارلس المذكور بالطفلة الاسبانية فصار فسخه واشتهر الزواج الذى عقده ريشيليو فى شهر مايو سنة ١٦٢٥ بعد الميلاد وأرسل البروتستانت الجرمانيين مبالغ ورخص لهم بجمع عساكر فى فرانسا وأرسل جيش فرنساوى الى الحذاء الفالطى وكان محتلا بالاوستريانيين والاسبانيين وكان لهم هذا الحذاء موصلا بين ايطاليا الشمالية والطيرول وفى حرب مكثت بضع أسابيع طردت القوى الاوستريانية منه واحتل الفرنساوية القلاع فنظر البابا بعين الغضب الظاهرى الى مثل هذه الاقتحامات التى وقعت على كبار الدول الكاثوليكية فى أوروبا وأقام الحجة على سير الكردينال فقال له ريشيليو صراحة انه مادام معترفا بما يجب عليه من أنه فى نفسه ملك الكنيسة فان أول طاعة واجبة عليه تكون لفرانسا وان منافع فرانسا وشرفها أول شئ يجب عليه فى أغراضه تحت حالة واحدة ثم وقعت ثورة من الهوغينوطيين على حين غفلة تحت قيادة دوق روهان ودوق سوبيز فى فصل صيف سنة ١٦٢٥ كانت سببا فى ارغام ريشيليو على توقيف تصميماته التى كانت جارية منه على أوستريا وسار مع شدة العنف على الثائرين بمساعدة أسطول أعدته له انكلتره وهولنده وهزم أسطول الثائرين أمام قلعة روشيل وأخضع هذه المدينة ثم استشعر بوجود ثورة عازمة على خلعه وفقد حياته فلاجل توجيه التفاتاته فى اخماد هذه الثورة عقد صلحا مع الهوغينوطيين على مقتضى شروط موافقة لهم فى شهر فبراير سنة ١٦٢٦ بعد الميلاد وفى شهر مارث عقدت معاهدة مع اسبانيا صار الاتفاق فيها على أنه يجب على فرانسا أن تعيد للغريسونيين الحذاء الفالطى الذى أخذته منهم اسبانيا وأوستريا ووقعت الملامة الشديدة على ريشيليو بسبب شفقته على الهوغينوطيين الا أنه كان يعلم أن نجاح اجرا آته لم يحل أوانه وكان بهم ترتيب الثورة التى ذكرناها محكما وكان الفاعل الاكبر فيها غاسطون دوق انجو الاخ الوحيد للملك ودخل فيها الجم الغفير من أشراف فرانسا وكانت الملكة الشابة داخلة فيها أيضا وكان مقصد الثائرين قتل الكردينال فى بيته الموجود فى بلده وجعل غاسطون بدله فاكتشف الكردينال هذه الدسيسة وأفشى غاسطون سر المتحدين معه ورمى

نفسه

نفسه على رحمة الملك وعفوه فصار مكافأته على خيانته باصعاده الى دوقية أورليان وأما الآخرون من أرباب الثورة فانه قتل بعضهم ونفى البعض وأما الملكة فانها أحضرت أمام مجلس المملكة فوبخها المجلس على تداخلها فى مثل هذه الثورة وزادت الحزازة التى كانت بينها وبين الملك من قبل ومن ابتداء هذا الوقت وقعت العداوة الشديدة بين الملكة والكردينال وكانت نتيجة الثورة سببا فى توطيد شوكة الكردينال زيادة عما كان عليه وفى السنة التالية ظهرت عليه دلائل شدة العنف قاصدا بذلك صيرورة الاشراف تحت أقدام التخت الملوكى وفى هذا الوقت صدر أمر من الملك قاضيا بمنع الدويل بما أن هذه الحالة كانت قبيحة بين كبراء الحكومة فاستخفا بهذا الامر دخل كل من كونت دو بوطفيل وكونت شابل فى هذه المضاربة فى ميدان الملك فى باريس فأمر الكردينال بالقبض عليهما وقطعت رأسهما من بعد محاكمتهما واثبات جريمتهما فتولد من ذلك الارتباك فى أتباع الدوقين وانفجر الارتباك أيضا فى هوغينوطى روشيل وفى هذا الوقت وجهت انكلتره مساعدتها لاهل روشيل على الملك الفرنساوى وكان دوق بوكنغهام غرق فى غرام ملكة فرانسا فلما استيقظ ريشيليو لذلك وبخه فاراد الدوق أن يأخذ بثأر نفسه من الكردينال فاغوى ملك انكلتره على مساعدة الهوغينوطيين وكان ذلك أمر امرضيا فى انكلتره وما وجد قائد أقوى شوكة من بوكنغهام يصير انتخابه لهذه المساعدة لينال الهوغينوطيون فائدة من هذه المحالفة وأمر الملك بتسفير أسطول مؤلف من مائة سفينة وقوة ضخمة من العساكر من أجل حماية مدينة روشيل وخلاصها من يد الكردينال فى يوليه سنة ١٦٢٧ بعد الميلاد وفى هذا الوقت بذل ريشيليو مجهوده فى اخضاع روشيل وحاصر المدينة بجيش قوى كامل العدة تحت قيادة الملك اسميا وكان الكردينال فى الحقيقة هو المباشر لحركات هذا الجيش وأثبت لنفسه شهرة اسم القيادة العسكرية والاعمال السياسية فدافعت المدينة عن نفسها أشد المدافعة مع الشجاعة واجتهد الاسطول الانكليزى فى خلاصها لكنه انهزم من بعد أن حصل فيه خسارات ثقيلة ومن ثم عاد بوكنغهام الى انكلتره وترك روشيل وأهلها يحاربون مع الملك ويدافعون عن أنفسهم فضيق ريشيليو على المدينة بالحصار من البر وعمل رصيفا ضخما قاطعا فم المينة وحصنه جيدا ومن ثم قطع طريق الاسعافات التى تأتى للمدينة من طريق البحر ثم ورد من بعد ذلك اسطولان انكليزيان لخلاص المدينة فما قدرا على الدخول فى المينة بسبب الحاجز الذى أنشأه الكردينال وبهذا انسحبا الى انكلتره ومن بعد حصار لبث خمسة عشر شهرا هلك فى أثنائه نصف أهل المدينة من الجوع وقل عدد المحافظين حتى وصل الى مائة نفس سلمت المدينة فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٦٢٨ بعد الميلاد واستعمل ريشيليو فى نصرته هذه الرفق وقال ان عصر الظلم من أجل حاجات فى النفس قد انقضى أمره وان الملك ما أثار حربا على أهل روشيل من أجل أنهم هوغينوطيون بل لانهم عصاة وأقر سكان المدينة على ما هم عليه من اجراء شعائر ديانتهم الا أنه جردهم من حقوقهم السياسية وهدم استحكامات المدينة جزاء لهم بما عصوا وفى أغسطس سنة ١٦٢٩ بعد الميلاد صار التغلب على مونطوبان آخر معقل للبروتستانت فى فرانسا وانقرض حزب الهوغينوطيين بما انه كان حزبا سياسيا

ثم ان اسبانيا انتهزت فرصة الحرب مع الهوغينوطيين واجتهدت فى حصول الضرر لفرانسا فى ايطاليا بكونها أخرجت دوق نفرس وهو رجل فرنساوى من مونطوه ومونطفرات فبمجرد تمام حصار قلعة روشيل حض ريشيليو الملك على عبوره جبال الالب فى شهر مارث سنة ١٦٢٩ بعد الميلاد مع جيش

مؤلف من ٣٦٫٠٠٠ مقاتل من أجل مساعدة دوق مونطوه وأرغم دوق صافواو كان عدوّ الفرانسا على عقد معاهدة صلحية والتزم الاسبانيون بان يصرفوا النظر عن مقاصدهم بخصوص منطوه ومونطفرّات ولما رجع الفرنساوية وعبروا جبال الالب قام الاسبانيون والاوستريانيون مرة ثانية وأغاروا على منطوه واحتلوا أرض الغريسيين وعقد دوق صافوا معاهدة سرية مع أعداء فرانسا واستعد لمنع الجيش الفرنساوى من عبوره من أراضيه الى داخل ايطاليا فتقلد ريشيليو زمام قيادة الجيش وانتخب المارشال باسومبيير والمارشال سكومبرغ قائمى مقامه وسار بسرعة حتى دخل صافوا وتغلب على بنيرول من بعد حصارها ثلاثة أيام وعلى عدة قلاع أخر وتغلب الفرنساوية بسرعة على صافوا ومار كيزة سالوس والتزم المتحالفون على عقد الصلح وانجلى الاوستريانيون عن منطوه واستلم دوق دونفرس حكومة هذه الدوقية من يد الامبراطور وأرغمت صافوا على كونها تتنازل عن بنيرول وقلعتين أخريين لفرانسا وانتهى الحرب بمعاهدة عقدت فى شيراسكو فى ابريل سنة ١٦٣١ بعد الميلاد وكان أحد المرخصين فى هذه المعاهدة (غيوليو مزرينى) كان فى هذا الوقت نائب البابا فى ديوان صافوا ثم بعد ذلك اشتهر اسمه (بالكردينال مزرين) ومع أن ريشيليو حصل له الظفر على أعداء فرانسا الا أنه رأى نفسه أنه محاط باعداء شخصية وأخذت الدسائس فى الزيادة عليه وفى أثناء سفر الملك ليلتحق بالجيش فى ايطاليا أصيب بمرض خطر فى ليون ومن حيث ان مريم دوميديسى ما كان لها طاقة على أن تحكم ريشيليو وصارت ألد أعدائه انتهزت الفرصة فى وقوع الملك فى المرض وخطفت منه وعدا بطرد الكردينال من خدمته ورضى لويز بذلك على شرط أنه لا يتعرض للكردينال بسوء الى انتهاء الحرب ولما عوفى الملك من مرضه شرع فى اظهار عدم الرغبة فى حرمان فرانسا من خدمات وزيره الاكبر ومن مساعدة هذا الوزير له الا أن الحاح زوجته وأمه وحواشيه كان آخذا فى الزيادة يوما فيوما من أجل عزل الكردينال وفى أثناء هذه المجادلات وصل ريشيليو الى الديوان فاشتبك فى مشاحنة جهرة مع الملكة أم الملك بحضور نفس الملك فنهاها لويز بكونه ترك السراية وأسرع فى التوجه الى سراية فرسال وفى هذا الوقت رأى الديوان جميعه أن هلاك الكردينال لا بد منه وحصل عند أعدائه السرور جهرة من أجل ما وقع له وفى هذا الوقت خاف ريشيليو على نفسه من أن عاقبته ربما تكون غير محمودة فوقع الاستغراب فى الحال من كونه طلب الالتحاق بالملك فى فرسال فلما وصل ريشيليو الى فرسال قابله الملك فيها بالاجلال وحقق له أن لا يسمع من أحد أدنى غمية فى حقه بل يطرد من الديوان كل من كان فى قلبه أدنى ذرة يحصل منها أذى له وعرف يوم ١١ نوفمبر سنة ١٦٣٠ الذى وقعت فيه هذه الحوادث باسم يوم الخدائع ومازال معروفا بذلك

وشرع الكردينال فى هذا الوقت فى تعنيف الذين رغبوا فى أذاه وأمر بقطع رقبة المارشال ماريلاق فى نظير جريمة اختلاس ظهرت عليه ونفى أخاه المهردار الى شاطودون ثم اجتهد فى اغواء الملك وقال انه لا يوجد سلم فى الديوان مادامت أم الملك تدس فيه دسائسها فاكره لويز كل عمل مضر بامه لكنه فى سنة ١٦٣١ بعد الميلاد ظهرت ثورة جديدة من دوق أورليان باغراء مريم فالتزم لويز على أخذ الاجراآت اللازمة الفاصلة ضدها فنفاها من السراية الى كامبيغ ومن بعد مضى بضع أيام أمر الملك بنقلها الى مولينس فرفضت أمره وهربت ناجية بنفسها وعبرت حدود المملكة وتوجهت الى الديوان الاسبانى فى بروكسيل فكان هذا الفعل مشؤما عليها ولم يسمح لويز بعودها الى فرانسا وفى سنة ١٦٤٢

بعد الميلاد ماتت منفية فى كلونيه وأما ثورة غاسطون فانه صار اطفاؤها وضبطت أملاكه وهاجر الى اللورين ومنها هرب الى بروكسيله وحبس بعض أتباعه ونفى البعض واستمر غاسطون فى دس الدسائس فى بروكسيله ونجح فى أن جذب الى مشروعه الجم الغفير من النافرين من أشراف فرانسا وكان من ضمنهم دوق مونطمورنسى أحد الرجال المشهورين فى فرانسا وأغار غاسطون على فرانسا فى سنة ١٦٣٢ بعد الميلاد فى رأس قوة قليلة فانهزمت قوته وأرغم على الفرار مرة ثانية وكانت النتيجة المحزنة لهذه الثورة هى قطع رقبة مونطمورنسى فى ٣٠ أقطوبر سنة ١٦٣٢ بعد الميلاد وكان حرب الثلاثين سنة جاريا فى جرمانيا من عدة سنين و بسبب ما كان عليه ريشيليو من السياسة فى اضعاف أوستريا دخل فى سنة ١٦٣١ فى معاهدة مع (غوسطافوس عدلفوس) صاحب اسويج ووعده بمساعدة سنوية مقدارها ٤٠٠,٠٠٠ كراون ومن ثم توجه جهرة مع بروستانتى جرمانيا ضد الامبراطور والاتحاد الكاثوليكى ومن بعد موت غوسطافوس صار تجديد المحالفة بمعاهدة مع (أوكزنسطيرن) نائب اسويج وظهر من نصرة العساكر الامبراطورية فى نواحى (نوردلنغن) فى سبتمبر سنة ١٦٣٤ أن الظفر تحقق للامبراطور والآن ريشيليو عكف نفسه بشدة على الاشغال اللازمة لحرمان الامبراطور منه وعقد معاهدات على اسم فرانسا مع هولنده واسويج والملوك البروتستانتية الجرمانية والسويس ودوق صافوا واتفقت فرانسا على ترتيب أربعة جيوش مؤلفة من ١٢٠,٠٠٠ مقاتل فى ميدان الحرب مستعدة لمخالفيها وكانت الوقائع التى حصلت فى الثلاث سنوات التى جاءت بعد غير موافقة لفرانسا وفى سنة ١٦٣٦ بعد الميلاد دخل الجيش الامبراطورى حتى وصل بيكاردى وأزعج باريس وأخيرا أرغم على الانسحاب منها مع تلفيات وقعت فيه وفى سنة ١٦٣٨ عادت الكرة نوعا نحو فرانسا وذلك أن الدوق برنهارد صاحب (صكص و يمار) الذى دخل فى الخدامة الفرنساوية تغلب على عدة قلاع فى أرض الرين الاعلى وهزم الجيش الامبراطورى فى واقعة كبيرة وقعت فى رينفيلد فى ٣ مارث وفى شهر ديسمبر من هذه السنة ألزم أهل قلعة بريذاخ الحصينة على التسليم من بعد أن حاصرها ستة شهور وكانت وقائع سنة ١٦٣٩ صالحة أيضا عند فرانسا وتولد من موت دوق برنهارد من بعد أن وطد نفسه فى قلعة بريذاخ مؤملا الحصول على الالزاس كسلطنة مستقلة أن صار الى ريشيليو طاقة فى ضمها الى فرانسا وهزم كونت هاركورت القائد الفرنساوى فى ايطاليا العساكر الامبراطورية فى بيدمونط وتغلب على جهاتها وفى سبتمبر سنة ١٦٤٠ بعد الميلاد تغلب على تورين من بعد حصار لبث ما ينيف عن أربعة شهور وفى نفس هذه السنة طرد الفرنساوية الاسبانيين من ارطواز وأضيف هذا الاقليم المخصب العظيم الى تاج فرانسا

وفى أثناء ذلك لازمت السعادة ريشيليو واكتشف على مخابرة سرية بين الملكة والديوان الاسبانى فى بروكسيله فارتاعت الملكة حالما وقع الكشف عن جريمتها واعترفت بذنوبها لريشيليو ووقعت على كفالة بانها ما بقيت تعود الى مثل هذه الجريمة ثم ان الكردينال شرع فى ارتباط المحبة بين عانى ولويز ونجح بحزم رأيه عند كل من الطرفين وكان هذا الزواج الملوكى فى افتراق بين بعضهما من مدة عشرين سنة الا أنه ما نتج منهما أولاد ثم ولدت عانى ولدا فى سنت جرمان فى ٥ سبتمبر سنة ١٦٣٨ وصار فيما بعد لويز الرابع عشر وفى سنة ١٦٤٢ رتبت العائلة (ماركيزة سنكمارث) وكان ريشيليو

انتخبها رفيقة للملك ثورة على الكردينال وشرعت فى صد أعماله وفتحت مخابرة خيانية مع الاسبانيين فاكتشف ريشيليو الثورة واستحصل على نسخة من المعاهدة بين الثائرين واسبانيا ووقع القبض على سنكمارث مع دوطو أحد الثائرين وقطعت رقبة الاثنين فى ليون فى ١٢ سبتمبر سنة ١٦٤٢ بعد الميلاد وفى نفس هذه السنة حصل التغلب على بربغنان وتمت فتوحات أراضى روسيلون وأضيفت الى فرانسا وصارت ايالة سيدان من أملاك التاج بسبب أنه صار ضبطها فى نظير جريمة وقعت من دوق بويلون من أجل تداخله فى ثورة سنكمارث وصار ريشيليو من هذا الحالة فى أرقى درجة من شوكته فكان فى فرانسا هو السيد المشار اليه وجعل بلاده عظيمة من داخلها ومهيبة من خارجها وأهان بيت أوستريا الشامخ ودمر مشروعاته الطامعة فى تقدم نفسه وضرب أعداء فرانسا فى كل جهة قابلهم فيها حتى صارت فرانسا أول دولة فى أوروبا تحت تدبيره كل هذا وهو غرقان تحت مرض عضال وفى ٤ ديسمبر سنة ١٦٤٢ بعد الميلاد مات من بعد أن بلغ من العمر ثمانيا وخمسين سنة وتلقى لويز أمر موته بغاية البرود وما حصل منه تغيير فى الوزارة التى كان انتخبها ريشيليو الا أنه عين الكردينال مزرين فى المجلس العالى وفى أقل من ستة شهور لحق لويز الثالث عشر بوزيره الكبير الى القبر حيث مات فى سنت جرمان فى ١٤ مايو سنة ١٦٤٣ بعد الميلاد فى السنة الثانية والاربعين من عمره وترك النيابة لارملته عانى الاوستريانية وعين دوق أورليان نائب عموم المملكة وأمر الملك أيضا بتعيين مجلس مؤلف من الكردينال مزرين وبرنس كوندى وصيغيرا النائب وشافغنى وبوثيلير كاتب أسرار المملكة

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ سلطنة لويز الرابع عشر ﴾

نيابة عانى الاوستريانية ـ صيرورة مزرين وزيرا أول ـ واقعة تروكروا ـ ضبط دونكرك ـ وجود برنس كوندى فى ليريده ـ صلح وسطفاليه ـ غلاق حرب الثلاثين سنة ـ موقع فرانسا ـ الارتباكات المالية ـ مبدأ الحرب الفروندى ـ ترك طورين فرانسا ـ القبض على برنس كوندى واخوته ـ ثورة غيينه ـ الزام مزرين على تركه فرانسا ـ ثورة كوندى ـ عود طورين الى فرانسا ـ واقعة قرية سنت انطوان ـ التحاق كوندى بالاسبانيين ـ غلاق الحرب الفروندى ـ الحرب مع اسبانيا ـ صلح البرنات ـ زواج لويز الرابع عشر بالطفلة الاسبانية ـ موت مزرين ـ قبض لويز على زمام الحكومة ـ صفته ـ تعيين كولبرت فى نظارة المالية ـ معاهدة مع هولنده ـ حرب مع انكلتره ـ معاهدة بريده ـ طلب لويز الاراضى الواطية الاسبانية ـ اغارته على فلندره ـ المعاهدة الثلاثية ـ معاهدة عكس الكنيسة ـ هياج لويز الحرب على جمهورية الفلمنك ـ معاهدة مع انكلتره ـ عبور الفرنساوية نهر الرين ـ مظفراتهم ـ صيرورة غيليوم أورنجه قائمقام حكومة هولنده ـ نجاحه الكبير فى مدافعته عن هولنده ـ انسحاب انكلتره من الحرب ـ حرب طورين فى الالزاس ـ موت طورين ـ اعتزال كوندى الكبير ـ مظفرات فرانسا البحرية ـ صلح نيموغن ـ لويز فى عظمة شوكته ـ تغلبه على استراسبورغ ـ عيشة لويز الخصوصية ـ الست دومنطنون ـ ظلم الهوغينوطيين ـ الست دومنطنون والجزويت والاجتهاد الذى حصل فى هداية الملك ـ الدراغوناد ـ تزوج الملك بالست دومنطنون ـ الغاء منشور نانطيس ـ صيرورة

اشغال

أشغال المملكة على شرف الخراب من تعصب الملك ـ الظلم الوحشى الذى وقع على الهوغينوطيين ـ هجرة البروتستانت من فرانسا ـ اتحاد أوغسبورغ ـ صيرورة غيليوم برنس أورنجه ملك انكلتره ـ وجود جس الشانى فى فرانسا ـ اعلان لويز الحرب ـ التدميرات التى وقعت لبيت أبى مقشة من الفرنساوية ـ الاتحاد على فرانسا ـ خيبة الاغارة على ارلنده ـ واقعة فلوروس ـ موت لوفواس ـ تدمير الاسطول الفرنساوى فى خليج بريطانيا ـ التغلب على مونس ـ واقعة سطنكرك ونيرويندن ـ ترك دوق صاقوا الاتحاد ـ صلح ريسويك ـ الحرب الاسبانى الوراثى ـ المعاهدة الثانية الكبيرة ـ مارلبروغ ـ البرنس أوجين ـ حرب سنة ١٧٠٣ ـ حرب المارشال فيلار فى جرمانيا ـ واقعة هوسطاد ـ انضمام دوق صاقوا الى الاتحاد ـ ثورة بروتستانت السيڤنيين ـ واقعة بانهيم ـ خسارة اسپانيا جبل طارق ـ حرب سنة ١٧٠٦ ـ مصائب الفرنساوية ـ وقائع سنة ١٧٠٧ واقعة عودينارد ـ وجود القحط فى فرانسا ـ تقدم الحرب ـ بلايا لويز الداخلية ـ صلح أوطريخت ـ ملحقات الحروب فى فرانسا ـ موت لويز ـ عصر لويز الرابع عشر

ثم انه بمجرد ثبوت عالى الاوستريانية فى النيابة ألغت فى الحال مجلس النيابة وعينت الكردينال مزرين وزيرها الاول فوقع هذا الانتخاب موقع الاستغراب عند كافة الاحزاب لان مزرين كان الصديق الاكبر لعدوها القديم ريشيليو وكان مزرين المذكور ذكى العقل نجيبا فمن ثم كان هذا الانتخاب أجود انتخاب وبما أن لويز الرابع عشر كان عمره أقل من خمس سنوات رأت النائبة أنه يلزم لها مستشار موافق لها مدة صغر الملك فانتخبت أعظم واحد موافق لهذا المنصب الجليل واستمر الحرب السياسى الذى كان شرع فيه ريشيليو على ما كان عليه بواسطة خلفه ولما مات ريشيليو أظهر بيت أوستريا العداوة وساق القوى الاسبانية من الاراضى الواطية وحاصرت قلعة روكروا لكن انهزمت شر هزيمة بمعرفة الدوق دانغيين الشاب الذى اشتهر فيما بعد باسم البرنس كوندى الاكبر فى ١٩ مايو سنة ١٦٤٣ بعد الميلاد وفى ٧ أغسطس سنة ١٦٤٥ بعد الميلاد أوقع المارشال طورين ودوق دانغيين هزيمة حاطمة على القوى الامبراطورية فى نوردلنغين وفى شهر اقطوبر سنة ١٦٤٦ بعد الميلاد تغلب دوق دانغيين بمساعدة الاسطول الفلنكى تحت قيادة الاميرال ڤان طرومب على قلعة دونكرك أعظم مينة بحرية موجودة على البحر المحيط الجرمانى وفى سنة ١٦٤٧ بعد الميلاد حصل التوقيع على معاهدة صلحية بين اسپانيا والاقاليم المتحدة فى هولنده وعاد الدوق دانغيين لفرانسا وفى نحو هذا الوقت مات أبوه وخلفه وتلقب بالبرنس كوندى وخاف مزرين من صولته فى الديوان فأرسله الى كطالونيا فحاصر هنالك مدينة لريدة فى شهر مايو سنة ١٦٤٧ ومع ما كان عليه من نجابته فى أعماله فانه التزم بترك القتال ورجع الى فرانسا آسفا وو بخ مزرين فى عدم مساعدته له فطلب منه مزرين مع الخضوع عفوه عنه وعينه فى قيادة الجيش فى فلندره فتغلب على مدينة ابريس فى مايو سنة ١٦٤٨ بعد الميلاد وطرد العساكر الامبراطورية من بيكاردى وأوقع بهم هزيمة حاطمة فى لينس من أعمال ارطواز فى ٢٩ أغسطس وبدد شمل الجيش الامبراطورى تقريبا وفى غضون ذلك انضم فى جرمانيا المارشال طورين على الاسويجيين وهزموا فى سنة ١٦٤٨ بعد

الميلاد العساكر البافاريانية تحت قيادة الجنرال مونطيكوكولى فى أوغسبورغ وصدّهم عن الزحف على قيانة علوّمياه نهر إين بغتة وكانت هذه المظفرات سببا فى كون اسبانيا اقررت حرية الاقاليم المتحدة فى هولنده واستقلاليتها وفزع الامبراطور من تقدم الاسوجيين وكانوا نهبوا اقسامامن براغة فرضى فى معاهدة ثانية عقدت فى مونسطير بشراء الصلح بتنازله لفرانسا عن أسقفيات متز وطول وفردون مع دعواه فى بنيرول وبريساخ والالزاس ورضى بأن تضع فرانسا محافظين من طرفها فى مدينة فيليبسبورغ وبوميرانيه وكانت هذه المعاهدة تعرف بمعاهد وسطفاليه وصار نهر الرين حدا لمملكة فرانسا واستحوذت على دوقية اللورين بطريق المحبة للدوق التى أخذت منه الى أن يتصل أمرها وكانت هذه المعاهدة غلاقا لحرب الثلاثين سنة وكانت صالحة لفرانسا وانهزلت شوكة بيت أوستريا جدا وتدمرت مملكة أوستريا فى جرمانيا وصارت فرانسا هى المملكة الرئيسة فى أوروبا وما كانت اسبانيا داخلة فى هذه المعاهدة واستمرا الحرب بين اسبانيا وفرانسا من دون انقطاع

وفى أثناء ذلك تراكمت فى فرانسا الارتباكات واجتمعت فيها الاهوال والمصائب وذلك أنه تولد من خطف مزرين وسلبه وسوء ادارته فى أشغال الحكومة وتوطيد سلطته على الملكة اشتباك المملكة فى أقرب وقت بمضايقات شديدة فى ماليتها كانت نتيجة مصائب حروب داخلية وكان ريشيليو ترك الخزينة ملآنة بالنقود الا أن المبالغ التى كان حريصا عليها وقع الاسراف فيها من خليفته ولاجل تيسر الحصول على المصاريف الباهظة الجارى صرفها فى الحروب وكذا المصاريف المهولة الجارى صرفها فى الديوان أوقع الجور على الاهالى وكان سببا فى وقوع مضايقات شديدة عليهم فضرب عوائد على كافة التجارات الواردة الى باريز من أجل البيع براو بحرا وصار يجبى هذا الخراج من طوائف الامة من دون استثناء فحصل فيه مقاومة شديدة من جهة البرلمان حتى صار هذا المجلس خصيما للتاج وأخذت المنازعة تزداد كل يوم وأخيرا وقع من الحكومة غلط فى كونها انتهزت الفرصة عند ورود أخبار نصرة واقعة لينس فأمرت بالقبض على ثلاثة من كبار المشهورين المعارضين لها فى مجلس البرلمان وهم (بلانكمسنيل - وشارطون - وبروسيل) وكان بروسيل المذكور من المحبوبين عند الاهالى

وكان أهل باريس فى صف واحد مع البرلمان فقاموا فى ثورة جهرة على الحكومة وعملوا متاريس فى الشوارع المشهورة وأحاط الجم الغفير منهم مع الغضب بالسراية الملوكية وطلبوا خلاص بروسيل فأعرض الكردينال دوريطز مساعد أسقفية باريس للملكة حالة الخطر الحائق بموقعها وحضها على اتمام طلبات الامة والافراج عن بروسيل فرفضت عانى قوله وسار العساكر فى داخل السراية من أجل المحافظة على الديوان وبمجرد عدم قبول المملكة نصيحة دوريطز انضم الى الثورة وصار أحد قوادها المشهورين وفى اليوم الثانى أى فى ٢٧ أغسطس سنة ١٦٤٨ بعد الميلاد انتشرت الثورة وازدادت شدتها وظهر منها علامات الفزع حتى ان الملكة أمرت بالفرج عن المسجونين من أمراء البرلمان وعادوا الى باريس فى اليوم الثانى فى وسط تهاليل الاهالى وظهر خمود أمر هذه المادة لكن لوقت محدود وكان هذا مبدأ الارتباكات فى الحقيقة ومن ابتداء ٢٧ أغسطس سنة ١٦٤٨ بعد الميلاد يمكننا أن نعد هذا اليوم أول الحرب الداخلى الفروندى ثم ان النظام وان ظن عوده الا أنه حصل من البرلمان سفاهة لا تطاق حتى ان الملكة تركت باريس لكل من الملك ابنها ومزرين وتوجهت الى روويل فتداخل البرنس كوندى ووطد العلاقات الكبيرة بين الملكة والبرلمان فى شهر أقطوبر ومنحت الملكة على البرلمان طلباته بحالة

لاشرط تحتها وعند توقيع الملكة على هذا القرار سكبت عبرات دموعها على خدودها وقالت ان هذه علامة دمار السلطنة فى فرانسا ومامضى على ذلك مدة حتى حصل للبرنس كوندى الغضب من شماتة أهل باريس فقدم خدمته للحكومة فى اخضاعهم للسلطنة الملوكية وجمع قوة مؤلفة من ٨٠٠٠ نفس من العساكر بالقرب من باريس وفى ٦ ينايرسنة ١٦٤٩ بعد الميلاد انسحبت الملكة وابنها الملك الشاب و باقى العائلة الملوكية مصحوبين بالكردينال مزرين من باريس فى السر وتوجهوا الى سنت جرمان وفى هذا الوقت صدر أمر من الملك بنقل مجلس البرلمان الى مدينة سونطارغيس فرفض البرلمان هذا الامر وأعلن بان مزرين عدو المملكة وطلب نفيه من المملكة ودخل فى الحزب الفروندى كثير من مشهورى المملكة وأشرافها الاشداء ودخل فيه أيضا معظم مجالس الاقاليم ووقعت بعض مناوشات بين عساكر برنس كوندى وقوى البرلمان بالقرب من باريس الا أن أمر الفروندى صار يأخذ فى القوة يوميا وانضم المارشال طورين الى البرلمان ووعد الارشيدوق ليوبولد حاكم الاراضى الواطية الاسبانية الثائرين بالمساعدة فرغبت الحكومة فى هذا الوقت فى اعمال طريقة فى الصلح وحصلت مخابرة معاهدة فى روويل بين مزرين ونواب من طرف البرلمان تحت رياسة مولى فى ١١ مارث سنة ١٦٤٩ فكانت شروط المعاهدة غير موافقة لما كان يرغبه البرلمان فرفض قبول تسجيلها وكان مولى ورفقاؤه فى أثناء المداولة فى المعاهدة عرضة لاخطار الذبح بأيدى الحنقين الاوباش ثم قبل مزرين المعاهدة من طرف البرلمان من بعد أن هذبوا فيها بعض شروط موافقة ثم تيسرله الحصول أيضا على أن جلب لجهته الضباط المشهورين من جيش المارشال طورين وترك هؤلاء الضباط المارشال ودخلوا فى طاعة الحكومة فانسحب المارشال طورين فى الحال الى هولنده وترك الفرونديين من دون قائد كبير لهم وفى أغسطس سنة ١٦٤٩ عادت الحكومة الى باريس ولما فاز البرنس كوندى بالخدمات الكبيرة التى أداها المملكة رغب أن يجمع شوكة الحكومة فى يديه وصار على وقاحة وسفاهة لاتطاق وصارت الحكومة منه على خطر فعولت النائبة ومزرين على القبض عليه ومن ثم وقع القبض على كوندى وأخيه البرنس كونطى وعديله الدوق لونغو يل وهم فى قاعة المجلس فى ١٨ ينايرسنة ١٦٥٠ بعد الميلاد وأودعوا فى سجن قلعة وانسينه فقام أحزاب كوندى فى الحال بالسلاح وحصل فى بورغندى الذى كان كوندى حاكمها ثورة كبيرة وتجمعت سنت لونغو يل فى كونها أثارت الارتباكات فى نورمندى وكان زوجها حاكمها وقامت بوردو بالسلاح من أجل كوندى وجعلت نفسها تحت أوامر الجسورة برنسيسة كوندى ابنة أخى ريشيليو فأما نورمندى فان قوى الملك أخمدت الثورة فيها وأعقب هذا النجاح خضوع بورغندى للطاعة وسلمت بورد ومن بعد حصار أظهرت فيه برنسيسة كوندى الشجاعة وسمح للبرنسيسة وخدمها بالانسحاب فى سلامة الى أملاكهم الا أن الحكومة رفضت مع شدة الغضب التماسها الافراج عن زوجها ورفقائه المسجونين معه وأما المارشال طورين فانه من بعد أن التحقت به قوة اسبانية نال بعض مظفرات جليلة فى بيكاردى الا أنه انهزم فى ١٥ ديسمبر هزيمة كلية بالقرب من رطيل بواسطة المارشال (بليسيس براسلين) وهرب مع أتباع قليلة الى اللورين وظهر الآن أن الحكومة حصل لها النصر على كافة ما كان أمامها من المصاعب لكنه حصل فى هذه الحالة ردفعل فى العمل يختص بصالح المسجونين من البرنسات فى باريس وتشكل اتحاد على مزرين بزعماء الفرونديين وطلب من البرلمان نفى الكردينال

مزرين من المملكة ولما ارتاع مزرين من شدة المقاومة هرب سرا الى هافر فى ٨ فبراير سنة ١٦٥١ بعد الميلاد واستعدت الملكة للالتحاق به مع الملك الصغير الا أن قواد الفرونديين منعوها وأصروا على الدخول فى السراية واستكفوا بالحكومة الحاضرة وفى أثناء ذلك أسرع مزرين فى التوجه الى هافر وأمر بالافراج عن البرنسات المسجونين وكان على أمل أنه ينال معاضدتهم بسرعة اجرائه خلاصهم الا أنهم قابلوه بالبرود وأسرعوا الى باريس ثم انسحب الكردينال مزرين الى بروهل من أعمال كلونية ومن هذا المحل الذى آوى اليه صار فى مخابرة مع الملكة ومن ثم استمر فى مباشرة أعمال الحكومة وكان كوندى منتظرا لنفسه علو السيادة فى وقت عوده الى باريس فوجد الملكة النائبة فى أشد العداوة له ونفر قواد الفرونديين منه ولم يقروا له بسلطنة ثم آل أمر الملكة أن جعلت حالة الاعمال مرتبكة لكونها اتهمته أمام مجلس البرلمات بانه خائن بلاده فى دخوله فى مخابرات مع اسبانيا فغضب كوندى من هذه التهمة وأسرع الى حكومته فى غيينه ودخل فى ثورة على الحكومة فقابلت الملكة هذه الحركة باعلانها بان لويز الرابع عشر بلغ رشده واستلم قيادة جيشه بنفسه لاجراء الاعمال اللازمة ضد البرنس العاصى وتولد من عصيان كوندى تمهيد الطريق للكردينال مزرين والتحق بالديوان ودخل المارشال طورين فى طاعة الملك ومنحت عليه قيادة الجيش الملوكى ثم نتج بين الفريقين حرب لكن ما أمكن لاحدهما اتمام شئ وفى فصل ربيع سنة ١٦٥٢ بعد الميلاد سار الجيشان مباشرة على باريس وكان جيش الملك تحت قيادة المارشال طورين وجيش الفرونديين تحت قيادة كوندى وكانت باريس لحد هذا الوقت ليست تحت امر أحد من الحزبين وحصل بين الجيشين واقعة شديدة فى ٣ يوليه فى ضواحى سنت انطوان وفى اللحظة المهمة من الحرب أمرت ابنة دوق أورليان مع الجسارة باطلاق نيران مدافع قلعة الباستيل على عساكر الملك وبعد ذلك فتح أهل المدينة باب سنت انطوان وسمحوا الجيش كوندى بالدخول فى المدينة وأما المارشال طورين وكان متحققا من النصر فانه أدخل قواه فى سنت دنيس وصار كوندى سيد باريس لزمن قصير وترا آى أن العامة جميعها حضنت أمر الفرونديين لكنه حصل انقلاب فى رؤس أهل باريس وحولوا وجوههم عن الثائرين وشرعوا فى المحالفة مع الملك ولما رأى كوندى أن نفوذه آل الى الدمار بما وقع من خدائع الكردينال دوريطز ترك باريس خفية فى شهر اقطوبر والتحق بالجيش الاسبانى تحت قيادة دوق اللورين ومن بعد مضى بضع أيام دخل شارلس الرابع عشر وأمه فى باريس فى خفارة جيش المارشال طورين وفى وسط تهليل الاهالى واستقر فى سراية اللوفر وأصدر الملك عفوا عاما عن الذين دخلوا فى تهييج هذه الحروب ماعدا كوندى ودوق بوفورت وآخرين من زعماء الفرونديين فأما كوندى فانه صدر عليه حكم الموت بصفة انه خائن وأما دوق أورليان فانه صدر الامر بنفيه الى بلوا حتى مات فيها فى سنة ١٦٦٠ بعد الميلاد وأما دوريطز الذى فعل أكثر ما يفعله أى انسان من اشعال نار الارتباكات فى المملكة فانه سجن فى فنسينه ثم وقع الافراج عنه الا أن بقية حياته مضت بحالة مظلمة ومن ثم انتهت الثورة الفروندية وكانت المونة الاخيرة لحرب أشراف فرانسا ضد الشوكة المطلقة للتاج وكانت هى النتيجة الكبرى والفائدة العظمى للعائلة الملوكية وأثبت تأثيرها للويز الرابع عشر تفكره فى الاحكام المطلقة وخابت مساعى الاشراف فى تحديد شوكة الملك وصار للملك الشاب طاقة على أن يقيم فوق خرابات هذه الثورة سلطنة مطلقة التصرف ولما انتهى الحرب الداخلى صار للكردينال مزرين طاقة على أن يوجه التفاته نحو الاسبانيين

وكان

وكان حصل لهم منافع كثيرة من الارتبا كات التي حلت بالمملكة من أهلها وكانوا تغلبوا مرة ثانية على دونكرك ـ وابريس ـ وغرافلينس وكذا على برسلونه ـ وكاطالي وكان جيشهم في هذا الوقت على حدود بيكاردي تحت قيادة كوندي الكبير وفي فصل صيف سنة ١٦٥٣ نشر هذا القائد المكين تخريباته حتى وصل الى شواطئ نهر السوم وكان الجيش الفرنساوي تحت قيادة طورين ثم ان جيشه وان كان قليل القوة الا أنه صارله طاقة على صد زحف خصمه الكبير في مدة الحرب وفي سنة ١٦٥٤ حاصر كوندي والارشيدوق ليوبولد مدينة عراس بجيش مؤلف من ٢٥٠٠٠ نفس من العساكر الاسبانية واجرا آت الحرب وان كانت جارية مع الشجاعة الا أن المارشال طورين ألزم كوندي على القهقرة فتقهقر عن المدينة تاركا في أيدي الفرنساوية ٣٠٠٠ أسير وفي سنة ١٦٥٦ بعد الميلاد انتصر البرنس كوندي نصرة عظيمة وذلك أنه هجم على فرقة المارشال دولافرتي وكانت انفصلت من الجيش الاصلي الموجود تحت قيادة طورين وهو محاصر مدينة فلنسيانه وأسر المارشال وضباطه و ٤٠٠٠ عسكري وفي هذا الوقت نجح مزرين في دخوله في معاهدة مع جمهورية انكلتره التي مدته بقوة مؤلفة من ٦٠٠٠ من مشاة الانكليز تحت قيادة الجنرال رينولدس وتغلب المارشال طورين في سنة ١٦٥٦ على مونطميدي وسنت فننط وماردبك وأعيدت قلعة ماردبك الى الانكليز وكان السعي الثاني للمتحالفين هو حصارهم قلعة دونكرك فسار جيش اسباني تحت قيادة كوندي والدون يوحنا الاوستريائي لخلاصها فهزمهما طورين شر هزيمة في واقعة حصلت في الدونس في ١٤ يونيه سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد وسلمت دونكرك مباشرة وتنازلت عنها فرانسا الى انكلتره حسب شروط المعاهدة ثم سار طورين لاخضاع غرافلينس فتغلب على فلندره وزحف على داخلها حتى صار على مسافة يومين من بروكسيله فتولد من هذه المصائب ضعف اسبانيا وابتدأت في الصلح وزادت رغبتها فيه بما رأت من مزرين أنه شكل اتحادا بين فرانسا وبافاريه والايالات الجرمانية من أجل المحافظة على معاهدة وسطفاليه فكان هذا الاتحاد سببا في فصل اسبانيا من باقي أوروبا بالفعل وفي أقطوبر سنة ١٦٥٨ بعد الميلاد فتح فيليب الرابع المخابرات في أن لويز الرابع عشر يلزمه أن يتزوج بالطفلة الاسبانية مريم تيريسه وكان لويز مغرما جدا بالجميلة مريم منسيني ابنة أخي مزرين فنقلها الكردينال من السراية وحض الملك على قبوله ما عرضه فيليب وسار الكردينال الى حدود المملكة وتقابل مع الوزير الاول الاسباني (الدون لويز دوهارو) على جزيرة الدراج في نهر بيداسوا نهر صغير يشكل جزأ من الحدود بين اسبانيا وفرانسا وتداول الاثنان في شأن وقوع الصلح وزواج الملك وفصلا الحكم فيهما وأكدت اسبانيا أن البرنس كوندي يلزم أن يشمل عفوا عاما حرا وأن يعود الى ما كان عليه في الديوان ويعود اليه شرفه وأملاكه فلم يقبل مزرين هذا الطلب مدة ثم قبله رغم أنفه عند ما هدده الوزير الاسباني وقال له الآن يلزمنا أن نجعل البرنس كوندي مملكة في فلندره يحكم فيها ومن ثم صدر عفو ملك فرانسا عن كوندي وأعيد الى حكومته في بورغندي وفي ٧ نوفمبر صار التوقيع على صلح البرنات وعلى حسب شروط هذه المعاهدة عقد عقد زواج الطفلة الاسبانية على لويز الرابع عشر ووعد أبوها بتسليمها كافة ما تطلبه في حقوقها التاج الاسباني وأعطاها نصف مليون كراون قيمة الزواج وان كافة الاولاد الذين ينتجون من هذا الزواج خارجون عن وراثتهم التاج الاسباني وتنازلت اسبانيا لفرانسا عن أراضي ارطواز ومدائن غرافلينس ـ ولندريسيس

ـ وطيونفيل ـ ومونطميدى ـ وافسنى وعدة مدائن أخرى واستلمت روسيلون وسردينيه وأعيد اللورين اسما الى دوقها الا أنه بقى فى الحقيقة تحت قبضة فرانسا فعـلى حسب ما كان مدونا فى معاهدة وسطفاليسه كانت فرانسا هى الكسبانة من الحرب مع بيت أوستريا ونجحت فى أن وطدت لنفسها محل السيادة فى أوروبا واستمرت على هذه السيادة قرنا ونصفا

ثم توجه لويز الرابع عشر الى (سنت حنادولوز) فى شهر مايو سنة ١٦٦٠ بعد الميلاد ومن بعد أن تقابل مع ملك اسبانيا مقابلة رسميـة فى جزيرة الدراج تزوج البرنسيسـة مريم تيريسـه فى كنيسة سنت حنادولوز فى ٩ يونيه من السنة المذكورة

وتولد من معاهدة البرنات وزواج الملك ارتقاء مزرين الى أعلى الدرجات فكان مثله مثل ريشيليو فانما عاش حتى يستوفى ما كان يؤمله ومات فى ٨ مارث سنة ١٦٦١ من بعد أن بلغ من العمر تسعا وخمسين سنة وكان أحد الرجال السياسيين الاكبر بأسالم يتردد فى أعماله مدة حكمه فرانسا ولولا ما كان عليه من الشح لكان ترك خلفه أحسن اسم

ومن بعد موت الكردينال مزرين أعلن لويز الرابع عشر باغراضـه من تقلده زمام حكومته فى يديه معولا على حكم فرانسا بالفعل والاسم وكان ذا أهلية عظيمة للعمل الذى تقلده وكان مزرين طالما يقول له الملك قوة كافية على تنصيب أربع ملوك ورجل واحد أمين فقط وكان لويز رجلا فيصلا ثابت الجنان جيد العزم ذا قريحـة وادراك حاد وحزم ومداومـة على الاشغال صبورا على تحمل مصاعبها فانه كان يمكث فى قاعة الشغل كل يوم نحو ثمان ساعات مشـتغلا بأعمال المملكة وكان على تصور كبير من أن الله حضره للحكم وراى نفسه أنه السيد المطلق فى أرواح رعيته وحريتها وأملاكها يفعل فيها ما يشاء ويختار واما اعتقد فى نفسه أنما أعطى سلطنته من عنـد الله تعالى رأى فى نفسه أنه منبع الشرائع والعدل وأن ما يخطر بباله فهو قانون المملكة وأما سيره فليس مسـؤلا عنه عند أحد سوى الله وقال فى محفل عظيم ان المملكة مقصورة على نفسى فكانت هذه الالفاظ دالة عندهم على أن لا حاكم فى المملكة غيره وكان صادق الوعد فى مدة سلطنته ونجح فى جعل مملكته فى أعوذج تام الوضع فى حكم مطلق مستبد غير مسؤل فيه لا يعرف له مثيل فى التاريخ وأما اجرا آته ومصالحه مع الدول الاجنبية فانه أثبت شرف تاجه مع شدة الغيرة والعنف وكان سفير اسبانيا فى ديوان لوندره تنازع مع سفير فرانسا فى سـبق دخوله أمامه الى الديوان فانذر لويز فيليب ملك اسبانيا انذارا شديدا حتى ان فيليب أرسل بلاغا شافيا الى لويز على لسان الكونت عونطيس معترفا بانه من الآن فصاعدا لا يمكن لسـفراء اسبانيا تقدمها فى الدخول فى دواوين الممالك على سفراء فرانسا وفعـل مثل هذه الفعلة أيضا فى ديوان رومة وذلك أنه حصلت سفاهة ووقاحة لسـفيره الدوق كريكى فى ديوان رومة حتى أطلق خفـر المملكة النار على عربته وهو مار فى طريقه فهدد لويز المملكة الباباوية بالبطش والانتقام منها وأرغم البابا اسكندر السابع على مراعاة شرفه واحترام سـفيره وفرق البابا خفره وأقام مسـلة فى رومة فى شرف لويز وأول الاجتهادات التى وقعت من لويز التفاته لاحوال المالية وكانت فى ارتباكات بينه تولدت من خيانة وزير ها نيقوله فوكيت فصار القبض على فوكيت المذكور وأرسل الى سجن الباستيل فى شهر سبتمبر سنة ١٦٦١ بعد الميلاد وعين الملك بدله الشهير حنا المعمدانى كولبرت وأحال الى عهدته سوى نظارة المالية مباشرته أعمال تجارة الاقاليم والزراعة والاشغال العمومية فوجد كولبرت حالة المالية مثل الحالة التى وجدها عليها سولى

الكبير فى مدة سلطنة هنرى الرابع فعكف على اصلاحها مع البراعة وفى بضع سنين وضع بيوت الاموال تحت نظام ثابت وزاد مجموع الايراد فى المملكة حتى بلغ الى مائة مليون يدخل منها فى خزينة المالية تسعون مليونا وفى مدة مباشرته أشغال المالية كان له طاقة على صرف المبالغ التى تلزم لمصاريف الحروب الكبيرة والمصاريف الباهظة اللازمة للملك أيضا مع انه لم يقع منه زيادة الضرائب وأدخل وفرا كبيرا فى ادارة دواوينه حتى وفر مبالغ جسيمة لاسراف الملك وساس كولبرت مع الحزم مصالح الاشغال العائد منها الثروة على المملكة وجعل طلبات الملك عند أهل المملكة سهلة جدا

وفى هذه الحالة التى كان لويز غرقان فيها من الشغل مع الذكاء فى ادارة مملكته واصلاحها كان مظهرا لاوروبا بالدلالة الكافية على عزمه على بقاء سمو ملوكيته وعول من قبل على تقسيم اسبانيا بكونه يضيف لتاجه أملاكها الموجودة فى البلاد الواطية وكل شغل مضى فى سلم فى السنى الاولى من حكمه تحولت حالته الى هذا الصدد وشجع البرتغاليين وكانوا استقلوا من اسبانيا بكونه تسبب فى زواج شارلس الثانى صاحب انكلتره بالبرنسيسة البرتغالية كاترينه ووطد صداقة شارلس لنفسه بانه اشترى منه قلعة دونكرك بمبلغ خمسة ملايين استرلينه فى نوفمبر سنة ١٦٦٢ بعد الميلاد ولما وطد لويز صداقة انكلتره دخل بعدها فى محالفة تعرضية وتدافعية مع الاقاليم المتحدة فى هولنده ومن ثم منعهم من اتحادهم مع اسبانيا ضده وفى سنة ١٦٦٥ بعد الميلاد هاج الحرب بين انكلتره وهولنده فاستغاث الفلمنك بمساعدة لويز حليفهم فارغب الدخول فى حرب مع انكلتره وسعى سعيا كان بغير ثمرة فى التوسط بين الفئتين ولما رأى لويز أنه يستحيل عليه تمام شئ أرسل قوة مؤلفة من ٦٠٠٠ نفس لمساعدة الفلمنك وأعلن حربا على انكلتره فى يناير سنة ١٦٦٦ وكان الحرب جاريا بالخصوص فى البحرين الاسطول الانكليزى والفلمنكى ثم انغلق هذا الحرب بواسطة صلح عقد فى بريده فى ٣١ يوليه سنة ١٦٦٧ بعد الميلاد وأعادت انكلتره لفرانسا الجهات التى تغلبت عليها فى أمريقه الشمالية والهند الغربى ومن قبل غلاق هذا الحرب اشتبك لويز فى الخلاف الاكبر الذى كان يتوقع حصوله من مدة طويلة وكان مستعد الملاقاته وذلك أنه فى شهر ستمبر سنة ١٦٦٥ بعد الميلاد مات فيليب الرابع ملك اسبانيا وخلفه من بعد موته ابنه الوحيد شارلس الثانى وكان شارلس ثمرة زواج ثان من فيليب فطلب لويز الرابع عشر أقاليم برنبط ـ وفلندره والاملاك الاسبانية الموجودة فى البلاد الواطية بحجة أن زوجته التى هى ثمرة الزواج الاول لفيليب الرابع لها الحق الاكبر زيادة عن شارلس الذى هو ثمرة الزواج الثانى فرفض الديوان الاسبانى هذا الطلب وقال للويز ان زوجته استلمت كافة حقوقها فى وقت زواجها فأجاب لويز بان هذا التسليم الذى قبل فى حق زوجته كان شرط الصداقها وما صار دفعه أصالة وانه صار ملغيا بهذا السبب ثم ان لويز قطع أمر هذه المجادلات مرة واحدة وفى ٢٤ مايو سنة ١٦٦٧ أرسل جيشه تحت قيادة المارشال طورين وعبر حدود فلندره ومن بعد أن تغلب على هذا الاقليم من دون مقاومة سلمت مدائنه الى لويز بمجرد ظهوره أمام كل واحدة منها بجيشه الامدينة ليلى فانها سلمت فى ٢٨ أغسطس ثم وقف الملك على حين غفلة فى حروبه بواسطة هدنة عقدت مع الاسبانيين لمدة ثلاثة شهور وعاد الملك الى باريس فتولد من الطمع وسرعة الظفر التى حصلت للملك فرانسا وقوع الرعب عند كافة أوروبا وصممت انكلتره وهولنده على توقيف زيادة توسيعاته وفى ٢٣ يناير سنة ١٦٦٨ بعد الميلاد عقدت معاهدة تعرف بالمعاهدة الثلاثية فى هاجو بين انكلتره وهولنده وأسوج واتفقت هذه

الدول على الدخول فى عقد صلح بين فرانسا واسپانيا وارغامهما على الاتفاق مع بعضهما مهددة لهما بالحرب ان حصل عدم قبول الصلح ودخلت هذه الدول فى تيسرها الحصول من اسپانيا على كونها تتنازل عن الجهات التى تغلبت عليها فرانسا على شرط أن لويز يتعهد بكونه يتنازل عن دعواه فى الاملاك الاسپانية الطالب لها فى نظير حق زوجته ومن قبل أن يعلن لويز رسميا بهذه المعاهدة أرسل جيشا مؤلفا من ٢٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة برنس كوندى الى قومطى الفرنساوية فتغلب على هذا الاقليم فى ظرف خمسة عشر يوما ولما استكفى لويز بهذه الفتوحات الجليلة رضى بالصلح وفى ٢ مايو سنة ١٦٦٨ بعد الميلاد صار التوقيع على معاهدة عكس الكنيسة وتنازلت اسپانيا لفرانسا عن كافة فتوحاتها على نهر السمبر ونهر الشيد ونهر سكارب ونهر ليس وكذا عن بورغيس وفورنيس على ساحل البحر وأعادت فرانسا لاسپانيا قومطى الفرنساوية الا أنها صارت فى حالة ضعيفة جدا بما أن العساكر الفرنساوية هدموا قلاعها وجردوها من سلاحها وتكفل أرباب المعاهدة الثلاثية سوية مع الامبراطور والايالات الجرمانية بتكميل ما بقى من الاملاك الاسپانية وعدم نقصها

ثم ان التحالف الثلاثى وان كان الواسطة فى غلق هذا الحرب الا انه كان منبعا وأصلا لحرب آخر أشد وأقوى من ذلك الحرب وذلك أن لويز صار على كراهة شديدة لجمهورية الفلمنك من كونها دخلت فى المساعدة التى تولد منها توقيف فتوحاته التى كان شارعا فيها بنفسه وعول على قصاصها ثم ان وزيرى لويز وهما كولبرت ولوفوا وافقوا أغراضه وعرضا عليه انه من قبل اخضاعه الاراضى الواطية الاسپانية يلزم له اذلال ايالات هولنده فمن ثم اشتغل لويز بدمار التحالف الثلاثى ونجح لويز فى كونه اشترى من المنافق شارلس الثانى ملك انكلترا اتفاقه على تركه محالفة هولنده بمبلغ مقداره ١٢٠٠٠٠ ليرة تدفع اليه سنويا وكان شارلس فى احتياج زائد للنقود والاستحواذ على جزيرة والخيرون وقلعتين أخريين فى حالة التغلب على هولنده وتكفل شارلس نفسه بمساعدة فرانسا بقوة مؤلفة من ٦٠٠٠ نفس وخمسين سفينة حربية واعترف اعترافا عاما بالديانة الكاثوليكية الرومانية وبذل جهده فى اقامتها مرة ثانية فى انكلتره فأما حالة اجتهاده فى تغيير الدين فى المملكة فانه تولد منه قيام ثورة شديدة فى انكلتره فدخل لويز فى مساعدة شارلس بالرجال والمال ووطد ملك الفرنساوية حيادة أهل اسويج والامبراطور وعقد اتحادا عظيما مع منتخبات كلونيه وهانوفر وأسقف منسطر وكل هذه الاشغال صار الحصول عليها بدفع مبالغ فى صفة برطيل ودخل الكثير من ملوك الايالات أو الامارات الجرمانية فى اتحاد مع بعضهم من أجل صد أغراض ملك الفرنساوية وبقى المنتخب الاكبر صاحب برندنبورغ على صداقة ومحالفة مع هولنده ورغبت اسپانيا فى توقيف زيادة الشوكة الفرنساوية فعقدت محالفة مع هولنده فى ديسمبر سنة ١٦٧١ بعد الميلاد وفى شهر ابريل سنة ١٦٧٢ شرع لويز فى حربه الاثيم الغير السياسى مع جمهورية الفلمنك وعبر الرين الاسفل فى رأس جيش مؤلف من ٢٠٠٠٠٠ مقاتل فى ١٢ يونيه من ثلاثة مواضع وفى بضع أسابيع تغلب على أقاليم غلدرلند (وأوطريخت) وعوفرسيل وقسم من هولنده وكان لويز رأسا فى رأس جيشه الا أن المدبر الحقيقى كان برنس كوندى والمارشال طورين وكان الفلمنكيون فى أول الامر غير متساعدين وحصل لهم الفزع الشديد ولما يئس دوويط الكبير من اجرائه عملا زيادة عن حفظه ما بقى فى يد الجمهورية قدم الى لويز شروط معاهدة مهينة فأغوى لوفوا ناظر حربية فرانسا لويز على رفض هذه الشروط فرفضها ملك الفرنساوية بحالة قبيحة وطلب

شروطا على حسب رغبته تولد منها النفور الشديد عند الفلمنكيين وقامت عاصفة الغضب فى وجه دويط وأعقب ذلك ثورة قتل فيها كل من دويط وأخيه بمعرفة أوباش الامة الفلمنكية وعهدت الاعمال الى غيليوم برنس أورنجه وأعطيت له شوكة مطلقة فكان انتخابا عظيما كما سيظهر وذلك أن غيليوم المذكور شرع فى اشعال نيران جديدة على أهل بلاده حتى صبرهم فى عزم جديد من أجل مقاومتهم عدوهم وقال لمجلس المملكة ان الاحسن للامة أنها بدل أن تسلم نفسها للفرنساوية تركب مراكب أسطولها مع ما يمكن نقله من الامتعة وتبحث لها عن محل تأوى اليه فيما بين أملاكها فى الجهة الهندية ثم حصل من براعة غيليوم فى أشغاله صيرورة المواد فى حالة مغايرة لما كانت عليه فى السابق وذلك أن الاسطول الفلمنكى كان فيه الطاقة على مقاومة الاسطولين المتحدين لفرانسا وانكلترة فى البحر وأما فى البر فان غيليوم أوقف تقدم لويز بالعمل المخيف الذى أوقع الرعب فى قلوب الفرنساوية وذلك أنه فتح الخوخ الكبيرة الموجودة فى أرصفة امستردام على البحر المحيط وأغرق أراضى المملكة بالمياه فمن ثم التزم الفرنساوية على وضع أنفسهم فوق المرتفعات الموجودة فى الارض وصار للاسطول الفلمنكى طاقة على وصوله الى جانب العاصمة والاشتراك فى المدافعة عنها وتولد من هذا وجود زمن موافق للاستعداد للمقاومة ودخل منتخب براندنبورغ فى محالفة مع الفلمنكيين وكذا انضم الامبراطور الى هذا الاتحاد ولو أنه كان وعد بالحيادة وسار جيش امبراطورى مؤلف من ٤٠,٠٠٠ مقاتل تحت قيادة منطيكوكولى نحو نهر الرين الا أن طورين حافظ على هذا النهر ببسالة حتى ما جعل للعساكر الامبراطورية قدرة على عبوره أو الالتحاق مع برنس أورنجه ولما عيل صبر منتخب براندنبورغ عاد متقهقرا الى ممالكه وسار معقباله طورين حتى وصل الى نهر الالبى فكانت هذه الاعمال سببا فى خلاص الامة الفلمنكية نوعا ولو أنها ما فعلت لنفسها شيأ زيادة عليها

وفى سنة ١٦٧٣ بعد الميلاد أغار لويز مرة ثانية على هولنده بقوة مؤلفة من ٣٠,٠٠٠ مقاتل وتغلب على مدينتى ماسطريخت الكبيرة وطريفس وفى هذه السنة احتل أيضا العشر مدائن الامبراطورية الموجودة فى الالزاس وكان تكفل فى معاهدة وسطفالية لنواب هذه المدائن بامتيازاتها فجردها منها ومن كافة ما كان لها فى شروط المعاهدة وأخضعها خضوعا تاما لطاعته وفى هذا الوقت صار تهديد فرانسا باتحاد مؤلف من هولنده والمملكة واسبانيا وعدة من أمراء الممالك الجرمانية وآل أمر النزاع الى حرب أوروباوى وتغلب برنس أورنجه على ناردين بعد حصار مكث ١٢ يوما ومع ما فعله طورين من المساعى فى منعه فانه انضم على جيش منطيكوكولى ثم تغلب المتحالفون على بونه بعد حصار قصير وكانت انكلترة من مدة طويلة على رغبة شديدة من فسخ المعاهدة التى عقدها ملكها مع فرانسا فمن شدة ثبات البرلمان الانكليزى التزم شارلس على كونه يترك اتحاده مع لويز ويعقد الصلح مع هولنده وفى سنة ١٦٧٤ بعد الميلاد عقدت معاهدة سلمية بين هولنده وانكلترة وحصل التوقيع عليها وبهذه الحالة صار لا يوجد محالف للويز الا اسويج فقط فمن ثم التزم على الانجلاء الى حدوده وسلمت الجمهورية من مطامع هذا الملك الكبير وما تيسر له من فتوحاته الاجربقه وماسطريخت وفى هذا الوقت تغيرت هيئة الحرب وميادينها بالكلية وفى مايو سنة ١٦٧٤ أغار لويز على قومطى الفرنساوية وفى أول توليه أخضع هذه الايالة لطاعته وأما فى فلندره فكان جيش الاتحاد تحت قيادة برنس أورنجه والجيش الفرنساوى تحت قيادة برنس كوندى فتشجع برنس أورنجه بكثرة عساكره واجتهد فى

الدخول فى فرانسا الا أنه فى هذا العزم صير جناح جيشه فى سنيفه عرضة لغاب فى حركته وكانت حركته فائدة لخصمه فارتاع برنس أورنجه من حركة عدوه وجمع قواه ووقعت بينه وبين القائد الفرنساوى برنس كوندى واقعة سافكة استمرت مدة من بعد غروب الشمس حتى فصلت شدة الظلام المتصاربين من بعضهما وكانت هذه الواقعة فى ١١ أغسطس سنة ١٦٧٤ بعد الميلاد ونتيجتها وان كانت غير فاصلة الا أن فائدتها العمومية كانت عائدة على جيش الاتحاد وأما فى نواحى الالزاس فان المارشال طورين بقوة قليلة طرد العساكر الامبراطورية من الالزاس وخرب بلاطيناطينة بحالة بربرية تقشعر منها الابدان حتى صارت هذه الفظيعة لطخة سوداء على اسمه وفى آخر السنة كتسب العساكر الامبراطورية بعض مظفرات فى الالزاس فزحف المارشال طورين وأهاج حربا مظفرة عليهم فى فصل الشتاء وطردهم عابرا نهر الرين ثانيا ووطد الالزاس توطيدا مستمر الفرانسا

وفى سنة ١٦٧٥ بعد الميلاد عبر لوبر نهر الرين مرة ثانية بجيش قوى تحت قيادة طورين الذى قتل من كلة مدفع فى ٢٧ يوليه والجيش الفرنساوية على عبور الرين مرة ثانية من بعد أن وقع بينهم وبين العساكر الامبراطورية واقعة مهولة فى نواحى مدينة علتنهيم التى قتل فيها طورين وشيعت جنازة طورين مع غاية الابهة ودفن فى دير سنت دنيس فى وسط ملوك فرانسا وخلفه فى قيادته البرنس كوندى الرجل الوحيد فى فرانسا الذى له قدرة على اجراء آراء الفروسية للفارس الفقيد ولما رأى كوندى أن الجيش الامبراطورى تحت قيادة منطيكيكولى عبر نهر الرين من جهة ستراسبورغ وحاصر مدينة هاجينو زحف على هذا الجيش فى واقعة وألزمه برفع الحصار عن هذه المدينة وعطل تقدماته ولم يدخل مع هذا الجيش فى واقعة عامة مثل ما كان يفعل طورين ثم انسحب منطيكيكولى من الالزاس وتوجه لقضاء فصل الشتاء فى (سبرس) ولما رأى كوندى نفسه فى هذه الحالة أنه صار رجلا طاعنا فى السن وليس له طاقة على مثل هذه الخدمة الشديدة استعفى من قيادته واعتزل فى أملاكه وقضى باقى حياته فى عيشة رغد ومات فى سنة ١٦٨٦ بعد الميلاد وكان هذا الحرب أيضا آخر حروب منطيكيكولى ولاقى هذا الشجاع مثل مالاقى كوندى وفى سنة ١٦٧٦ كانت الوقائع الحربية المشهورة التى حصلت فيها مقصورة على الحروب فى البحر فكان لفرانسا فى الثلاث وقائع التى وقعت فى البحر الابيض المتوسط على مسافة من ساحل جزيرة سيسيليا الظفر الكامل وفى آخر واقعة من هذه الوقائع انجرح دورويطر أميرال الاسطول الفلمنكى جرحا مهلكا

وفى سنة ١٦٧٧ بعد الميلاد حاصر الجيش الفرنساى تحت قيادة الملك والمارشال لكزمبورغ مدينة فلنسيانه وكانت الاعمال الحربية جارية بمعرفة المهندس الكبير فوبان وصار والتغلب على هذه المدينة فى أسرع وقت وأعقبها التغلب على كبرى وسنت عومير وأوقع لكزمبورغ هزيمة حادة على برنس أورنجه وكان سار من أجل خلاص مدينة سنت عومير وكانت هزيمته فى كاسيل فى ١١ ابريل وكان الجيش الفرنساوى فى الحدود الرينية تحت قيادة المارشال كريكى فأظهر فى هذا الحرب لنفسه أنه أول واحد من بعد طورين فى الفروسية والقيادة وأول رجل عسكرى فى فرانسا فانه هزم دوق اللورين فى نواحى (كوشرسبرغ) بالقرب من قلعة ستراسبورغ وتغلب على مدينة فريبورغ فى ١٦ نوفمبر وفى هذه الاثناء توجهت الافكار نحو علاقة الحرب وبواسطة تداخل مملكة أسوج صار عقد مجلس فى مدينة نيميغين فى سنة ١٦٧٥ ورغب الفلمنك الذين تحملوا أشد المصائب من هذه الحروب

فى عقد صلح على حدتهم مع فرانسا فعارض غيليوم برنس أورنجه فى هذا الرأى ورغب فى الحصول على جلب انكلتره نحوه لاجل ارغام لويز على عقد صلح شروطه موافقة لجهة الديانة البروتستانتية فباع شارلس الثانى صاحب انكلتره نفسه أيضا الى لويز بمعاش كان مقداره فى هذه المرة ٢٠٠٠٠٠ ليره تدفع له سنويا ووعده أن لا يشكل أدنى اتحاد من دون رضا فرانسا ومع هذا فان برلمان انكلتره ساعد مع الحمية ما كان عليه غيليوم من الآراء وألزم مجلس العوام ملك انكلتره باعلان حرب على فرانسا ووعده بالمساعدات الكبيرة وأخذت المضايقات تزداد بشدتها على ظهر الملك وأخيرا التزم على قبوله مرغوب الامة ثم توجه غيليوم برنس أورنجه الى انكلتره وفى ٢٣ أقطوبر سنة ١٦٧٧ تزوج البرنسيسة مريم البنت الكبرى لدوق يورقه وفى ديسمبر من هذه السنة عقدت معاهدة تعرضية وتدافعية بين انكلتره وهولنده واتفق الدولتان على ارغام ملك الفرنساوية على قبوله شروط الصلح وما كان لويز على خلاف من وقوع الصلح الا أنه كان يرغب فى عمل شروطه بنفسه فقام لويز بحركة جسورية وتغلب على مدينتى ابريس وغنط فتولد من هذه الغلبة أن صار له طاقة على عقد شروط مع هولنده على حسب رغبته ومن أخبار هذه الفتوحات اتضح لبرنس أورنجه ان ملك انكلتره منافق فى مخالفته فكان ذلك سببا فى كون وزراء الفلمنك عولوا على قبول شروط الصلح التى قدمها لويز والدخول معه فى معاهدة على حدتهم من دون مراعاة حلفائهم ومن ثم صار التوقيع على معاهدة نيميغين بين هولنده وفرانسا فى ١٤ أغسطس سنة ١٦٧٨ بعد الميلاد وتنازلت هولنده لفرانسا عن أملاكها فى سنغال وغينا وكان الفرنساويون تغلبوا عليها وفى ١٧ سبتمبر وقعت اسبانيا على المعاهدة وتنازلت لفرانسا عن عموم قومطى الفرانساوية واحدى عشر مدينة على ساحل فلندره من ضمنها فلنسيانه وكبرى وابريس وسنت عومير وجميعها مداين حصينة ومن ثم كانت اسبانيا هى الاكثر خسارة فى الحرب الذى شرع فيه من أجل التغلب على هولنده وفى ٥ فبراير سنة ١٦٧٩ وقع الامبراطور على المعاهدة وانتهى الحرب وكان صلح نيميغين سببا فى زيادة شوكة لويز الرابع عشر ورقيه الى أعلى درجات الفخر ولقبه أهل باريس بلقب (الاكبر) وشيدوا اعقود الظفر على باب سنت مارتين وباب سنت دنيس شرفا له فكان أقوى ملك فى أوروبا وتعالى بظفراته وتصور فى نفسه أن هذه خاصية لا يستحقها غيره ورأى نفسه أنه سيد عموم أوروبا كما أنه سيد عموم فرانسا وما استكفى بهذه المعاهدة حتى انه فى سبتمبر سنة ١٦٨١ ضبط مدينة ستراسبورغ الحرة القديمة وأضافها الى تاجه وجعلها مدينة لا يمكن التغلب عليها بواسطة ما أنشأه عليها المهندس فوبان من الاستحكامات واستمرت تحت يد فرانسا الى سنة ١٨٧٠ بعد الميلاد وتقوى لويز بما حصل له من النصر واستمر على سلبه فشكل برنس أورنجه اتحادا من الدول الاوروباوية من أجل تقوية شروط معاهدة نيميغين الا انهم كانوا جميعا فى حالة ضعف من الحروب حتى انهم مارغبوا فى تجديد حروب أخرى وصار عند لويز طاقة على خطفه عشرين مدينة من الملوك المجاورين له وأضافها الى ممالكه وفيما بين سنة ١٦٨١ وسنة ١٦٨٣ تغلب على اقليم لكزمبورغ بجيشه وجعله قسما من مملكته وصار الحرب على شرف الهياج مرة أخرى ولولا أنه تداخل فى هذه المسئلة مجلس عموم هولنده وفى ١٥ أغسطس سنة ١٦٨٤ حصلت المخابرة بعقد هدنة لمدة عشرين سنة بين الامبراطور واسبانيا وفرانسا وكانت حالة فصل مؤقت وذلك أن الدول التى سلب لويز أراضيهم عولوا على عمل اجتهاد آخر فى كسر شوكته ومع انه كان فى عظيم شوكته الا أنه هيج غضب

أوروبا عليه وبذر البذرة التي جلبت عليه في اخر سنيه ارتباكات لاحصر لها

وكان لويز الرابع عشر وزير نفسه وذلك أنه من بعد موت مزرين قال أحد الاشراف مع قطع اليأس على من نعرض الآن مطلوبنا وكان هذا الشريف على غير دراية من سيده فأجابه الملك بسرعة مشيرا الى نفسه العرض يكون لي ومن هذا الوقت جعل لنفسه يدا قوية الشوكة وشرع في مشروعاته السياسية في غاية من الحزم في أشغال الحكومة فكانت كما قال لاحد أخلائه (المملكة هي أنا) وكانت سياسته في الخارج في نجاح تام وصارت فرانسا في مدته رأس الممالك الكبيرة في أوروبا من بعد أن لبثت مدة طويلة مخيما عليها ظل المملكة واسبانيا وما استمر هذا القتام فوقها فانها بمفردها في برهة من الزمن صارت أقوى من أي مملكة من الممالك جيرانها ثم اننا اذا قارنا ما كان عليه لويز من نجاحه في مشروعاته الخارجية مع سياسته العائلية نراه أنه كان في عيشته الاهلية أقل سعادة عند رعاياه وذلك أن هذا النجاح ما كان موافقا على الدوام لرفاهية رعاياه فان سياسته كانت هي السياسة التي كانت جارية في مدة هنري الرابع بمعرفة ريشيليو ثم انتقلت هذه السياسة الى أيدي مزرين فكانت جميعها سياسة واحدة تولد منها حطم كافة الاحكام في فرانسا وجعلت السلطة مستقلة في يد الملك وحده وتوالت هذه السياسة على كافة المدائن الحرة حتى صارت فرانسا جميعها في حالة واحدة وخضعت الاشراف تحت نافر الذل وكان الصلح الديني الذي أعقب منشور نانطيس مصيبة كبرى على الهوغينوطيين فطال عليهم الظلم فما بلغوا درجة الشهادة ولا وصلوا الى مقام الشجاعة وتركوا في زوايا النسيان فسلكوا في أشغالهم التجارية على حسب قواعد دينهم فصاروا أهل ذمة في معاملتهم وحازوا الوثوق من كل جهة واحتكروا على التدريج أشغال المملكة وتجاراتها وصارت التجارة الاجنبية لفرانسا تحت أيديهم وكان كولبرت أخا صادقا للتجارة ومقويا لأمورها الا أن سياسة ريشيليو كانت في المدة السابقة مدمرة لهم عالما انه كان ناظرا لهم بعين أنهم قوة سياسية في الامة ولما طرد أشراف البروتستانت على التدريج ودخلوا تحت السلطنة القائمة في الديوان الفرنساوي عاد غالبهم الى الكنيسة الكاثوليكية وانقرض الدين الكالفيني من الطوائف العالية لانه ما كان يوجد انسان مثل كوندي وكوليغني أو مثل هنري ملك نقاره يضارب من أجلهم في وقت الحاجة وصار الهوغينوطيون في هذا الوقت أرباب صنائع في الآلات والتجارة الا أنهم نموا وكانوا متسعدين وعلى غاية من الفوز في أمورهم ولما كانوا الاخوف منهم صاروا عرضة للحسد والعداوة فصارت الدسائس تحصل في حقهم بالقول ان عدو الدين لا يكون صديقا للمملكة فاتفق انه في هذه الاحوال حصل الشروع بحماسية مبادي شوكة جديدة في فرانسا وكانت شوكة جلبت كثيرا من المصاعب على المملكة وذلك أن لويز الرابع عشر ما كان عنده أدنى استثناء يختص بالملوك من جنسه المعاصرين له في مدته ومن شدة تسلطن العشق والغرام الذي لا يمكنه ازالته انهمك في لذات الحب المفرط الشهواني وما حصل من زواجه تأثير الا قليلا فانه ترك زوجته بسراريه من النساء ثم حصل في نفسه وسوسة وتخيل فحصل منه تغيير متوال في سراريه فكانت الست لا فاليير أول من كان لها اليد العالية عنده في السيادة ثم استبدلها بالماركيزه دومونطسبان وكانت في دورها صاحبة جمال وأم أولاد من قبل فتركها وتسرى بالست دومنطنون وكان ما أجرته هذه الست في ديوان لويز الرابع عشر له وقع كبير في التاريخ فانه ما كان يوجد أدنى شك في ارتباطاتها الطيبة مع الملك وأما نفوذها على الملك فكانت له أدلة كثيرة جدا قبيحة الوقع وكانت عند الملك في حالة خارقة للعادة من غرامه بها وكانت تربت في

مدة صغرها فى الدين البروتستانتى ولما دخلت فى عنفوان شبابها ارتدت الى الدين الكاثوليكى ومع انها كانت زوجة الشاعر سكارون كان منظورا لها بعين الاحترام عند الفرنساوية ومن جمالها وعذوبة كلامها صار لها كثير من الاحباب ومن بعد موت زوجها صارت معشوقة الملك ورقاها الى درجة ماركيزة وجعلها مربية لاولاده ويوجد فى الكثير من الناس الضعف الشديد وحب الطمع الزائد فما كان يوجد عند لويز الرابع عشر استثناء فى هيئة الحكم العام ومثله (فرنسيسه دوبنيه) لانها لما كانت ارتقت الى رتبة ماركيزة دومنطنون فكان الطمع والضعف مشتغلين عندهما بحالة عمومية وكانت رغبة دومنطنون اظهار نفسها أمام معاشر الناس والدنيا بان الشوكة فى يدها ومن أكبر مطامعها أن تكون هى أم الكنيسة الكاثوليكية فمن ثم صارت تحت نفوذ اليسوعيين وكانت عقائد هذه الطائفة انتشرت من قبل فى المملكة وكانت الاشغال الاصلية الواقعة من هؤلاء الجزويت هى حطم الاصلاح وقطع جذور المتشعبذين فاشتغلوا بالطريقة التى توصلهم الى هذا الغرض عند الملك ورأوا انه لو صارت الست دومنطنون تحت نفوذ كلمتهم دخل الملك أيضا تحت سلطتهم فابتدؤا فى هذا الشغل مع الآلة المستعدة لهذا الفعل وهو (بيرلاشيز) خورى الملك ولا ريب أن الست دومنطنون حضنت أمرهم واشتهر بانه من ابتداء تسلطن نفوذ هذه المرأة على رأس لويز الرابع عشر صارت سياسة الحكومة فى حق الهوغينوطيين فى غاية العنف والقسوة وعلم فى هذا الوقت أن الملك ابتدأت صحته أن تصاب بنوبات من المرض فمن دون شبهة كانت الست دومنطنون تنتهز الفرصة وقت حصول المرض عند الملك فى قضاء أشغالها مهمة وكانت الخرافات والقساوة والفجور متسلطنة عليه فلامته دومنطنون على ذلك فانقاد لويز الرابع عشر الى طرقها الخبيثة وقالت له انه بصفة كونه ملك الامة الفرنساوية هو المسؤل عن راحة أمته ومن الواجب عليه حفظ اتحاد الكنيسة وشوكتها الا أن أرضه امتلأت بالمتشعبذين وان وجودهم سخط على المملكة ومانع بينه وبين السموات وكانت الست دومنطنون فى أقوالها هذه مع الملك ومجالستها المؤيدة بمساعدة خورى الملك

وما كان عند الملك أدنى سبب يوجب كراهته الهوغينوطيين فانه فى مبادى شبوبيته وفى أثناء القلاقل الكبيرة التى كانت واقعة من الفروندين كانوا أصدقاء الملك وقال ان جده كان يحب الهوغينوطيين من دون خوف منهم وكان أبو يخشاهم من دون محبة لهم وأما هو نفسه فانه لا يخشاهم ولا يحبهم فكان ماخرج من فم الملك من قوله انه لا يحب الهوغينوطيين ولا يخشاهم عند الذين يرغبون ذلك كنغمات ضربت على أوتار أطربت سامعيها الا أن الملك ما قال بعد هذه الالفاظ انه يبغضهم أو أنه لا رغبة له فى وجودهم لانه وان كان ملكا كبيرا الا أنه ما كان فى حكم نفسه بل كانت أغراضه أغراض آخرين كانوا يتداولون معه فى المحادثات فلاجل ادخال السرور عليهم صار وسيلة فى وقوع الذل والفزع والارتباك الذى لا يتصور وجوده على ملايين من رعاياه وظهرت فى هذا الوقت هذه السياسة الفظيعة وكان الهوغينوطيون سالكين من عدة قرون مضت مسالك الادب وأطوع رعايا الحكومة فلما ظهرت هذه الادارة الشنيعة فى حقهم تعكر السلم فى كافة أنحاء فرانسا وتلبكت سلامة الهوغينوطيين من دون جريمة وارتاعوا من كونهم وجدوا أنفسهم عرضة لمظالم شنيعة مرة أخرى من بعد أن كانوا فى هدو من مدة سنين مضت من دون أن يحصل من أحدهم أدنى جريمة وصارت الاوامر والمناشير يتلو بعضها

بعضا كل منها فيه زيادة حض على ظلم الهوغينوطيين وجميعها موقع عليها باسم الملك وكان كل أمر أشد من الذى قبله فى توقيع هذا الجور وفى سنة ١٦٨٣ اشتد هذا الجور زيادة عما مضى فانه فى يوم صار طرد الهوغينوطيين من محلات عبادتهم وفى اليوم الثانى تجردوا من الوظائف التى كانوا قابضين عليها ثم صدرت اللوائح بتجريدهم من أملاكهم حتى من أولادهم ومن المحتمل أنه كان يمكنهم تحمل العنا تحت هذه الاوامر الصادرة من الملك الا أن حالة الهوغينوطيين صارت أصعب حالة فى وقت تجمع قوى عساكر البوليس والعسكرية وحكام الحكومة فى تقوية هذه الاوامر وبولد من صدور الاوامر الملوكية يتلو بعضها بعضا الغضب الشديد حتى انه علم منها انه صار نكث الشروط المختصة الاساسية المندرجة فى منشور نانطيس براحة الهوغينوطيين وعلم بداهة أن مقصد الذين هيجوا الملك على فعل مثل هذا الظلم الغاء هذا المنشور وتجريد الهوغينوطيين من حريتهم وامتيازاتهم المندرجة فى هذا المنشور المعتبر أنه مخصص حريتهم الكبيرة وعزموا على اجراء هذا الفعل مع التدريج ولما خابت الاوامر والمنشورات فى تمام مقصدهم سعوا فى تمامه بواسطة ما يقال له (الدراغوناد) وهم شرذمة مؤلفة من ناس متسلطين فى رأسهم الاساقفة ثم خدمة الدين يأمرون الهوغينوطيين بالارتداد عن دينهم وفى حالة رفضهم اجراء ذلك يتركونهم تحت رحمة الدراغوناديين ثم صدرت أوامر أخرى فى هذه المدة بقتل كل من ارتد عن الدين الهوغينوطى ثم تحركت شفقته به وفى ظرف ثلاث سنوات هاجر من المملكة ٥٠٠٠٠ عائلة الى جهات مختلفة

ومع هذا فان الحالة ما أخذت نهايتها فان الملك كان خاليا من الزواج من سنة ١٦٨٣ وكان حرا فى كونه يتزوج كما يختار فوقعت الاشاعة بأنه تزوج بالستدومنطنون فكان فألا مشؤما على الهوغينوطيين وفى هذه السنة صار الغاء منشور نانطيس رسماوعلنا وظهر صراحة للعالم اذ أنه دخل الملك فى زواج جديد صار لا رحمة عنده ولا رأفة ولا لزوم لشرح ما حصل من الفظائع التى وقعت بل يكفى أن نقول انه أعقب هذا الزواج جور وظلم شنيع وهاجر من المملكة أمم لا حصر لعددها من الذين هم أكثر نفعا لفرانسا وطلب من خطباء الهوغينوطيين اما أن يتركوا البلاد أو يفقدوا حياتهم ومنع عوامهم من ترك البلاد تحت هذا العقاب وأعلن بالغاء عقد الزواج على المذهب الهوغينوطى وان الاولاد الذين نتجوا من هذا الزواج لا حق لهم فى الوراثة وأخذوا من أهلهم رغم أنفهم ووضعوا فى الديورة وهاجر الكثير من خطبائهم من فرانسا وما بقى منهم الا القليل فوقع القبض على البعض وقتلوهم فمن الذين هاجروا من قطن فى بلاد السويس وقطن آخرون فى الاراضى الواطية والبعض فى جرمانيا والبعض فى انكلترة والبعض هاجر الى أمريقه البعيدة وتولد من حسن أخلاقهم وتمدنهم ودرايتهم بالعلوم والصنائع ثروة كل أرض حلوا بها وبقى كثير منهم فى أرض فرانسا فى أشق الاحوال متحملين شدة المضايقات محافظين فى قلوبهم على دين آبائهم منتظرين بصبر يوما يتخلصون فيه وقام البعض منهم فى نواحى سفينه وحملوا السلاح واستمروا فى حرب شديد ما خمدت نيرانه الامن بعد سفك دماء كثيرة ومن المستحيل أن نذكر الغاء منشور نانطيس الذى أعقبته المظالم التى وقعت مباشرة بحالة أخرى فضلا عن كونه كان تهديدا وكان هذا غلطا وحشيا ينبئ عن قلة دين واعلانا جهرة للدنيا من احدى الحكومات الكبيرة الكاثوليكية على أنه ما كان يوجد ذنب فى هلاك هؤلاء الناس الا اختلاف فى الدين فقط وكذا حصلت مذبحة فى يوم عيد سنت بارطلمى أيضا الا أنها كانت أقل سفكا وأقل مجاهرة

بالقساوة

بالقساوة من الاولى غير أنه ما كان فيها رجة عند مخترعيها وكانت نتائجها على الحزبين متعادلة فى المصائب وتحمل العناء فكانت محل سلب وجرائم وكانت سببا فى غناء آخرين من الجهات على مصاريف فرانسا فعلى حسب ماذكر مارتين أنها كانت سببا فى كونها سلبت من فرانسا ما ينوف عن مليون من الناس وهؤلاء كانوا أغنى أهلها فكانت هذه الاحوال أحوال نهب فضلا عن أن تكون اقتصادية وكانت نتائج احساسات قبيحة عدوانية بين الكاثوليك والبروتستانت وكانت سببا فى الدمار ومحو الآثار فى المملكة وحلول السخط على الممالك المسيحية وقدم الملك اعتذاراته فى هذه المادة وذكر أنه قال انه ما كان له دراية بما وقع من الفظائع التى حصلت باسمه وانه على علم فقط من أنه صار لا وجود للهوغينوطيين فى مملكته وعلى أنه لا حاجة لوجود منشور نانطيس حتى انه رضى بالغائه ومع ما وقع منه من هذه الاعتذارات فان الغاء منشور نانطيس استمر الى الابد بقعة سوداء على اسم لويز الرابع عشر وعلى أفعال دومنطنون الخبيثة وعلى اسم الماركيز لوفوا الآلة الاصلية فى تنفيذ الاوامر الملوكية

ثم كانت الثورة التى حصلت فى سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد ودوّلت منها جلوس غليوم برنس أورنجه وقرينته مريم على تخت انكلترة ضربة حامية على رأس لويز وتشكل اتحاد جديد عليه فاما أن يكسر هذا الاتحاد أو يترك ما هو عليه من السلب فانتهز الفرصة فى وقت انتخاب برنس بافاريا فى من أجل منتخبة كلونية وكانت هذه المنتخبة تحت حكومته فجعل هذه علة وشرع فى الحرب وأغار على بلاطيناطية فى أقطوبر سنة ١٦٨٨ بعد الميلاد بجيش مؤلف من ٨٠٠٠٠ نفس تحت قيادة الدوفين وكل من المارشالين دوراس وفوبان وتغلب على مدينة فيليبسبورغ من بعد حصار استمر شهرا ومن بعدها خضعت منهيم واحتل كافة بلاطيناطية الموجودة على الشاطئ الايسر من نهر الرين فرقة عسكرية تحت قيادة الماركيز بوفلرس وتغلب المارشال دوميير على دينظ من أسقفية ليبغ وبما أن لويز ما كان على طاقة من احتلاله كافة بلاطيناطية فتخابر مع وزيره الوحشى لوفوا وزير حربيته فأمره بتدمير كافة بلاطيناطية بالسيف والنار فحرق هدلبرغ مع سراياتها الجليلة ومنهيم وورمس وسبير وأوبنهيم وبنغين وصارت المملكة الظريفة صحراء سوداء فأما سكانها الذين أمكنهم الهرب فانهم هاجروا من أرضهم الى بلاد أخرى وما زاد عن مائة ألف من الفلاحين صاروا رحالين نازلين لا مساعد لهم فى وسط خرابات بلادهم يدعون بالويل ويلعنون الظالم العديم الرحمة الذى صيرهم فى هذا العناء الشديد فتولد فى جرمانيا من شدة فظاعة الفرنساوية كراهة الجرمانيين لهم كراهة ما أمكن ازالتها من قلوبهم لحد الآن ونتج من هذه الفظائع أيضا نتيجة مهمة هى تشكيل اتحاد جديد على فرانسا مؤلف من انكلترة وهولندة واتحاد أوغسبورغ وخرج من هذا الاتحاد ثلاثة جيوش فى ميدان الحرب كان الجيش الاول تحت قيادة برنس والديك فدخل هذا الجيش الاراضى الواطية وهزم المارشال دوميير فى نواحى والكورط وألزم الفرنساوية على القهقرة من خط نهر السامبر والجيش الثانى تحت قيادة دوق اللورين والثالث تحت قيادة منتخب براندنبورغ زحفا على الرين وتغلبا على ميانسه وبونه ومن بعدها توجها لقضاء فصل الشتاء فى بلاطيناطية ولم يزل فيهما طاقة على مساعدتهما مع ما حصل فيها من التخريبات البربرية التى فعلتها الفرنساوية

وكان روح الاتحاد انكلتره الموجودة الآن تحت الحكم الشديد لغيليوم أورنجه فاجتهد لويز فى ضعف انكلتره بمساعدته جس الثانى من أجل عوده على تخته فارسل جس الى ارلنده فى رأس قوة كبيرة من العساكر فى شهر مارث سنة ١٦٨٩ بعد الميلاد وفى فصل صيف سنة ١٦٩٠ سفر أسطولا مؤلفا من ثمان وسبعين سفينة من السفن الحربية من أجل نزول عساكره على أرض انكلتره فالتقى هذا الاسطول على مسافة من رأس بيتش فى يوم ٣٠ يونيه بالاساطيل المتحدة لانكلتره وهولنده فلاقى الفلنكيون حرارة الحرب مع البسالة وأما القائد الانكليزى فقيل انه تمنع من الدخول فى الحرب وكان موجها أفكاره فى السر نحو ما يعود على جس بالفائدة ومن ثم التزم الاسطول الاتحادى على الانسحاب والبحث عن مأوى يأوى اليه فى نهر الطمس وصار انتظار اغارة الفرنساوية على انكلتره ضروريا ومن بعد الواقعة بيوم أى فى غرة يوليه سنة ١٦٩٠ بعد الميلاد هزم غيليوم قوى جس فى ارلنده فى واقعة بوين ومن بعد الهزيمة هرب جس الى فرانسا وصار غلاق الحرب فى ارلنده فى شهر يوليه سنة ١٦٩١ وسمح للعساكر الفرنساوية بالعود الى بلادهم وتوجه معهم جم غفير من الارلنديين الذين أدوا خدمات جليلة لملك فرانسا وكان لويز فى مبادى سنة ١٦٩٠ عين مارشال لكزمبورغ فى قيادة جيشه فى الاراضى الواطية فعبر لكزمبورغ نهر السامبر رغما عما وقع من مقاومة برنس والديك وهزمه فى واقعة كبيرة وقعت فى نواحى فاوروس فى ٣٠ يونيه سنة ١٦٩٠ وفى فصل ربيع سنة ١٦٩١ تغلب الجيش الفرنساوى تحت قيادة الملك نفسه على مدينة مونس من بعد حصار لبث تسعة أيام وفى فصل صيف هذه السنة مات لوفوا المكين الجبار وزير حربية فرانسا وما أسف عليه أحد سوى الملك لانه شق عليه أن يجد واحدا يعينه مكانه وفى شهر مايو سنة ١٦٩٢ صار جمع جيش فرنساوى مؤلف من ٣٠٠٠٠ نفس بالقرب من شيربورغ بقصد الاغارة على انكلتره وجلوس جس على تخته الذى كان ضاع منه وعهدت قيادة هذا الجيش الى الملك جس والمارشال بليفوند وبينما كان طورفيل مستعدا باسطول مؤلف من أربع وأربعين سفينة حربية من أجل شحن العساكر اذ صدر له الامر من لويز بالهجوم على أسطول انكليزى وفلنكى دخل مياه الخليج مؤلف من تسع وتسعين سفينة حربية ومع أن طورفيل ما كان مؤملا النصر على هذا الاسطول المهول الا أنه أجاب الامر الملوكى من دون تردد وهجم على أسطول المتحالفين فى ١٩ مايو سنة ١٦٩٢ على مسافة من جزيرة ويط واستمر فى محاربة طول النهار وانسحب باسطوله فى مدة الليل والتجأ أغلب مراكبه فى مرساة لاهوج وقذفتها الرياح الى البر فكانت غنيمة للعدو وهجم عليها الانكليز تحت قيادة الاميرال روولك فى ٢٣ مايو ودمروها وكان جس الثانى ناظرا حركة الواقعة من مرتفعات الشواطئ ومع أنه قطع الامل مما كان فى فكره من العشم الا أنه ما وقع عنده أدنى استغراب من شجاعة بحرية الانكليز وضعف حال لويز بالكلية مما وقع له من خسارة أسطوله حتى انه ترك أمر جس الذى صرف ما بقى من حياته فى عزلة رهبانية فى دير سنت جرمان وفى ٢٥ مايو سنة ١٦٩٢ بعد الميلاد شرع لويز بنفسه فى حصار مدينة نامور أقوى قلعة فى البلاد الواطية الآن فوبان كان لا يغلبه شئ مثل هذا وسلمت المدينة فى ٥ يونيه فزحف الملك غيليوم من أجل خلاص هذه المدينة مع جيش مؤلف من ٧٠٠٠٠ مقاتل فصده لكزمبورغ ببراعته حتى انه صار لا طاقة له على عبور نهر السامبر من أى جهة ما وفى ٢٤ يوليه رغب غيليوم فى فصل مادة هذا الحرب بواقعة فاصلة

فهجم على المارشال لكزمبورغ فى نواحى سطنكيرك من أعمال هينولط وكانت الواقعة من أهول الوقائع الا أن غيليوم التزم أخيرا القهقرة وقاد حركة قهقرته ببراعته المشهورة حتى وصل الى بروكسيلة وفتح غيليوم حرب سنة ١٦٩٤ بالبحث عن اخراج لويز وكان متقلدا زمام قيادة الجيش الفرنساوى لواقعة فاصلة بالقرب من لوفين ومع أن الاحوال كانت موافقة جدا عند ملك الفرنساوية الا أنه امتنع من مقابلة هذا الخصم الكبير وترك جيشه على حين غفلة وأرسل جزأ من عساكره الى جرمانيا فأفسد هذا الفعل شهرته بصفة انه قائد وما عاد لمثلها فى قيادة جيش فى ميدان حرب وفى ٢٩ يوليه وقعت واقعة مسفكة دموية فى نيروندين بين الملك غيليوم والمارشال لكزمبورغ كانت نتيجتها هزيمة الملك غيليوم وقاد رجعة عساكره مع البسالة حتى قال فيه أخصامه ان فيه طاقة كبيرة على اجراء مايلزم فى حق الهزيمة زيادة عن اجرائه مايلزم فى النصر وفى نفس هذه السنة هزم المارشال كاطيناط دوق صاقوا فى مارسغليا وفى ٢٧ يونيه هجم الاميرال طورفيل الفرنساوى على الاسطول الانكليزى تحت قيادة رووك فى جون لاغوس وكان الانكليز أعدوا أسطولا كبيرا مشحونا جميعه بتجارات ثمينة فتغلب الفرنساوية على هذا الاسطول التجارى وعلى أربع مراكب حربية وتجرع تجار الانكليز كاس الغصص من قطاع السبل الفرنساوية ونهبهم تجاراتهم وفى ينايرسنة ١٦٩٥ بعد الميلاد مات القائد مارشال لكزمبورغ وخلفه فى القيادة المارشال فيلروا وكان سن المارشال لكزمبورغ بلغ سبعا وستين سنة ولما استلم المارشال فيلروا قيادة الجيش سمح للملك غيليوم بتغلبه على مدينة نامورة وكان نجاحه أدخل علامات الاصلاح فى طالع بخت المتحالفين والى حد هذا الوقت كانت فرانسا منذ سبع سنوات مشتبكة فى حروب لاانقطاع لها حتى دمرتها ودخل فى المالية الارتباك والاختلاس بعد ماتركها كوبرت وصار لويز متلهفا على عقد الصلح فعكف نفسه على فسخ الاتحاد وذلك انه من بعد أن سلم بينرول ونيس وكافة الاملاك التى تغلب عليها البيت صاقوا نجح فى كونه حض دوق صاقوا على ترك الاتحاد والتوقيع على معاهدة صلح مع فرانسا فى ٣٠ مايو سنة ١٦٩٦ ومع أنه حصلت ملامة هذا الدوق من الاتحاد فى مبادى الامر الا أنه سار على منواله أعضاء الاتحاد وقدمت اسويج مداخلتها فى السلم العمومى وحصل التوقيع على معاهدة ريسويك فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٦٩٧ بعد الميلاد بين فرانسا وانكلترة واسبانيا وهولندة وسلمت فرانسا الاسبانيا ماتغلبت عليه فى كطلونيا ــ ودوقة لكزمبورغ ــ ومداين شارلروا ــ ومونس ــ واطى ــ وكبرى واعترف لويز بان غيليوم الثالث هو ملك انكلترة وعهد على نفسه انه ماعاد يتداخل فى أمر جس ومن بعد مضى شهر وقع الامبراطور ليوبولد على المعاهدة مع غاية الاشمئزاز وتنازلت له فرانسا عن الاراضى الامبراطورية التى تغلبت عليها من عهد معاهدة نيميغين الا أنها أبقت لنفسها قلعة ستراسبورغ وأعادت دوقية اللورين الى دوقها المستحقة له فكانت شروط هذه المعاهدة من أذل الشروط على لويز الا أن ضرورة مملكته المضمحلة أحوجته لعدم الخيرة فيما رغبه فكان هذا الصلح ضروريا لفرانسا وغير هذا كان لويز على رغبة من تيسر الحصول على فترة من الزمن يمكنه فيها السعى فى تنفيذ أغراضه الشارع فيها من مدة طويلة من أجل وراثة التاج الاسبانى وكان شارلس الثانى الملك المتسلطن فى اسبانيا على شرف الموت وما كان له ولد يرثه فصار طلب تخته فى حال موته بواسطة ثلاثة أحزاب مؤسسة طلباتها على أنها من بنات فيليب الرابع وكانت البنت الكبيرة مريم تيريسه متزوجة بلويز

الرابع عشر ملك فرانسا ومرغريطة الصغيرة بالامبراطور ليوبولد فكان أولاد البنت الكبرى هم بالبداهة الاقرب لوراثة التخت الا أن الاسبانيين احتجوا بتسليم مريم تيريسه فى وقت زواجها كافة حقوقها وبذا لا يكون لها ولا لاولادها حق فى وراثة التخت وأثبت لويز من طرفه أن هذا التسليم ملغى بسبب عدم دفع الصداق المخصوص به وان طلب أولاد زوجته من العدل وأما الامبراطور فانه أعلن تخت اسبانيا فى طلبه له من أجل ابنه الثانى الارشيدوق شارلس بن مرغريطة ابنة فيليب الرابع ثم تقدم طلب ثالث وهو طلب البرنس منتخب بافاريه وكانت أمه ابنة الامبراطور ليوبولد والامبراطورة مرغريطة وكانت الامة الاسبانية تراعيه على العموم وكذا شارلس نفسه بانه الوارث المستحق للتخت فما انتظر لويز الرابع عشر توطيد نجاح طلباته من دون مشقة بل أمل باستمرار دسائسه فى تيسره الحصول ولو على نصيب من الممالك الاسبانية ومن أجل هذه الغاية تخابر فى معاهدة مع غيليوم الثالث فى أقطوبر سنة ١٦٩٨ من أجل تقسيم الممالك الاسبانية فى وقت موت شارلس الثانى فأما اسبانيا وأملاكها فى أمريقة والاراضى الواطية الاسبانية فانها تعطى للمنتخب برنس بافاريه ويعطى لفرانسا مملكة نابولى وسيسيليا وبعض مين معاومة فى نواحى طوسقانه واقليم غيبوسكوه الموجود فى الحدود وتعطى دوقة ميلان للارشيدوق شارلس ومع ما كان عليه الاحزاب الطالبون من الاحتراز فى أشغالهم فان شارلس الثانى بلغه ما حصل من السعى فى تقسيم ممالكه من دون المخابرة معه فأعلن فى الحال بصورة قويه وراثة برنس بافاريه للممالك الاسبانية ثم من بعد مضى قليل مات برنس بافاريه بغتة فى بروكسيله فى ٦ فبراير سنة ١٦٩٩ واشتبه فى موته بانه كان من أوستريا بقصد ازالته

ومن بعد موت المنتخب برنس بافاريه صار حض شارلس الثانى صاحب اسبانيا بواسطة القوة الفرنساوية وكانت متسلطنة فى هذا الوقت فى ديوانه على كونه يعلن فيليب انجو الابن الثانى للدوفين وحفيد لويز الرابع عشر بانه هو الوارث له وفى غرة نوفمبر سنة ١٧٠٠ بعد الميلاد مات شارلس فتردد لويز الرابع عشر فى مبادى أمره فى أن يبقى على صداقته فى معاهدته مع غيليوم الثالث أو يثبت حفيده ملك اسبانيا وأخيرا اختار فى نفسه توطيد حفيده على تخت اسبانيا وصار اعلان البرنس الشاب بكونه صار ملكا على اسبانيا فى مادريد تحت لقب فيليب الخامس وفى ٥ ديسمبر سافر من فرسايل متوجها الى ممالكه الجديدة وأعلنت كافة الجهات الاسبانية بملوكيته وتقرر أمره بواسطة انكلتره وهولنده وعدة دول أخرى أجنبية فأقام الامبراطور الحجة على تنصيبه واستعد للحرب من أجل توطيد التاج الاسبانى لابنه الارشيدوق شارلس وتجنب الدول الاوروباوية الاخرى مثل هذا الحرب ومن المحتمل أنه كان يمكن زوال هذا الكرب الواقع لولا أن لويز أغضب انكلتره وأرعب هولنده بسياسته المجرمة فى هذه المدة وذلك أنه من بعد موت جمس الثانى قرر لابنه الكبير الملقب بالزعيم أنه ملك انكلتره فكان ذلك نكثا لاشغاله مع غيليوم وفى نحو هذا الوقت طرد محافظى الفلمنك من عدة مدائن فى البلاد الواطية كانت منحت لمملكة هولنده بصفة أنها حدود لها فى هذه الجهة فغضب غيليوم الثالث من اقرار لويز على هذا الزعيم وجعله اعلان حرب على انكلتره وتسبب فى عقد المعاهدة الثانية الكبرى بين انكلتره والامبراطور وهولنده وبروسيا ومنتخب بلاطيناطية وكانت مقاصد هذا التحالف منع اجتماع تاجى فرانسا واسبانيا فى شخص واحد وتوطيد وراثة تاج اسبانيا لجهة الامبراطور وصيرورة الاراضى الواطية الاسبانية حاجزا فاصلا بين فرانسا وهولنده وكانت الحروب انفجرت فى ايطاليا من قبل عقد

هذه

هذه المعاهدة وهو أن جيش الامبراطور دخل لومباردى تحت قيادة البرنس أوجين صاحب صافوا فى مايو سنة ١٧٠١ بعد الميلاد وطرد الفرنساوية تحت قيادة المارشال كاطيناط من الاقليم الواقع بين نهر أديجه ونهر عدّه فتبع المارشال فيلروا كاطيناط فهزمه أوجين شر هزيمة فى شيارى وكريمونه وانتهت السنة بعدم حصول فائدة لفرانسا ومن حلول الفصل وقعت أعمال عظيمة أيضا وهو أن غيليوم الثالث ملك انكلتره مات فى ٨ مارث سنة ١٧٠٢ بعد الميلاد وأعلنت خليفته الملكة عانى عزمها على استمرار سياسته وعينت لورد مارلبروغ لقيادة القوى الانكليزية فى القارة وعهد الى مارلبروغ أيضا قيادة القوى الامبراطورية وفى حرب سنة ١٧٠٢ أرغم الفرنساوية تحت قيادة المارشال بوفلير بترك كافة نهر الموز وسلمت له مدائن فنلو ـ وسطفانس ـ وروريموند على التعاقب وفى ٢٨ أقطوبر تغلب على مدينة ليبغ بالهجوم عنوة فارتفع لورد مارلبروغ بهذا الحرب المفتخر فوق رؤس القواد الاورباوية وازدادت أهمية انكلتره جدا فى الاعمال الاورباوية وكان الحرب فى بدمونط جاريا بمعرفة البرنس أوجين وقاد فيليب الخامس بضع شهور القوى الفرنساوية والاسبانية اسما وفى هذه السنة ما وقع فى هذه الجهة واقعة فاصلة وكان الحرب فى جرمانيا غير فاصل أيضا وأما فى البحر فكان طالع المتحالفين سعيدا وفى ٢٢ أقطوبر سنة ١٧٠٢ نجح أسطولهم فى كونه تغلب وأغرق الاسطول الاسبانى فى الهند الغربى فى خليج ويجو وكان مشحونا ذهبا وفضة

وفى سنة ١٧٠٣ تغلب مارلبروغ وكان ارتقى الى رتبة دوق على منتخبة كلونية وكان حاكمها حليف فرانسا وكان أخوه أيضا منتخب بافاريه وكذا تغلب المتحالفون على ليمبورغ وغلدرس وفى هذه السنة حاز المارشال فيلار الفرنساوى الظفر وكان النصر الاكبر له فيها فانه عبر نهر الرين وأجرى حركاته حتى اتصل بمنتخب بافاريه فى وادى الدانوب وكانت القوى الاوستريانية مشغولة باخماد ثورة حصلت فى هنكاريا وكانت الطريق مفتوحة الى مدينة فيانه فعرض فيلار للمنتخب فى كونه يسير على الفور زاحفا نحو العاصمة الامبراطورية وكان متحققا من سقوطها الا أن المنتخب خاف من حركة جسورية مثل هذه وشرع فى التغلب على الطيرول حتى تغلب على مدينة عنسبرولك ثم قام عليه الطيروليون فى جموعهم وطردوه من أرضهم وفى هذا الوقت دخل الجيش الامبراطورى بافاريه فى هيئة قولين وهدد مونيخ فقطع فيلار جميع أجزاء من حركاته الماهرة المواصلة بين هذين القولين وفى ٢٩ سبتمبر هزم أحدهما وكان تحت قيادة كونت سطيروم فى هوخسطادثم ان فيلار حض المنتخب مرة ثانية على الاغارة على أوستريا فلما رفض المرة الثانية طلب من الملك عزله من قيادته وخلفه فى القيادة المارشال مارسين ومن بعد قليل اجتهد المنتخب فى تنفيذ رأى فيلار الا أن الوقت كان مضى ثم ان الفوائد التى اكتسبتها فرانسا بواسطة المارشال فيلار وازنها ما حصل من دوق صافوا فانه ترك فرانسا واسبانيا وانضم مع المتحالفين فى ٢٥ أقطوبر وقطع المواصلة بين اسبانيا وايطاليا وعقدت مملكة البرتغال محالفة دوامية مع انكلتره ولما نال المتحالفون هذا الطلب تيسرت لهم وسائل الاغارة على بحيث جزيرة اسبانيا فى أى وقت شاؤا ووسعوا فى آرائهم وأضافوا على طلبهم الاملاك الاسبانية فى ايطاليا وفى الاراضى الواطية من أجل الارشيدوق شارلس طلبهم أيضا له التاج الاسبانى

وفى أثناء هذا الحرب حصلت ثورة وأخذت فى الزيادة بين بروتستانت جبال سيفينه فى حدود

لنغيدوق وكان الذى أوجبهم لهذه الثورة ماوقع عليهم من المصائب التى حلت بهم من طرف الكنيسة الكاثوليكية والحكومة أيضا واستمروا عدة سنوات مدافعين مع الشدة والنجاح عن أنفسهم فى جبالهم القاطنين فيها فبمجرد عود المارشال فيلار من جرمانيا صار ارساله بأمر من الملك لاطفاء الثورة فنجح فى اتمامه هذا الشغل بعزيمه الشدة والكرم فى معاملته العصاة وانتهت الارتبا كات الرئيسة مع غلاق سنة ١٧٠٤ الا أن الثورة ما صار اخمادها بالكلية الا فى آخر سنة ١٧١٠ بعد الميلاد وفى سنة ١٧٠٤ انتقل الحرب الى جرمانيا فعبر مارلبروغ نهر نيكار فى ٤ يونيه وانضم مع الجيش الامبراطورى تحت قيادة البرنس أوجين وفى ١٣ أغسطس حاز هذان القائدان نصرة قاطعة على الفرنساوية والباقاريانيين فى نواحى بلنهيم فتولد من هذه النصرة ارغام الفرنساوية على القهقرة خلف نهر الرين وتركوا جرمانيا للمتحالفين وهرب منتخب باقاريه من ممالكه الى الاراضى الواطية وكفى الله جرمانيا من الاغارة وتهددت فرانسا تهديدا شديدا وفى شهر أغسطس تغلب أسطول المتحالفين تحت قيادة الاميرال رووك على قلعة جبل طارق الحصينة وأخذ عزم الاسطول الفرنساوى فى استحواذه عليها مرة ثانية وفى اكتوبر سنة ١٧٠٥ تغلب ارل بيطربورو غ على مدينة برسلانه وصار اعلان شارلس الثالث بانه صار ملكا فى أقاليم اراغون وكطالونيه وفلنسيه وأما الفرنساويه فى ايطاليا فكان طالعهم سعيدا فوعاقانه فى أغسطس سنة ١٧٠٥ هزم دوق فندوم البرنس أوجين فى كاسانو وكانت وقائع سنة ١٧٠٦ من أكبر المصائب على الفرنساويه فانه فى ابريل حاز البرنس أوجين نصرة أخرى على الفرنساويه فى كلسيناتو وكان فى استعداد من تتبعه هذا الظفر بطردهم من طورين لولا أن صدر له أمر بالالتحاق بالدوق مارلبروغ فى فلندره فحصل الانضمام بنجاح وفى ٢٣ مايو انهزم الجيش الفرنساوى تحت قيادة فيلروا شر هزيمة فى نواحى راميليس وتبدد حاله فكانت هذه النصرة سببا فى وقوع كافة برنبط وقسم كبير من فلندره فى أيدى المتحالفين واحتاوا برو كسيله وأعلنوا شارلس الثالث بانه صار ملكا فيها ومن بعد ذلك بقليل خضعت مدائن انطوريب وغنط وعوسطند ومنين وطيرموند واطى وفى فصل خريف سنة ١٧٠٦ أحاط الفرنساويه بمدينة طورين وكانوا تحت قيادة دوق أورليان ابن أخى ملك فرانسا والمارشال مارسين ولما عاد البرنس أوجين من فلندره انضم الى دوق صافوا وزحف من أجل خلاص طورين وفى ٧ سبتمبر هجم على متاريس الفرنساويه وطرد جيش المحاصرين نحو جبال الالب وضبط المعسكر الفرنساوى وجملة الطوبجية التى كانت معه واحتل المنصورون لومباردى فى الحال وأعلنوا شارلس السابع بانه صار ملكا فى ميلان وأما فى اسبانيا فكان طالع بخت المتحالفين قليلا فان الاسطول الانكليزى تغلب على عليكنطه وقرطاجنه واحتل الجيش الانكليزى مادريد تحت قيادة لوردغالوى من بعد أن هرب عنها فيليب الخامس مع ديوانه وأعلن شارلس الثالث بانه صار ملكا فى مادريد وهرب فيليب الخامس الى بورغوس وحصلت مداولة شديدة فى فرسايل على أن فيليب يلزم أن يتنازل عن اسبانيا لخصمه ويأخذ المستعمرات الواسعة لهذه المملكة عملكة له فما قبل لويز الرابع عشر خسارة منافع حفيده وفى سنة ١٧٠٧ بعد الميلاد حصل تغيير فى هيئة الاعمال وذلك أن الاسبانيين اختاروا الفرنساويه فى خلافة تخت هم عن الاوستريانيين وقاموا على المتحالفين وطردوهم نحو فلنسيه وعاد فيليب الى مادريد فى وسط تهليل الامة وفى الواقعة الفاصلة التى وقعت فى المنزا انهزم الجيش الانكليزى البرتغالى

تحت

تحت قيادة اللورد غالوى بواسطة دوق برويك ابن جمس الثانى الذى كان مستخدما فى الحكومة الفرنساوية وسلمت الاقاليم النافرة فى اسبانيا الى فيليب وتوطد أمر البوربون مع الظفر فى اسبانيا ثم وقعت اغارة على فرانسا من جهة اروفنس بواسطة جيش الاتحاد تحت قيادة برنس أوجين ودوق صافوا كانت نتيجتها محسوسة وأرغمهما المارشال طيسى على رفع الحصار عن طولون من بعد أن فقدا نحوا من عشرة آلاف نفس من عسكرهما وعجز قدوم الدوق مارلبروغ فى البلاد الواطية مدة السنة واستحوذ المارشال فيلار على خطوط سطولهوفين من بعد نصرة جليلة وكان يظن لحد هذا الوقت انه لا يمكن التغلب عليها وأما فى ايطاليا فان الفرنساوية أرغموا على الانجلاء عن كافة ايطاليا الشمالية وتغلب الجيش الامبراطورى القليل العدد تحت قيادة المارشال دون على مملكة نابولى وأعلن فيها شارلس الثالث بانه صار ملكا

ومع أن فرانسا كانت على نجاح فى كل وقت الا أن موقعها كان آخذا فى شدة الخطر كل سنة فان المملكة اضمحلت من كثرة مصاريف الحروب وكانت جباية الاموال فيها بغاية الجهد وصارت الديون بارباح باهظة وترتبت وظائف ومصالح جديدة على حساب السنة القابلة وضربت عوائد تخربت عليها البلاد وصارت المعاملة الجارية بالنقود الورق وكل حملة جديدة يعقبها مضايقة جديدة وسمع للامة ضجيج وتذمر فى أنحاء فرانسا وصار عزل شاميلار طوزير المالية وتعين بدله ديسماريط ابن أخى كولبرت الكبير غير أنه ما كان فيه أدنى قوة لخلاص المملكة وكان لويز سببا فى خراب المملكة بسبب ما كان عليه من تعصبه فى الدين وفى سنة ١٧٠٨ برز المتحالفون الى ميدان الحرب بقوة ثقيلة فى الاراضى الواطية تحت قيادة دوق مارلبروغ والبرنس أوجين وفى ١١ يوليه انتصرا نصرة باهرة على قدوم فى (عودينارد) فكانت هذه النصرة سببا فى صيرورة الحد الشمالى لفرانسا تحت عفوهما وتغلبا على ارطواز وبيكاردى مع غاية السرعة وحاصرا ليل وأرغمت على التسليم فى ٢٢ اكتوبر من بعد مدافعة شديدة حصلت من المارشال بوفلير وأعيدت بروكسيل من منتخب بافاريه ووقعت كافة الاملاك الاسبانية وقسم من فلندره الفرنساوية فى أيدى المتحالفين ومما يضاف على بؤس اضمحلال فرانسا أن فصل شتاء سنة ١٧٠٨ وسنة ١٧٠٩ ما ورد مثاله فى شدة الصقيع حتى ثلج فيه نهر الرون وصقعت كافة الكروم والبساتين والحبوب التى صار بذرها وعدمت من كثرة الصقعة واتضح جليا أنه لا بد من حصول قحط شديد فى فرانسا فى السنة القابلة وصقعت كافة العائلات وصارت على شرف الموت فى أخصاصها الرثة ومن جهة الى أخرى عم البؤس والعناء فى جهات فرانسا فوقع النفور العام فى عموم المملكة وقامت الاهالى فى ثورات وأنذروا الملك وصارت المملكة على شرف الفتنة الشديدة من أجل ابطال هذه الحروب فخضع لويز لقومه وعرض الصلح على المتحالفين فرفضوا عرضه وطلب منه شروط مذلة لا يمكنه قبولها الا بضياع شرفه فكان من ضمن شروط أخرى طلبت منه أنه يجب عليه توجيه سلاحه على حفيده فيليب الخامس ويضمن على نفسه اخراج العائلة البربونية من التخت الاسبانى فرفض سماع مثل هذه الاقوال واستغاث بحمى الامة الفرنساوية فى مساعدة على سعى آخر وأرسل الملك وكثير من الاشراف أوانيهم الذهبية والفضية ودقوها نقودا وبذلوا مجهودهم فى جمع المبالغ اللازمة لمصروف السنة فى الحرب وتيسر الحصول أيضا على مبلغ خمسة وثلاثين مليونا ليرة من المستعمرات الاسبانية الموجودة فى الهند الغربى وتعين المارشال فيلار

فى قيادة الجيش فى فلندره وزحف على قوى المتحالفين تحت قيادة دوق مالبروغ وأوجين وكانا تغلبا على طورناى وهدما قلعة مونس والتقى الجيشان مع بعضهما فى مليلاكيت فى ١١ سبتمبر سنة ١٧٠٩ وكانت الواقعة التى حصلت من أشد الوقائع التى وقعت فى الحرب بجميعه انجرح فيها المارشال فيلار وحمل من الميدان فكان ذلك سببا فى هزيمة جيشه وكانت خسارة المتحالفين تزيد عن ٢٠٠٠٠ نفس فكانت هذه الخسارة أثقل من خسارة الفرنساوية وتقهقر الجيش المهزوم مع غاية الانتظام نحو فلنسيانه وكتب فيلار الى الملك ان هزيمة أخرى مثل هذه تجعل فرانسا فى سلامة من المساعى الحاصلة من محالفيها الاكبر واحتل المتحالفون مدينة مونس وكانت سلمت من بعد الواقعة مباشرة

وفى سنة ١٧١٠ جدد لويز اجتهاداته فى طلب الصلح وقدم المتحالفين مليون ليره فى ظرف شهر لمساعدتهم على طرد فيليب الخامس من اسبانيا فأصر المتعاطمون فى رأيهم على أنه من اللزوم مساعدتهم فى هذا السعى بجيوشه فقال لويز الطاعن فى السن اذا كانا الحرب لازما فانى أرجع الحرب على أعدائى لا على أولادى ثم ان المارشال فندوم انتصر نصرتين جليلتين واحدة على الانكليز فى نواحى بريهوغه فى ٩ ديسمبر وأخرى على الجيش الاصلى الامبراطورى فى نواحى قرية فيسيوسه وكان تحت قيادة شارلس الثالث فى يوم ١١ ديسمبر وطرد شارلس من اسبانيا وتوطد فيليب على كرسى هذه المملكة ثم ان الاحوال أخذت فجأة فى تغيير الاعمال من دون أن تخطر على بال وذلك أن انكلتره ضجت من الحروب التى تحملت منها أثقال مصاريف جسيمة وما اجتنت من ثمراتها الاحزابا قليلة وذلك أن حزب المحافظين انتزعت من أيديهم شوكة الحكومة واستحوذ أعداء مالبروغ على ادارة الحكومة الانكليزية وعولوا على سحب انكلتره من الحرب وكذا تولد من موت الامبراطور يوسف الاول فى سنة ١٧١١ بعد الميلاد جلوس الارشيدوق شارلس على تخت أوستريا ثم بعد قليل صار انتخابه امبراطورا بلقب شارلس السادس ووجد المتحالفون أنفسهم فى هذا الوقت فى موقع يلزمهم فيه معاضدة طلب الامبراطور التاج الاسبانى فربما يتولد من نجاح هذا الطلب زيادة الضرر فى سلم أوروبا بزيادة عن استمرار فيليب الخامس على تخت اسبانيا وربما يكون ذلك احياء السلطنة التى حرموا لويز منها فكانت هذه المواد قوة دافعة لحصول المخابرات من أجل الصلح وفى أكتوبر سنة ١٧١١ بعد الميلاد قبل تتويج الامبراطور شارلس السادس بشهرين صار التوقيع على معاهدة صلح ابتدائية فى لوندره بين فرانسا وانكلتره

وفى أثناء هذه المدة كانت الحروب جارية كما كانت عليه وفى سنة ١٧١١ حارب دوق مالبروغ آخر حروبه وصارت تذكارا لما وقع له من النصر الجليل دفعتين فانه تغلب على المعسكر الحصين الذى كان حصنه فيلار (فى ارلوكس) وتغلب على قلعة بوشين المنيعة فازداد بهذا حسد أعدائه له فى لوندره وطلبوه من دار الحرب وجردوه من وظائفه وكان الحرب فى سنة ١٧١٢ جاريا بواسطة البرنس أوجين من جهة المتحالفين وفى مقابلته المارشال فيلار من جهة فرانسا فأرعب فيلار أوجين وانهزمت قوى الاتحاد تحت قيادة لوردالبيمارل ووقع القبض عليه فى دونين وسلمت دوواى وكيسنوى وبوشين على التوالى مع السرعة الى فيلار وأعاد الحد الشمالى لفرانسا على التعاقب وكان معقودا مجلس صلح فى أوطريخت من أول يناير سنة ١٧١٢ فكانت هذه المظفرات موادا صلاحية عاد منها النفع الجليل

على

على فرانسا عند أرباب هذا المجلس وكان لويز وقع فى أشد الاحوال من الحزن على ماحاق به من المصائب فانه فى ابريل سنة ١٧١٢ مات الدوفين ابنه الشرعى الوحيد وخلفه بصفة وارث له على التخت دوق بورغندى برنس على غاية من النجابة وفى فبراير سنة ١٧١٢ ماتت الشابة الدوفينة (عدليدة صافوا) وكانت محبوبة جدا عند الملك والحكومة بحمى تيفوسية ومن هذا الحى مات أيضا الدوفين بعدها ومن بعد مضى شهور مات ابنهما البكرى دوق بريطانى فصار فى هذا الوقت أخوه الاصغر منه دوفينا أى ولى عهد الحكومة وكان غلاما ضعيفا متمرضا وكان الوارث الثانى للتخت من بعده فيليب الخامس صاحب اسبانيا فرأى المتحالفون فى هذه الحالة انه لابد من حصول الخطر ان لم يحصل صلح فى الحال لانه ربما تحصل جامعة فى تاج فرانسا واسبانيا فى يد فيليب الخامس وتضيع المزايا التى توالت من الحرب وكان هذا الخوف أقوى شئ عند أرباب السياسة وفى ١١ ابريل سنة ١٧١٣ وقعت فرانسا وانكلترة وهولنده واسبانيا والبرتغال وبروسيا وصافوا على معاهدة صلح أوطريخت وذكر فى شروط هذه المعاهدة أنه لايجوز جامعة تاج فرانسا واسبانيا فى قبضة ملك واحد وان اسبانيا تتنازل عن مملكة نابولى ودوقية ميلان وجزيرة سردينية والاراضى الواطية الاسبانية الى أوستريا وتعطى جزيرة سيسيليا الدوق صافوا مع لقب ملك وأن يكون حذاء القلاع الموجود فى الحدود من ابتداء فورنيس على ساحل البحر الى شارلروا ونامور متنازلا عنه من طرف فرانسا وتكون المحافظة عليه من طرف الفلمنكيين بصفة حد حاجز بين فرانسا والبلاد الواطية وأعيدت قلعة ليل الى فرانسا وهدمت استحكامات دونكرك ووافق لويز على الاقرار بان المملكة عانى هى المملكة المستحقة شرعا لوراثة سلطنة بريطانيا الكبرى ووراثة منتخب هانوفر أيضا للتاج الانكليزى من بعدها كما حصل الفصل فى ذلك فى انكلترة بواسطة قانون الوارثة وارغام الزعيم وعائلته بالخروج من فرانسا وفصلت قلعة جبل طارق وجزيرة نيوفاوندلند ـ واسكوطية الجديدة ـ ومينة ماهون فى يد انكلترة وأعيدت الى دوق صافوا أراضيه وقرر المتحالفون أمر فيليب الخامس بانه ملك اسبانيا وصار تعيين الحدود بين مملكة اسبانيا ومملكة البرتغال فرفض الامبراطور قبول هذه المعاهدة فكانت نتيجة عدم قبوله اياها هياج حرب آخر بين فرانسا وأوستريا وكانت مباشرة الحرب من طرف فرانسا جارية بمعرفة المارشال فيلار ففاز هذا القائد الفرنساوى النجاح الاكبر فى بلاطيناطية وهزم القوى الاوستريانية وتغلب الفرنساوية على سبير ـ وورمس ـ ولندو ـ وفريبورغ فرغبت أوستريا فى هذه الحالة فى الصلح وانعقدت عدة مجالس بين فيلار والبرنس أوجين كان نتيجتها عقد معاهدة راسطاد بين فرانسا وأوستريا فى مارث ومعاهدة بادن بين فرانسا والامارات الجرمانية فى سبتمبر سنة ١٧١٤ بعد الميلاد وكانت شروط هذه المعاهدات عين الشروط المندرجة فى معاهدة أوطريخت

وخرجت فرانسا من الحرب فى غاية من الضعف وصار من الواجب أن نقدم لها التهانى على أنها مع ماوقع فيها من المصائب وتحمل العناء والآلام حفظت استقلالية نفسها وحدودها وصار حضرة لويز الرابع عشر على ترك الاحلام الجليلة التى كان يراها فى شبوبيته فمن ثم صار على رغبة زائدة فى قبوله هذا الصلح المهين لانه به ينتهز الفرصة فى احياء مااندثر من سعادة مملكته وماتدمر من شهرة فرانسا واعادة الامن بها ووصل دين المملكة الى مبلغ ٤٣٠,٠٠٠,٠٠٠ كراون وصار رهن ايراد المملكة فى عدة سنين مستقبلة وضعف بالكلية حال الصناعة والزراعة والاشغال الاخرى المعول عليها فى حياة سكان

المملكة وصار التفليس عاما ومات ألوف من أهل المملكة من القحط والامراض وكان كل هذا قيمة ما دفعته فرانسا فى تطير جلوس العائلة البوربونية على تخت اسبانيا التى تجردت على حسب نص شروط المعاهدات من أعظم أملاكها وما عاش لويز حتى يتم الحرب ويتطر راحة مملكته وكانت صحته أخذت فى العجز والوهن مدة ولما تحقق من حلول أجله عين مجلس نيابة تحت رياسة دوق أورليان من أجل مباشرة ادارة المملكة فى مدة صغر ابن حفيده وكان طفلا عمره خمس سنوات ولاجل المحافظة على الخلافة فى حالة ما اذا مات هذا البرنس من دون عقب أمر بصيرورة ولديه الشرعيين من الست مونطسپان وهما دوق مين ودوق طولوز وأدرجهما فى سلسلة خلافة التخت ومن بعد قليل أصيب بمرضه الاخير ومات فى فرسايل فى غرة سبتمبر سنة ١٧١٥ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر سبعا وسبعين سنة وتسلطن اثنتين وسبعين سنة وكان عصر لويز الرابع عشر أعظم عصر منير فى فرانسا فانه بصرف النظر عن الحوادث التى سبق التعبير عنها قد ظهر فى هذا العصر فحر كورنيل – وبوالو – ومولير – وراسين فى الآداب التشخيصية وباسكال – ومالبرنش – وماسيلون – ودوكانج – ونيقوله – وروشفوكولد – ولابروير فى الآداب العالية وكان بلغاء فرانسا وفصحاؤها فى هذا العصر فنلون – وبوردالو – وماسيلون – وفلشيير – وكان پوسين – ولاسور – وكلودلورين – ولوبرون – ومنيارد – ومنسارد – وپيرولط من أجل العالم فى فن النقش وأشغال العمارات وكان ديوان فرانسا أنموذجا فى الزخرفة والظرافة الا أنه كان كثيبا مجردا من الفضائل وما وجد فى مدة ما من مدد تاريخ فرانسا ظهور ثروة وأبهة مثل ما ظهر فى عصر لويز وكانت دماثة الاخلاق والحذق والذكاء هى الوسائط الكبيرة لدرجات الامتيازات الحقيقية بين الامة الفرنساوية وكانت أساسا فى مراعاة العوائد الفرنساوية فى ممالك أوروبا ومع هذا فان الاهالى كانوا فى حالة فقر شديد وكدر مع ما كان من تسلطن هذه الابهة والفخفخة بينهم وفى السنين الاخيرة من هذه السلطنة وقع القحط فى الامة الفرنساوية وكانت حكومة فرانسا فى هذه المدة مستبدة فى حكمها المطلق وكانت حياة الامة وسعادتها وحريتها مقصورة على الملك الذى جمع فى قبضته شوكة المملكة والله أعلم

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ من موت لويز الرابع عشر الى انعقاد مجلس المملكة ﴾

لويز الخامس عشر – نيابة دوق أورليان – أقبح عصر فى تاريخ الفرنساوية – القسيس دوبوا – التحالف الرباعى – حزازة بين فرانسا واسپانيا – ثورة ثلمار – حرب مع اسپانيا – حنالو – المشروع المسيسيپى – خيبة هذا المشروع – تقليد لويز الخامس عشر زمام الحكومة – زواج لويز بمريم ليزنسكى – حنق اسپانيا – الرخصة الفضولية – عدم مراعاة دوق بوربون – الكردينال فلورى – أعماله العنيفة – الحرب البولندى الوراثى – معاهدة ڤيانة – الحرب الاوستريانى الوراثى – موت الكردينال فلورى – واقعة دطنغين – التحاق لويز بجيشه – مرضه فى متز – موت الامبراطور شارلس السابع – واقعة فونتينوا – تغلب المارشال سكس على بلجيقا – صلح عكس الكنيسة – الست پومپادور – قلاقل المالية وارتباكاتها – السعى فى فقد حياة الملك – حرب السبع سنوات – انضمام فرانسا مع الاتحاد على پروسيا – مظفرات الفرنساوية – اتفاق

كلوسطرسقن ـ وزارة شوازول ـ معاهدة باريس ـ فقد فرانسا أملاكها فى أمريقه ـ طرد الجزويت ـ موت الست دو پومپادور والدوفين ـ الست دو بارى ـ محافظة فرانسا على قورسقة ـ سقوط شوازول ـ شدة مظالم لويز ـ النفور العام ـ دائرة المعارف ـ موت لويز الخامس عشر ـ لويز السادس عشر ملك فرانسا ـ صفته ـ مريم انطوانيت ـ أعمال طورغوط فى المالية ـ نيكار ـ مساعدة فرانسا المستعمرات الامريقانية ـ حرب مع انكلتره ـ مساعدة اسبانيا فرانسا ـ واقعة رأس سنت فنسن ـ التسليح الحيادى ـ المساعدة الكبرى التى أجرتها فرانسا للممالك المتحدة فى أمريقة ـ تسليم كورنواليس فى مدينة يورقة ـ هزيمة الاسطول الفرنساوى فى الهند الغربى ـ حصار جبل طارق ـ صلح فرسايل ـ الارتباكات فى المالية ـ استعفاء نيكار ـ خيبة دوكالون ـ كثرة المصاريف فى الديوان ـ زيادة نفور الامة ـ مجلس الوجوه ـ عزل كاكون ـ ضرب الكردينال بريين عوائد جديدة ـ مقاومتها ـ طلب التئام مجلس المملكة ـ الثوران فى باريس والاقاليم ـ ماأجراه لويز من الرأى الضعيف ـ طلب الملك مجلس المملكة ـ طلب نيكار مرة ثانية ـ فصل شتاء سنة ١٧٨٨ وسنة ١٧٨٩ بعد الميلاد

سلطنة لويز الخامس عشر

كان لويز الخامس عشر يبلغ من العمر خمس سنوات لما جلس على التخت الفرنساوى فأول عمل فى سلطنته نكث دوق أورليان رغبة لويز الرابع عشر لكونه ترك مجلس النيابة وقبض على شوكات الحكومة وادارتها بمفرده وكان فيه بعض من الصفات الطيبة الا انه كان فى جميعها جسورا ردئيا وكانت مدة نيابته من أقبح المدد فى التاريخ الفرنساوى وقرأ عمالا اختيارية بقصد اصلاح مالية المملكة الا أنه ماأدخل فيها الغرض المطلوب من الاصلاح وكان الصديق المعتمد عنده القسيس دوبوا رجل فاسد الطبع كان متوظفا فى وظيفته على طرف انكلتره فأغوى هذا الرجل الخبيث النائب فى مخالفته سياسة لويز الرابع عشر والبعد عن أمر المدعى حتى يغرس الود فى قلب انكلتره فى مقابلة طمع اسبانيا وما كان من الخفى أن فيليب الخامس قصد أن يطلب تاج فرانسا عند موت لويز الخامس عشر بدون أن يراعى يمينه القاضى بالتنازل وحيث صار الآن كل من فيليب والنائب عدوين لبعضهما لما كان من الصعب أن نصدق بأن النائب يختار مشروع دوبوا فعقدت محالفة بين فرانسا وانكلتره وهولنده فى يناير سنة ١٧١٧ لاجل حفظ شروط معاهدة أوطريخت وفى أغسطس سنة ١٧١٨ بعد الميلاد انضم اليها الامبراطور وعرفت من وقتها بالمعاهدة الرباعية وأضيفت سيسيليا الى أوستريا بطريق استبدالها بسردينيه وصار دوق صافوا ملك سردينيه وبواسطة هذا التحالف صارت فرانسا عدوة اسبانيا من بعد أن كانت حليفتها الطبيعية وكانت سببا فى تغيير سياسة لويز الرابع عشر بالكلية وتولد من مساعى اسبانيا فى الاستحواذ على سردينيه وعود رياسة سلطنتها فى الاعمال الاورباوية اشتباكها فى حرب مع فرانسا وكانت سرعة مباديه الكشف عن ثورة فى فرانسا تحت رياسة المركيز ثلمار وكان المقصود منها القبض على النائب وصيرورة فيليب الخامس فى رأس الحكومة الفرنساوية وكافة الاحزاب الذين دخلوا فى هذه الثورة صار القبض عليهم وعذب البعض منهم بالعذاب الشديد وقتل البعض وفى ١٠ يناير سنة ١٧١٩ أعلنت فرانسا حربا على اسبانيا فنال الجيش الفرنساوى تحت قيادة برويك بعض مظفرات فى اسبانيا وطرد أسطول

المخالفين الاسبانيين من جزيرة سيسيليا فارتاع فيليب مما حل به وتدارك الصلح وعملت معاهدة الصلح في فبراير سنة ١٧٢٠ وقبل فيليب شروط المعاهدة الرباعية

وكان لويز الرابع عشر ترك فرانسا وعليها دين مقداره ٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠ كراون وكانت فوائد هذا المبلغ الجسيم باهظة جدا على حساب ايرادا المملكة فعرض على النائب عدة مشروعات مختلفة من أجل خلاص المملكة من هذه الديون فما وجد النائب الموصوف بذكاء العقل طريقة للتخلص من الضيق وكانت ايرادات الاملاك الاميريقانية مخصصة بطريقة خلاص مضايقات المملكة فعرض في هذا الوقت جنالو وهو رجل من صرافي اسكوطلنده على نائب فرانسا أن يصدر مبلغا جسيما من نقود الورق مكفولا باسم أسهم شركة تعرف بالشركة المسيسيبية التي كانت مؤسسة على احتكار التجارة مع اقليم كناده ولويزيانه في أمريقه فوقعت طريقة هذه الشركة موقع القبول وانهمك جميع أهل فرانسا بدون تروّ في تصورات خيالية وما أمكن بيع الاسهم بالسرعة الكافية لتوريد مطلوبهم ثم اشترتها جميع طوائف الامة وصار استبدال سندات الحكومة بنقود من الورق وصار تفضيلها على النقود الذهبية نظرا لقيمتها فبهذه الطريقة لم يكن للدين العمومي أدنى ظهور ومن المعلوم أن رؤساء هذه الخدعة كانوا يجهلون حقيقة قواعد حسابات المالية ومع أنهم ما قصدوا ارتكاب خيانة الا أن النتيجة كانت نفسها حتى انه في سنة ١٧٢٠ بعد الميلاد انفجر الغش وصارت أوراق بنك جنالو لا تقبل وتنازلت جدا أوراق الشركة وكان أربابها يعتقدون في أنفسهم الثروة فأصبحوا فقراء يسألون الناس وسقط على القرض العام ضربة مشؤمة كضربة أحد الحروب الغالية الثمن وفي سنة ١٧٢٣ بعد الميلاد بلغ لويز الخامس عشر رشده وانتهت مدة النيابة وتقلد دوق أورليان وظيفة رئيس المجلس الخصوصي في الحكومة وكان قبل ذلك خطب للوزير الطفلة الاسبانية وهي البنت الكبرى لفيليب الخامس ومن ثم كانت أرسلت هذه البرنسيسة الى فرانسا من أجل تربيتها ولما مات الكردينال دوبوا في ٢ ديسمبر من هذه السنة تبعه الى القبر دوق أورليان وصار الاثنان أضحية لما كان عليه من الموبقات وخلفه في وظيفته دوق بوربون بصفة وزير أول وكان رجلا فظا بارد الطبع وكان تحت سلطة رفيقته ماركيزة بري فعلى ما قيل انها كانت بمرتبات على طرف الوزارة الانكليزية وكانت هي محكومة في دورها برجل مالي اسمه باريس دوفرني وكان فيليب صاحب اسبانيا على كراهة من ماركيزة بري فاشتهت في هذا الوقت الانتقام منه وكانت صحة الملك آخذة في الضعف وما كان دخل على عروسه الطفلة الاسبانية المخطوبة له لانها كانت صغيرة جدا على الزواج فمن ثم صار ارسالها ثانيا الى مادريد بطريقة غير محللة بشرفها في يناير سنة ١٧٢٥ ثم ان دوق بوربون اجتهد في الحصول على زواج الملك ببرنسيسة انكليزية ونظرا لعدم نجاحه اتحد مع رفيقته وانتخبا للملك مريم ليزينسكي ابنة ملك بولنده المخلوع سطانيسلوس ليزينسكي الذي كان قاطنا في الالزاس وصار الاحتفال بالزواج في مدينة فونتينبلو في ٤ ديسمبر سنة ١٧٢٥ وكان مقصد الدوق والست دوبري من هذا الزواج في وقت مخابرتهما فيه بقاء نفوذهما في الديوان ووصلت محبة الملكة لهما بواسطة الاكرام الذي فعلاه في نظير اصعادها الى الدرجة العالية وأما فيليب صاحب اسبانيا فانه ما ترك لها قلبا بما حصل منه من القباحة وعدم قبول ابنته وقابل هذه المادة بتغيير سياسته الخارجية فاتخذ طريقة ضد فرانسا وعقد محالفة مع الامبراطور على فرانسا وانكلترة وعهد على نفسه كفالة الرخصة

الفضولية التى أحكم الامبراطور بها ملك الاوستريانية لابنته مريم تيريسه ومن ثم عقدت فرانسا وانكلتره وبروسيا محالفا ضده فاذا رأى أن أوروبا على شرف تهييج حرب عام فمن طالع البخت أن وقع دوق بوربون فى عين الكراهة وأمر بان يختفى نفسه من الديوان وذهبت معه الست برى ودوفرنى الذى وقع منه فساد جسيم بتداخله فى أمور المالية وتعين الكردينال فلورى الذى كان معلم الملك وزيرا أول وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة وكان كريم الاخلاق وتولد من حسن سياسته البعد عن الحروب الاورباوية وأعاد النظام فى المالية وأحيا الامانة فى الامة واستمر فى رأس المملكة سبع عشرة سنة اشتغل فيها بالمحافظة على الهدو فى فرانسا وجعل لها فرصة اصلاح مافقد منها فى حروب لويز الرابع عشر وازدادت تجارتها وأموالها ثم ان فيليب صاحب اسبانيا هجم بغتة على جبل طارق فى فبراير سنة ١٧٢٧ فنجح فلورى فى حصر الحرب فى داخل البيت جزيرة وفى سنة ١٧٢٩ وقع الصلح بين فرانسا وانكلتره واسبانيا

وفى سنة ١٧٣٣ بعد الميلاد مات أوغسطوس الثانى منتخب صكصونية وملك پولنده وخلفه بصفة منتخب صكصونيه ابنه فريدريق أوغسطوس فطلب هو أيضا التاج البولندى وعضده فى طلبه روسيا والامبراطور شارلس السادس المزوج ابنة أخيه لفريدريق أوغسطس وعول لويز الخامس عشر على عود صهره سطانيسلاوس ليزينسكى وكان پولندى الموطن ولما كانت الحكومة البولندية انتخابية أسرف الحزبان فى صرف مبالغ جمة ليكون الصوت لمن ينتخبونه فكان الانتخاب باغلب الاصوات واقعا على سطانيسلاوس وأما القليل من الامة فانه وجه صوته الى أوغسطس الثالث الذى أعلن بملوكيته وتقرر أمره بواسطة أوستريا وروسيا فالتزم سطانيسلاوس على ترك ورساو والالتجاء الى مدينة دانطزيق فتغلب جيش روسى على هذه المدينة فى سنة ١٧٣٤ وهرب منها سطانيسلاوس الى ديوان فريدريق غيليوم صاحب بروسيا فحمى فريدريق نفس أسطانيسلاوس وساعد روسيا وأوستريا بفرقة مؤلفة من ٠٠٠ر١٠ نفس وحادت الدول الاوروباوية عن التداخل فى الحرب البولندى بحجة أنه ليس داخلا فيما يختص بهم من المنازعات وأما فرانسا فانها ابتدأت فى الحرب فى سنة ١٧٣٣ بتغلبها على الاقليم اللورينى الامبراطورى وكانت اسبانيا عازمة على وجود فرصة الحرب لاجل عود أملاكها التى فقدت منها فى ايطاليا فمن ثم تحدت مع فرانسا وتغلب المارشال فيلار بجيش فرنساوى وبدمونطى على دوقية ميلان وتغلب جيش الرين تحت قيادة دوق بريويك على كهل وطريفس وطراباخ وحاصر مدينة فيليبسبورغ وقتل دوق بريويك فى أثناء حصاره هذه المدينة فى يونيه سنة ١٧٣٤ ومن بعد مضى بضع أيام مات فيلار فى طورين وأرسلت اسبانيا جيشا الى ايطاليا فتغلب فى أقرب مدة على مملكة نابولى وكان أهلها على كراهة شديدة من الحكم الاوستريانى وتم فتح هذه المملكة فى مايو سنة ١٧٣٤ بعد الميلاد ومن بعدها بقليل خضعت جزيرة سيسيليا وصار اعلان الدون كارلوس بن فيليب الخامس ملكا بلقب شارلس الثالث وأقام حكم بوربونى اسبانيا فى ايطاليا مع النجاح التام ولما فقد الامبراطور كافة أملاكه فى ايطاليا صار على رغبة فى الصلح وانقطع اجراء الحروب فى سنة ١٧٣٥ وفى سنة ١٧٣٨ حصل التوقيع على معاهدة فيانه الثالثة والتزم الامبراطور على تنازله عن السيسيليتين وعن دوقية اللورين وعهدت مملكة سيسيليا الى شارلس الثالث وتنازل سطانيسلاوس عن طلبه التاج البولندى وقبل لنفسه دوقية اللورين وبار وكفلت فرانسا الرخصة الفضولية هى واسبانيا وسردينية وجعل

فرنسيس دوق اللورين زوج ابنة الامبراطور مريم تيريسه الدوق الاكبر لطوسقانه مكافأة له على فقد دوقيته الوراثية وما كان لفرانسا أدنى مدخل فى الحرب الوراثى الاوستريانى الذى ذكرنا حوادثه فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة ومع هذا فان أفكار الامة تقوت وطلب الاحزاب أن الحكومة يلزمها ان تنتهز الفرصة فى هذا الوقت الموافق وتهلك العدو الذى ورث عداوة فرانسا من أجداده فما كان للكردينال فلورى طاقة على مقاومته هذا الطلب وفصل بحكمه طريقة الحرب وفى مايه سنة ١٧٤١ بعد الميلاد عقد معاهدة مع بافاريه وأعقبها بمعاهدة سرية مع بروسيا وأرسل جيشا فرنساويا من أجل مساعدة البافاريانيين واحتل هذا الجيش مدينة براغة فطرد منها وتقهقر الى بلاده ووصل الحدود الفرنساوية فى ينايرسنة ١٧٤٣ بعد أن فقد ٢٨٠٠٠ نفس من جيش كان أصله ٥٠٠٠٠ نفس فانحطم فلورى من هذه المصيبة ومات حزنا فى ٢٩ ينايرسنة ١٧٤٣ من بعد أن بلغ من العمر تسعين سنة وكان لويز الخامس عشر مستمرا على موبقاته وما كان عنده أدنى التفات لواجبات مركزه واستمرت أشغال المملكة بضع سنين من بعد موت فلورى تحت أيدى وزراء مختلفة فى رأس الفروع المختلفة الخدمات العمومية للمملكة وكان الحاكم الحقيقى للمملكة فى هذه المدة رفيقة الملك دوقة شاتوروكس وكانت امرأة حازمة الرأى اجتهدت فى حض الملك على اعطائه واجباته بصفته ملكا وفى سنة ١٧٤٣ لما استحوذ فريدريق الثانى صاحب بروسيا على اقليم سيليسيا انسحب من المعاهدة مع فرانسا وبافاريه وسار على منواله نابولى وسردينيه بالرغم عنهما بمعاهدة مع بريطانيا الكبرى ومن ثم تركت فرانسا متحملة أثقال الحرب وحدها وفى ٢٧ يونيه سنة ١٧٤٣ هزم جيش المتحالفين تحت قيادة الملك جورج الثانى صاحب انكلترة الفرنساوية تحت قيادة المارشال نيل فى دطنغين وكان أصل هذه النصرة من مخالفة أحد قائمقامات نيل أوامر المارشال نيل لامن براعة فى جيش الاتحاد وكانت نتيجة هذه الواقعة هرب جيش المتحالفين من هذا الموقع الخطر وفى مارث سنة ١٧٤٤ بعد الميلاد أعلن لويز حربا على انكلترة وبرز الى ميدان الحرب فى رأس جيشه الذى كان تحت قيادة موريس كونت صكصونية الذى اشتهر اسمه بعد ذلك بالمارشال ساكس وفى هذا الوقت قطع فريدريق الثانى صاحب بروسيا علاقاته مع أوستريا وفى يونيه عقدت محالفة ضد أوستريا صار التوقيع عليها من فرانسا وبروسيا والامبراطور شارلس السابع واسويج وفى أغسطس أصاب لويز مرض وهو فى متز وكان على شرف فقد حياته ولما حصل له الشفاء دخل السرور على فرانسا وأهاليها ولقبوه (بالمحبوب) لقب لا يستحقه وما فرح به أحد خلافه وفى ينايرسنة ١٧٤٥ مات الامبراطور شارلس السابع وعقد ابنه صلحا مع ملكة هكناريا تنازل فيه عن دعواه التاج الامبراطورى واستحوذ بالثانى على أملاكه الوراثية ومن ثم انسحبت بافارية من الحرب ومن حيث ان هذه المعاهدة كانت سببا فى ازالة أشياء يتولد منها مضار شديدة فقدمت فرانسا شروط الصلح فما قبلتها مريم تيريسه وأعلنت بالحرب للاخذ بثأرها وأما فرانسا فانها بلغت مقصودها من صلح غير مخل بشرفها وفى فصل ربيع سنة ١٧٤٥ بعد الميلاد حاصر الجيش الفرنساوى تحت قيادة مارشال ساكس والملك مدينة طورناى فزحف المتحالفون تحت قيادة دوق كمبرلند من أجل خلاص هذه المدينة فسار ساكس للتقاهم من بعد أن ترك فرقة تداوم على الحصار وأوقع فيهم هزيمة مهولة فى فونتينوا فى ١١ مايه وتغلب أيضا على كل من طورناى وعودينارد وغنط وبرغيس وغير ذلك من المدائن المشهورة فى فلندره وعاد لويس

الى

الى باريس فتلقاه قومه فيها بصفة فاتح وفى سبتمبر سنة ١٧٤٥ صار انتخاب فرنسيس الاول زوج مريم تيريسه امبراطورا ومن بعد انتخابه بقليل عقد الصلح بين أوستريا وبروسيا فصيرت هذه المعاهدة للمملكة الامبراطورية طاقة على تقوية جيشها فى ايطاليا وفى فصل ربيع سنة ١٧٤٦ أجرت القوى الامبراطورية حركاتها التعرضية فى لومباردى وأوقعت هزيمة فاصلة على الجيش المتحد الفرنساوى والاسبانى فى بياسنزه فى ١٦ يونيه فهرب الفرنساوية الى جنوه واستمروا فى قهقرتهم نحو فرانسا حتى دخلوها فى شهر سبتمبر وكانوا معقبين على مقربة منهم بالاوستريانيين الذى عبروا نهر فار وأوقعوا الخراب بالبلاد حتى وصلوا الى دورانسى فصد المارشال بليزل بحركته العظيمة زحف المغيرين وطرد الاستريانيين حتى عبروا الحدود وفى فبراير سنة ١٧٤٧ بعد الميلاد وفى أثناء ذلك أعقب المارشال ساكس نصرته فى فونتينوا بمحاصرته بروكسيل وسلمت له من بعد حصار لبث عليها ثلاثة أشهر وتغلب أيضا على انطوبرب فى مايو سنة ١٧٤٦ وكذا سلمت له مدينة نامور أيضا فى شهر سبتمبر ثم جمع قواه وأوقع هزيمة فاصلة على الاوستريانيين تحت قيادة البرنس شارلس صاحب اللورين فى نواحى راكوكس على نهر الموز بالقرب من مدينة لييج وتغلب على بلجيقا وفى ١٧ ابريل سنة ١٧٤٧ أعلنت فرانسا حربا على هولنده وعبر جيش فرنساوى تحت قيادة المارشال ساكس الحدود الفلمنكية وتغلب على خط القلاع الموجود على نهر الشيلد من انطوبرب الى البحر فى أقل من شهر فحضت بريطانيا الكبرى فى هذا الوقت روسيا على كونها تلتحق بالاتحاد ضد فرانسا الا أنه من قبل امكان تيسر الحصول على شئ من هذه التقوية هزم المارشال ساكس دوق كبرلند فى نواحى لوفلد وطرده خلف نهر الموز وفى ابريل سنة ١٧٤٨ تغلب على ماسطريخت ومن بعدها حصلت متاركة فى الحرب وفى اكتوبر سنة ١٧٤٨ صار التوقيع على صلح عكس الكنيسة وكل من فرانسا وانكلتره أعادت ما كانت تغلبت عليه فى الحرب وحصل الاقرار على أن فرنسيس الاول صار امبراطورا وصارت كذالك الرخصة الفضولية مرة أخرى والتحقت سيليسيا ببروسيا وتنازلت أوستريا عن دوقيات بارمة وبياسنزه وغاسطالة الى الدوق فيليب صاحب اسبانيا وما كان لفرانسا أدنى مكسب فى هذا الحرب وما زادها الا مضاعفة ديونها وخراب تجارتها وتكسير عمارتها البحرية من هذه الحروب وما اكتسبت أدنى ثمرة تقوم مقام هذه الخسائر

وكان لويز أظهر فى مدة الحرب دلائل الشجاعة والحزم فى الاعمال الا أنه بمجرد عود الصلح عاد الى عادته القديمة فلو كانت فرانسا فى هذا الوقت تحت حكم سلطان نبيه ماهر فى أعماله حازم فى آرائه لكانت تقدمت بسرعة فى ثروتها ونجاحها المادى لانها وصلت الى موقع شامخ بين دول أوروبا واتسع نطاقها فى المعقولات وغيرها وكانت السبع سنوات التى أعقبت صلح عكس الكنيسة فى غاية من الهدو واستتباب الامن وأهمل لويز مع هذا مصالح المملكة والتفت لشهواته فانه من بعد موت الست شاتوروكس اتخذ بدلا منها (الست لينورمنط دطيول) امرأة دنيئة الاصل الا أنها كانت لها قريحة تامة وجمال باهر ورقاها الى رتبة ماركيزة يومبادور واستمرت عشرين سنة هى الحاكم الحقيقى لفرانسا والملك تحت سلطتها وساست المواد الكبيرة فى المملكة وصار الامر والنهى اليها فى توزيع وظائف الحكومة وترتيب ضباط العسكرية وتعيين القسس فى الوظائف الكنائسية ولما أخذ جمالها فى الهبوط اشتغلت أشغالها فى بقاء نفوذها على الملك بطرائق زائدة عن الطرائق التى كانت أسرته بها من قبل وكانت حالة المالية تقدمت بواسطة ما أجراه فيها الكردينال فلورى من الاصلاحات المنيدة فحصل فيها فى هذا

الوقت الارتباك مرة ثانية من كثرة المصاريف القبيحة الجارية من سوء ادارة الملك فمن أجل مداواة هذه الاختلالات ضرب ماشولط وزير المالية عوائد على الدخوليات فوقعت المعارضة فى هذا الامر من الطوائف الممتازة وعلى الخصوص من خدمة الدين ولما رغبت الحكومة فى معرفة الاملاك الكنائسية الموجودة فى المملكة بقصد أن تضرب عليها عوائد شرعت الاساقفة فى الغاء هذا العمل بكونها أمرت خدمة الدين أن لا يقبلوا اعطاء العشاء الربانى الاخير ولا الدفن المسيحى للذين عندهم شهادات قوية دالة على قبولهم المنشور الغير الموافق فتولد من ذلك كرب انتشر فى أحزاب الامة الفرنساوية فعارضت الامة مع الغضب هذا السعى الذى يتولد منه احياء الحكم المطلق الكنائسى الذى كان واقعا فى القرون المتوسطة واتحدت مدرسة الفلفسة ذات الافكار الحرة وكان أمهر معلميها فولطير مع الامة وسلك الملك مسلك الذبذبة تارة مع حزب الكنيسة وتارة مع حزب الامة وأخيرا سار مع حزب الكنيسة واجتهد فى ارغام مجلس برلمان باريس فى خصوص تأييد الاعمال المساعدة لرجال الكنيسة فغضب النواب أرباب المجلس من دخول الملك فى امتيازات حقوقهم واستعفوا من وظائفهم وعم الغضب وازداد الشر ولو وجد قائد يقود الحركة لقامت باريس فى ثورة على الملك وفى هذا الوقت ظهر شخص معتوه اسمه دميان اشتد به الغضب من هذه المنازعات وعول على قتل الملك وفى ٥ يناير سنة ١٧٥٧ بعد الميلاد طعنه فى جنبه بسكين وقت دخوله عربته فى فرسايل وقال انه أراد عقاب الملك فى نظير معاملته برلمان باريس وخيبته فى امتناع رفض العشاء الربانى وكان جرح الملك خفيفا جدا الا أن دميان قتل شر قتلة ثم تولد من السعى فى فقد حياة الملك انقلاب أفكار الامة واحساساتها كان سببا فى فصل المنازعات التى كانت فى المملكة وفى أثناء اشتغال أفكار الامة بهذه المواد تولد من الطلبات العدوانية بين فرانسا وانكلتره فيما يختص بوادى أوهيو فى أمريقه اشتباك هاتين المملكتين فى حروب ابتدأت فى أمريقه من أجل الاستحواذ على هذا الوادى الا أنه تولد من ذلك أيضا حرب قام فى أوروبا فأما وقائع الحرب فى أمريقه فسنذكرها ان شاء الله تعالى فى تاريخ أمريقه ولحد شهر يناير سنة ١٧٥٦ لم يقع اعلان حرب بين فرانسا وانكلتره وان كانت جارية فى أمريقه وفى البحر فى سنة ١٧٥٥ جميعها ودخلت فرانسا وانكلتره فى محالفة واحدة وكان لاوستريا رغبة من مدة طويلة فى توطيد مساعدة فرانسا الا ان الامبراطورية مريم تيريسه عولت على تهييج حرب بقصد خراب مملكة بروسيا وبمشورة وزيرها كونيطز وأغويت هذه المرأة الكبيرة الشأن فى كتابة مكتوب الى الست بومبادور ولقبتها بلقب خالتها فابتهجت بذلك سرية الملك لويز وكانت النتيجة أن صارت فرانسا حليفة لعدوتها القديمة أوستريا وفى أول مايو سنة ١٧٥٦ بعد الميلاد حصل التوقيع على معاهدة بين الدولتين من أجل الغلبة على بروسيا وتقسيمها بينهما وانضم الى هذه المعاهدة روسيا وصكصونية وأسوج فلما رأى فريدريق ما حاق به من الخطر الذى هدده ضرب أول ضربة وتغلب على ليبزيغ وتريسته وكان هذا مبدأ حرب السبع سنوات وتسبب من حقد امرأة وعجب أخرى أن صار لهن قدرة على اغراق أوروبا فى أهول الحروب التى وقعت فى التاريخ وسنذكر هنا فقط حوادث هذا الحرب المتعلقة بفرانسا حيث سبق ذكر الحوادث المختصة بجرمانيا

ففى أول سنة من الحرب كانت حركات الجيش الفرنساوى محصورة فى الرين الاسفل وزحف على قوى بريطانيا الكبرى تحت قيادة دوق كمبرلند فالترم القائد الانكليزى على أن يتخلى عن كافة هانوفر

وبرونسويك ومن بعد مضى قليل عقد اتفاق قبيح مع الفرنساوية فى كلوستر سفن سلم بواسطته كافة هانوفر حتى تم أمر الصلح وفى نفس السنة تغلب ريشيليو على جزيرة مينورقه وأخذ الاسطول الفرنساوى مينة ماهون وفى سنة ١٧٥٧ بعد الميلاد أغار جيش فرنساوى آخر (متساعدا بعساكر جرمانيه) تحت قيادة البرنس سوبيز على صكصونيه لطرد البروسيانيين فهزم فريدريق الاكبر هذا الجيش فى روزباخ فى ٣ نوفبر وفى سنة ١٧٥٨ لما فسخت الحكومة الانكليزية اتفاق كلوستر سفن دخل البرنس سوبيز هانوفر وهزم عساكر المتحدين فى نواحى لوطير برغ فى ٧ أقطوبر وفى نوفبر سنة ١٧٥٨ خلف دوق شوازول الكردينال برنيس فى وزارة الخارجية فقرر اجراء الحرب على انكلتره وصار جمع أسطول كبير فى طولون وبريست من أجل نقل العساكر الى أرض تلك المملكة فكسر الاسطول الانكليزى أمر هذه الاغارة وذلك أن عمارة طولون رغبت فى الانضمام الى عمارة بريست فهزمها الاسطول الانكليزى تحت قيادة الاميرال بوسكاون على مسافة من رأس لاغوس وفى ١٤ نوفبر دمر الاسطول الانكليزى تحت قيادة هاولا عمارة بريست على مسافة من بلبزل فكانت هذه النصرات سببا فى كون فرانسا تركت اجراء الحرب فى البحر وفى سنة ١٧٥٩ استمرت فرانسا فى اجراء حروبها فى وسطفاليا وفى أول أغسطس انهزمت جيوشها فى مندين على نهر الوزر بواسطة البرنس فردينند صاحب برونسويك وتركت هانوفر ونحو كافة مونسطير ووسطفالية وفى أغسطس سنة ١٧٦١ تخابر شوازول فى شأن محالفة مع الفرع الاسبانى لبيت بوربون وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة اتحاد الاقارب وعلى حسب شروطها كفل لويز الخامس عشر وشارلس الثالث احترام أملاك بعضهما فى عموم أقسام الدنيا واتفقا على الاتحاد مع بعضهما على كل من نظر الى أى الدولتين بعين العداوة فادخلت دولة خارجة عن بيت بوربون فى هذه المعاهدة التى كان أمل بها شوازول وجود قوة لفرانسا فى اتحادها مع اسبانيا وخاب فى تمام مقصوده وما حصل منها الا الدمار بين انكلتره واسبانيا فى ينايرسنة ١٧٦٢ بعد الميلاد

وفى ١٠ فبراير سنة ١٧٦٣ صار التوقيع على معاهدة باريس بين فرانسا وانكلتره وبروسيا وعلى حسب شروطها سلمت فرانسا أملاكها فى أمريقه الموجودة على المحيط الاطلنطيقى الى بريطانيا الكبرى وكذا قسم لويزيانه الواقع فى الجهة الشرقية من نهر الميسيسيبى وتنازلت أيضا عن جزائر الهند العربى وهى جزيرة غرينادة وطوباغو وسنت فنسن وجزيرة دومونيقه ومستعمرات سنغال الموجودة على ساحل افريقة وأعادت جزيرة مينورقه الى بريطانيا الكبرى واسترجعت فرانسا لنفسها مارطينيق وسنت لوسيا وبلبزل وأعقب معاهدة باريس صلح هوبرطسبورغ فى ١٥ فبراير وبه كان غلاق حرب السبع سنوات وقد ذكرنا مفصلا نه فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة ومن بعد غلاق الحرب مباشرة اتحد دوق شوازول مع الست بومبادور فى الضغط على طائفة الجزويت فى فرانسا وكان الدوق ألد الاعداء لهذه الطائفة ووقعت الكراهة بين أربابها والست بومبادور بسبب اجتهادهم فى فصلها من الملك وفى ٢٦ نوفبر سنة ١٧٦٤ صدر منشور من الملك بطرد طائفة الجزويت من فرانسا وضبطت كافة أملاكهم الى الحكومة وفى ابريل سنة ١٧٦٤ ماتت الست بومبادور بعد أن بلغت من العمر أربعا وأربعين سنة وفى سنة ١٧٦٥ مات ولى العهد من السل الرئوى وكان برنسا نجيبا وترك ثلاثة أولاد صاروا ملوك فرانسا فيما بعد وهم لويز السادس عشر ولويز الثامن وشارلس العاشر وفى يونيه

سنة ١٧٦٨ ماتت الملكة وكان لويز تركها من مدة فى زوايا النسيان وكان أبوها ستانسلاوس مات قبلها ببضع سنين وترك دوقيتى اللورين وبار لحكومة فرانسا وأظهر لويز حزنه الشديد على زوجته وصبره على مفارقتها وكان عزم على العود اليها الا أنه فى أقل من سنة أحل بوسائه فوبرنيير امرأة قبيحة الصفات محل الست بومبادور وأرغم رجالا من حكام ديوانه على تزوجها وأخذت هى محلها فى الديوان بصفة دوقة بارى فعارض الوزير شوازول فى فعل الملك هذا وصده عن أمره فكان سعيه على غير طائل وما جلب على نفسه الا كراهة السرية الجديدة واستمر هذا الوزير البارع مباشرا أعمال المملكة مؤقتا وفى سنة ١٧٦٨ تنازلت جنوه عن جزيرة قورسقة وكانت خلعت طاعتها من تحت ناف جنوه فأرسل شوازول قوة عسكرية الى الجزيرة ومن بعد مقاومة قليلة خضعت جزيرة قورسقة وأضيفت رسميا الى الاملاك الفرنساوية فتداخل فى هذا الوقت الجزويت مع الست بارى وأتباعها ونجحوا فى سقوط وزارة شوازول الذى فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٧٧٠ بعد الميلاد صار تجريده من وظائفه ونفيه الى أملاكه فى شنطيلوب وبهذا اسلب لويز فى مرضاة رفيقته القبيحة وفى مرضاة الجزويت أعداء بنى الانسان من فرانسا أول رجل سياسى فيها وحل شوازول معه احترام ووثوق معظم الامة به ومن بعد قليل غرقت فرانسا تحت ادارة الست بارى ومعاضديها مع غاية السرعة فى بحور الاختلالات المالية وتغيرت الادارة العدلية مع شدة العنف بمظالم البرلمانات القديمة للملكة وعمت هذه المظالم كافة جهات فرانسا فدخل فى النفور الذى هاج من هذه الاعمال كافة طوائف الامة وأنذر وجوه الامة الفرنساوية الملك بحلول الخطر الذى تولد من ترخيصه وقوع الجور والتعدى على حسب النظامات القديمة التى كانت فى المملكة وغرقت الامة فى دمار ماليتها وتولد من زيادة نفور الامة التهديد بأشد ما يقع من الاحوال بعد وزادت الهواجس وتشكلت جمعيات من أجل زيادة أسعار الحبوب وضربت عوائد كبيرة مدمرة لحالة الامة وصار جبايتها المساعدة الديوان المبيح فى فرسايل وكل من حصل منه تضجر أو شكايه حبس فى قلعة الباستيل ووقع القبض على ناس بأوامر سرية وأودعوا فى السجون من دون أن تعلم جريمتهم قاطعين الامل من المحاكمة أو الافراج عنهم وانعدمت الحرية والعدالة والاعمال التجارية وما كانت عليه المملكة من النجاح فى مرضاة رجل فاجر وامرأة عاهرة ومن شدة طغيان لويز رفض قبول طلب عقد مجلس المملكة وان يتداخل فى أى شغل به يصير توقيف هذه الارتباكات وقال ان الاعمال الراهنة تستمر مدة سلطنته وان خليفته يجب عليه الاجتهاد فى منع الاختلالات التى يرثها من بعد موته وان الطوفان من بعده يكون علامة ممتازة على الملك والحكومة وفى أثناء ذلك كان نفور الامة آخذا فى الزيادة كل يوم وكان أرباب المعارف الجارى نشرها فى مدة هذه السلطنة هم مونطسكيو وفولطير وديدروط وألمبرت وهلفيطوس وكونديلاق والقسيس رنيال وآخرون زعزعوا ثقة الامة وأدخلوا فى أهلها تشكيل حكومة أساسية وهيجوا أفكارها من أجل حقوقها وما هو حال بها من الضرر وزيادة على هذا فان ما كان يكتبه (حناجاكس روسو) من أفكاره العظيمة من تذكير عمى البصيرة ما هم فيه من الاحوال الحقيرة ملأت عقول قرائه وكانت هذه النشرات عبارة عن نفس الامة وكانت تصوّراته ونشراته هى تآلف جمعية كبيرة تضارب الاحوال التى كانت ضربة مهولة على الدين والآداب والعدل والحكومة النيابية وابتدأ جماهير الامة فى أن يكون عندهم احساسات قوية وكذا ابتدأ الناس فى أقوالهم بأن حالة هذه الاعمال الحالية

لابد وأن يحل محلها الحرية فى الاقوال والافعال والافكار وحرية الدين والامن على الانفس والاملاك بحيث يكون الناس جميعهم فى درجة واحدة أمام قانون الشريعة وتلغى الامتيازات والاحتكارات وتضرب الضرائب على طوائف الامة بالمساواة وأن تكون التجارة حرة فكانت كل هذه الاقوال علامات فأل مشؤم الا أنه ما صار الاقرار على شئ من ذلك لا من الحكومة ولا من الاشراف العاكفين على لهوهم وليسوا مراعين ما عليه الامة من الضرر وشدة الكرب

وفى أثناء هذه الاحوال مات لويز الخامس عشر بداء الجدرى فى ١٠ مايو سنة ١٧٧٤ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر أربعا وستين سنة وتسلطن ثمانيا وخمسين سنة وتركته فى حالة نزعه رفيقته وحشمه ودفن مع غاية السرعة فى سنت دنيس محتقرا مذموما من جهة الامة التى كانت لقبته فى مبادى أمره باسم المحبوب

سلطنة لويز السادس عشر

وكان عمر لويز السادس عشر الابن الثالث لولى العهد عشرين سنة فى وقت تتويجه بتاج جده وكان على غاية تامة من التربية وما كان موافقا بما كان عليه من الصفات للموقع الجليل الذى دعى اليه وكان ضعيف البنية سليم النية له رغبة صادقة فى رفاهية رعيته الا أنه ما كان على دراية تامة من اتمام غاياته وكان عظيم السلوك الا أنه كان جبانا مترددا فى أموره وليس عنده ثبات فيما يختاره ودائما كان يختار الشئ الغير الموافق له واذا ثبت على حالة يكون تحت آراء متباينة وما كان سعيد الطالع فى احساساته وما كان مثل أبناء جنسه من الملوك بل كان حسن النية خالص الطوية شفيق القلب وكان متزوجا بمريم انطوانيت ابنة الامبراطورة مريم تيريسة وكانت شابة جميلة وورثت خصال الجبروت من أمها واستحوذت على الخفة والطيش فاكتسبت نفسها بذلك كراهة الامة الفرنساوية وكان لها نفوذ عظيم على لويز وكانت مجالستها معه سوء تدبير فكانت أصلا لاسباب المصائب التى حلت به وابتدأ لويز السادس عشر فى مباشرة ادارة سلطنته بتوظيفه الكونت موريباس وزيرا أول ومن بعد قليل عين طورغوط وزير المالية وكان موريباس قليل البضاعة فى المهارة وأما طورغوط فكان مستحوذا على النباهة الكاملة فانه عكف نفسه فى الحال على الشغل اللازم لعود المالية تحت حالة عظيمة وأدخل فيها عدة اصلاحات مؤسسة على ضرب الضرائب على كافة الطوائف بنسبة طاقتهم لمساعدة المملكة وأزال أيضا بعض عوائد ما كان لفقراء الطوائف طاقة على دفعها ونجح نجاحا عظيما فى تقليله الدين العام ثم فى شهر مايو سنة ١٧٧٦ صار عزله من وظيفته فى مرضاة الاشراف والاحزاب الاخرين الحاصل لهم النفع من بقائهم على الاشغال القبيحة القديمة ثم تعين فى وزارة المالية من بعد طورغوط الرجل الغنى نيكار أصله من صيارفة جنيفة وكان مرعيا فى عموم أوروبا أنه من أعظم الرجال الذين لهم دراية فى الحسابات المالية فاشتغل بتوفير المبالغ الجسيمة الجارى صرفها فى مصالح لانفع فيها وأمل مداواته الارتباكات الواقعة فى المالية وفى نفس الامة بتدبيره الدين العام وألغى ستمائة مصلحة من مصالح الحكومة لالزوم لها وأدخل طريقة وفرية فى كيفية جمع الاموال ومن ثم وفر مبلغا جسيما لجهة المملكة وفى أثناء ذلك كانت فرانسا منذ فقدها اقليم كنادة فى أمريقة منتظرة سنوح الفرصة فى توقيف حركات الانكليز فى أمريقة فعزمت الآن على معاضدتها ثورة مستعمرات عدوتها انكلترة التى خلعت طاعتها ورتبت لها جمهورية مستقلة سميت بجمهورية الاقاليم المتحدة بأمريقة فعارض وزراء فرانسا والملك أيضا فى هذا الامر بما أنه يتولد منه فى الحقيقة اشتباكهم فى حرب مع انكلترة الا أنه

ماصار لهم طاقة على مقاومة الحالة العمومية الحاصلة من الامة المخصوصة بطلب مساعدة الامريقانيين فوصلت المساعدات فى السر الى الامريقانيين فى مبادى الامر الا انه فى ٨ فبراير سنة ١٧٧٨ عقدت معاهدة تجارية بين فرانسا والاقاليم المتحدة وعهدت فرانسا على نفسها انه فى حالة ما اذا هاج حرب مع انكلتره لايمكن عقد صلح حتى ان ملك بريطانيا الكبرى يقرر باستقلالية الاقاليم المتحدة ولما علمت هذه المعاهدة سفير بريطانيا وأخذت خبرها الحكومة الانكليزية طلبت سفيرها من باريس ومع أنه ماحصل اعلان حرب رسمى الكن حصل الشروع فيه بواسطة ضبط كافة المراكب الراسية فى مين كل من المملكتين وفى ٢٧ يوليه سنة ١٧٧٨ التقى الاميرال الانكليزى كابل باسطول فرنساوى معادل له فى القوة على مسافة من رأس عوشنط ووقعت بينهما واقعة انهزم فيها الاسطول الفرنساوى واجبر على العود الى مينة بريسط وفى هذا الوقت دعت فرانسا اسبانيا من أجل مساعدتها بسبب ما بينهما من ارتباط القرابة فاجتهد أسطول اسبانى فى التغلب على جبل طارق فهزمه (جورج رودنى) على مسافة من رأس سنت فنسن فى ٨ ينايرسنة ١٧٨٠ بعد الميلاد وفى سنة ١٧٨٠ صار ترتيب اتحاد من جهة الدول الشمالية عرف بالتسليح الحيادى مؤلف من روسيا وبروسيا والدانيمارقه واسويج وهولنده وانضم اليه بعد دولة البرتغال والسيسيليتان وكان المقصد من هذا الاتحاد المحافظة على التجارات المشحونة فى مراكب الدول الموجودة على الحيادة من حقوق التفتيشات الجارية من انكلتره بالنسبة لسيادتها فى البحر ووقع منها هذا الامر من عدة سنين مضت ولما وجه الفلمنكيون التفاتهم لمساعدة أمريقه انفجر الحرب بين هولنده وانكلتره فاستغاثت هولنده بفرانسا فى مساعدتها لها فأجابتها فى طلبها وجزمت الحكومة الفرنساوية باستمرار الحرب مع شهامة جديدة وأرسلت جملة قوية عابرة المحيط الاطلنطيقى لمساعدة الامريقانيين وبهذه الحملة صار عندوا اشنطون طاقة على غلاق الحرب فى الاقاليم المتحدة مع غاية الظفر بتغلبه على جيش (لورد كرونواليس) فى مدينة يورقه فى ١٩ اقطوبرسنة ١٧٨١ بعد الميلاد وكان الفرنساوية على نجاح أيضا فى الوقائع التى أجروها فى الهند الغربى الا أن عزمهم فى الغلبة على جزيرة جمايكه زعزعته الهزيمة الفاصلة التى حصلت لاسطول كونت دوغراس بواسطة الاميرال رودنى فى ١٢ ابريل سنة ١٧٨٢ وكانت عاقبة هذه الهزيمة مشؤمة على الشوكة البحرية لفرانسا واسبانيا فى الهند الغربى وتغلب الاسطول المتحد الفرنساوى الاسبانى على جزيرة مينورقه فى فبرايرسنة ١٧٨٢ ثم اجتهد المتحالفون فى التغلب على جبل طارق وحاصر اسطول مؤلف من أربعين سفينة فرنساوية واسبانية مينة جبل طارق وأحاط بها من البر جيش مؤلف من ٤٠,٠٠٠ مقاتل وكان المحافظ عليها الجنرال عليوط فدافع عنها مع البسالة وأظهر قريحته الوقادة فى حمايتها واشتغل (لوردهو) فى دخوله المينة بأسطوله من أجل تفريغ المؤن اللازمة للقلعة واستمرت هذه المدافعة الى تمام الحرب

وفى هذا الوقت رغبت فرانسا فى عقد الصلح وكانت تكاليف الحرب عليها بلغت نحو من ٢٨٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار وحصل التوقيع على الصلح فى ديوان فرسايل فى ٣ سبتمبرسنة ١٧٨٣ بين انكلتره وفرانسا واسبانيا والاقاليم المتحدة وبلغت فرانسا فى هذه المعاهدة الشروط الموافقة لها وأعادت أملاكها فى الهند الشرقى واستحوذت على أراض شاسعة فى جهة بوندشرى وكاريكال وتنازلت انكلتره لها عن طوباغو فى الهند الغربى وعن سنغال وغورى فى أمريقه وأعادت لانكلتره

الجزائر التى كانت تغلبت عليها فى الهند الغربى ثم تولد من هذا الحرب زيادة مصاعب المالية التى تعب فى اصلاحها نيكار ومازال مجريا أشغاله فى الادارات الموافقة للمالية وكانت الامة ناظرة بعين الاعتماد لادارته الا أنه لما شرع فى اصلاح العيوب الواقعة من استثناء الاشراف من العوائد هيج على نفسه عداوة هذه الطائفة والملك أيضا فانه صار اغواؤه بواسطة الملكة وحواشى الملك على أن نيكار شارع فى تجريد الملك من سلطنة التاج ففزع نيكار من هذه الارتباكات واستعفى من وظيفته فى ٢٥ مايو سنة ١٧٨١ بعد الميلاد ومن بعد تعيين اثنين خلفاه فى هذه الوظيفة ووجدا غير موافقين لها صار تعيين دوكالونه من المتقربين عند الملكة فى وزارة المالية وكان دوكالونه رجلا مسرفا فاجرا وان كان على حزم رأى وقريحة عظيمة فشرع فى ادارة المالية بمشروع استصوبه لاغراض نفسه من أجل سداد الديون التى كان غرقان فيها وخفف البعض من مصاعب المالية وبهذا اكتسب وثوق الملك به ووطد نفوذه على الملكة بكونه كان مستعدا على الدوام لما ترغبه من النقود الباهظة اللازمة لاغراضها وكان يجيب مطلوب كل أحد من طماعى كبار حواشى الملك حتى صار محبوبا فى الديوان وصارت الاعمال تحت رياسة وزير هزؤ ومثل هذا وصارت المساخر هى المرعية فى الوقت الحاضر وكانت كل ارسالية ترسل فى طلب جباية الاموال تجتهد فى نجاح شغلها مع السرعة وفى هذا الوقت أخذت مصاعب المالية فى الزيادة مع غاية العجلة وزادت الاثقال على الامة كل سنة وزاد النفور وأخذ حده فى الزيادة وما قبلت الامة فى كل جهة من جهات فرانسا المصاريف الباهظة الجارى صرفها من طرف الملكة والبرنسات مع غاية الشدة وصار الديوان فى أشد الكراهة عند الامة ومطلب العداوة وانتشرت الحكايات القبيحة فى حق الملكة وكان غالبها حقا

وأخيرا صار من المستحيل دفع فوائظ الديون فأعرض دوكالونه من خوفه عدة اصلاحات على الملك وأشار عليه بطلب مجلس الوجوه من أجل التصديق على أعماله فمن بعد أن تردد لويز فى أمره مدة طلب هذا المجلس وانعقد فى فرسايل فى ٢٢ فبراير سنة ١٧٨٧ بعد الميلاد وكان مؤلفا من مائة وأربعة وأربعين عضوا جميعهم من أرباب الامتيازات فرفض المجلس التصديق على ما أجراه دوكالونه من الاعمال وكان أحد هذه الاعمال تعديل الضرائب الذى هو كابوس على الطوائف الممتازة وفاز أعداء وزير المالية بحض الملك على عزله فنفاه الى اللورين من بعد تجريده من وظيفته حتى ان الملكة أعرضت بوجهها عنه وتعين من بعد دوكالونه فى وزارة المالية الكاردينال برين رجل من أخلاء مريم انطوانيت فقدم عدة اجرا آت من اجرا آت سلفه ومن بعد أن حصلت مناقشتها صار قبولها وفض الملك المجلس فى ٢٥ مايو سنة ١٧٨٧ وكانت الاعمال التى قبلها المجلس خاصة بكثير من حقوق الامة فرفض برلمان باريس قبولها بسبب ما كان عليه من الامور القبيحة القديمة ورفض هذا المجلس قبول تسجيل الاجرا آت التى عرضها الكاردينال برين وقال ان ضرب عوائد جديدة وجباية أموال غير معتادة هو من حقوق المجلس العمومى للملكة فقط وكان هذا المجلس الكبير ما صار التئامه من مدة قرن ونصف وكان انعقاد هذا المجلس من أجل مداواة القلاقل الحائفة بفرانسا واجتهد دوبرين فى ارغام مجلس برلمان باريس على تسجيله أعماله ولما رأى أن أعضاء المجلس مازالوا فى عناد أغوى الملك على نفى أربابه الى طربوه فأعقب هذه الحالة التى عملت من دون تدبير ثورات شديدة فى باريس وفى الاقاليم وحاق بدوبرين سوء تدبيره فالتزم بعود البرلمان وحصل التوافق بينهم ومن بعد

مضى قليل عرض الكردينال فيشأن قرض مقداره ٤٢٠٠٠٠٠٠٠ ليرة يدفع على مدة خمس سنوات وشرع الملك من دون تبصر فى ارغام البرلمان على مصادقته على هذا القرض فاشتد بأعضاء المجلس الحنق من دخول الملك فى أشغالهم المستقلين بها ورفضوا التصديق على هذا القرض فقبض الملك فى الحال على اثنين من مشهورى النواب ونفى دوق أورليان وكان جعل نفسه رأس حزب المعارضة للحكومة وفى يناير سنة ١٧٨٨ عرض مجلس البرلمان عريضة ضجر الى الملك فقابل الملك هذا الالتماس بكونه قبض على اثنين من أكابر الاعضاء وأودعهم السجن وكانا رأسى المقاومة وبارشاد دوبرين أعقب لويز هذه الحالة بحالة كبيرة جسورية وذلك أنه انتزع من البرلمان امتيازات تسجيل الاوامر الملوكية ومنحها على مجلس مؤلف من أشراف وقسس أو من أشخاص من أرباب الوظائف عينهم هو بنفسه واختار لنفسه هذه الحالة العنيفة المستبدة فى العمل من أجل أن لا يحتاج فيما بعد لطلب مجلس عموم المملكة الا انه ماحصل من هذا الفعل خلاف المعارضة وماقبل الكثير من الاساقفة والاشراف الدخول فى هذا المجلس الجديد والذين قبلوا الدخول فيه صاروا أعداء الامة وانفجرت الثورات فى محال عديدة من المملكة وصار ديوان الملك مرعيا عند كل جهة بأنه العدو جهرة ووجد الكردينال برين نفسه أنه صار على نهاية من أعماله فما كان له طاقة حتى على جباية ايراد يصرفه فى المصاريف المعتادة الخاصة بالحكومة وفى هذه الحالة المهينة أشار على الملك بطلب المجلس الكبير للامة فطلب لويز مع غاية الكراهة المجلس العمومى وأن يكون انعقاده فى فرسايل فى غرة مايو سنة ١٧٨٩ بعد الميلاد ولما رأى الكردينال برين أوان حلول العاصفة استعفى من وظيفته فى أغسطس سنة ١٧٨٨ وترك فرانسا على الفور وتوجه الى ايطاليا فالتزم لويز فى هذا الحين على طلب نيكار وعهد اليه ادارة أشغال الحكومة فكان يوم عود نيكار الى الحكومة يوم أفراح فى كافة جهات المملكة وشرع فى الحال فى اجراء الاشغال اللازمة لمداواة ماحصل من المفاسد فى مدة الكاردينال دوبرين وألغى مجلس التسجيل الذى رتبه الملك وأعاد لمجلس برلمان باريس حقوق امتيازاته القديمة وأفرج عن المسجونين من أعضائه وعمل اصلاحات واسعة فى مالية المملكة وجعل للحكومة طاقة على أخذ القرض اللازم لها وأعد الاستعدادات المختصة بانعقاد مجلس العموم وكانت أعضاؤه معينة الى حد ألف عضو بأمر سلطانى ووقع الانتخاب وكان فيه هياج وظهر لارباب الافكار أن الامة عزمت على أن تستلم أزمة أعمالها وتقبض عليها بأيديها وكان فصل شتاء سنة ١٧٨٧ وسنة ١٧٨٩ شديد الصقعة حتى خابت مواسم المحصولات وقلت المؤن فضلا عن زيادة أسعارها وتسلطن الالم والضنك بين الفقراء وعلى الخصوص فى باريس فتولد من ذلك شدة النفور وعملت الاجتهادات اللازمة فى خلاص هؤلاء الفقراء من المصائب الحائقة بهم وبذل نيكار كرمه فى شراء الخبز من طرفه لفقراء باريس الذين أهلكهم الجوع

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ الثورة ﴾

انعقاد مجلس العموم ـ ترتيب المجلس الملى ـ يمين قاعة اللعب ـ جلوس الملك ـ انضمام الثلاث طوائف ـ انذار المجلس للملك ـ تجمع العساكر فى باريس ـ التغلب على قلعة الباستيل وخرابها ـ

وجود لويز فى لوكندة المدينة ـ قتل فولون ـ الغاء الامتيازات ـ الوليمة فى فرسايل ـ وجود أوباش باريس فى فرسايل ـ هجوم على السراية ـ الزام العائلة الملوكية على الانتقال الى باريس ـ المجلس الملى فى باريس ـ اجرآت المجلس ـ ضبط أملاك الكنيسة ـ صكوك التحويل ـ هجرة الاشراف ـ عيد الاتحاد ـ موت ميرابو ـ هروب العائلة الملوكية ـ القبض عليهم فى فارينه والزامهم بالعود الى باريس ـ النظام الجديد ـ مجلس النواب ـ وجود الاحزاب فيه ـ الاوامر الصادرة فى حق المهاجرين ـ بطيون والى باريس أو محافظها ـ ضلال الحكومة ـ اعلان فرانسا الحرب على أوستريا ـ ثورة ٢٠ يونيه ـ وجود المملكة على شرف الخطر مشى المتطوعين نحو باريس ـ اعلان دوق برونسويك ـ الحوادث فى ١٠ أغسطس ـ تغلب الاوباش على سراية التوارى ـ خلع الملك ـ حبس العائلة الملوكية فى الهيكل ـ خيانة لافييت ـ اغارة البروسيانيين على فرانسا ـ تغلبهم على لنغوى وفردوم ـ مذابح سبتمبر ـ واقعة فالمى وجاب ـ التغلب على بلجيقا ـ المؤتمر الملى ـ محاكمة الملك ـ صدور الحكم عليه وقتله ـ اتحاد الدول الاورباوية على فرانسا ـ خيبة دوموريز ـ سقوط الغيرونديين ـ الثورة فى لافندى ـ قتل الملكة ودوق أورليان والغيرونديين ـ تسلطن الفزع ـ سقوط روبسبير ومونته ـ اطفاء المؤتمر الثورة العقوبية ـ انتصار جيوش الجمهورية فى بلجيقا وايطاليا ـ طرد الاوستريانيين على أعقابهم وراء نهر الرين ـ التغلب على هولنده ـ الصلح مع بروسيا واسبانيا ـ موت لويز السابع عشر ـ الافراج عن البرنسسات الملوكية ـ اخماد الثورة فى لافندى ـ ثورة الاقاليم ـ اطفاؤها بواسطة نابليون بونابارتو ـ الارتباكات فى المالية ـ صيرورة بونابارتو قائد جيش ايطاليا ـ حربه فى بدمونط ـ الصلح مع سردينية ـ واقعة لودى ـ احتلال ميلان ـ حصار مونطوه ـ واقعة كاسطغليون وروفردو وباسانو ـ حركات جوردان ومورو فى باقاريه ـ وقائع أركول وريفولى ـ سقوط مونطوه ـ سقوط الجمهورية الفنيزيه ـ الشقاق فى فرانسا ـ ملخص حالة ٤ سبتمبر سنة ١٧٩٧ ـ معاهدة معسكر فورميو ـ تغلب فرانسا على الاراضى الباباوية ـ وجود الفرنساوية فى السويس ـ الحملة على مصر ـ واقعة الاهرام ـ وجود نابليون فى سوريا ـ حصار عكا ـ عود نابليون الى فرانسا ـ الاتحاد على فرانسا بمجلس رسطاد ـ ذبح المبعوثين الفرنساوية ـ ضياع الفرنساوية ما تغلبوا عليه فى ايطاليا

افتتاح مجلس المملكة

فى أثناء ما كان القتام والظلام على فرانسا انعقد مجلس عموم المملكة فى ٥ مايو سنة ١٧٨٩ فى فرسايل وافتتحه نفس الملك مع الابهة والاجلال وكانت هيئة هذا المجلس منذرة بسوء العاقبة وكان مؤلفا من ١١٤٥ عضوا مقسمة بين الثلاث طوائف كما هو آت فكان من خدمة الدين ٢٩١ نفس ومن الاشراف ٢٧٠ نفس وأما نواب الطائفة الثالثة أو الامة فكانوا ٥٨٤ نفس وكان ثلثا نواب خدمة الدين قسا موظفين فى الوظائف الكنائسية المسماة بالابرشيات وكانوا على ميل واستعداد لتعضيد نواب الطائفة الثالثة فقامت شوكة الامة فى المجلس وكانت هى الاقوى والتأم النواب مع بعضهم من أجل اصلاح اضراراتهم وعولوا على فعل ذلك فالتأم نواب الطائفة الثالثة فى القاعة الكبيرة للمجلس وخدمة الدين والاشراف فى قاعات أخرى مفصولة عن بعضها فطلب نواب الامة

نواب الاشراف من أجل الانضمام معهم فى شأن ما يتعلق بترتيب المجلس وفصل المسائل المهمة باغلبية الاصوات وكان نواب الامة عولوا على الاتحاد وكثرة العدد وعدم حصول الانفصال وأن يكون الفصل فى القضايا باصوات من عموم النواب مرة واحدة فقابل الاشراف دعوتهم واجتمع الاشراف والقسس فى قيعانهم كل بمفرده وتمموا ترتيب أنفسهم على معزل منهم فقال نواب الطائفة الثالثة انه بعدم وجود الطائفتين الاخريين لا طاقة لهم على ترتيب ما يقوم بصالح النيابة ومضى على ذلك عدة أسابيع وقع فيها السعى فى ازالة عدم الاتفاق فكان على غير ثمرة وآلت النتيجة الى أن انضم بعض نواب خدمة الدين الى نواب الطائفة الثالثة وفى ١٧ يونيه أعلنوا بالغا لقب مجلس المملكة ورتبوا أنفسهم فى هيئة مجلس ملى وأعلنوا بانهم هم مجلس شورى القوانين فى فرانسا وشرعوا فى الحال فى سن القوانين اللازمة لحالة البلاد وفى ١٩ يونيه قرر خدمة الدين بقليل من الاصوات انضمامهم مع المجلس الملى فاستغربت الحكومة من الجسارة التى حصلت من الطائفة الثالثة وأغوى الاشراف الملك على كونه يحط شوكة هؤلاء المستبدين بيد قوية فأذعن الملك لذلك وأصدر أمره للمجلس بتوقيف جلساته مدة ثلاثة أيام وفى نهايتها يجمع مجلس ملوكى فى قاعتهم ويعرض على المجلس عزمه بشأنهم وفى صباح اليوم الثانى وجد أرباب المجلس الملى قاعتهم مقفولة وعليها خفر من العساكر الملوكية لم يسمح لهم بدخول القاعة فغضب بيلى رئيس المجلس وأقام الحجة ضد ما وقع من الاقتحام على حقوق هذا المجلس واعتزل الاعضا سوية الى قاعة كانت معدة للعب وحلفوا فيها يمينا مؤكدا على أنهم يلازمون على جلساتهم وينشرون أعمالهم على حسب مقتضيات الاحوال حتى يصير نظام المملكة على أساسات قوية وفى ٢٢ يونيه انعقد المجلس فى كنيسة سنت لويز رغما عما كانت عليه الحكومة من منعها الجتماعه وانضاف اليه فى هذه الكنيسة ١٤٩ نفس من أعضاء نواب خدمة الدين تحت رياسة رئيس أساقفة فيانه وفى ٢٣ منه انعقد المجلس الملوكى كتصميم الحكومة وأمر الملك المجلس بابطال شغله والشروع فى انعقاد عموم المجلس فى اليوم الثانى فى القيعان التى تخصصت لاعضائه ولما خرج الملك من المجلس تبعه الاشراف وبعض من خدمة الدين واستمر نواب الطائفة الثالثة جالسين فى مقاعدهم ومن بعد زمن قليل عاد اليهم ماركيز دوبريزى وقال أيها الاعيان قد سمعتم أوامر الملك فاجابه رئيس المجلس بقوله نعم وأنا الآن منتظر أوامر المجلس وما يقرره وقام الكونت ميرابو وكان قبل ذلك قائدا أكبر لحزب الامة وقال مع الغضب لرسول الملك نحن سمعنا أغراض الملك وأنت يا أيها الرجل الذى ليس له مقعد ولا صوت فى هذا المجلس لست آلة صالحة حتى تذكرنا كلامه ارجع لمولاك وقل له نحن هنا بقوة الامة ولا يطردنا من هذا المحل شئ أقل من السلاح فخرج الماركيز وشرع المجلس فى نشر الاوامر اللازمة لعدم القبض على أى واحد من أعضائه وقرر جزاء الموت على كل واحد يتعدى عليه بالاقتحام على حريته وفى هذا الوقت وقع الكرب بين الملك والامة وكان ذلك مبدأ للثورة الكبيرة الفرنساوية وطلب الملك فى هذا الوقت مع غاية الضعف من الاشراف وخدمة الدين الموجودين معه انضمامهم الى المجلس الملى فرفضوا مع غاية الكراهة وفى ٢٧ يونيه تم اجتماع الثلاث طوائف نظام المجلس الملى ومن ثم تنازل الملك عن كافة طلباته وصدق على الفعل الغير قانونى الذى أجراه نواب الامة ومن بعد هذا الخبل والجنون ما كان شئ الا الدمار والخراب

ومع ما حصل للويز من تسليمه طلباته فانه أذعن للمشورة الفاسدة التى تلقاها من الملكة وحزبها وعزم على بقاء سلطنته بالقوة وجمع جيشا مؤلفا من ٤٠,٠٠٠ نفس تحت قيادة المارشال بروغلى فى باريس وكان الكثير من آلايات هذا الجيش مؤلفا من سويس وجرمانيين بالاجرة ولما رأى الملك نفسه فى سلامة تحت محافظة هذا الجيش عزل نيكار من وظيفته وكان الملك وحزبه على خوف منه وأمره بالخروج من فرانسا فى الحال فخرج منها وتوجه الى بروكسيل فكان عزل نيكار من الوظيفة سببا فى وقوع الارتجاج الاكبر فى باريس وقام الاهالى فى الحال فى ثورة وقاوموا ما وقع من اجتهاد العساكر الملوكية فى تفريقهم وترتب مجلس من المنتخبين فى لوكندة المدينة من أجل مباشرة حركة الثورة وأصدر هذا المجلس أمره بترتيب الخفر الملى ولاجل تسليح هذه القوة ضبط مجلس اللوكنده كثيرا من الاسلحة والمدافع والذخائر الحربية الموجودة فى قشلة السقط وأمر بتشغيل ٥٠,٠٠٠ مزراق فى يومين وصارت باريس بأكملها فى يد الاوباش وكانت العساكر السلطانية معسكرة فى ميدان البزى فما حصل منهم أدنى اجتهاد فى تداخلهم فى أمر الامة وأصر ضباطهم على عدم التداخل فى أى شغل مضاد للامة وفى ١٤ يوليه هجم الاهالى هجوما مفزعا على قلعة الباستيل وهى قلعة السجن المهولة وكانت أقبح شئ عند الامة بما أنها كانت معقل الجور فدافع عنها محافظها دولونى بالشجاعة مع نحو ٢٠٠ نفس من السويسيين ثم هجم عليها العوام وتغلبوا عليها فى خمس ساعات وقتلوا محافظها وثلاثة من ضباطه فارتاع الملك فى هذا الوقت وتوجه على أقدامه من دون خفر الى المجلس الملى فى اليوم الثانى ووعد المجلس بطرد العساكر الاجنبية وعود نيكار ومداومته على ما تحبه الامة فصار الاحتفال به بصفة انه مخلص بلاده من كروبها وعاد الى سرايته فى وسط خفر من طرف المجلس وفى اليوم الثانى دعا بيلى وكان محافظ باريس فى هذا الوقت لافايط الى باريس فرآها محفورة بجيش من العوام فقابله بيلى فى لوكندة المدينة بكلام الطاعة ورحب به وسلمه مفاتيح المدينة ثم لبس الوردة ذات الثلاثة ألوان وعين لافايط قائد الخفر الملى وعاد الى فرسايل وكان لافايط المذكور اشتهر اسمه فى الحرب الامريكانى الاستقلالى وصار محبوبا عند الامة وما كان العوام على راحة بال من أمرهم من دون سفك دماء فقبضوا على فولون خليفة نيكار فى الوزارة مع زوج ابنته برطيير وصلبوهما فى عمود قنديل فى ناصية الشارع وما كانت شراسة العوام مقصورة على العاصمة فقط فان من كثرة ما كان واقعا عليهم من شدة الظلم بواسطة القوانين وجدوا فى حريتهم الراهنة انه من الوجوب عليهم الانتقام من ظالميهم فقام فلاحو الاقاليم فى ثورة على أرباب الاراضى وعلى الخصوص فى دوفينى وبروفنسه وبورغندى وأوقعوا بهم الفظائع فشرع المجلس الملى فى أخذ الاحتياطات اللازمة فى عود النظام وازالة ما كان جاريا من المظالم التى كانت الامة فى ضجر منها وعرض فيسكونت نيل ودوق زاغيلون على المجلس أنه يلزم الغاء جميع الحقوق الالتزامية والامتيازات الموجودة فقبل المجلس مع السرور هذا العرض وانقرض فى الحال قانون الالتزامات القديمة فى فرانسا وألغيت حالة الرق وعهدت الخدمات الملكية والعسكرية على الطوائف وصارت الاورمانات والانهر حرة لكل انسان وأبطلت عشور العونة التى كانت مخصصة لمساعدة خدمة الدين وكان المأمول أنه بواسطة هذه الاعمال تزال المضار التى كانت المملكة متألمة منها وشرع المجلس فى انشاء قانون جديد ذكر فى بنوده حقوق بنى الانسان حتى قال لافايط ان الحق يقاوم الباطل وفى مدة اشتغال المجلس بسن القوانين ارتبكت أعماله من ثورة جديدة هاجت فى باريس

وذلك انه فى مأدبة عملت لاحد الآلايات الملوكية فى فرسايل فى ٣ اقطوبر رميت الوردة ذات الثلاثة ألوان على الارض تحت الاقدام وغرزت الوردة البيضاء للبوربونيين مع غاية الحمية ونقلت اجراآت هذه العداوة للامة فى باريس فى أثناء ارتجاجهما من هياج الجوعانين من الفقراء فكانت سببا فى وقوع هياج وفى صباح يوم ٥ سار شرذمة من العوام مع شرذمة من النساء ممتلئين بالغضب من باريس الى فرسايل من دون أن يكونوا مضمرين على رأى من الآراء ودخل جماعة منهم فى قاعة المجلس الملى وطلب سفيه منهم اسمه ميلار دنجاة الفقراء الموجودين فى باريس فتوجه رئيس المجلس فى الحال الى الملك للمداولة مع جلالته فيما يمكن اجراؤه وتوجه معه جملة من النساء فتلقاهن الملك بالرأفة حتى أخذ ما كان معهم من السلاح ووعدهم أن يبذل جهده فى خلاصهن من الجوع وفى أثناء ذلك هاج الهجاج بين الخفر الملوكى والذين كانوا باقين من الثائرين لحصل من العوام تهديد شديد لديوان الملك وعلى الخصوص الملكة وحفروا لانفسهم نقرا أوقدوا فيها النيران فى الشارع واستمروا حولها طول الليل ثم وصل لافايط فى منتصف الليل من باريس مع الخفر الملى من أجل المحافظة على الملك وفى نحو الساعة خمسة صباحا هجم جماعة من الثائرين على القصر واغتصبوا طريقهم الى محل اقامة الملك ولو أن جماعة من الخفر الذين كانوا على خفارة الابواب ثبتوا فى مواقعهم ودافعوا حتى قتلوا جميعا على باب قاعة الملكة لكانت العائلة الملوكية قطعت بالكلية ونجح لافايط فى كونه طرد الاوباش بمساعدة بعض من عساكر الخفر وأخمد الثورة وطلب العوام فى هذا الحين أنه لابد من عود الملك الى باريس حتى يكون فيها تحت حكم زعماء الثورة ولما رأى لافايط انه يستحيل عليه منع هذا الكرب بأى حالة من الاحوال أشار على الملك باجابتهم طلبهم وفى ٦ اقطوبر قامت العائلة الملوكية متوجهة الى باريس مصحوبة بازدحام من أدانى الطوائف حتى جعلوا السفر من أقبح الاسفار بواسطة زعيقهم الوحشى وغلبتهم على الملك وبمجرد وصول الملك الى باريس توجهت العائلة الملوكية فى الحال الى سراية التولرى وكانت خالية من عهد قرن ومن ثم انتقل المجلس الملى الى باريس ومن هذا الوقت صار فى أشغاله من دون تمييز لاحد وقعد الاشراف والقسس والعوام بجانب بعضهم وتقلد زمام أشغاله على مقتضى القانون الجديد واستمر عليها سنة من دون انقطاع وأبطلت كافة الامتيازات والوهن القديمة ووضعت المذاهب والعقائد الديانية على منوال واحد وصارت طوائف الامة فى درجة واحدة أمام الشريعة وانفتحت وظائف الخدمات الملكية والعسكرية فى المملكة لكافة رجال فرانسا من دون مراعاة أصل أو عقيدة دين وألغيت حقوق الوراثة بالنظر للبكورية وطلب من الوالدين تقسيم ما يحوزان عليه بين أولادهما بالمساواة وأصلحت ادارة العدل ومحاكمها وتقرر جزاء القتل على كل جريمة حصلت كبيرة كانت أو صغيرة ومنحت حقوق الانتخاب على كل مدنى وألغى التقسيم القديم الذى كان فى المملكة وقسمت فرانسا الى ثلاث وثمانين مديرية متساوية السعة تقريبا وصار تقسيم كل مديرية الى أقسام وأخطاط وأبطلت وراثة ألقاب الشرف ودخل الاشراف فى درجة عداد أهل المدائن ووجه المجلس الملى أيضا التفاته الى المالية ولما أعاد الملك نيكار عرض على الملك طلب قرضين ثقيلين وعوائد باهظة بلغت ربع مدخول كل شخص مقرر عليه الضرائب ومن بعد مداولات كبيرة صار قبول ما عرضه نيكارا الا أن القرضين ما حصلت المخابرة فيهما ولما صار تقدير مدخول التبعة بأنفسهم م أدعنوا لهذه العوائد الا أنها كانت غير كافية بالكلية وفى هذه الحالة صدر أمر المجلس بضبط

الاملاك والعقارات التابعة للكنائس فى فرانسا وبيعها ولاجل ضرورات الوقت سمح للذين اشتروا هذه الاملاك بوضع سندات بمواعيد محدودة كافلة للبيع أطلق عليها سندات التحويل وصدر الامر بالمعاملة بها وانتشرت نقود الورق بدل النقود المعتادة ثم بعد ذلك أخذت الحكومة هذه الاوراق بما أنها كانت كافلة لعودها وهلاكها ثم انخفضت أسعارها حتى صار لاقيمة لها ثم انه من عهد سقوط قلعة الباستيل كان الاشراف أخذوا فى ترك فرانسا والبحث عن محل أمين فى ايطاليا والسويس وجرمانيا وترك كافة البرنسات الذين هم من الدم الملوكى وكبار الاشراف الملك وبلاده وبحثوا عن محلات يأوون اليها فى الممالك الاجنبية

وفى ١٤ يوليه سنة ١٧٩٠ صار اقامة عيد يوم التغلب على الباستيل وعيد الاتحاد فى ميادين مارث ونصب منبر فى هذا الميدان المربع الواسع أمامه تختان متساويان فى الابهة صار استعدادهما بجانب بعضهما واحد جلس عليه الملك وآخر جلس عليه رئيس المجلس أما العائلة الملوكية فانها جلست على كراسى خلف التختين وكان الميدان مشغولا بأعضاء المجلس والخفر الاهلى وعساكر الخدا ومقدارهم نحو من ٦٠٠٠٠ نفس من عساكر الاتحاد وجم كبير من أهل المدينة وصلى (طاليراندو بيريغورد) أسقف أوطون صلاة القداس ثم حلف كل من الملك ولافايط وجميع أعضاء الاتحاد اليمين المطلوب للمجلس الملى وفى أثناء أخذ اليمين على الملك رفعت الملكة الدوفين الصغير على ذراعها اشارة الى أنه مشترك فى اليمين مع أبيه فتسلطنت فى هذا الوقت الغيرة الكبيرة فى قلوب الناس ومن سوء الطالع أعقب هذا اليوم ثوران شديد فى الاقاليم قتل فيه الكثير من الانفس ولما رأى نيكار أن أعماله ليست مقبولة عند الامة استعفى من وظيفته وتوجه الى السويس فى سبتمبر سنة ١٧٩٠ بعد الميلاد

ثم صار (ميرابو) فى هذا الوقت رئيس المجلس الملى وأضمر فى نفسه رأيا أمل فيه السلامة للسلطنة والمحافظة على حرية الامة وظن فى نفسه أن فيه الطاقة الكافية على جمع كافة أرباب العقول على رأيه الا أنه من عدم بخت الملك مات ميرابو فى ٢ ابريل سنة ١٧٩١ ومات رأيه معه وكان رجلا جليلا فكان موته مصيبة كبرى على المملكة بما انه كان فى طاقته المحافظة على السلطنة والحرية القانونية وبموت ميرابو انقطع الامل الاخير الذى كان عند الملك وغضب من الزعازع التى هو عرضة لها وعزم على الهجرة من باريس والالتحاق بالجيش فى مونطميدى وجرت المخابرات مع امبراطور جرمانيا وعدة من الملوك الاجنبية فى مساعدة ملك الفرنساوية بالجيوش وفى ٢٠ يونيه تركت العائلة الملوكية باريس فى السر وسارت حتى وصلت الى فارينه على الطريق الموصل الى مونطميدى فوقع القبض عليها فى هذه الناحية وأعيدت الى باريس مع الوقاحة وصدر أمر المجلس الملى بتوقيف لويز من وظيفته الملوكية الا أنه تقرر عوده الى تخته فى حال نشر القانون الجديد فتولد من هذا الامر حنق شديد عند حزب الثورة وكان هذا الحزب يؤمل أن هرب الملك يوجب عزله وأقام حزب اليعقوبية والكوردليير حجة بالغة على أمر المجلس ومنشوره فى ميدان مارث فى ١٧ يوليه فأمر المجلس بلى ولافايط بحفظ النظام ومن بعد الاجتهاد من دون ثمرة فى طرد الاوباش بطريقة سلمية أمر بلى وكان فى هذا الوقت والى باريس الخفر الملى باطلاق النيران على الامة فاطاع الخفر الامر وقتل عدة من الثائرين فكان هذا الحكم سببا فى غضب أرباب الثورة على المجلس ووالى باريس ولافايط ثم عرض القانون الجديد على الملك ومن بعد أن تصفحه عدة أيام صدق عليه ولما حضر فى المجلس فى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٩١ حلف يمينا بالمحافظة عليه

نعم ثم صار عوده الى وظيفته الملوكية وأعلن الرئيس بتمام أشغال المجلس ورخص للذين لا طاقة لهم على الحضور من أرباب المجلس بعدم الحضور فى الانعقاد القابل وانفض المجلس فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٧٩١ بعد الميلاد

وفى أول أقطوبر انعقد مجلس النواب وكان مؤلفا من ٧٤٥ عضوا جميعهم من الطوائف المتوسطة ما كان لهم دراية بأحوال المملكة ولا يعرفون من أى طريقة تأتى لها الثروة وليس عندهم علم بالاحوال التى يأتى منها النفع لفرانسا وكان مشتملا على عدة أحزاب ممتازة فكانت جهة اليمين مؤلفة من حزب المحافظين ويدعون بالفولنطيين اسم دار ندوتهم الموجودة فى الدير القديم المعروف بالفولنطى وكان أرباب هذا الحزب مكتفين بما وقع عليه الاتفاق بطريق الاصلاح ومحافظين على القانون الجديد الموطد لحقوق الامة والمحافظة على السلطنة وداوم هذا الحزب على السلوك الحبى مع الملك وكان معضدا بلافايط وكان الشمال مؤلفا من أرباب الثورة فكانوا على طريقة غير ثابتة فى أعمالهم وكان مشتملا على أشداء البأس من الرجال الموجودين فى المجلس وكان الكبار فيه من جهة غيروند فمن ثم أطلق على هذا الحزب اسم الحزب الغيروندى وكان متحدا معه حزب صغير موجود فى الاطراف اسمه الحزب الجبلى بسبب أن أعضاءه جالسون على كراسى مرتفعة فى الجهة الشمالية من قاعة المجلس وكان لجميعهم رغبة فى سقوط السلطنة وقيام جمهورية وكانوا قواد أهل باريس وكان أهل باريس ينظرون اليهم بأنهم هم المعاضدون لهم وكانوا متقوين بحزب اليعقوبية والكوردليير وكان قائد الحزب الاول مكسيمليان روبسبيير وقواد الحزب الآخر دانطون ـ وماراط ـ وكاميل ديسمولين ـ وفابر دغلاطين وكان قلب المجلس مؤلفا من الجبناء والضعفاء من الناس وكانت أصواتهم مع الحزب الغيروندى وما لها نفوذ وابتدأ هذا المجلس فى أشغاله باصدار أمره الى كونت بروفنسه (الذى صار فيما بعد لويز الثامن عشر) وكان هاجرا من فرانسا بالعود اليها فى ظرف ستين يوما وان رفض القبول يكون محروما من طلبه للنيابة وصدق الملك على هذا الامر وكان الاشراف الذين هاجروا من فرانسا جندوا جيشا على شاطئ نهر الرين من جهة جرمانيا تحت قيادة برنس كوندى وكانوا يحثون على تهييج ثورة فى مرضاة الملك فأصدر المجلس أمره اليهم بعودهم الى فرانسا وأعلمهم بأنهم اذا وجدوا تحت السلاح لحد أول ينايرسنة ١٧٩٢ فانهم يعاقبون بضبط أملاكهم والحكم عليهم بالموت اذا وقع القبض على واحد منهم وبما أن المهاجرين كانوا تحت السلاح من أجل خاطر الملك لم يصدق لويز على هذا الامر نعم ثم وقع الارتياب فى صداقته وظهر أنه كان مائلا لدسيسة هذه الافعال ثم ان المجلس أصدر منشورا ثانيا متضمنا حرمان خدمة الدين الذين ما قبلوا اليمين على طاعة القانون الجديد من المساعدات الممنوحة لهم من طرف المملكة وأن يكونوا دائما تحت مناظرة عساكر الشرطة ومن حيث ان كافة خدمة الدين ما دخلوا فى اليمين الا قليلا منهم صار هذا الامر جامعا لهم فما قبله الملك وقال انه أمر غير ملطف للظلم ثم ان الحكومة وقعت فى هذا الوقت فى خطأ ظاهر وذلك أنه وقعت الكراهة بين الملكة ولافايط الصادق المحب للسلطنة القانونية و بيطون الغيروندى الغيور وكانا من حماة باريس ولاتهما الخضت الملكة الحكومة على أن تعهد نفوذ سلطتها الى بيطون العدو للقانون والسلطنة وبمساعدة هذا النفوذ صار انتخابه فكان هذا سببا فى وقوع حكومة المدينة بتمامها فى أيدى الغيروندين وكان مجلس البلدية محكوما من قبل بواسطة دانطون وروبسبيير وطاليان وغيرهم من زعماء الثورة وفى هذا الوقت تداخلت الامارات الجرمانية

فى عود لويز السادس عشر الى ملوكيته الحقيقية وقطع دابر أشغال الثورة فلما جلس الامبراطور فرنسيس الثانى عرضت أوستريا بلاغا أخيرا على فرانسا تطلب منها عود السلطنة الفرنساوية الى ما كانت عليه وتسليم اقليمى الالزاس واللورين للبرنسات الذين أخذا منهم وعود الاراضى الفنيزيانية الى البابا ورجوع الاملاك المضبوطة الى الكنيسة فقابل المجلس تداخل أوستريا هذا باجراآت فاصلة والتزم الملك بعزل وزارة حزب المحافظين واستبدالها بأخرى مؤلفة من حزب الغيروندين وفى ٢٩ ابريل سنة ١٧٩٢ بعد الميلاد صار اعلان الحرب على أوستريا فكان لا يوجد انسان فى أنحاء أوروبا عنده أدنى فكر الا ويعتقد وقوع الاهوال والارتباكات والشروع فى هياج الحرب وحصول التغيير فى خريطة أوروبا وحالتها وكان تيسر للحكومة الفرنساوية من ضبط أملاك الكنيسة ملء خزينتها بالنقود فجندت ثلاثة جيوش أعدتهم لحماية ثغور فرانسا وتعين الجنرال روشامبو فى رأس ٤٨٠٠٠ مقاتل من أجل المحافظة على الخط من ابتداء قلعة دونكرك الى حد مدينة فيليب ومن مدينة فيليب الى حد لوطربورغ تعين لحمايته الجنرال لافايط مع ٥٢٠٠٠ مقاتل واحتل المارشال لوكر مع ٤٢٠٠٠ مقاتل الاراضى الواقعة بين لوطربورغ وباسل فهزم الاوستريانيون فرقتين قويتين بالقرب من ليسل وفلنسيانه ونسبت هذه الهزيمة للاختلاس فاجتهد الغيروندين وكان لهم السلطة العالية فى المجلس فى اسكات القلاقل الحاصلة من الاوباش بنفى خدمة الدين الذين ما دخلوا فى يمين القانون وتفرقة الخفر الملوكى وترتيب معسكر مؤلف من ٢٠٠٠٠ نفس من عساكر الاتحاد بالقرب من باريس فرضى الملك بتفريق خفره ومارضى بالاجراآت الاخرى فأنذرته الوزارة الغيروندية مع الشدة فاصدر أمره بسقوطها فى ٢٢ يونيه سنة ١٧٩٢ وشكل لويز وزارة جديدة من حزب المحافظين فحصل من الوزارة الجديدة مدافعة قليلة جدا على المحافظة على القانون الجديد وكتب لافايط من معسكره فى حدود بلجيقا الى المجلس يطلب منه القبض على حزب اليعقوبية والاحزاب المتحدين معه وفى هذا الوقت أرسل الملك بلاغا فى السر حاويا تعليمات وتوقية للمهاجرين وبرنسات الاتحاد من أجل مساعدته فتولد من أعمال الوزارة وجواب لافايط ارتباك الاحوال واتحد الغيروندين واليعقوبية سوية على هلاك مبغضيهم وفى ٢٠ يونيه دخل فى قاعة المجلس جمع مؤلف من ٢٠٠٠٠ نفس من أهل الثورة متسلحين بالمناجل والبنادق والحراب تحت قيادة سوطير رجل من مبتدعى الفساد وخطب خطبة فى المجلس ومشى برجاله من وسط قاعة المجلس ثم سار هؤلاء الاوباش الى سراية التولرى ودخلوها فقابلهم الملك فيها مع الثبات وما فعلوا شيأ سوى الوقاحة وتهديد العائلة الملوكية ثم توجهوا لحال سبيلهم فتولد من ثبات الملك تغيير خفيف فى رد تأثير الاعمال المذكورة فمن ثم اجتهدت الوزارة فى الحصول على بعض من المنافع وعاد لافايط الى باريس واجتهد فى تجنيد قوة لاتحاد حزب اليعقوبية فما أجاب طلبه الا نحو من مائة نفس ولما خاب أمله عاد جيشه وما حصل منه ولا من حزبه أدنى سعى فى خلاص لويز من العاقبة المشؤمة التى تراآى لهم أنه لابد من وقوعها وفى هذا الوقت صارت فرانسا مهددة بالاغارات الاجنبية كما أنها مهددة بقلاقلها الداخلية التى ستغرقها فى بحر دماء حرب داخلى فأعلن المجلس فى ١١ يوليه بان البلاد على شرف الخطر وأنه يدعو الامة للاتحاد فى جامعة واحدة من أجل حمايتها فطاعة لهذه الدعوة تجند ألوف من المتطوعين فى أنحاء فرانسا وأسرعوا الى باريس وبينما كانت هذه التجنيدات آخذة فى التقدم قرب الجيش البروسيانى فى زحفه من حدود فرانسا للاغارة عليها وأصدر قائده دوق

بروانسويك من طرفه اعلانا بارداسخيفا يأمر فيه الامة الفرنساوية بانقيادها فى الحال الى لويز السادس عشر بما أنه هو الملك الشرعى القانونى لها وهدد الامة بخراب باريس فى حالة ما اذا وقع منها أدنى شدة فى عدم طاعة العائلة الملوكية ووعد دوق بروانسويك الامة اذا أجابت طلبه بأنه يتحصل من لويز السادس عشر على عفو عام عن عصاة الامة الفرنساوية فتولد من هذا الاعلان قيام عواصف الغضب فى أرض فرانسا وعلى الخصوص فى باريس وفى ٣ أغسطس اجتمعت أحزاب باريس تحت رياسة پيطون وتوجهوا الى المجلس وطلب خلع الملك فى الحال وفى ٦ منه عرض المتطوعون هذا الطلب أيضا فتردد المجلس فى أمره وأخيرا جزم بأغلبية الآراء على عدم القبض على الملك أوجلبه للمحاكمة فكان عدم قبول المجلس سيما فى قيام الهياج بين الاحزاب بشدة حتى عزموا على قبضهم زمام الاعمال فى أيديهم ولما أمنوا من حكومة الشرطة قاموا بالسلاح فى ليلة ٩ أغسطس وساروا من قبل طلوع الفجر الى سراية التولرى للهجوم عليها وكانت القوة العسكرية المعدة لخفر سراية التولرى تفوقت جدا بما بلغها هذا الهجوم واستعدت للمدافعة على آخر ما عندها عند هجوم الاوباش على السراية وكان منداط قائد هذه القوة صار طلبه عند مجلس البلدية فى لوكندة المدينة وتوجه لاخذ الاوامر اللازمة منهم وعند عوده أطلق عليه عيار نارى فى طريقه فمات وصارت القوة الموجودة فى سراية التولرى لاقائد لها وفى الساعة ٧ من صباح يوم ١٠ أغسطس أحاط العوام بالسراية ووجهوا عليها خمسين فوهة نارية فتوجه الخفر الملى الذى كان معهودا اليه حفظ السراية الى الامة وعزم الملك لما رأى من نفسه عدم طاقة أوطريقة فصل فى هذه الحالة المشكلة على أن يترك السراية ويتوجه تحت حماية المجلس فكانت هذه حالة فاصلة معادلة لحالة تنازله عن تخته الا أنها كانت واسطة بها يمكنه خلاص الملكة وأولادها وأصدقائها الموجودين فى خدمتها فترك العائلة الملوكية السراية تحت حماية رجال متسلحين من وجوه الناس ومن الخفر الملى وساروا على أرجلهم قاصدين قاعة المجلس فى الجهة المقابلة للبساتين ولما دخل الملك قاعة المجلس قال مع عزة الشرف انما جابين أعضاء المجلس لاطفاء اثم عظيم فأجابه رئيس المجلس بقوله ان جلالة الملك ربما يكون معتمدا على ثبات المجلس بحلفه اليمين أنه يموت فى حماية الامة والسلطنة القانونية فأخذت العائلة الملوكية مقاعدها خلف كرسى رئيس المجلس وشرع المجلس فى المداولة فى أشغاله وفى أثناء ذلك هجم العوام هجوما عنيفا على السراية وتغلبوا عليها عنوة وقتلوا شرذمة الخفر السويسى الذين كانوا خفراء فى السراية من بعد أن دافعوا أشد المدافعة وفى الساعة الحادية عشرة تغلب الثائرون على كامل السراية والمدينة ثم اقتحم الاوباش قاعة المجلس وشرحوا ما يلزم لهم لهذا المجلس فنصا لهذه الشروط أعلن المجلس بان فى سابق الامر كانت الشوكة المنفذة خرجت من قبضة الملك والآن تعينت له سراية لكزمبورغ من أجل اقامته فيها مؤقتا وطلب انعقاد مجلس من الامة فى الحال وتكلف بترتيب حكومة لفرنسا فى المستقبل ومن ثم صار حزب اليعقوبية أسياد باريس وشرعوا فى ادارة أحكام الامة بواسطة مجالسهم البلدى واستخدموا المجلس بتمامه فى مرغوبهم حتى يقال ان ادارتهم الحكومة على طبق القواعد القانونية المدونة فى القانون الجديد وشكلوا مجلسا اسمه مجلس السلامة تحت رياسة ماراط رجل شقى سفاك للدماء شرع فى طريقة التجسس والدخول فى المساكن على حين غفلة على زعم كشفه أسرار الثورات القائمة على الحكومة وتشكلت محكمة مخصوصة مؤلفة من

تسعة قضاة من أجل محاكمة الاشخاص الذين يتهمون فى تداخلهم فى ثورات على الحكومة وكانت تحت قواعد وأصول قانون جنائى وأحكامها نهائية وفى ١٣ أغسطس صدر أمر من المجلس بنقل العائلة الملوكية من سراية لكزمبورغ وسجنها فى قلعة الهيكل المظلمة وكان حبسهم من أول درجة من الشناعة والسفاهة وصار واعرضة للسب والقذف من خفر الشرطة وأرسل المجلس وسلا الى الجيش عند اخباره بثورة ١٠ أغسطس وطلب توطيد علاقات العساكر فرفض لافايط قبول هذا التغيير وقبض على الرسل فأعلن المجلس فى حقه بانه خائن فلما رأى نفسه أن العساكر تركوه وأن حياته فى خطر ترك قيادته للجيش وهرب الى معسكر المتحالفين فقبضوا عليه أشبه باسير وأرسلوه الى قلعة أولموطز الاوستريانية فاستمر أسيرا فيها نحو خمس سنوات وخلفه فى قيادة الجيش الجنرال دوموريز وفى أثناء ذلك دخل جيش المتحالفين وكان مؤلفا من ١١٠،٠٠٠ مقاتل تحت قيادة ملك بروسيا فرانسا فى ٣٠ يوليه وفى ٢٠ أغسطس حاصر مدينة لنغوى وسلمت فى ٢٣ منه ثم من بعدها زحف المتحالفون على فردون وأرسلوا جيشا لحصار طيونفيل ومن بعد قليل تغلبوا على فردون وفى هذا الوقت هدد الجيش البروسيانى مدينة باريس فتولد من انتشار أخبار نصرة البروسيانيين هياج كبير فى فرانسا وصار من المعتقد عند كافة الناس أنه لابد من تغلبهم على باريس وحصل القول الشديد بأن الحكومة يلزم أن تترك المدينة وتتقهقر فى جنوب نهر لاوار فعارض دانطون فى هذا الرأى وقال انه من الضرورى ضرب الحزب الملوكى بأصوات الفزع فاعتمد هذا القول وصار تنفيذه بواسطة مجلس السلامة ووقع القبض على الاشخاص الموجودين فى المدينة المظنون فيهم أنهم أعداء الثورة وفى ليلة ٣٠ أغسطس وقع القبض على ٣٠٠٠ نفس وأودعوا فى سجون مختلفة كانت ملآنة بأمثالهم من قبل وكان تقرر من أول الامر قتل هؤلاء وفى ٢ سبتمبر ضرب ناقوس الخوف وانتشرت الاشاعات بأن حزب الملك على شرف القيام من أجل خلاص المسجونين وتسليم المدينة للبروسيانيين فعم الهياج وفى وسط هذه الزوابع أرسل مجلس البلدية شرذمة من سفهاء الاجراء لقتل المسجونين فاستمرت هذه المذبحة خمسة أيام وخلت السجون من مسجونيها وكلما قامت روائح المقتولين فى الهواء ردم عليها الذباحون وكان من ضمن الذين قتلوا فى هذه المذبحة الشابة الجميلة البرنسيسة لامبال صديقة مريم انطوانيت وقتل عدة آلاف فى باريس وانتشر هذا الجنون حتى دخل فى الاقاليم وقتل فيها نحو من ٢٠٠٠ قتيل من الذين ينتمون للملك وكان قواد المذبحة فى باريس دانطون وروبسپير وماراط ثم تولد من تغلب البروسيانيين على فردون فتح الطريق للمتحالفين الى باريس الا أن دوق برونسويك بدل أن يسير فى الحال نحو تلك المدينة تأخر مسافة عشرة أيام على خط نهر الموز ومن ثم اكتسب الجنرال دوموريز خليفة لافايط زمنا كافيا فى احتلاله مضايق أورمانات أرغون مع ٣٠،٠٠٠ مقاتل ومن بعد حصول عدة وقائع كانت الواقعة المشهورة التى حصلت فى فالمى فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٧٩٢ وكان جيش دوق برونسويك قل عدده من كثرة ما حل به من الامراض وقلة المؤنات فأرغم على الانسحاب عابرا نهر الرين بخسارة ٣٠،٠٠٠ نفس فى هذه الغزوة القبيحة ثم ورد أمر الى دوموريز يرخص له طرد الاوستريانيين من الاراضى الواطية وفى ٢٣ اقطوبر هزم دوموريز جيشهم شر هزيمة فى نواحى جيماپيس وبهذه النصرة صار سيد الاراضى الواطية الاوستريانية وفى ١٤ نوفمبر دخل بروكسيل فقام أهلها فى الحال وخلعوا

طاعتهم لاوستريا ورتبوا الانفسهم جمهورية ثم صدر منشور من المجلس متضمن أن القواد الفرنساوية في عموم الاراضي التي تغلبوا عليها يجب عليهم أن يلغوا الحكومات القديمة و يضبطوا أملاك الاشراف وخدمة الدين و يقيموا هيئة حكومة جمهورية وفي ٢١ سبتمبر سنة ١٧٩٢ ألغى مجلس النواب وصار استبداله بالمجلس الاهلي وكان كافة أعضاء هذا المجلس من أرباب الثورة الا انه كان مقسوما الى حزبين في أشد العداوة لبعضهما وهما الغيروندبون والجبليون وكان حزب الجبليين معضدا بحزب اليعقوبية وأوباش باريس وأما حزب الغيروندبين فكان أكثر مهارة وعددا وكان حزب الجبليين أشد جسارة وعزما ففي أول يوم من جلسة هذا المجلس صدر منه منشور بالغاء السلطنة من فرانسا والابتداء في تشكيل الجمهورية من ذلك اليوم وألغيت كافة الالقاب وأطلق على الرجال اسم تبعة والنساء تبعات أومدنيات وحكم على المهاجرين من فرانسا بالنفي المؤبد واذا دخل أحد منهم فرانسا صار اعدامه

ثم وقعت مجادلات عنيفة في هذا الوقت بين الغيروندبين والجبليين فيما يختص بعقاب الملك وكانت نتيجة المجادلات نصرة حزب الجبليين فكان الامر أن لويز أبوطقية يلزم جلبه للمحاكمة أمام المجلس بصفة أنه مازال ملكا وفي ١٠ ديسمبر صار قراءة صك الشكوى من المجلس على لويز فكانت أكبر الشكايات التي عرضت في حقه من المؤتمر طلبه من الدول الاجنبية على الاغارة على فرانسا وتولد من اهماله الجيش ضياع لنغوى وفردون وكان هو السبب الاصلي في حصول ثورة ١٠ أغسطس قاصدا بها هلاك رعيته وابتدأت محاكمة الملك في ١١ سبتمبر فدافع عنه ثلاثة من أكبر المدافعين المتشرعين عن خاطر وابحياتهم في هذه الخدمة وأظهروا براءته من كل مانسب اليه من التهم الا أن قتله كان متفقا عليه من ابتداء الامر ووقع الاعلان بجريمته بأغلبية الاصوات ثم ان المجلس طلب الفصل في مادة عقابه فصدر الحكم عليه بالموت بأغلبية الاصوات وكان الغيروندبون على محبة تامة في خلاص الملك من الموت الا أنهم ما كان لهم طاقة وكان من ضمن الذين قرروا أمر موت الملك دوق أورليان خاله وكان جالسا في المؤتمر بلقب فيليب اجاليتي وأمر المؤتمر بتنفيذ حكم الموت في ظرف أربع وعشرين ساعة وسمح للملك في كونه ينظر عائلته وعين لملازمته على حسب اختياره (القسيس ادغيوورط) وفي صباح ٢١ ينايرسنة ١٧٩٣ حمل لويز محفظا عليه بخفر قوي من العساكر في عربة من قلعة الهيكل الى ميدان الثورة (المسمى الآن ميدان الاتفاق) وكان منصوبا في وسط هذا الميدان آلة قطع رقاب المجرمين والزحام لا يحصى عدده وهم على غاية من الانصات ثم ان الملك قوى نفسه واجتهد في أن يعرض أقواله على هذا الزحام فأمر سوطير قائد العسكر بضرب الطرمبيط وصار لا يسمع من الملك صوت فسلم نفسه للموت وقطعت رأسه من بدنه ورفع الجلاد الرأس مضمخة بالدماء أمام الزحام وصرخ (تعيش الجمهورية) وكان لويز في سن تسع وثلاثين سنة وتسلطن نحو تسع عشرة سنة فأعلن أخوه كونت بروفنس نفسه وكان منفيا بوصايته ونيابته لابن أخيه الصغير لويز السابع عشر وكان هذا محبوسا في هذا الوقت في قلعة الهيكل

محاكمة لويز السادس عشر وقتله

ثم انه تولد من قتل الملك هياج شعور احساس الفزع والغضب في كافة أوروبا وراعت الدول الاوروباوية أن هذا الفعل تهديد عام لعموم سلاطين الدنيا ونظروا الى فرانسا بعين أنها هي العدو المبين لبني الانسان فدخل كافة الملوك والامارات في جامعة واحدة على فرانسا واتحدت بريطانيا

الكبرى وروسيا وبروسيا والمملكة وسردينية والسيسيليتان والبرتغال فى محالفة واحدة عليها فصدرت الاوامر من فرانسا الى سفرائها الموجودين فى هذه الدول بتركها اياها وصار طرد الفرنساوية الساكنين فى تلك الممالك منها ووقع القبض عليهم وأعلنت فرانسا حربا فى الحال على ملوك انكلتره وهولنده واسبانيا وكان ذلك امتيازا عمل بمعرفة المؤتمر بين الامة الفرنساوية وهؤلاء الملوك واتضح أن الحرب ضربة موت دموية على الجمهورية وأمر المؤتمر بتجنيد جيش مؤلف من ٥٠٠،٠٠٠ مقاتل فى الميدان وأما اسويج ودانيمارقه والسويس فكانت هى الممالك التى بقيت على عهدها فى شروط وديه مع الجمهورية الفرنساوية وكان الجنرال دوموريز بمجرد تغلبه على الاراضى الواطية الجرمانية الاوستريانية بذل جهده فى خلاص حياة الملك والمحافظة على السلطنة القانونية وفى أثناء المجادلة فيما يختص بأمر لويز وقتله عاد الى باريس وبذل مافى طاقته فى عدم الاقرار على اعدام الملك ولما رأى ان اجتهاده ليس بطائل رجع على الفور الى معسكره ومن بعد ذلك بقليل صدر له أمر المؤتمر بالزحف على الاوستريانيين الموجودين تحت قيادة برنس كوبورغ ففعل كما أمره المؤتمر وانهزم فى نيروندن فى ١٨ مارث مع خسارة ٤٠٠٠ نفس ودخل فى معاهدة مع القواد الاوستريانيين بقصد سقوط الجمهورية وعود السلطنة القانونية تحت سلطنة دوق شارطريس الابن الكبير لدوق أورليان الذى صار فيما بعد ملكا باسم (لوى فيليب) فوصلت أخبار خيانته الى باريس وأرسل المؤتمر أربعة مبعوثين الى معسكره للقبض عليه فقبض دوموريز عليهم وسلمهم للاوستريانيين ودعا عساكره ليتبعوا أمره فى الاجتهاد فى خلاص فرانسا من جور المؤتمر فتركه عساكره وهرب هو الى المعسكر الاوستريانى لسلامته وما سمح له من بعدها بالدخول فى فرانسا وفى أثناء ذلك ثار الشقاق بين حزب اليعقوبية والغيرونديين وفى ١٠ مارث سنة ١٧٩٣ ترتبت محكمة ثورية من أجل أن تفصل بدون استئناف أمر عاقبة الانفس الذين يتهمون فى جرائم ضد الحرية والتساوى وانقسام الجمهورية وفى ٢٧ مايو ترتب مجلس أطلق عليه اسم مجلس السلامة العمومية مؤلف من تسعة أعضاء فأحدث هذا المجلس الفظيع للحكومة شوكة مستبدة فى أعمالها وصارت الحكومة فى هذا الوقت فى أيدى اليعقوبية وصاروا بهذا أسياد فرانسا ورغب القسم الاكبر من الامة فى عود السلم والنظام الا انهم أرغموا على الطاعة لاغراض أوباش باريس وفى ٢ يونيه أحاط بسراية التولرى جم من الاوباش يزيدون عن ٨٠،٠٠٠ نفس بالسلاح وأرغموا المؤتمر على أن يأمر بالقبض على الاعضاء الغيروندية فوقع القبض على اثنين وثلاثين عضوا وأودعوا فى السجن وطرد من المؤتمر أيضا ثلاثة وسبعون بسبب أنهم أقاموا الحجة على القبض على الاعضاء اخوانهم وهرب الكثير منهم فى الوقت من باريس ناجيا بنفسه الى الاقاليم وتوجهوا جميعا الى قاين وجعلوا أنفسهم فى رأس ثورة ضد المؤتمر الذى نبع فى الاقاليم الغربية ورتبوا حكومة عدوانية فى قاين وفتحوا باب المخابرات مع بوردو ومرسيليا وطولون والمدائن النافرة الاخرى وجندوا لهم قوة عسكرية وظهر أنه سيهيج حرب داخلى دموى وفى هذا الوقت توجهت (كارلوطه كوردى) امرأة شابة من قاين الى باريس واستحوذت على رخصة دخولها فى بيت مارا الرجل السفاح من حزب اليعقوبية وضربته بخنجر فى قلبه ولم تسع فى الهرب فحكمت محكمة الثورة عليها بالاعدام فتلقت عاقبة أمرها بثبات وحصلت ثورة من أرباب الحزب الملوكى فى مدينة لافندى فطمست مع العنف وقاومت مدينة ليون حكومة المؤتمر فأرغمت على التسليم

وقتل من أهلها نحو من ٢٠٠٠ نفس بأمر من محكمة الثورة وكانت مدينة طولون خاضعة للامر الملوكي فاستحصلت على المساعدة باسطول انكليزي تحت قيادة الاميرال هود ووقع الهجوم عليها بجيش تحت قيادة الجنرال دوغوميير وما سلمت الا بما حصل لها في أثناء الهجوم من البراعة التي أظهرها نابليون بونابارت ضابط شاب في خدمة الجيش بصفة قومندان الطوبجية وانجلت الانكليز عن طولون في ١٩ ديسمبر وهرب ألوف من الفرنساويه الملوكية في الاسطول الانكليزي ولما حصل الظفر لليعقوبيين ابتدؤا في عقاب أعدائهم وافتحوا مدة فزع عرفت بسلطنة الفزع الاكبر فكان روبسبير أحد أعضاء مجلس السلامة العامة وباربير وكارنوط ـ وكوطون ـ وسنت جاسط ـ وبيلوفارين أشد زعماء هذه المدة فاصدروا أمراعاما بجمع التبعة الفرنساوية من أجل المدافعة عن فرانسا وتولد من قانون التهم الذي أصدرته الحكومة أن صار لها شوكة في حرمان التبعة الفرنساوية من حريتهم أو من حياتهم وامتلأت من الاعمال الجارية سجون فرانسا حتى صار فيها نحو من ٢٠٠،٠٠٠ مسجون وصدر الحكم باعدام الجنرال كوسطين بسبب هزيمته في ميانسه وضياع فلنسيانه وطلبت الملكة مريم انطوانيت التي كانت مسجونة هذه المدة الى المحاكمة واتهمت بكونها كانت هي السبب فيما حصل من زوجها من الجرائم واغوائه على مخابرات الدول الاجنبية في الاغارة على فرانسا وصدر الحكم عليها بالاعدام وقتلت في ١٩ اقطوبر سنة ١٧٩٣ وقتل في الجزرة الثانية أحد وعشرون من الغيرونديين وقتل واحد منهم نفسه في الديوان وقطعت رؤس الباقين في ٣١ اقطوبر وصادوا أعضاء هذا الحزب الذين هربوا الى الاقاليم مع الشدة وفعلوا بهم الافعال التي لا يعادلها فعل في التاريخ وفي ٦ نوفمبر قطعت رقبة دوق أورليان القبيح الصيت الملقب فيليب اجالتي وكان قتله في وسط سخط العوام ومن الذين قتلوا في بضع أيام جاءت بعد هذا الست رولند المرأة العظيمة زوجة بيلي أحد قواد الغيرونديين وكان والي باريس سابقا وكذا الست باري رفيقة لويز الخامس عشر وكانت هذه الفظائع متسلطنة أيضا في الاقاليم وذلك انه صار تشكيل محكمة ثورية في نانطيس تحت رياسة رجل سفاك سفيه اسمه كاريير فقتل بأمره على الاقل ١٥،٠٠٠ نفس في نانطيس في ظرف الثلاثة شهور الاخيرة من سنة ١٧٩٣ بعد الميلاد

ثم ان المؤتمر تحت رياسة الحزب اليعقوبي أبطل تاريخ السنة الجريجوريانية واستبدلها بتاريخ على حسب طريقته وتدون التاريخ الفرنساوي من ابتداء ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢ وصرف النظر عن كل عاشر يوم للاستراحة وألغى ما كان باقيا من الديانة المسيحية بأمر المؤتمر وأجلسوا رقاصة مشهورة من الاوبره فوق المنبر العالي في كنيسة نوتردام وسجد لها أرباب حكومات المملكة والعاصمة بصفة أنها الهة العقل وكتبوا على القبور هذا العنوان ـ الموت نوم أزلي ـ ونبشت قبور ملوك فرانسا الموجودة في سنت دنيس وأخرجت بقايا الملوك ورميت في حفرة واحدة وكان الذي فعل هذه الافعال حزب اسمه حزب (الهيبرطيسطيون) بعيد جدا عن حزب اليعقوبيين وما كان روبسبير على قبول لهم فانتهز الفرصة الاولى في رفض ما فعله حزب الهيبرطيسطيون فسعى أربابه في ثورة وكانت على غير طائل ووقع القبض على زعماء هذا الحزب وقطعت رقابهم في ٢٤ مارث سنة ١٧٩٤ وكان روبسبير مضمرا في نفسه بواسطة تدبيره في أعماله القبض على زمام الشوكة العظمى للمملكة وما كان بينه وبين أغراضه الاعائق واحد هو عدوه الاكبر دانطون فعزم على هلاكه مع المعاضدين له بضربة واحدة وفي غرة

ابريل سنة ١٧٩٤ قبض على دانطون ـ وكاميل ديسمولين ـ وفابر دغلانطين ـ وهيرولدوسيشل وأحد عشر آخرين وأودعوا فى السجن وما سمح لهم بالمدافعة عن أنفسهم ومن بعد محاكمة هزؤ قطعت رقابهم جميعا فى ٦ ابريل وصار روبسبير بهذه الحالة سيد فرانسا وأزال برقع الحياء واشتغل بقطع الرقاب من دون شفقة وفيما بين ١٠ يونيه و ٢٧ يوليه من سنة ١٧٩٤ قتل فى نفس باريس ١٤٠٠ نفس واستمر روبسبير قابضا على زمام الشوكة من دون منازع ثلاثة شهور وكانت أول أعماله ان أعاد عبادة الخالق وأمر أن لاتقام شعائر الملحدين وأمر أيضا باعلان أزلية الروح وجعلهما من موادالاعتقادات الدينية فى المملكة وكان سقوط هذا الرجل المهول على شرف الدمار وذلك أنه تشكل فى نفس المؤتمر مع الهدوّ شوكة قوية لصده فوصلت اليه أخبار ماسيلحقه من الخطر فاستعد لحماية نفسه باعدام أعدائه وعمل قائمة فى السر من أجل موتهم فوقع الكشف عليها وكانت محتوية على أعظم رجال المؤتمر فكانت سببا فى حصول تفاقم شديد وفى ٢٧ يوليه رفض طاليان ـ و بيلود فارين ـ ورؤساء آخرون قاموا فى ثورة عليه قبول دخول روبسبير فى المؤتمر فاجتهد روبسبير بدون فائدة فى الحصول على سماع أقواله فانخمد صوته بشدة أصوات (اقتلوا الطاغية) فقبض عليه مع أربعة من المشتركين معه فقام العوام فى الحال بالسلاح وخلصوهم من السجن وحملوهم الى لوكندة دوفيل وصمم المؤتمر على نصرة نفسه أو هلاكه ووضع عساكره فى الحال تحت السلاح وأحاط العساكر بلوكندة دوفيل فخاف دوبسبير من ملاقاته عاقبة ما آل اليه أمره وسعى فى قتل نفسه فانجرح وأحاطت العساكر به وفى ٢٨ يوليه قطعت رقبة روبسبير مع ما كان معه من زعماء العوام فى وسط تهليل الامة وبموت روبسبير انتهت سلطنة الفزع وصدر أمر المؤتمر بقتل كل من الفظيع كاريير والقبيح الذكر (فوكيير طنفيل) قائدى الظلم العام فى مدة سلطنة الفزع وما كان طاليان ـ وفوشى ـ ولجندر ـ والمشتركين معهم الذين انتقلت اليهم الآن أزمة الحكومة مائلين بطبعهم الى الرفق بل ان الحاسية العمومية صار لها قوة زائدة فى مجارى النوع الانسانى حتى انهم رغبوا فى الخضوع اليها وأعادوا الثلاثة والسبعين نائبا الذين قاموا الجنة على قبض الغير ونديين الى المؤتمر وأفرجوا عن ١٠٠٠٠ نفس كانوا مسجونين فى سجون باريس تحت الشبهة وأجروا أعمالا مماثلة لذلك فى أنحاء فرانسا وانقرض الحزب اليعقوبى وألغيت قوانين نفى القسس والاشراف وأعيدت الديانة المسيحية كما كانت عليه ومع هذا فانه مازال تألم الامة حائقا بها وذلك أن فصل شتاء سنة ١٧٩٤ وسنة ١٧٩٥ كان صعبا جدا وغلت فيه أسعار الخبز والوقود حتى قل وجود هذين الصنفين وتنازلت قيمة أوراق النقود وما كان يوجد معاملة ديوانية تقوم مقامها وأخذت مصائب الامة فى زيادة الحدة فاجتهد حزب اليعقوبية فى مدة حلول هذه المصيبة فى عود شوكتهم المفقودة وفى غرة ابريل و ٢٠ مايو سنة ١٧٩٥ قام عوام باريس بالسلاح وطلبوا الخبز وعود رؤساء الفزع فصار اخماد هذا الثوران وأرغم أهل قرية سنت انطوان المركز الاصلى للقلاقل على تسليم سلاحهم للمؤتمر وقام فى الاقاليم ثورة على حزب اليعقوبية اشتهرت بالفظاعة مثل الفظاعات التى وقعت فى مدة الفزع وفى أثناء هذه الزعازع التى كانت عاصفة فى أرض فرانسا التزمت الجمهورية على المحافظة على بقاء نفسها فى حرب محيى أو مميت ضد الدول الاجنبية الباحثة على دمارها وكان عدد جيوش الجمهورية ثلاثة عشر جيشا وعدد عساكرها محصور بين ٦٠٠٠٠٠ و ٧٠٠٠٠٠ مقاتل وكان جيش السامبر والموز تحت قيادة الجنرال جوردان

فهزم هذا الجنرال عساكر المتحالفين فى فلوروس فى ٢٦ يونيه سنة ١٧٩٤ ثم التحق بجيش الشمال تحت قيادة الجنرال بيشيغرو وفى ٩ يوليه احتل الفرنساوية بروكسيل وفى هذه الحالة تقهقرت عساكر المتحالفين تحت قيادة دوق يورقه الى هولنده وتركوا عموم البجيقا الى الفرنساوية ثم زحف بيشيغرو نحو نهر الموز واستعد للاغارة على هولنده وطرد جوردان الاوستريانيين نحو نهر الرين وأوقع بهم هزيمة حاطمة فى روروموند فى ٥ أقطوبر وأرغمهم على القهقرة الى داخل جرمانيا واحتل الفرنساوية على الفور كالونية وطريفس وفى آخر أقطوبر كان الفرنساوية متغلبين على نهر الرين من مدينة وورمس الى مدينة نيميغين وفى هذه السنة كانت جيوش الجمهورية منصورة أيضا فى الحدود الايطاليانية والاسبانية ومع هذا فان الفرنساوية ما كانوا يخلون من المصائب وذلك أن أسطول الانكليزيا تحت قيادة (لوردهو) نال مظفرة عظيمة على الاسطول الفرنساوى على مسافة من جزيرة عوشنط فى غرة يونيه وقامت جزيرة قورسقه فى ثورة وجعلت نفسها تحت حماية انكلتره ثم ان بيشيغرو عبر نهر الموز على الثلج فى آخر أسبوع من شهر ديسمبر وفى ١١ يناير سنة ١٧٩٥ هزم الانكليز والفلمنكيون فى مدينة نيميغين وأرغمهم على قهقرة عادت عليه بالمصائب وأهل الفلمنكيون بالفرنساوية مع الفرح وهرب نائب الحكومة الفلمنكية الى انكلتره وفى ٢٠ يناير دخل بيشيغرو مدينة امستردام متوجا بالنصر وأما الجيش الانكليزى فانه من بعد أن ذاق العذاب فى قهقرته وصل الى بريمن وأقلع من مينتها الى انكلتره وخضعت هولنده على الفور وتم فتوح هذه المملكة من دون حصول أدنى واقعة وأقام الفرنساوية فيها حكومة جمهورية على منوال جمهورية فرانسا وأطلق على جمهورية هولنده اسم الجمهورية الباطافيانية ثم فتحت المخابرات مع بروسيا وكانت كلت من الحرب وفى ٥ ابريل صار التوقيع على معاهدة صلح بين بروسيا وفرانسا وسلمت بروسيا للجمهورية كافة ما كانت فتحته على الشاطئ الايسر من نهر الرين وفى هذا الوقت رغب ملك بروسيا فى استحواذه على القسم الذى خصه فى الاراضى البولندية بدل مساعدته البوربون الفرنساوية ثم بعد ذلك بقليل وقع الصلح بين برنسات المملكة بواسطة توسط بروسيا وحصلت المخابرة فى معاهدة مثل هذه مع اسبانيا وكانت هذه الدولة أصرت على أن المؤتمر يلزم أن يخلى سبيل أولاد لويز السادس عشر الذين مازالوا مسجونين تحت يده فتولد من موت المنكوس الدوفين فى ١١ يونيه سنة ١٧٩٥ وعمره احدى عشرة سنة ولقبه أتباعه بلقب لويز السابع عشر زوال المانع الاكبر للمعاهدة وقررت اسبانيا أمر جمهورية فرانسا وتنازلت لها عن جزيرتها فى الهند الغربى وهى جزيرة سنتدومنيغو بدل ما كانت تغلبت عليه فرانسا فى اسبانيا الشمالية وصار الافراج عن الشابة ابنة لويز السادس عشر من سجن الهيكل استبد الابعوث المؤتمر الذين سلمهم دومورير الى الاوستريانيين وفى فصل صيف سنة ١٧٩٥ قامت ثورة جديدة فى لافندى مؤلفة من الحزب الملوكى تحت قيادة الجنرالين سطوفليت وشاريط وانضم الى هذه الثورة عمارة انكليزية مع ٣٠٠٠ نفس من مهاجرى الفرنساوية وأعلنوا كونت بروفنسه أخا لويز السادس عشر ملكا باسم لويز الثامن عشر فأرسلت الحكومة الفرنساوية عليهم قوة تحت قيادة الجنرال هواش وهاج حرب دموى استمر الى شهر مارث سنة ١٧٩٦ حتى أسر شاريط وسطوفليت وقتلا وانغلق الحرب فى اقليم لافندى وعلى ما قيل انه فقد فيه ١٠٠٠٠٠ نفس من الفرنساوية

وفى أثناء ذلك عين المؤتمر مجلسا أغلب أعضائه من الغيرونديين من أجل سن قوانين جديدة للجمهورية ومن بعد نهوها عرضوها على المؤتمر فاستصوبها فى ٢٢ أغسطس سنة ١٧٩٥ فكانت هذه القوانين الجديدة سببا فى عود نفوذ نواب الطوائف المتوسطة فى المملكة وكان مقررا فى هذا القانون أن الشوكة النيابية يلزم أن تكون معهودة الى قاعتين الاولى منهما مجلس الخمسمائة واشتق اسمه هذا من عدد أعضائه فهذا المجلس يكون له السلطة الوحيدة فى سن القوانين والقاعة الاخرى مجلس الاختيارية وكان مؤلفا من ٢٥٠ عضوا بحيث ان كل عضو من هذا المجلس لا ينقص عمره عن أربعين سنة ولهذا المجلس الخيرة فى قبول القوانين التى تعرض له من المجلس الاسفل منه وعدم قبولها وأما الحكومة المنفذة فعهدت الى نظارة سنوية مؤلفة من خمسة أعضاء ينتخبون بمعرفة مجلسى قاعتى النيابة ويصير استبدالها كل سنة فصارت معارضة هذا القانون بواسطة رجال الحزب الملوكى وكانوا عادوا الى باريس فى عدد جسيم من عهد سقوط روبسبير وكذا من أحزاب أخرى وظهر للمؤتمر أن الهياج على شرف القيام فأخذ الاحتياطات اللازمة لحطمه وعين المؤتمر باراس لقيادة عساكره فانتخب نائبه الثانى فى القيادة نابليون بونابارتو وكان فى هذا الوقت جنرالا فى باريس منتظرا الاوامر وعين باراس نابليون من أجل المحافظة على المؤتمر فأخذ الجنرال الشاب احتياطاته مع السرعة وفى ٥ أقطوبر هجم الاحزاب على سراية التولرى وكان بونابارتو فى استعداد تام من أجلهم فضربهم وشتتهم بخسارات جسيمة وكافأ المؤتمر بونابارتو فى نظير هذه الخدمة بكونه عينه فى المحل الثانى فى الجيش الداخلى ومن بعد مضى قليل استعفى باراس وخلفه فى القيادة العمومية نابليون بونابارتو واستعمل المؤتمر نصرته مع اللطف واللين ثم صار انتخاب لارفيليرلوبو - وروبيل - وكارنو - ولوطورنور - وباراس للنظارة وكانوا جميعا من حزب الجمهورية وتخصصت لاقامتهم سراية لكزمبورغ وتخصص لهم أيضا مرتبات كافية وكذا تخصص لحمايتهم خفر مسلح وكانت حالة المالية محتاجة لالتفات النظارة اليها وكانت فى تقليل زائد وتنازلت قيم أوراق الحكومة المتعامل بها حتى ان أثمانها ما كانت تساوى قيمة أثمان طبعها وآلت حالة الفقراء الى أن صار كل فقير له فى اليوم الواحد أوقيتان من الخبز وقليل من الارز وكانت الحكومة ملزمة بتوريد هذا للفقراء وامتلأت البلاد بعناسر اللصوص الذين ارتكبوا الفظائع القبيحة من دون خوف من عقاب وآلت حالة الطرق والقناطر والترع الى الدمار وكان الجيش فى احتياج للملبوسات والتعيينات وتضجروا من عدم صرف ماهيتهم فكانت النظارة من أجل مداواة هذه العيوب فى غاية من النجاح وعاد الامن وشرعت النظارة فى ترتيب قواعد المالية على قاعدة عظيمة وسارت التجارة على منوالها الاول وابتدأت فرانسا فى أن يعود لها نجاحها القديم وكانت هذه الاعمال جارية على التدريج فى درجة النجاح ثم ان بيشيغرو من بعد أن فتح هولنده وجد أن طالع سعده سيتركه وذلك أن الاوستريانيين هجموا على موقعه على شاطئ نهر الرين بالقرب من مبانسه وهزموه وأخذوا طوبجيته ومخازنه وجملته وكان مؤملا انه بواسطة مالاقاه من أهل بلاده فى فتحه هولنده ينال منهم النصر أيضا فى عود البوربون الا أن حركته كانت غير فاصلة وخاب أمله فاعتزل الجيش بحالة الغضب ثم عولت النظارة على أن ترتب ثلاثة جيوش مطقمة فى الميدان من أجل حرب سنة ١٧٩٦ وعينت اثنين منها للحركات الحربية فى جرمانيا تحت قيادة الجنرالين مورو وجورداں والثالث من أجل الاعمال فى ايطاليا تحت قيادة الجنرال بونابارتو وكان الجنرال

بونا بارت الذى ذكرنا خدامانه وطنيا من أهل جزيرة قورسقة ومن عائلة ايطاليانية وكان عمره فى هذا الوقت سبعا وعشرين سنة الا انه أظهر فى السابق براهين أعماله العسكرية وكان من عهد نصرته على الاحزاب قائدا الجيش الداخلى وتزوج بالست بوهارنيس ست ذات جمال بارع ولها صداقة مع باراس وطاليان وكارنو وهؤلاء الثلاثة أقوى الناس فى فرانسا فكان طالع هذا الزواج سعيدا عليه مدة من الزمن ومن بعد زواجه باثنى عشر يوما ترك باريس وتوجه لدائرة معسكره فى نيس ووصل اليها فى ٢٧ مارث سنة ١٧٩٦

وكان جيش ايطاليا مؤلفا من ٣٥،٠٠٠ نفس وكان فى حالة رثة من النظام وفى حاجة الى الملبوسات والمؤنة وكان فى مواجهة جيش مؤلف من ٦٠،٠٠٠ نفس من عساكر الاوستريانيين والپيدمونطيين فى غاية من الانتظام لكن لم تضيع تلك الحالة الرثة حماس بونابارت بل وعد عساكره بالنصر والحصول على الثروة فى ايطاليا ثم شرع فى سيره نحو جنوة وكان معولا على أن يجعل جيشه فى موقع بين العساكر الامبراطورية والعساكر الپيدمونطية ويمنعهما من المواصلة ببعضهما فاتبعه عساكره مع الحمية من بعد أن كانوا قبل ذلك يضع أسابيع شرذمة متسلطنا فيهم الارتباك ونجح بونابارت نجاحا تاما فى مشروعه وعاد الاوستريانيون على أعقابهم نحو ميلان والپيدمونطيون نحو تورين وهزم بونابارت فرقة من الاوستريانيين فى نواحى مونطينوط وسار خلف جيش الپيدمونطيين وتغلب على مدينة خيراسكو الحصينة وقطع خط مواصلة العساكر السردينية من العساكر الامبراطورية ومن ثم أرغم ملك سردينيه على قبول متاركة حربية مهينة وأرغمه على أن يتنازل عن صافوا ونيس لفرانسا ويخرج من مملكته من كان فيها من مهاجرى الفرنساوية حتى بناته اللاتى هن أزواج اخوان لويز السادس عشر وأن تكون ألسندره وطورطونه ومعامل أخرى كبيرة من مملكته تحت يد الفرنساوية كفالة على حيادته عن التداخل فى الحرب الى أن ينعقد الصلح العام ولما تم أمر هذه المتاركة زحف بونابارت بسرعة على الاوستريانيين وهزمهم شر هزيمة فى واقعة لودى المقطوعة اليأس فى ١٠ مايو وطردهم نحو مونيخ فانكشفت ميلان من هذه الرجعة واحتلها الفرنساوية فى وسط تفريح الاهالى فى ١٥ مايو فتولد من هذه الظفرات السريعة ومن الجسارة التى أجراها الجنرال الشاب فى مخاطرته فى عقد معاهدة استقلالية مع ملك الپيدمونطيين فزع واندهاش النظارة فقررت صده بتقسيمها القيادة العسكرية فى ايطاليا بينه وبين الجنرال كوايرمان فما قبل بونابارت هذه القسمة وقدم استعفاءه للنظارة وكانت مظفراته صيرته معززا فى فرانسا حتى صار لا طاقة للنظارة على قبول استعفائه وتركته من دون أن تتداخل فى أمره ثم ان بونابارت نشر منشورا من دائرة معسكره فى ميلان بالصلح لعموم البرنسات الصغيرة فى ايطاليا وأرغمهم على قبول شراء هذا الصلح على حسب ما يشاء وطلب منهم النقود والات الحرب وأشغال الصناعة الظريفة التى كانت فى بلادهم وأرسلها الى باريس فى طلب احتياجات الجمهورية وزخرفة العاصمة ومن بعد أن سمح بونابارت لعساكره بالراحة مدة اثنى عشر يوما فى ميلان زحف على مونطوه وحاصر تلك القلعة الحصينة وكانت أهم القلاع الاوسترياتية فى ايطاليا ومفتاحا لحركات العسكرية فى داخل تلك المملكة فسار جيش أوسترياتى تحت قيادة المارشال وورمسير لخلاصها وكان من أكبر قواد المملكة المعتمد على أعمالهم وفى أثناء سيره ترك بونابارت فرقة قوية من جيشه لحصار مونطوه وأسرع نابليون فى حركته وتغلب على ايالات الكنيسة مع ما بقى من جيشه وعقد متاركة

مع دار القسوسية المقدسة وأرغم البابا على أن يدفع لفرانسا أحدا وعشرين مليونا من الفرنكات مع مائة صورة من الصور الغالية القيمة وأشغال صناعية أخرى وان بولونيه وفراره وانكونه تحت خفارة العساكر الفرنساويه وأرغم الدوق الاكبر لطوسقانه على قبوله محافظين من الفرنساوية فى قلعة ليغورن لاجل صد الانكليز من تجارتهم مع تلك المينة ثم ان المارشال وورمسير دخل ايطاليا مرتين فى رأس ٧٠٠٠٠ مقاتل من الطيرول لمساعدة مونطوه وما كان على دراية من وجود طريقة يتغلب بها على الشاب عدوّه وانهزم فى بريسكيا وكاستيغليونه وروفريدو وباسانو ولما وجد من نفسه انه لا طاقة له على استمراره فى ميدان الحرب تقهقر بما بقى من عساكره فى ٩ سبتمبر فى داخل أسوار مونطوه وكانت هذه القلعة مشحونة بالمؤن والذخائر صالحة لمقاومة المحاصرة مدة طويلة

وفى أثناء هذه المدة كان الحرب جاريا فى جرمانيا بواسطة جيوش مورو وجوردان وكان أمامهما الارشيدوق شارلس البارع ومعه جيش يزيد عن ١٠٠٠٠٠ مقاتل فعبر مورو نهر الرين من بين قلعة استراسبورغ وكهل وكان جوردان فى ميانسه وفى ٣ سبتمبر انهزم جوردان فى وارطزبورغ وتقهقر عابرا نهر الرين الى فرانسا وأما مورو وكان زحف فى تقدمه حتى وصل الى مونيخ فانه صار فى أخطر موقع وبذل الارشيدوق شارلس جهده فى قطع خط رجعته من فرانسا فعول مورو على القهقرة الى فرانسا من طريق وادى الداڤوب ومع ما كان عليه الاوستريانيون من مضايقتهم له فانه تقهقر بحركة عظيمة من وسط الاورمانات السوداء الى فرانسا فوصلها من دون خسارات جسيمة فى ظرف ستة وعشرين يوما فتنوا لمن قهقرة مورو وجوردان ترك جيش ايطاليا متحملا أثقال الدولة الاوستريانية بأجمعها وصار جيش أوستريانى ثالث مؤلف من ٦٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة المارشال الفنزى من أجل طرد بونابارتو من ايطاليا وكان الفرنساوية فى عدد قليل جدا من الاوستريانيين واعتقد الفنزى فى نفسه أنه ينتصر عليهم نصرا سهلا وكان الاوستريانيون فى المدة الاولى من الحرب على غاية من النجاح ووقع الضعف فى الجيش الفرنساوى فبدل بونابارتو فى الحال هيئة الحرب بمهارته وسرعة حركاته وفى ١٤ نوفمبر هجم على الفنزى فى اركول ومن بعد محاربة امتدت ثلاثة أيام طرده نحو مونطبلاو ودخل فيرونه متوجا بالنصر ثم ان الفنزى قوى نفسه وفى أول ينايرمن سنة ١٧٩٧ بعد الميلاد ظهر على نهر أديجه بجيش مؤلف من ٦٠٠٠٠ نفس وفى ١٤ ينايرانهزم فى ريفولى وكان الفرنساوية فى قوة قليلة جدا من الاوستريانيين وكانت هذه النصرة منسوبة الى الاعمال العظيمة التى أجراها القائد الفرنساوى وأعقب هذه النصرة أن سلم وورمسير منطوه الى بونابارتو فى ٢ فبراير سنة ١٧٩٧ وأسر الفرنساوية فيها ٢٠٠٠٠ نفس من الاوستريانيين ثم ان نابليون أغار على الاراضى البابا وية وتغلب عليها سريعا وصدرت له أوامر النظارة بدمار الحكومة البابا وية الا أنه ما قبل هذا المشروع وأنه هو المسؤل فى مثل هذه الاعمال وعقد مع حبر رومة الذى لا مساعد له الآن صلح طولنطينو فى ١٩ فبراير تنازل فيه البابا بالفرانسا عن نيابة بولونيه وفراره ورماغنه وأفغنون وأراضيها فى فرانسا ودفع ضريبة ثانية مقدارها خمسة عشر مليونا من الفرنكات وعددا من أشغال الصناعة المفتخرة الموجودة فى خزائن رومة ومن ثم أكسبت مظفرات بونابارتو الجليلة فرانسا تلك الايالات البابا وية وصافوا ونيس وفصلت ملك سردينيه وايالات ايطاليا الشمالية والوسطية من الاتحاد على فرانسا وصيرت جنوه وفنيزه تحت أثقال ضرائب كبيرة وما كانت مصاريف الحرب من الضرائب الجارى جمعها من الاراضى

التي فتحت فقط بل كان في طاقة بونابارتو ارسال ثلاثين مليونا من الفرنكات الى خزينة نظارة فرانسا وصارت الضباط والعساكر الموجودة في جيش الفتح في ثروة بمن أسلاب الحرب وفتح لومباردى وبدمونط وهزم أربعة جيوش أوستريانية وكان هذا أجل حرب تدبرت أعماله بالفرنساوية من عهد الشروع في الحرب وكان تولد من التغلب على مونطوه فتح الطريق الى أوستريا فأسرع بونابارتو في زحفه من طريق جبال الب الطيرول وطرد الارشيدوق شارلس خلف نهر الساف وهزمته في عدة وقائع شديدة وفي ٩ ابريل سنة ١٧٩٧ احتل الفرنساوية ليوبين على مسافة بضع أيام من فيانه فعرضت الحكومة الاوستريانية في هذا الوقت بتوقيف الحرب بقصد عمل معاهدة صلح فقبل بونابارتو هذا العرض وفي ١٨ ابريل سنة ١٧٩٧ حصل التوقيع على مبادى الصلح بين فرانسا والمملكة وفي مدة تقدم هذه المخابرات تقوى القنيطيانيون عندما بلغهم أن بونابارتو انهزم في الطيرول وقاموا في ثورة على الفرنساوية في برغامو وفيرونه ومدائن أخرى فأما فيرونه فان أهلها ذبحوا محافظى الفرنساوية الموجودين فيها فزحف بونابارتو في الحال على الاراضى القنيطيانية معلنا الحرب على جمهوريتها واحتلت فرقة من الفرنساوية مدينة فنيز وألغيت الجمهورية القنيطيانية وأبطل مجلس العشرة وترتب بدله جمهورية ديمقراطية وجمع الفرنساوية من الجمهورية غرامة مقدارها ستة ملايين من الفرنكات واحتلت أراضيها محافظو الفرنساوية وحمل منها الى باريس أشغال صنائع عظيمة وخطوط ظريفة وصور جميلة وبهذا انقرضت الجمهورية القديمة لمدينة فنيزه وفي أثناء ما كانت جيوش فرانسا في نجاح في الجهات الخارجة انتقلت حالة داخليتها الى خطر واشكال وذلك انه في انتخابات سنة ١٧٩٧ نجح الحزب الملوكى في كونه أعاد ما ينوف عن ٢٠٠ نفس من حزبه لمجلس النواب فتشكل حزب قوى في هذا المجلس من أجل معارضة أشغال النظارة وكانت نفس النظارة مقسومة الى حزبين باتحاد بارطلمى وكارنو مع الاغلب في مجلس النواب وما أخفى الحزب الملوكى أغراضهم في تغلبهم على الحكومة لسقوط الجمهورية فعول باراس وروبيل ولارفليير على المحافظة على بقاء الجمهورية مع ما حصل لهم من مشروع سقوطها ومن ثم استحصلوا على مساعدة الجنرال بونابارتو والجنرال هوش وكان قائدا أحد الجيوش الموجودة على نهر الرين فأسرع هوش في الحال بالزحف على باريس في قوة ضخمة من العساكر وأرسل بونابارتو أوغيرو أحد معتمدى نوابه وكان تعين قائدا لجيش باريس وفي ٤ سبتمبر سنة ١٧٩٧ وقعت ضربة فاصلة من يد الثلاثة النظار وأمروا بالقبض على كارنو وبارطلمى والاعضاء المقبوحين من مجلس النواب بما فيهم (بيشيغرو) و (باربماربواز) وأودعوا في السجن وقرر باقى أعضاء النظارة أمرهم بنفى بيشيغرو ومع نفى البوربونيين وصدق المجلس على أعمال النظار وصار نفى المسجونين الى قاين وصدر الامر بانتخاب جديد لترتيب أعضاء في مجلس النواب بدل الذين صار نفيهم ولما زال هذا الخطر وقعت المخابرة في الصلح مع أوستريا وتوقع على معاهدة معسكر فورميو في ١٧ أكطوبر فاكتسبت فرانسا في تلك الاراضى الواطية الاوستريانية وثغر نهر الرين والجزائر اليونانية وترتبت بالادايطاليا في هيئة جمهورية أطلق عليها اسم جمهورية جنوب الالب وتنازلت فرانسا للامبراطور عن فنيزه وفريولى وعسطريا ودلماطية وجزائر البحر الادرياطيق ولما عقدت هذه المعاهدة عاد بونابارتو الى فرانسا فقوبل في باريس بأجل الاحتفالات وصار هو الرجل المحبوب عند الفرنساوية واجتهدوا له في بعض امتيازات مكافأة له على ما أجراه من خدماته الجليلة

فرفضت

فرفضت الحكومة مكافأته وكانت النظارة على خوف منه .

وبمجرد عود بونابارتو الى فرانسا من ايطاليا أصدرت النظارة أوامرها الى الجنرال برطيير بتنفيذ تعليماتها الخاصة بالحكومة الباباوية التى رفض نابليون تنفيذها وكان حصل النفور فى كافة الايالات الباباوية من حكومة البابا فسار برطيير الى رومة وتلقاه الناس بصفة مخلص لهم فأعلن بعود الجمهورية الرومانية وقبض على البابا بيوس السادس وسجنه وجرده من أملاكه ثم أرسله الى دبرسنت سينه ومنه صار انتقاله الى فرانسا واستمر فيها بحالة أسر وفى فصل صيف سنة ١٧٩٩ نهب الجيش الفرنساوى رومة فقامت الاهالى للمحافظة على أملاكهم فأخمدوا مع الفظائع الشديدة فغضب برطيير من سلوك النظار توعما أجراه جيشه من نهبه أملاك رومة وكان على رغبة فى المحافظة على الامة وأملاكها وطلب عوده الى فرانسا ثم ان فرانسا عزمت فى هذا الوقت على استحواذها على السويس وتسببت فى ثورة فى المقاطعات الجنوبية للسويس فأخذتها الحكومة السويسية ثم انه بعلة المحافظة على استقلالية البلاد السويسية دخل فيها قوة من الفرنساوية وأخضعت هذه القوة تلك المقاطعات المتحدة مع ما حصل من أهلها من المدافعة عن أنفسهم حتى صارت تبعة لفرانسا وألغى الاتحاد القديم واستبدل بجمهورية هلفيطيقية واحدة غير قابلة للانقسام وانعقدت معاهدة صلحية وتحالفية مع الحكومة وطلبت لفرانسا طريقين عسكريين واحد موصل الى جنوب جرمانيا والآخر من طريق درب سمپلون الى ايطاليا ومابقى فى هذا الوقت عدو لفرانسا فى قارة أوروبا سوى انكلتره فعولت النظارة على الاغارة على بريطانيا الكبرى بقوة تحت قيادة نابليون بونابارتو ومن بعد مناقشات حصل الاتفاق على استبدال هذا الرأى بفتح الديار المصرية على أنها تكون قاعدة أمن لمشروع الاعمال العسكرية المقتضى اجراؤها على الممالك البريطانية فى جهات الهند أو التداخل فى أعمال تركية وأنه باستحواذ فرانسا على مصر تكون سيدة البحر الابيض المتوسط فمن ثم جمع فى مينة طولون أسطول مؤلف من عشرين مركبا حربيا وعدة من مراكب النقل تحت قيادة الاميرال برويس وجيش مؤلف من ٣٦٠٠٠ نفس تحت قيادة الجنرال بونابارتو نزل فى هذا الاسطول وفى ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ أقلعت هذه الحملة فى البحر وكانت مصحوبة برجال من أرباب العلوم والحرف والصنائع ومن قبل سفر الاسطول تخابر بونابارتو مع فرسان القديس يوحنا الذين كانوا متغلبين على مالطه بتسليمهم تلك الجزيرة لفرانسا لغرض مخصوص وأقلع الاسطول الفرنساوى فى الحال الى مالطه ومن بعد أن أظهر الفرسان المقاومة فى عدم تغلب الفرنساوية عليها استحوذ عليها نابليون على حسب الاتفاق الاول فى ١٠ يونيه وترك فيها ٣٫٠٠٠ من المحافظين فى مدينة لاڤاليطة وأقلع الاسطول طالبا مصر ففزعت انكلتره من الحملة الفرنساوية وأرسلت أسطولا تحت قيادة الاميرال نلسون متبعا سير الاسطول الفرنساوى فراوغ الاسطول الفرنساوى الاسطول الانكليزى حتى وصل الى الساحل المصرى فى غرة يوليه وفى صباح اليوم الثانى نزلت العساكر على البر بالقرب من مدينة الاسكندرية وتغلبوا على المدينة المذكورة ومع أن الديار المصرية قسم من المملكة التركية الا أن ذلك اسما فقط فانها كانت تحت حكومة المماليك وكان الحاكم فيها مراد بك ورفيقه ابراهيم بك واستعد مراد بك بعساكره لحماية القاهرة وسار بونابارتو فى الحال للهجوم عليه ومن بعد أن سار الجيش الفرنساوى سيرا مؤلما من وسط صحارى رملية التقى فى ٢١ يوليه مع جيش مراد بك وكان مؤلفا من ٣٠٫٠٠٠ مقاتل فى سهل الاهرام مقابل

حملة نابليون على مصر

القاهرة فهاجت بينهما واقعة مقطوعة اليأس واصطف الجيش الفرنساوى فى هيئة قلاع مربعة وهجم عليه المماليك هجوما عنيفا بخيولهم فهزمهم الفرنساوية شرهزيمة وطردوهم من الميدان فهربوا الى الصعيد الاعلى ثم الى سوريا واحتلت الفرنساوية القاهرة وكان احتلالهما اياها أمرا قاطعا فى تغلب بونابارتو على الديار المصرية من بعد مقاومات خفيفة ثم أعقب هذه النصرة الجليلة مصيبة مهولة وذلك أن الاميرال الانكليزى نلسون من بعد أن بذل جهده فى مقابلة الاسطول الفرنساوى فى وقت توجهه الى الديار المصرية وما نجح فى ذلك كشف محل وجوده فى جون أبى قير بالقرب من الاسكندرية فهجم عليه فى غرة أغسطس وامتدت الواقعة الى اليوم الثانى وكانت نتيجتها هزيمة الاسطول الفرنساوى جميعه والتغلب عليه فكانت هذه المصيبة سببا فى ترك الفرنساوية مصر من دون أن يكون لهم طريق توصل الى أوروبا وتوكلوا على اجرا آتهم فى الاراضى التى فتحوها ولما وصلت أخبار هذه المصيبة الى بونابارتو حصل له الفزع الا أنه تجلد وأخذ فى ترتيب حكومة مصر وأخضع بلادها حتى صارت من تبعة فرانسا فاقبل أهل البلاد هذا الترتيب وقام أهل القاهرة فى ثورة فى ٢٢ اقطوبر فما خمدت حتى قتل مئات من رجال الفرنساوية ونحو من ٥٠٠٠ من السكان وأعلن السلطان سليم خان الثالث بالحرب على فرانسا وعقد معاهدة مع روسيا وتجند جيشان تركيان أحدهما فى نواحى دمشق والآخر فى رودس فتولد من ذلك تصميم الجنرال بونابارتو على الزحف على سوريا واجراء الحركات التعرضية بدل انتظار الهجوم عليه فى مصر وابتدأ فى حركته مع ١٣٠٠٠ عسكرى من رجاله تحت قيادة أجود قواده فى فبراير سنة ١٧٩٩ وتخيل أن يفتح سوريا وآسيا الصغرى ثم يتغلب على القسطنطينية ثم يزحف على جرمانيا من تلك المدينة بجيش يجنده من الامم التى يتغلب عليها فى طريقه فتغلب على قلعة العريش فى حدود سوريا ثم أخذ يافا بالهجوم عنوة فى ١٣ مارث وعاقب محافظيها بالقتل الفظيع ثم زحف على عكا ومازال سائرا حتى وصل الى سفح جبل الكرمل وكان محافظوها مؤلفين من ١٠٠٠ من الاتراك و ٣٠٠٠ من بحرية الانكليز مساعدة بعمارة قليلة انكليزية تحت قيادة السير سيدنى سميث وحاصر عكا وفى أثناء ذلك زحف جيش تركى من نواحى دمشق لمساعدة عكا الا أنه تشتت شمله بالقرب من جبل طابور فى ١٦ مارث بشرذمة قليلة تحت قيادة بونابارتو ودافعت عكا مدافعة شديدة عن نفسها ستين يوما ثم فشا الطاعون فى الجيش الفرنساوى فأمر بونابارتو بالهجوم النهائى عليها الا أنه ما نجح فمن ثم رفع الحصار وتقهقر الى مصر من بعد أن خسر ثلث جيشه ومازال سائرا حتى وصل القاهرة فى ١٤ يونيه بما بقى معه من جيشه وفى أثناء غيابه كان ديسيكس بدله فى حكومة مصر فأخضع ديسيكس المذكور البلاد المصرية حتى وصل الى الشلالات وهى النقطة الاكثر تقدما التى كانت المملكة الرومانية القديمة وصلت اليها ثم تولد من المصائب التى حاقت بالفرنساوية تشجيع زعماء المماليك على الثوران فى جهات الصعيد وفى هذا الوقت وصل جيش تركى من طريق البحر من رودس مؤلف من ١٨٠٠٠ نفس ونزل فى أبى قير فى ١١ يوليه وحصن مواقعه فيه ففى ٢٥ يوليه هجم بونابارتو عليه وانتصر نصرة من نصراته المشهورة وشتت شمل الجيش العثمانى فتولد من هذه النصرة أن صار الفرنساوية أسياد مصر من دون منازع ومابقى عليهم الا توطيد ما تغلبوا عليه وفى هذا الوقت وصلت الاخبار لنابليون بونابارتو بما وقع للجيش الفرنساوى فى ايطاليا من المصائب وسوء ادارة النظارة وما هو واقع من النفور العام

عند الامة الفرنساوية فاتضح لنابليون من هذه الحالة المرتبكة سنوح الفرصة فى اكتسابه تقاليد زمام الشوكة العالية فعزم فى هذا الوقت على ما يعود منه المنفعة لنفسه فاستعدت له دارعتان فى الاسكندرية ومن بعد أن عهد قيادة الجيش فى مصر الى الجنرال كلابر أقلع من مصر فى ٢٥ أغسطس مصحوبا بخمسة جنرالات من الذين يثق بهم فى مصالحه ونزل فى فريجوس فى ٩ اقطوبر ومنها سار الى باريس مؤهلا فى كل جهة من طريقه بتهليل الفرنساوية ووصل الى باريس فى ١٦ منه واتخذ له مسكنا متوسط الحالة فى حارة (لافيكتوار) وفى أثناء ذلك صار تشكيل اتحاد ضد فرانسا مؤلف من روسيا - وتركيا - وبريطانيا الكبرى وأوستريا والسيسيليتان فاما ملك السيسيليتين فانه من قبل التوقيع على هذه المعاهدات بين تلك الدول زحف على رومة مع جيش مؤلف من ٤٠٠٠٠ نفس فهزم الفرنساوية هذا الجيش وساروا خلف الملك فرديننـد الرابع فى داخل الاراضى النابولطانية وطردوه من نابولى فالتزم على الالتجاء الى داخل جزيرة سيسيليا ومن ثم أقيم فى البلاد النابولطانية الموجودة على البر الاصيل فى أرض القارة حكومة جمهورية أطلق عليها اسم جمهورية السرطان وفى شهر مارث سنة ١٧٩٩ أعلنت فرانسا حربا على أوستريا وطوسقانه وكان جيش مسينة مظفرا فى بعض وقائعه الاولية الا أن الارشيدوق شارلس هزم الجنرال جوردان مرة فى أوطر يخت وأخرى فى أسطوكاخ وأرغمه على القهقرة الى جهة شاطئ نهر الرين الفرنساوى فكانت هذه القهقرة سببا فى وقوع الضرر الاكبر فى مظفرات الجيوش فى ايطاليا وبها انتهت أشغال مجلس رسطاد وطلب النائب الامبراطورى وذبح المبعوثين الفرنساوية بأمر من الحكومة الاوسترياتية وهذه شناعة قبيحة على قوانين الامم المتمدنة ما ترددت أوستريا فى عدم اكتسابها اثمها وفى أثناء ذلك خسرت فرانسا سيادتها على ايطاليا وذلك أنه فى سنة ١٧٩٨ بعد الميلاد دخل جيش روسى قوى تحت قيادة المارشال سواروف فى ايطاليا وانضم مع الاوستريانيين تحت قيادة الجنرال كراى وهزمت هذه القوة على التعاقب الجيش الفرنساوى تحت قيادة الجنرال شرير فى فيرونه ومغنانو فاستخلف فى قيادة الجيش المارشال مورو من بعد الجنرال شرير فهزمه سواروف فى نواحى كسانو ومن ثم احتل المتحالفون ميلان وكان لابد من حطم مورو لولا أن الحكومة الاوسترياتية أصدرت أمرها الى سواروف بوضع الحصار على مونطوه وبشيره ومحلات أخرى كانت ضرورية للمحافظة على الاراضى التى تغلب عليها فانتهز مورو الفرصة فى تأخر سواروف عن ملتقاه واتخذ له موقعا فى كونى يمكنه منه المواصلة مع جنوه وفرانسا وأسرعت فرانسا فى ارسال الامتدادات اليه الا أنه رغب فى شهرة نفسه بشغل فاصل يجريه من قبل ورود النجدات له فترك موقعه وهجم على سواروف بالقرب من طريبه فانهزم جيشه وتشتت وأعقب هذه الهزيمة ضياع بدمونط واحتل المتحالفون تورين وبنرول وسوسة ونقطا أخرى مهمة وعبر قوازق سواروف جبال الالب وأغاروا على دوفينى فأرسل جوبرت ليخلف مورو فى قيادة الجيش فانهزم وقتل فى واقعة دموية فاصلة وقعت فى نوفى فى ١٥ أغسطس سنة ١٧٩٩ وسلمت نابولى فى آخر السنة لجيش فرديننـد الرابع والاسطول الانكليزى تحت قيادة لوردنلسون وزحفت قوة متحدة من الروسيين والاتراك والنابولطانيين على رومة فسلمها الفرنساوية فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٧٩٩ ومن هذه المصائب خسر الفرنساوية ايطاليا الجنوبية والوسطانية وصاروا على شرف الطرد من ايطاليا الشمالية وأما فى بلاد السويس فكان الفرنساوية فى حالة

عظيمة من الفيالق فدخل جيش روسي ثان تحت قيادة كورساكوف في الاراضي السويسرية وسار سواروف من ايطاليا للاشتراك معه في هذه المملكة وسار مسينه على كورساكوف وتقابل معه في وادي لنث بالقرب من زوريخ فهزمه وطرده من السويس وهزم جيش آخر فرنساوي تحت قيادة الجنرال سواط الاوستريانيين تحت قيادة الجنرال هوطز وكان سواروف سار من ايطاليا من درب سنت غوتارد فلما وردت اليه الاخبار بهذه المصائب أسرع الرجعة الى باقاريه وفي سبتمبر سنة ١٧٩٩ نزل الانكليز على ساحل هولنده فانهزموا فيه وفي ١٨ اقطوبر وقع دوق يورق على تسليم علقمار وركب بما بقي من حطام جيشه وأقلع الى انكلتره والله أعلم

﴿ الباب التاسع ﴾

﴿ القنصلية والمملكة ﴾

الدسائس التي وقعت في حق النظارة ـ اتحاد سياس و بونابارتو ـ ثورة ٩ نوفبر ـ سقوط النظارة ـ تعيين سياس و بونابارتو وروجر دوقوس قناصل ـ قانون السنة الثامنة ـ انتخاب نابليون بونابارتو قنصلا أول ـ اجتهاده في الحصول على صلح انكلتره ـ حرب سنة ١٨٠٠ ـ عبور نابليون جبال الالب ـ واقعة مارنغو ـ وجود مورو في باقاريه ـ واقعة حوحنليندن ـ صلح لونيڤيل ـ انجلاء الفرنساوية عن مصر ـ صلح امين ـ الادارة الداخلية التي أجراها القنصل الاول ـ القانون المدني النابليوني والعهد ـ السعي في قتل نابليون ـ انتخابه قنصلا لمدة حياته ـ طمعه ـ ثورة في سنت دومنغو ـ حرب مع انكلتره ـ ضبط هانوفر ـ دسائس جورج كدودال و پيشيغرو ـ القبض على دوق انغين وقتله ـ اعلان نابليون بكونه امبراطور فرانسا ـ تتويجه ـ تتويجه ملك ايطاليا ـ مكتوبه لجورج الثالث ـ اتحاد انكلتره وأوستريا وروسيا على فرانسا ـ خروج نابليون في ميدان الحرب على أوستريا ـ تسليم ءولم ـ دخول نابليون في ڤيانه ـ واقعة طرفلغار ـ واقعة أوسترليطز ـ معاهدة بريسبورغ ـ سقوط المملكة البوربونية في نابولي ـ اعطاء التاج ليوسف بونابارتو ـ تشكيل الاتحاد الريني ـ حرب مع بروسيا ـ واقعة جيانه ـ احتلال نابليون برلين ـ حطم بروسيا ـ المنشور البرليني ـ اعمال الغارة ـ واقعة ايلو وفريدلند ـ صلح طيلسيط ـ اجرا آت نابليون الداخلية ـ ادارة تفتيش المطبوعات ـ تداخل نابليون في أعمال اسبانيا والبرتغال ـ احتلال الفرنساوية مملكة البرتغال ـ سقوط العائلة الملوكية في اسبانيا ـ ارغام نابليون ملك اسبانيا على تسليم تاجه ـ صيرورة يوسف بونابارتو ملك اسبانيا ـ عصيان الاسبانيين وثوراتهم ـ الحملة البريطانية على البرتغال ـ واقعة ڤميره ـ دخول نابليون في اسبانيا ـ احتلاله مادريد ـ واقعة كورنه ـ حرب ثان مع أوستريا ـ واقعة اخوهل احتلال ڤيانه مرة ثانية ـ عصيان الطيروليون ـ مقتل حوفير ـ واقعة اسلنغ واسپرن ـ واقعة وغرام ـ معاهدة سخونبروم ـ اضافة الايالات البابا وية لفرانسا ـ سجن البابا ـ الحرب في اسبانيا ـ واقعة طلقيره ـ طلاق يوسفينه ـ زواج الامبراطور بمريم لويزه ـ ولادة ملك رومة ـ صيرورة برنادوط ولي عهد اسوج ـ حرب البحيث جزيرة ـ وقائع بوساكو وسالامنقا ـ احتلال الانكليز مادريد ـ تقهقر لورد ولنغطون

من

من بورغوس ـ الحرب بين فرانسا وروسيا ـ اغارة نابليون على روسيا ـ واقعة بورودينو ـ دمار موسكو ـ قهقرة الفرنساوية ـ ماوقع لهم من المصائب فى أثناء القهقرة ـ عبورهم نهر برسينه ـ سرعة توجه نابليون لباريس ـ الاجراآت الشديدة التى أجراها الامبراطور ـ اعلان بروسيا حربا على فرانسا ـ وقائع لوطزن وبوطزن ـ انضمام أوستريا مع المتحالفين ـ واقعة تربسته ـ هزيمة نابليون فى ليبزيغ ـ رجعته الى الرين ـ مصائب الفرنساوية فى اسبانيا ـ حرب سنة ١٨١٤ فى فرانسا ـ الاجتهادات العظيمة التى أجراها نابليون ـ تسليم باريس للمتحالفين ـ خلع نابليون ـ غلاق الحرب فى اسبانيا ـ وجود نابليون فى جزيرة البى ـ معاهدة بين لويز الثامن عشر والمتحالفين ـ مجلس فيانه ـ رجوع نابليون من جزيرة البى ـ المائة يوم ـ واقعة وطرلو ـ ارسال نابليون الى جزيرة سنت هيلانه

كانت طريقة الانتخاب فى فصل ربيع سنة ١٧٩٩ رديئة جدا على النظارة وترتبت فى المجالس معارضة قوية لاشغال الحكومة وكان رئيس هذه الحركة القسيس سياس وفى ١٨ يونيه سنة ١٧٩٩ نجح فى قيام ثورة كانت سببا فى صيرورة شوكة الحكومة فى أيدى نظارة جديدة مؤلفة من باراس ـ وسياس ـ وغويير ـ وروجر دوقوس ـ ومولين وكان الرئيس الاشد بأسا فى الحكومة سياس فرأى أن لا أمل فى اصلاح النظارة وأنها ليست أهلا للاعمال المعهودة اليها فعزم على سقوطها ولما عرف قرب الوقت الذى يضرب فيه هذه الضربة الفاصلة دخل فى مخابرة مع الجنرال بونابارتو وكان حضر فى هذا الوقت من مصر وكان سياس منتظرا فى مشروعه هذا بلوغه الى الدرجة السامية فى الشوكة واعتقد أنه يجعل بونابارتو آلة حاطمة لكل من تعرض له فى أعماله وأن اشتراك بونابارتو معه فى هذا المشروع يوطد له معاضدة الجيش وفى ٩ نوفمبر شتت عساكر بونابارتو مجلس الخمسمائة وكان مقره فى سنت كلود ثم اجتمع قليل من أعضائه فى قاعة المجلس واتحدوا مع مجلس الاختيارية وكان معاضدا للثورة وأصدر أمرا بالغاء النظارة وعهدوا الحكومة الجديدة لثلاثة قناصل هم بونابارتو وسياس ورو جردوقوس وتعين من المجلسين مجلس لترتيب هيئة حكومة جديدة وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٩٩ قدموا نتيجة أشغالهم فكانت هى قانون السنة الثامنة فكان هذا القانون مشتملا على أن الحكومة الجديدة تكون مؤلفة من ثلاثة قناصل تمكث فى وظيفتها عشر سنوات ومجلس يجرى تعيينه بمعرفة القناصل وعلى القناصل والمجلس سن القوانين والاجراآت وتقديمها لمجلس مؤلف من مائة عضو يتداول فيها وأن يكون مجلس النواب مركبا من ٣٠٠ عضو وله السلطة فى قبول هذه القوانين أو رفضها من دون مناقضة ويجرى ترتيب مجلس أعيان بمعرفة القناصل مؤلف من ثمانين عضوا يكونون فيه مدة حياتهم يكلف هذا المجلس بما يجب من المحافظة على سير مفعول القوانين وقصاص كل من يكون سببا فى فسخها وكانت الشوكة الحقيقية والسلطنة فى يد القنصل الاول فقط فانعقد الانتخاب فى الحال وصار انتخاب نابليون بونابارتو قنصلا أول بأغلبية الاصوات ورفض سياس أن يكون فى وظيفة قنصل ثان وكان فى يد نابليون الشوكة فى تعيين رفيقيه فعين كامبسيريس ولبرون القنصلين الآخرين فكان كامبسيريس صاحب قريحة وحزم والآخر مجردا منهما وفى ١٩ فبراير سنة ١٨٠٠ احتل القنصل الاول سرايه التولرى وجعلها مقره الرسمى واتخذ لنفسه فى الحال حاشية على

صورة السلطنات القديمة وبمجرد دخول نابليون فى وظيفته حرر مكتوبا الى ملك انكلتره يبين له فيه أغراضه فى توقيف الحروب وعقد سلم مستمر بينهما فأجابته الحكومة الانكليزية على مكتوبه ان مادة توطيد السلم التى ترغبها فرانسا متوقفة على عود العائلة البوربونية فلما خاب سعيه فى الحصول على السلم استعد لاستمرار الحرب وكذا للخروج الى ميدان الحرب فى فصل الربيع على أوستريا وفى أثناء ذلك بذل جهده مع العزم وفاز فى ترتيب الحكومة الداخلية لفرانسا وأبطل قانون الرهائن القبيح وفتحت الكنائس للعبادة على منوال الديانة المسيحية وجعل يوم الاحد يوم عيد الثورة وأفرج عن عدة آلاف من القسس كانوا فى سجون فرانسا من سنين عديدة كانوا على غير الطاعة ليمين القانون الجديد ورخص لجم غفير من الذين هاجروا من فرانسا بالعود اليها ووجه التفاته الزائد للمالية التى تقدمت بسرعة بهمة الماهر القادر على أشغالها الوزير غودين وبما أن أوستريا مازالت على كفة على العداوة عزم نابليون على الخروج لميدان الحرب مغيرا عليها وفى ابريل سنة ١٨٠٠ بعد الميلاد هجم جيش أوستريانى فى ايطاليا تحت قيادة بارون ميلاس على الفرنساوية تحت قيادة الجنرالين سولط ومسينه وطرد الفرنساوية الى جنوه وفرقة أخرى فرنساوية تحت قيادة الجنرال سوشيط أرغمت على القهقرة الى بورغيطه وأرسل ملاس قوة ضخمة لمحاصرة جنوه وسار الباقى من جيشه معقبا سوشيط عازما على ارغامه على القهقرة والهجوم على فرانسا من طريق بروفنسه ثم ان نابليون صمم على حركة باسلة لمنع الاوستريانيين من اغارتهم على فرانسا وطردهم بالكلية من ايطاليا فعزم على عبور جبال الالب السويسية بجيشه وغرس جيشه فى ايطاليا من وراء الاوستريانيين وشرع فى سيره من جهة جنوه مع فرقة مؤلفة من ٣٥٠٠٠ نفس ومن بعد أن كشف المهندسون الحربية الفرنساوية الدرب الكبير لجبال سنت برنارد قدموا له تقريرا بأنه لا يمكن عبوره من كثرة الثلوج فأمر نابليون بالاجتهاد فى عبوره وأمر بفك المدافع وربطها على قرقات من جذوع الاخشاب وجرها العساكر فى الدروب المشحونة بالثلوج وبواسطة حركة سهلة عبر الجبل وفى ١٦ مايو تقدمت مقدمة الجيش الفرنساوى تحت قيادة لونيس ودخلت بيدمونط وعبرت فرقة أخرى تحت قيادة الجنرال مونسى جبل سنت غوتارد وفرقة ثالثة تحت قيادة الجنرال طورو عبرت جبل سنيس وانضمت هذه الفرق الثلاثة مع بعضها فى لومباردى وفى ٢ يونيه احتل نابليون ميلان من دون مقاومة وصار عبور جبال الالب بالجيش معدودا من هذا العهد على الدوام من الاعمال الجليلة المشهورة فى التواريخ الحربية وفى أثناء ذلك صار ارغام الجنرال مسينه وكان محتلا جنوه منذ ستين يوما قامعا اجتهادات العدو فى تغلبه عليها على التسليم وفى ٥ يونيه انجلى عنها بما كان باقيا معه من قوته ثم انه ما كان حاصلا من الاستريانيين صار رصده فجأة بواسطة ورود الاخبار اليهم بعبور الفرنساوية جبال الالب واحتلال نابليون ميلان وكان نابليون بين الاوستريانيين وبين أس حركاتهم فصار من اللازم عليهم المحاربة من أجل كشف طريق توصلهم الى بلادهم وأسرع ميلاس الى السندره وجمع فيها قوته وأما نابليون فانه أخذ موقعه فى السهل الكبير فى مارنغو وهنالك فى ١٤ يونيه كانت الواقعة الكبرى التى حصلت بين نابليون والاوستريانيين وكان الاوستريانيون فى غاية من النجاح فى وقت الصباح ولما ورد (ديسيكس) بجيش جديد بعد الظهر صار عند نابليون طاقة فى تجديد الواقعة وهزم الاوستريانيين وطردهم فى غاية من الفشل عابرين بورميده وكل جيش من الجيشين كانت

خسارته

خسارته نحو من ۷۰۰۰ قتيل وجرح الشجاع ديسيكس بوجاقا نلا وتولد من هزيمة الاوستريانيين حالة قبيحة حتى ان ملاس دخل فى مخابرة مع القنصل الاول وحصل التوقيع على اتفاق بواسطته انسحب الجيش الاوسترياني خلف نهر منسيو ودخل اثنتا عشرة قلعة من ضمنها ميلان وطورين وجنوه وبياستزه وألسندرة فى حوزة الفرنساوية وبنصرة واحدة استرجع نابليون كافة الاراضى التى تغلب عليها فى الحروب الاولية وكانت خسرتها فرانسا مدة غيابه من ايطاليا وخسرت أوستريا كافة فتوحاتها فى ايطاليا الشمالية ثم حصل الاتفاق على توقيف الحروب حتى ان القائد الاوستريانى يمكنه الحصول على تعليمات نهائية ترد اليه من فيانه فى صفة معاهدة صلحية ومن ثم عاد نابليون الى باريس وقوبل فيها بالاحتفال الجليل وفى أثناء أخذ هذا الحرب فى التقدم زحف جيش آخر فرنساوى تحت قيادة الجنرال مورو من الرين نحو فيانه وطرد الاوستريانيين أمامه ولما احتل مورو مونيخ وردت اليه الاخبار بحصول اتفاق المتاركة بين القنصل الاول والجنرال ملاس وصدر الامر اليه بتوقيف الاعمال الحربية فى جرمانيا وفى شهر نوفمبر الماضى انفسخ أمر المتاركة وفى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٠ أوقع مورو هزيمة ساطمة على الجيش الاوسترياني تحت قيادة الارشيدوق حنا فى نواحى حوحنلينذن وخسر الاوستريانيون فى هذه الواقعة ۷۰۰۰ بين قتيل وجريح و ۸۰۰۰ أسير و ١٠٠ مدفع وعجزت حكومة الامبراطور من هذه الهزيمة حتى انها التمست توقيف الحروب فرضى مورو بهذا الطلب ووقع الشروع فى مخابرة الصلح بين فرانسا وأوستريا وفى ٩ فبراير سنة ١٨٠١ صار عقد صلح لونيفيل وقد ذكرنا شروط هذه المعاهدة فى تاريخ جرمانيا فى هذا القرن

ومع هذا فان فرانسا ما كانت خالية من المصائب فى هذه المدة وذلك أن مالطه تغلبت عليها الانكليز فى سبتمبر سنة ١٨٠٠ وعزمت الحكومة الانكليزية على طرد الفرنساوية من مصر ثم ان كلابر المتروك من قبل نابليون كعامل على مصر قتل بمعرفة أحد الاتراك فى يوم ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ وتعين فى محله الجنرال مينو رجل عاجز قليل التصرف ثم ان الانكليز نزلوا عنوة على برأبى قير فى ٨ مارث سنة ١٨٠١ وفى ٢١ منه هزموا الفرنساوية فى واقعة مويه بالقرب من الاسكندرية وفى ٣١ أغسطس وقع الجنرال مينو على اتفاق مع القائد الانكليزى بمقتضاه انسحبت العساكر الفرنساوية فى الحال عن مصر

ثم انه فى شهر فبراير سنة ١٨٠١ انسحب بيط العدو الالد لنابليون وفرانسا من النظارة البريطانية وبعد انسحابه بقليل عقد مجلس فى مدينة أميين وفى ٢٧ مارث سنة ١٨٠٢ بعد الميلاد عقد صلح بين فرانسا وبريطانيا الكبرى واسبانيا والجمهورية الباطافيانية سلمت فيها انكلتره فتوحاتها التى فتحتها مدة الحرب ما عدا سيلان وطرينيداد وأعيدت مالطه الى فرسان القديس يوحنا على شرط أن تكون تحت الحيادة وأعيدت مصر أيضا الى سلطان تركية وعهدت فرانسا على نفسها بجلاء ها من المملكة النابولطانية والايالات التابعة للكنيسة وأن تعيد الاراضى التى أخذتها من البرتغال وكان لهذا الصلح يوم عيد فى كل من فرانسا وانكلتره فكانت مدة هذا السلم انتهاز فرصة للقنصل الاول فى كونه وجه التفاتاته مرة أخرى نحو اصلاح داخلية فرانسا وعم كل اقليم من أقاليم المملكة براعته فى أشغاله وكان جل أشغاله ترتيبه القوانين واثباتها فى قانون واحد سماه بالقانون المدنى أو الكود النابليونى وعهد هذا الشغل لمجلس من أمهر القضاة تحت رياسة القنصل الثانى كامبسيريس الا أن نابليون كان هو

المواظب عليه بنفسه وأدخله فى درجة النجاح وامتدت مدة أشغال هذا المجلس ماينوف عن ثلاث سنوات وانتشر رسميا فى ٢١ مارث سنة ١٨٠٣ بعد الميلاد ومن قبلها فى ١٥ يوليه سنة ١٨٠١ عقد اتفاق مع البابا بواسطته أقيمت الديانة الرومانية الكاثوليكية رسميا فى فرانسا وتوطدت حرية الكنيسة الغاليقانية توطيدا تاما بشروط عظيمة وصار من خصائص القنصل الاول تعيين الاساقفة وما كان لادارقسوسية رومة الا التصديق على هذا التعيين وصدق البابا على بيع أملاك الكنيسة وشرعت الحكومة الفرنساوية فى مساعدة خدمة الدين وأخذت عليهم العهود بانقيادهم للحكومة الفرنساوية ومن بعد مضى قليل صدر عفو عام على جميع المهاجرين الا القليل وفى ١٩ مايه سنة ١٨٠٢ رسم القنصل الاول بالنشان المعروف بنشان الشرف مكافأة لمن اشتهرت خدماتهم فى العسكرية والعلوم والادارات الداخلية وفى أثناء هذه المدة اجتهد الحزب الجمهورى والحزب الملوكى الذين خابت آمالهم من نجاح حكومة نابليون فى قتله فانكشفت دسائسهم الا أن واحدة منها كانت وصلت الى درجة النجاح وذلك ان آلة نارية فرقعت فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٠٠ فى وسط شارع غاص بازدحام الناس كان القنصل الاول مارا فيه بعربته مع زوجته الى الاوبرة فانكسرت عربة زوجة نابليون الا أن مقعدها ما حصل فيه أدنى أذى وكان القنصل الاول مر من أمام هذه الآلة بدقيقة أو دقيقتين قبل فرقعتها فكانت سببا فى قتل وجرح اثنين وخمسين نفسا فى الشارع ثم ان ماوقع من براعة أعمال نابليون ونجاحه زاده محبة عند الامة وفى ٢ أغسطس سنة ١٨٠٢ صار انتخابه قنصلا مدة حياته بواسطة ثلاثة ملايين ونصف من الاصوات فوصل فى هذا الوقت الى الدرجة العالية التى ينتهى اليها الطمع الشرعى وصار رأس أمة كبيرة تعاضده بحميتها وأثبت لنفسه انه أجل حاكم وأكبر قائد فى عصره فلو اكتفى بتأييد شوكته فى فرانسا ومنع نفسه من التداخل فى أشغال الامم الاخرى لتمتع زمنا طويلا فى مزرعة وظيفة ناجحة وجعل فرانسا أقوى دولة فى أوروبا لكن طمعه أداه الى أن يجعل نفسه سيد الكونين ومشروعه هذا جعل الدنيا بأسرها مضادة له فكما أن هذا المشروع كان سببا فى اكتسابه الفخر الاكبر كذلك كان سببا فى حلول المصائب الكبيرة ببلاده ونهاية دماره وفى سنة ١٨٠٢ صار الاطلاع على قانون جمهورية الالب الجنوبية واصلاحه وصار نابليون رئيس هذه الجمهورية وأضيفت بدمونط رسميا الى الممالك الفرنساوية فى سبتمبر سنة ١٨٠٢ وفى هذا الوقت ضبطت دوقات بارمه وبياسنزه وغاسطاله وجعلت تحت ادارة فرنساوية وأقيمت الحكومة الفرنساوية بالجبر على الاراضى السويسية حتى أرغموا على عود جمهورية قانونية صار قبولها فى مدة الثورة الفرنساوية وأضيفت جنوه وباسل ومقاطعة قاليس الى فرانسا ثم وقعت ثورة ناجحة تحت رياسة طوسين الفاتح رجل أسود على غاية من البراعة فى جزيرة سنت دومينغو فأرسلت فرانسا جيشا قويا من أجل اخماد هذه الثورة تحت قيادة الجنرال ليكلرك وكان متزوجا بولين بونابارتو أخت نابليون فأخمدت الثورة الا أن الجيش الفرنساوى هلك تقريبا من تسلط الحمى الصفراوية عليه وهلك منه ٢٠،٠٠٠ نفس وكان أصله ٣٠،٠٠٠ نفس وكان من ضمن الذين هلكوا بواسطة هذه الصاعقة الجنرال ليكلرك وفى أثناء ماكان الجيش فى هذه الحالة الضعيفة هاج الحرب بين فرانسا وانكلتره فتغلب أسطول انكليزى على جزيرة سنت دومينغو فى نوفمبر سنة ١٨٠٣ وخسرت فرانسا الى الابد هذه المستعمرة وكان غير مصدق عند كافة الناس فى كل من شاطئى الخليج أن صلح اميين يستمر مدة طويلة فحدث من بعد عقد المعاهدة مشاحنة شديدة بين

فرانسا

فرانسا وانكلتره وذلك أن بريطانيا الكبرى رفضت انجلاءها عن جزيرة مالطه وكان المقرر فى شروط المعاهدة انجلاءها عنها وفى أثناء مجادلة نابليون مع لورد وايطورط سفير انكلتره فى هذا الصدد عدم حواسه وسب السفير فطلب تذكرة سفره وترك باريس فى ١٣ مايو سنة ١٨٠٣ فضبطت بريطانيا الكبرى فى الحال المراكب الفرنساوية الموجودة فى ميناها وأوقعت على التجارة الفرنساوية خسارة قيمتها ١٥,٠٠٠,٠٠٠ دولر فقبض نابليون فى نظير ذلك على رعايا بريطانيا الموجودين فى فرانسا وكان فيها فى هذا الوقت عدة ألوف من الطوائف العالية سنحت لهم الفرصة فى زيارة القارة فى مدة صلح أميين فوقعوا فى قبضة الاسر فابتدأ فى الحال الحرب وفى آخر مايو سنة ١٨٠٣ بعد الميلاد احتلت قوة فرنساوية منتخبة هانوفر واحتلت قوة أخرى تحت قيادة الجنرال سنت سير (طرنطه) وأوطرنطة وبرندزى فى مملكة نابولى وصمم نابليون على الاغارة على انكلتره وجمع جيشا ضخما فى غاية من النظام فى طول ساحل الخليج بين هافر وأوسطند وأسطولا مؤلفا من ٢٠٠٠ سفينة فى مين الخليج فتولد من خطر الاغارة قيام شهامة الحرب عند الامة الانكليزية الى أعلى درجة وفى ظرف بضع أسابيع صار زيادة الاسطول الانكليزى الى قوة كبيرة حتى بلغ ٦٠٠ سفينة حربية واجتمع جيش مؤلف من ٣٠٠٠٠٠ متطوع لحماية بلادهم وما أسرع ما حصل من الشروع فى الحرب حتى قامت ثورات قاصدة اعدام نابليون وكان أعظمها تحت رياسة جورج كادودال رئيس فنديانى والجنرال بيشيغرو واثنين من أعضاء العائلة البولغناقية ونزل هؤلاء فى فرانسا بواسطة مركب انكليزى وتوجهوا الى باريس واجتذبوا فى حض الجنرال مور وعلى الدخول فى ثورتهم فما أظهر أنه مساعد الثورة ووقع الكشف على هذه الثورة بواسطة البوليس وقبض على زعمائها فسنحت لنابليون الفرصة فى اهلاك مورو بما أنه كان يظن انه عدوه وأمر بالقبض عليه بسبب اشتراكه فيها فى ١٥ فبراير سنة ١٨٠٤ ثم ان نابليون أمر بالقبض على الدوق انغين الابن الكبير لدوق بوربون وحفيد البرنس كوندى وكان مقيما فى دوقة بادن الامبراطورية على بضع أميال من حدود فرانسا وارساله الى باريس وكان توجهه اليها مؤملا أن يكون له طاقة على السعى فى عود عائلته الى تخت فرانسا وكان قصد نابليون فى ذلك وقوع الرعب فى الحزب الملوكى وارغام أربابه أن لا يفوموا مرة أخرى فى ثورة عليه فمن أجل ذا فعل هذا الفعل الغير الجائز ومن بعد القبض على الدوق صار أخذه الى فنسيانه وفى بضع ساعات من بعد حضوره حوكم أمام مجلس حربى وصدر عليه الحكم بالاعدام بسبب تداخله فى ثورة بيشيغرو وكادودال وضرب بالرصاص فى خندق قلعة فنسيانه فى الساعة السادسة من صباح يوم ٢١ مارث سنة ١٨٠٤ فتولد من هذا الموت الفظيع هياج الفزع الاكبر فى كافة أوروبا وكانت ثورة كادودال وبيشيغرو سببا فى اسراع نابليون فى اجراء ما كان عازما عليه من مدة طويلة وهو جعل نفسه السيد المطلق لفرانسا من دون أدنى بطء فعرض عليه مجلس الاعيان وحرضوه على تشييد حكومة ثابتة بما أن قوانين الجمهورية تخالف أمرها فى احتياجات المملكة واتحد مجلس النواب مع مجلس الاعيان فى هذا الصدد وفى ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ صدر مرسوم من القنصلية النيابية باعلان نابليون بونابارت بأنه امبراطور الفرنساوية وبان التخت يكون وراثيا فى عائلته من طريق وراثة الذكور وقبلت الامة الفرنساوية هذا الفعل على مقتضى أصوات ٣٥٧٢٣٢٩ نفس ضد ٢٥٦٩ نفس ووقع التصديق من المجالس وفى ٢٨ مايو سنة ١٨٠٤ صار جلب الاشخاص الذين دخلوا فى ثورة ضد نابليون للمحاكمة وكان الجنرال مورو داخلا فى

اعلان نابليون بالامبراطورية

عددهم فقتل بيشيغرو نفسه وهو مسجون فى ٧ ابريل وصدر الحكم على كادودال وثمانية عشر من رفقائه بالاعدام والحكم على مورو بسجنه سنتين فابدل نابليون الحكم الصادر على مورو بنفيه سنتين فى الاقاليم المتحدة لامريقة وقتل كادودال وعشرة من المشتركين معه وعفا نابليون عن الثمانية الباقين ثم أعدت الاستعدادات اللازمة من أجل تتويج الامبراطور وحضر البابا بيوس السابع من رومة الى باريس من أجل احتفال التتويج فاحتفل به مع الطنطنة فى كنيسة نوتردام فى باريس فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٤ وأخذ نابليون التاج من أيدى البابا ووضعه على رأسه ثم توج الامبراطورة يوسفينه وكانت جاثية على ركبتيها أمامه ومن بعد مضى بضع شهور وقت انتقال جمهورية الالب الجنوبية الى المملكة الايطاليانية صار تتويج نابليون ملك ايطاليا فى الكنيسة الكبرى فى ميلان وتتوج نابليون فى ٢٦ مايو سنة ١٨٠٥ بالتاج الحديد القديم لمملكة لومباردى وعين الامبراطور ربيبه (أوجينى دو بوهارنيس) نائبه فى ايطاليا بلقب والى وفى ٣٠ يونيه سنة ١٨٠٥ صار ترتيب الاراضى الجنوية الى ثلاث مديريات فرنساوية واشتركت رسميا مع فرانسا ومن بعد هذا بذل الامبراطور جهده فى توقيع الصلح مع انكلتره الا أن الحكومة الانكليزية قابلت عرضه بغاية الاحتقار وجاوبته بجواب تعترف فيه انه تشكل اتحاد أوروباوى جديد على دماره وفى ابريل سنة ١٨٠٥ وقعت محالفة ضد فرانسا دخل فيها انكلتره وروسيا وأوستريا وكان نابليون فى هذا الوقت مندفعا فى حركاته اللازمة للاغارة على انكلتره وبمجرد أن تحقق من انضمام أوستريا الى الاتحاد عليه فك معسكره فى الحال وكان بالقرب من بولونيه وزحف بجيشه الضخم بسرعة عابرا فرانسا الى الرين وكان جيش أوستريا فى مؤلف من ٨٠٠٠٠ مقاتل تحت قيادة الجنرال مالك عبر نهر الان فى ٧ سبتمبر وتحرك نحو مونيخ فعبر نابليون نهر الرين وبحركة سريعة استحوذ على دمدار (مالك) وقطع خط مواصلته مع فيانه فاجتهد القائد الاوستريانى فى خلاصه بوقائع شديدة الا أنه ضرب وطرد داخل أسوار عولم ثم أرغم نابليون هذه المدينة على التسليم بما فيها من القائد الاوستريانى وجيشه المؤلف من ٣٠٠٠٠ نفس فى ٢٠ أقطوبر وفى مدة ثلاثة أسابيع دمر نابليون بحركته العظيمة جيشا مؤلفا من ٨٠٠٠٠ نفس من دون حصول واقعة كبيرة ثم ان نابليون زحف من مدينة عولم بسرعة على فيانه ودخل هذه المدينة من دون مقاومة فى ١٣ نوفمبر وفى أثناء هذه الحركات طرد المارشال مسينه الارشيدوق شارلس من ايطاليا واحتل الطيرول مع قواه وفى وسط هذه المظفرات وردت الاخبار لنابليون بهزيمة الاسطول الفرنساوى بواسطة الاسطول الانكليزى تحت قيادة لورد نلسون فى واقعة كبيرة حصلت فى نواحى طرفلغار فى ٢١ أقطوبر انعدمت فيها العمارة الفرنساوية ومع أن نابليون كان مستحوذا على العاصمة الاوستريانية الا أن موقعه كان محفوظا من الخطر ثم تقدم جيش ضخم مؤلف من عساكر روسية وأوستريانية من مورافيه وجمع كل من الارشيدوق فين شارلس وحنا قوة كبيرة فى هنكاريا فصمم نابليون على عدم اجتماع هذين الجيشين مع بعضهما وعزم على الهجوم على الجيش الروسى الاوستريانى أولا فمن ثم عبر نهر الدانوب وسار على برون وفى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ أوقع هزيمة حاطمة على الجيش الاتحادى فى أوسطرليطز وخسر المتحالفون ١٠٠٠٠ قتيل و ٢٠٠٠٠ أسير و ١٢٠ مدفع وكانت هذه نصرة فاصلة للحرب فطلب الامبراطور أوستريا هدنة وتقابل رسميا مع نابليون ووقع الاتفاق فيها على مبادى الصلح وفى ٢٦ ديسمبر حصل التوقيع على صلح بريسبورغ وقد ذكرنا شروط هذه المعاهدة فى تاريخ جرمانيا فى هذا

القرن

القرن وسمح للجيش الروسى بالرجعة الى بلاده وكانت هزيمة الاتحاد نتيجة عظيمة ما كانت تخطر على بال
نابليون وكانت سببا فى موت غليوم بيط ألد الاعداء لنابليون فى ٢٣ ينايرسنة ١٨٠٦ وكانت
نابولى دخلت فى معاهدة حيادية مع فرانسا الا أنها تحت شوكة الملكة كارولينه أخت منكوسة
البخت مريم انطوانيت واتحدت مع المتحالفين فأعلن نابليون فى هذا الوقت أن بيت بوربون انقرضت
سلطنته من نابولى وأرسل فى فبرايرسنة ١٨٠٦ جيش تحت قيادة يوسف بونابارتو والمارشال مسينه
الى الاراضى النابولطانية فهربت منها العائلة الملوكية الى جزيرة سيسيليا واحتل الفرنساوية نابولى
ومنح الامبراطور التاج النابولطانى على أخيه الكبير يوسف بونابارتو وشكل أيضا هولنده فى صورة
مملكة وجعل أخاه لويز ملكا عليها وأعطيت دوقيات مختلفة وايالات من ايطاليا ودلماطيه ومن جهات
أخرى بصفة اقطاعات من طرف المملكة الفرنساوية الى كبار القواد والوزراء وجعلت وراثية
فى عائلاتهم ثم اجتهدت العائلة الملوكية النابولطانية فى طرد الملك يوسف عن تخته الجديد فأخمدت
العساكر الفرنساوية ماحصل من الثورة ثم ان نابليون شكل الاتحاد الرينى فى فصل صيف سنة ١٨٠٦
من أجل تقوية شوكته فى جرمانيا وقد ذكرنا هيئة تشكيله فى تاريخ جرمانيا فى هذا القرن فكان
لهذا الاتحاد موقع كبير فى بروسيا التى كانت عندها كما ذكرنا فى موقع آخر أسباب أخرى قضت
بالمحاربة مع فرانسا فمن ثم اقتحمت بروسيا بدون تبصر فى العواقب وهيجت حربا على فرانسا من دون
استعداد للحرب فعبرنابليون نهر الرين ببراعته المعتادة وزحف بسرعة على بروسيا وفى ١٤ اقطوبر
سنة ١٨٠٦ هزم الجيش البروسى بعد مقتلة فى واقعة كبيرة فى جينانه وأسر من الجيش البروسيانى
نحو من ٢٠،٠٠٠ نفس وأخذ ٣٠٠ قطعة فوهة نارية وسلمت القلاع البروسيانية لنابليون
وجيشه وانسحب الملك فريدريق غليوم مع من بقى معه الى كونغسبرغ انتظر فيها وصول الامبراطور
اسكندر صاحب روسيا وكان هذا الامبراطور سار الى نهر الويستول لمساعدته ودخل نابليون برلين
من دون مقاومة وسلك مسلك الوقاحة فى السلب ونهب العاصمة والامة البروسيانية وقد ذكرنا أعماله
فيها وفى مدة اقامته فى برلين أصدر فى ٢١ نوفمبرسنة ١٨٠٦ منشوره البرلينى المشهور فى نظير منشور
انكليزى صدر من مجلس انكلتره بدمار تجارة فرانسا فأعلن نابليون فى منشوره ان كافة السواحل
البريطانى تحت الحجر وأمر بعدم المعاملة مع انكلتره والمخالف يجازى باشد الجزاء وأمر بضبط عموم
البضائع والاملاك التابعة للرعايا الانكليزية ومنع أى مركب آتية من بريطانيا الكبرى أو مستعمراتها
أو من أى مينة خاضعة لبريطانيا الكبرى من الدخول فى مين فرانسا ثم سار الامبراطور من برلين الى
بولنده واحتل بعسكره فى ورساو ووطد لنحو البولنديين بكونه سيعيد لهم مملكتهم القديمة الا أنه احترز
فى نفسه من اجراء ذلك جهرة لانه ما كان يرغب فى ضم أوستريا مع أعدائه الآخرين وفى ينايرسنة
١٨٠٧ برز الجيش الروسى تحت قيادة بنغسين فى ميدان الحرب وكان الطقس فى أشد برودته فزحف
نابليون فى الحال للتقاه وفى ٨ فبراير هجم عليه فى ايلو فكانت هذه الواقعة من أكبر الوقائع المقطوعة
اليأس ماوقع لنابليون أشد منها وانتهت بهزيمته بالكلية وخسر فيها نحو امن ٣٠،٠٠٠ نفس وكانت
خسارة الروسيين ٢٠،٠٠٠ نفس وتقهقر امبراطور الفرنساوية الى حذاء نهر الويستول وأجهد
نفسه فى اتمام عساكره حتى انه فى شهر يونيه صار على طاقة من اجراء الحركات التعرضية فى رأس
جيش مؤلف من ٢٠٠،٠٠٠ مقاتل وفى ١٤ يونيه وهو يوم عيد نصرة مارنغو أوقع هزيمة فاصلة

على الجيش الروسى فى فريدلند وانسحب الجيش الروسى مع غاية الانتظام وفى ١٩ يونيه عسكر فى طيلسيط بالقرب من الحد الروسى وفى هذا الوقت رغب كل من نابليون واسكندر فى الصلح وحصلت المخابرة فى مقابلتهما رسميا فكانت مقابلتهما فوق رمس فى وسط نهر نيمين فى ٢٥ يونيه وحصل الاتفاق على شروط الصلح وعقدت معاهدة طيلسيط بين فرانسا وروسيا فى ٧ يوليه وبين فرانسا وبروسيا فى ٩ يوليه وقد ذكرنا شروط هذه المعاهدات فى تاريخ جرمانيا فى هذا القرن وشيد نابليون من الاراضى التى أخذها من بروسيا وهانوفر مملكة وسطفاليه وعهد زمامها وكيتها الى أخيه جيروم ومن ثم صار تجزئة بروسيا الآن امبراطور الروسيا صارت معاملته معاملة صديق محالف وطلب منه نابليون اتحاده معه فى أعماله ضد انكلتره ولما عاد نابليون الى باريس من بعد صلح طيلسيط قابلته فيها الامة الفرنساوية مع الهيبة وصار فى هذه الحالة فى أكبر شوكة سالك مسالك المحافظة عليها فألغى المجلس الذى لم يوجد غيره وكان حافظا آثار استقلالية تنفيذ القوانين الشرعية ورتب مصلحة تفتيش المطبوعات بنفوذ وشوكة كبيرة تمنع من نشر الاخبار التى لم تدرج من الاصل فى (جرنال المنتور) الجرنال الرسمى للحكومة ووضع تربية الشبان تحت مباشرة الحكومة الحالية وترتبت المدارس تحت قاعدة قوية حتى يمكن أن يختار من هذه المدارس من يكون صالحا للعسكرية ثم ان الامبراطور شرع فى مشروع كانت عاقبته وخيمة عليه وعلى فرانسا وذلك أنه بحجة ارغامه اسبانيا والبرتغال على قبول منشوره البرلينى واخراج البضائع الانكليزية من أسواقهم صمم على الغاء هيئة الحكومة الموجودة فى هاتين المملكتين وادخالهما فى هيئة حكومات تابعة للمملكة الفرنساوية فأصدر أمره لمملكة البرتغال بغلق مينها فى وجه المراكب البريطانية وضبط الاملاك التابعة للانكليز والقبض على الرعايا الانكليزية الموجودة فى داخل حدود ممالكها وان لم تقبل فالحرب مقام عليها من جهة فرانسا فاطاع البرنس البرتغالى النائب هذا الامر مع شدة الاشمئزاز بسبب أنه ما كان على رغبة من ضياع المعاهدة القديمة لبلاده مع انكلتره فحصل لنابليون الغيظ من بطء تنفيذ أمره فأعلن أن بيت براغنزه انقضت مدة سلطنته فى أوروبا وأصدر أمره للجنرال جونوط بالدخول فى مملكة البرتغال مع ٣٠,٠٠٠ من العساكر فهرب البرنس النائب وأقلع الى الاملاك البرتغالية فى بريزيله وفى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٠٧ احتل الفرنساوية مدينة لسبون ولما وطد الامبراطور لنفسه مملكة البرتغال وجه التفاته نحو اسبانيا وكانت بين البرنس فرديننند الوارث للتاج الاسبانى وبين الملك والملكة والديه ونديمهما جودوى مشاحنة كبيرة فسنحت لنابليون فى هذا الوقت الحاصل فيه الارتباك الفرصة فى دمار الاحزاب الموجودة فى اسبانيا وبواسطة دعواه جملة أسباب مختلفة احتل الاقاليم الشمالية من اسبانيا مع جيش مؤلف من ١٠٠,٠٠٠ نفس واجتهد ملك اسبانيا فى كونه سلك مثل ما سلكت الحكومة البرتغالية فى كونه يفر بنفسه الى ساحل أملاكه فى أمريقه الا أنه صار منعه وارغامه على التنازل عن التاج لابنه وجلس ابنه على التخت فى ١٩ مارث سنة ١٨٠٨ بلقب فرديننند السابع فى وسط أفراح من الامة الاسبانية ثم ندم الملك القديم شارلس الرابع على تنازله واستغاث بمساعدة نابليون فى عوده الى تخته فحضر الامبراطور والعائلة الملوكية بما فيهم النديم على مقابلته فى مدينة بايون فوقعت مشاحنة قبيحة بين الاب والابن بحضور الامبراطور فأرغمهما على تنازلهما عن حقوقهما فى السلطنة لنفسه وأعطى لشارلس الرابع بدل اسبانيا وجهات الهنود قلعة

شامبورد

شامبوردفى فرانساوراتباسنو باقيمته ٠٠٠,٥٠٠,٧ فرنك وأعطى الى فرديننند مملكة عطروريه فرفض فرديننند بيع ماورثه بهذا القدر فأمر نابليون بحبسه مع أخيه كارلوس فى قلعة بلنسيه وعهد نابليون بالتاج الاسبانى الى أخيه يوسف وتنازل يوسف عن مملكة السيسيليتين الى صهره موراط أحد المارشالات ذوى الشدة فى المملكة الفرنساوية ومع أن مجلس قسطيله رضى رغما عن أنفه بسبب ما ألزمه به نابليون من ارتقاء الملك يوسف على التخت الاسبانى الا أن الامة الاسبانية اشتعلت بها الغضب بسبب بيعها بيع الغنم وترتبت مصادمة قوية للفرنساوية فى أنحاء المملكة وترتبت حكومات اسبانية فى كل مدينة كان رؤساؤها الصفيل وأعلنت هذه الحكومات بأن فرديننند السابع هو ملك اسبانيا الحقيقى وقبض الوطنيون على ست مراكب حربية فرنساوية كانت راسية فى مينة قادس فسار المارشال مونسى فى الحال نحو بلنسيه لاخماد الثورة فانهزم شرهزيمة ومن بعد مضى قليل انهزم الاسبانيون فى مدينة ريوسيكو ثم كفروا عن هزيمتهم هذه بانتصارهم على القائد الفرنساوى دوپونط فى بايلين من أعمال الاندلس وأسروا من العساكر الفرنساوية ٢٠٠٠٠ نفس مع الجنرال دوپونط ثم حاصر الفرنساوية مدينة سرجوصه فدافعت هذه المدينة عن نفسها مع الشدة شهرين حتى ان المحاصرين أرغموا على رفع الحصار من شدة مالاقوا من الآلام ولما رأى الملك يوسف انه لاطاقة له على المحافظة على موقعه فى عاصمة اسبانيا التزم على الرجعة خلف نهر ابره وتشجعت البرتغال بما حصل من الظفر للاسبانيين وقامت هى أيضا فى ثورة وأعلنت بيت براغنزه وأرسلت الحكومة الانكليزية السيرآرثر واسلى مع جيش لمساعدتها فانهزم الجنرال جونوط فى ويميره وأرغم على قبول اتفاق سنطره من مقتضاه انجلاء هذا القائد الفرنساوى عن عموم المملكة البرتغالية واحتل الانكليز لسبون مع النصر فى ١٢ سبتمبر ولغاية ٣٠ منه لم يبق عسكرى فرنساوى فى البرتغال ثم ان نابليون عزم فى هذا الوقت على ارجاع ماضاع من شوكته فى البجيث جزيرة ولاجل أن يكون حرا فى اجرائه ذلك عزم على عقد محالفة قوية مع روسيا وقابل الامبراطور اسكندر فى أرفورط ورضى القيصر بالتغييرات التى جرت فى ايطاليا واسپانيا واتفق على مساعدة نابليون بمقدار ١٥٠٠٠٠ عسكرى فى تهييج حرب بين فرانسا وأوستريا واتفق نابليون على اعطاء ملداڤيه وولاخيا وفينلندا الى روسيا فعزمت بريطانيا الكبرى فى هذا الوقت على مداومة الحرب فى بجيث جزيرة اسپانيا مع العنف وقوت جيشها فى البرتغال وجعلته تحت قيادة السير جنامور وفى نحو هذا الوقت استلم نابليون قيادة جيشه بنفسه فى اسپانيا وهزم على التوالى ثلاثة جيوش اسبانية كانت اجتهدت فى توقيف تقدمه وفى ٤ ديسمبر دخل مادريد متوجا بالنصر وهربت الحكومة الاسبانية مرتبكة فى أمرها وماقاوم الفاتح نابليون الا الجيش الانكليزى تحت قيادة جنامور ولما طلب نابليون الى الجهات الشمالية من فرانسا بسبب قيام حصل من أوستريا على حين غفلة عهد بزمام قيادة جيش اسبانيا الى المارشال سولط وأمره باخراج مور من البجيث جزيرة ولما رأى مور أنه لاطاقة له على مصادمة القوى الكبيرة الموجودة تحت قيادة سولط رجع الى كورونه عازما على النزول من تلك المينة الى انكلتره وفى ١٦ ينايرسنة ١٨٠٩ هجم المارشال سولط على مور تحت أمل أنه يمنعه من السفر فصدمور هجومه صدا عنيفا واشترى مور نصرته بفقد حياته فانه قتل فى أثناء نار الحرب ودفن فى ميدان المعركة ثم نزل الانكليز فى المراكب وأقلعوا نحو بلادهم تاركين الفرنساوية أسيادا سپانيا وكان سفر نابليون فجأة من اسپانيا من أجل ماوقع من أوستريا من اجرآتها وذلك أن

هذه الدولة كانت فى استعداداتها التجديد الحرب منذ صلح بريسبورغ ووعدتها انكلتره بمساعدتها بمالها بمبلغ ٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولر فجمعت أوستريا جيشا مؤلفا من ٥٠٠٫٠٠٠ نفس وانتخبت لنفسها أحسن الاوقات الوقت الذى كان نابليون مشغولا فيه بمحاربة مع الاسپانيين وساقت قواها نحو باڤاريه حليفة فرانسا وعبر جيش الارشيدوق شارلس قائد عموم الجيوش الاوسترياتية نهر إلان فى ٩ ابريل سنة ١٨٠٩ ولما وصل نابليون باريس بلغه هذه الحركة ومع ان هذه الحركة جاءت على غفلة وما كان نابليون على استعداد لها الا انه أسرع فى حركته الى جرمانيا ورتب قواه فى وورطمبرغ وبادين وضمها الى نفسه وفى ١٨ منه من بعد سفره من باريس بأربعة أيام كانت دائرة معسكره فى مدينة انغولسطاد وفى ٢٢ ابريل هجم على الارشيدوق شارلس فى اخوهل وهزمه هزيمة فاصلة فتقهقر الارشيدوق نحو راطسبون والفرنساوية وراءه فتغلبوا على راطسبون بطريق الهجوم وطردوا الاوستريانيين فى داخل بوهيميه ومن ثم انفتحت الطريق للفرنساوية نحو ڤيانه وفى ١٣ مايو دخل نابليون ڤيانه مرة ثانية فاتحا لها وكان الاوستريانيون تحت قيادة الارشيدوق حنا أغاروا فى مبادى الحرب على ايطاليا فطردهم منها عامل ايطاليا (أوجين بوهارنيس) وسار خلفهم حتى دخل بلادهم وضم جيشه الى جيش نابليون أمام ڤيانه فى ٢٦ مايو ومن قبلها قام الطيروليون فى ثورة على الفرنساوية تحت قيادة (اندرياس حوفير) وعلى الباڤاريانيين فى أول الحرب فخبطت هذه الثورة وقبض على حوفير وضربه الفرنساوية بالنار فى الميدان كما ذكرنا فى تاريخ جرمانيا

وفى هذا الوقت زحف الارشيدوق شارلس مع قوة مؤلفة من ٨٠٫٠٠٠ نفس من أجل طرد الفرنساوية من ڤيانه وفى ٢١ و ٢٣ مايو كانت الوقائع المهولة التى حصلت فى نواحى اسلنغ واسبرن وكانت خسارة الفرنساوية فيها ٣٠٫٠٠٠ نفس والاوستريانيين ٢٠٫٠٠٠ نفس والمجروح فى هذه الوقائع المارشال لونيس دوق مونطبلو أحد القواد المشهورة البارعين فى الجيش الفرنساوى وكان جرحه مهلكا وتقهقر نابليون من ميدان الحرب الا أن الارشيدوق شارلس ما كان فيه طاقة على كسب أدنى فائدة مما حصل من المصائب على الفرنساوية وفى ٤ يوليه لما تقوى نابليون بجيش أوجين بوهارنيس وعساكر أخرى زحف مرة أخرى على الاوستريانيين مع جيش مؤلف من ١٥٠٫٠٠٠ مقاتل وفى ٦ يوليه أوقع هزيمة حاطمة على الارشيدوق شارلس فى وغرام وقتل من الفرنساوية فى هذه الواقعة ٢٥٫٠٠٠ نفس وكانت خسارات الاوستريانيين أكثر من ذلك ولما اضمحل أمر الحكومة الاوستريانية بما وقع من هزيمة جيوشها فى هذه الواقعة تداركت أمر الصلح وصار التوقيع على هدنة أعقبتها معاهدة شونبروم وكانت فى أشد المهنة على أوستريا زيادة عن معاهدة بريسبورغ وقد ذكرنا شروط هذه المعاهدة فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة وقبل امبراطور أوستريا المنشور البرلينى الصادر من بونابرتو ضد التجارة الانكليزية وانه لا يكون بينه وبين انكلتره أدنى معاملة ودية فكانت هذه المعاهدة سببا فى ضعف نفوذ مملكة أوستريا فى الاعمال الاوروباوية ثم ان نابليون فى وسط محاربته مع أوستريا تمم أيضا مشاحنته مع البابا وذلك أن البابا كان رفض قبول الامر البرلينى الصادر من الامبراطور ولم يقرر ملوكية موراط على ناپولى فأصدر نابليون منشورا من شونبروم مؤرخا فى ١٧ مايو سنة ١٨٠٩ قاضيا باضافة عموم الايالات

الباباوية لمملكة فرانسا وعين للبابا المخلوع ناحيــة القاطيكان وايراد مليونين من الفرنكات سنويا فقابل البابا بيوس السابع الامر الصادر من نابليون بمنشور مقتضاه وضع الحجر الكنائسى على نابليون ونوابه وعلى كل من انتمى اليــه فأمر نابليون فى الحال بالقبض على البابا فى سرايتــه فقبض عليه فى منتصف الليــل وأرســل الى فرانسا ووضع فى سجن مكرم فى سراية فونتينبلو الى أن سـقطت مملكة نابليون وفى أثناء هــذه المدة أخضعت الجيوش الفرنساوية مملكة اسبانيا من بعد قهقرة العساكر الانكليزية وبقيت المملكة البرتغالية تحت الفتح وفى ابريل سنة ١٨٠٩ أغار المارشال سولط على مملكة البرتغال واحتــل أوبرطو وكان الجيش الانكليزى فى لسبون تقوى وتعين السير آرثر ولسلى رئيس قيادة العساكر الانكليزية فى البحث بجزيرة فطرد الفرنساوية من البرتغال الى داخــل غاليســيه ودخــل اسبانيا وفيها انضمت اليه القوى الاسبانية تحت قيادة الجنرال كوويسطه فجمع الملك يوسف ماقدر على جمعــه من العساكر وانضم الى جيش المارشال فيكطور وكان هــذا الجيش مجريا حركتــه فى توقيف زحف الانكليز وفى ٢٨ يوليــه وقعت الواقعــة الكبيرة فى طلفيره انهزم فيها الفرنساوية وخسروا ٧٫٠٠٠ نفس وخسر الانكليز ماينوف عن ٥٫٠٠٠ نفس ومن بعد حصول النصر للســير آرثر ولسلى بقليل وردت اليــه الاخبار بان المارشالات سـولط ونى ومورطيير زاحفين عليــه فأسرع بالرجعــة الى حدود البرتغال وما وقع من الفرنساوية أدنى سعى فى وصول ضرر اليــه وفى نحو منتصف ديسمبر كان غلاق الحرب وكان ما بقى من اسبانيا صاحا جد للفرنساوية فان سرجوصــه سلمت لهــم فى فبراير سـنة ١٨٠٩ من بعــد مدافعة شديدة وقتل من الاهالى فى أثناء الحصار ماينوف عن ٤٠٫٠٠٠ نفس ومع ما وقع للفرنساوية من هزيمتهــم فى طلفيره فانهم كانوا فى سـنة ١٨٠٩ على نجاح عظيم فيها ثم ان نابليون اكتسب فى هذا الوقت الغلط الاكبر الذى عاد بالدمار على حياته وذلك انه كان على ميــل كبير لزوجتــه الامبراطورة يوسفينه الا انه ما نتج من هــذا الزواج أولاد فاعتقد أن دوام وجود عائلته فى الحياة الدنيا يحتاج الى ولد يرثه فى تاجه فعزم على طلاقها ورغب فى زوجــة ربما تأتى له بولد يرثه فى تختــه ومن بعد جملة مجادلات طويلة رضيت الامبراطورة بطلاقها وأعلن مجلس الاعيان الطــلاق فى ١٥ ديسمبر وصدّقت عليه محكمة الكنيسة فى باريس وتوطد الى يوســفينه لقب امبراطورة وايراد سـنوى قدره مليونان من الفرنكات فى مدة حياتها ومن بعــدها طلب نابليون من امبراطور أوستريا تزوجه بابنتــه البرنسيســة مريم لويزة ولما كان لاطاقة لفرنسيس على عدم قبوله رضى وصار الاحتفال بعقد الزواج بالوكالة فى ١١ مارث سنة ١٨١٠ بعد الميــلاد وتوجهت العروس فى الحال الى باريس وجرى فيها الاحتفال مرة ثانيــة فى كنيســة سراية التولرى فى ٢ ابريل وكان طلاق نابليون وتزوجه ابنة امبراطور أوستريا من الزلات الكبيرة فى حياته فان الامبراطورة يوسـفينه كانت محبوبة جدا عند الفرنساوية ورأت الفرنساوية مريم لويزة بعكس ذلك وكذا رأت أن تزوج نابليون ببرنسيســة أوســتريانية سبب فى عدم ارتقائه الى درجــة السعادة ثم كان هــذا الزواج خسارة عليه وفى ٢٠ مارث سنة ١٨١١ وضعت الامبراطورة مريم لويزة ولدا القب بلقب الشرف ملك رومــة فكان يوم ولادته يوما مشهودا فى أنحاء المملكة الفرنساوية وانقضت سـنة ١٨١٠ وسنة ١٨١١ فى هدوّ ثم تولد من شغف نابليون بتنفيذ أمره البرليني أعمال عادت نتيجتها بالوخامة عليه وذلك أن لويز بونابارتو ملك هولنده رفض خسارة منافع

رعاياه بتقويته هذا الامر فارسل الامبراطور من أجل ارغامه على طاعته قوة مؤلفة من ٢٠,٠٠٠ نفس من العساكر الفرنساوية الى هولنده تحت قيادة المارشال أودينوط فنصب هذا المارشال دائرة معسكره فى امستردام فتنازل لويز فى الحال عن تاجه لابنه وهاجر ناجيا بنفسه الى الاراضى الاوستريانية فارا عن نابليون حقوق ابن أخيه وأضاف هولنده الى فرانسا فى ١٠ يوليه سنة ١٨١٠ وأعلن بأن امستردام هى المدينة الثالثة من مدائن المملكة فكان هذا الشغل منظورا اليه بعين عدم الاعتبار فى فرانسا وفى كافة جهات أوروبا وفى سنة ١٨١٠ ضبط الامبراطور أيضا المدائن الحانسية وأضافها الى ممالكه من دون سبب وهى مدائن همبورغ وبريمن ولوبيخ ومدن الساحل الشمالى من جرمانيا الواقع بين نهر امس ونهر البى وكان من ضمن البرنسات الجرمانية الذين سلبوا بهذه الحالة دوق أولدنبورغ له قرابة بامبراطور الروسيا فى الدم والزواج فاستقبح اسكندر حالة سلب قريبه وأقام الحجة ضد نابليون وأصدر أمر الامبراطور يامن عنده بفتح مين روسيا من أجل تلقى التجارات الانكليزية وضرب عوائد باهظة على التجارات والمشغولات الفرنساوية الداخلة فى ممالكه من فرانسا وكانت اسوج فى صداقة مع فرانسا فلما مات برنس حولسطين الوارث للتخت الاسوجى رغب المجلس الاسوجى فى تقوية علاقاته مع فرانسا ومن أجل ثناء نابليون عليهم انتخب المجلس المارشال برنادوطى ليكون ولى عهد تاج اسوج وكان الامبراطور نابليون رقاه الى درجة برنس (بونطكورفو) وكان هذا الانتخاب أعظم انتخاب من جهة اسوج وما كان برنادوطى مخلصا فى معاضدته نابليون وان كان فى خدمته بارعا قويا الا انه كان من أجل ندماء الامبراطور رغما وقع من نابليون أدنى معارضة فى ارتقائه الى هذا السمو الجليل وسافر برنادوطى الى استكهلم فى سبتمبر سنة ١٨١٠ الا انه من هذا الوقت صارت العلاقات بين فرانسا واسوج تأخذ فى النقص على التدريج ومن بعد هذا بقليل ظهر من برنادوطى دلائل على انه لا رغبة له فى ضياع منافع اسوج فى مرضاة فرانسا وما حصل منه رغبة فى تقوية الامر البرلينى وفى مدة قليلة صارت بوميرانية الاسوجية المركز الاصلى الذى وجدت التجارة الانكليزية لها طريقا سالكا منه الى القارة ولما صار نابليون فى أمن مع أمم أوروبا وجه عزمه لمداومة الحرب فى جزيرة اسبانيا فقوى جيشه تحت قيادة المارشال مسينه وبرنس اسلنغ الى أن بلغ نحو من ٨٠,٠٠٠ مقاتل واجتهد اجتهادا شديدا فى عود استيلائه على مملكة البرتغال وأخضع مسينه مدينة (سيودادرودريغو) وسلمت اليه فى ١٠ يوليه سنة ١٨١٠ وأعقب سقوطها سقوط مدينة المائدة أحد المعاقل الاكبر منعة فى حدود البرتغال فتولد من ضياع هاتين المدينتين ارغام ولنغطون وكان جيشه مؤلفا من ٢٨,٠٠٠ انكليزى و ٢٥,٠٠٠ برتغالى على الرجعة الى وراء ثم صمم على الوقوف لحماية لسبون فى موقع (طوريس ويدراس) الحصين وكان هذا الموقع على غاية من الحصانة من أجل هذا الصدد فوقع الهجوم عليه فى أثناء تقهقره فى بوساقو بعساكر الفرنساوية فى ٢٧ سبتمبر الا انه أفشلهم وفى ٩ اقطوبر وصل هو وجيشه مع السلامة فى الحذاآت القوية لموقع (طوريس ويدراس) وكان لا يمكن الوصول اليه بطريق الهجوم من أى جهة فاجتهد مسينه فى تكرار الهجوم على هذه الحذاآت لكنه بنصدق فى كل مرة منها وأخيرا اتخذ له موقعا فى سنطريم وقضى فيه فصل الشتاء وفى فصل ربيع سنة ١٨١١ لما وجد أن لا طاقة له على اجراء طريقة يكبس بها على حذاآت ولنغطون وقلت المؤن والذخائر من معسكره ورأى أن عساكره

تحملت أشد العنا فشرع فى الرجعة الى اسبانيا فسار خلفه ولنغطون فى الحال على مقربة منه الا أن القائد الفرنساوى دبر حركة رجعته مع النباهة حتى ان خصمه ما وجد أدنى فائدة ينالها منه وفى هذا الوقت حاصر الجيش الانكليزى مدينة الماائدة وفرقة أخرى تحت قيادة المارشال برسفورد حاصرت مدينة بدجوز فزحف المارشال مسينه على أمل انه يخلص مدينة الماائدة من سيوداد رودريغو وهجم على الانكليز فى (فينطيس دوعنور) فى ٥ مايو فانهزم مع خسارة ٣٠٠٠ نفس من بعد واقعة دموية من أكبر الوقائع التى وقعت فى حروب الجبيث جزيرة وتقهقر عابرا الحد الاسبانى حتى وصل مدينة سلنقه وفى هذه المدينة سلم قيادته الى المارشال مارمونط دوق راغوزه

وفى هذا الوقت سار المارشال سولط دوق دلماطيه من سفيل لخلاص بدجوز وهجم على جيش المارشال برسفورد فى ألبويرة فى ١٦ مايه فكان الانكليز هم الظافرين الا أن نصرتهم تكلفت عليهم ٧٠٠٠ نفس وكانت خسارة الفرنساوية ٨٠٠٠ نفس ثم ان الاخبار وردت الى ولنغطون بان قوة فخمة سارت من سلنقه لانضمامها مع المارشال سولط فأمر برسفورد برفع الحصار عن بدجوز فى ١٨ يونيه ويتقهقر نحو البرتغال ومن بعد هذا ما وقع شئ مهم فى هذه السنة وافتتحت سنة ١٨١٢ بتغلب لورد ولنغطون على جهة (سيوداد رودريغو) فى ١٩ يناير وفى ٦ ابريل تغلب على بدجوزه بالهجوم وفى هذا الوقت زحف الانكليز فى داخل اسبانيا وفى ٢٢ يوليه سنة ١٨١٢ هزموا الجيش الفرنساوى تحت قيادة المارشال مارمونط فى واقعة كبيرة فى سلنقه وأوقعوا فيه خسارة مقدارها ٨٠٠٠ ما بين قتيل وجريح و ٧٠٠٠ أسير ثم ان ولنغطون تتبع نصرته وتقدم نحو مادريد واحتلها ثم تقدم الى الجهة الشمالية ووضع الحصار على مدينة بورغوس الا أنه لما رأى أن الفرنساوية تجمعوا المحاربته من جهات الجبيث جزيرة رفع الحصار فى ٢١ اكتوبر وتقهقر الى سيوداد رودريغو وسار المارشال سولط وراءه فى جيش مؤلف من ٨٠٠٠٠ نفس الا أنه لم ينل منه شيأ لكثرة عدد عساكره ولما وصل ولنغطون سيوداد رودريغو مع جيشه توجه فى جهات قضا فصل الشتا وعاد الملك يوسف الى مادريد الا أن سلطنته فى الجهات الجنوبية من العاصمة انتهى أمرها ثم انه من عهد واقعة وغرام فى سنة ١٨٠٩ كانت العلاقات بين فرانسا وروسيا آخذة فى الخمود كل سنة وفى نحو غلاق سنة ١٨١١ اشتبك الدولتان فى اختلافات سياسية الا أنها كانت خفيفة وما أظهرا لبعضهما عداوة حتى ان روسيا حصل عندها الضجر وذلك أن المنشور البرلينى كان أضعف تجارتها وكان ترتيب دوقية ورساو مخلا براحة سكانها وكان ضبط نابليون دوقية أولدنبرغ ضربة فى وجه القيصر ومداومة احتلال القلاع البروسيانية وتجمع الجيوش الفرنساوية بين نهر الاودر ونهر الويستول منبع القلاقل لها فمن ثم استعد القيصر للحرب لما رأى أنه لا بد من وقوعها الا أنه ما أسرع فى اجرائه وفى أثناء هذه المدة جلبت اسوج على نفسها عداوة نابليون بعدم تنفيذها الامر البرلينى ووقع القبض على السفن الاسوجية الموجودة فى المين الجرمانية وأرسل ملاحوها فى الاغلال الى مدينة انطورب وفى ٢٧ يناير سنة ١٨١٢ دخل قول مؤلف من ٢٠٠٠٠ نفس فرنساوى تحت قيادة المارشال دافوسط من دون اعلان حرب فى بوميرانية الاسوجية واحتلها على حين غفلة وحبسوا الحكام الاسوجيين فى همبورغ وعينوا بدلا منهم حكاما فرنساوية فاستغاث برنادوطى مدبر الحكومة الاسوجية فى مدة مرض ملك بروسيا من أجل مساعدته فلبى القيصر

طلبه وأمر جيشه فى الحال بالحركة وفى الحرب الذى هاج كانت أوستريا وبروسيا معاضدة فرانسا وروسيا وبريطانيا الكبرى واسويج فى اتحادعليهم وفى ٩ مايه ترك نابليون باريس وتقلد زمام جيشه وكان على شرف السير الى الويستول فأقام نابليون فى تريسته عدة أسابيع فالتحق به امبراطور أوستريا وملك بروسيا والجم الغفير من برنسات جرمانيا الذين خولهم النعم الجليلة ثم ابتدأ فى تقدمه ولما وصل الحدود الروسية أعلن حربا على القيصر وكان جيش نابليون مؤلفا فى هذا الوقت من ٤٥٠,٠٠٠ مقاتل و ١٢٠٠ فوهة نارية طوبجية فعبر نهر نيمين فى خمس قولات وفى ٢٨ يونيه وصل نابليون مدينة ويلنه عاصمة لوطيانيه فأقام فيها سبعة عشر يوما من أجل ترتيب حالات جيشه المهول ثم تعطلت حركات جيشه بما وقع من العواصف المهولة التى حصلت فى لوطيانيه وتقهقر الروسيون مع السرعة مدمرين أصناف المؤنات الممكن وصولها اليد الفرنساوية وكان فشا فيهم من قبل قلة المؤنة وسار نابليون كابسا فى حركته وجمع جيشه من أجل اجراء هجوم على مدينة (سمولنسكو) فهجم عليها عنوة فى ١٧ اغسطس فخاب فى تغلبه على الاستحكامات الروسية وخسر فى هذا الهجوم ١٢,٠٠٠ نفس وفى هذه الليلة أضرم الروسيون النار على المدينة وتركوها وباجراء الروسيين مثل هذه الحركات حرقوا مدائن دوروغوبورغ وفيازينه وغاطسك وتركوها وما اكتسب الفرنساوية الا الاطلال الرمادية من هذه المدائن الا أنهم ساروا كابسين كل يوم مع الشدة لاجل اقترابهم بسرعة من موسكو وسنت بطرسبورغ ثم ان القيصر غير فى هذا الوقت رأيه فى المدافعة وعهد زمام قيادة جيشه للعسكرى الشجاع كوتوسوف وأمره باجراء واقعة عمومية فأخذ كوتوسوف موقعا له فى مواجهة نهر موسكوفه واحتل قلب الجيش قرية بوروديو وحفظ موقعه بقلاع البالنقات والبطريات حتى جعله فى غاية الحصانة وفى ٥ سبتمبر وصل الجيش الفرنساوى الى مواجهة الموقع الروسى وفى ٧ منه هجم عليه بالقوة وتغلب عليه من بعد وقائع مهولة كان لها وقع كبير فى التسجيلات السنوية للحروب وكانت الخسائر كثيرة فى كل من الطرفين فأما خسائر الفرنساوية فكانت عبارة عن ١٢,٠٠٠ قتيل و ٣٠,٠٠٠ مجروح وأما خسائر الروسيين فكانت ١٥,٠٠٠ قتيل و ٣٠,٠٠٠ مجروح و ٢٠٠٠ أسير وكان نجاح الفرنساوية ناشئا من تغلبهم على المتاريس وتقهقر الروسيون مع الانتظام من دون أن تفقد من قلوبهم مواد الحماسة ورجع كوتوسوف على موسكو الا أنه بدل أن يسعى فى حمايتها أمر أهاليها بالخروج منها ونقل منها كل ما خف حمله وغلا ثمنه واعتقد الروسيون أن احتلال الفرنساويه فى عاصمتهم القديمة دلالة على دمارهم وخرج الجيش الروسى من موسكو فى ١٤ سبتمبر تابعا له الجزء الاعظم من الاهالى وتقهقر نحو كولومنه وزحف الجيش الفرنساوى من بعد واقعة بوروديو على أمل أنه يجد لنفسه محلا فى موسكو يقضى فيه فصل الشتاء فدخل هذه المدينة فى ١٤ و ١٥ سبتمبر واستغرب من كونه وجدها خرابا بالقفار فجعل نابليون دائرة معسكره فى قرملين السراية القديمة للقيصر وفى أثناء الليل سمع الفرنساوية الصراخ ووصلت اليهم الاخبار بان المدينة أضرمت فيها النيران فاطفأ الفرنساوية لهب النار بغاية الصعوبة وفى الليلة الثانية هبت النار أيضا وفى هذه المرة اشتد اشتعالها حتى صار لا طاقة على اخمادها واستمرت المدينة مدة خمسة أيام عرضة للهب النيران حتى هدم منها نحو من ٧٠٠٠ بيت وكانت النار من أعظم الاشغال عند الروسيين فى دمار عاصمتهم القديمة وما سعوا أن تكون مأوى للعساكر الفرنساوية فى مدة فصل الشتاء فغضب نابليون من حصول هذه المصيبة وكان فصل الشتاء دخل ولا طاقة لجيشه على

البرد فى اقليم شديد البرد مثل هذا من دون أن يكون فى محلات تأويه ولزمه فى هذا الوقت اما الصلح أو الرجعة فى الحال فسعى نابليون فى المخابرة مع القيصر الا أن اسكندر رفض قبول معاهدته مادام العساكر الفرنساوية موجودة فى الاراضى الروسية ومابقى على نابليون شئ سوى أنه ينكص على أعقابه راجعا نحو الحدود الروسى وفى ١٩ اكتوبر انجلى الجيش الفرنساوى عن موسكو وبأمر من نابليون هدم دمدا ره سراية قرملين من قبل انسحابهم من المدينة وفى ٦ نوفبر سقط ثلج مهول معلن ومبشر بقدوم فصل الشتاء المهول الروسى مبادرا زيادة عن العادة وبواسطة حلول الثلج فى أثناء القهقرة تحملت العساكر الفرنساوية أشد العناء وهلك منهم مئات فى آكام القار وفى أثناء الليل وهم يتساطون بحفر النيران وصارت الطرق عسرة السلوك من كثرة وجود القار بها واقتفت عساكر القوزاق سكك مرور الفرنساوية واجتهدوا فى اهلاك كل من وجدوه متأخرا فى سيره عن الجيش الاصلى وفى ليلة من الليالى صقعت ألوف من العساكر والخيول حتى أشرفوا على الموت وعندما وصل الجيش الفرنساوى الى مدينة سمولنسكو فى ١٢ نوفبر كان الفاقد من الجيش ٣٠٠٠٠ نفس من البرد والجوع وصار معظم عساكر الخيالة لاخيول لها وتركوا فى السكك نحو من ٣٠٠ فوهة نارية لعدم وجود خيل تجرها وفى مدينة سمولنسكو قسم نابليون جيشه أربع فولات وأسرع فى حركته منها من دون بطء وكانت السكك زلقة من الثلج حتى صارت صعبة المرور جدا واشتدت برودة الطقس وفى ١٧ منه وجد الفرنساوية طريقهم مغلقا بقوة مؤلفة من ٦٠٠٠٠ من الروسيين تحت قيادة كوتوسوف فى كراسنو فأما نابليون فانه أجهد نفسه حتى خلص جيشه من الدمار الذى وقع فيه وكان المارشال نى قائد القرة قول الخلفى ماظهر له أثر فتولد من غيابه الاسف المزعج عند نابليون وكان اعتقد أن القوى الضخمة الروسية تغلبت عليه وأما نى فانه تغلب على المصاعب التى لاقته أمامه والتحم مع الروسيين فى واقعة مهولة فى لوسمينه وعبر نهر الدانيبر على الثلج من أجل المراوغة فى عدم اقتفاء أثره والتحق بنابليون فى أورنطه ومابقى معه الا ١٥٠٠ نفس من جيشه المفتخر وفى هذا الوقت بذل الروسيون جهدهم فى منع الفرنساوية من عبورهم نهر بريسينه وفى هذا الوقت تقوى نابليون بما ورد اليه من الامداد على التوالى وهى فرقتا المارشال فيكطور وأودينوط ونجح فى كونه وضع قنطرتين من المراكب على نهر بريسينه وعدى قسما عظيما من عساكره الى الشاطئ المقابل وكانت فرقة فيكطور هى المحافظة على طريق عبور النهر فردت على أعقابها مع الارتباك الزائد مدفوعة فوق القناطر فانكسرت واحدة من هذه القناطر تحت أثقال الطوبجية وأمر فيكطور بفك القنطرة الاخرى وسلط الروسيون نيران مدافعهم على الجموع المتجمعة من الفرنساوية فأهلكوا منهم ألوفا وغرق ألوف فى نهر بريسينه وأسر الروسيون ألوفا فكانت هذه المصيبة المهولة سببا فى تمام ضعف الجيش الفرنساوى ومابقى منه الا نحو ٢٠٠٠٠ نفس فقط

ثم ان الامبراطور ترك قيادة جيشه الى ملك نابولى وسافر مسرعا الى ورساو ومنها الى باريس وكان معه كولينكورط وضابطان فوصل باريس فى ١٨ ديسمبر فوجد العاصمة فى أشد حالة من الهياج بسبب ماوصل لاهلها من أخبار المصائب التى حلت بالجيش وأخبار قتل نابليون نفسه ثم صار توصيل القطع المكسرة من الجيش العظيم بواسطة موراط الى نهر نيمين وعبروا هذا النهر فى ١٣ ديسمبر وانقطع من ورائهم تعقب الروسيين فكانت خسارات الفرنساوية لاتحصى والجيش الفرنساوى الذى كان

مؤلفامن ٤٥٠,٠٠٠ مقاتل ودخل الاراضى الروسية قبل هذا الاوان بستة أشهر مابقى منه الانحو من ١٠,٠٠٠ نفس وقتل منه ١٢٥,٠٠٠ فى الوقائع وهلك ١٣٠,٠٠٠ من البرد والجوع والتعب فى مدة الرجعة وماحصل لجيش من الجيوش من عهد أيام أردشير مثل ماأصاب الجيش الفرنساوى هذا من العناء المهول فى رجعته وكان عموم المملكة الفرنساوية فى أسف شديد الاأن عود الامبراطور الى باريس عده الفرنساوية من أكبر نتائج السعادة ومع ماحصل لنابليون من الخسائر الجسيمة فى الروسيا فان سلطنته على الامة الفرنساوية كانت كبيرة جدا حتى ان كل شئ طلبه منهم من رجال وأموال من أجل مداواة خسائره باستمرار الحرب أجابوه فيه بغاية السرعة وفى افتتاح سنة ١٨١٣ نجح فى كونه أخرج فى ميدان الحرب جيشا مؤلفا من ٣٥٠,٠٠٠ نفس خلاف العساكر الموجودة فى اسبانيا وكانت جرمانيا من مدة مراقبة كاذكرنا سنوح الوقت الموافق لها فى خلع طاعتها من تحت ناف فرانسا وكانت بروسيا جارية فى الاستعداد لهذا الحرب من عهد واقعة جيانه ورأت أنه لا يوجد لها فرصة أحسن من الوقت الذى حلت فيه المصائب على فرانسا فى أثناء رجعة جيشها من الروسيا فعقدت بروسيا المحالفة مع روسيا من أجل اخراج الفرنساوية من جرمانيا وفى ١١ مارث سنة ١٨١٣ دخل الجيش الروسى برلين فقوبل فيها بالتحية وفى ١٦ مارث أعلنت بروسيا بالحرب رسميا على فرانسا فسعت أوستريا فى توسطها فى الصلح بين المتحاربين الاأن نابليون كان متحققا أنها مستعدة للانضمام مع أعدائه فى حالة ماإذا حصل لهم النجاح فترك نابليون باريس فى ١٥ ابريل وأسرع فى التوجه الى ارفورط وتقلد فيها زمام جيشه وزحف على المتحالفين وفى ٢ مايه هزمهم شرهزيمة من بعد واقعة شديدة فى لوطزن وأرغمهم على القهقرة واحتل نابليون تريسته فى الحال وأعاد حليفه ملك صكصونيه لتخته ثم أسرع فى زحفه نحو الروسيين والبروسيين فوجدهم معسكرين فى داخل معسكر محصن بالقرب من بوطزن فوقع بينه وبينهم واقعتان فى هذا المحل فى ٢٠ مايو وفى ٢١ منه طرد المتحالفين من معسكرهم وكانت الخسائر فى الطرفين جسيمة الاأن الجيش المهزوم تقهقر مع غاية الانتظام وما ترك علامة نصر للفرنساوية وفى ٢٢ منه شرع نابليون فى تعقب عدوه وفى أثناء هذا التعقب انجرح المارشال دوروق بجرحا قاتلا وكان فى محبة عظيمة عند الامبراطور فأسف عليه أسفا كبيرا ثم تقهقر المتحالفون الى (شويدنيطز) واستمر الفرنساوية وراءهم الى حدبرسلاو ثم طلب المتحالفون متاركة حربية فرضى نابليون بتوقيف الحرب لمدة ثمانية أسابيع من ابتداء يوم ٤ يونيه الى ٢٨ يوليه من أجل السعى فى حالة صلح وفى أثناء هذه المدة جعل نابليون دائرة معسكره فى تريسته وكان المتحالفون على غير صداقة وجعلوا المدة التى تعينت للمتاركة فى ترتيب اتحاد مؤلف من جميع دول أوروبا على فرانسا وأسرعت أوستريا فى استعداداتها الحربية وأخيرا سلمت قيادة نفسها النابليون وطلبت مكافأة مساعدتها أن تسلمها فرانسا بولنده وهولنده واسبانيا والسويس ونصف ايطاليا وفسخ الاتحاد الرينى وعود البابا الى رومة فرفض الامبراطور نابليون هذه الشروط مع شدة الغضب ومع هذا فانه التأم مجلس صلح فى مدينة براغة على حسب اتفاق حصل فى ٥ يوليه ومخابرات امتدت عدة أسابيع وماحصل من هذا المجلس أدنى نتيجة وفى ١٠ أغسطس صار تجديد الحرب وفى هذا الوقت انضمت أوستريا الى الاتحاد على فرانسا فكان جيش المتحالفين مؤلفا من ٣٧٠,٠٠٠ مقاتل وعهد زمام قيادته الى البرنس الاوستريانى (شوارطز نبرغ) وكان هذا الجيش مصحوبا بامبراطور الروسيا وامبراطور أوستريا

وملك بروسيا وجم غفير من البرنسات الجرمانية وزحف هذا الجيش فى الحال على تريسته وفى ٢٦ أغسطس هجم على الجيش الفرنساوى أمام تريسته وتجددت الواقعة فى ٢٧ منه فانصد المتحالفون وخسروا ٢٥،٠٠٠ نفس وتقهقروا نحو بوهيميه ولما تقوى المتحالفون بجيش روسى مؤلف من ٦٠٠٠٠ نفس تقدموا ثانيا نحو صكصونيه واتخذوا لهم موقعا على الشاطئ الايسر لنهر الالبى وكان مقصدهم الاصلى جمع قوة كبيرة وراء الفرنساوية فى تريسته وقطع خط رجعتهم من فرانسا وفى هذا الوقت تركت باڤاريه محالفتها لفرانسا وانضمت بقواها مع الاتحاد ثم ان نابليون من بعد أن قضى عدة أيام لم يستقر فيها عن أعماله قام بجيشه من تريسته وفى ١٥ أقطوبر وصل مدينة ليبزيغ وكان جيشه مؤلفا من ١٤٠،٠٠٠ مقاتل الا أنه كان قليلا جدا عن عساكر المتحالفين فانهم كانوا فى جيش مؤلف من ٢٣٠،٠٠٠ نفس ولما رأى نابليون أنه لا فائدة فى أشغاله عزم على مجازفته فى كل شئ بحصول واقعة فاصلة وفى ١٦ أقطوبر ابتدأت واقعة ليبزيغ المهولة فكان فيها الفرنساوية فى اليوم الاول فى نجاح زائد وفى الليل عرض نابليون الصلح على المتحالفين وبما أنهم متحققون من قوتهم فى آخر أمرهم والامدادات واردة اليهم فى كل ساعة رفضوا قبول المحالفة معه وفى ١٨ منه صار استجداد الواقعة وانهزم الفرنساوية من كل جهة وفى أثناء الواقعة تركت عساكر صكصونيه وورطمبرغ نابليون وانضموا الى العساكر الاسوجية تحت قيادة برنادوطى وكان عددهم نحو ١٢،٠٠٠ نفس وكانت سلامة الجيش الفرنساوى فى هذا الوقت مقصورة على سرعة الرجعة فحصل الشروع فيها فى فجر يوم ١٩ ونصبت قنطرة واحدة طويلة ضيقة لعبورهم نهر بليسى ونهر السطير والمستنقعات الموجودة بينهما فكانت هى الطريقة الوحيدة فى هرب القوة المكسورة فحصل الزحام الشديد على هذه القنطرة فى وقت العبور ومر القسم الاعظم من الجيش من فوقها مع السلامة الا أنه حصل خطأ فاحش من مهندسى القنطرة بكونهم فكوها من قبل عبور بقية العساكر وانقطع من الجيش عدة فرق التزمت على التسليم للعدو وفى هذه الواقعة المزعجة كانت خسارة الفرنساوية تزيد عن ٧٠،٠٠٠ نفس ورجع الفرنساوية من ليبزيغ الى ارفورط فى غاية الفشل وأقام الامبراطور فيها يومين حتى جمع قوة مؤلفة من ٩٠،٠٠٠ نفس هزم بها الباڤاريين وكانوا تعرضوا له فى نواحى هانو فى ٣ أقطوبر وما زال فى رجعته حتى وصل نهر الرين وعبره من نواحى ميانس فى ٢ نوفمبر ثم ترك نابليون جيشه من أجل محافظة الحدود وأسرع الى باريس فوصلها فى ٩ نوفمبر ومن بعد واقعة ليبزيغ زحف المتحالفون وراء الفرنساوية معقبين لهم وفى ٥ نوفمبر دخل الامبراطور اسكندر صاحب الروسيا فرانكفورط وجعل مقر دائرة معسكره فيها وفى هذا الوقت تفتتت المملكة الكبيرة لنابليون قطعا وذلك أن محافظى الفرنساوية الذين كانوا على نهر الالبى والويستول ونهر أودر سلموا فى الشهور الباقية من السنة وألغى أمر الاتحاد الرينى وسقطت مملكة وسطفاليه وأعيدت هانوفر الى بريطانيا الكبرى وطردت هولنده الحكومة الفرنساوية منها وأعلنت بيت اورنج وأعادت أوستريا أملاكها على البحر الادرياطيقى وأما موراط ملك نابولى وكان ترك نابليون فى ارفورط فانه انضم الى أوستريا على فرانسا بقواه مؤملا أن مملكة نابولى تكون مكفولة له وكانت سنة ١٨١٣ غير موافقة أيضا لجهة فرانسا فى اسبانيا وذلك انه فى يوم ٢١ يونيه هزم ولنغطون الجيش الفرنساوى فى ڤيطوريا مع خسارة مقدارها ١٠،٠٠٠ نفس و١٥٠ فوهة نارية وفى خمسة عشر يوما صار ولنغطون سيد الثغر الاسبانى بجميعه فأرسل الجنرال سولط مرة ثانية من أجل مقاومته

فهزمه ولنغطون فى عدة ملحمات وأرغمه على القهقرة الى فرانسا واحتل العساكر الانكليزية سنت سباسطيان بطريق الهجوم فى ٣١ أغسطس وفى ٧ اقطوبر عبر الجيش الانكليزى نهر بداسوا وفى مدة قليلة وطدوا لانفسهم قدما ثابتا فى الاراضى الفرنساوية وبمجرد عودة نابليون الى باريس أعرض مع الشهامة لمجلس الاعيان الحالة الراهنة وطلب من المجلس جمع عساكر جديدة مؤلفة من ٣٠٠,٠٠٠ نفس فرخص المجلس باجابة طلبه وأضيفت ضرائب جديدة على الاحمال الثقيلة الواقعة على ظهر المملكة من قبل لمصروف الحروب المستقبلة فما قبل مجلس النواب هذا الامر فصدر أمر الامبراطور بالغائه واجتهد نابليون فما أمكنه أن يجمع الاقوة مؤلفة من ١١٠,٠٠٠ نفس سوى العساكر الموجودة أمام ولنغطون وما اكتفى المتحالفون بعودهم جرمانيا بل عزموا على الاغارة على فرانسا وطرد نابليون عن تختها فعبر الجيش الاوستريانى تحت قيادة شوارطزنبرغ نهر الرين من جهة باسل غير مراع حقوق حيادة السويس فى ٢١ ديسمبر وزحف بطريقة سهلة الى لنغريس فسلمت فى ١٦ ينايرسنة ١٨١٤ وعبر الجيش البروسى نهر الرين من بين ميانسه وكوبلنطز وزحف نحو مدينة نانسى واحتلها ودخل جيش ثالث روسى وبروسى فى فرانسا من طريق كلونيه وليبغ ونامور وزحف نحو سواسون وفى آخر ينايرسنة ١٨١٤ امتحد هؤلاء المتحالفين من لنغريس الى نامور وضبطوه بقوة مؤلفة من ٢٠٠,٠٠٠ نفس ولما تمم الامبراطور نابليون استعداداته للحرب طلب قائد الخفر الملى فى باريس والضباط المشهورة فى سراية التوارى فى ٢٣ ينايرسنة ١٨١٤ وعهد اليهم المحافظة على الامبراطورة وابنه الطفل الصغير ملك رومة وأسرع من باريس فى ٢٥ يناير وتوجه الى شالون على نهر المارن وفيها تقلد رياسة جيشه فما أظهر نابليون فى الحروب التى وقعت له قبل هذا الحرب براعة عجيبة ولا حركة سريعة ولا مداومة على اجراء حركات مثل ما أظهره من اجتهاده الاخير هذا فانه فى بضع أسابيع صدم مع شرذمة من عساكر جموع المتحالفين وهزمهم المرة بعد المرة هزمات شديدة والتقى الامبراطور فى أول مقابلته بجيش بلوخير فى برين فهزمه بلوخير فيها فما فزع نابليون من هذه الهزيمة وكرر الهجوم على القائد البروسيانى حتى طرده أخيرا نحو جيش فن بولو وكان هذا الجيش تقدم من جهة الرين ثم أدار الامبراطور حركته فى الحال نحو شوارطزنبرغ وهزمه هزيمة حادة فى نواحى مونطيرو وعرض على الاوستريانيين مادة الصلح ثم زحف بلوخير مرة ثانية ووقعت بينه وبين الفرنساوية واقعة كان هو المنصور فيها وترك الامبراطور مارموط وموراطير من أجل صد سير البروسيانيين نحو باريس وزحف هو على الاوستريانيين وهجم على شوارطزنبرغ فى أرسيس على نهر أوب فى ٢٠ مارث وحصل بينهما واقعة من أكبر الوقائع الا أنها كانت غير فاصلة ومن المعلوم أنه كان يستحيل المداومة على حرب غير متعادل مثل هذا لان كثرة عساكر المتحالفين كان محققا من أعمالها أنها تنصرهم وكان نابليون على علم من ذلك ثم انه من بعد واقعة أرسيس على نهر أوب عزم على حركة يمكن أن يغفر له بها فى هذا الموقع الذى هو فيه المحاط بالمصاعب فترك خط الاوب وحرك جيشه بسرعة وراء الاوستريانيين وهددهم بقطع خط رجعتهم من نهر الرين وأنه عازم على اجراء الحرب فى جرمانيا ففشا أمره وقصده للمتحالفين بمكتوب قطع عزمه وصدحركته فتردد المتحالفون مدة من الزمن وأخيرا وقع الاتفاق بعد المداولة فى عدة مجالس عقدوها بينهم على انتهاز الفرصة فى التوجه الى باريس وباستحواذهم عليها ينغلق الحرب فمن ثم تركوا قوة مؤلفة من ١٠,٠٠٠ نفس تحت قيادة القائد (ونظنغيرود) من أجل اشغال بال

نابليون

نابليون وانضمت القولات الاوستريانية والبروسيانية مع بعضهم وزحفت على باريس ووقع نابليون فى الابتداء فى غش المتحالفين الا أنه فى ٢٧ علم بسيرهم وكان فى هذا الوقت فى سنت دزيير فسار بحركة سريعة الى طريوه ووصلها فى ليلة ٢٩ وما كان على درايه من شئ الاعلمه بكون المتحالفين زاحفين عليه من مدة ثلاثة أيام وكان على أمل أن القوة الموجودة تحت قيادة المارشالين مارموط وموردطيير ومساعدة الخفر الملى فى باريس كافية لحماية العاصمة حتى يصل هو لخلاصها فكان ما أمله فى خسران لان مارموط ما كان تحت قيادته الا نحو ٨,٠٠٠ عسكرى من عساكر الحذاء وكان الخفر الملى مؤلفا من ٣٠,٠٠٠ نفس من أجل المدافعة عن باريس وفى ٢٩ مارث تركت الامبراطورة مريم لويزة باريس معضوبة بضباط كبار من الحكومة وسارت فى طريق بلواز وفى ٣٠ منه وصل المتحالفون أمام باريس وهجموا على خط المدافعة فانحطمت من كثرة عددهم شجاعة الفرنساوية ولما وصل بلوخير بعد الظهر فى جيش جديد مؤلف من ١٠٠,٠٠٠ مقاتل انقطع أمل العساكر المدافعين عن باريس وأهلها فلاجل خلاص باريس من هجوم يعمل عليها عنوة اتفق مارمونط والملك يوسف على عمل متاركة ورضيا بتسليم المدينة للمتحالفين فى اليوم الثانى وأن يرخص لعساكر الحذاء الفرنساوية بخروجهم من المدينة باسلحتهم ويتقهقروا نحو نهر لالوار وفى صباح ٣١ مارث خرج العساكر الفرنساوية من باريس ودخلت القوى المتحالفة تحت قيادة امبراطور روسيا وملك بروسيا فى المدينة واحتلوها بقوة مؤلفة من ٢٣٠,٠٠٠ مقاتل وقابل أهل باريس الملكين مع الحمية ومن بعد أن عقد الملكان المتحالفان مجلسا مع كبراء الحكومة الفرنساوية أصدرا من عندهما منشورا بانه لا يمكنهما عقد محالفة مع نابليون بونابارتو ولا مع أى واحد من عائلته وفى اليوم الثانى أصدر مجلس الاعيان أمرا رسميا معلنا بخلع الامبراطور من تخته

وفى أثناء ذلك أسرع نابليون قبل جيشه وسار حتى وصل فونتينبلو فى آخر ساعة من ليلة ٣٠ مارث وفيها تحقق له تسليم مدينة باريس ولما أحس بفقد ما كان فى يديه تنازل عن تخته لابنه فرفض المتحالفون هذا التنازل لما يعلمون من أن الامبراطور تحت رحمتهم ولما وجد الامبراطور أن مقاومته انتهى أمرها التزم على أن يوقع على تنازل لا شرط تحته وفى ١١ ابريل حصل التوقيع على معاهدة فونتينبلو بين نابليون والدول المتحالفة وتنازل نابليون عن نفسه وعن وارثيه وذريته عن حقوقهم فى تاج فرانسا وايطاليا وفى نظير هذا التنازل أبقى له لقب امبراطور مدة حياته وأعطيت له حكومة جزيرة البه ورواتب سنوى قدره مليونان من الفرنكات وفى مدة أخذ هذه الحوادث فى التقدم الى الجهة الشمالية من فرانسا انتهى الحرب بين ولنغطون وسولط فى الجهة الجنوبية منها وذلك أنه فى ٢٧ فبراير سنة ١٨١٤ هزم ولنغطون المارشال سولط فى عرطيط مرة وأخرى فى ١٠ ابريل فى طولوز ودخل الجيش الانكليزى الاسبانى مدينة طولوز متوجا بالظفر ونشرت حكومة المدينة فى الحال الاعلام البيض البوربونية وأعلنت بملوكية لويز الثامن عشر وفى ١٨ ابريل لما وصلت أخبار تنازل نابليون عن تخت فرانسا الى المارشال سولط ولورد ولنغطون عقدا مجلسا مع بعضهما ووقعا على انتهاء الحرب فانتهى أمره وفى ٢٠ ابريل عندما استحصل نابليون على رخصة فى بقاء خفره القديم معه ترك فونتينبلو ونزل من مينة فريجوس فى فرقاطة انكليزية وسافر حتى نزل فى مينة فراجو فى ٤ مايو واستحوذ على جزيرة البه الصغيرة ومن بعد هذا سلك المتحالفون مسلك

سلطنة لويز الثامن عشر

فصل حكومة فرانسا حسبما يشاؤن وذلك أن امبراطور الروسيا صمم بكرم منه على قانون حر يوطد للامة الفرنساوية حريتها ومن ثم جرى العمل على حسب ما قال وحصل الفصل بعود المملكة البوربونية الفرنساوية ومن بعد أن وقع لويز الثامن عشر على القانون الجديد ترخص له بدخوله مدخله العام فى باريس فى ٣ مايو سنة ١٨١٤ بعد الميلاد فقابله الحزب الملوكى بأجل الاحتفالات الا أن أهل باريس قابلوه ببرودة أرّخ الملك الجديد مبادى أعماله من ابتداء السنة التاسعة عشرة من سلطنته وصرف النظر عن مدة وجود الجمهورية والمملكة الامبراطورية وفى ٣٠ مايو عقدت معاهدة بين لويز والمتحالفين استلمت بواسطتها فرانسا حدودها أراضيها على ما كانت عليه فى سنة ١٧٩٢ مع اضافات خفيفة وأعادت مستعمراتها أملاكها ما عدا جزائر طوباغو وسنتلويز وموريشس ومنعت من تشييدها أى نوع من الاستحكامات فى جهة مستعمراتها فى الهند الشرقى وتنازلت عن مالطه وملحقاتها الى انكلتره تنازلا كليا وانضمت هولنده وبلجيقا فى مملكة واحدة تحت سلطنة بيت أورنجه وانسحب جيوش المتحالفين من فرانسا من بعد انتهاء هذه المعاهدة وتركوا لويز الثامن عشر يباشر أعمال مملكته وفى ٤ يونيه صار افتتاح المجالس بمعرفة الملك ونشر قانونا جديدا يختلف فى عدة مواد عن القانون الذى عهد نفسه على اجرائه قبل دخوله باريس وأعلن بأن حق سلطة الحكومة مقصور على شخصه ثم انه من بعد تغيير هيئة الوقت وحالته وتشبه فى نفسه بعدة من أسلافه عزم على عدة تغييرات فى القانون الاساسى للمملكة وانه بالنظر لكونه ملكا حرا يمنح رعيته ما يشاء وان مجلس أعيان فرانسا يكون هو المؤلف للمجلس العالى لنواب الامة ويجرى تعيين أعضائه بواسطة الملك اما مدة حياتهم أو وراثة فى عائلاتهم وما كان عدد الاعضاء تحت حد محدود وانه لا يمكن انتخاب أحد الى مجلس النواب ما لم يكن عمره أربعين سنة فما فوقها وأن تكون قيمة الضرائب المقررة عليه سنويا ١٠٠٠ فرنك وأن يكون حق الانتخاب محصورا فى أشخاص عمر الواحد منهم ثلاثون سنة فما فوقها ويدفع ضريبة سنويا قيمتها ٣٠٠ فرنك وللملك الشوكة الوحيدة فى تشريع القوانين وللمجالس أن تطلب منه سن قانون على حسب ضرورة الاعمال فان لم يقبل طلبهم فلا يمكنهم اعادة هذا الطلب الا فى الجلسة الثانية من السنة الآتية واعلان الدين الكاثوليكى بأنه دين المملكة وسمح لكافة المذاهب الدينية بالترخيص والاباحة فكان هذا قانونا صعبا فى فرانسا الا أن الامبراطور اسكندر عهد على نفسه توطيد هذا القانون واستمر قانونا أساسيا لفرانسا الى مدة قليلة من الزمن

وفى أثناء هذه المدة انعقد مجلس فى فيانه مؤلف من ملوك ومرخصى الدول المتعاهدة وقد ذكرنا حوادث ونتائج هذا المجلس فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة ثم انقطعت مجادلات هذا المجلس بغتة عندما وردت اليه أخبار هرب نابليون من جزيرة البه ونزوله فى فرانسا الجنوبية فاتحدت الدول الاوروباوية فى فيانه ضد نابليون وأعلنت بخروجه عن القانون الشرعى واتفقوا على دوام الحرب الى أن يجعلوه فى حالة لا يمكنه فيها ارتباك سلم أوروبا مرة أخرى ورتبوا ثلاثة جيوش ضخمة الاول كان مؤلفا من العساكر الاوستريانية تحت قيادة القائد شوارطزنبرغ والثانى مؤلف من الانكليز والباڤاريانيين والبلجيقيين والبروسيين تحت قيادة دوق ولنغطون والثالث مؤلف من ٢٠٠٠٠٠ مقاتل من الروسيين تحت قيادة الامبراطور اسكندر وكان حصل الخطأ الاكبر من المتحالفين فى نفيهم الامبراطور نابليون فى جزيرة البه لانهم صيروه قريبا جدا الفرانسا حتى أمكنه المخابرة

بسهولة

بسهولة مع أحبائه فى فرانسا ومازال الجيش فى خضوع له وكان الملك البوربونى فى كراهة شديدة عند غالب الامة الفرنساوية وعند اتجلاء المتحالفين من فرانسا تراآى لنابليون أنه بحركة جسورية يتمكن من جمع الجيش لمساعدته ويكون له طاقة على عود تخته الذى ضاع منه فلما وطدأ عماله مع أصدقائه فى فرانسا ترك جزيرة البه فى ٢٦ فبرايرسنة ١٨١٥ ونزل فى غرة مارث بالقرب من مدينة كانيس فأما عساكر الفرقة الاولى التى أرسلت من أجل مقاومته فانها بمجرد نظرها اليه كسرت صفوفها وازدحموا حوله مع الحماسة ثم ان المارشال نى طلب أن يأتى بنابليون أسيرا الى باريس فصار ارساله فى رأس جيش فلما نظر المارشال وعسكره الى نابليون نجاوا منه وغلبهم بطلعته فانضموا جميعا اليه فكان ذلك سببا فى قطع آمال لويز الثامن عشر فهرب مع ديوانه الى غنط و بقى فيها الى آخر السقوط النهائى للامبراطور وفى أثناء ذلك زحف نابليون مع العجلة من طريق ليون وعوكسير وأخذت قواه فى الزيادة يوما فيوما وفى ٢٠ مارث دخل باريس متوجا بتاج الظفر محفورا بالعساكر الى سراية التولرى فى وسط فرح الاهالى وتم هذا النجاح من دون أن يطلق فيه عيار نارى أو تسفك فيه أدنى قطرة دم من دماء الفرنساوية ولما ظهر الميل الاولى والحمية لنابليون ورأى انه من الواجب عليه امتحان جودة موقعه وجد نفسه ملزما على أنه يفقد دماء كثيرة فى ارتباط علاقاته مع حزب الاحرار بما انه اتضح له جليا انه لايمكنه أن يتسلطن فى المستقبل بصفة ملك شرعى كما ترغب الامة فأعلن فى ٢١ ابريل بطريقة ملوكية جديدة فى اختلاف بين عما كان عليه لويز الثامن عشر فى أشغاله فى السلطنة ومع هذا فانه مهما كان عليه نابليون من ربط علاقات الامة لنفسه فانه كان على يقظة من أن تأييد سلطنته متوقف على اجراء حربه مع دول أوروبا المتحدة عليه فبذل جهده ليلا ونهارا فى ترتيب جيشه وفى أول يونيه جمع قوة مطلقة مؤلفة من ٢١٧,٠٠٠ مقاتل من عساكر الحذاء القوية و ١٥٠,٠٠٠ من الخفر الملى وقال انه لوصار له طاقة على توقيف مبادى الحروب لمدة ثلاثة أشهر بتمامها لأمكنه جمع جيش مؤلف من ٨٠٠,٠٠٠ نفس من أجل المدافعة عن فرانسا وسور من نحاس لايمكن لقوة أرضية كسره ولا خرقه وكانت الجيوش الانكليزية والبروسيانية تحت قيادة ولنغطون وبلوخير مهددة لحد فرانسا من جهة بلجيقا فعزم الامبراطور فى الوقت على الهجوم على تلك الجيوش واجتهد فى حطمها من قبل دخول الجيوش الاوستريانية والروسية فى فرانسا وفى ١٤ يونيه عبر الجيش الفرنساوى الحد البلجيقى وكان مؤلفا من ١١٥,٠٠٠ مقاتل تحت قيادة نابليون نفسه وكان من عزم الامبراطور أن يهجم على البروسيانيين وكانوا مشكلين الحذاء الايسر للمتحالفين ويقف المارشال نى فى مواجهة لوردولنغطون مع ٤٥,٠٠٠ مقاتل و يصده من انضمامه مع بلوخير وعند ماوقع الهزيمة على البروسيانيين يمكنه أن يمد نى ويحطم الانكليز فأفشى الجنرال بورمونط سر هذا الرأى الى بلوخير وكان هذا الجنرال هرب الى البروسيانيين مع أركان حربه فى ليلة ١٤ وفى يوم ١٥ هجم الامبراطور على البروسيانيين مع ٨٠,٠٠٠ مقاتل وهو أصل الجيش فى ليغنى وأمر نى بتغلبه على الاربعة مفارق ثم يهجم على ساقة الجيش البروسى وابتدأت واقعة ليغنى فى الساعة ٤ بعد الظهر واستمرت الى الساعة الاخيرة من الليل حتى طرد نابليون البروسيانيين من موقعهم مع خسارة ١٥,٠٠٠ نفس وكانت خسارة الفرنساوية ١٠,٠٠٠ نفس وفى أثناء ذلك احتلت طليعة جيش ولنغطون الاربعة مفارق وفى يوم ١٦ هجم نى بعد الظهر على الانكليز فصدوا

هجومه مع خسارة مقدارها ٤٠٠٠ نفس فكانت هذه الهزيمة سببا فى قطع أمل نابليون من وضع جيشه بين الانكليز والبروسيانيين وضرب كل منهما على حدته ثم تقهقر بلوخير نحو وافر وأما ولنغطون فانه لاجل المداومة على مواصلاته مع بلوخير التزم على الرجوع من الاربعة مفارق واحتل موقعا كان انتخبه من الاصل بالقرب من قريه واطرلو وبواسطة هذا الموقع استردّ برو كسيله وأبقى مواصلاته مع بلوخير من دون اختلال فيها وفى ١٨ يونيه هجم نابليون على الجيش الانكليزى فى واطرلو فما ظهر من عساكره أعظم وقعا وأكبر فخرا فى الحروب مثل ما ظهر منهم فى هذا اليوم النحس وضبط الانكليز مواقعهم وحفظوها وأصروا اصرارا شديدا على المدافعة حتى أضعفوا كل اجتهاد حصل من الفرنساوية وفى آخر اليوم وردت العساكر البروسيانية تحت قيادة بلوخير فى ميدان الحرب وكانت انفصلت نتيجة الواقعة قبل حضورهم وأجرى نابليون اجتهاده الاخير فى الساعة السابعة من الغروب وانساق الغارديه الامبراطورية على قلب الانكليز فطردهم غارديه الانكليز على أعقابهم مع الفشل وانتهز ولنغطون الفرصة فى أثناء هذه النصرة وزحف بجيشه وطرد الجناح الفرنساوى أمامه فى غاية من الفشل ولما رأى الامبراطور ما حل من هذه المصائب قال خسرنا كل شئ ودق رحصانه فى شمال الميدان وأخذ فى سرعة الهرب فأسرع البروسيانيون عقبه وداموا على الجرى خلفه بغضب وحشى الا أنه ما صار لهم طاقة على أسره وكانت خسارة الفرنساوية فى واقعة واطرلو ٣٧,٠٠٠ نفس قتلى وجرحى وأسرى وترك نابليون للمارشال سولط شغل جمع جيشه من شتاته وأسرع هو الى باريس فوصلها فى صباح يوم ٢١ ولما عرض فى باريس أخبار المصيبة التى حصلت فى واطرلو ارتبكت العاصمة وأخذ الاسف فيها حده وتنازل الامبراطور مرة ثانية عن تخته وأعلن ابنه خليفته بلقب نابليون الثانى ثم ان المجلس من دون أن يقرر أمر السمو الامبراطورى الى نابليون الثانى أرسل مبعوثين لعقد معاهدة الصلح مع المتحالفين فرفض المتحالفون الدخول فى أى مخابرة فى هذا الامر ما لم يصر تسليم بونابارته اليهم كفالة على عدم حصول أدنى ارتباك منه مخل بسلم أوروبا وزحفت الجيوش المنصورة بسرعة وفى يوم ٦ يوليه دخلت باريس مرة ثانية وتقلد لويز الثامن عشر زمام سلطنة تخته وفى أثناء ذلك هرب نابليون الى ساحل البحر عازما على الهجرة الى الاقاليم المتحدة بامريقه ولما وجد أنه يستحيل عليه مراوغة تيقظ الدوارع الانكليزية صمم على أنه يرمى نفسه على كرم الامة الانكليزية وفى ١٤ يوليه سفر الجنرال غورغود بمكتوب الى البرنس النائب (فيما بعد جورج الرابع) يذكر له فيه انتهاء أجل سياسته وانه جا مثل (ثمستوكل) راميا بنفسه على كرم الامة الانكليزية وتحت حماية قوانينها وفى يوم ١٥ نزل من روشفورط مع جماعته فى دارعة حربية من مدرعات الدرجة الاولى الانكليزية اسمها بلروفون وسافر الى انكلتره فوصل طوربای فى ٢٤ منه فرأى نابليون فى نفسه أنه استغاث بواحد من البرنسات لا علاقة لنفسه مروأة ولا انسانية حتى ما حصل له الترخيص بالنزول من الدارعة الى البر ووجد أن أعداءه على حنق شديد فى القبض عليه وما حصل عندهم أدنى احتراز من فضيحة تقع فى حقهم من هذه المعاملة ومن بعد أن مكث فى الدارعة عدة أسابيع صار نقله الى الدارعة المسماة نورثمبرلند رياسة جورج كوكبورن وأرسل الى جزيرة سنت هيلانه فوصلها فى ١٦ اكتوبر وكان معه جماعة قليلة من أصدقائه داوموا على صداقته حتى انقضى أجله وفى أثناء ذلك دخل لويز الثامن عشر مدخلها الثانى فى باريس فى ٨ يوليه وفى اليوم الثانى من بعد احتلال المدينة بالمتحالفين قابله أهل باريس

تعلامات

بعلامات ظاهرة البرود وعدم الالتفات وعامل المتحالفون باريس بصفة مدينة فتحوها ومنع بلوخير من هدمه عقد جيانه وعمود فندوم مع الشدة وأعيدت الاشغال الصناعية التى كان أخذها نابليون من الامم المختلفة من أوروبا الى أربابها الاصلية واحتل جيوش المتحالفين فى جهات مختلفة من المملكة وشغلوا جميع الاراضى الفرنساوية تقريبا وطردوا من خدمة المملكة كل من تقلد وظيفة فى مدة المائة يوم التى انحصرت بين عود نابليون من جزيرة البه وواقعة واطرلو والله أعلم

(الباب العاشر)

(من واقعة واطرلو الى الوقت الحالى)

المعاهدة الثانية لباريس ــ مقتل المارشال نى ــ معاهدة فيانه ــ الاتحاد المقدس ــ الغاء المجلس ــ مقتل دوق برى ــ ولادة دوق بوردو ــ موت نابليون ــ الثورة فى اسبانيا وفى نابولى ــ عود الحكم البوربونى فى اسبانيا بجيش فرنساوى ــ موت لويز الثامن عشر ــ صيرورة شارلس العاشر ملكا ــ عود الاعمال لما كانت عليه ــ تفريق الخفر الملى ــ نجاح الحزب الحر فى الانتخاب ــ التغلب على الجزائر ــ الوزارة البولينياقيه ــ لوائح ٢٥ يوليه ــ ثورة سنة ١٨٣٠ ــ ضبط سراية التولرى ــ هرب شارلس العاشر ــ صيرورة دوق أورليان ملكا باسم فيليب الاول ــ السلطنة القانونية ــ ثورة فى بلجيقا ــ قيام مملكة بلجيقا ــ السعى فى قتل لوى فيليب ــ موسيو تيير وموسيو غيزوط ــ وجود البرنس لويز نابليون فى استراسبورغ ــ تداخل فرانسا بين تركية ومصر ــ التحالف الرباعى ــ استحكامات باريس ــ نقل بقايا نابليون لفرانسا ــ الزواج الاسبانى ــ موت دوق أورليان ــ فتح الجزائر ــ جلسة سنة ١٨٤٧ ــ ثورة سنة ١٨٤٨ ــ اعلان الجمهورية ــ هرب العائلة الملوكية الى انكلتره ــ الحكومة الوقتية ــ ارتباكاتها مع السوشياليست ــ ثورة شهر يونيه سنة ١٨٤٨ ــ اخمادها ــ صيرورة كافنغناق محافظا أو مدافعا ــ القانون الجديد ــ انتخاب لويز نابليون رئيس الجمهورية ــ الاغارة الفرنساوية على رومة ــ الشقاق الذى وقع فى المجلس ــ حوادث شهر ديسمبر سنة ١٨٥١ ــ قيام المملكة الثانية ــ صيرورة نابليون الثالث امبراطورا ــ زواجه ــ ولادة البرنس الامبراطورى ــ معاهدة مع انكلتره ــ حرب القرم ــ التغلب على سواستبول ــ دخول نابليون الثالث فى أمر ايطاليا ــ الحرب الايطاليانى فى سنة ١٨٥٩ ــ وقائع ماغنطه وسولفرينو ــ صلح قرية فرنقه ــ استحواذ فرانسا على صافوا ونيس ــ الحرب المكسيكى ــ خيبة الفرنساوية ــ مقتل مكسمليان ــ دعوة عموم الامة ــ حرب مع بروسيا ــ حرب مع جرمانيا ــ مصائب الفرنساوية ــ واقعة سيدان ــ أسر نابليون الثالث ــ الثورة فى باريس ــ سقوط المملكة ــ احاطة باريس ــ سفر موسيو تيير ــ حصار باريس ــ غلاق الحرب ــ الجمهورية ــ صيرورة تيير رئيس الجمهورية ــ ثورة العوام ــ حصار باريس الحصار الثانى والتغلب عليها ــ معاهدة فرنكفورت

وفى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨١٥ بعد الميلاد حصل التوقيع على المعاهدة الثانية لباريس بين لويز الثامن عشر والمتحالفين فكانت أذل من سابقتها وضربوا على فرانسا غرامة مقدارها ٧٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك قيمة تكاليف الحرب خلاف مبلغ جسيم للمتحالفين نظير احتلال أراضيهم بالعساكر الفرنساوية

وأعيدت فرانسا الى حدودها التى كانت عليها فى سنة ١٧٩٠ ولاجل حرمانها من تداخلها فى حرب مرة ثانية احتلت حدودها قوة مؤلفة من ١٥٠,٠٠٠ عسكرى لمدة خمس سنوات من جيوش المتحالفين محكومة بقائد منتخب من طرف المتحالفين ومصاريف هذه القوة على طرف الحكومة الفرنساوية ثم حصل النقص فى مدة الاحتلال الى مدة ثلاث سنوات وانتهى فى سنة ١٨١٨ ولاجل وقوع الرعب فى قلوب البونابارتيين صدر الامر بقتل الجنرال لابيدويير بما أنه كان صديقا لنابليون وقتل المارشال نى بالرصاص وفى فصل خريف سنة ١٨١٨ وقع القبض على مورا ملك نابولى السابق فى أثناء سعيه فى عود تخته وقتل بالرصاص فى ١٤ أقطوبر فى نابولى وكان مجلس فيانه مداوما على أشغاله فى مدة المائة يوم كما ذكرنا وحصل التوقيع على معاهدة فيانه فى شهر يونيه وقد ذكرنا شروطها فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة وما كفى امبراطور الروسيا التوقيع على هذه المعاهدة بل أغرى امبراطور أوستريا وملك بروسيا بالاتحاد معه فى تحالف عرف بالاتحاد المقدس بحيث أن يكون لهم القدرة على بقاء اتحادهما على روابط الحق وعدم فسخ محبة الاخوية وأن يحكموا رعاياهم كوالدين لهم والمداومة على الدين والسلم والعدل ولاجل أن هذه الاجرا آت يمكنهم اجراؤها على الدوام يجب جمع قواهم سوية وارغام عموم أوروبا على الانقياد لحكومة واحدة ما لها الحرية والمحافظة على سلم الرعايا

وفى شهر سبتمبر سنة ١٨١٦ ألغى ملك فرانسا مجلس النواب فحصل رد فعل فى الاعمال كان سببا فى وقوع الغضب واعتقاد وقوع حكومة مطلقة وأعلن انه يحكم مملكته على حسب القانون ومن بعد مضى شهر حصل الانتخاب فكانت نتيجته انتخاب المترشحين له من أهل الذكاء وحزب قانونى معضد لحكومة معاضدة قلبية وفى ١٣ فبراير سنة ١٨٢٠ قتل دوق برى ابن أخى الملك والابن الثانى لكونت ارطوا فى وقت خروجه من الاوبرة وفعل القاتل فعله هذا الفظيع بسبب كراهته للبوربونيين وأشيع فى المدينة بوجود ثورة على شرف القيام لدمار العائلة الملوكية فمن شدة تأثير هياج هذه الاشاعات سلم الملك فى طلبات أخيه كونت ارطوا وطرد الحزب الملكى وعزل نظارته السديدة وفى ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٢٠ وضعت أرملة دوق برى ولدا لقب بدوق بوردو فكان لهذه الحادثة يوم عظيم عند الاحزاب البوربونية وفى ٥ مايو سنة ١٨٢١ مات الامبراطور المخلوع نابليون فى جزيرة سنت هيلانه من بعد أن أقام فيها أسيرا ست سنوات وقد بلغ من العمر اثنتين وخمسين سنة ونعاه معظم الامة الفرنساوية وكانوا يرون انه مات شهيدا فى حب وطنه وفى سنة ١٨٢٠ تولد من سوء ادارة البوربونيين ثورة قامت فى اسبانيا وفى نابولى ولما رأى فرديننـد السابع أنه يستحيل عليه اخماد هذه الثورة قبل قانون سنة ١٨١٢ من أجل اسبانيا وأجبر الملك فى نابولى على قبول سير الاعمال على حسب القانون الجارى فى اسبانيا فعزم أعضاء الاتحاد المقدس على معاقبة هذين المملكتين بما أن اجتهادهما يتولد منه حكومة قانونية وعهدت أوستريا على نفسها أن تعيد الاستبداد فى ايطاليا بما تراه لنفسها من النجاح ثم انعقد مجلس مؤلف من ملوك الاتحاد المقدس فى فيرونه وعهد والفرانسا اعادة الحكم المستبد لفردينند فى اسبانيا وفى فصل ربيع سنه ١٨٢٣ دخل فى اسبانيا جيش فرنساوى مؤلف من ١٠٠,٠٠٠ مقاتل وأخذ ما كان واقعا من مقاومة الاسبانيين وعاد فردينند الى أقبح المظالم فى أوروبا فكان نجاح الجيش فى اسبانيا سببا فى صيرورة حكومة فرانسا على طاقة من صرفها النظر عن

قانون

قانون الحرية وبطرائق التهديد والبرطيل والفساد وطدت لنفسها فى انتخاب سنة ١٨٢٤ مجلس نواب بما كان فيه الا تسعة عشر عضوا من حزب الاحرار وفى ١٦ سبتمبر سنة ١٨٢٤ مات لويز الثامن عشر وخلفه أخوه كونت ارطواز فجلس على التخت باسم شارلس العاشر وكان بوربونى حقا جاهلا قاصر العقل ثابت الاعتقاد فى الحكم الاستبدادى وكان فى حركاته تحت نفوذ الجزويت وكان فى نفسه سليم القلب صاحب ود وكانت أصدقاؤه فى صداقة تامة معه وتتوج فى الكنيسة الكبرى فى رهيم فى ٢٩ مايه سنة ١٨٢٥ بعد الميلاد وأحييت فى هذا الاحتفال كافة الاحتفالات القديمة التى كانت تجرى فى القرون المتوسطة مع كافة شعائرها وكان شارلس المذكور أول من هاجر من فرانسا فى سنة ١٧٩٠ عند هياج الثورة الكبرى وعاد اليها فى سنة ١٨١٤ مع الوهم والاذى الذى كان أخذ معه وكانت الدنيا اولت عنه فى مدة الخمسة والثلاثين سنة التى هاجر فيها من بلاده فتولد من عود الاعمال الاستبدادية فى الحكومة غضب الامة وكان أول دلائل هذا الاحساس ما حصل من عساكر الخفر الملى فى فصل ربيع سنة ١٨٢٧ فان الملك لما مر بهم صرخوا فى وجهه اسقط مع الوزارة اسقط مع الجزويت فالغى فى الحال الخفر الملى لباريس الا انه من سوء طالعه أخلى سبيلهم بأسلحتهم وفى انتخاب سنة ١٨٢٧ بعد الميلاد عاد الجم الغفير من المضادين للحكومة فى مجلس النواب فأجبر الملك على عزل وزارته وطلب وزارة من حزب الاحرار فكانت الاعمال الاولية للوزارة الجديدة ابطال تهذيب الشبان من تحت يد الجزويت وكان ذلك شغلا مقبولا جدا عند الامة الا انه تولد منه الكراهة عند الملك فعزل الوزارة فى ٨ أغسطس سنة ١٨٢٩ واستبدلها بوزارة جديدة رأسها البرنس پولينياق وكان كل عضو من أعضاء هذه الوزارة مشهورا فى أحكامه الاستبدادية فاعتقدت الامة أن هذا اعلان حرب من الملك على رخصة حريتها وامتيازات أهل فرانسا ورجالها وعرض مجلس النواب صراحة للملك وقال له ان هذه الوزارة ليست متمتعة بالوثوق التام عند الامة فالغى الملك المجلس مع الغضب وأعادت الامة انتخاب نوابها فكان هذا المجلس مضادا للاعمال الاستبدادية الصادرة من الحكومة وفى مدة ما كانت هذه المنازعات جارية فى فرانسا أشغل التفات الحكومة مشاحنة خارجية وذلك أن حاكم بلاد الجزائر سلب تجار الفرنساوية القاطنة فى ممالكه فى مبالغ جسيمة ولعن قنصل فرانسا فى وقت طلبه منه عودها فأرسلت فرانسا حملة فى فصل صيف سنة ١٨٢٩ تحت قيادة الجنرال بورمونط وزير الحربية الى الجزائر من أجل عود المبالغ الى أربابها بقوة السلاح ونزلت هذه القوة أمام المدينة وتغلبت على استحكاماتها بالهجوم عنوة وأرغمت الحاكم على التسليم واحتلت العساكر الفرنساوية فى الحال مدينة الجزائر وأغنوا أنفسهم من نهب أهلها ولما عرف شارلس نجاح حزب الاحرار فى انتخاب سنة ١٨٣٠ صمم على نفوذ شوكته الاستبدادية بالرغم بتأويله نص مادة من القانون أنه يجوز للملك بواسطة هذه المادة عمل نظامات وصدور منشورات تكون لازمة لتنفيذ القوانين وحفظ الامن فى المملكة وبواسطة تأويل هذه المادة جعل لنفسه الحق فى نسخ بعض المواد المهمة العظيمة المندرجة فى رخص الحرية الفرنساوية وأصدر من عنده فى ٢٥ يوليه خمسة أوامر اندرجت فى الجرنال الرسمى يوم ٢٦ منه فكان أولها توقيف حرية المطابع والثانى الغاء مجلس النواب الجديد الذى صار انتخابه والثالث تغيير طريق الانتخاب بالكلية والرابع انعقاد المجلس فى ٢٨ سبتمبر القابل والخامس تعيين بعض من الحزب الملوكى فى مجلس المملكة فكان نشر هذه الاوامر سببا

سلطنة شارلس العاشر

فى حصول الهياج فى باريس ودخل الخفر الاهلى تحت السلاح فى الحال وفى رأسه الشجاع المتدرب لافايط وعلت المتاريس فى الشوارع وظهرت الوردة ذات الثلاثة ألوان بدل العلم البوربونى وهجم أهل باريس على العساكر الملوكية وكان محافظو باريس تحت قيادة الجنرال مارمونط الا أنها كانت غير كافية لاخماد هيجان الامة وان كانوا نالوا بعضا من المظفرات وأخيرا ابتدأت العساكر فى كونها تتحول بجهة الامة وهجم الباريسيون على كل من سرايتى اللوفر والتولرى وتغلبوا عليهما عنوة وأرغموا عساكر الملك على الخروج من المدينة وهرب شارلس العاشر من سرايته سنت كلود الى رامبو يليط وقطع الامل من عوده الى تخته فتنازل عنه الى حفيده دوق بوردو ثم ترك المملكة وهاجر الى انكلتره وفى أثناء ذلك رغب عدة من زعماء أهل باريس فى بقاء الثورة داخل حدود معلومة وجدت جميعها فى دوق أورليان من أخوال شارلس العاشر وكان معروفا بحزم الرأى وأنه يتقلد زمام حكومة المملكة بصفة نائب عمومى فعقد المجلسان فى ٣ أغسطس وقرر هذان المجلسان بخلو التخت بسبب تنازل الفرع الكبير للبيت البوربونى عنه وانتخبوا لوى فيليب دوق أورليان ملكا للفرنساوية فقبل لوى فيليب التاج وأعلن بعزمه بانه يتسلطن فى هيئة ملك قانونى وفى ٩ أغسطس أخذت عليه أيمان البقاء على رخصة حرية البلاد وامتيازاتها بطلب من المجلسين بشأن ما يعود على الامة من صالح منافعها وجلس على التخت بحضور الجم الغفير من حكام المملكة وانقطع دابر الحكم الاستبدادى فى فرانسا وكان أمر الامة منصورا مجبورا

سلطنة لوى فيليب

وكان الملك الجديد ابن فيليب الملقب بالعادل دوق أورليان الذى قطعت رأسه فى مدة الثورة الفرنساوية وكان عمره فى هذا الوقت سبعا وأربعين سنة وكان أخا صادقا فى اعترافه بحزب الحرية فمن ثم ما حصل فى أعماله ارتباك فى الاعمال الصالحة لمصالحه الا أنه كان متمسكا فى أحواله بالاقتصاد على حسب توالى الاوقات وما وجد فى موقعه الجديد شئ يتسر منه لان الاحزاب الملكية وأحزاب العضو الكبير للبيت البوربونى الذين دعوا المعاضدة دوق بوردو رفضوا قبوله وجعلوه مغتصبا للتخت خائنا جنسه وكذا أعلن البونابارتيون بانه ما صار ملكا الا بواسطة زمرة من الاشقياء على غير مرغوب الامة فكانت الاعمال المشهورة فى سلطنة لوى فيليب حكومة قانونية فى داخل المملكة وأمن مع الدول الاجنبية وبلغ الملك فى ادارته الداخلية درجة الصداقة فى ملازمته رخصة حرية الامتيازات ووطد للمجلسين حقوق نيابتهما للامة وجعل طريقة الانتخاب حرة وأعطيت للمطابع حريتها اهمالا لان الحكومة صيرتها تحت ادارة مصلحة تفتيش المطبوعات وغرس محبة الدول الاجنبية خصوصا انكلتره وامتنعت فرانسا بالكلية من تداخلها فى أى عمل من أعمال الممالك الاوروباوية ما عدا ما يخص مصالحها فى الجهات وحصل فى النظام الداخلى للمملكة ارتباك شديد حصل من عدة ثورات فى مدة السنين الاولى من السلطنة الجديدة وتولد من ثورة سنة ١٨٣٠ تأثير شديد فى أوروبا ومنها ما حصل فى ايطاليا وجرمانيا وبولنده ثورات لها وقع قليل أو كبير فى المعنى وما كانت بلجيقا على تراض من الزامها على اتحادها مع هولنده الذى حصل فى سنة ١٨١٥ فقامت فى هذا الوقت فى ثورة عامة على الحكومة الفلمنكية وطرد أهلها العساكر الفلمنكيين من بروكسيله فى ٢٣ سبتمبر من بعد ملحمة شديدة حتى التجؤا فى قلاع انطوبرب ورتبت الاقاليم البلجيقية مجلس ثورة استغاث بالدول الكبيرة الخمسة الاوروباوية فى حمايتها لبلجيقا من هولنده وطلب الملك غيليوم أيضا

فى هذا

فى هذا الوقت من الدول المذكورة ارغام أهل بلجيقا على الانقياد لحكومته وفى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٣٠ وقع الدول الخمسة على قرار مقرر بن فيه استقلالية بلجيقا وأنها مملكة مفصولة على حدتها ومنحوا تاجها على البرنس (ليو پولد صاكسكو بورغ) زوج كارلوطه الانكليزية وفى يونيه سنة ١٨٣١ أعلنت الحكومة البلجيقية ليو پولد ملكا على بلجيقا وفى السنة التالية تزوج البرنسيسه لويزه البنت الكبيرة للملك لوى فيليب فرفض ملك هولنده قبوله الانقياد لحكم الدول الكبيرة ورفض الانجلاء عن انطوبرب وكانت مضبوطة بمحافظين من الفلمنكيين مقدارهم ٤٠٠٠ عسكرى تحت قيادة الجنرال شاسى ثم عقدت معاهدة بين فرانسا وانكلترة من أجل مساعدة البلجيقيين ودخل جيش فرنساوى مؤلف من ٥٠٠٠٠ نفس فى بلجيقا فى شهر نوفمبر وحاصر انطوبرب ومن بعد أن دافعت مدافعة شديدة أرغمت على التسليم فى ٢٣ ديسمبر وفى هذا الوقت سحب ملك الفلمنك عساكره من بلجيقا وعاد الجيش الفرنساوى الى بلاده ثم وقع سعى فى مدة فصل شتاء سنة ١٨٣١ فى قيام حزب ملكى فى لافندى وكان هذا الحزب تحت رياسة دوقة برى والدة دوق بوردو فصار القبض عليها بأمر الحكومة وسجنت وفى أثناء ما كانت فى السجن وضعت بنتا والجيرت على اعترافها بزواجها فى السر بواحد من أشراف ايطاليا فصدر أمر الحكومة حالا بارسالها الى سيسيليا فى وسط مسخرة الامة وكان من سعادة فرانسا ختام أول سعى فى عود هنرى الخامس الى تخت أبيه وأما الارتباكات الداخلية التى كنا نوهنا عنها فانها كانت مؤسسة على حزب الجمهورية وتولد للحكومة من هذا الحزب المسمى بالسوشياليستين قلاقل كبيرة ومن بعد أن حصل فى ليون ثورة دموية أخمدتها الحكومة بغاية الصعوبة صدر أمر من الحكومة بان الذين أسروا من الذين دخلوا فى هذه الثورة يصير نفيهم أو سجنهم بمدة حياتهم فكانت هذه ضربة جامدة على السوشياليستين وحزبهم فتركوه ومضوا لحال سبيلهم وفى ٢٨ يوليه سنة ١٨٣٥ قام واحد من أعضاء هذا الحزب اسمه فيسكى من أهل قورسقه واجتهد فى قتل الملك بآلة نارية مفرقعة فنجا منها الملك من دون ضرر وجرح دوق أورليان جرحا خفيفا وقتل بها المارشال مورطير والجنرال لاشاسى واثنا عشر شخصا فى الحال ووقع القبض على فيسكى فى محل الواقعة وقطعت رقبته فى ١٩ فبراير سنة ١٨٣٦ وكانت وزارة لوى فيليب منتخبة من الحزب الاورليانى الذى ولاه ملكا وكان أجل هذه الوزارة وأحسنها موسيو تيير وموسيو غيزوط وكانا على حزم وسداد رأى فى الاعمال وكان موسيو تيير مشهورا بانه زعيم الجناح الاكبر الحر للحزب الاورليانى وأما غيزوط فكان مشهورا بانه زعيم وقائد الحزب الطرفى الملوكى وكان موسيو تيير دخل فى وظيفة الوزارة فى مدة وزارة المارشال سولط فى فصل ربيع سنة ١٨٣٢ بصفة وزير الداخلية فما وقع منه أدنى شئ مخل باجرا آته السياسية فى مدة وظيفته هذه ولما كان خاليا عن الوظيفة كان مدافعا عن الآراء الحرة ولما دخل فى الوظيفة صار من حزب المحافظين مثل عدوه الاكبر موسيو غيزوط وفى ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٦ تعين وزيرا أول وكانت اسبانيا فى هذا الوقت ممزقة بالحروب الداخلية فرغب تيير فى تداخله فى أعمالها فرفض الملك قبول ذلك فاستعفت الوزارة من بعد أن لبثت ستة شهور وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٨٣٦ سعى البرنس لوى نابليون بونابارت بن لويز وهورطنسه وابن أخى الامبراطور نابليون فى تهييج ثورة فى محافظى استراسبورغ عازما فى ذلك على سقوط السلطنة الاورليانية وقيام المملكة بدلا عنها فرفض العساكر الانضمام معه ووقع القبض عليه وأرسل

من طريق امريقه الجنوبية الى مدينة بورقه الجديدة وفى سنة ١٨٣٩ خلع محمد على باشا والى مصر طاعته للدولة العثمانية وتغلب بعساكره على سوريا فطلبت فرانسا بارشاد تيير وكان رجع وزيرا أول مرة ثانية بان يسمح لمحمد على بالبقاء فى سوريا ومصر وأما انكلتره فانها أصرت من جهة أخرى على أن محمد على يسلم سوريا للدولة العثمانية من دون شروط تحت قاعدة معلومة وحضت الدول الاخرى على مساعدتها فى أمرها هذا وكانت النتيجة أن الدول الاربعة الكبيرة وقعت على معاهدة مع تركية من دون اخبار فرانسا بعزمها وكان من شروط هذه المعاهدة ارسال أسطول انكليزى أوستريانى تركى من أجل اخضاع المدن السورية وارغام محمد على باشا على سحب قواه من سوريا الى مصر ثم انفصلت هذه المادة بجعل مصر مملكة ممتازة وراثية لمحمد على باشا وذريته وعادت سوريا الى الدولة العثمانية فرأى الفرنساوية أن هذا الاتحاد الرباعى خيانة من انكلتره وأظهرت الرغبة العامة فى تهييج حرب على انكلتره فكانت نتيجة هذا الهياج عمل الاستحكامات الموجودة حول باريس بواسطة خط متاريس متصلة وطوابى منعزلة خارجة عن سور خط الاستحكامات وسقطت وزارة موسيو تيير وصار مراعاتها أنها مسؤلة فيما استحوذت عليه انكلتره من الفائدة وتشكلت وزارة جديدة تحت رياسة المارشال سولط فى أقطوبر سنة ١٨٤٠ بعد الميلاد وكان صاحب الشوكة الكبرى فى هذه الوزارة موسيو غيزوط وانفصل الشقاق مع انكلتره وعرضت بريطانيا الكبرى مقدمة لصلحها اتفاقها على أنه لابد من نقل عظام الامبراطور نابليون من جزيرة سنت هيلانه الى فرانسا وأخرجت بقاياه من القبر وأرسلت الى فرانسا بواسطة عمارة بحرية فرنساوية تحت قيادة البرنس جيونفيل ابن الملك ووصلت العمارة شيربورغ فى ٨ ديسمبر سنة ١٨٤٠ ثم نقلت العظام فى مركب صغير وأرسلت الى باريس من طريق نهر السين ودفنت فى كنيسة قشلة العساكر السقط مع الاحتفال اللائق وفى سنة ١٨٤٦ انخرق سور المحبة الودادية بين حكومتى فرانسا وانكلتره بالنظر لمسئلة الزواج الاسپانى وذلك أن الملكة ازابلا صاحبة اسپانيا رغبت الزواج فارادت الحكومة الانكليزية زواجها بالبرنس ليوبولد صاكصكوبورغ ورغب لوى فيليب فى تقوية أهله بالمواصلة مع العائلة الاسپانية واختار أن يكون زوج ازابلا ابن عمها الضيق العقل (الدون فرنسيسكوس داسيس) دوق قادس فعارضت انكلتره فى هذا الرأى أشد المعارضة الا أن سياسة لوى فيليب غلبت على سياستها وفى ١٠ اقطوبر سنة ١٨٤٦ تزوجت ازابلا الاسپانية بابن عمها وفى نفس هذا اليوم تزوجت الطفلة لويزه بدوق مونطبنسير الابن الاصغر للوى فيليب فتولد من هذين الزواجين الكراهة الشديدة عند بريطانيا الكبرى ودامت البرودة واشمئزاز النفس فى العلاقات بين فرانسا وانكلتره من هذا الوقت الى سقوط لوى فيليب وفى ١٣ يوليه سنة ١٨٤٢ مات دوق أورليان الابن الكبير للوى فيليب ووارثه فى تخته من تأثيرات عارضية حصلت له وترك ولدين كونت باريس ودوق شارطريس وكان مولد كونت باريس الذى صار وارثا للتخت فى سنة ١٨٣٨ بعد الميلاد

وكان ابتداء الحرب فى بلاد الجزائر فى آخر السلطنة المتقدمة واستمر مدة سلطنة لوى فيليب وكانت نتيجته تغلب الفرنساوية على بلاد الجزائر وفى سنة ١٨٤٧ وقع القبض على عبد القادر القائد العربى ونكث القائد الفرنساوى معاهدته وأرسل عبد القادر الى فرانسا وسجن فى قلعة امبواز مع عائلته وبذلك انتهت مقاومات العرب وفى سنة ١٨٤٦ وسنة ١٨٤٧ فسدت مواسم الزراعة وأعقب هذا

الفساد

الفساد حاول المصائب فى أنحاء المملكة واضمحلت الاجروندرت الاشغال وما كان الملك مقبولا عند الامة بالكلية وكانت ترغب فى خلاصها من العائلة البوربونية وزاد النفور العام فى المملكة من خيبة سياسة فرانسا مع الدول الاجنبية وتولد من الزواج الاسپانى والاتحاد الرباعى والخسارة التى حصلت فى شأن معاهدة انكلتره ومواد أخرى زيادة الميل جدا لعدم محبة الامة الفرنساوية فى هذه السلطنة الاورليانية وتولد من هذا النفور غضب الجمهورية وأخذت أشغال هذا الحزب فى الزيادة مع زيادة الوسائط الجارية من الحكومة فى المحافظة على سياستها سنويا ولما انعقدت المجالس فى سنة ١٨٤٧ طلب حزب الاحرار بعض اصلاحات يقوى بها قواعد رخصة الامتيازات فرفضت الحكومة بارشاد موسيو غيزوط تلك الطلبات ثم ان أعضاء حزب الاحرار شرعوا فى هذا الوقت فى عمل ولائم عديدة فى باريس وفى الاقاليم كوسائط ظهور لتقوية أحزابهم وأعدوا وليمة فى باريس فأمرت الحكومة بابطالها فأصر حزب الاحرار على اجرائها مهما وقع من ابطال الحكومة اياها فأمرت الحكومة بعدمها أيضا وظن الملك ووزراؤه انهم فى أمن على أنفسهم فى الوقت الذى وصل فيه غضب الامة الى أقصى درجاته حتى انها استعدت للقيام فى ثورة فى أى وقت شاءت وصنع أصحاب الوليمة وليمتهم وتمم أربابها رأى وضعهم الحكومة فى حالة عدوانية لحرية الامة وفى ٢٢ فبراير سنة ١٨٤٨ غصت شوارع باريس بازدحام الناس يصرخون يعيش النظام وكانت الحكومة جمعت جيشا مؤلفا من ٦٠،٠٠٠ مقاتل فى ضواحى باريس وعهدت قيادته للمارشال بوغود الا انه ما حصل استعمال العساكر فى ذلك اليوم وفى ٢٣ فبراير دخل الخفر الملى تحت السلاح ومال كل الميل مع الامة وصد العساكر المنتظمة عن تفريقها الاهالى فى الشوارع فتولد من حوادث هذا اليوم أن فتح الملك عينيه لحقيقة الاعمال واستعفى غيزوط فى الوقت من وظيفته وخلفه كونت مولى وشرع فى تشكيل وزارة جديدة وكان الوقت فات من أجل اخماد الثورة بواسطة تغيير وزارة وفى تلك الليلة أطلقت فرقة من العساكر نيرانها على جماعة من الثائرين كانوا هجموا عليهم فقتلوا جماعة من أهل المدينة وطافوا برممهم مشاعل من وسط شوارع باريس فقام حزب الجمهورية والسوشياليستيين بالسلاح وأقاموا المتاريس وصرخوا تعيش الجمهورية وتحشد الناس وصار لهم صراخ ما سمع مثله من منذ أربعين سنة وعجز كونت مولى عن تشكيله وزارة جديدة فتعهد تشكيلها الموسيو تيير فكان أول أشغال هذه الوزارة الجديدة حض الملك على اصدار أمره باخراج العساكر من باريس ولما سلم المارشال بوغود هذا الامر استعفى من قيادته مع الغضب وكان ذلك فى ٢٤ فبراير وفى هذا اليوم انضم عساكر الحذاء والخفر الاهلى واتحدوا مع الامة وزحفوا جميعا على سراية التوالرى فلما أحس لوى فيليب بانه فقد كل شئ وقع على تنازله لحفيده كونت باريس وتوجه الى سنت كلود ومع هذا فان الثائرين ما وقع منهم أدنى التفات لهذا التنازل فتوجهت دوقة أورليان مع ابنها الصغير الى مجلس النواب والتمست لابنها تخت جده فانفجر الاوباش فى قاعة المجلس من هذا الوقت وأرغموها على أن تبحث عن سلامة نفسها بهربها فهربت العائلة الملوكية الى انكلتره وتيسر لها الحصول على ملجأ لها تأوى فيه ومات لوى فيليب فى انكلتره فى ٢٦ أغسطس سنة ١٨٥٠ من بعد أن بلغ من العمر سبعا وسبعين سنة وفى ٢٤ فبراير حصل الاعلان بالجمهورية وترتبت حكومة وقتية مؤلفة من لامارتين — ودوپوندولور — واراجو — وليدرورولن — ومارى — وجارنيير باغيس — وكريميو وكان المرقى حصول

خطر مهول بما أن ثورة سنة ١٨٤٨ ربما تنقلب الى ثورة اشتراكية يتولد منها غرق فرانسا فى مهاوى الذل ويجلب على نفسها عداوة جميع أوروبا فوطد لامارتين بعذوبة كلامه ميل الامة الى الجمهورية وكان الاوباش نهبوا سراية التولرى وحرقوا التخت وأقاموا الراية الحمراء وعلى حسب التماس لامارتين حصل تجنيد ١٠٠٫٠٠٠ نفس من الخفر الاصلى لتوطيد الحكومة الوقتية وأرغم حزب السوشياليستيين بالانقياد وتساعدت الجمهورية بأهل الطوائف العظيمة الذين حصل منهم الظفر لحزب الجمهورية ودخلت الحكومة الوقتية فى الحال فى واجباتها وغرقت على الفور فى بحور المضايقات فان حزب الاشتراكيين أصر على أنه من الواجبات اللازمة على الحكومة أن تعين أشغالا لكل واحد من أهل المدينة له رغبة فى الشغل وقرر هذا الطلب أرباب الحكومة الموجودون فيها من هذا الحزب والتزم أعضاء حزب المحافظين على التسليم فى هذا الامر وفى ٢٧ فبراير صدر من الحكومة منشور يتضمن ترتيب معمل شغل أهلى يشتغل فيه أرباب الصنائع وتدفع أجرتهم من الحكومة على حسب استعدادهم فى أشغالهم وجعلت هذه المعامل تحت مباشرة مجلس تحت رياسة لويز الابيض وفى مبادى شهر مارث كان المستخدم فى أشغال هذه المعامل ٤٠٫٠٠٠ نفس وفى ٢٧ ابريل انعقد الانتخاب من أجل انتخاب مجلس نواب جديد وعاد فى هذا المجلس كثير من أعضاء حزب المحافظين بأغلبية الاصوات وانعقد مجلس النواب فى ٥ مايه فابتدأ فى أعماله بترتيب مجلس تنفيذ عال انتخبت أعضاؤه من حزبى المحافظين والاشتراكيين وفى مبادى فصل صيف سنة ١٨٤٨ وجد أن تكاليف المعامل الاهلية باهظة جدا وموجبة للخراب لان مصاريفها بلغت فى ثلاثة شهور ٢٫٨٣٥٫٠٠٠ دولر وفى ٢٢ يونيه أصدرت الحكومة أمرا على أمل اصلاح هذا الضرر بان بعض هؤلاء الشغالين يدرجون أنفسهم فى عساكر الجيش وان لم يطيعوا يطردوا من أشغال المعامل فاستر ذل الشغالون هذا الامر ورسخ فيهم ظن السوء الموجود فى حزب الاشتراكيين وفى ٢٣ منه قاموا بالسلاح وهجموا على العساكر فى قلب الحكومة فثبت المجلس على أعماله وعين الجنرال كافنياق لقيادة العساكر المنتظمة وعساكر الخفر الاهلى وفوض اليه المجلس أمورا يجب عليه من المدافعة والمحافظة فاستمر الحرب الى يوم ٢٨ من الشهر حتى حصل التغلب على آخر متاريس الثائرين بالهجوم عنوة وفى ٢٧ منه أصيب أسقف باريس بعيار نارى من أحد الثائرين فى أثناء مروره بين الصفوف يلتمس منهم العود للسلم وفقد فى هذه المحاربات الجم الغفير من الناس وانكسرت شوكة الاشتراكيين فى هذا الوقت ولما صار حطم الثورة سلم الجنرال كافنياق وظيفة محافظته وصار تعيينه رئيس المجلس وأن له الحق فى تعيينه بنفسه وزراءه وفى ٤ يوليه أصدر أمرا بغلق المعامل الاهلية وفى ١٢ نوفمبر نشر قانون الجمهورية رسميا وعهدت الحكومة المنفذة الى أكبر النواب بلقب رئيس الجمهورية وأن يصير انتخابه لمدة أربع سنوات ولا حق فى انتخاب غيره الا من بعد مضى الاربع سنوات وانحصرت شوكة النيابة فى مجلس مؤلف من ٧٥٠ عضو وفى هذا الوقت دخل عضو جديد فى سياسات وأعمال الجمهورية وذلك أن البرنس لويز نابليون بونابارتو الذى ذكرنا سابقا مساعيه فى حصول ثورة فى استراسبورغ سعى سعيا آخر فى بولونيه فى سنة ١٨٤٠ فوقع القبض عليه وحكم عليه مجلس الاعيان بسجنه مدة حياته فى قلعة حام فهرب منها فى شهر مايه من سنة ١٨٤٦ مختفيا فى هيئة شغال وهرب الى انكلتره فحصل انتخابه فى هذا الوقت للمجلس بواسطة كورتين السين

صدرت

فأصدرت الحكومة أمرها بحرمانه من الدخول في فرانسا واستعفى هو أيضا من قرعة انتخابه وفى مدة الانتخاب الثانى صار انتخابه أيضا للمجلس بواسطه خمس كور مختلفة فتولد من فصل هذا الانتخاب واقرار أهل الخمس كور على انتخابه الزام الحكومة بعدم معارضته فى عوده لفرانسا فمن ثم عبر لويزنابليون الخليج وفى ٢٦ سبتمبر أخذ مقعده فى المجلس عضوا لكورة نهر السين فاشتعلت باسمه نار الحماسة فيما بين الامة الفرنساوية ومن دون أن يفعل شيأ يستحق الذكر عليه وجد نفسه أنه الرجل المحبوب فى فرانسا لكونه وارث الامبراطور الاكبر فانتفع من هذه المحبة وأظهر نفسه أنه المدافع عن رياسة الجمهورية والمستحق لها وفى انتخاب ١٠ ديسمبر سنة ١٨٤٨ صار انتخابه رئيسا للجمهورية باصوات رجال مقدارهم ٥,٥٠٠,٠٠٠ وكان أصلهم ٧,٣٢٦,٠٠٠ فحاز بذلك أغلبية الاصوات على الجنرال كافنياق ورفقائه المتحدين معه وفى ٢٠ ديسمبر استلم وظيفته وجعل مقره فى سراية الاليسى وفى هذا الوقت حصلت الثورة فى ايطاليا وقد ذكرناها فى تاريخ ايطاليا ولما طرد البابا من رومة التمس المساعدة من فرانسا وكانت فى غيرة شديدة من سيادة أوستريا فى ايطاليا فعول الرئيس بونابارت على انتهاز الفرصة بهذا السبب فى التداخل فى أعمال ايطاليا فأمر بتسفير حملة تحت قيادة الجنرال أودينوط الى رومة فى فصل ربيع سنة ١٨٤٩ فتغلبت هذه الحملة على رومة وسقطت جمهورية رومة وأعيدت حكومة البابا وترتبت محافظة فرنساويه فيها واستمرت العساكر الفرنساوية باقية فى رومة عشرين سنة

وفى هذا الوقت انقسم المجلس الاهلى الى احزاب حزب منها معضد لرئيس الجمهورية وآخر عاكف فى شغله على ما يعود منه الاصلاح للنواب وثالث معضد لصالح العائلة الاورليانية ورابع مؤلف من نواب الاشتراكيين وكانت هذه الاحزاب ماعدا الحزب الاول أخصاما لرئيس الجمهورية ثم ان النواب والاحزاب الاورليانية دسوا الدسائس فى شأن الغاء الجمهورية وعود السلطنة وكان الاشتراكيون فى اجتهاد لسقوط الجمهورية وترتيب سلطنة شائعة وكان كل من هؤلاء الاحزاب على كراهة شديدة من بعضهم لبعض فاتحدوا الآن مع بعضهم بسبب كراهتهم للرئيس ورغبوا قبل كل شئ فى خلعه ثم يفصلون فيما بعد منازعاتهم بينهم وفى حالة هذه الاعمال المنحوسة كانت آمال الامة موجهة جميعها نحو الرئيس فعزم لويزنابليون على سقوط الاحزاب لما رأى أن سقوط الجمهورية لابد منه وعرف أن الاحزاب النافرين غير مستحوذين على وثوق الامة الفرنساوية بهم حتى يكونوا نوابا عن الامه فيما ترغبه من اصلاحاتها ويقبض على الحكومة بيديه ويستجير بالامة لمساعدته فأجرى نابليون أشغاله مع الذكاء ونفذها مع الجسارة وذلك أنه فى ليلة غرة ديسمبر سنة ١٨٥١ أمر بالقبض على كبار أعضاء المجلس وضبط العساكر مصلحة مطبعة الحكومة وطبعت الاوامر والمشورات اللازم نشرها فى وقت الصباح بالليل وكان الجيش فى خضوع للرئيس واستعد لمساعدته وتنفيذ أمره فى وقت حاجته وفى صباح اليوم الثانى من شهر ديسمبر تعجب أهل باريس من قراءتهم الاعلانات التى نشرت من طرف الرئيس القاضية بالغاء مجلس الملة وعود انتخاب عمومى جديد وأن يكون حصول الانتخاب فى ١٤ ديسمبر وأن تجعل باريس وكورة السين تحت القانون الجنائى ومن أمر آخر مذكور فيه أسماء الوزارة الجديدة وأن الرئيس ينقاد لانتخاب الامة قانونا جديدا يشتمل على المواد الآتية وهى انتخاب رئيس نائب يكون تحت المسؤلية فى أعماله لمدة عشر سنوات والوزارة مسؤلة عند الرئيس وحده وترتيب مجلس فى المملكة يكون أصلا لسن القوانين يتقرر بمعرفة مجلس النواب وترتيب مجلس أعيان أو سيناتو من واجباته

المراقبة على سير القوانين والنظامات وعدم السير على مايغاير هافقبلت الامة هذا المشروع فى ٢٠ ديسمبر ووقع التصديق عليه باصوات بلغ عدتها ٧،٥٠٠،٠٠٠ صوت وبواسطة افتتاح حكومة جديدة فى قبضة شخص واحد انقرضت حكومة الجمهورية الثانية فى فرانسا ورضى معظم الامة الفرنساوية بهذا التغيير وفى هذه المدة استيقظ الاحزاب الملوكية والجمهورية وانفرجت عنهم المضايقات فى باريس وقاموا بالسلاح على الرئيس فسلط الرئيس عليهم جيشا مؤلفا من ٤٨،٠٠٠ مقاتل فاخذ مقاومتهم فى ٢و٣ ديسمبر وفى يوم ٤ منه أطلق العساكر نيرانهم على حين غفلة ومن دون حصول أدنى ارتباك على زحام من أهل المدينة ماوقع منه جناية وقتلوا عدة ناس منه وأسر العساكر كثيرا من الثائرين وقتلوهم فى الحبوس ونفى من أهل باريس ٢٦،٥٠٠ نفس الى فاين وكان المظنون فى الاول أن الرئيس لايستمر فى راحة كافية فى المدة الباقية له من مدته فسار على قدم عمه الامبراطور الكبير الذى كان وارثاله وكان آخر مشروعاته عود السلطنة كما كانت فى مدة عمه وقال فى وليمة حافلة عملت فى بوردو من أجله فى ٩ اكتوبر سنة ١٨٥٢ ونوه فى أقواله فى أثناء الوليمة ان المملكة هى السلم وفى ٢١ نوفبر طلب أعضاء الانتخاب من أجل اعطاء أصواتهم بالنيابة عن عموم الامة فى اعلان أن لويز نابليون بونابارتو هو الوارث لامبراطور الفرنساوية بحق نظام وراثة التخت له فى عائلته فصار قبول هذا الانتخاب بواسطة ٧،٨٢٤،١٨٩ صوت من المنتخبين ضد ٢٥٣،١٤٥ صوت وفى ٢ ديسمبر سنة ١٨٥٢ دخل الملك المنتخب الجديد مدخله الاحتفالى فى باريس بلقب نابليون الثالث وفى ٢٩ يناير سنة ١٨٥٣ تزوج (أوجينى ماريه دوغوزمن) كونتة طيبة ست فى غاية من الجمال ومن ذرية احدى العائلات الشريفة المشهورة فى اسبانيا لخلف منها ولده نابليون أوجين لويز ولد فى ١٦ مارث سنة ١٨٥٦ بعد الميلاد

سلطنة نابليون الثالث

وكانت المساعى الاولية لهذا الامبراطور الجديد من أجل الحصول على المساعدة المادية التى يمكن استنتاجها من محالفة مع بريطانيا الكبرى فلاجل اكتسابه هذه المادة استصوب السياسة الانكليزية المتعلقة بالمسئلة الشرقية وذلك أنه فى مبادى سنة ١٨٥٣ لما اعتقد قيصر الروسيا بان الدولة التركية فى أوروبا مسرعة فى الهبوط خابر فى السر الحكومة الانكليزية فى شأن الانضمام معه من أجل تقسيم الممالك العثمانية فرفضت الحكومة البريطانية قبول هذا الاشتراك وحصل لها السرور من حصول محالفتها ومعاهدتها فرانسا ومامضى على ذلك مدة حتى حصل الاشكال فى المواد السياسية وذلك أن الامبراطور نيقوله صاحب الروسيا جمع أسطولا كبيرا وجيشا ضخما فى سواستبول وأرسل البرنس منطيشكوف الى القسطنطنية يطلب من السلطان عبد المجيد حكومة كبيرة وسلطة قوية على الجهات المقدسة فى سوريا وفلسطين وأن يكون الجريق المسيحيون الداخليون فى حدود المملكة العثمانية تحت سلطنته فان تم لهذا ذلك صار ملكا على معظم رعايا السلطان ومن بعد مضى بضع أسابيع احتلت الجيوش الروسية الاراضى التركية فى مولداويه وولاخيا (المملكتين) ففزعت الحكومة التركية من هذا الامر وماثبت قدمها الا (لورد سطرافورد دورد كليف) سفير بريطانيا لانه أكد للسلطان مساعدة حكومته له ولا ينقاد لطلبات روسيا وقوى السلطان فى مقاومته طلبات القيصر التى لاحق له فيها وفى هذه الاثناء انعقد مجلس مؤلف من مرخصى دول أوستريا وبروسيا وفرانسا وانكلترة فى فيانه واجتهد فى فصل هذه المشكلة بالمخابرة ولما خاب هذا المجلس فى مساعيه أعلن

السلطان عبد المجيد حربا على روسيا فى اكتوبر سنة ١٨٥٣ وعبر الجيش التركى فى الحال نهر الدانوب تحت قيادة عمر باشا المجر وهزم الروسيين فى عولطينطزه وفى يناير سنة ١٨٥٤ صد الروسيون فى مدة أربعة أيام هجوم الحذاآت التركية فى كلفاط وتقهقروا وفى ٣٠ نوفبر سنة ١٨٥٣ أقلع أسطول روسى من سواستبول وأنزل عساكره فى سينوب ودمر العمارة التركيـة فى مينتها وسلط على المدينة الضرب المتواتر فقتل من أهلها ٤٠٠٠ نفس ثم ان حكومتى الانكليز وفرانسا طلبا من القيصر انسحاب عساكره من الاراضى التركيـة فرفض نيقوله طلب الدولتين فاخبر بأن رفضه هـذا الطلب دلالة على اعلان حرب وفى مارث سنة ١٨٥٤ دخلت فرانسا فى معاهدة مع انكلترة وانضما فى معاهـدة مع تركية وأعلنتا حربا على روسيا وحاصر الجيش الروسى تحت قيادة برنس باسكيو تيج قلعة سيلستره فى ابريل فدافع عنها الاتراك أشد المدافعة حتى رفع الروسيون عنها الحصار من بعد شهر ومن بعد مضى قليل هزم الاتراك الروسيين فى جير جوفه فتركوا الاقاليم الدانوبية وتقهقروا نحو بلادهم فتولد من هذه النصرة زوال تداخـل فرانسا وانكلترة الا أنهما عزما على كسر شوكة روسيا فى البحر الاسود بهدم استحكامات قلعة سواستبول الحصينة أكبر مدينة فى القرم وسفرت فرانسا وانكلترة حملة متحدة الى القرم ونزلت عساكرها بالقرب من مصب نهر ألمه وفى اليوم الثانى ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٥٤ صار الهجوم على الموقع الروسى الموجود فوق مرتفعات هذا النهـر وتغلبوا عليه من بعد مقاومة شـديدة ومن بعد هـذا زحف المتحالفون على سواستبول والاسطول تابع لهم فى البحر بالقرب من الساحـل واحتل مينة بلكلافه وأحاطوا بقلعة سواستبول وكانت القلعة تحت محافظة الجنرال الروسى طودلبان وكانت مدافعتها مدة سنة تقريبا احدى الوقائع الكبيرة المشهورة فى التاريخ وكان الحصار فى الواقع فى صورة احاطة بالمدينة فقط لان الروسيين كانوا على طاقة فى هذه المدة من المواصلة مع بلادهم من شمال المدينة وأجرى الروسيون عدة اجتهادات عنيفة فى خرق خط الاحاطة وفى ٢٥ أقطوبر سنة ١٨٥٤ كانت واقعـة بلكلافة من أجل هذا الصـدد واشتهرت هذه الواقعة بما حصل من الهجوم والحملة التى وقعت من الخيالة الخفيفة الانكليزية على طوبجية الروسيين وما حصلت فائدة من هـذا الهجوم وفى ٥ نوفبر زحف الروسيون بقوة ثقيلة على الحذاآت الانكليزية فى أنكرمان فصدهم الانكليز حتى وردت لهم الامـدادات من العساكر الفرنساوية وكان النصر للمتحالفين وفى ١٦ أغسطس سنة ١٨٥٥ أجرى الروسيون آخر اجتهادهم فى وقوع واقعة دموية فى طهرنايه من أجل رفع الحصار الا أنهم انصدوا مع تلفيات جسيمة وكانت سردينيه فى هذا الوقت انضمت فى الاتحاد مع فرانسا وانكلترة كما ذكرنا ذلك فى تاريخ ايطاليا واكتسب العساكر البيدمونطيه نصرة كبيرة فى هذه الواقعة الاخيرة وفى ٨ سبتمبر سنة ١٨٥٥ هجم الفرنساوية على برج ملكوف وتغلبوا عليه وكان هو مفتاح المدافعة الروسيـة وهجم الانكليز فى نفس هـذا الوقت على متاريس ريدان الكبيرة وتغلبت عليها وخسر المتحالفون فى هاتين النصرتين خسارات جسيمة الا أن نتيجتهما كانت انجلاء الروسيين عن سواستبول واحتل المتحالفون سواستبول وتقهقر الروسيون الى الطوابى الموجودة فى شمال المينة وفى غضون ذلك دخل الاسطولان الانكليزى والفرنساوى فى بحرى بلطق وپولار وتولد منهما خسارات جسيمة للروسيا فى تلك الجهات ومن قبل سقوط سواستبول دخل أسطول انكليزى فى بحر أذوف وتغلب على كرطش وقنيكال وأخذ الروسيون بثأر بعض هذه الخسارات لان الروسيين كانت قواهامظفرة فيما وراء

بجبال الجراكسة أى جبل قوه قاز وتغلب الروسيون على قلعة قارص من بعد مقاومة شديدة وتغلبت أيضا روسيا على جهات مهمة فى الاراضى المجاورة لها من جهات اسيا الصغرى ثم ان أوستريا بذلت طاقتها وقدمت خدمتها بتوسطها فى فصل شتاء سنة ١٨٥٥ وبواسطة اجتهادها حصل التوقيع على معاهدة صلح ابتدائية فى سنت بطرسبورغ فى نحو غلاق سنة ١٨٥٥ وفى ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ حصل التوقيع على معاهدة باريس من مرخصى فرانسا وانكلتره وروسيا وسردينية وتركية تقرر فيها بان تركية عضو من أعضاء الممالك الاوروباوية وممالكها مكفولة فى أى جهة موجودة فيها وأعيدت كافة الفتوحات التى حصلت فى مدة الحرب لاربابها الشرعيين وصار البحر الاسود ونهر الداقوب حرين خالصين لتجارة عموم العالم الا أنه لا يجوز ادخال مراكب حربية فى البحر الاسود ودخلت صربية تحت أحكام أمير من أهلها وصارت مملكة ممتازة تحت طاعة السلطان ووضعت تحت حماية الدول الكبيرة وكان تمام غلاق الحروب المظفرة التى حصلت فى القرم سببا فى علو درجة فرانسا فى الاعمال الاوروباوية وفى تقوية الامبراطور نابليون فى سعيه فى مشروعات أخرى جسورية وكاذكرنا فيما سبق الاسباب التى حضت سردينيه على بحثها حتى دخلت فى محالفة مع فرانسا وانكلتره وعرض لمجلس باريس رسميا الجور الواقع فى ايطاليا من أوستريا فشرح هذا المجلس عدم موافقته للمظالم الجارية فى ايطاليا وقوى نابليون فى السر مملكة سردينيه على اصرارها على مقاومة أوستريا ولما تقوت سردينيه بهذه المساعدة الشديدة دخلت فى مخابرات لتضم جهات ايطاليا فى جامعة واحدة وفى ابريل سنة ١٨٥٩ كان ابتداء الحرب بين أوستريا وسردينيه فأعلنت فرانسا فى الحال حربا على أوستريا وأرسلت جيشا قويا لمساعدة ايطاليا وكان الامبراطور نابليون موجودا فى رأس هذا الجيش وترك نيابة المملكة فى غيابه لعهدة الامبراطوره وقد ذكرنا حوادث الحرب الايطاليانى فلا حاجة لتكراره هنا وحصلت الملامة الشديدة لنابليون الثالث من تأخره فى وعده بتحرير الايالة القنيطانية وقد ذكرنا أسبابه فى الكلام على معاهدة فريةفرنقه وصعبت عليه الاعمال التى كان عازما عليها بخصوص ايطاليا الا أنه استمر الخليل الثابت لايطاليا فى المدة المرتبكة التى جاءت عقب الحرب وصرحت فرانسا للدول الغير المحبة لايطاليا بانها لا تترك أى تداخل دخلت فيه ايطاليا وحضتهم على ترك ايطاليا فى حالة سلمية حتى رخصت الدول المذكورة لايطاليا بالجامعة فى مملكة واحدة وطلبت فرانسا مكافأة لنفسها من أجل مساعدتها سردينية تنازلها لها عن ايالة صافوا ونيس فكانت المسئلة طاعة أهل هذين الاقليمين وانفصلت هذه المادة بأغلبية آراء سكان الاقليمين بقبول انضمامهم لفرانسا وفى ابريل سنة ١٨٦٠ صارت صافوا ونيس قسما من المملكة الفرنساوية وفى هذا الوقت كانت جمهورية مكسيكا مديونة لبعض تبعة فرانسا وانكلتره واسبانيا وبذلت طاقتها فى مقاومتها تلك الدول فى عدم جمعها المبالغ المطلوبة لرعاياها وكان مقدار دين تلك الدول الثلاثة ٧٣،٠٠٠،٠٠٠ دولر منه ٢٦٣،٤٩٠ دولر مستحق دفعه لفرانسا ولما رأت الدول المذكورة انه يستحيل عليها اخلاص حقوقها بطريق المخابرة شكل الثلاث حكومات فى سنة ١٨٦١ حملة متحدة من طرفها الى مكسيكا لاجل ارغامها على تقرير مدد الدفع وكانت فرانسا عازمة من الاول على أن تجعل هذه الحملة واسطة فى الحصول على قدم ثابت فى مكسيكا وبواسطته يمكنها التغلب على تلك المملكة وأن تشيد لنفسها مملكة لاتينية فى أمريقه وكان المشروع فى الحقيقة احياء حالة أخرى من

أ نيامات

المنامات الفرنساوية التي بها يكون لهم مملكة كبيرة في امريقة وكانت الحملة مؤلفة من احدى وثمانين سفينة حاملة ١٦١١ مدفع و ٢٧٩١١ بحري وعسكري بري فوصلت مدينة (فيرا كروز) في ديسمبر سنة ١٨٦١ فانجلى المكسيكيون عن المدينة وضواحيها واحتل المدينة العساكر الاسبانية وفي أوائل سنة ١٨٦٢ لما ظهر لكل من اسبانيا وانكلترة ما أضمرت عليه فرانسا فصلتا مشاكلهما مع مكسيكا بواسطة اتفاق صوليدادا الذي صار التوقيع عليه في ١٥ فبراير وانسحبت قواهما من الحملة في ابريل ولما تركت فرانسا على حدتها في مكسيكا قوت جيشها فيها وعهدت قيادته للجنرال فوري وفي المدة التي كانت باقية من سنة ١٨٦٢ بذل الفرنساوية جهدهم في المحافظة على أنفسهم من المكسيكيين وفي مارث سنة ١٨٦٣ لما ورد اليهم الامداد من فرانسا حاصر الجنرال فوري مدينة بويلا فدافع عنها المكسيكيون أشد المدافعة وتغلب عليها الفرنساوية في ١٨ مايو من بعد حصار لبث شهرين وكان المكسيكيون أسسوا امالهم في خلاص العاصمة على مدافعتهم عن بويلا وما وقع منهم سعي في المدافعة عن مدينة مكسيكا التي دخلها الفرنساوية في ١٠ يونيه سنة ١٨٦٣ فشرع الامبراطور نابليون في هذا الوقت في وضع مقصوده المتعلق بمكسيكا في موضع العمل وطلب عقد مجلس من كبار فرانساويواسطة سلطة حكم فرنساوي قوي العزم أعلن بالغاء الجمهورية المكسيكية وتشييد مملكة ورانيه تهيئة حكومة عظيمة للملكة تحت سلطة الحكم الفرنساوي فمن ثم انتخب المجلس الارشيدوق مكسمليان أخا امبراطور أوستريا امبراطورا لمكسيكا فانقاد لهذا الانتخاب أهل مكسيكا وصدقوا عليه بما وقع لهم من الهول من الفرنساوية وقبل الارشيدوق مكسمليان التاج المكسيكي ودخل مع زوجته الارشيدوقة كارلوطه مدينة مكسيكا في يونيه سنة ١٨٦٤ واجتهد في تشييد حكومة طيبة في مكسيكا الا أنه حصل من اجتهاداته الفزع الاكبر لكثير من الامة المكسيكية فانهم رفضوا التصديق على الغاء جمهوريتهم وبما أن الغاءها كان بمعرفة فرانسا من دون تداخل الامة وجعل المكسيكيون عاصمة جمهوريتهم مدينة مونطيري تحت قيادة الرئيس جواريس ومركز مقاومة شديدة لمكسمليان والفرنساوية واستمر الحرب من دون انقطاع بين الامبراطوريين والجمهوريين ولما انتهى الحرب الداخلي في الاقاليم المتحدة بامريقة في سنة ١٨٦٦ طلبت الحكومة الامريقانية من الامبراطور نابليون سحب عساكره من مكسيكا لانه ربما يتولد من وجودها في مكسيكا الارتباك في امريقه ومن بعد أن تردد نابليون في أمر مرضي بتنفيذ هذا الطلب وشرع العساكر الفرنساوية في الانسحاب في غلاق سنة ١٨٦٦ وكان اخر من توجه الى أوروبا منهم في شهر مارث سنة ١٨٦٧ وكان نابليون على غاية من اليقظة بأنه لا بد من سقوط المملكة المكسيكية اذا تركها ونفسها فأشار على مكسمليان ونصحه بأنه ان رغب في سلامة نفسه يتنازل عن تخته فعظم ذلك على مكسمليان ورفض قبول تركه قواد المكسيكيين الذين خاطروا بأرواحهم في أمره واستمر في الحرب على أمل الحصول على حالة فاصلة صالحة لهم ومن بعد أن كان منصورا على أهل مكسيكا حصرته قوى الجمهورية في مدينة (كريطارو) وتغلب رئيس الجمهورية جواريس على المدينة بالخيانة بواسطة الجنرال لوبيز القائد الذي كان متعينا من طرف مكسمليان وقبض على الامبراطور المنكوس الحظ وفي ١٩ يونيه صدر أمر رئيس الجمهورية جواريس بضربه بالرصاص مع اثنين من قواد المكسيكيين الذين كانوا في خدمته وبهذا انتهى ما أضمره نابليون

فى خصوص المملكة المكسيكية وانتهت أحلام المملكة الفرنساوية فى قارة أمريقه وحصل التوبيخ من عموم العالم لنابليون بسبب عدم اجتهاده فى خلاصه مكسيمليان
ثم تولد من المصائب التى حصلت لاوستريا فى مدة حرب السبع أسابيع فى سنة ١٨٦٦ ارغامها على ترك فنيسطية وتنازلت عن هذا الاقليم للامبراطور نابليون فنقله من عهدته لعهدة ايطاليا وتم الانتقال فى صيف سنة ١٨٦٦ ثم ان الامبراطور نابليون لما فزع من سرعة زيادة شوكة بروسيا طلب من ملك بروسيا بواسطة (موسيو بندطى) سفيره فى باريز انتقال الاراضى الموجودة على الشاطئ الايسر لنهر الرين لفرانسا مكافأة لها نظير زيادة شوكة بروسيا فقابل الكونت بسمارك هذا الطلب مع الثبات وأعلن فى الوقت بعدم قبوله فصرفت فرانسا النظر عن هذا الطلب ثم من بعده عرضت فرانسا الاوستريا مشروعا فى شأن الحاقه بلجيقا بفرانسا وأعلنتها بأنها لو ساعدتها فى هذا المشروع فان فرانسا تساعدها فى خضوع جرمانيا الجنوبية لدولتها فلما أجاب الكونت بسمارك اجابة وافية على هذا العرض وحفظ مذكرة الكونت بندطى فى ضمن الاوراق البروسيانية وتسجيلاتها ثم من بعد ذلك اجتهد الامبراطور نابليون فى شراء دوقية لكزمبورغ من هولنده وفى هذا الوقت كان ملك الفلمنك فى حاجة شديدة للنقود ورغب فى البيع الا أن بسمارك خيب هذا المشروع وأعلن أن دوقية لكزمبورغ قسم من الاتحاد الجرمانى وحفظها بعساكر بروسيانية وأقام الاتحاد الشمالى الجرمانى الحجة ضد هذا البيع وانفصلت مادة هذا المشكل بعدم توقيع البيع فكانت هذه الخيبات السياسية سببا فى جرح شرف فرانسا الذى صارت به فى أول درجة فى أوروبا من عهد غلاق الحرب الايطاليانى سنة ١٨٥٩ ورغب الجم الغفير من فرانسا فى هياج الحرب على بروسيا الا أن الامبراطور رفض مع العقل قبول طلباتهم وكان الجيش الفرنساوى أقل من الجيش البروسى وما كان الجيش الفرنساوى استعمل لحد هذا الوقت بنادق الابرة ولا المدافع التى يصير تعميرها من الخلف التى من غير هار بما يكون من الخبل الهجوم على دولة مسلحة بها مثل بروسيا ولما صار من المعتقد فى فرانسا بأن الحرب مع بروسيا لابد منه حصل الاشتغال بترتيب الجيش الفرنساوى مع شدة الحركة وكانت فرانسا من عهد تشييد المملكة آخذة فى كسب النجاح الزائد فكانت الثمانية عشرة سنة التى قضتها تحت حكم نابليون من أعظم أوقات السعادة لها وكانت التدبيرات الادارية الواقعة من الامبراطور ومواد ثانوية لادارة نابليون الاكبر وارتقت درجة التجارة تحت هذه السياسة المفتخرة التى أجراها الامبراطور نابليون الثالث الى أعظم درجة وامتدت السكك الحديدية فى أنحاء المملكة وزادت أرباح التشغيلات والمشغولات واتسعت المدن الاصلية فى المملكة وأصلحت باريس وتزخرفت حتى صارت أجل عاصمة فى أوروبا كل هذا بمبالغ جسيمة الا أن الضرائب الثقيلة التى كانت الدولة تجبيها ما كانت شيأ جسيما على الامة بما كان حاصلا عندها من النجاح وكان الامبراطور من جهة أخرى ما حصل عنده التفات فيما يلزم عليه أداؤه لبلاده وذلك انه ترك جموع الامة فى الجهل وكان تعليم الشبان تحت سلطة القسس الكثيبة وما حصل من الامبراطور أدنى اجتهاد فى تشجيع الامة على نشرهم الاخبار والافكار الحرة بل حصل الكبس والضغط على مثل هذه الافكار وفى غلاق سلطنة نابليون حصل له ضعف فى صحته حتى صار فى حالة غير صالحة لتدبيره الاعمال كما كان فى أوائل سلطنته وانتقلت ادارة المملكة الى رجال ضعيفى الرأى ليسوا أهلا لها فكان كلما ازداد عمره كانت المقاومات فى أوامره أشد وأقوى ثم انه لاجل تقوية حزب الامبراطورية أمر مجلس الاعيان بعمل

قانون جديد يشتمل على عدة مواد أساسية تتعلق بحكومة نيابية وانتشر هذا القانون فى ١٥ أغسطس سنة ١٨٦٩ فى يوم العيد المتمم لسنة مائة من مولد نابليون الاول فقبلت الامة هذا القانون الجديد من بعد أن حصل التصديق عليه باغلبية آراء نوابها وترتبت وزارة شورية تحت رياسة (عميل اوليفيير) وفى سنة ١٨٧٠ سعى الاسبانيون فى أن يجلسوا على تخت مملكتهم ملكا وكان تختهم خاليا من ملك من عهد ثورة سنة ١٨٦٨ فرغبت فرانسا أن برنس أوستريا الشاب ابن الملكة ازابلا هو الذى ينتخب للتخت الاسبانى الا أن الاسبانيين انتخبوا البرنس (ليوبولد هوحنظولرن سيغمارنغين) من الاقارب البعيدة لملك بروسيا فعارضت فرانسا فى هذا الانتخاب وكان ذلك علة فى تهييجها حربا على بروسيا كما ذكرنا فى كلامنا على تاريخ جرمانيا فى هذا القرن وما كان للامبراطور رغبة أبدا فى الحرب الا أنه أرغم عليه بواسطة الحاح الامة ونوابه ولجاج الامبراطورة وفى هذا الوقت أعلن الكونت بيسمارك بصورة المعاهدة السرية التى كان عرضها عليه موسيو بندطى فى خصوص انضمام بلجيقا الى فرانسا فتولد فى أوربا من هذا الاعلان اشتعال نار الغضب على فرانسا خصوصا عند بريطانيا الكبرى بما أنها كانت عهدت على نفسها الكفالة الكبرى لاستقلالية بلجيقا وطلبت الحكومة الانكليزية من نابليون كفالات قوية على مراعاة فرانسا حيادة بلجيقا عن الحرب الموجود والحال أنها على شرف الهياج وأعلنت فرانسا الحرب على بروسيا فى ١٥ الشهر وانقطع الامل الذى كانت أملته الحكومة الفرنساوية من فصلها الاتحاد الجرمانى الجنوبى من الاتحاد الجرمانى الشمالى بسرعة ما فعله الايالات الجرمانية الجنوبية من مساعدتها بروسيا وقد ذكرنا وقائع هذا الحرب فى تاريخ جرمانيا فى هذه المدة ولا حاجة لاعادة ذكره هنا ومن بعد اعلان الحرب بقليل عهد الامبراطور نابليون زمام نيابة المملكة الى الامبراطورة أوجينى فى مدة غيابه وتوجه مع ابنه الى متز فوجد فيها الجيش الفرنساوى على غير استعداد للحرب الموجود أمامه مع أن وزير حربيته كان عرض له أن كل شئ فى استعداد للحرب ولما وردت الاخبار الاولية بما حصل من المصائب للفرنساوية وانتشرت فى أهل باريس غرقت باريس فى بحور قطع اليأس وأمرت الامبراطورة فى ٩ أغسطس بعقد مجلس الاعيان ومجلس النواب وأرغمت وزارة أوليفيير على الاستعفاء وتشكلت وزارة جديدة بدلا منها تحت رياسة كونت بلكاو وتعين الجنرال طروشو محافظ باريس فاخذ فى الاستعدادات اللازمة للمدافعة عن المدينة ولما وردت أخبار تسليم الملك وجيش ما كهون فى سيدان قامت زوابع الهياج فى باريس وامتلأت الشوارع بالمهيجين من أهل المدينة والنفر الاهلى وأحاطوا بسراية مجلس النواب وطلبوا خلع البونابارتيين وأعلن (بول فافر) فى مجلس النواب بانقضاء أمر المملكة واجتمع عليه جماعة من نواب حزب الجمهورية وتوجهوا الى لوكندة دوفيل ورتبوا حكومة وقتية مؤلفة من ارجو ـ وكريميو ـ وفافر ـ وفرى ـ وغمبتا ـ وآخرين وهجم الاوباش على سراية التولرى وما حصل لهجومهم عليها أدنى مقاومة وتركت الامبراطورة جميع خدمها وأصدقائها الا واحدا فانه لازمها من صداقته وبذل مجهوده فى سلامتها وما زال محافظا عليها حتى هربت بنفسها الى انكلتره ووصل اليها ابنها ورغبت الحكومة الوقتية فى توقيع الصلح مع جرمانيا فطلب ملك بروسيا التنازل عن الالزاس واللورين قيمة الصلح وكانت جيوشه تغلبت على معظم جهات هذين الاقليمين فرفضت الحكومة الفرنساوية قبول هذا الطلب وأعلنت بانه لا يمكنها أن تعطى اصبعا واحدا من أرضها ولا حجرا من أحجار قلاعها ومع أن

موسيو تيير كان عمره فى هذا الوقت ثلاثا وسبعين سنة فانه توجه الى دواوين انكلتره وروسيا وأوستريا وايطاليا فى طلب التداخل والتعاضد المبادى من تلك الدول لفرانسا الا أنه ما نجح فى أمره وفى أثناء ذلك زحف الجرمانيون نحو باريس وأحاطوا بالمدينة وصارت المواصلة بين العاصمة والاقاليم بواسطة القباب الطيارة وهرب غمبيتا أحد أعضاء الحكومة الوقتية من باريس فى قبة طيارة حتى وصل أورليان مع السلامة وشرع فى استعداد الاقاليم للمدافعة ولاجل تيسر الحصول على مرغوبه اتخذ الوسائط الفعالة وتقلد زمام شوكة المدافعة ولبت الامة طلبه واجتهدت فيما كان ساعيا فيه وترتبت عدة جيوش فى ميدان الحرب وقد ذكرنا سرعة تقدم الجيوش الجرمانية من نصرة الى نصرة فى تاريخ جرمانيا وكان فصل شتاء سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ من أشد الفصول بردا فحصل منه ضرر كبير فى باريس من قلة وجود الاخشاب والفحوم اللازمة وفى ٢٧ ديسمبر فتحت البطريات البروسية الموجودة فوق مرتفعات سفري ومودون وكلامورط وشاتيلون نيران مدافعها على المدينة وابتدأ فى المدينة القحط مع الهياج وشدة الضرب المتوالى الساقط على المدينة وازداد عدد الموتى حتى بلغ نحو ٥٠٠٠ نفس فى الاسبوع وأخيرا قلت أصناف المأكولات وفى هذه الحالة صارت المقاومة من أكبر الجرائم وفى ٢٨ يناير سنة ١٨٧١ سلمت المدينة والقلاع الخارجة الى الجرمانيين وحصل الاتفاق على متاركة حربية مقدارها ثلاثة أسابيع حتى ان الامة الفرنساوية ترتب لنفسها حكومة تكون أهلا لعقد الصلح العمومى وتحررت الاعلانات بانتخاب مجلس قانونى انعقد فى بوردو فى ١٢ فبراير وتعينت جمهورية مؤقتة وانتخب موسيو تيير رئيسها باغلب أصوات المجلس فشرعت الحكومة الوقتية على الفور بعقد معاهدة سلمية مع الفاتحين وفى ٢٦ فبراير وقع التوقيع على مبادى الصلح فى فرسايل وقد ذكرنا شروط هذه المعاهدة فى تاريخ جرمانيا فى هذا القرن وتقهقرت العساكر الفرنساوية الى جنوب نهر لالوار ماعدا المحافظين كانوا فى باريس مقدارهم ٤٠٠٠٠ نفس وفى أول مارث دخلت فرقة من الجرمانيين فى باريس وخرجت منها فى اليوم الثالث وفى هذا الوقت نقلت الحكومة مقرها من بوردو الى فرسايل وكان المجلس مقسوما الى حزبين حزب موجه أعماله نحو مصالح المدائن الكبيرة وآخر وهو الاقوى موجه أعماله الى مصالح الاقاليم معارضا فى مصالح المدائن وبواسطة شدة سلطة الحزب الثانى حصر المجلس حرية الانتخاب فى المدائن وجعلها تحت حدود معلومة وكان المجلس مائلا كل الميل نحو السلطنة وتقوى فى أعماله بسبب ما رأى من أن المدائن مائلة للجمهورية وفى أثناء الارتباكات التى جاءت عقب تسليم باريس صار الخفر الاهلى هو الحاكم على المدينة وضبطوا عدة مدافع وحملوها الى مرتفعات مونتمارتر وحصنوا أنفسهم فيها فاجتهد الجنرال فينوا قائد محافظى المدينة على اخراجهم فما نجح فى اجتهاده ثم ان فينوا أخذ عساكره فى هذا الوقت وتوجه الى فرسايل من أجل المحافظة على المجلس واحتل الثائرون لوكندة دوفيل ورتبوا حكومة سموها بالحكومة الشائعة وأعلنت هذه الحكومة نفسها أنها هى المحافظة على دائرة الحرية المدنية وكان يمكنها اتمام هذا الامر الا أنه من سوء الطالع خرجت هذه الحكومة من أيدى العقلاء من أعضائها الى أيدى أهل الثورة من الاشتراكيين أو السوشياليستيين الذين كانوا أزعجوا الحكومة فى سنة ١٨٤٨ وأخمدت المملكة حركتهم وصار لاقبح الناس شوكة فى داخل أسوار المدينة فنهبوا البنوكة وقبضوا على الخيرين من الناس الذين كانوا هم تحت أحكامهم وسجنوهم وقتلوهم وأعلنوا بان باريس

لابدمن دمارها ان لم يكونوا هم الحاكمين فى أمرها وتسلطن الهياج وحل بالمدينة الاهوال وتغلبت قوى الحكومة تحت قيادة المارشال ما كمهون وكانت استحوذت على معظم الطوابى الخارجة وحاصرت هذه القوى المدينة حصارا ثانيا ووقعت عدة وقائع دموية بين عساكر حكومة المملكة وعساكر الحكومة الشائعة ومع أنه صار تشتيت عساكر الحكومة الشائعة مع خسارات جسيمة الا أنهم ضبطوا المدينة مع الشدة حتى ان حكومة المملكة التزمت على كونها تطلب السماح من الحكومة الجرمانية فى زيادة جيشها فى شمال نهر لاوار وذاقت باريس من المصاعب فى هذا الحصار أزيد مما جرى لها فى مدة الضرب المتواتر عليها من البطريات الجرمانية وأسرعت قوى الحكومة فى تقدمها وتغلبت على القلاع الخارجة ولما ظهر للتابعين للحكومة الشائعة أنهم على شرف الهزيمة أخذوا بثأر أنفسهم من هدمهم عمود نابليون الموجود فى فندوم وفى ٢١ مايو هجمت عساكر الحكومة واغتصبوا طريقهم فى داخل المدينة واستمرت العساكر الشائعة تستعد طول الليل لآخر مقاومة تحصل منهم ووقع بينهم وبين عساكر حكومة المملكة حرب شديد من جهة الاستحواذ على المدينة امتد نحو ثمانية أيام حسوما وانهزمت الحكومة الشائعة فى كل جهة من جهات المدينة وفى أثناء هزيمتهم قتلوا رئيس أساقفة باريس وآخرين من المحترمين وأضرموا النار فى سراية اللوفر وسراية التولرى ولوكندة دوفيل وكثير من المبانى العمومية الاخرى وبذلوا مجهودهم فى حرق المدينة فهزمتهم عساكر الحكومة وما بلغوا أربهم من حرقها وفى ٢٨ و ٢٩ من الشهر المذكور وقع الهجوم على المواقع التى كان فيها تابعوا الحكومة الشائعة وانتهت الثورة والقتل الكثير من الرجال والنساء من الثائرين بالرصاص بواسطة العساكر فى مدة الحركة وأخذوا منهم الجم الغفير فى السجون بصفة أسرى وصادرت محاكمتهم بواسطة محكمة جنائية وضربوا بالرصاص بأمر الحكومة فى فرسايل لاشتراكهم فى الثورة واستمرت هذه الاعمال العسكرية حتى سئم منها كافة العالم وفى ١٠ مايو سنة ١٨٧١ حصل التوقيع على المعاهدة النهائية للصلح بين فرانسا وجرمانيا فى فرانكفورت وكانت موادها عين مواد المعاهدة الابتدائية للصلح ولما انقرضت ثورة الحكومة الشائعة عكفت الحكومة نفسها مع حزم الرأى فى أشغال عود النظام الى بلادهم وعمل الطرق اللازمة فى انجلاء الجرمانيين من أقاليم فرانسا وأرضها وكان تقرر فى شروط معاهدة فرانكفورت بان فرانسا تدفع لجرمانيا غرامة حربية مقدارها ٥٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من الفرنكات أى ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولر وأن يكون دفع هذا المبلغ الجسيم على ثلاثة أقساط تدفع فى ظرف ثلاث سنوات وتضمينا على هذا الدين تحتل العساكر الجرمانية القسم الاعظم من الاراضى التى تغلبت عليها على مصاريف فرانسا وأنه يصير انجلاء العساكر الجرمانية على التدريج بمجرد دفع التقاسيط فكان أول اجتهاد وقع من الحكومة الفرنساوية هو اقتراضها دين مبلغ ٤٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولر أمكنها بواسطته أن تدفع فى شهر يونيه ثلاثة تقاسيط من الدين الجرمانى ومن ثم انجلت العساكر الجرمانية من قلاع باريس ومن القسم الاعظم من أراضى فرانسا فكانت هذه التدبيرات سببا فى كسب حكومة الرئيس تيير المساعدة القلبية من الامة الفرنساوية واتحاد المجلس معه ومن بعد تأجيل المجلس الى سبتمبر عمل موسيو تيير الترتيبات اللازمة لدفع النصف مليار الرابع من الدين الجرمانى فى فصل الربيع ومن ثم حصر احتلال الجرمانيين فى الستة أقاليم الشرقية ثم ان تيير بذل جهده فى سداد كافة الدين الجرمانى واخلاء الاراضى الفرنساوية جميعها من احتلال الجيش الاجنبى فى

أول شهر سبتمبر من سنة ١٨٧٣ قبل حلول ميعاد معاهدة فرنكفورت بسنة ونصف والمبلغ اللازم لهذا الصدد صارت جبايته باقتراضات استعدت الامة الفرنساوية لدفعها وسهلت اجتهادات الرئيس فى خلاص البلاد من احتلال جيش غريب وفى آخر فصل صيف سنة ١٨٧١ صار تغيير لقب موسيو تيير من رئيس القوة المنفذة الى لقب رئيس الجمهورية الفرنساوية واتخذت الاجراآت العظيمة من طرف المجلس فى حكومة المدائن وحصول الانتخابات وفى ٨ يونيه ألغيت أوامر نفى البرنسات البوربونية والبرنسات الاورليانية من فرانسا وفى شهر ديسمبر دخل دوق دومال وبرنس جوانفيل فى المجلس وقد كان انتخابهما لهذا المجلس فى الانتخاب العام الذى وقع فى أول السنة ثم ان كونت شومبارد البوربونى الطالب للتخت الفرنساوى عاد الى فرانسا ومن أجل وقوع الهياج فى المتممين اليه أعلن بانه ماتنازل عن شئ من طلباته وانه لايستبدل بيرقه الابيض الذى هو بيرق أجداده بالبيرق المركب من الثلاثة ألوان ولما أعلن بهذا عاد الى مقره فى (فروشدورف) فى جرمانيا وكان يوجد فى المجلس كثير من الحزب الملكى كانوا على أمل فى الابتدا من أن كونت شومبارد ربما ينال فى آخر أمره تخت آبائه فتولد من اعلان الكونت بهذا ثوران الغضب فى عموم الامة حتى أرغمت أتباعه على قطع ما كانوا عليه من الامل واتضح أنه يستحيل فى هذا الوقت تشكيل حكومة أخرى خلاف حكومة الجمهوريه واستصوب عموم المملكة حالة حكومة الجمهورية ورفض الامة قبول المشروعات التى تختص باستبدال هذه الجمهورية بمملكة بوربونية أو أورليانية أو مملكة وفى أول يناير سنة ١٨٧٢ عقدت انتخابات تمامية من أجل اتمام أعضاء المجلس فكانت النتيجة انتخاب ثلاثة عشر شخصا من حزب الجمهورية وأربعة من حزب المحافظين أو الحزب الملوكى وفى هذا الوقت حصلت المجادلات فى المجلس بدوام هيئة حكومة سلطانية وكان معظم أعضاء هذا المجلس من الحزب الملكى واتضح فى هذا الوقت أن هؤلاء الاعضاء على طاقة تامة من عود السلطنة مرة أخرى وكان المجلس على مراعاة قليلة من أمر الامة الراغبة فى ابقاء حكومة الجمهورية فلما رأى المجلس انه يستحيل عليه توقيف ماهو حاصل من الكروب الناشئة من طلبات الكثير من المدعين للتخت رفض قبوله الشروع فى عود أى سلطنة وألزم الاحزاب بتأييد وجود الجمهورية ثم ان المجلس من هذا وجه التفاتاته نحو الشغل العائد بالنفع على المملكة وفى شهر يناير سنة ١٨٧٢ قدمت الحكومة تعريفة جديدة للمجلس تشتمل على عوائد جديدة على الخام من المواد وكان هذا العمل جرى استصوابه بمعرفة موسيو تيير رئيس الجمهورية فعارض فيه المجلس بشدة مع عموم الامة وفى ١٩ يناير رفض المجلس قبول هذه التعريفة ومن ثم أرسل موسيو تيير استعفاءه من رياسة الجمهورية فى اليوم الثانى فالتمس منه المجلس سحب استعفائه فرضى بذلك وفى هذه السنة ظهرت دلائل كثيرة فى المملكة تدل على تقدم درجة أفكار أرباب الجمهورية وعلى الخصوص فى الانتخاب التمامى للمجلس الذى حصل فى ٢١ اقطوبر فان أرباب حزب الجمهورية حازوا مزايا عظيمة وفوائد جليلة وذلك أنه من قبل حصول هذا الانتخاب بقليل خطب غمبتا مقالة لارباب انتخاب غرينوبل ذكر فيها أن السلطة السياسية للمملكة يلزم انتقالها لهيئة جديدة فكانت هذه المقالة دلالة كافية على اخراج سلطة الصنائعية والشغالة الذين هم المنبع الاصلى فى ثوران العامة وان تستبدل هذه السلطة بسلطة مجلس مؤلف من الراديكال أومن حزب الجمهورية من بعد حصول الانفضاض ففزع حزب المحافظين من أقوال غمبتا واتحدوا مع

بعضهم

بعضهم ضد حزب الجمهورية وفى ١٨ نوفمبر حصلت مجادلات شديدة فى المجلس فيما اذا كانت الحكومة سعت فى اخماد حركات حزب المحافظين فى الاقاليم وعلى الخصوص ما حصل من نجمتا من الهياج ودخل موسيو تيير مع الشدة فى هذه المجادلات ودافع عن ادارته وطلب من المجلس الاقرار على اعتماده فقرره المجلس لكن بطريقة غير كافية عند الرئيس حتى قامت المشاحنة بين تيير والمجلس مرة أخرى وفى ٢٦ نوفمبر قدمت اللجنة التى كانت تعينت من المجلس لتحرير اجابة على مذكرة الرئيس تقريرا فى غاية الاشكال والتعقيد الشديد فغضب تيير من هذه المعاملة وهدد المجلس باستعفائه فصار توقيف هذه المادة بتعيين لجنة مؤلفة من ثلاثين عضوا من أجل تحرير تعريفة تحدد روابط أشغال القوة المنفذة لرئيس الجمهورية والمجلس كل على حدته والمسؤلية فيما يختص بالفروع الاخرى من الحكومة وكان تعيين هذه اللجنة فى ٥ ديسمبر وفى ١ منه صدر منشور من غمبتا وكريميو ورؤساء آخرين من الجهة اليسرى للمجلس بطلب انفضاضه والغائه وعمل انتخاب مجلس جديد يكون الواسطة الموافقة لتأييد أغراض المملكة ويتطرف فى المسائل الحالية وتقدمت عدة اعراضات فى هذا الصدد للمجلس من جهات الاقاليم فرفضها المجلس جميعها وفى ٩ ينايرسنة ١٨٧٣ مات الامبراطور السابق نابليون الثالث فى (شيزيلهارست) من أعمال انكلترة وكان قاطنا فيها من عهد خلاصه من الاسر فنعى موته الامة الفرنساوية لانه وان كان كثير الغلط الا انه كان حازما وأخاص دقا للامة وبموته انقرضت آراء الحزب الملوكى وتصميماته فى فرانسا وفى أول ينايرقدمت لجنة الثلاثين تقريرها المتضمن تحديد سلطة الرئيس وأعمال المجلس فوقعت المناقضة فى هذا التقرير مدة وحصل الثوران فى المجلس حتى ان موسيو تيير هدد المجلس باستعفائه عدة مرار وكانت النتيجة قبول تقرير اللجنة فى ١٣ مارث من بعد أن حصل فيه عدة تعديلات وفى ٢٩ مارث صدرت لائحة بنفى عموم البونابارتيين من فرانسا وفى ٢٧ ابريل حصل الانتخاب التماحى للمجلس وكانت نتيجته انتخاب الكثير من حزب الجمهورية

وفى مايه سنة ١٨٧٣ عمل الرئيس تيير عدة تغييرات فى وزارته فما كان الوزراء المستجدون مرعيين بأغلبية المجلس بما أنهم جميعا من حزب المحافظين وصارت أعمال الرئيس فى غاية الاشكال وصار لا اعتماد عند الاحزاب المؤلفة للمجلس فى قبولها حكومة الجمهورية بأى صفة كانت وأمل كل واحد من الاحزاب أن حالة الاعمال الموجودة فى المملكة ربما تكون سببا فى انقلاب الجمهورية وعود السلطنة للذين هم مؤملون فى عودها وكل منهم كان فى أمل مساعدة الرئيس فى هذا الصدد ومع ذلك فانه فى يوم ٢٤ مايه أعلن الرئيس تيير سياسة آخر ادارته فى التماس قدمه للمجلس يطلب فيه منه أن هذا المجلس يلزمه أن يصرف النظر عما فى ذهنه من الافكار والاحساسات وان كافة الاحزاب يلزم أن تكون على اعتقاد تام من أن حكومة الجمهورية هى الحكومة الدوامية فى فرانسا فأثر هذا الالتماس الخاص بحب الوطن فى قلوب أعضاء المجلس واختاره المجلس بأغلبية أصوات ٣٦٠ ضد ٣٤٤ صوت وصرفوا النظر عن ترتيب هيئة حكومة دوامية ووقع الاسف من أن الوزارة الجديدة ما حصل منها أدنى اجتهاد كاف فى بقا سياسة حزب المحافظين ثم ان الرئيس تيير والوزراء قدموا استعفاءهم فقبله المجلس مع غاية التلهف وفى هذه الجلسة صار انتخاب المارشال ما كمهون رئيس الجمهورية فقبل ما كمهون الوظيفة وعين دوق بروغلى زعيم الحزب المضاد فى المجلس رئيسا للمجلس وعين مغنى المالى الماهر وزيرا المالية ومن بعد انتخاب الرئيس ما كمهون بمدة زاد حزب المحافظين فى المجلس بواسطة ترك أعضاء حزب الاحرار من الانتخاب

ودخل الكثير من الحزب الملوكى فى مصالح عموم المملكة وصار حزب الحكومة فى قوة كافية فى منعهم الشعائر والمواسم التى كانت تقيمها الامة فى ٤ سبتمبر وهو يوم عيد الاحتفال بجلوس الجمهورية واتضح جليا فى هذا الوقت بان أعضاء حزب المحافظين ربطوا أنفسهم فى شأن عود السلطنة وزار البرنسات الاورليانية (فروسدورف) وأعلنوا رسميا حق وراثة التخت الفرنساوى لكونت شامبورد وتنازل كونت باريس نيابة عن نفسه وعن عائلته عن كل مايدعيه فى شأن تاج فرانسا ولما حصل الاقرار على هذه الحالة بين الفرعين البوربونيين استعد حزب المحافظين لتنفيذ مابقى من تصميمهم باعلانهم عود السلطنة تحت سلطنة كونت شامبورد بلقب هنرى الخامس وفى هذه الحالة حرر كونت شامبورد مكتوبا الى (موسيو شيسنيلونغ) ذكر فيه أن البوربونيين طغوا وتمردوا فى الحقيقة وانه يعلن انه لا يقبل الراية ذات الثلاثة ألوان بدل الراية البيضاء لاجداده فتولد من هذا الاعلان فسخ الاتحاد الذى كان معاضداله وفى ليلة ١٩ نوفمبر صدر من المجلس لائحة مقتضاها عهد السلطة التنفيذية الى الرئيس ماكمهون لمدة سبع سنوات وفى هذا الوقت التفتت الحكومة الفرنساوية لمحاكمة المارشال بازين من أجل فقدان مدينة متز فى مدة الحرب مع جرمانيا واتهم فى خيانة تسليمه جيشه وقلعة متز من دون موجب للتسليم وفى ١٠ ديسمبر صارت محاكمته بمجلس عسكرى فوجد مذنبا وحكم عليه بالاعدام فاستبدل الرئيس ماكمهون هذا الحكم بتجريده من رتبه وسجنه مدة عشرين سنة فارسل مسجونا فى قلعة جزيرة سنت مارغريطة الا أنه نجح فى هربه منها فى صيف سنة ١٨٧٤

وكانت سنة ١٨٧٤ خالية الحوادث وانقضت فى منازعات بين أحزاب المجلس فتولد من هذه الشقاقات الزام كافة الاحزاب بمعاضدة حكومة السبع سنوات التى تقرر أمرها الى المارشال ماكمهون وأعلن المارشال ماكمهون من طرفه بانه عزم على أن يكون ضد الكل معاندا فى مدة السلطة التى استلمها من المجلس لمدة سبع سنوات وفى سنة ١٨٧٥ أجريت الاعمال اللازمة فى تقوية ثبات الجمهورية وفى مدة شهور فصل الربيع صار سن قانون استصوبه المجلس من بعد المداولة فيه ومن مواد هذا القانون أن يكون المجلس مؤلفا من قاعتين قاعة النواب وقاعة الاعيان فأما النواب فيجرى انتخابهم بطريق الانتخابات العمومية وأن يكون عدد أعضاء الاعيان الى حد ٣٠٠ عضو منهم خمسة وسبعون يستمرون فى الوظيفة مدة حياتهم ويكون انتخابهم فى أول مرة بمعرفة المجلس الحالى ثم بعد ذلك بمعرفة مجلس الاعيان نفسه وباقى الاعضاء يصير انتخابهم لمدة قليلة بمعرفة المجالس العمومية للاقاليم مع البعض من نواب الاقاليم الصغيرة وتقرر للمجلس حد محدود لسلطة نفسه وتعين يوم ٧ مارث سنة ١٨٧٦ لانعقاد مجلس النواب الجديد ثم تولد من الانتخابات فى فرانسا زيادة الكروب بين حزب الجمهورية وحزب السلطنة وأخذت الاحتراسات اللازمة على كل من يكون سببا فى عود السلطنة وكان الحزب البوناپارتى فى غاية من الايقاظ فى انتهاز الفرصة فى تغيير هيئة الحكومة الموجودة وأخفى شبهته فى ذلك بتداخله فى الدسائس السياسية فكان ذلك سببا فى أن أصدرت الجمهورية أوامرها بطرد عموم البوناپارتيين من الجيش ثم ان وزارة دوبرغلى اجتهدت فى أن تحكم من دون واسطة أغلبية آراء المجلس فحصلت المجادلات وزادت الارتباكات حتى ان الرئيس ماكمهون التزم بالاستعفاء فى ٣٠ يناير سنة ١٨٧٩ وصار انتخاب (يولوجريڤى) رئيسا للجمهورية بمعرفة أرباب المجلس وصار انتخاب غمبتا رئيسا للمجلس فمات فى ٣١ ديسمبر سنة ١٨٨٢ من بعد أن أجرى اجرا آت فى ادارة الحكومة

لانظير لها عند الامة وكان حاز الدرجة العالية فى سياسته فى مجلس الامة وفى سبتمبر سنة ١٨٨٠ أصدرت النظارة تحت قيادة يول فرى منشورا خاصا بطرد الجزويت من فرانسا وكان ذلك أمر الزاميا تولد منه احساسات كبيرة وتولد من العار الذى حصل فى بيع ومشترى نشانات الافتخار استعفاء الرئيس جريفى فى نوفمبر سنة ١٨٨٧ وصار انتخاب الموسيو كارنو بدلا منه وهو رئيس الجمهورية الحالى فى سنة ١٨٩٢ بعد الميلاد

(وصف فرانسا)

فرانسا هى المملكة الواقعة فى الجهة الغربية من الممالك الوسطانية فى أوروبا وممتدة من ٣٠َ ٤٢ْ الى ٥َ ٥١ْ من العرض الشمالى ومن ٤٥َ ٧ْ من الطول الشرقى الى ٤٥َ ٤ْ من الطول الغربى ومحدودة من الجهة الشمالية بخليج الانكليز وبوغازات الدوفر وهذا تفصيلها من انكلتره ومحيط دائرها ٣٠٠٠ ميل ومساحتها الحالية ٢٠٤,٠٠٠ ميل مسطح ومساحة الاراضى التى فقدت منها فى سنة ١٨٧٠ بقدر ٥٦٠٢ ميل مسطح وفرانسا مقسومة الى ٨٦ كورة بما فيها جزيرة قورسقه فى البحر الابيض المتوسط وأنهرها المشهورة هى السين ولالوار وغارونة والرون وأورماناتها المشهورة هى أورمانات اردين وكومبيانه وفونتينبلو وأورليان وعموما مقصور على خشب البلوط والبتولا والصنوبر والزان وخشب الدردار وأبوفروه وخشب الفلين فى الجهات الجنوبية منها ويكثر بها أشجار الفواكه الوافرة المحصول وأشهرها الزيتون وأبوفروه والجوز واللوز والتفاح والكمثرى والليمون والتين والخوخ والبرقوق وغير ذلك وزارعة كروم الاعناب فيها بوفرة ومن أجود أنبذتها نبيذ بوردو وبورغندى وشمبانيه ومحصولاتها الزراعية القمح والشعير وأنواع الدخن والاذرة والبطاطس وقصب السكر والتيل والكتان وأما محصولاتها فى المعادن فهى قليلة ومع هذا فانه يوجد فى أراضيها صنفان من الفحوم الحجرية والنحاس والرصاص والحديد والفضة والانتيمون والملح وبلغ ايراد الفحم فى سنة ١٨٨٥ بعد الميلاد ١٩,٥٠٠,٠٠٠ طولوناته وأهم الاشغال المعدنية وأشهرها الساعات والحلى من الجواهر وأوانى البيوت والاوانى المنقوشة وأنواع الفخار والزجاج والمواد الكيماوية وأجناس الصباغة والورق وأشغال الصناعة من الخشب وأصناف البسط والسجاجيد ومشغولات الكتان والحرير وأنواع الصحف ومغاصات اللؤلؤ مشهورة فى ممالكها ولها وقع عظيم وتعداد أهل فرانسا فى سنة ١٨٨٦ بلغ الى ٣٨,٢١٨,٩٠٣ نفس وقوة جيشها فى سنة ١٨٨٩ بقدر ٥٠٦,٤٥٠ نفس ويبلغ على قدم الحرب ٣,٠٠٠,٠٠٠ نفس و ١٣٨٣٠١ حصان و ٣٠٠٠ قوهة نارية وأسطولها مؤلف فى سنة ١٨٨٩ من ١١٣ سفينة فيها ١٧٩٥ ضابطا و ٣٥,٢٨٢ نفر بحرى ويكثر بها وجود السكك الحديدية وصارت عمومها تابعة للحكومة من بعد قضاء مدتها وفى سنة ١٨٨٨ كان موجودا فى فرانسا ٢٩٦٨٣ ميل سكة حديدية وطول خط التلغراف ٦٢,٣٤٧ ميل وبفرانسا عمارة تجارية مؤلفة من ١٥,٢٦٦ سفينة حمولتها ١,٠٠٠,٢١٥ طولوناته ومدخولها مقصور على مواد الغذاء والخام من المواد وصادراتها البضائع المشغولة والمشهور من مدخولاتها أنواع الغلال والدقيق ومدخول هذا زيادة عن تصديراته والصوف والحرير الخام وخشب

الصناعة والجلود والسختيان والقطن والفحم وأصناف الحيوانات وغزل القطن والمشغولات وصادراتها الاشغال الصوفية والانبذة والحرير والجلود والحرير الخام والسختيان وأنواع الخردة والجبنة والزبدة وفي سنة ١٨٩٠ وسنة ١٨٩١ بلغ ايراد فرانسا

١٢٦٦١١٩٠٠ ليره ايراد

١٢٦٥٩٥٢٦١ مصروف

١٢٨٨٥٠٠٠٠٠ ليره دين عمومي

وباريس هي عاصمة فرانسا وتعداد أهلها في سنة ١٨٨٧ بلغ الى ٢٣٤٤٥٥٠ نفس وفي سنة ١٨٩٠ بعد الميلاد صدر أمر من الجمهورية ببيع تاج الملوك الفرانساوية اذ لا لزوم له الآن وأجاد المؤرخون في وصفه وما كان فيه من الجواهر واللآلئ وانقلبت زينة الاستبداد القديم حلية للتمدن الجديد ونفقة للاصلاح الحديث والى هنا انتهى تاريخ فرانسا على يد مؤلفه الفقير

محمود فهمي

المهندس بجزيرة سيلان

﴿ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع وأوله تاريخ انكلتره ﴾



(فهرست الجزء الثالث من البحر الزاخر)

صحيفة

(الكتاب الثامن عشر تاريخ ايطاليا)

(الكتاب التاسع عشر تاريخ مملكة جرمانيا)

(الكتاب العشرون تاريخ مملكة فرانسا)

﴿تمت﴾

(بيـــان الخطا الواقع فى هذا الجزء وصوابه)

صحيفه	سطر	خطا	صواب
٨	٣١	برنيا	بريثا
٣٠	١١	الذيورة	الديورة
٣٣	٢٩	دريان	ادريان
٥١	٢٥	سيسينيا	سيسيليا
٥٢	٢٤	النفوذ	النفور
٩٦	١٣	بالاوسترنانيين	بالاستريانيين
١٥٠	٢٣	قورى	خورى
١٥٧	٢٤	ارفوت	ارفورت
١٥٨	٢٥	وملانفطون	وملانقطون
١٦٥	٢١	سكلكارين	صمالكلدى
١٦٥	٢١و٢٥	الاسكلكاريني	الاصمالكلدى
١٦٥	٢٩	نوربنرغ	نورمبرغ
١٦٦	٢	الاسكلكاريني	الاصمالكلدى
١٦٦	٣٢	الاسكلكاريني	الاصمالكلدى
١٦٧	٩	الاسكلكاريني	الاصمالكلدى
١٦٨	٣	الاسكلكاريني	الاصمالكلدى
١٨٥	٣١	مدنيخ	مونيخ
١٨٦	٢٥	دوطويسكى	روطويسكى
١٩١	٢٦	سكويديطز	سكويدنطز
١٩٥	١٧	مغنانو	مارنغو
١٩٧	٢٢	١٨٠٨	١٨٠٧
١٩٨	١٣	كريتوله	كرينوله
٢١٠	٢	ولوتبرغ	ولوبنبرغ
٢١٢	١٣	لنفنسالطه	لنغسالطه
٢١٧	٥	حربرونخن	سعربرونخن
٢١٧	٨	فوردجس	فوزنجس
٢٢٣	٩	يبن فيه	بين فيه
٢٣٠	٤	الكروموطين	الكرنوطين
٢٣٣	١٣	البير	الليير
٢٣٣	٣٢	عنيقيفه	غنيقيقه
٢٤٤	٢٧	عند	عن
٢٤٦	١٩و٢٠	سلطاين	سلسطين
٢٥٩	١٨	رمة	رومة
٢٦٢	هامش	السادس	الخامس
٢٦٣	هامش	الخامس	السادس
٢٦٣	٢٨	١٣٢٠	١٣٢٩
٢٦٥	٢	هورنبون	هينبون
٢٧٣	١٩	فرخ	فرح
٢٨٣	٧	١٨٧٦	١٤٧٦
٢٨٧	٨	لويز	فرنسيس
٣١٠	١٧	الثانى عشر	الثالث عشر
٣٤١	٩	كاكون	كالون
٣٤٦	٢٣	الامبراطورية	الامبراطورة
٣٥٠	٣٣	أمريقه	أفريقه
٣٧٨	٧	عقد	عفو
٣٨٠	٣٢	الامبراطور	أمبراطور
٣٨٧	٣٣	ملك بروسيا	الملك بروسيا

